

نزهة الألباب
الجامعة لفنون الآداب

الجزء الأول

تأليف

عزيز الدين ابن الكميلي

من أهل القرن التاسع للهجرة

تبويب

عبد الله الأدكاوي الشهير بالمؤذن المصري

1184هـ

تقديم وتحقيق

عبد القادر سعود



نزهة الألباب
الجامعة لفنون الآداب

تأليف

عز الدين ابن الكميلي

من أهل القرن التاسع للهجرة

تبويب

عبد الله الأدكاوي الشهير بالمؤذن المصري

1184هـ

تقديم وتحقيق

عبد القادر سعود

الجزء الأول

مركز العمودي لترجمة
ونشر التراث المخطوط
إشراف
الدكتور [illegible]



كتـــاب : نزهة الألباب الجامعة لفنون الآداب
التصنيف : أدب
التأليـــف : عزيز الدين ابن الكميلي
التبويـــب : عبد الله الأدكاوي الشهير بالمؤذن المصري
التحقيـق : الدكتور عبد القادر سعود
المراجعة : اللجنة العلمية التابعة للمركز
الطباعــة : طبع في مطابع دار الكتب العلمية - بيروت
الإخراج الفني : يونس عبدوس
عـدد المجلدات : 2
قياس الصفحات : 17×24 cm
سنة الطباعــة : 2012م - 1433هـ
بلد الطباعــة : لبنــان
الطبعــة : الأولــى



مركز "العمودي لترجمة ونشر التراث المخطوط" مركز متخصص في التراث العربي المخطوط، تم تأسيسه بالمملكة المغربية سنة 1432هـ/ 2011م، يدير شؤونه مجلس إداري يتكون من السادة:

الشيخ محمد حسين العمودي	: رئيس المركز
الدكتور محمد بن عبد الرحمن البشر	: المشرف العام على المركز
الدكتور أحمد شوقي بنبين	: رئيس اللجنة العلمية
الأستاذ جمال با عامر	: رئيس اللجنة المالية
الدكتورة كنزة الغالي	: عضوة اللجنة العلمية
الدكتور عبد القادر سعود	: عضو اللجنة العلمية
الدكتور عبد المجيد خِيَّالي	: عضو اللجنة العلمية
الأستاذ يونس عبدوس	: سكرتير المركز



مقدمة

تتميز المكتبة العربية بغناء جانبها التراثي الذي يضم عددا من الذخائر المخطوطة والنفائس الغميسة التي تعتبر ذاكرة حية للأمة الإسلامية وشاهدا ثابتا على وجود حضارة عربية إسلامية، امتدت بشرف وإجلال من المشرق إلى المغرب، كما أن هذا التراث المكتوب قد يساعد الباحثين، في مجالات مختلفة، على رسم خارطة نقرأ من خلالها مسار التطور الذي عرفته هذه الحضارة، إلا أن هذه المكتبة، رغم غنائها وتنوع مؤلفاتها، لا زالت تعاني من فقدان عدد لا يستهان به من الكتب وضياع جانب مهم من ذاكرتها الثقافية، إذ امتدت يد الإتلاف وعوادي الزمان لطمس الهوية العربية الإسلامية فاختلت بعض حلقاتها وشاب مسارها كثير من الغموض والنقص.

وإذا كان الضياع قد مس جانبا مهما من المكتبة العربية فإن الإهمال ويد الحرص والاستئثار قد أحدثت، هي الأخرى، ثقبا مشينا في الذاكرة الثقافية، إذ لا يزال قسم كبير من التراث العربي في عداد المخطوطات التي تركها مؤلفوها عرضة للإهمال ولقمة سائغة للأرضة وغيرها من الحشرات.

من هنا، فإن عملية تحقيق التراث المخطوط وإخراجه تكتسب أهمية كبرى؛ إذ يعد التحقيق مشروعا حضاريا من شأنه أن يخدم تاريخ هذه الأمة المجيد، كما يعد عملا ثقافيا قد يفيد كثيرا من الباحثين في مجالات مختلفة. فبدون الوقوف على كل المنجزات والأعمال، وبدون الاطلاع على مختلف حلقات السجل الثقافي لا يمكن للدارس، مهما كان، أن يبني تصورا موضوعيا عن الثقافة العربية الإسلامية،

كما يستحيل الحديث عن التاريخ الثقافي العربي، الذي يبدو في ظل هذا النقصان والاهمال، ملتبسا بغير قليل من التناقض والاختلاف.

وانطلاقا من هذا المفهوم لعملية التحقيق كان إقدامنا على كتاب « نزهة الألباب الجامعة لفنون الآداب» بالتقديم والتحقيق، وهو كتاب شامل يحمل انتماء مشرقيا صريحا ويدين للمغاربة في الوقت نفسه، بأمر التبويب والترتيب وإعادة النظر والصياغة.

إن كتاب «**نزهة الألباب الجامعة لفنون الآداب**» عبارة عن نسخة مبوبة ومرتبة من كتاب «العزيز المحلى في المحاضرات»[1] لصاحبه عزيز الدين ابن الكميلي، وقد جاء به أحد الأشراف من المشرق إلى حضرة السلطان مولاي إسماعيل فحظي بإعجابه واهتمامه، حيث أمر وزيره أبا علي الروسي[2] بإعادة ترتيبه وتبويبه وتنظيمه، فعهد هذا الأخير إلى من هو في مستوى هذه المهمة وهو: عبد الله بن عبد الله بن سلامة الأدكاوي[3] الذي اختار أن يسميه بعد التبويب «**نزهة الألباب الجامعة لفنون الآداب**»، وهو الكتاب الذي نسعد اليوم بتحقيقه وتقديمه للقراء في حلة علمية تليق بمكانته داخل المكتبة العربية؛ إذ يعتبر بحق نزهة شيقة جامعة لفنون الآداب. فهو يجمع بين دفتيه مجموعة من الأخبار والأشعار، ويزخر بعدد كبير من الرسائل والنوادر والمسائل الفقهية، كما لا يخلو من الإشارة إلى الأحداث والوقائع التاريخية، ويقف عند عدد من الأعلام البشرية والجغرافية، الشيء الذي يلحقه بكتب الآداب الضخمة كـ "العقد الفريد" و"البيان والتبيين"

---

(1) توجد منه نسختان بالخزانة الحسنية بالرباط، الأولى تحمل رقم: 8069 والثانية تحمل رقم: 11504.

(2) هو عبد الخالق الروسي بن الوزير عبد الله بن حمدون الروسي، أحد الأبطال في عهد السلطان مولاي إسماعيل، انظر نشر المثاني والاستقصا7: 91 - 138

(3) تأتي ترجمته في نبذة موجزة عن حياته

و"عيون الأخبار" و"الأمالي" وغيرها من كتب المختارات.

لم يكتف المؤلف في هذا الكتاب بالاستنساخ والنقل، وإنما تجاوز ذلك لينفرد بسرد أحداث ووقائع تاريخية غابرة لا نكاد نجدها في غير "النزهة" كما استأثر بتعريف أعلام وشخصيات مغمورة فظل الكتاب مصدرا فريدا لترجمتها، هذا بالإضافة إلى الكم الهائل من الأشعار والآثار الأدبية التي لا نكاد نجدها في غيره من أمهات الكتب والمصادر. ثم إن كتاب "نزهة الألباب الجامعة لفنون الآداب" قد حفظ مواد وصفحات وفصولا من كتب مفقودة، وضم عددا من القضايا الفقهية والنوازل والمسائل الخلافية والمساجلات الشعرية والنكت والحكايات الغريبة وبعض الأقوال المأثورة مما لا نجده في غيره من المصادر وكتب الأدب. وهذا ما جعله بحق من المصادر المطلوبة لدى الباحثين في شتى المجالات.

لقد استعمل المؤلف في هذا الكتاب أسلوبا مميزا جمع بين السهولة والوضوح من جهة، وبين الجزالة والقوة من جهة ثانية، ولعل عنصر الإمتاع والرغبة في الإفادة واستحضار المتلقي كانت كلها عوامل رئيسة وراء إخراجه في هذه الحلة الأدبية الرائقة، التي تشد القارئ، على اختلاف مستوياته، فيحظى بإعجابه وقبوله. كما أن هذه العوامل قد تكون أسهمت بدورها في انتقال الكتاب الأصل « العزيز المحلى» من المشرق إلى المغرب، فكان بضاعة نافقة وسلعة رائجة، حيث حظي باهتمام السلطان العلوي مولاي إسماعيل، الذي لاحظ خروجه عن نسق الترتيب وخلوه من التراجم والتبويب فأمر بتبويبه وترتيبه.

لهذا، فالكتاب يحمل بصمات مغربية تقتضي كثيرا من النظام والضبط والالتزام، فكان، بالجهد الذي بذله فيه مبوبه، «سهل التناول على الناظر فيه، قريب المأخذ لمن يحاوله ويبتغيه، على أسلوب بديع وترتيب حسن رفيع، لكونه حاز كل معنى رائق... واستخرج كل خبر فائق. فمن ثم امتحن أن يسمى نزهة الألباب الجامعة

لفنون الآداب، ليطابق اسمه مسماه، ولفظه وترتيبه مبناه»[1].

كما يمكن النظر إلى هذا الكتاب من زاوية أخرى، وهي زاوية المثاقفة والتبادل والتأثير والتأثر بين المشرق والمغرب الإسلاميين؛ إذ لقي قبولا حسنا من ذوي السلطة وأصحاب النفوذ، الشيء الذي يعطي للدارس فكرة عن طبيعة الذوق الثقافي الذي كان سائدا في تلك المرحلة. ولعل المسألة التعليمية كانت أيضا من العوامل التي شدت المغاربة إلى كتاب "العزيز المحلى" وإلى الاهتمام بترتيبه وتبويبه ليشكل مادة تعليمية وتلقينية دسمة لا يكاد يستغني عنها طالب الأدب ودارس اللغة، سواء في القرن التاسع للهجرة أو القرون التي تليه.

ولإخراج هذا الكتاب إلى جمهور القراء في حلة تليق به وبمكانته ومكانة مؤلفه ومبوبه، فقد ارتأينا أن ينقسم عملنا في تقديمه وتحقيقه إلى قسمين اثنين:

القسم الأول، ويضم:

مقدمة: تحدثنا فيها عن قيمة الكتاب وأهميته ، ثم استعرضنا خطة البحث والمنهج المتبع.

تقديم: وخصصناه لتسليط الضوء على شخص المؤلف ومضمون كتابه، وأخيرا عرضنا خطتنا في التحقيق.

القسم الثاني: خاص بالتحقيق

وقد ارتأينا، للأمانة العلمية، الحفاظ على الترتيب والتبويب اللذين سمي الكتاب بفضلهما «نزهة الألباب الجامعة لفنون الآداب» حيث جاءت أبوابه على الشكل الآتي:

---

(1) نزهة الألباب: 2.

الباب الأول: في أخبار بعض الأنبياء عليهم السلام والأمم السالفة من أهل الفترة وغيرهم.

الباب الثاني: في أخبار هواتف الجن وغيرهم ببعثة النبي ﷺ وذكر شيء من معجزاته وشمائله عليه السلام.

الباب الثالث: في مناقب بعض سادات الأمة وأعيانهم وكراماتهم الباقية بعد انقضاء أزمانهم.

الباب الرابع: في أخبار بعض الملوك العظام وذكر حوادث أيامهم متسقة النظام.

الباب الخامس: في الجهاد وما يتعلق به من صلح ومهادنة وضرب جزية وخبر بعض المجاهدين.

الباب السادس: في الشجاعة وأخبار بعض الشجعان الأماثل والجبن وأهله الأراذل.

الباب السابع: في الجود وخبر أهله الكرام، وذكر بعض أضدادهم ممن اشتهر من اللئام.

الباب الثامن: في الحلم وما في معناه من مكارم الأخلاق، وما اتفق في ذلك من الأخبار الحسنة الاتفاق.

الباب التاسع: في الذكاء والفطنة وصدق الفراسة.

الباب العاشر: في الدهاء والمكر والحيل المأثورة عن ذوي السياسة.

الباب الحادي عشر: في المرائي وتعبيرها وغرائب تأويلها وتفسيرها.

الباب الثاني عشر: في الأجوبة المستملحة والمراجعات المستظرفة الصادرة عن بعض الأذكياء.

الباب الثالث عشر: في مسائل من الظرف والمعاياة.

الباب الرابع عشر: في بديع الاستعطاف ومليح الاستعذار والاستلطاف.

الباب الخامس عشر: في المباسطة والمداعبة وما في معنى ذلك مما يقع بين الأصدقاء في المحاورة والمخاطبة.

الباب السادس عشر: في العشق والمحبة وأخبار بعض الموهلين وأشعارهم المستعذبة.

الباب السابع عشر: في خبر الحسان من الجواري والقيان.

الباب الثامن عشر: فيما يستظرف من خبر النساء ويستملح.

الباب التاسع عشر: في المنادمة والغناء وأخبار المغنين.

الباب العشرون: في الهزل والمجون الجاري في الأحاديث التي هي شجون.

الباب الحادي والعشرون: في خبر بعض المجانين وما في معناهم من البله والمغفلين.

الباب الثاني والعشرون: في الفصاحة والبلاغة في الكلام وبعض ما للبلغاء في ذلك الطراز من نثر ونظام.

الباب الثالث والعشرون: في أخبار الشعراء وذكر ملح من أشعارهم.

الباب الرابع والعشرون: في المديح والهجاء.

الباب الخامس والعشرون: في الهفوات والزلات اللسانية في الشعر وغيره.

الباب السادس والعشرون: في أخبار التكبرين والجبابرة وسوء عاقبتهم الخاسرة.

الباب السابع والعشرون: في تقلبات الدهر بأهله ونثر عقد نظامهم وحله.

الباب الثامن والعشرون: في غرائب الاتفاق الواقعة في الافاق.

الباب التاسع والعشرون: في أشياء عجيبة ونوادر غريبة.

الباب الثلاثون: في ذكر صنائع فائقة ومصانع رائقة.

الباب الحادي والثلاثون: في الأذكار والأدعية المجرب نفعها وعواقب فعل الخير والمعروف.

الباب الثاني والثلاثون: في الرقى والخواص.

الباب الثالث والثلاثون: في السحر والكهنة وشيء من علم الحدثان.

الباب الرابع والثلاثون: في الزجر والعيافة والتنجيم والفال والطيرة وما في معنى ذلك.

الباب الخامس والثلاثون: في الوعظ والوصايا والحكم وأخبار الحكماء من سائر الأمم.

الباب السادس والثلاثون: في الزهد في الدنيا والثقة بما عند الله تعالى.

الباب السابع والثلاثون: في حسن الظن بالله تعالى، وسعة رحمته وإغاثة من اضطر له وتفريج كربته.

الباب الثامن والثلاثون: في خبر من رزق الثبات عند تحقق الموت والفوات.

الباب التاسع والثلاثون: في الرثاء والتعزية وما في ذلك من المحاسن الأدبية.

الباب الأربعون: جامع لمسائل من العلم والسير والتاريخ وأخبار بعض العلماء وفضل العلم.

ونظرا لطبيعة الكتاب وطبيعة محتواه ارتأينا أن نتبع المنهج الوصفي التحليلي في تحقيقه ومعالجته وإخراجه في صورة مناسبة لمادته ومستجيبة، في الوقت نفسه،

للشروط العلمية التي وضعتها مدارس التحقيق، وهي شروط صارمة ظهرت بجلاء في أعمال متميزة لمحققين مشارقة ومغاربة.

ولقد واجهتنا في تحقيق هذا العمل صعوبات جمة وعراقيل عدة، تختلف باختلاف مراحل البحث، وهذا ليس بالغريب، إذ كنا مدركين، ونحن نخطو خطواتنا الأولى فوق صرح هذه النزهة، صعوبة هذا الأمر وخطورة هذا العمل، فتسلحنا بالصبر والمثابرة، وعولنا على الله، ثم على توجيهات العلماء، من فقهاء ومحدثين ومؤرخين وأدباء، إذ كانوا خير معين على ركوب بحر هذا الكتاب الذي أتمنى أن يكون إخراجه إضافة متميزة في رفوف المكتبة العربية.

وفي الختام أتوجه بالشكر الجزيل إلى جناب أستاذي الكريم الدكتور أحمد شوقي بنبين الذي خص هذا العمل بعنايته وأحاطه بها لديه من خبرة في مجال المخطوطات، كما أشكر كل من مد لي يد المساعدة بمعلومة أو إشارة أو توجيه.

وليس لي بعد إنهاء تحيقيق هذا الكتاب إلا الاعتراف بالنقص كما اعترف به أهل العلم قبلي، فالأعمال الضخمة مثل "نزهة الألباب الجامعة لفنون الآداب"، ذات المادة الدسمة، قد يكثر فيها التوثيق وتتعدد فيها التراجم ويصعب فيها التحقيق، وذلك ما قد يسقط الباحثين في بعض الهنات، وتفوتهم، لتنوع المادة، بعض الإشارات، فأسأل الله أن يغفر لي ما وقع فيها من زلات.

والله ولي التوفيق

التقديم

1. التعريف بالمؤلف:

يعتبر كتاب "نزهة الألباب الجامعة لفنون الآداب" مجرد نسخة مبوبة من كتاب «العزيز المحلى»، وبالتالي فإن شروط عملية التأليف وملابساتها، وتأثير الحياة الخاصة والعامة في هذه العملية، ومختلف شروط الإنتاج والتلقي، قد توفرت لمؤلف الكتاب الأصل عزيز الدين ابن الكميلي فمن هو هذا الرجل؟

إن المؤرخين وأصحاب الفهارس والطبقات قد غمطوا المؤلف حقه في الترجمة والتأريخ، ونحن لا يمكن أن نبارك هذا التجاوز والصدود اللذين مسا شخصا تحدى سلطة الزمان وقاوم الإهمال والنسيان فخلف أثرا ضخما يعد بحق نزهة من النزهات الأدبية الشيقة التي غنيت بمادة دسمة تتقاسمها الأخبار والأشعار والحكايات والحوادث، الشيء الذي يعطي للكتاب مكانة متميزة في المكتبة العربية.

أمام هذا التجاهل والصمت المطبق فإننا سنستقرئ نصوص "النزهة" لنستعين بها على بناء تصور عام لشخصية المؤلف انطلاقا من الإمساك بمختلف الإشارات والتلميحات التي تدل، بوجه من الوجوه، على حياة المؤلف الخاصة وعلى جوانب مهمة من حياته العلمية والأدبية.

لقد ولد المؤلف عزيز الدين بن محمد بن محمد بن يحيى بن الخلطة الكميلي، كما أشار بنفسه، حوالي سنة أربع وعشرين وثمانمائة للهجرة (824هـ) حيث قال: «كنت أتعجب من حكاية حكاها لي والدي محمد بن محمد بن يحيى بن الخلطة

المالكي، وهي أني سقطت في بئر سانية مقبية بزاوية برأس حائط زويلة في سنة سبع وعشرين وثمانمائة، وكان سني نحوا من ثلاث سنين ...»[1] وقد عاش المؤلف إلى ما بعد سنة ست وتسعين وثمانمائة 896هـ بشاهد من شعره إذ يقول: ... وقد نسخت تصحيح المنهاج... فلما انتهى لي نسخه بعثت به إلى ولدي محمد جلال الدين الكمالي...بعد أن كتبت هذا الشعر وهو:

صيرت ذا السفر موقوفا على ولدي ... محمد وعلى أبنائه أبدا

إلى أن قال:

في أول الست والتسعين ثم ثما ... نمائة فاشهدوا يا أيها الشهدا
يقول ذاك عزيز الدين كاتبه ... يا رب هيء له من أمره رشدا[2]

وبين هذين التارخين 824هـ - 896هـ لا نكاد نعثر على معلومات أو إشارات ذات بال فيما يتعلق بتحديد سنة ولادته، باستثناء بعض الإشارت الطفيفة التي نفهم من خلالها انتماءه إلى بلدة المنصورة[3] وأنه أصيب بمرض الطاعون في صغره حيث يقول: «كان وقع لي أني طعنت بالطاعون وأنا صغير في سنة اثنين وأربعين وثمانمائة...»[4] وقد نزل مدينة دمياط مدة من حياته، ثم إنه أدى فريضة الحج وأنشد في ذلك شعرا عند طواف الوداع، قال فيه:

هذا أوان انصراف الخائف الوجل ... أبي الكبائر والأوزار والخطل[5]

ومن الإشارات والمعلومات التي من خلالها يمكننا تسليط الضوء، ولو قليلا،

---

(1) النزهة: 606

(2) النزهة: 780 - 781.

(3) نفسه: 355، 663.

(4) نفسه.

(5) نفسه: 409.

على حياة المؤلف، تلكم التي يشير فيها إلى أسرته، فقد كان أخوه محيي الدين قاضيا فتوفي بمصاب الطاعون وبقي المؤلف وحيد أبويه إذ يقول: «... فدخل والدي، تغمده الله بالرحمة، فأعلمته والدتي بذلك، أي بمرضه، فتشوش لذلك، وكان ذلك بعد وفاة أخي القاضي محيي الدين رحمه الله فقال: لا إله إلا الله، لي كذا وكذا سنة أدعو الله بدعوات من جملتها أقول: «رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين»، وقد توفي ولدي ذاك وقت احتياجي إليه وكنت أرجو هذا...»[1].

كما أنه أشار إلى أن الله أنعم عليه من الأولاد بابن وابنة كانا عند حسن ظنه، حيث برع الابن، واسمه جلال الدين الكمالي، في العلم، إذ أجازه علماء عصره بخطب بليغة وأشعار بديعة، أمثال ابن الهائم المنصوري وشمس الدين القادري وأبي العباس المحلي وغيرهم[2].

وأما الابنة فقد كانت تقول الشعر في صغرها حيث يشير المؤلف إلى أنها كتبت قصيدة وهي دون العاشرة من عمرها، يقول: « تمرضت ابنتي أمة القادر ونحن بثغر دمياط فتوجه أخوها جلال الدين إلى المنصورة وهي مريضة ...فكتبت إليه بخطها، وسنها يومئذ تسع سنين إلا شهرا، تقول:

أخي وشقيقي وابن أمي إنني وهي جسدي شوقا وزاد غرامي[3]

إذا كنا قد اكتفينا، في غياب المصادر والمراجع، بما في "النزهة" من الإشارات والمعلومات التي يمكنها أن تفيدنا في معرفة بعض الجوانب من حياة المؤلف الشخصية والاجتماعية، فإنه لا بد لنا أن نتتبع، ونحن نخطو بخطوات بطيئة على أرض "النزهة"، كل الفقرات التي تُظهر لنا شيئا من النور الذي يمكن أن يزيل

(1) نفسه: 209.

(2) النزهة: 791.

(3) النزهة: 255.

تلك الظلمة التي اعترت ترجمة عزيز الدين ابن الكميلي الذي أغفلت ذكره كتب التراجم ومراجع الأدب.

لقد كان المؤلف من الطبقة الفقيرة التي يكفيها من العيش القليل، ويغنيها اليسير عن الكثير، إذ نجده يشير إلى ذلك في إحدى مقطعاته الشعرية حيث يقول:

ألا إن المعيشة باليسير لتغني، إن قنعت عن الكثير
فخص فيه عن قصر غناء وفي صوف غناء عن حرير[1]

ويؤكد ذلك في فقرة أخرى صرح فيها بقلة ماله وضيق حاله، إذ يقول: «لما جمعت هذا الكتاب في ما كان عندي من الورق الشامي وبعض ورق بلدي، ثم أعوزني الورق الشامي لقلة ثمنه وضيق اليد، فصرت أكتبه في الورق الفرنجي، فأنشدت لنفسي عندما صرت أكتبه:

ما صرت في ورق الإفرنج أكتبه إلا لعجزي عن المصري والشامي[2]

إذا كانت هذه الإشارات الملمحة هي أهم ما استخلصناه من "النزهة" فيما يتعلق بحياة المؤلف، وقد أفادتنا في إعطاء نبذة موجزة عن حياة عزيز الدين ابن الكميلي وعن شخصه وأسرته، فبماذا تمدنا عن شيوخه وعلمه؟

- **شيوخه وعلمه:**

ذكر المؤلف بعض الشيوخ الذين نهل من معينهم، من علماء عصره وأعيان زمانه، كشيخ الإسلام سراج الدين أبي حفص العبادي، والإمام العالم العلامة ولي الله الشيخ فاتح أبي عطاء التكروري المراكشي، وشمس الدين السخاوي الذي قال عنه: «...وهذه الأسماء الشريفة التقطتها من كلام شيخي شمس الدين

---

(1) نفسه: 721.

(2) نفسه: 502.

السخاوي فسح الله في مدته»[1].

ويظهر في كثير من إشارة المؤلف أنه كان أديبا شاعرا يحسن قول الشعر في المناسبات، مما جعله محطة لأسئلة الإخوان والأصدقاء من قضاة وغيرهم، يقول: «سألني قاضي القضاة صلاح الدين الكمالي في بيتين يُصدر بهما كتابا إلى أخينا قاضي القضاة ... يعزيه فيه بذلك فقلت:

أفديه من نجم هوى من أفقه ... فبكى عليه المجد والإسلام
فلذاك سودت الدواة وجهها ... أسفا عليه وشقت الأقلام[2]

ويقول أيضا: «سألني بعض الأصحاب أن أعمل لغزا في الماء فقلت:

وما اسم ثنائي إذا ما مددته ... وبالقصر قل حرف وما ثم مانع[3]

أما إنتاجه الفكري وعطاؤه العلمي فإنه ينحصر، حسب ما توصلنا إليه من بحث، في كتاب «العزيز المحلى» أصل الكتاب المحقق، وفي بعض القصائد والمقطعات الشعرية التي حفظها هذا الكتاب الضخم، يقول المؤلف: «فإني كنت قبل رقم هذه الأوراق مولعا بعجائب الآفاق وغرائب الاتفاق، من صفات الأرض وبقاعها ومدنها وضياعها وسائر الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين، وأحوال الخلفاء والملوك والعظماء والوزراء والأمراء والخطباء والأدباء، في حالتي عسرهم ويسرهم، وخيرهم وشرهم، وجدهم وهزلهم، وعزهم وذلهم، وغير ذلك من طرف الأخبار وظرف الأشعار، والمفاكهات والنوادر، ملتقطا ذلك من أظرف الدفاتر التقاط الحب الطائر، تأنيسا للمجالس، وتعطيرا للمجالس إلى أن حفظت من هذه الأنواع ما تشنف به الأسماع»[4]. فلعل عنصر الإمتاع

(1) النزهة: 803.
(2) نفسه: 708.
(3) نفسه: 329.
(4) العزيز المحلى: ورقة 1.

والمؤانسة والرغبة في شد المتلقي أو القارئ، وتقديم مادة تعليمية، كانت من العوامل المتحكمة في إنتاج المؤلف، وهي عوامل عامة أكثر منها خاصة، وشروط موضوعية تتعلق بالعصر والمجتمع أكثر منها ذاتية تخص المؤلف وشخصه.

يقول المؤلف متحدثا عن مادة كتابه: «... وربما أجمعها على حسب موجودها، مازجا عتيقها بجديدها لتكون كالسكردان على خوان، مختلفة الطعوم والألوان، خشية الملل من ورود الأشباه والأمثال، إذ فيه بعض المواعظ والمضاحك، وبعض الأدعية والضراعة والمجون والخلاعة إلى غير ذلك من تسلية المصاب وآداب الكتاب، ومن مسامرة الرؤساء ومذاكرة الجلساء، وتسلية المتنسك وتحريج المتهتك، وتدريب ملك في سياسة ممالكه، وتهذيب المملوك في خدمة مالكه، ومن أحاديث وآثار ونكت وأخبار وتحف وخطب ورسائل وطرائف وفوائد وأشعار وملح ولطائف...»[1].

أما إنتاج المؤلف الشعري فهو في مجمله عبارة عن مقطعات قصيرة النَّفَس، يبدو طابع المناسبات طاغيا عليها، إذ غالبا ما تأتي تحت الطلب أو بأمر من أصحاب النفوذ والسلطان. حكى المؤلف قال: «سألني بعض الإخوان وأنا نزيل دمياط ... وكان بها الأشرف قايتباي عز نصره... فقلت فيما يعمل للملوك:

عملت برسم المقام الشريف ... المالك الملك الأشرف[2]»

ويشير إلى ذلك أيضا بقوله: ...أذكرني ذلك أني سئلت أن أعمل أبياتا في مولودة اسمها زهرة بنت جوهرة فقلت:

يا زهرة الزهر لا يا زهرة الزهر ... يا ابنة جوهرة لا يا ابنة الشجر[3]

---

(1) نفسه: 1 – 2.

(2) النزهة: 161، 498.

(3) نفسه: 364.

كما أن كثيرا من شعره ورد في الألغاز والتعمية، وفي ما كان يتداوله الناس في زمانه، كقوله في لغز الماء[1]. أما ما خرج عن هذا الإطار من شعر المؤلف فيغلب عليه الطابع الذاتي الصرف، الذي يبدو واضحا في الشعر الديني، الذي جادت به قريحة الشاعر وهو بالمقام الشريف إذ يقول:

كـم رمـت قبـرك والحرمـان يثنينـي   واليـأس يبعدنـي والشـوق يدنينـي

وهي قصيدة شملت عشرين بيتا[2]، وغيرها من القصائد التي نظمها المؤلف بمناسبة أداء فريضة الحج، مما يؤكد أن المؤلف يستطيع نظم الشعر مهما اختلف المقام وتغيرت الظروف، وبالتالي فهو من الشعراء الذين تناثرت أشعارهم فيما كتبوه من كتب ولم يُجمع لهم ديوان.

- **حياته الاجتماعية**

أمام هذا السياج المريب من الصمت الذي ضربته كتب التراجم والأنساب ومختلف كتب الأدب حول شخصية عزيز الدين ابن الكميلي، الذي لم نعد، بعد رحلة مضنية في أمهات المصادر، بحثا عما ينير جوانب من حياته الخاصة والعامة، إلا بأقل من خفي حنين، إذ لم نكد نجد له ذكرا أو نعثر له على ما يفيدنا في تسليط الضوء على حياته الاجتماعية والثقافية، يبقى لنا أن نتساءل عن سبب هذا الإضراب وهذا التجاهل، فعسى أن تفيدنا «نزهة الألباب الجامعة لفنون الآداب» ببعض الإشارات التي يمكن أن تقربنا من الإجابة على هذا التساؤل.

لا شك أن هذا الإهمال أو الإقصاء قد يعود إلى أسباب كثيرة ومتداخلة، منها ما هو ذاتي خاص، ومنها ما هو موضوعي عام. فأما السبب الذاتي الخاص فربما يعود

(1) نفسه: 328 - 329.

(2) نفسه.

إلى شخصية المؤلف التي ربطت علاقات متوترة مع بعض شخصيات وأعلام عصره، مما جعل خيوط المودة والوصال وروابط المنفعة والمصلحة تكاد تكون واهية، وهذا الاحتمال أكدته نصوص من كلام المؤلف إذ يقول: «ومن غريب ما اتفق أن هذا القاضي كان كثير الأذى لي، وكنت بالقاهرة وفارقته وليس به مرض فخطر لي تصنيف أبيات فيه إذ مات... وأول هذا:

عاش أقوام من الناس كثير	ومضى جزء من الشر كبير
بمصاب الظالم الطاغي الذي	ما له من سطوة الله نصير[1]

ولا شك أيضا أن هؤلاء الأقوام كانوا كثيرين، إذ يشير المؤلف إلى مثل هذه النازلة في فقرة أخرى من فقرات كتابه. ويظهر من هذه الإشارات أن المؤلف قد كثر أعداؤه وتكالب عليه مناوؤوه وتعدد خصومه، الشيء الذي يجعلنا نحتمل ذلك سببا في إخماد صيته وإهمال ذكره، وتغاضي كُتَّاب أوانه ومؤرخي عصره عن ترجمته والإشهار به. فهو الذي تناولته الفتن وتجاذبته خصومات الأعداء، كما في قوله: «اختلف الأعداء علينا فأنا أرجو الله سبحانه أن يكون عونا عليهم...»[2].

وبتتبعنا لفقرات هذا الكتاب قصد تسجيل ما يفيدنا في حياة المؤلف الاجتماعية، نجد أنه كثيرا ما يذكر ذلك إما على شكل استطرادات أو تعليقات أو إضافات، مؤكدا أن نار الخصومة والعداء قد نشأت معه بحيث مست والده قبله إذ يقول: «رأيت والدي وقد ظلمه بعض الظالمين»[3]، كما يشير إلى أن هذا التظلم قد تجاوزه ليمس أفراد عائلته، كمحنة السجن التي أصابت ولده جلال الدين إذ يقول: « كتبت إلى ولدي جلال الدين الكمالي، كان الله له، وهو بالسجن في الدولة

(1) النزهة: 397 - 398.

(2) النزهة: 796.

(3) نفسه: 647.

الأشرفية...»[1] ثم يقول أيضا: «حكى ولدي المدعو جلال الدين أنه لما امتحن في أيام خاله قاضي القضاة صلاح الدين بن كميل الكمالي، ومسك عنه وحبس بسجن الرحبة بمصر في الدولة الأشرفية...»[2].

من هنا يبدو أن أسباب المحنة التي مست المؤلف لم تكن فردية وذاتية، وإنما امتدت لتشمل العائلة، ولربما هذا عائد إلى الصراع الذي كان دائرا بين الأسر حول بسط النفوذ على منطقة من المناطق أو منصب من المناصب للاستئثار به، مع ما يثيره من عداوات وصراعات، ونحن نرجح قوة هذا العامل، إذ يتبين من إشارات المؤلف أن أسرته قد تداولت منصب القضاء، حيث كان أخوه وابنه قاضيين، وكان صهره صلاح الدين الكمالي قاضي القضاة.

كما أن "نزهة الألباب" لم تبخل علينا بما يطلعنا عن الاتجاه المذهبي الذي كان عليه المؤلف، حيث مدتنا بإشارة وحيدة تدل على أن اعتقاده كان سنيا، كما صرح بذلك في قوله: «والذي أعتقده وأدين الله تعالى به أن معاوية، رضي الله عنه، بريء من ذلك، وأنه من خيار أصحاب رسول الله ﷺ ولا غير ما يقول أهل التعصب»[3].

وإذا افترضنا صحة المثل الذي يقول: «العبد من طينة مولاه والولد سر أبيه» أمكننا القول إن عزيز الدين ابن الكميلي كان مالكي المذهب، حيث أشار إلى مذهب أبيه فقال: «كنت أتعجب من حكاية حكاها لي والدي محمد بن محمد بن يحيى بن الخلطة المالكي...»[4].

(1) نفسه: 677.

(2) نفسه.

(3) نفسه.

(4) نفسه.

▪ عصره

إن العوامل الذاتية أو الخاصة لا يمكن أن تشفع وحدها غياب شخصية المؤلف في كتب التراجم، بل يمكن لنا أن نفترض عوامل أخرى عامة ترتبط بعصر المؤلف، فقد يكون لها دور في هذا التغييب والإهمال اللذين لم يمسا عزيز الدين ابن الكميلي وحده وإنها شملا عددا من الكتاب والشعراء والأدباء.

لقد علمنا أن صاحبنا من أهل القرن التاسع للهجرة، وهو عصر فتن واضطرابات، يقول أحد الدارسين: «... ولعل الظاهرة الواضحة في تاريخ المماليك هي: انعدام روح النظام وكثرة المنازعات والمنافسات بين طوائف المماليك...»[1] فلا شك أن هذه الفتن والنزاعات والمنافسة الشرسة بين أصحاب النفوذ والسلطان قد ألقت بثقلها على المجتمع وأثرت تأثيرا مباشرا فيه، وإن أشار أحد الباحثين إلى أن الحياة الاجتماعية في مصر على عصر المماليك كانت حياة نشيطة مليئة بالحركة[2].

ورغم ما عرفته الحياة السياسية في مصر خلال القرن التاسع للهجرة، من اضطرابات وفتن، ورغم تأثر المجتمع بهذه القلقلة السياسية، فإن الحركة العلمية قد ازدهرت ازدهارا واسعا، حيث عدت البلاد محورا لنشاط علمي متعدد الأطراف[3]، وبرز في هذا العصر أدباء كبار وعلماء لهم مكانتهم في المكتبة العربية، من أمثال ابن دقاق المصري ت 809هـ والقلقشندي ت 821هـ وتقي الدين المقريزي ت 854هـ وابن الصائغ صاحب «تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب» وابن حجر العسقلاني ت 852هـ وشمس الدين النواجي 869هـ

---

(1) مصر والشام في العصر الأيوبي والمماليك، سعيد عبد الفتاح: 143.

(2) نفسه: 269.

(3) نفسه: 274.

وصاحبنا عزيز الدين ابن الكميلي الذي عاش إلى ما بعد 896هـ.

2. مضمون الكتاب وقيمته

إن الأدب ثقافة عامة واسعة ترمي، قبل كل شيء، إلى تكوين ملكة البيان لدى صاحبها وجعله قادرا على إجادة التعبير عن أفكاره نثرا أو شعرا، فالأديب إنما هو ذلك الرجل المثقف الآخذ من كل علم بطرف[1]، وقد مثل صاحب «نزهة الألباب الجامعة لفنون الآداب» شخصية الأديب أصدق تمثيل، فجاء كتابه على شاكلة كتب المختارات الأدبية المؤثثة بمجموعة من الأخبار والآثار والنصوص والأشعار، والاستطرادات والتعليقات والشروح والتفسيرات، التي تنتمي إلى أكثر من عصر، وتبارى في خلقها وإبداعها أكثر من عقل.

لقد كان المؤلف، بحسه الرهيف وبصيرته الثاقبة، الخيط الدقيق الرابط بين كل محتويات مؤلَّفه الأدبي الضخم، إذ استعمل الاستطراد وحسن التخلص ليتجول في ميادين معرفية مختلفة، ويجمع بين السياسة والأدب ويؤلف بين الحكايات والمواعظ وبين الواقعي والمتخيل وبين المنثور والمنظوم، حتى صار الأدب، في عرف صاحب "النزهة" كما في عرف أهل عصره وبيئته، علما لا موضوع له.

فهو ينتقل من حكاية إلى نادرة إلى نكتة إلى حكمة، ومنها إلى وصية أو خطبة أو قضية نحوية أو بلاغية، مدفوعا، في كل ذلك، بما يسمى بتداعي الأفكار، ومستندا على ذاكرته التي وسعت ووعت العديد من المعارف والعلوم والأخبار، ولهذا فقد جاء الكتاب ضخما، جمع بين دفتيه أربعين بابا، مكتنزا بمادة أدبية مشرقية النسب عباسية النفس، دون إهمال ما للغرب الإسلامي الممثل في خيرة أعلامه كالمعتمد ابن عباد وابن عمار وابن شهيد وابن زيدون وغيرهم.

---

(1) مقدمة ابن خلدون: 169.

لقد اقتضت مادة الكتاب المتنوعة وفصوله المتعددة وأصوله المتفرعة، من المؤلف أن يقتبس من أكثر من مصدر، وأن ينهل من أكثر من معين، الشيء الذي يدل على اطلاع شامل ومعرفة واسعة وعلى احتكاك المؤلف بالمكتبة العربية، حيث يقول مستعرضا مصادر مادته الأولية: « وكل هذه الكتب نقلت من بعضها مباشرة والبعض بالوسائط غير ما نقلته من أفواه الرواة، وغير الكتب التي لم أنسب ما نقلته إليها»[1].

ومن حسنات الكتاب الذي نحن بصدده، إضافة إلى احتفاظه بهذه المادة الأدبية الدسمة، نقوله من بعض المصادر التي تعتبر اليوم مفقودة، ككتاب "الشهب" للحجازي، وتاريخ ابن النجار، وكتاب "الجهاد" لابن النحاس وغير ذلك من الكتب والمصادر التي أتت عليها عاديات الزمان وطوتها آليات النسيان، فبتلك النقول مكننا المؤلف من رسم تصور لمادة تلك المصادر المفقودة، وأعطانا ولو بنوع من التصرف فكرة عن محتوياتها وأساليب كتابتها.

ومن حسنات الكتاب أيضا حفظه لعدد كبير من أسماء الأعلام المنتمية إلى عالم الأدب والسياسة والتاريخ والفلسفة وغير ذلك من فنون العلم والمعرفة، كما أن كثيرا من هؤلاء الأعلام يعتبر اليوم مغمورا، فكان كتاب «نزهة الألباب الجامعة لفنون الآداب» المصدر الوحيد لترجمة العديد من الشخصيات، خاصة منهم المنتمون إلى عصر المؤلف.

ومن الحسنات التي نحرص على تسجيلها لهذا الكتاب الضخم، تمكينه الباحثين من رسم خارطة ثقافية للعالم الإسلامي في القرن التاسع للهجرة، فهو خير دليل على عواصم الثقافة ومدارس العلم والأدب ومواطن الأدباء والعلماء في العالم الإسلامي في ذلك العصر.

---

(1) العزيز المحلي: ورقة: 3.

وبعد، فإن كتاب "نزهة الألباب الجامعة لفنون الآداب" إنصاف لمرحلة كثيرا ما وصفت بالجمود وبنضوب سيل الإبداع والعطاء الفكري، وبتحرك آليات التكرار والاجترار، ثم إنه، بالإضافة إلى كل هذا، يعد خير دليل على اهتمام المغاربة بالأدب وعلى حرص ذوي السلطان على حفظ العلم وتناقله بين عموم القراء والمهتمين، وذلك تبينه كثرة النسخ التي حوتها المكتبات المغربية من كتاب "نزهة الألباب الجامعة لفنون الآداب"، ولذلك كله وجب تحقيقه وإخراجه حتى تعم فائدته.

نبذة موجزة عن المبوب وآثاره

هو عبد الله بن عبد الله بن سلامة الأدكاوي الشافعي المعروف بالمؤذن، من الأدباء المصريين، ولد بأدكو وهي قرية من قرى مصر، حوالي 1104هـ وتوفي بالقاهرة سنة 1184هـ.

من آثاره:

- "ديوان شعر" بخط ولده أحمد بن عبد الله الأدكاوي
- "الدر الثمين في محاسن التضمين"
- "الدر المنتظم بالشعر الملتزم"
- "إرشاد الغوي إلى اللفظ اللغوي"
- "بضاعة الأريب"
- "مقامات في المجون"
- وغير ذلك من المؤلفات...

وكان ينسخ الكتب بخطه الحسن، يقول الجبرتي: « كتب بخطه الفائق كثيرا من الكتب الكبار ودواوين الأشعار وعدة أشياء من غرائب الأسفار، رأيت من ذلك كثيرا، وقاعدة خطه بين أهل مصر مشهورة لا تخفى، ورأيت مما كتب كثيرا، فمن الدواوين: ديوان حسان رضي الله عنه رأيته بخطه، وقد أبدع في تنميقه، وكتب

على حواشيه شرح الألفاظ الغريبة، ونزهة الألباب الجامع لفنون الآداب»[1].

وهذا الكتاب الأخير هو الذي يرجع له الفضل في ترتيبه وتبويبه وعنونته عن الكتاب الأصل « العزيز المحلى» لعزيز الدين ابن الكميلي، يوم كان بالحضرة الإسماعيلية ، حيث أشار بنفسه في مقدمة النزهة فقال: فاقتضى نظره السديد (يعني المولى إسماعيل) أن يرتب الكتاب (يعني العزيز المحلى) فرتبته ترتيبا بديعا جامعا لأشتات المحاسن، آتيا بغرر الفوائد والأصول والمعادن واستخْرجتُ الجواهر النفيسة من قعر بحورها ونظمتها في التراجم والأبواب عقدا في أجياد المحاضرات الأدبية ونحورها، فكان، والحمد لله، بسبب ذلك، سهل التناول على الناظر فيه، قريب المأخذ لمن يحاوله ويبتغيه، على أسلوب بديع وترتيب حسن رفيع، لكونه حاز كل معنى رائق، واستخرج مكنون كل خبر فائق، فمن ثمَّ ناسب أن يُسمى «نزهة الألباب الجامعة لفنون الآداب»[2]، وذلك خلاف ما ذهب إليه صاحب إيضاح المكنون[3] الذي اعتبر «نزهة الألباب» من تأليف الأدكاوي، وهو ليس له منها إلا الترتيب والتبويب والعنوان، لأن كل فقراتها تدل على أنها من تأليف عزيز الدين ابن الكميلي، والدليل على ذلك هو ما أفادنا من هذه الفقرات في استخلاص ترجمة غنية للمؤلف الأصلي الذي لم نجد له ذكرا في كتب التراجم والأنساب.

(1) انظر عجائب الآثار... للجبرتي 1: 400 - 401.

(2) انظر نزهة الألباب1: 2.

(3) انظر إيضاح المكنون4: 637.

خطة التحقيق

1. وصف النسخ:

يوجد بالمكتبات والخزانات المغربية عدد من النسخ المخطوطة من كتاب «نزهة الألباب الجامعة لفنون الآداب»، وقد وقفنا على النسخ الآتية:

1657 ك،	مخطوطة بالخزانة الوطنية قسم الوثائق والمخطوطات بالرباط
1742 ك،	▪ ▪ ▪ ▪ ▪ ▪ ▪
1067 ج،	▪ ▪ ▪ ▪ ▪ ▪ ▪
124 ج،	▪ ▪ ▪ ▪ ▪ ▪ ▪
50 ج،	▪ ▪ ▪ ▪ ▪ ▪ ▪
11707	مخطوطة بالخزانة الحسنية بالقصر الملكي بالرباط
1278	▪ ▪ ▪ ▪ ▪ ▪ ▪
944	▪ ▪ ▪ ▪ ▪ ▪ ▪
2512	▪ ▪ ▪ ▪ ▪ ▪ ▪
4449	▪ ▪ ▪ ▪ ▪ ▪ ▪
11659	▪ ▪ ▪ ▪ ▪ ▪ ▪
1259	▪ ▪ ▪ ▪ ▪ ▪ ▪
128 مكل	مخطوطة بخزانة كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكدال الرباط.

وقد رجعنا إلى هذه النسخ كلها واعتمدنا على خمس منها لتتكامل فيما بينها وتعين على إخراج الكتاب على الصيغة التي أرادها له صاحبه ولو بالتقريب.

وهذه النسخ المعتمدة هي:

- النسخة رقم 1657 ك، وهي التي اعتمدناها أصلا في التحقيق، وتضم 445 ورقة، مسطرتها 33، مكتوبة بخط أندلسي واضح، بيد ناسخها محمد بن الحسين بن عبد الهادي المكنى كركماظة، وفي الورقة الأخيرة كان الفراغ منه غدوة يوم الخميس الثامن عشر من ربيع الثاني عام 1221هـ، وقد رمزنا لها بالحرف «أ».

- النسخة رقم 11707، عدد صفحاتها 552، مسطرتها 26، مكتوبة بخط مغربي أندلسي لا بأس به، بيد ناسخ اسمه عبد السلام بن محمد بن يونس الحسني، تاريخ نسخها 1252هـ ورمزنا لها بالحرف «ب».

- النسخة رقم 944، عدد صفحاتها 680، مسطرتها 27، نسخت بخط جميل بيد محمد بن العربي بن الهاشمي الزرهوني عام 1278هـ وهي التي رمزنا لها بالحرف «ج».

- النسخة رقم 50ج، ومنها الجزء الأول في القالب الكبير، يضم عشرين بابا، عدد صفحاتها 332، مسطرتها26، نسخت بخط جميل مشكول بتاريخ 1263هـ خالية من اسم الناسخ، وقد رمزنا لها بالرمز «د».

- النسخة رقم 1742 ك، عدد صفحاتها 488، مسطرتها 29، نسخت بخط لا بأس به، بيد عبد العزيز بن أبي بكر بن عبد الكبير، وهي عبارة عن سفر ضخم يضم أربعين بابا، في آخر الباب العشرين منها ما يلي: انتهى النصف الأول من نزهة الألباب الجامعة لفنون الآداب، وقد رمزنا لها بالحرف «هـ».

2. عملنا في التحقيق

اتبعنا في تحقيق هذا الكتاب منهج التحقيق العلمي المتداول والمعروف لدى المحققين، حيث بدأنا بنسخ النسخة المعتمدة بخط اليد، وبعد إنهاء عملية النسخ عرضنا ما نسخناه على المنسوخ منه، قصد تصحيح بعض السقطات مما يزيغ عنه القلم أثناء النسخ، ثم قرأنا النسخ الخمس، وعرضنا بعضها على بعض، عبارة عبارة وجملة جملة، محدقين برسم الكلمات وإعجام الحروف وإهمالها، مقلبين وجوه المعنى في عبارات النسخ الخمس على ضوء السياق، معتمدين في ذلك على فهمنا لأسلوب المؤلف واستئناسنا به.

وقد أثبتنا في المتن المحقق ما رجحنا صوابه مع الإشارة إلى الفروق والاختلافات بين النسخ في الهامش حين يكون للكلمة وجه يفيد المعنى المطلوب، ورمزنا لهذا الهامش برقم بين قوسين.

كما حاولنا جهد المستطاع أن لا نتصرف في المتن، تنزيها منا لعمل المؤلف، واحتراما للأمانة العلمية، التي لا ينبغي لها أن تضيع كما ضاعت في أعمال كثيرة، تحقيقا أو تأليفا. ولا نكون مبالغين إذا قلنا: إن حرصنا على الضبط والتدقيق أثناء مقابلة النسخ فيما بينها قد استغرق منا وقتا طويلا، حيث ميزنا بين القراءات المتعددة لنرجح أصحها، وهي عملية لا يمكن أن تتم إلا بالتأني والهدوء التام، مما يتطلب طويلا من الوقت وكثيرا من الصبر، ثم إن المصادر التي نهل منها المؤلف واعتمدها في تأليف كتابه كانت هي الأخرى تتطلب مزيدا من الوقت لفحصها والتعامل معها، قصد إخراج ما نقل منها من نصوص، وما اقتبس منها من أخبار، وكثيرا ما قرأنا كتابا في أجزاء من أجل ترجيح معنى أو تصحيح عبارة أو توثيق نص من النصوص.

بعد عملية التحقيق، التي يهدف المحقق من ورائها إلى تقويم المتن، وإلى محاولة إخراجه في صيغة تقترب بكثير مما أراده له صاحبه يوم سود به الصفحات، انتقلنا إلى مرحلة لا تقل صعوبة عن سابقتها، من حيث ما تتطلبه من وقت وصبر. وهي مرحلة خدمة النص وإضاءته وتسليط الضوء على كل سواد يتخلله أو غموض يعتريه. وذلك بشرح الغريب من ألفاظه وتوثيق ما به من نقولات، وترجمة ما ذُكر فيه من أعلام وشخصيات، وتخريج ما استشهد به المؤلف من أحاديث وآيات، وما اقتبسه من أقوال وأخبار، وما أتحف به القارئ من حكم وأمثال وأشعار.

وقد كان الاعتماد في كل ذلك على مجموعة من المصادر والمراجع في فنون كثيرة، كالمعاجم اللغوية والفهارس المختصة والمصادر الدينية والكتب التاريخية والأدبية والدواوين الشعرية والكتب العامة كالأغاني والعقد الفريد، إلى غير ذلك مما توجه إليه مادة المتن المحقق وتستدعيه.

وبهذا فقد تمكنا من تخريج الأشعار، وما أكثرها، في الدواوين والمجامع الشعرية وكتب الأدب، وقد أثبتنا رواية النسخة المعتمدة كلما حصل الترادف واستقام الوزن، مع الإشارة إلى اختلاف بعض الروايات، وأحيانا كثيرة اكتفينا فيها بعبارة: «مع اختلاف الروايات أو الروايتين» وذلك عندما يتضح الاختلاف و يظهر جليا في العبارات.

كما خرجنا الأعلام البشرية والجغرافية الواردة في المتن، مع التعريف بالأعلام المغمورين أو من هم أقل شهرة، تعريفا موجزا اعتمادا على كتب التراجم والأنساب والطبقات وكتب البلدان والآثار، ولم نغفل تخريج الأمثال والأقوال والأخبار، التي أغفل المؤلف ذكر مظانها، وإن حصل له ذكرها عززناه بالإشارة إلى الجزء والصفحة إن أمكن.

أما الفهارس فقد اكتفينا منها بما هو وظيفي ومسعف لمحاورة الكتاب

والتعامل معه. فقد صنعنا فهرسا للآيات القرآنية وفهرسا للأحاديث النبوية وفهرسا للأعلام وفهرسا للأشعار وفهرسا للأمثال وفهرسا للأماكن والبلدان وفهرسا للمصادر والمراجع المعتمدة في التحقيق وفهرسا للمحتويات.

وما توفيقي إلا بالله

3. رموز التحقيق

«-» الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

() هامش المقابلة.

أ النسخة المعتمدة من نزهة الألباب الجامعة لفنون الآداب.

ب النسخة رقم: 11707 " " " "

ج النسخة رقم 944 " " " "

د النسخة رقم 50 " " " "

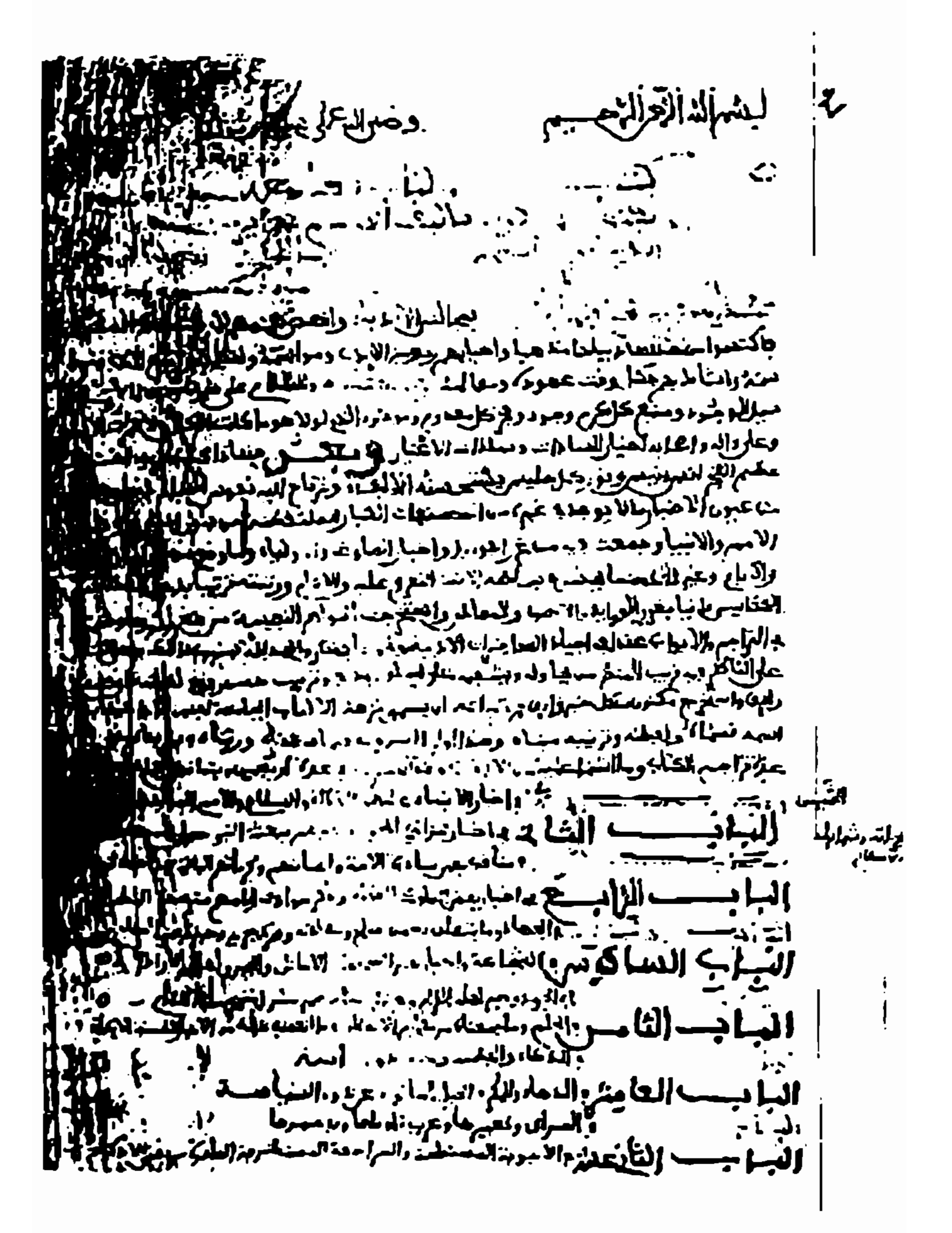
هـ النسخة رقم 1742ك " " " "

[ ] ما بين معقوفين غير وارد في الأصل، وفي الطرة تمثل نهاية صفحات النسخ المعتمدة في التحقيق.

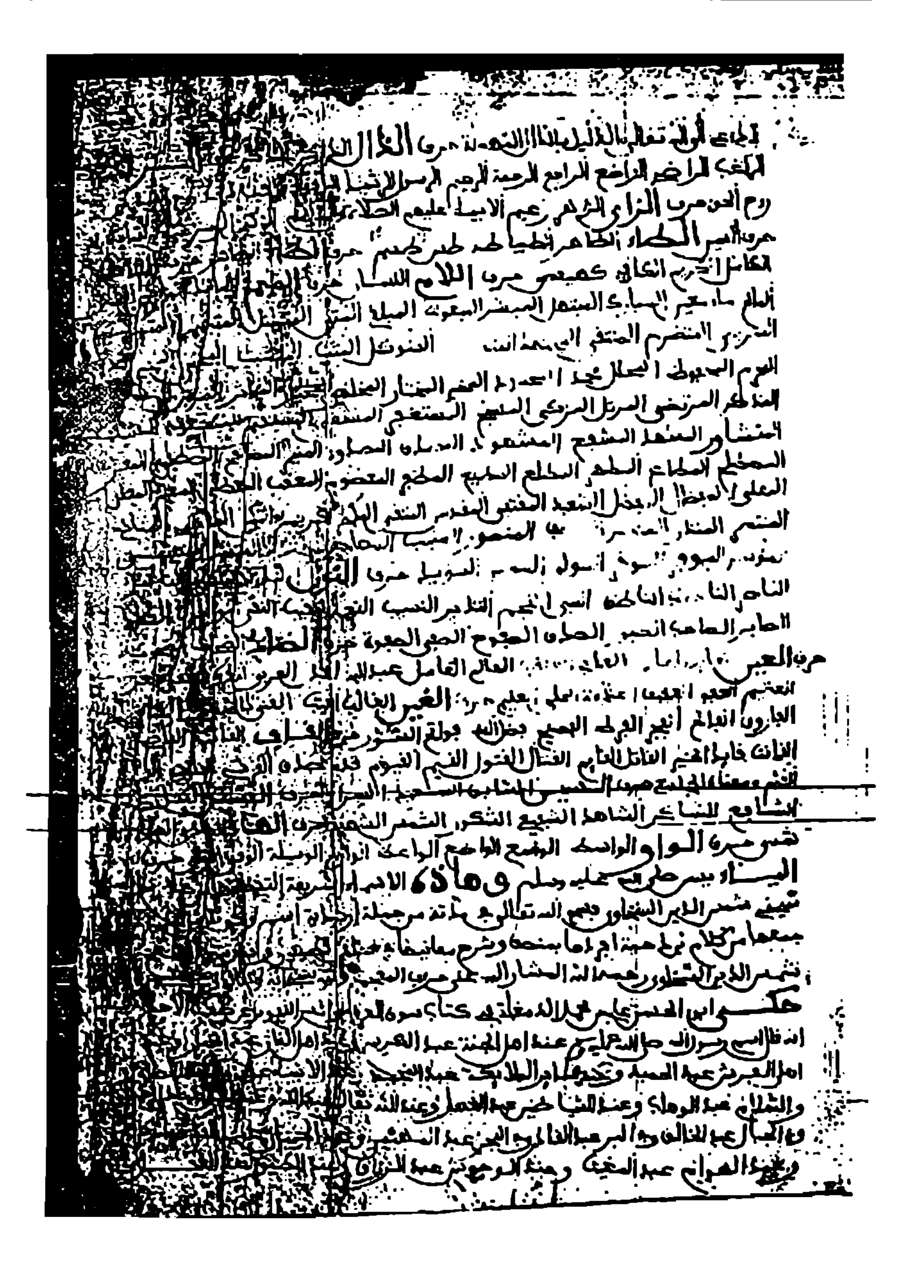
ت تاريخ وفاة الأعلام.



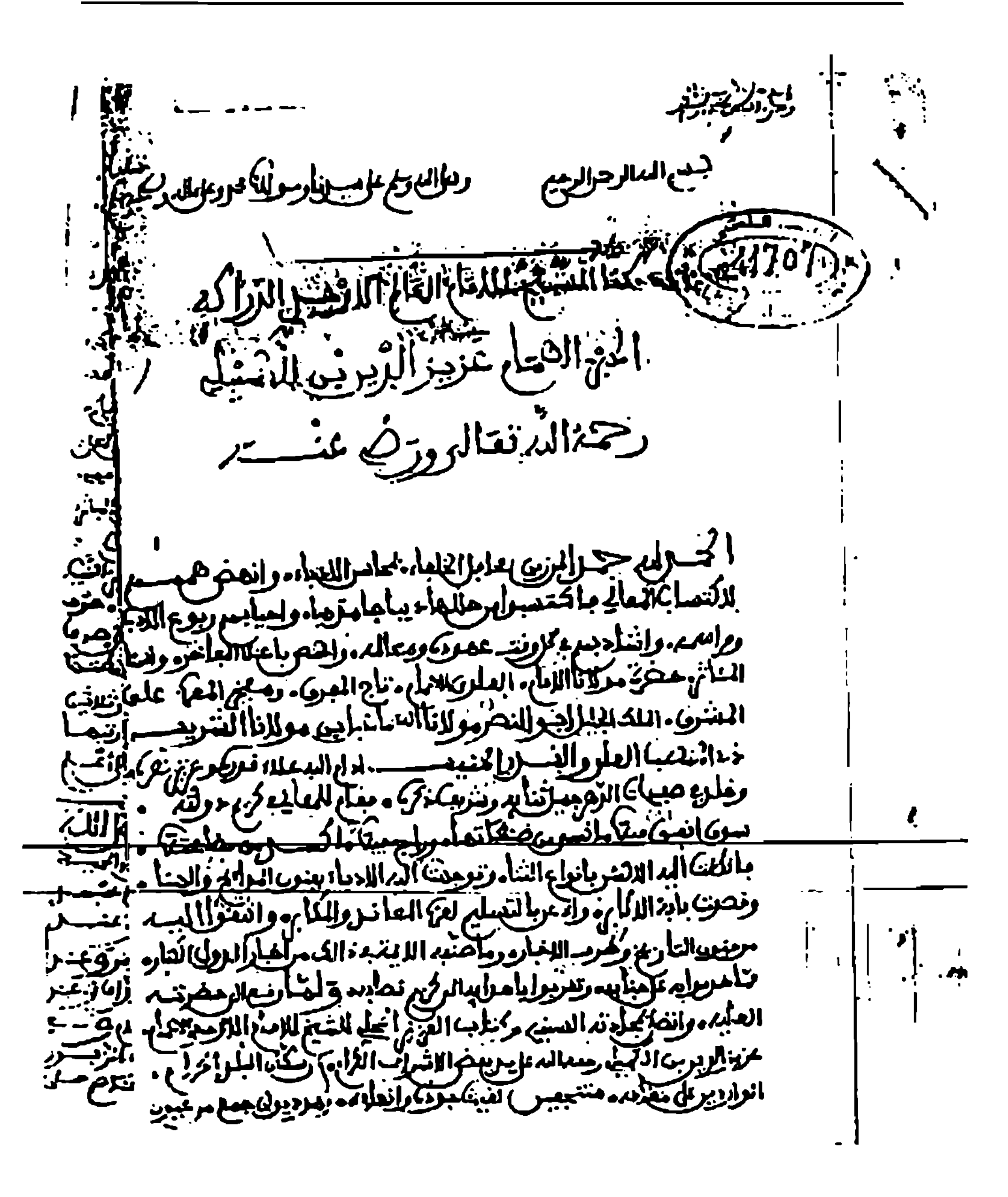
نماذج من النسخ المعتمدة



الصفحة الأولى من النسخة "أ"



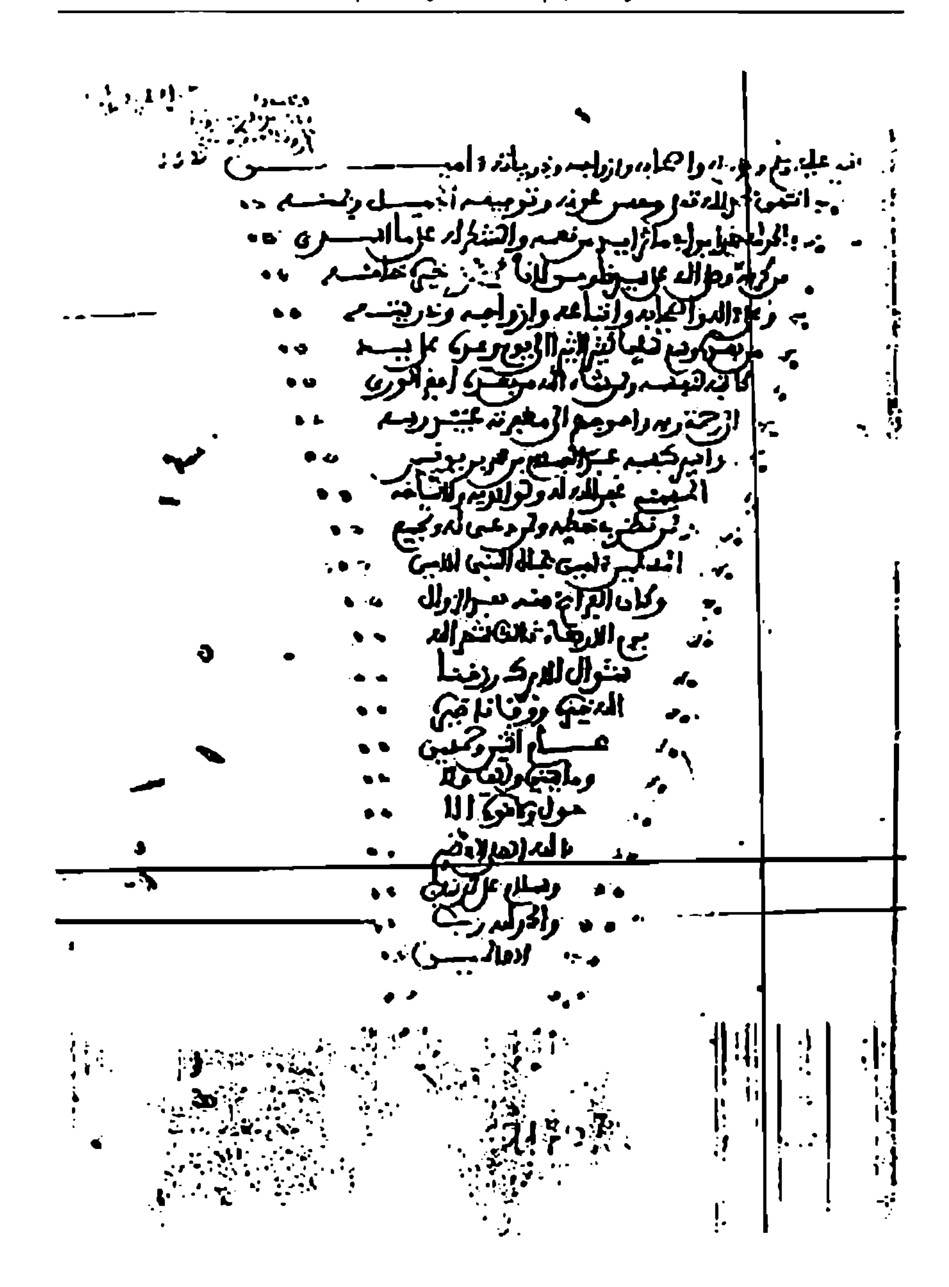
الصفحة الأخيرة من النسخة "أ"



بسم الله الرحمن الرحيم

رحمه الله تعالى ورضي عنه

الصفحة الأولى من النسخة "ب"

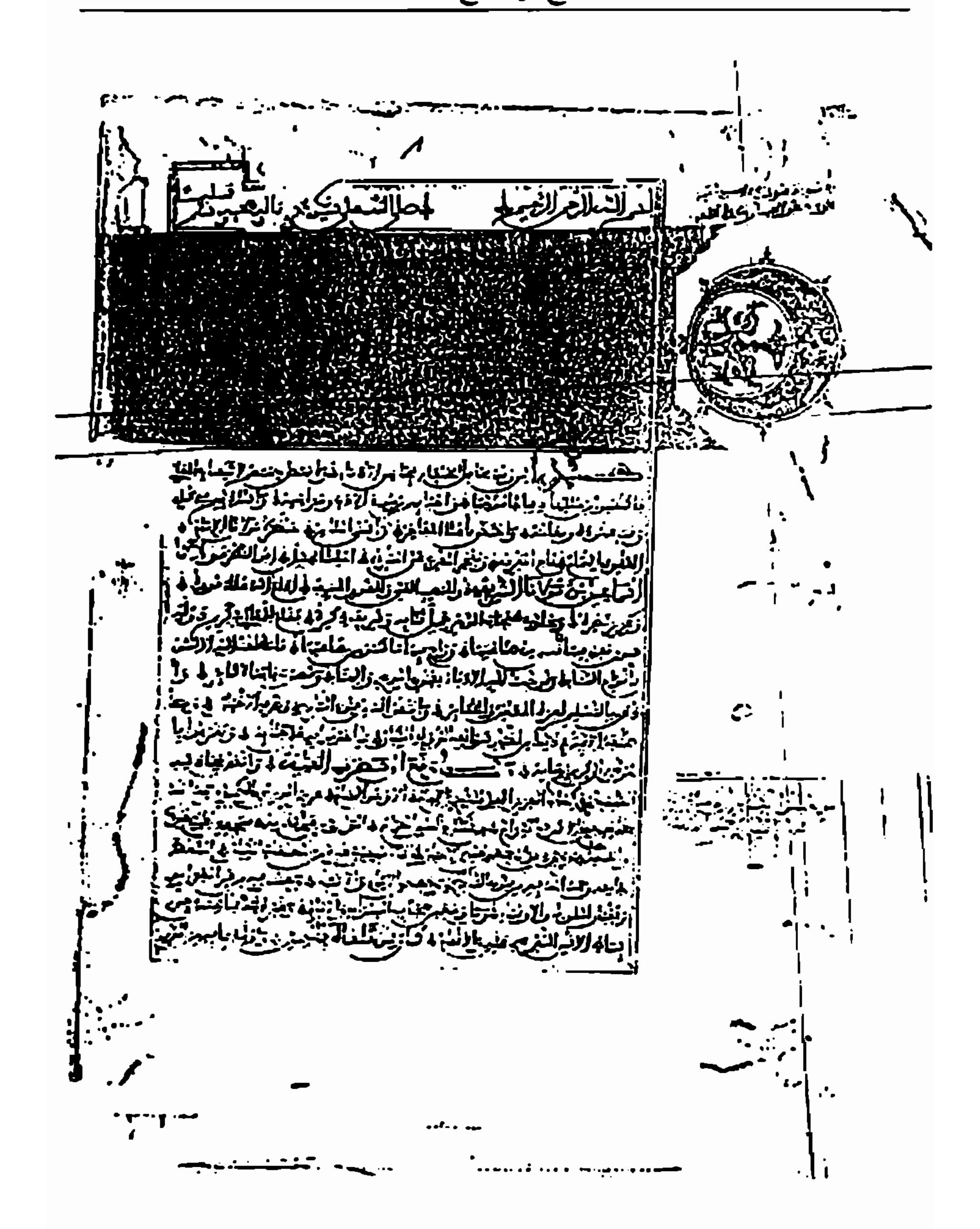


الصفحة الأخيرة من النسخة "ب"

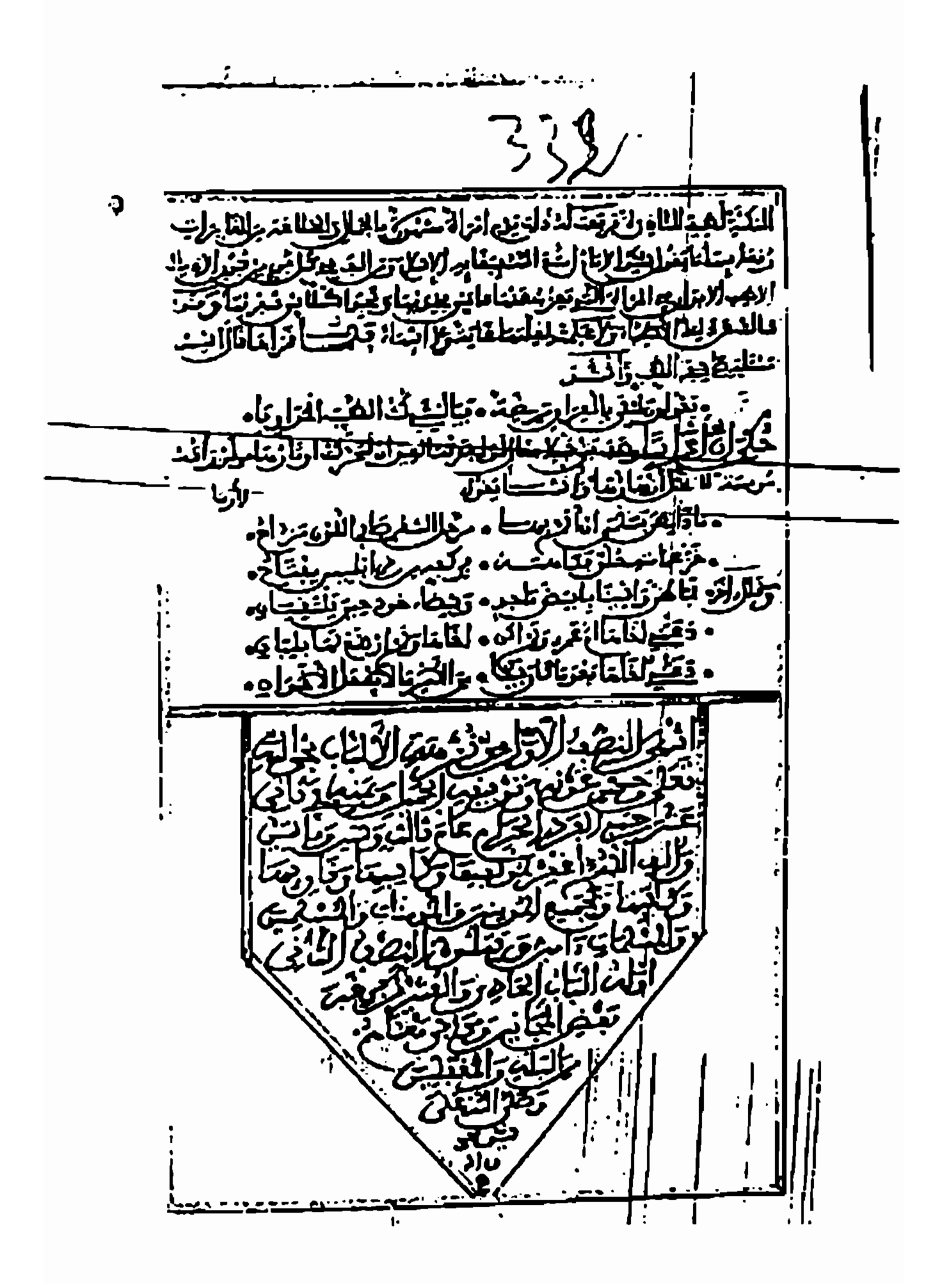


الصفحة الأولى من النسخة "ج"

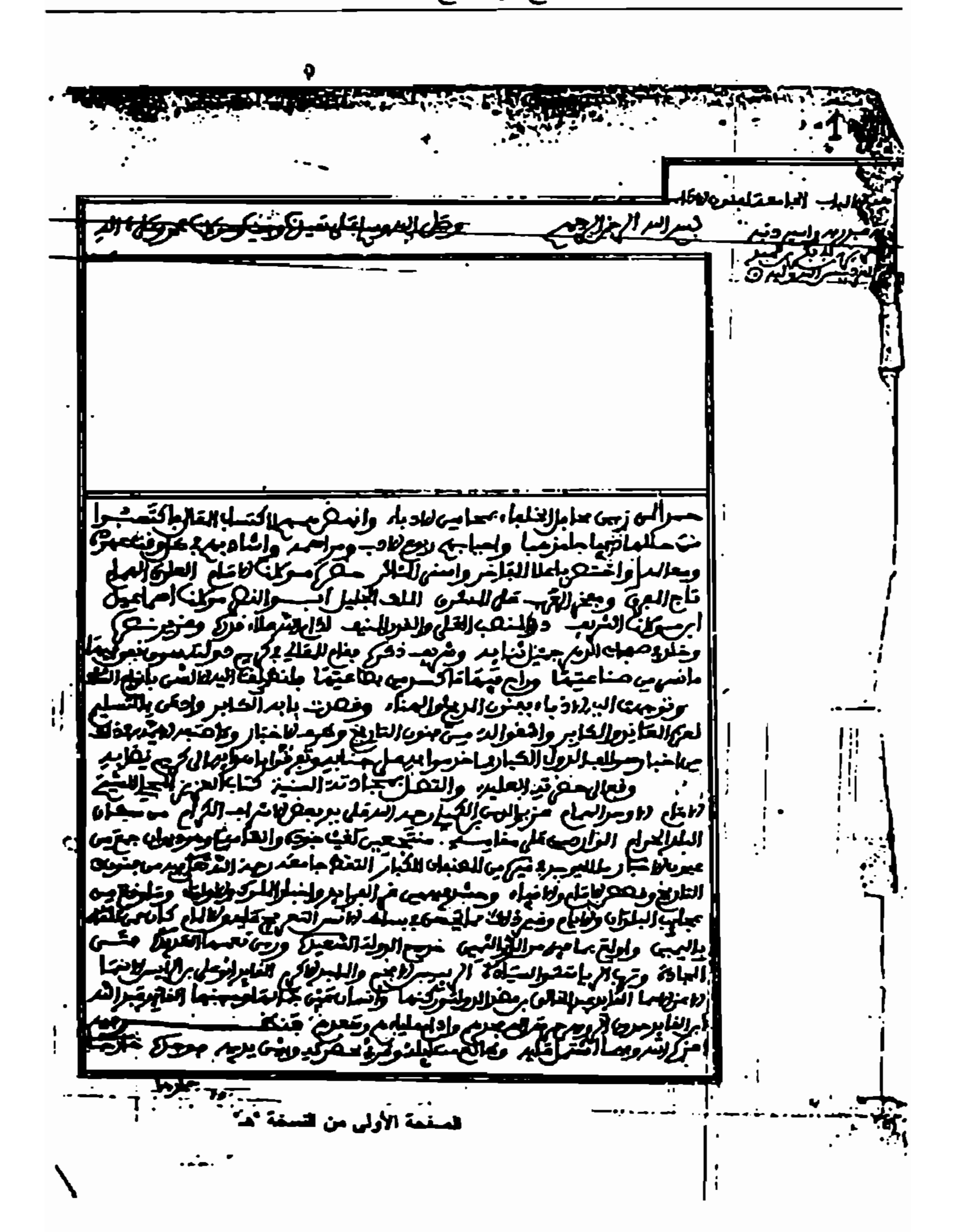
الصفحة الأخيرة من النسخة "ج"



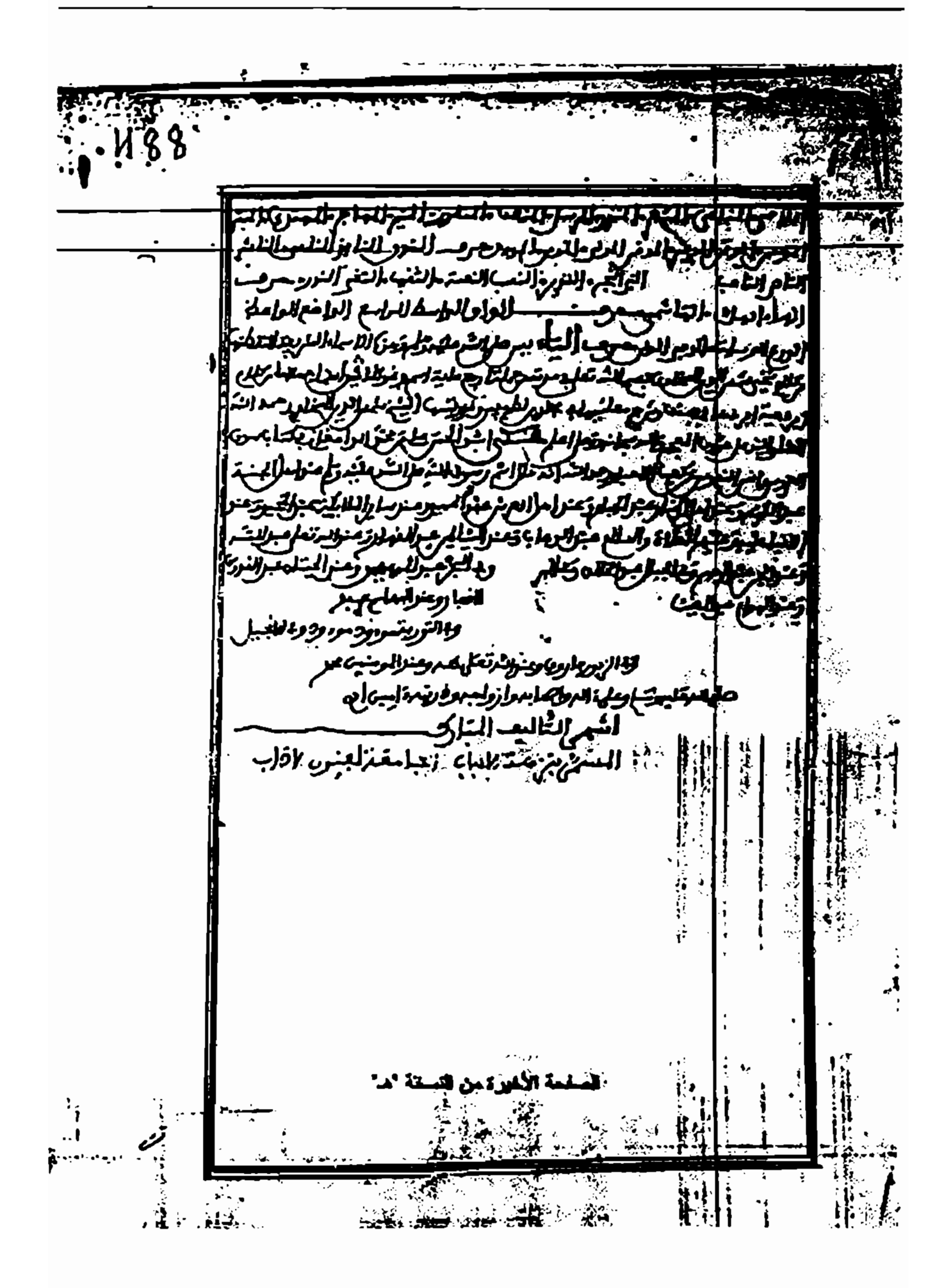
الصفحة الأولى من النسخة "د"



الصفحة الأخيرة من النسخة "د"



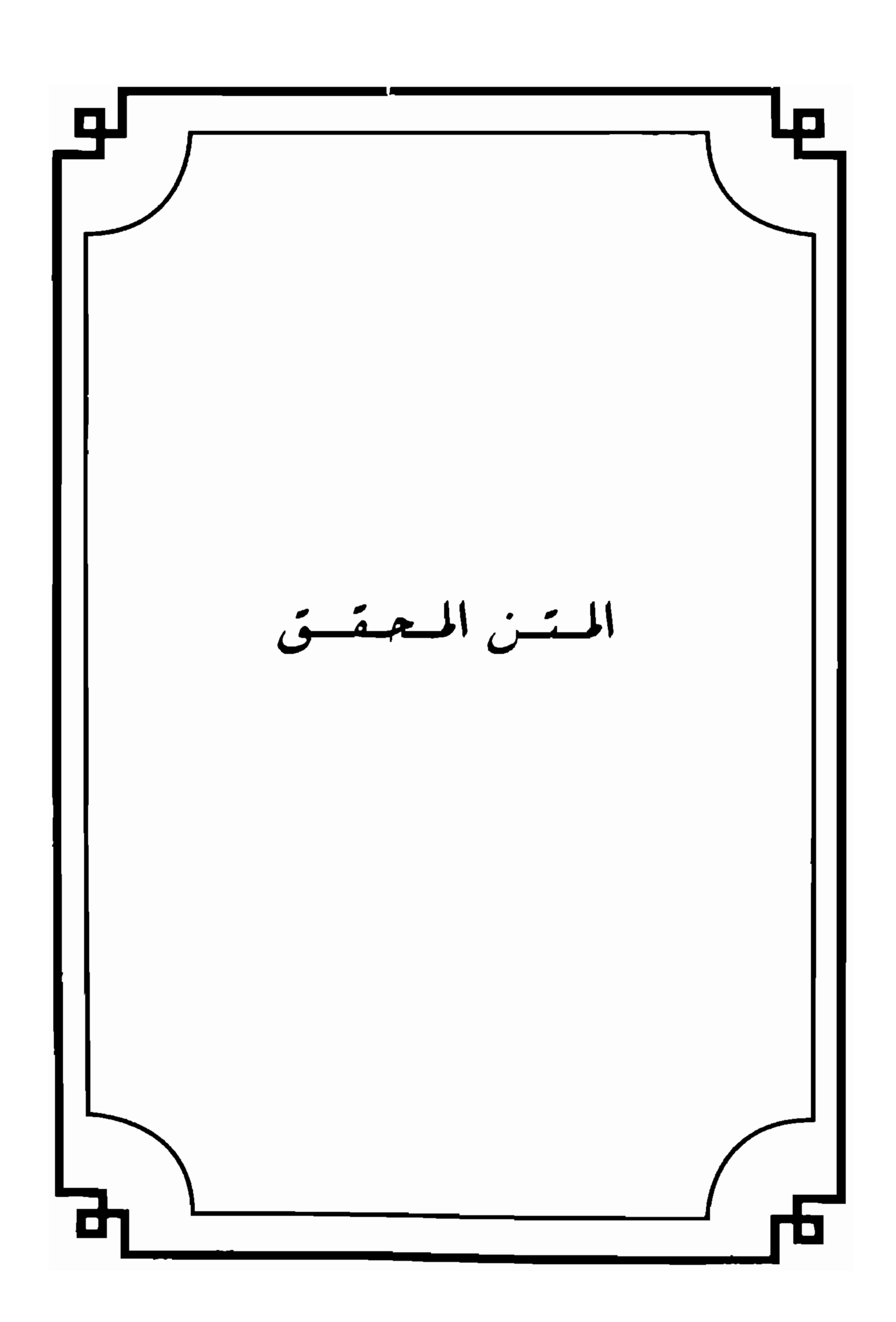
الصفحة الأولى من النسخة "هـ"



اسمى التأليف المبارك
المسمى بنزهة الألباب الجامعة لفنون الآداب

الصفحة الأخيرة من النسخة "هـ"

الصفحة الأخيرة من النسخة "هـ"



المـــتن المـحـقـــق

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد[1] وآله وصحبه وسلم تسليما

"نزهة الألباب الجامعة لفنون الآداب"

تأليف[2]

[الإمام عزيز الدين[3] ابن الكميلي رحمه الله][4]

حمداً لمن زين محافل الخلفاء بمجالس الأدباء، وأنهض هممهم لاكتساب المعالي، فاكتسبوا من حللها ديباجا مذهبا، وأحيا بهم ربوع الأدب ومراسمه وأشاد بهم، في كل وقت، عهوده ومعالمه، واختص بأعلى المفاخر وأسنا المآثر حضرة مولانا الإمام العلوي الهمام، تاج المفرق ومفخر المغرب على المشرق، الملك الجليل مولانا إسماعيل بن مولانا الشريف، ذو المنصب العلي والقدر المنيف، أدام الله علاء قدره وعزيز نصره، وخلد في صفحات الدهر جميل ثنائه وشريف ذكره، فقام للمعالي في كريم دولته، سوق نفق فيها ما نسي من صناعتها، وراج فيها ما كسد من بضاعتها، فانطلقت إليه الألسن بأنواع الثناء، وتوجهت إليه الأدباء بفنون المديح والهناء، وقصدت بابه الأكابر، وأذعن بالتسليم لعزه المعاند والمكابر، وانتقوا له من فنون التاريخ وظرف الأخبار، وما صنفه الأئمة في ذلك من أخبار سوالف الدول الكبار، مما خدموا به علي جنابه، وتقربوا بإهدائه إلى كريم نصابه.

---

(1) د: على سيدنا محمد. هـ: على سيدنا ونبينا ومولانا محمد.

(2) ساقطة من: ب

(3) ب: الشيخ الإمام العالم الأوحد الدراكة الحبر الهمام.

(4) ساقطة من: هـ. وفي: ب: رحمه الله ورضي عنه.

ولما وقع إلى حضرته العلية بمجادته السنية، كتاب «العزيز المحلي»[1] للشيخ الإمام الأوحد الهمام عزيز الدين ابن الكميلي رحمه الله، على يد بعض الأشراف الكرام من سكان البلد حرام، الواردين على مقامه، منتجعين لغيث جوده وإنعامه، وهو ديوان جمع من عيون/ الأخبار ما لا يوجد في غيره من المصنفات الكبار، [1/ب] الملتقطة من فنون التاريخ وقصص الأمم والأنبياء، وجُمعت/ فيه من غرر الفوائد[2] [1/أ] وأخبار الملوك والأولياء، وما وقع من عجائب/ البلدان والأيام، وغير ذلك مما [1/ج] يحسن، في بساط[3] الأنس، التعريج عليه والإلمام[4]، كان ممن تلقاه باليمين وأولع بما فيه من الدر/ الثمين، خديم الدولة السعيدة وربي نعمها العديدة، فتى المجادة [1/د] وترب الرياسة والسيادة، الرئيس الأفخم والماجد الأكرم، القائد أبو علي[5] ابن الرئيس الأسمى الأعز الأحما، القائد عبد الخالق بن عضد الدولة وركنها، وإنسان عين جمالها وحسنها، القائد عبد الله بن القائد حمدون الروسي، حرس الله مجدهم، وأدام علياءهم وأسعدهم، فنظر فيه، أعزه الله، وفيما اشتمل عليه، وطالع مسائله وقرئ بحضرته وبين يديه، فوجده خارجا/ عن نسق الترتيب، خاليا من التراجم [1/هـ] والتبويب، لا تنضبط مسائله لزمام، ولا يجمعها حكم من الأحكام، فاقتضى نظره السديد ورأيه الموفق الرشيد أن يُرتب الكتاب فرتبته ترتيبا بديعا جامعا لأشتات المحاسن، آتيا بغرر الفوائد والأصول والمعادن واستَخرجتُ الجواهر النفيسة من قعر بحورها ونَظَمت في التراجم والأبواب عقدا في أجياد المحاضرات الأدبية ونحورها، فكان، والحمد لله، بسبب ذلك، سهل التناول على الناظر فيه، قريب

---

(1) في كشف الظنون: العزيز المحلي في المحاضرات، لعزيز الدين الكميلي، انظر الجزء 2 العمود: 1140.

(2) ب، ج، د، هـ: الفرائد.

(3) أ: بساطه.

(4) أ: الإمام.

(5) سبق ذكره في المقدمة.

المأخذ لمن يحاوله ويبتغيه، على أسلوب بديع وترتيب حسن رفيع، لكونه حاز كل معنى رائق، واستخرج مكنون كل خبر فائق، فمن ثَمَّ ناسب أن يُسمى «نزهة الألباب الجامعة لفنون الآداب»، ليطابق اسمه مسماه، ولفظه وترتيبه مبناه، وهذا أوان الشروع فيما قصدناه ورتَّبناه وبوبناه.

هذه عدة تراجم الكتاب، وما اشتمل عليه من الأبواب، وقد انحصرت في أربعين، وبتمامها يتم نظم عقد دره الثمين.

الباب الأول: في أخبار بعض الأنبياء، عليهم السلام، والأمم السالفة/ من أهل الفترة وغيرهم. [2/ب]

الباب الثاني: في أخبار هواتف الجن وغيرهم ببعثة النبي، ﷺ، وذكر شيء من معجزاته وشمائله عليه السلام./ [2/ج]

الباب الثالث: في مناقب بعض سادات الأمة وأعيانهم وكراماتهم الباقية بعد انقضاء أزمانهم.

الباب الرابع/ : في أخبار بعض الملوك العظام وذكر حوادث أيامهم متسقة النظام. [2/د]

الباب الخامس: في الجهاد وما يتعلق به من صلح ومهادنة وضرب جزية وخبر بعض المجاهدين.

الباب السادس: في الشجاعة وأخبار بعض الشجعان الأماثل، والجبن وأهله الأراذل.

الباب السابع: في الجود وخبر أهله الكرام، وذكر بعض أضدادهم ممن اشتهر من اللئام.

الباب الثامن: في الحلم وما في معناه من مكارم الأخلاق وما اتفق في ذلك من

الأخبارالحسنة الاتفاق.

[2/هـ] **الباب التاسع**: في الذكاء والفطنة وصدق الفراسة./

الباب العاشر: في الدهاء والمكر والحيل المأثورة عن ذوي السياسة.

الباب الحادي عشر: في المرائي وتعبيرها وغريب تأويلها وتفسيرها.

الباب الثاني عشر: في الأجوبة المستملحة والمراجعات المستطرفة الصادرة من [2/أ] بعض الأذكياء/ .

الباب الثالث عشر: في مسائل من الظرف والمعايات.

[3/ب] **الباب الرابع عشر**: في بديع الاستعطاف ومليح الاستعذار والاستلطاف/ .

[3/ج] **الباب الخامس عشر**:/ في المباسطة والمداعبة وما في معنى ذلك مما يقع بين الأصدقاء في المحاورة والمخاطبة.

الباب السادس عشر: في العشق والمحبة، وأخبار بعض المولهين وأشعارهم المستعذبة.

[3/د] **الباب السابع عشر**:/ في خبر الحسان من الجواري والقيان.

الباب الثامن عشر: فيما يستظرف من خبر النساء ويستملح.

الباب التاسع عشر: في المنادمة والغناء وأخبار المغنين

الباب العشرون: في الهزل والمجون الجاري في الأحاديث التي هي شجون.

الباب الحادي والعشرون: في خبر بعض المجانين، وما في معناهم من البله، والمغفلين.

الباب الثاني والعشرون: في خبر الفصاحة والبلاغة في الكلام، وبعض ما

للبلغاء في ذلك الطراز من نثرونظام.

الباب الثالث والعشرون: في أخبار الشعراء وذكر ملح من أشعارهم.

الباب الرابع والعشرون: في المديح والهجاء.

الباب الخامس والعشرون:/ في الهفوات والزلات اللسانية في الشعر وغيره. [3/ هـ]

الباب السادس والعشرون: في أخبار المتكبرين والجبابرة وسوء عاقبتهم الخاسرة.

الباب السابع العشرون: في تقلبات الدهر بأهله ونثر عقد نظامهم وحله./ [4/ ب]

الباب الثامن والعشرون: في غرائب الاتفاق الواقعة في الآفاق./ [4/ ج]

الباب التاسع والعشرون: في أشياء عجيبة ونوادر غريبة.

الباب الثلاثون/ : في ذكر صنائع فائقة ومصانع رائقة. [4/ د]

الباب الحادي والثلاثون: في الأذكار والأدعية المجرب نفعها وعواقب فعل الخير و المعروف.

الباب الثاني والثلاثون: في الرقى والخواص.

الباب الثالث والثلاثون: في السحر والكهانة وشيء من علم الحدثان.

الباب الرابع والثلاثون: في الزجر والعيافة والتنجيم والفال والطيرة وما في معنى ذلك.

الباب الخامس والثلاثون: في الوعظ والوصايا والحكم، وأخبار الحكماء من سائر الأمم.

الباب السادس والثلاثون: في الزهد في الدنيا والثقة بها عند الله تعالى.

الباب السابع والثلاثون: في حسن الظن بالله تعالى وسعة رحمته وإغاثة من اضطر له وتفريج كربته.

الباب الثامن والثلاثون: في خبر من رزق الثبات عند تحقق الموت والفوات.

الباب التاسع والثلاثون: في الرثاء والتعزية وما وقع في ذلك من المحاسن الأدبية.

الباب الأربعون: جامع لمسائل من العلم والسير والتاريخ وأخبار بعض العلماء وفضل العلم./ [5/ب]

وهذا/ أوان الشروع في ذكر تراجمه المحبرة واستجلاء عرائسه المخدرة. [4/هـ]

الباب الأول

في أخبار بعض الأنبياء عليهم السلام/ [5/ج]
والأمم السالفة من أهل الفترة وغيرهم

حكى البخاري في كتاب «البدائع في محاسن الشرائع»[1] قال: جاء في الأخبار أن الله تعالى لما زوج/ حواء من آدم، أشهد ملائكته، ثم حمد نفسه حمدا كثيرا [5/د] يستحقه، ثم خطب فقال جل ثناؤه: الحمد ثنائي، والعظمة إزاري، والكبرياء ردائي، والخلق كلهم عبيدي،/ خلقت الأشياء كلها زوجين على أن يوحدوني، [5/أ] اشهدوا يا ملائكتي أني زوجت حواء من آدم، صنع يدي وبديع فطرتي، على صداق تسبيحي وتهليلي وتحميدي، يا آدم ويا حواء اسكنا جنتي ولا تقربا شجرتي وعليكما سلامي ورحمتي[2].

حكى الطرطوشي[3] في كتابه أن إبراهيم، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، لما كسر أصنام قومه وقال، إقامة للحجة عليه: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾[4]. شق ذلك

---

(1) كتاب محاسن الشرائع والإسلام للشيخ العلامة أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن البخاري روح الله، انظر أبجد العلوم: 511

(2) تاريخ الخميس 1/ 47 مع اختلاف قليل بين الروايات.

(3) الطرطوشي (451 -520هـ)، أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان الأندلسي، له كتاب مشهور في التاريخ بعنوان: «سراج الملوك» انظر ترجمته في الصلة: 545 الوفيات 4/ 262. نفح الطيب 2/ 85. شذرات الذهب 4/ 62.

(4) الأنبياء: 63.

على قومه وعلى النمرود[1] وأمر به إلى السجن، فلبث فيه سبع سنين وجعل يدعو أهل السجن إلى الله وإلى الإسلام حتى ظهر أمره وفشى، واتبعه خلق كثير على دينه، فلما بلغ النمرود ذلك اتفق مع قومه على حرقه، فبنوا له جسرا طول جداره ستون ذراعا ووضعوه على سفح جبل منيف لا يرام ولا يرقى، وبلطوا الجدار فلا يمضي فيه أحد إلا زلق، وأذن مؤذن نمرود: أيها الناس! احتطبوا النار لإبراهيم ولا يتخلفن عنها ذكر ولا أنثى ولا حر ولا عبد، ولا شريف ولا وضيع، ولا دني ولا رفيع، ومن تخلف عن ذلك ألقي في تلك النار، فعملوا في ذلك أربعين ليلة حتى أن المرأة منهم لتنذر ذلك على نفسها لئن رجع غائبها أو أفاق عليلها حتى إذا كملوا ذلك قذفوا به في النار حتى كان يسمع وهج النار من المسافة البعيدة. فلما انتهى ذلك وُضع إبراهيم، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، في كفة المنجنيق[2].

قال وهب: بلغني أن السماء والأرض والبحار وما فيها ضجوا إلى الله تعالى ضجة واحدة، وقالوا: يا ربنا! إبراهيم ليس في الأرض[3] أحد يعبدك غيره، فأذن لنا في نصرته، فأوحى الله تعالى إليهم: إن استغاث بأحد منكم فانصروه وأغيثوه، وإن دعاني فأنا ناصره ووليه[4]. فلما وضع في كفة المنجنيق وقذفوه في النار قال: حسبي الله ونعم الوكيل، اللهم إنك تعلم إيماني بك وعداوة قومي فيك، فانصرني عليهم ونجيني من النار، فأوحى الله تعالى إلى النار: أن ﴿كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً﴾[5]. فأطاعت النار ربها، ولولم يقل «سلاما» لمات من شدة البرد. ولبث

(1) النمرود بن كنعان بن سام وهو الملك الذي كذب بما جاء به إبراهيم عليه السلام. انظر قصته في الطبري 1/ 147، تاريخ ابن خلدون: 158 وما بعدها.

(2) المنجنيق: آلة استعملها العرب في حروبهم يرمون بها الحجارة، وعن أبي زيد: جنقونا بالمنجنيق أي رمونا بأحجارها، اللسان مادة: جنق.

(3) أ، ب، د، هـ: أرضك.

(4) ب، د، هـ: وليه وناصره.

(5) سورة الأنبياء: 68.

إبراهيم، على نبينا وعليه الصلاة والسلام/ في النار سبعة أيام، وظن قومه أنه [6/ب] احترق ثم قال النمرود: يا قوم! ماذا فعل إبراهيم؟ فإني رأيت في منامي جدار هذا الجسر ذاب، واحترق الجدار وصار رمادا، فاطلعوا على إبراهيم فوجدوه صحيحا سليما، وخرج الناس ينظرون إليه في تلك الحال، فلما رآهم خرج يمشي، فرأته سارة[1]، وكانت أول من آمن به، فجلست إليه، وقالت له: يا إبراهيم! إني آمنت بالذي جعل لك النار بردا وسلاما/ فقال لها: احذري القتل. فقالت: إليك عني، [6/ج] لا أخاف أحدا وقد آمنت بإله إبراهيم، وحول إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، عدد كثير من الناس لا يحصون يأتمرون به، فأرسل الله ريحا نسفت/ رماد تلك [5/هـ] النار في وجوههم وفي عيونهم ففروا عنه، وقام إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، يدعو إلى الله تعالى ويذكر به[2]./ [6/د]

حُكي أن مجاهد وقتادة قالا: إن النبي سليمان بن داود، عليهما الصلاة والسلام، انطلق إلى الحمام ومعه جني يقال له صخر، ولم يكن يدخل الخلاء ومعه خاتمه، فدخل الحمام وأعطى الخاتم للجني فألقاه في البحر فالتقمته سمكة، فنزع ملك سليمان منه، وألقي على الشيطان شبه سليمان، فجلس على كرسيه وسلط على جميع ملك سليمان غير نسائه، فجعل يقضي بين الناس، والناس ينكرون قضاءه حتى قالوا: قد فتن النبي سليمان. ومكث على ذلك أربعين يوما، ثم خرج سليمان، عليه الصلاة والسلام، إلى البر جائعا يقول: أنا سليمان، فلم يلتفت إليه أحد، فانتهى إلى صيادين فاستطعمهم وقال: أنا سليمان، فقام إليه بعضهم فضربه بعصا فشج[3] وجهه، فجعل يغسل دمه على شاطئ البحر، فلام الصيادون صاحبهم على ضربه

(1) هي سارة بنت هارون عم إبراهيم عليه السلام وهي التي آمنت بما جاء به إبراهيم فتزوجها وفرا معا هاربين بدينهما إلى مصر. انظر الطبري1/ 125. الوفيات 1/ 315.

(2) سراج الملوك: 277 - 280. وروضة الرياحين: 546-547.

(3) شج: الشج يكون في الرأس خاصة، وهوأن تضربه بشيء فتشقه، انظر اللسان: شجج.

إياه، ثم أعطوه سمكتين مما قد تغير ونُتُن[1] عندهم، فأخذهما سليمان فشق بطنهما فوجد خاتمه في بطن إحديها[2]، فأخذه فلبسه فرد الله عليه ملكه وبهاءه/ وجاءت الطير حتى حامت عليه فعرف القوم أنه سليمان فجاؤوا يعتذرون إليه، ورد الله تعالى[3] عليه ملكه وتحنن عليه[4].

[4/أ]

حُكي أن صفة كرسي سليمان، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، كان من أنياب الفيلة، مرصع بالدر والياقوت، عليه من جوانبه الأربعة[5] أربع نخلات من ذهب، وعليه كروم من ذهب تظله، وعن يمين الكرسي ويساره أسدان من ذهب وطاووسان من جوهر، فإذا أراد صعود الكرسي دار الكرسي بما فيه دوران الرحى المسرعة وفتح الأسدان أفواههما وضربا الأرض بأذنابهما ونشر الطاووسان أجنحتهما ونضحا عليه من أفواههما المسك والعنبر. والكرسي على بساط من الحرير الصيني طوله شهر وعرضه شهر، وعن يمينه ألف كرسي من ذهب يجلس عليها رؤساء الإنس، وعن شماله ألف كرسي من فضة يجلس عليها رؤساء الجن، وبين يديه كراديس[6] الإنس والجن والطير والوحش، وله وزير من الإنس، ووزير من الجن وهو آصف بن برخيا، ووزير من الطير وهو النسر، ووزير من الوحش/ وهو الأسد، وكانت الطير تعقد على رأسه قبة تظله من حر الشمس، وتحمل هذا البساط الريح بما عليه، تسير من أول النهار إلى الظهر، إلى آخر النهار

[7/ب]

(1) نَتُن: أي تغيرت رائحته، وكذلك: نثن بالثاء المثلثة: اللسان: نتن.

(2) أ، ب، د، هـ إحداهما.

(3) ساقطة من: ب، ج، د.

(4) سراج الملوك: 250. الطبري 1/ 258 - 260، مع اختلاف الروايات.

(5) أ، ب، هـ: الأربع

(6) كراديس: مفردها كردوس: الخيل العظيمة، والكراديس الفرق من الخيل والمراد بها هنا كتائب. اللسان: كردس.

مسيرة شهر، قال تعالى: ﴿غدوها شهر ورواحها شهر﴾[1] قيل: بينما سليمان/ عليه [7/ج] الصلاة والسلام، في موكبه، والإنس والجن عن يمينه وشماله، إذ مر بحراث فقال الحراث: لقد أوتي ابن داوود ملكا عظيما، فألقت الريح الكلمة في أذن سليمان، عليه الصلاة والسلام، فأمر الريح حتى تواطأت البساط من الحراث، ثم قال له سليمان عليه السلام: والله لتسبيحة أوتهليلة في صحيفة مسلم خير مما أوتي ابن داوود، لأن ما أوتي ابن داوود يفنى والتسبيحة والتهليلة لا تفنى[2].

حَكى ابن الجوزي، أن ثلاثة عشر نبيا خلقوا مختونين[3]. آدم وابنه شيث وإدريس ونوح وسام ولوط ويوسف وموسى وشعيب وسليمان ويحيى وعيسى والنبي عليه وعليهم الصلاة[4] والسلام. وقال محمد بن حبيب[5]: هم أربعة عشر/ ، فزاد[6] حنظلة بن صفوان نبي أصحاب الرس. وذكر أيضا هودا وصالحا [7/د] وزكرياء بدل إدريس وسام ويحيى على نبينا وعليهم الصلاة والسلام[7].

حَكى وهب بن منبه أن الله تعالى لما وهب إسحاق لإبراهيم، على نبينا وعليه[8] الصلاة والسلام، وكان سن إسحاق إذ ذاك سبع سنين، فأوحى الله تعالى إلى إبراهيم أن يذبحه ويجعله قربانا، فكتم ذلك عن[9] إسحاق وأمه وجميع الناس،

---

(1) سبأ: 18. وصفة الكرسي وردت في العرائس للثعالبي: 307-308.

(2) الحكاية وردت في العرائس: 295 وتاريخ الخميس 1/ 241 وما بعدها، مع اختلاف الروايتين.

(3) أ: مختومين.

(4) ب، ج، عليهم الصلاة والسلام.

(5) محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي من موالي بني العباس توفي حوالي 245هـ. انظر ترجمته في الفهرست لابن النديم: 106، وتاريخ بغداد 2/ 277.

(6) ج: وزاد.

(7) المحبر: 136 وتاريخ الخميس 1/ 205 مع اختلاف الرواية.

(8) ب: عليهم.

(9) ب، د: على.

وأسره إلى خليل له يقال له: العازر، وكان أول من آمن من قومه يوم أحرق، فقال له: إن الله تعالى رفع اسمك في الملأ الأعلى على أهل البلاء، حيث كنت أرفعهم بلية ليرفعك الله بقدر ذلك في المنازل والفضائل، وقد علمت أن الله تعالى لم يأمرك بذلك ليفتنك ويضلك، فلا تسئ ظنك بالله، وأعوذ بالله أن يكون منك تسخط لحكمه الذي حكم به تعالى، فكن حسن الظن بالله، ولا حول ولا قوة إلا بالله/ [6/هـ] العلي العظيم فتعزى[1] إبراهيم بقوله، وانطلق بإسحاق عليهما الصلاة والسلام، فلما صعد به الجبل ومعه السكين والحبل وآلة القربان، فقال له إسحاق: يا أبت! أرى معك آلة القربان، ولا أرى قربانا؟ فقال له إبراهيم عليه السلام: يا بني! القربان بعين ربك ينظر إليه، وإن شاء رحم أباك، فلم يفطن إسحاق لذلك، فلما آوى رأس الجبل قال إبراهيم: يا بني! إن الله أمرني أن أذبحك وأجعلك قربانا يرفعك إليه يتقبلك، فانظر ماذا ترى؟ فتهلل وجه إسحاق واستبشر وقال: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾.[2] فقال له إبراهيم: يا بني لقد فجعتك بأمر ما فجع به والد ولده، وإني لأرى من سرورك بذلك وشكرك أمرا أرجو به العافية والفرج إن شاء الله تعالى./ فقال له ولده: لم يكن شيء من [5/أ][8/ب] الدنيا أحب إلي من البر بك وبأمي، وقد منحنيه ربي، فإذا أردت ذبحي فاشدد وثاقي[3] فإني أخاف أن لا يفارقني[4] حسي وأجد ألم الحديد، أن يتحرك مني عضو فيؤذيك، وأنا أكره أن أختم بذلك عملي، فإذا فرغت/ من أمري فاقرأ أمي [8/ج] مني السلام وقل لها: لا تجزعي فقد أكرم الله لك ابنك في حياته. فلما فرغ من قصته عمد إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، إليه فعصبه بعمامته من منكبيه إلى الكعبين،

---

(1) تعزّى أي تصبر. اللسان: عزى.
(2) الصافات: 102.
(3) ساقطة من: ب، د.
(4) ب، د: أن يفارقني.

ثم أكبه على وجهه و[كره أن يستقبل وجهه][1] كي لا تدركه عليه رحمة إذا هو تشحط[2] في دمه، فأدخل يده من تحت حلقه، فلما أراد أن ينحر انقلبت السكين في يده ونودي: ﴿أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا، إنا كذلك نجزي المحسنين، إن هذا لهو البلاء المبين، وفديناه بذبح عظيم﴾[3] وقيل هذا فداء ابنك قد فداه الله لك به، فنظر إبراهيم خلفه فإذا بكبش قد لوى قرنه الأيمن على ساق شجرة فوجهه إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، إلى القبلة، وقبلته يومئذ مكة، فذبحه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فلما فرغ منه وضعه قربانا، فرفعه الله إليه وتقبله منه[4]. والصحيح أن الذبيح إسماعيل، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، كما صححه الشيخ جلال الدين [5]المحلي في شرحه لجمع الجوامع[6] تبعا لغيره.

حُكي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: لما صار يوسف، على نبينا/ وعليه [8/د] الصلاة والسلام، إلى مصر واسترق بعد الحرية جزع جزعا شديدا، وجعل يبكي الليل والنهار على أبويه وإخوته ووطنه وما ابتلي به من الرق فأحيى ليلة من الليالي، وجعل يدعو ربه، فكان من دعائه أن قال: يا رب! أخرجتني من أحب البلاد إلي، وفرقت بيني وبين أبوي وإخوتي ووطني، فاجعل لي في ذلك خيرا وفرجا ومخرجا من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب، وحبب إلي البلاد التي أنا فيها، وحببها إلى كل من يدخلها، وحببني إلى أهلها وحببهم إلي، ولا تمتني حتى

---

(1) ما بين معقوفتين ساقط من: ب، د.

(2) تشحط في دمه: أي تخبط فيه واضطرب وتمرغ. اللسان: شحط.

(3) سورة الصافات: 105.

(4) سراج الملوك 281-282 الطبري 1/ 135. تاريخ الخميس 1/ 95-96. البداية والنهاية 1/ 157. مع اختلاف قليل بين الروايات.

(5) محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي نسبة للمحلة الكبرى من الغربية (ت 864هـ)، انظر الضوء اللامع 7/ 39.

(6) جمع الجوامع في أصول الفقه لتاج الدين السبكي المتوفي سنة 771هـ. انظر كشف الظنون 1/ 595.

تجمع بيني وبين إخوتي وأبوي في يسر منك ونعمة وسرور وتجمع لنا بين خيري الدنيا والآخرة، إنك سميع الدعاء. قال: فأتى يوسف آت في نومه وقال له: إن الله تعالى قد استجاب لك دعاءك، وأعطاك مناك وورثك هذه البلاد وسلطانها، وجمع إليك أبويك وإخوتك وأهل بيتك، فطب نفسا وقر عينا، واعلم أن الله تعالى لن يخلف وعده. فبدعاء يوسف، عليه الصلاة والسلام، صارت مصر يحبها كل من يدخلها فلا يكاد يخرج منها.

قال قتادة رضي الله عنه: ما سكنها نبي قبله. ولما جمع الله له[1] ما أراد، وتكاملت النعمة عليه، اشتاق إلى لقاء ربه فقال: ﴿رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تاويل [٧/هـ] الأحاديث، فاطر السموات والأرض، أنت وليي في الدنيا/والآخرة، توفني مسلما وألحقني بالصالحين[2]﴾[3].

[٩/ب] حُكي عن ابن عباس، رضي الله عنهما[4]، أنه قال: في قوله تعالى حكاية عن/ [6/أ] يوسف عليه السلام: ﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم/ ﴾[5] [قال[6] هي خزائن مصر، وكانت أربعين فرسخا في مثلها، ولم يطع يوسف، عليه الصلاة [٩/ج] والسلام، الملك وينوب عنه إلا بعد/ أن دعاه إلى الإسلام فأسلم، فحينئذ قال: ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾. ولما استوثق أمر يوسف، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وكمل، وصارت الأشياء كلها إليه وأراد الله أن يعوضه على صبره لما لم يرتكب محارمه، دخلت سنون الغلاء والجوع ومات العزيز، وذهبت الذخائر

---

(1) أ: جمع له الله.

(2) سورة يوسف: 101..

(3) سراج الملوك: 282. البداية والنهاية 1/ 217 مع اختلاف الروايات.

(4) ب، ج، د، هـ: عنه.

(5) يوسف: 55.

(6) بداية الخرم في: أ، والزيادة من: ج.

وافتقرت زليخا[1] وعمي بصرها، وجعلت تتكفف الناس فقيل لها: لو تعرضت للملك لعله يرحمك، فطالما حفظتيه وأكرمتيه، ثم قيل لها: لا تفعلي لأنه ربما يتذكر منك ما كان من المراودة والحبس فيسيء إليك ويكافيك على ما سبق منك إليه، فقالت: أنا أعلم بحلمه وكرمه، ثم جلست له على رابية[2] في طريقه يوم خروجه، وكان يركب في نحو مائة ألف من قومه وأهل مملكته، فلما أحست به قامت وقالت: سبحان من جعل الملوك عبيدا بمعصيتهم وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم، فقال لها يوسف، عليه الصلاة والسلام: ومن أنت؟ قالت: أنا التي كنت أخدمك على صدور قدمي وأكرم مثواك جهدي، وكان مني ما كان، وذقت وبال أمري، وذهبت قوتي، وعمي بصري وصرت أسأل الناس، فمنهم من يرحمني ومنهم من لا يرحمني، بعد ما كنت ملكة مصر ومغبوطتها صرت مرحومتهم بل محرومتهم، هذا جزاء المفسدين، فبكى يوسف، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وقال لها: هل في قلبك شيء من حبي؟ فقالت: والذي/ اتخذ إبراهيم خليلا، لنظرة إليك [9/ د] أحب إلي من ملء الأرض ذهبا وفضة، فمضى يوسف، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وأرسل إليها فحضرت وقال لها: إن كنت عازبة[3] تزوجتك، وإن كنت ذات بعل أغنيتك. فقالت له: إنك لتهزأ[4] بي إنك ما أردتني في أيام شبابي وجمالي، كيف تقبلني وأنا عجوز عمياء؟ ثم إنه تزوج بها ودخل عليها، فنصب[5] قدميه وجعل يصلي، ودعا الله سبحانه باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى، فرد الله تعالى شبابها وحسنها وجمالها وبصرها كهيئتها يوم راودته، ثم

(1) هي امرأة العزيز التي ذكرها القرآن في قصة يوسف واسمها رعايل بنت راعيل. انظر الطبري 1/ 177-178، والبداية والنهاية 1/ 210.

(2) الرابية: كل ما ارتفع من الأرض وربا. اللسان: ربا.

(3) أظن أن الصواب: أيما.

(4) ب: لتستهزأ.

(5) د، هـ: فصف وكذا في سراج الملوك.

واقعها[1]، فإذا هي بكر كما كانت، وأولدها[2] أولادا، وطاب في الإسلام عيشها حتى فرق الموت بينهما. فيجب أن القوي لا ينسى الضعيف والغني لا ينسى الفقير، فرب مطلوب يصير طالبا، ومرغوب يصير راغبا، ومسؤول يصير سائلا، وراحم يصير مرحوما.

أقول: هذا يوسف عليه الصلاة والسلام، انظر إلى ضعفه بين إخوته يوم [10/ب] الجب، ثم ضعفهم بين يديه يوم الصواع[3]، وهذه زليخا ملكة مصر/ وسيدة أهلها عادت تتكفف الناس في الطرقات. قال الله تعالى: ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها﴾[4] فكان يوسف عليه الصلاة والسلام بعد ذلك يجوع ويأكل خبز الشعير ولا يشبع، فيقال له: أتجوع وبيدك خزائن الأرض؟ قال: أخاف أن أشبع فأنسى الجائعين[5].

حكى الحسن بن علي الأسدي[6] قال: وجدت في كتاب ضبط باللغة الصعيدية، مما نقل إلى العربية أن مبلغ ما كان يستخرج لفرعون يوسف، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، من خراج مصر، ما يؤخذ من وجوه الجبايات لسنة واحدة على [10/ج][8/هـ] حكم العدل/ والإنصاف/ والرسوم الجارية من غير حيف ولا شطط[7] ولا مناقشة، وبعد وضع ما يجب وضعه، نظر للعاملين وتغذيتهم: أربعة وعشرون

---

(1) واقعها: أي جامعها. اللسان: وقع.

(2) ب، هـ: وأولادها.

(3) الصُّواع، والصَّواع والصُّوع والصَّوْع، كله: إناء يشرب فيه، وهومذكر، وفي التنزيل: ﴿قالوا نفقد صواع الملك﴾. وهوالإناء الذي كان الملك يشرب فيه. انظر اللسان: صوع.

(4) سورة الأعراف: 137.

(5) سراج الملوك: 25-216 مع اختلاف قليل في الرواية. وفي الطبري 1/ 169 وما بعدها رواية مفصلة لقصة يوسف عليه السلام، وفي تاريخ الخميس 1/ 131 نبذة عن قصة يعقوب ويوسف عليهما السلام. وكذلك في البداية والنهاية 1/ 197 وما بعدها.

(6) ذكره الطرطوشي في تاريخه: 109.

(7) من غير حيف ولا شطط، أي: من غير جوز ولا نقصان. اللسان: حيف، شطط.

ألف ألف دينار، من ذلك ما يصرف في عمارة البلاد كحفر الخلجان والإنفاق على الجسور وسد الترع وإصلاح القناطر وتقوية ما يحتاج إلى تقويته من غير رجوع بها لإقامة العوامل والسرع في البذر، وسائر نفقات الأرض كالحراثة والدراسة وما يقوم بها، ثمانمائة ألف دينار، ولما يصرف للكتاب وأهل الدواوين وأتباعهم من الخراف[1] ومن يجري مجراهم، ألف ألف دينار، ولما يصرف للأرامل والأيتام، ولوكانوا غير محتاجين حتى لا يخلوا من بر الملك، ألف ألف دينار ولما يصرف في بيعهم وسائر بيوت صلواتهم ألف ألف دينار، ولما يصرف للولاة والحكام والأمناء ألف ألف دينار، ولما يصرف لبيت الملك في نفقاته الراتبة وخدمه وجماعته سنة واحدة ألف ألف دينار، ولما يصرف في الصدقات[2] العامة ويصب صبا، ألف ألف دينار ويحضر الملك وأفناؤه[3] وينادي لأهل الذمة من رجل كشف وجهه لفاقة إلا حضر، فيحضر ذلك المجلس من يحضر ولا يرد أحدا، حتى إذا اجتمع من هذه الطائفة عدد كثير فيأمر الملك لمن[4] كانت له نعمة وزالت عنه بأن/ يدخل [١٥/د] [به][5] الحمام، ويأمر له باللباس، ثم يمد سماط[6] عظيم بين يدي الملك محتوعلى مطاعم عظيمة نفيسة، وعلى مشارب شريفة، ثم يستعمل، وبعده يسأل كل واحد عن سبب فاقته، فإن كان ذلك من تقلب الأيام وسلب الزمان، أمر بأن يرد عليه مثل ما كان له، وإن كان من سوء رأي وتدبير غير مستقيم ضمه إلى من يصرفه إليه ويأخذه بالأدب وحسن التصرف إلى أن يصلح حاله، ويصرف على جميعهم بعد ذلك وبعد النظر في أمرهم ألف ألف دينار، ثم يدخل الأمناء والأمراء والقضاة

---

(1) الخَرّافُ: ج خارِف وهو الحافظ، وأرسلوا خُرّافَهم أي: نظارهم. اللسان: خرف.

(2) د: الصدقة.

(3) أفناؤه: ج فنو. وتستعمل للجمع، أفناء أي: أخلاط من هنا ومن هنا. اللسان: فني.

(4) د: إلى من.

(5) ساقطة من:هـ.

(6) ساقطة من: هـ وفي د: صماط.

وأرباب الدولة ويهنونه بالسلامة، وتفرقة المال في وجهه، ويدعون له بطول البقاء ودوام العز والسلامة فيخلع عليهم وينصرفون. يفعل ذلك رأس كل سنة فتكون له الصرفة المذكورة في الوجوه المذكورة تسعة آلاف ألف دينار، يتسلمها يوسف، عليه الصلاة والسلام، ويجعلها في بيت المال لحوادث الزمان ونوائب الأيام، لتتمة ذلك بجملته، فحاصل ذلك أن الأصل فيه أربعة وعشرون ألف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار كما مر[1].

حُكي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: جاء إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، بولده إسماعيل وهو رضيع حتى وضعه وأمه عند البيت الشريف عند درجة فوق رزمة[2] في أعلى المسجد، أي مكانه، وليس بمكة يومئذ أحد، وما بها ماء، فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم خرج إبراهيم، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، منطلقا، فتبعته أم إسماعيل وقالت: يا إبراهيم! أين تذهب وتركتنا في هذا الوادي الذي ليس فيه/ إنس ولا جان؟ فقالت ذلك مرارا [١١/ج] وهو لا يلتفت إليها. فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يضيعنا، ثم رجعت، فانطلق إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، حتى إذا كان عند الثنية[3] حيث لا يرونه، استقبل البيت بوجهه ثم دعا بهذه الدعوات ورفع يديه فقال ما أخبر الله عنه: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم﴾[4] حتى بلغ «يشكرون». فجعلت أم إسماعيل ترضعه وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد ما في السقاء وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه وهو يتلوى، فانطلقت عنه كراهة

(1) الحكاية وردت في سراج الملوك: 109.

(2) الرزمة: قدر ثلث الغرارة أو ربعها من تمر أو دقيق. والرزمة تكون من الثياب، وهي أن تشد الثياب في ثوب واحد. انظر اللسان: رزم.

(3) الثنية في الأصل: هي كل عقبة في جبل، وهي هنا عقبة قرب مكة تهبطك إلى أسفل مكة من قبل ذي طوى. انظر معجم البلدان 3/ 24.

(4) إبراهيم: 39. وتمام الآية ﴿ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾.

أن تنظر إليه وهو يموت، فبلغت الصفا، وهو أقرب جبل في الأرض، فقامت عليه ثم استقبلت الوادي لعل أن ترى أحدا، فلم تر أحدا، ثم تصل إلى المروة، ففعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: فلذلك السعي بينهما،/ فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت: قد أسمعت إن[1] [9/هـ] كان عندك غياث. فإذا بالملك عند موضع زمزم يبحث بعقبه، أوقالت بجناحه، حتى ظهر الماء، فجعلت تخوضه بيدها وتقول: هكذا زم..زم، وجعلت من الماء في سقائها وهو يفور[2]، فقال النبي ﷺ: يرحم الله أم إسماعيل، لوتركت زمزم، أو قال: لو لم تغرف لكان عينا معينا. قال: فشربت وأرضعت ولدها/ فقال لها الملك: [11/د] لا تخافوا الضيعة[3] فإن هنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله[4]. قال الشاعر في المعنى:

[الخفيف]

إن يكن نالك الزمان ببلوى	عظمت عندها الخطوب وجلت
وتلتها قوارع منكبات	سئمت دونها الحياة وملت
فاصطبر وانتظر بلوغ مداها	فالرزايا إذا توالت تولت
وإذا أوهنت قواك وجلت	ذهبت عنك جملة وتخلت[5]

وقال آخر:

[الكامل]

ادفع بصبرك حادث الأيام	وترج لطف الواحد العلام
لا تيئسن وإن تضايق كربها	ورماك قوس صروفها بسهام

(1) هـ: أو.

(2) هـ: يفوز.

(3) الضيعة والضياع: الإهمال والتلف والهلاك. اللسان: ضيع.

(4) الطبري 1/ 132 مع اختلاف الرواية. البداية والنهاية 1/ 154 وما بعدهما. والروايتان معا خاليتان من الشعر وكذا في رياض الصالحين.

(5) الأبيات وردت في المستطرف: 314 ومجاني الأدب99/ 2 مع اختلاف قليل في الرواية.

فلـه تعالـى بيـن ذلـك حكمـة ... تخفـى عـن الأفهـام والأوهـام
كـم من نجـا مـن بيـن أطـراف القنا ... وفريسـة سـلمت مـن الضرغـام[1]

وقد رأيت بعض أصحابنا يوما بحبس الرحبة بالقاهرة على دين لزمه، فرأيت مكتوبا على الباب:

[المتقارب]

إذا النائبـات بلغـن النهـى ... وكادت تضيـق لهـن المهـج
وحـل البـلاء وعـز الـدواء ... فعنـد التناهـي يكـون الفـرج[2]

حُكي في قوله تعالى: ﴿ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسـاته﴾[3] أن السبب في ذلك أن سليمان، عليه الصلاة والسلام، كان أمر الجن ببناء صرح فبنوه له، ودخل/ مختليا ليصفوله يوم واحد من الدهر الكدر، فدخل عليه شاب، فقال له: كيف دخلت من غير استئذان؟ قال له[4]: إنما دخلت بإذن. قال[5]: من أذن لك؟ قال: رب هذا الصرح. فعلم سليمان، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، أنه ملك الموت أتى ليقبض روحه، فقال: سبحان الله، هذا اليوم الذي طلبت فيه الصفاء، فقال: طلبت ما لم يخلد، فاستوثق من اللاتكاء على العصا لأنه كان بقي من تمام المسجد بناء سنة، فسأل إتمامها على يد الإنس والجن، فكان يخلوبنفسه الشهرين والثلاثة، فكانوا[6] يقولون: إنه يتحنث أي يتعبد[7] وقيل: إن ملك الموت [12/ج]

(1) الضرغام: الأسد. انظر اللسان: ضرغم. والأبيات وردت في حياة الحيوان الكبرى 2 / 115 ومجاني الأدب 2 / 100.

(2) البيتان وردا في الفرج بعد الشدة للتنوخي 5 / 23.

(3) سبأ: 14.

(4) ساقطة من:هـ.

(5) ساقطة من:هـ.

(6) د: وكانوا.

(7) هـ: يتعبد ربه.

أعلمه أنه بقي من عمره ساعة فدعى الجن فبنوا الصرح، وقام يصلي متكئا على عصاه، فمات وهو متكئ عليها؛ وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه فلا ينظر أحد إليه في صلاته إلا احترق؛ فمر واحد منهم فلم يسمع صوته ثم رجع فسلم، فإذا هو خر ميتا، وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة. والمنساة: العصا. وكانت من خروب، وذلك أنه كان يتعبد في البيت المقدس فتنبت له في كل سنة في محرابه شجرة فيسألها: ما اسمك؟ فتقول الشجرة: اسمي كذا ونفعي/ كذا، فيقول لها: لأي شيء أنت؟ [12/د] فتقول: لكذا وكذا. فيأمر بقطعها فتقطع، فإن كانت تنبت بغرس غرست وإن كانت لدواء كتبت. فبينما هوذات يوم رأى شجرة بين يديه فقال لها: ما اسمك؟ فقالت: أنا الخروب خرجت لخراب ملكك، فعلم أنه حضر أجله، فاستعد واتخذ منها عصا/ واستدعى بزاد سنة، والجن تتوهم أنه يتغذى بالليل[1].. ﴿**وكان أمر الله قدرا مقدورا**﴾[2]. [10/هـ]

حُكي في عجائب المخلوقات أن موسى، عليه الصلاة والسلام، قال: يا رب! أرني عدلك بين خلقك، فاجتاز بعين ماء في سفح جبل فتوضأ ثم ارتقى ليصلي، إذ أقبل فارس فشرب من ماء العين وترك عندها كيسا فيه دراهم. فجاء بعده راعي غنم فرأى الكيس فأخذه ومضى، ثم جاء بعده شيخ عليه أثر البؤس وعلى رأسه حزمة حطب، فوضعها هناك واستلقى يستريح، فلم يكن إلا قليل حتى جاء الفارس يطلب كيسه فلم يجده، فأقبل على الشيخ يطالبه به، فلم يزل يضربه حتى قتله، فقال موسى، عليه الصلاة والسلام: يا رب! كيف العدل في هذه الأمور كلها؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى! إن الشيخ الذي قتل كان قتل أبا الفارس، وكان لأبي الراعي دين على أبي الفارس، مقدار ما في الكيس، فوقع

---

(1) الطبري: 261. البداية والنهاية 1/ 30-31. وبين الروايتين اختلاف قليل.

(2) سورة الأحزاب: 38.

بينهما القصاص وقضاء الدين، وأنا حكم عدل في سلطاني[1].

حُكي أن آدم عليه السلام لما هبط إلى الأرض وخرج من الجنة خرج منها ومعه صرة من الحنطة[2]، وأخرج معه ثلاثين قضيبا من شجر الجنة مودعة أصناف الثمار، فمنها عشرة لها قشر وهي: الفستق[3]، والبندق[4] والجوز والرمان والشاه البلوط[5] والخشخاش[6] والنارنج[7] والبلوط[8]. ومنها عشرة ذات نوى وهي: السمسم[9] والخوخ والرطب[10] والإجاص والغبير[11] والنبق[12] والزعرور/ [13]والعناب[14] والمقل[15] والقراصيا[16]. ومنها عشرة لا قشر لها ولا [13/ج]

(1) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات. لزكريا بن محمد القزويني: 27.

(2) الحنطة: البر وجمعها حنط، والحَنّاط بائع الحنطة. اللسان: حنط.

(3) الفستق: ثمرة شجرة معروفة قال أبو حنيفة: لم يبلغني أنه ينبت بأرض العرب. اللسان: فستق.

(4) البندق: الجلوز، واحدته بندقة، وقيل البندق حمل شجر كالجلوز: اللسان: بندق.

(5) ج: بلوط. في الطبري: الشاهبلوط، وهو القسطل وهو شجر من الفصيلة البلوطية له ثمر كثير النشاء، يؤكل مشويا. المعجم الوسيط: 1 / 504 والجزء الثاني: 741.

(6) الخشخاش: نبت ثمرته حمراء، وهو ضربان: أسود وأبيض. اللسان: خشش.

(7) ج: النازنج، والصواب: الرانج. وهو جوز الهند، وكذا في الطبري 1/ 63. اللسان: رنج.

(8) ج: بلوط. أظن أن الناسخ أسقط نوعا من الثمار. وفي رواية المسعودي: الرانج والموز والبلوط.

(9) السمسم: هو السمسق وقيل هو المرزنجوش وقيل الآس. اللسان: سمسق.

(10) الرطب: نضيج البسر قبل أن يثمر. اللسان: رطب.

(11) أظن أن الصواب: الغبيراء. الغبيراء: شجرة سميت بذلك للون ورقها، وثمرتها إذا بدت تحمر حمرة شديدة. اللسان: غبر.

(12) النبق، والنبق، والنبق: حمل السدر. اللسان: نبق.

(13) الزعرور: ثمر شجرة، الواحدة منها: زعرورة، تكون حمراء وربما تكون صفراء له نوى صلب مستدير. اللسان: زعر.

(14) العناب: من الثمر، معروف، واحدته عنابة. اللسان: عنب.

(15) المقل: حمل الدوم، والدوم شجرة تشبه النخلة في حالاتها. اللسان: مقل.

(16) في مروج الذهب: القراسيا. وهو شجر مثمر من الفصيلة الوردية وتطلق في مصر على البرقوق المجفف. المعجم الوسيط 2/ 733.

نوى ولا حجاب دون مضغها وهي: التفاح والكمثرى[1] والعنب والسفرجل والتين والأترج[2] والتوت والقثاء[3] والخيار والبطيخ[4].

حُكي أن إبليس لقي موسى، عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، قال: يا موسى! اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما، وأنا من خلق الله أذنبت ذنبا وأريد أن أتوب فاشفع لي إلى ربك، فإني أرجو أن يتوب علي. قال موسى: نعم، فدعا موسى ربه عز وجل في ذلك فقال الله تعالى: يا موسى قضيتك حاجتك، مره أن يسجد لقبر آدم، فلقي موسى، عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، إبليس فقال له: أمرت أن تسجد لقبر آدم ليتاب عليك، فاستكبر وغضب وقال: لم أسجد له حيا، أأسجد له ميتا؟ ثم قال إبليس: يا موسى! إن لك علي حقا بما شفعت لي عند ربك، اذكرني عند ثلاث وإلا أهلكتك فيهن. اذكرني حين تغضب، فإني إذ ذاك في قلبك وعيني في عينيك وأجري بينك ومنك مجرى الدم، واذكرني حين تلقى الزحف فإني آتي ابن آدم وأذكره زوجته وولده وأهله حتى يولي، وإياك أن تجالس امرأة ليست بذات رحم لك فإني رسولها إليك ورسولك إليها.

حُكي عن جابر بن عبد الله[5] أنه قال: لما أهبط الله تعالى[6]/ آدم إلى الأرض [13/د] قال: يا رب! هذا العبد الذي جعلت بيني وبينه هذه العداوة ألا تعينني عليه حتى أقوى عليه؟ قال تعالى: لا يولد لك ولد إلا وكل به وبك. قال: يا رب! زدني[7]

(1) الكمثرى: معروف، من الفواكه، هذا الذي تسميه العامة: الإجاص. اللسان: كمثر.

(2) الأترج واحدته أترجة وترنجة وهومعروف. اللسان: ترج.

(3) القِثاء والقُثاء بكسر القاف وضمها وهوالخيار واحدته قثاءة.

(4) الحكاية وردت في الطبري 1/ 63-64، ومروج الذهب 1/ 37. مع اختلاف الروايات.

(5) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب الأنصاري السلمي، ويكنى أبا عبد الرحمن، روى عنه جماعة من الصحابة وله ولأبيه صحبة. الإصابة 1/ 213.

(6) ساقطة من: هـ.

(7) ساقطة من: هـ.

قال تعالى: أجزي بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا إلى ما أريد. قال: يا رب! زدني. قال تعالى: باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد روح. قال: وقال إبليس: يا رب! هذا الذي كرمته علي، ألا تعينني عليه لأقوى عليه؟ قال تعالى: لا يولد له ولد إلا ولد لك ولد. قال: يا رب! زدني قال تعالى: ﴿ اجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾[1]، أوكما قال تعالى.

حكى السهيلي[2] في كتابه «التعريف والإعلام»[3] قال في قوله تعالى: ﴿وبئر معطلة وقصر مشيد﴾[4] أن البئر تسمى الرس وإليها ينسب][5] أصحاب الرس، وهم أمة بعثت بعد ثمود، وكانت لهم بئر تسقي المدينة ونواحيها وجميع ما فيها من الدواب والبقر والغنم/ وغير ذلك؛ لأنها كانت لها بكرات[6] منصوبة كثيرة عليها، ورجال كثيرون بها موكلون وحياض كثيرة من رخام، تملأ للدواب وأخرى للبقروأخرى للغنم، وأخرى للقوم، يسقون منها ليلا ونهارا يتداولونها، ولم يكن لهم ماء غيرها، وكان لهم ملك عادل حسن السيرة طال عمره ونشأوا في عدله وحسن سيرته، فمات فشق ذلك عليهم وطلوه بالدهن وغيره لتبقى صورته، كما هي عادتهم في موتاهم، فضجوا ضجة واحدة بالبكاء والعويل لفراقه، فاغتنمها الشيطان منهم ودخل في جثته وكلمهم منها، وقال لهم: إني لم أمت، ولكن تغيرت عليكم وتغيبت عنكم حتى/ أرى صنيعكم، وإني لا أموت أبدا وإني إلهكم، [11/هـ] [14/ج]

(1) سورة الإسراء: 64.

(2) هو أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله بن أحمد السهيلي، حافظ عالم باللغة والسير. توفي سنة 581هـ انظر وفيات الأعيان 3/ 143. النفح 2/ 102.

(3) انظر تخريج الحكاية لاحقا.

(4) الحج: 45.

(5) نهاية الخرم في: أ.

(6) د: بركات. والبكرة: هي مايستقي عليها، وهي خشبة مستديرة في وسطها محز للحبل وفي جوفها محور تدور عليه. جمع: بكرات. اللسان مادة: بكر.

وذلك كله يكلمهم الشيطان على لسانه فصدق كثير منهم وارتاب بعض، فكان المصدق أكثر من المكذب فنصحهم ناصح منهم فزجر وكفر، ثم أطبقوا على عبادته، فبعث الله إليهم نبيا اسمه حنظلة[1] بن صفوان كان يوحى إليه في النوم دون اليقظة، فأعلمهم أن الصورة صنم لا روح فيه وأن الشيطان قد أضلهم، وأن الملك لا يجوز أن يكون شريكا لله تعالى، وتوعدهم ونصحهم وحذرهم سطوة الله تعالى ونقمته، فآذوه وعادوه وهويتعهدهم بالموعظة ويلاطفهم بالنصيحة حتى قتلوه وطرحوه في بئر، فعند ذلك حلت عليهم النقمة فباتوا شباعا رواء من الماء، فأصبحوا والبئر غار[2] ماؤها/ وتعطل رشاؤها فهلكوا بأجمعهم، الرجال والنساء [7/أ] والأولاد والبهائم عطشا حتى عمهم الموت وشملهم الفوت بالهلاك، وخلفهم في أرضهم السباع، وفي منازلهم الثعالب والضباع، وتبدلت جناتهم بالسدر والشوك[3] القتاد[4] فلا تسمع في ديارهم إلا عزيف الجن وزئير[5] الأسد، نعوذ بالله تعالى من سطوته ومن الإصرار على ما يوجب نقمته. وأما القصر المشيد: فهوقصر بناه شداد بن عاد، لم يبن في الأرض مثله فيما ذكروا، وحاله أيضا كحال البئر المذكورة في إيحاشه بعد الأنس وإقفاره بعد العمارة، وأن أحدا لا يستطيع أن يدنومنه على أميال، لما يسمع من عزيف الجن والأصوات المنكرة بعد النعيم والعيش الرغد وبهاء الملك وانتظام الأهل، فبادوا/ وما عادوا، فذكرهم الله تعالى [14/د] في هذه الآية ذكرا وموعظة وتحذيرا من سوء عاقبة المعصية والمخالفة، نعوذ بالله

(1) حنظلة: نبي بعثه الله تعالى إلى أهل الرس، وهو الذي دعا على طير كانت تسمى العنقاء لبياض عنقها، وكانت تخطف الصبيان، فانقضت يوما على جارية، فدعا عليها النبي حنظلة فأصابتها الصاعقة فأهلكتها. تاريخ الخميس 1/ 200 وبلوغ الأرب 2/ 279. ومروج الذهب 1/ 72. والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 1/ 348.

(2) غار: غار الماء غورا: ذهب في الأرض وسفل فيها. اللسان: غور.

(3) ساقطة من: د.

(4) القتاد: شجر شائك صلب، له سنفة وجناة كجناة السمر ينبت بنجد وتهامة. انظر اللسان: قتد.

(5) زهير.

تعالى ونستجير به من سوء المآل والمآب والعقاب[1]][2].

حُكي أن نوحا، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، لما ركب في السفينة وحمل فيها من كل زوجين اثنين، رأى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح عليه الصلاة والسلام: ما أدخلك؟ قال: دخلت لأصيب قلوب أصحابك، فتكون قلوبهم معي وأبدانهم معك. فقال له نوح عليه السلام[3]: أخرج منها يا عدوالله، فإنك رجيم. فقال له إبليس: خمس أهلك بهن الناس، وسأحدثك بهن. أحدثك بثلاث ولا أحدثك باثنتين، فأوحى الله تعالى إلى نوح عليه السلام: قل له: لا حاجة لك إلى الثلاثة، مره يحدثك بالإثنتين. فقال له نوح عليه السلام: ما الإثنتان؟ قال: هما اللتان لا يكذبا ولا يخالفا وبهما أهلك الناس وهما: الحسد والحرص، بالحسد لعنت وطردت وجعلت شيطانا رجيما، وبالحرص أبيح لآدم الجنة كلها فأصبت حاجته منه بالحرص[4].

حُكي أن عبد الله بن جدعان[5] كان في ابتداء أمره صلعوكا ترب اليدين[6]، وكان مع ذلك شريرا فاتكا لا يزال يجني الجنايات، فيعقل عنه أبوه وقومه حتى أقصته/ عشيرته ونفاه أبوه وحلف لا يأويه أبدا، فخرج في شعاب مكة حائرا فرأى [15/ج] شقا في جبل، فظن فيه حية/ فتعرض للشق يرجوأن يكون فيه ما يقتله فيستريح، [12/هـ] فلم ير شيئا فدخل فيه، فإذا فيه ثعبان عظيم له عينان تقدان كالسراجين، فتقدم إليه فانساب عليه، فصفر به الثعبان، فأقبل عليه كالسهم فإذا هومصنوع من ذهب

(1) انظر التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام: 215.

(2) نهاية الخرم في: ب.

(3) ج، هـ: على نبينا وعليه الصلاة السلام.

(4) إحياء علوم الدين للغزالي 3/ 32 وتاريخ الخميس 1/ 71. انظر العرائس.

(5) هو عبد الله بن جدعان بن عمروبن كعب بن سعد بن تيم بن مرة سيد بني تيم. انظر طبقات فحول الشعراء 1/ 264 (وفيه أشار المحقق إلى أنه كان يسمى حامي الذهب)- والمحبر:137. والأغاني 17/ 180، 192، 193، 299. والبداية والنهاية1/ 217.

(6) ترب اليدين: أي فقير، رجل ترب: فقير. اللسان: ترب.

وعيناه ياقوتتان(1) فكسره وأخذ عينيه ودخل البيت، فإذا جثث طوال على سرر(2) وعند رؤوسهم لوح من فضة فيه تاريخهم، وإذا هم رجال من ملوك جرهم وفيه مكتوب هذه الأبيات:

[الخفيف]

قد قطعت البلاد في طلب الثر ... وة والمجد، قالص الأثواب(3)

وضربت البلاد قفراً لقفر ... بقناة وقوة واكتساب

فأصاب الردى لباب فؤادي ... بسهام من المنايا صياب

فانقضت مدتي وأقصر عمري ... واستراحت عواذلي من عتاب(4)

ودفعت السفاه بالحلم لما ... نزل الشيب في محل الشباب(5)

قال: وإذا في وسط البيت كوم عظيم من الياقوت واللؤلؤ والزبرجد والذهب/ [11/ب] والفضة. قال الراوي: فأخذ منه ما أخذ ثم إنه علم باب الشق بعلامة وستر بابه بالحجارة وجعل يسترضي من بينه وبينه جرح وينفق منه في قومه حتى سادهم، فصار يفعل المعروف ويطعم الطعام(6). قال النبي ﷺ: «كنت أستظل بقصعة عبد الله بن جدعان من الحر ومن الهجير»(7). أو كما قال ﷺ. فقالت عائشة:/ [15/د] «يا رسول الله! إنه كان يطعم الطعام ويفعل المعروف هل ينفعه ذلك؟/ [8/أ] فقال ﷺ: لا، لأنه لم يقل رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»(8) أو كما قال رسول الله ﷺ.

(1) أ: ياقتتان. هـ: ياقوتتان من ذهب.

(2) أ، ب، سرور.

(3) قالص الأثواب: ناقص الأثواب، وقلص الظل أي نقص. اللسان: قلص.

(4) العواذل من النساء: جمع عاذلة ويجوز العاذلات. والعذل: اللوم. اللسان: عذل.

(5) الأبيات وردت في حياة الحيوان الكبرى 1 / 249 وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام 2 / 126 ونشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب: 288.

(6) الحكاية وردت في المصادر السابقة مع اختلاف الروايات.

(7) الحديث لم أقف عليه.

(8) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل. 1/ 196، ومسند أحمد بن حنبل 6/ 120

حُكي أن كرسي سليمان، عليه الصلاة والسلام، كان من العجائب. قلت: وقد تقدم ذكره لكن رأيته[1] هنا أكمل وأحسن فأحببت إيراده كما رأيته. يروى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: كان يوضع لسليمان، عليه الصلاة والسلام، ستمائة كرسي، ثم يأتي أشراف[2] الناس فيجلسون مما يلي الإنس، ثم يدعو الطير فتظلهم، ثم يدعو الريح فتحملهم فتسير[3] مسيرة [شهر][4] غدوا ورواحا، وذلك أن سليمان، عليه الصلاة والسلام، لما ملك بعد أبيه أمر باتخاذ كرسي يجلس عليه للقضاء، وأمر أن يعمل عملا بديعا مهولا بحيث إذا رآه مبطل أو شاهد زور ارتدع وبهت، فأمر أن يعمل من أنياب الفيلة مرصعا بالدر والياقوت والزبرجد، وأن يحف بأربع نخلات من ذهب، شماريخها[5] الياقوت الأحمر، واتخذوا عناقيدها من الزبرجد الأخضر على رأس كل نخلتين منهما طاووسان من ذهب وعلى رأس كل نخلتين نسران من ذهب يقابل بعضهما بعضا. وجعل في جانب/ الكرسي [16/ج] أسدين من ذهب، على رأس كل منهما عمود من الزبرجد الأخضر، وقد عقدوا على النخلات أشجار كروم من الذهب الأحمر، واتخذوا عناقيدها من الياقوت الأحمر، بحيث أظل عروش الكروم الكرسي والنخل، وكان سليمان، عليه الصلاة والسلام، إذا أراد صعود الكرسي وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسي كله بما فيه دوران الرحى المسرعة، وتنشر تلك النسور أجنحتها ويبسط الأسدان أيديهما ويضربان الأرض بأذنابهما، فإذا استوى إلى أعلاه أخذ النسران اللذان على النخلتين تاج سليمان، على نبينا وعليه/ الصلاة والسلام، فوضعاه على [13/هـ]

---

(1) ب: رأيناه.

(2) أ، هـ: أشرف. ب: أشكر.

(3) ج، د، هـ: وتسير.

(4) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(5) واحدها شمراخ وهو عسقبة من عذق عنقود، ويقال: شمرخ العذق أي أخرط شماريخها بالمخلب قطعا. انظر اللسان: شمرخ

رأسه، ثم يستدير الكرسي بما فيه دوران الرحى المسرعة فيدور معه النسران اللذان على النخلتين والطاووسان والأسدان مائلان برؤوسهما إلى سليمان، عليه السلام، وتنضح عليه من أفواهها المسك والعنبر، ثم تناوله جامة[1] من ذهب قائمة على عمود من أعمدة الجوهر. فوق الكرسي التوراة، فيفتحها سليمان، عليه السلام،/ [12/ب] ويقرأها على الناس ويدعوهم إلى فصل القضاء ويجلس عظماء بني إسرائيل على كراسي الذهب المرصعة بالجوهر وهي ألف كرسي عن يمينه، ويجلس عظماء الجن على كراسي الفضة عن يساره، وهي ألف كرسي ثم تحف بهم الطير تظلهم ويتقدم الناس لفصل القضاء وفصل الخصومات، فإذا تقدمت الشهود للشهادات دار الكرسي، بما فيه وعليه، دوران الرحى المسرعة، وينشر النسران والطاووسان أجنحتهما فيفزعون الشهود، فلا يشهدون إلا بالحق، فلما مات سليمان، عليه الصلاة والسلام، حمله بختنصر[2] إلى أنطاكية وأراد/ أن يصعد عليه فلم يستطع، [16/د] وضرب النسران رجله[3] فكسراها ثم هلك بخت نصر وحمل الكرسي إلى بيت المقدس فلن يستطع ملك قط أن يجلس عليه، ولم يدر أحد أمره ولعله رفع والله أعلم[4].

حُكي عن ابن عباس رضي الله عنهما[5] أنه قال: لما ظهر سيف بن ذي يزن بالحبشة أتته وفود العرب وخطباؤها وشعراؤها يهنونه بأخذ ثأره ومصير الملك

---

(1) جامة: جمعها الجام وجامات وهي مؤنثة أي الجام. والجام إناء من فضة. اللسان: جوم.

(2) زعم أهل الأخبار أن بختنصر هذا اسمه بخترشه، وأنه رجل من العجم من ولد جوذرز، وأنه عاش دهرا طويلا، وأنه أجلى اليهود من بيت المقدس وأعمل فيهم السيف، لأنهم كفروا وجحدوا نبوة نبي منهم أرسله الله إليهم. وقد اختلف الرواة في سبب خروجه إليهم. انظر الطبري 1/ 252 - 291 . وتاريخ الخميس 1/ 144-145. والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 1/ 348-349.

(3) أ: رجليه.

(4) الحكاية وردت في العرائس: 307.

(5) هـ: عنه.

إليه. قال: فوفد عليه وفد قريش وفيهم شيبة [الحمد][1]، عبد المطلب بن هاشم، وأمية بن عبد شمس[2]، قال: فاستأذنوا عليه، وهو في قصر له يسمى غمدان[3] بصنعاء اليمن، فأذن لهم، فدخلوا عليه، فإذا هو متضمخ[4] بالمسك وعليه بردان، والتاج على رأسه، وسيفه[5] بين يديه وملوك حمير عن يمينه وشماله فاستأذن عبد المطلب في الكلام فقال له: إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك. فقال عبد المطلب: أيها الملك إن الله تعالى قد أحلك محلا باذخا[6] منيعا شامخا، نبت أصلك وبسق فرعك بأحسن معدن وأطيب موطن، فأنت، أَبَيْتَ اللعن/ ملك [9/أ] العرب الذي له تنقاد، وعمودها الذي عليه/ الاعتماد، وسائسها الذي بيده القياد. [17/ج] سلفك خير سلف، وأنت لنا منهم خير خلف، لن يجهل من هم سلفه، ولن يهلك من أنت خلفه. نحن، أيها الملك، أهل حرم الله وسدنة بيته[7]. فقال الملك: من أنت أيها المتكلم؟ فقال: أنا عبد المطلب بن هاشم. قال: ابن أختنا؟ قال: نعم. قال: فأقبل عليه من بين القوم وقال: مرحبا وأهلا وناقة ورحلا ومناخا وسهلا، قد سمعت مقالتكم وعرفت قرابتكم. أنتم أهل الليل والنهار والأصل والدمار، لكم الكرامة إن أقمتم، والحباء[8] إذا رحلتم. ثم أمر بهم إلى دار الضيافة وأجرى

---

(1) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(2) هو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمه تعجز بنت عبيد بن رواس بن كلاب. انظر جمهرة النسب: 148.

(3) غُمدان بضم العين وتسكين الميم. حصن في رأس جبل باليمن كان لآل ذي يزن. وهناك من صحفه فصار غمدان بالغين. معجم البلدان 6/ 219. وفي الأغاني 17/ 302 غمدان: اسم لقصر كان لسيف بن ذي يزن.

(4) متضمخ: متلطخ بالمسك. اللسان: ضمخ.

(5) ب، د: سيف.

(6) باذخا: أي عاليا. اللسان: بذخ.

(7) سدنة بيته: خدمته وحجابه. اللسان: سدن.

(8) الحِبَاء: العطاء بلا من ولا جزاء. اللسان: حبا.

عليهم ما يقوم بهم، فأقاموا شهرا لا يؤذن لهم ولا يصلون إليه، ثم إنه انتبه إليهم انتباهة فأرسل إلى عبد المطلب خاصة، فأتاه فاختلى به، ثم قال له: إني مفض[1] إليك بسري وعلمي، فليكن عندك مصونا حتى يأذن الله فيه[2] بأمره. فقال: نعم. فقال: إني أجد في الكتاب الناطق، والعلم الصادق الذي اخترناه لأنفسنا وتخيرناه دون غيرنا، خبرا عظيما وأمرا جسيما، فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة، وهوللناس كافة ولقومك عامة، ولك خاصة، فقال عبد المطلب: أبيت اللعن، أخبرني بها أزداد به سرورا. قال نبي هذا حينه الذي يولد فيه، اسمه/ محمد وهو [13/ب] خدلج[3] الساقين[4] أنجل العينين[5]، بين عينيه علامة وبين كتفيه شامة، أبيض كأن وجهه فلقة القمر[6]، يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه، والله باعثه جهارا وجاعل له منهم أنصارا ليعز بهم/ أولياؤه ويذل بهم أعداؤه، يكسر الأوثان [14/هـ] ويعبد الرحمان ويخمد النيران ويزجر الشيطان. قوله فصل، وحكمه عدل، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فقال عبد المطلب: عز جدك وعلا كعبك[7] وطال عمرك ما دجى الليل وأضاء النهار، زدني في الإيضاح. فقال الملك: والبيت ذي الحجب والعلامات والنصب، إنه يا عبد المطلب لجد غير لعب، وحق غير كذب.

قال: فخر عبد المطلب ساجدا/ ثم رفع رأسه، فقال له الملك: طاب صدرك، وعلا [17/د] أمرك، وبلغت أملك في عقبك، هل أحسست بشيء مما ذكرت لك؟ قال: نعم. كان لي ابن كنت عليه شفيقا وبه رفيقا، زوجته كريمة من كرائم قومي وهي: آمنة

---

(1) أ، ب، د: مفضي.

(2) ساقطة من: ب، د.

(3) ب: خديج.

(4) خدلج الساقين: عظيمهما. اللسان: خدلج.

(5) أنجل العينين: واسع العينين. اللسان: نجل.

(6) أ: قمر.

(7) علا كعبك: علا شرفك، رجل عالي الكعب، يوصف بالشرف والظرف. اللسان: كعب.

بنت وهب بن عبد مناف، فجاءت بغلام خدلج الساقين أنجل العينين بين كتفيه شامة وبه، كما يقول الملك، علامة. مات أبوه وأمه وكفله جده وعمه. فقال له الملك: إن الذي قلته لك حق، فاحتفظ على ابنك من اليهود، فإنهم له أعداء، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا، والله مظهر دعوته وناصر دينه وشيعته فاكتم ما ذكرت لك واستره دون هؤلاء الرهط الذين معك، فلست بآمن أن/ تدخلهم النفاسة [18/ج] من أن تكون لكم دونهم الرياسة، فينصبون له الحبائل، ويطلبون له الغوائل، وهم فاعلون ذلك وأبناؤهم، ولولا علمي بأن الموت مطلبي، لسرت إليه بخيلي ورجلي وصيرت يثرب دار ملكي، فأكون أخاه ووزيره وصاحبه وظهيره، فإني أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون أن يثرب فيها إحكام أمره، وبها أصل نصره، وارتفاع ذكره، وموضع قبره. قال: ثم أمر لكل رجل من القوم بعشرة أعبد وعشرة إماء سود وحلتين من حلل البرود، وعشرة أرطال فضة وخمسة أرطال ذهبا. قال: وأمر لعبد المطلب بعشرة أمثال ذلك، وقال له: إذا كان رأس الحول فأتني بخبره وما يكون من أمره. قال: فمات الملك قبل ذلك، فكان عبد المطلب يقول لأصحابه بعد ذلك: لا يغبطني[1] أحد بعطاء الملك ولكن يغبطني[2] بما أسر إلي، فيقال له: ما هو؟ فيسكت[3].

حُكي أن قس بن ساعدة[4] كان حكيم العرب يقر بالبعث، وهو الذي يقول: من عاش مات ومن مات فات، وكل ما هو آت آت. وقد ضربت العرب

---

(1) أ: يقبضني

(2) أ: يقبضني

(3) الحكاية وردت في التيجان: 65. والعقد الفريد 2/ 23-28. وبلوغ الأرب 2/ 266. والشهب اللامعة: 125 والبداية والنهاية 2/ 328.

(4) قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك بن ايدعان بن النمر بن واثلة بن الطمثان بن زيد مناة. توفي نحو 23 ق هـ. وهو خطيب العرب وشاعرها وحليمها وحكيمها، وأول من قال في كلامه: أما بعد. انظر الأغاني 15/ 236. وشعراء النصرانية: 211.

بحكمته[1] وعقله الأمثال، فقدم على رسول الله ﷺ وفد من إياد[2]، فسألهم عنه، فقالوا: [مات][3]. فقال رسول الله ﷺ: «رحمه الله، كأني أنظر إليه بسوق عكاظ، وهوعلى جمل أحمر وهو يقول: أيها الناس، اجتمعوا واسمعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت/ آت، أما بعد: فإن في السماء لخبر وفي الأرض [10/أ/14/ب] لعبر. نجوم تمور[4] وبحور تفور، وسقف مرفوع، ومهاد موضوع. أقسم قس بالله قسما، أن لله دينا هوأرضى من دين أنتم عليه، ما للناس يذهبون فلا يرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا، أم تركوا فناموا؟ سبيل مؤتلف وعمل مختلف، وقال أبياتا لا أحفظها».فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنا أحفظها يا رسول الله. فقال: هاتها. فقال:

[مجزوء الكامل]

في الذاهبين الأوليـ ... ـن من القرون، لنا بصائر
لما رأيت مواردا ... للموت، ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها ... يسعى الأوائل والأواخر[5]
لا يرجع الماضي، ولا ... يبقى من الماضين غابر[6]
أيقنت أني، لا محا ... لة، حيث صار القوم صائر[7]/ [18/د]

(1) ب، د: بعقله وحكمته.

(2) إياد: بطن عظيم من العدنانية وهم بنو إياد بن نزار بن معد بن عدنان، كان لهم شرف في أهل تهامة، ولهم منزلة وعز ومنعة. معجم القبائل: 1/ 52.

(3) زيادة من طرة: ج.

(4) مار الشيء يمور مورا: أي تحرك وذهب. اللسان: مور.

(5) في البيان والتبيين: يمضي الأصاغر والأكابر، وكذا في مروج الذهب، وشعراء النصرانية.وفي البداية والنهاية: يسعى الأصاغر والأكابر.

(6) في البيان والتبيين: يبقى من الباقين غابر، وكذا شعراء النصرانية. وفي البداية والنهاية: لا من مضى يأتي إليك ولا من الباقين غابر.

(7) الأبيات وردت في البيان والتبين 1/ 308-309 ومروج الذهب1/ 78-79. وشرح المقامات للشريشي 2/ 185 والبداية والنهاية 2/ 230. والتذكرة الحمدونية 6 / 252 والحماسة البصرية 2 / 406 ومجانين الأدب 4 / 296.

فقال رسول الله ﷺ: «يرحم الله قسا، إني لأرجو أن يبعث أمة وحده»[1] أو كما قال ﷺ.

[15/هـ] ومن كان من/ أهل الفترة: أمية بن أبي[2] الصلت الثقفي[3] وكان شاعرا عاقلا، وكان يتجر إلى الشام فيلقى[4] أهل الكتابين، اليهود والنصارى، ويقرأ[5] الكتب، [19/ج] وقد علم أن شيئا يبعث في العرب، وكان يقول أشعارا يصف فيها/ السماوات والأرض والملائكة والأنبياء ويذكر البعث والنشور والجنة والنار ويعظم الله تعالى وحده، فمن ذلك قوله:

[المنسرح]

الحمد لله لا شريك له ... من لم يقلها فنفسه ظلما[6]

ووصف أهل الجنة ببعض كلماته فقال:

[الوافر]

فلا لغو ولا تأثيم فيها ... ولا غول ولا فيها مليم[7]

وفيها لحم ساهرة[8] وبحر ... وما فاهوا به أبدا مقيم[9]

(1) الحديث رواه الطبراني في المعجم الكبير وابن كثير في البداية والنهاية 2/ 230 مع اختلاف الروايات. والحكاية كلها وردت في البيان والتبيين 1/ 308 والأغاني: 15.

(2) ساقطة من: ب، د.

(3) هو أمية بن أبي الصلت عبد الله بن أبي ربيعة، ويقال أبو الحكم. شاعر جاهلي، قدم دمشق، قبل الإسلام وكان في أول أمره على الإيمان ثم زاغ عنه. ويقال إنه هو الذي أراده الله بقوله ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين﴾. انظر ترجمته الأغاني 17/ 303. البداية والنهاية 2/ 220.

(4) د: فيقى.

(5) د: بقى.

(6) البيت ورد في مروج الذهب 1/ 78. والأغاني 5/ 10.

(7) غاله الشيء غولا واغتاله: أهلكه وأخذه من حيث لم يدر. اللسان: غول.

(8) الساهرة: وجه الأرض العريضة البسيطة، وقد سميت بهذا الاسم لأن فيها الحيوان نومهم وسهرهم. اللسان: سهر. وقد استشهد صاحب اللسان بالبيت نفسه مع اختلاف رواية الشطر الثاني منه.

(9) البيتان وردا في الديوان وورد البيت الأول في مروج الذهب 1/ 79 برواية: فلا لغو ولا تأثيم فيها وما فاهوا به لهم مقيم.

ولما بلغه ظهور النبي ﷺ، اغتاظ وتأسف وأتى المدينة ليسلم، فرده الحسد، فرجع إلى الطائف، فبينما هوذات يوم وهويشرب خمرا، إذ وقع غراب فنعق ثلاثة أصوات ثم طار فقال أمية: أتدرون ما يقول هذا الغراب؟ فقالوا: لا. فقال: إنه يقول: إن أمية لا يشرب الكأس الثالثة حتى يموت. ثم قال: أقسمت لا كذبته، حثوا كأسكم، فحثوها فلما انتهت إليه الكأس الثالثة أغمي عليه، فسكت طويلا ثم أفاق، ثم قال: لبيكما، لبيكما ثم سكت، ثم أفاق وقال: لبيكما لبيكما ها أنذا لديكما، ثم سكت ثم أفاق وقال:

[الرجز]

إن تغفر، اللهم، تغفر جما — وأي عبد لك لا ألما[1]

ثم سكت ثم أفاق وقال:

[الخفيف]

إن يوم الحساب يوم عظيم — شاب فيه الصغير يوما طويلا[2]

ليتني كنت قبل ما قد بدا لي — في رؤوس الجبال أرعى الوعولا/ [3] [15/ب]

كل عيش وإن تطاول دهرا — صائر أمره إلى أن يزولا[4]

ثم شهق شهقة وفارق[5] الدنيا.

(1) البيت ورد في مروج الذهب 1/ 79 والأغاني 4/ 131 وشعراء النصرانية: 225 والبداية والنهاية بالرواية نفسها.

(2) هذا البيت غير وارد في الأغاني والبداية والنهاية وشعراء النصرانية. وقد ورد في مروج الذهب بالرواية التالية: شاب فيها الصغير فيها شيبا طويلا.

(3) الوَعْل والوَعِل والجمع أوعال ووُعول: وهو تيس الجبال. اللسان: وعل. وفي رواية ابن كثير: في قلال الجبال.

(4) رواية ابن كثير: صائر مرة إلى أن يزولا. الأبيات وردت مع الحكاية في مروج الذهب 1/ 79 والأغاني 17 والبداية والنهاية 2/ 220-225.

(5) ب: فرق.

حُكي أن قوم لوط كانت فيهم خصال أهلكهم الله تعالى بها، كانوا يتغوطون في الطرقات، وتحت الأشجار المثمرة، وفي المياه الراكدة، وفي شطوط الأنهار، وكانوا يخذفون[1] بالحصى فيعورون الناس، وإذا اجتمعوا في المجالس أظهروا المنكر[2] بإخراج الريح منهم واللطم في الرقاب أي في رقابهم، وكانوا يرفعون ثيابهم قبل أن يتغوطوا ويأتون الفاحشة الكبرى وهي اللوطية. قال تعالى: ﴿إنكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل وتاتون في ناديكم المنكر﴾[3]. والنادي: المجلس، ويلعبون بالحمام ويرمون بالجلاهق[4] ويضربون بالدفوف، ويشربون/ الخمور، ويقصون [11/أ] اللحى، ويطولون/ الشوارب، ويكثرون التصفيق، ويلبسون الحمرة، وإنما حملهم [19/د] على إتيان الرجال، أنهم كانت لهم ثمار فأصابهم قحط وقلت الثمار فقالوا: بأي شيء نمنع ثمارنا من الناس حتى لا يطرقونها؟ فاتفقوا أن من وجدوه فيها نكحوه ففعلوا، وما سبقهم بها من أحد من العالمين.

[20/ج] قوله/ الجلاهق: هي قسي البندق. وقوله: واللطم في رقابهم: لعله الذي يقال له: الصك[5] الآن، ولم يعلم غير ذلك[6].

حُكي أن يعقوب النبي، على نبينا وعليه[7] الصلاة والسلام، كان أبر الناس

(1) الخذف: رميك بعصاة أو نواة. تأخذها بين سبابتيك، أو تجعل مخذفة من خشب ترمي بها بين الإبهام والسبابة. وخذف بالشيء، أي رمى. اللسان: خذف.

(2) ج: السكر.

(3) العنكبوت: 29.

(4) الجلاهق: البندق، ومنه قوس الجلاهق. اللسان: جهلق.

(5) الصك: الضرب الشديد بالشيء العريض وقيل: هو الضرب عامة بأي شيء كان. صكه يصكه صكا. اللسان: صكك.

(6) انظر العرائس: 105. والطبري 1/ 150، برواية مختلفة.

(7) أ: عليه وعلى نبينا.

بأمه لأنه كان برها وهو في بطنها، وذلك أن[1] أم يعقوب حملت في بطن واحد بولدين في حمل واحد توأمين، فلما كملت[2] عدة أشهر الحمل وجاء وقت الوضع تكلما في بطنها وهي تسمع كلامهما. فقال أحدهما للآخر: طرق لي طريقا حتى أخرج قبلك، ولئن خرجت قبلي لأخرجن من خصرها بعد شق بطنها. فقال له اللآخر: اخرج قبلي ولا تقتل أمي. فخرج الأول فسمته[3] عيصو[4]، لأنه عصاها في بطنها، وخرج الآخر عقبه/ فسمته يعقوب لأنه خرج عقب الأول. [16/هـ] فنشأ عيصو على الفظاظة[5] والغلظة وحب الصيد والقنص، ونشأ يعقوب، عليه الصلاة والسلام، على الرحمة واللين، صاحب زرع وماشية. وكان أبوهما إسحاق، عليه الصلاة والسلام، يميل إلى عيصو لكثرة انتفاعه به، وكانت أمهما تميل إلى يعقوب لكثرة شفقته عليها. ثم إن الله تعالى ابتلى إسحاق بذهاب بصره فأظهر الصبر والتسليم، فنزل جبريل، عليه السلام، على إسحاق، عليه الصلاة والسلام، فقال له: إن الله تعالى قد رأى صبرك وقد عوضك عن بصرك دعوة يستجيبها لك في أحد ولديك فادع الله بها شئت. فدعا عيصو وقال له: يا بني اذهب فصد لي صيدا واشو لي لحمه فإنني أشتهي ذلك، ثم إيتني به، فإذا قضيت شهوتي أدعو لك بالدعوة التي وعدني بها ربي عز وجل، تسعد بها في الدنيا والآخرة، فخرج عيصوفي طلب الصيد، وكان يعقوب في ماشيته فأرسلت إليه أمه فأتى فقالت له: ارجع إلى غنمك فاذبح منها شاة ثم اشوِ/ لحمها ثم ادخُل على أبيك وتنكر في [16/ب] كلامك ثم قل له: هذا الذي أمرتني به ثم اسأله أن يدعو لك فتفوز بخير الدنيا والآخرة، فسار يعقوب عليه السلام وفعل ذلك، وأتى ومعه اللحم الذي اشتهاه

(1) ساقطة من: ب.

(2) أ: كانت.

(3) ب، ج، د، هـ: سمعته أمه.

(4) عيصو، وهو الذي تسميه العرب: العيص. البداية والنهاية 1/ 194.

(5) الفظاظة، رجل فظ: ذو فظاظة جاف غليظ، في منطقه غلظ وخشونة. انظر اللسان: فظظ.

فوضعه بين يديه، فقال له أبوه: اقرُب مني، ففعل فوضع يده عليه فقال: اللمس لمس عيصو والريح ريح يعقوب، فقالت الأم: هو ولدك فادع له، فمسح على ظهره وقال: اللهم اجعل جميع أنبيائك ورسلك، إلى النبي العربي الذي جعلته في صلب أخي إسماعيل، من نسل ولدي هذا إلى يوم القيامة. فقام يعقوب عليه السلام، وقد فاز بالدعوة، ثم أتى عيصوبالصيد وهو مشوي إلى والده، فقال له: من أنت؟ قال: أنا ولدك عيصو وقد فعلت ما أمرتني به، فقال له: ألم تأتني به قبل [20/د] ذلك؟ قال: لا. فقال [له الشيخ][1]: قد فاز بها أخوك، أي بالدعوة،/ دونك، فغضب عيصو على أخيه يعقوب من أجل ذلك وقال[2]: والله لأقتلنه، فقال له إسحاق عليه السلام[3]: يا بني![4] ذلك قدر الله ومراده، فارض به، ولا تغضب.

[21/ج] فصار عيصو يبغي بيعقوب المكائد/ وينصب له المصائد، فخافت أمه عليه وقالت له: يا بني! إن خالك بنجران[5]، فلوذهبت إليه وكنت عنده، فإني أرضى بفراقك لما أخاف عليك من بأس أخيك، ولا طاقة لك به، فكن عند خالك حتى يقضي الله تعالى بينكما بما شاء، فودعته أمه، وخرج يعقوب، عليه السلام، خائفا من [12/أ] أخيه عيصو، يسير الليل ويكمن النهار، فسمي إسرائيل عليه السلام./ قال ابن عباس رضي الله عنه: فقام يعقوب عليه السلام عند خاله بنجران، وكان صاحب غنم، في عام مجدب، وكان له بئر ترد منها غنمه، وكان أكثرمائها قد غاض، فشكا إلى يعقوب بذلك، فأخذ الرشاء وقام على البئر فملأ الدلوثم شرب منه، ثم رد باقيته في البئر، فإذا بالماء قد نبع وطلع إلى فم البئر، فأحبه خاله وعظم قدره عنده، وعرض عليه الزواج، وكان يعقوب، عليه السلام، قد رأى راحيل ابنة خاله

(1) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(2) ب، د: فقال.

(3) ب، ج، د، هـ: عليه الصلاة والسلام.

(4) ساقطة من: ب، د.

(5) نجران: من مخاليف اليمن من ناحية مكة. انظر معجم البلدان 8/ 258.

فمال إليها قلبه، وكانوا لا يزوجون الصغرى قبل الكبرى، فأجابه يعقوب عليه السلام إلى ذلك وهو يريد الصغرى، فزوجه خاله من ابنته الكبرى، فلما نظر إليها يعقوب عليه السلام، قال: يا خال! ليس هذا ما أردت، فقال له: يا ابن اختي! إنا لانزوج الصغرى قبل الكبرى، وقد زوجتك أختها الثانية استجلابا لمودتك ورضى لخاطرك، وعلوا لمقامك. فتزوج راحيل مع أختها، ففي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف﴾[1] أي حرام عليكم الجمع بين الأختين في النكاح إلا ما قد سلف،/ فإنه كان حلالا ثم حرم. على أن يعمل في [17/هـ] غنمه سبع سنين، فلما انقضت المدة اشتاق يعقوب، عليه السلام، إلى أهله وغلبه الشوق إليهم، فلما علم خاله بذلك شق عليه، واشتد عليه فراقه، وقال له: كيف ترجع إلى أهلك؟ بل أقم عندي سنةواجعل لك جعلا ترجع به إلى/ أهلك، فأبى [17/ب] عليه، ثم قال له: وما تجعل لي؟ قال: مهما وضعت الغنم عناقا[2] في هذه السنة فهي لك. قال: فجاء جبريل، عليه السلام، وقال له: يا يعقوب! اذهب إلى وادي كذا، تحت شجرة كذا، فاضربها بعصاك يسقط ورقها ودع الغنم ترعاه فإنها لا[3] تأكل منه شيئا إلا وضعت أنثى ففعل ذلك. قال: فجعلت الغنم لا تلد إلا إناثا، [فأخذ ما قال له خاله][4]، وسار[5] بأهله وماله وأولاده، وهم اثنا عشر ذكرا، وليس من راحيل سوى يوسف وأخيه بنيامين، عليهما الصلاة والسلام، وكان يعقوب عليه السلام، قد دعا زوجتيه إلى الله تعالى فأسلمتا. قال: فلما قربوا من كنعان[6]، وهي

---

(1) سورة النساء الآية: 23.

(2) العَناق: جذعة وهي الأنثى من أولاد المعز ما لم يقم له سنة. اللسان: عنق.

(3) ب، ج، هـ: ما تأكل. د: ما تأتي.

(4) ما بين معقوفين ساقط من ج

(5) ج: وصار.

(6) كنعان: قال الأزهري هو كنعان بن سام بن نوح إليه ينسب الكنعانيون، وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية، وقيل هو مكان من أرض الشام، وفيه كان مقام يعقوب بأرض نابلس، وبه الجب الذي ألقي فيه يوسف عليه السلام. معجم البلدان 7/ 286.

بلاد يعقوب، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، أخذ يعقوب أولاده فألبسهم أحسن الثياب وزينهم وقدمهم أمامه وقال لهم: يا بني! إذا رآكم رجل طويل أشقر ذو سلاح وقوة/ وقال لكم: من أنتم؟ فقولوا له: نحن أولاد يعقوب عبد عيصو، وقد اشتاق إلى رؤية سيده، فجاء يزوره هو وأهله وماله وولده. [21/د]

قال: وكان عيصو لما سمع بأخيه ووروده تقلد سيفه واشتمل على سلاحه فاستقبله/ أولاد يعقوب، عليه السلام. قال: فلما نظر إليهم رأى شكلا حسنا وهيئة عظيمة مهيبة. قال: فتقدم إليهم وقال: من أنتم، وكيف وصلتم أرضنا؟ فقالوا له: نحن عبيد عيصوأولاد عبده يعقوب، وقد جئنا نحن وأبونا لسيدنا نزوره. قال: فلما قالوا ذلك رق لهم ودمعت عيناه، ورمى سلاحه وقال: أخي وابن أمي يعترف لي بالعبودية وأنا أحقر قوته وأنكر فضله، وأنا أريد قتله. قال: فتلاقيا واعتنقا، فقال له يعقوب، عليه الصلاة والسلام: يغفر الله لك يا أخي، كل مالي وأولادي وروحي بين يديك فافعل ما تريد قال: فبكى عند ذلك عيصو وقال له: يا أخي! البلاد بلادك فافعل فيها ما تشاء. قال: فبقيا في نعمة وغبطة وسرور، وسر الوالدان بهما برهة من الزمن. وقيل: إن يعقوب وعيصو ماتا في يوم واحد ودفنا في قبر واحد وكان يعقوب، عليه السلام، يحب من أولاده، يوسف وأخاه بنيامين، عليهما الصلاة والسلام، وذلك لأن أمهما راحيل ماتت في نفاس بنيامين، فضمهما بعد موتها إليه، وكان له عليهما زائد شفقة، دون إخوتهما، وكان يوسف/ أعزهما عليه، لما يرى منه من الصدق والفتوة والجمال الذي فاق به أهل الدنيا، وكان إخوته يحسدونه على ذلك، فقيل: إن يوسف، عليه الصلاة والسلام، رأى ثلاث منامات[1].المنامة الأولى: رأى، وهوفي حجر أبيه، كأنه خرج مع إخوته يحتطب فيجمع كل واحد منهم حزمة حطب واحتزمها، وإذا حزمة كل واحد [22/ج] [13/أ]

---

(1) المنام والمنامة: رؤية النوم، وفي التنزيل ﴿إذ يريكهم الله في منامك قليلا﴾. انظر اللسان مادة: نوم.

من إخوته تسجد لحزمته. قال[1]: فأخبر أباه بذلك فقال له أبوه[2]: يا بني! [إني][3] أخاف عليك من هذه الرؤيا، ولم يأمره بالكتمان، فقص المنامة[4] على إخوته، قال: فاغتاظوا لذلك وزاد حسدهم له. فلما/ كان بعد سنة من الرؤيا نام في حجر أبيه، [18/ب] ثم انتبه فزعا مرعوبا، فقال لأبيه: ﴿**يا أبت! إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين**﴾[5] قال: فعلم أبوه أن الأحد عشر كوكبا إخوته وأن الشمس والقمر أبوه وخالته لأنها مقام الأم. فعبر له/ رؤياه، ونهاه أن يذكرها [18/هـ] لإخوته. فقال له: ﴿**يا بني! لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا، إن الشيطان للإنسان عدو مبين**﴾[6]. قال وخرج يوسف، عليه السلام، برؤياه، وحذر ما حذره أبوه منه، ثم غلب أمر الله تعالى، وأنساه الشيطان وصية أبيه، فذكر ذلك لإخوته فزاد همهم بأمره وتشاوروا في شأنه، ثم بعد ذلك رأى رؤيا ثالثة، وذلك أنه كان لكل واحد منهم قضيب، فرأى، وهو نائم في حجر أبيه، رؤيا فانتبه وقال: يا إخوتي! رأيت رؤيا. فقالوا له: وما رأيت؟ قال لهم: رأيت كأن قضيبي غرس في الأرض وغرست قضبانكم في الأرض حوله، ورأيت قضيبي قد اخضر وأورق وأثمر، ورأيت قضبانكم قد اضمحلت/ فتلاشت كأن لم تكن. قال: [22/د] فزاد ذلك في غيظهم وتأكدت عداوتهم له، وكان ذلك قبل أن يوتيهم الله النبوة.

فقال بعضهم لبعض: لابد لابن راحيل أن يقول: أنتم/ عبيدي وأنا سيدكم، [23/ج] ألا تنظرون إلى أبيكم كيف يخصه بالقرب ونحن يخصنا بالبعد، وأنتم تكابدون بِرَعْيِ الأغنام الشدائدَ، فانظروا في شأنكم قبل أن يتعاظم أمره عليكم. ﴿**اقتلوا**

(1) ساقطة من: ب، د.

(2) ساقطة من: ب، ج، د، هـ.

(3) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(4) أ، ب، د، ج: المنام.

(5) يوسف: 4.

(6) يوسف: 5.

يوسف أواطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين﴾[1]. قال: وتشاوروا في البطش به وعلموا أن ذلك لا يكون، لأجل يعقوب، عليه السلام، ولم يهتدوا الحيلة يفعلونها، فأتوا يوسف، عليه السلام، وشوقوه للتنزه والتفرج. وقالوا: هذا أوان الألبان ونتاج الأغنام وأتوا يعقوب، عليه السلام، وقالوا: يا أبانا! أرسل معنا أخانا يتنزه ويتفرج ويرتع ويتنعم ويلعب. فقال: لا أقدر على مفارقته؛ لأني لا أصبر عليه[2] ساعة، فإني رأيت رؤيا وهي: كأني على ذروة جبل، ورأيت يوسف في بطن الوادي، وأنا أنظر إليه إذ احتوشته[3] عشرة من الذئاب يريدون قتله، وأنا أريد حمايته فلا أجد إلى ذلك سبيلا، فجاء أحد الذئاب فحماه ثم انشقت له الأرض فتوارى فيها ثلاثة أيام، و﴿إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذيب﴾[4]. قال ابن عباس رضي الله عنه: العشرة ذئاب: إخوته. والذئب الذي حماه: هوأخوه يهوذا، وشق الأرض: هوالجب الذي ألقي[5] فيه. والثلاثة أيام هي[6]: تواريه ثلاث ليال. فقالوا: ﴿لئن أكله الذيب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون﴾[7]. ثم عمدوا إلى أخيهم وشوقوه إلى الفرجة والنزهة، كما تقدم، فجاء معهم إلى أبيه، وجعل يتملى[8] بين يديه حتى رق له أبوه. فقال له: يا حبيبي! إن أردت أنت ذلك فنعم. إذا كان هذا غدا فاذهب معهم، فسر الإخوة بذلك وباتوا في أغبط ليلة، وبات يوسف، عليه السلام، يقول: ما أطولها من ليلة! وبات

(1) يوسف: 9.

(2) أ، ج، هـ: عنه.

(3) احتوش القوم على فلان: جعلوه وسطهم. انظر اللسان: حوش.

(4) يوسف: 13.

(5) أ: وضع.

(6) ج، د: هو.

(7) يوسف: 14.

(8) يتملى: أمله وأمل عليه: أبرمه وأكثر عليه في الطلب حتى يشق عليه. المعجم الوسيط 2/ ملل.

يعقوب، عليه السلام يقول: ما أقصرها من ليلة. فلما أصبح قمصه وعممه بعمامته وجعل في وسطه وشاحا وفي عنقه قلادة، وطلب إناء فملأه لبنا ووعاء فملأه تمرا وطعاما، ووثق بقولهم: ﴿وإنا له/لحافظون﴾[1] وجعل يوصيهم به ويقول: يا بني! [19/ب] أنتم تعرفون حبي له، وكلفي به، وإنه إن غاب عني ساعة واحدة لا يقر لي قرار ولا يطيب لي عيش، فإذا جاع فأطعموه، وإذا عطش فاسقوه/ وإذا عيي فاحملوه [14/أ] ولا تهملوه، وعجلوا بردكم إياه إلي، فإني في انتظاره ثم سار يشيعهم ميلا بعد ميل، وهم يحملونه على أعناقهم، وحلفوا على أبيهم أن يرجع. قال: فعانقه وقبله بين عينيه، وجعل ينظر إليه ثم ساروا به وصعد يعقوب، عليه السلام، على جبل عال ينظر إليهم فما داموا ينظرونه حملوه على أعناقهم، فلما غاب وارتفع نظره عنهم رماه الذي حمله منهم على عنقه رمية كادت أضلاعه تتكسر منها،/ فقال [23/د] له يوسف، عليه السلام، يا أخي! ما حملك على ما صنعت؟ واستغاث بإخوته، فأقبلوا إليه، فوجد من كل واحد شدة أعظم من الآخر، ومضوا عنه، وتركوه في الوادي وحده من غير أنيس، فتبعهم/ وجعل يقفو أثرهم وينادي كل واحد [19/هـ] باسمه، وهم لا يلتفتون إليه ولا يردون/ عليه جوابا، فاشتد عليه حر الشمس [19/ج] فعطش. فقال: يا أخي روبيل! اسقني فإن العطش قد أضر بي، فعمد إلى الماء وأراد أن يسقيه فمنعه إخوته من ذلك وقالوا: يا صاحب الأحلام الكاذبة! ادع الشمس والقمر والكواكب لتسقيك وتطعمك. قال: فلما تحقق حقدهم عليه من أجل الرؤيا، جعل يقبل أقدامهم ويقول لهم: يا إخوتي! ارحموا حداثة سني وقلة حيلتي، وارحموا أباكم، فما أسرع ما نسيتم وصيته، وأضعتم حرمته. قال: فقالوا له: هذا اليوم آخر أيامك من الدنيا، فقال: يا إخوتي! لا تفعلوا ذلك، وأنا أكون لكم عبدا ما عشت ولا أخبر والدكم بما صنعتم بي، وأعطيكم بذلك عهد الله وميثاقه، ثم استغاث بروبيل وقال له: يا ابن خالتي وأخي! أنت الموكل بي،

(1) يوسف: 12.

والموصى علي من أبي، فارحم ذلي وأجرني مما نزل بي. قال: فلطمه لطمة خر مغشيا عليه منها، وقال له: لا قرابة بيني وبينك. فتعلق بأذيال يهوذا وقال له: أنت كبير القوم وأنت الشقيق لهم، وقد رأيت ما نزل بي، فأجرني منهم. قال: وجعل يبكي ويقبل قدميه، فألقى يهوذا نفسه عليه وقال: والله لا يصلون إليك، ولا إلى قتلك ما دمت حيا، ثم قال: يا إخوتي! أما تعلمون أن قتل النفس وسفك الدماء عند الله من أعظم الخطايا، فردوا هذا الصبي إلى أبيه، فقالوا له: إنك تريد أن تزداد حظوة عند أبينا، لئن لم تخل ما بيننا وبينه وإلا قتلناك معه. فقال: إذا أبيتم هذا فألقوه في هذا الجب الموحش، فإنه لا يخلومن الأفاعي والحيات فإن لذغه شيء منها فمات فهوالمراد، وإن نجا والتقطه بعض السيارة يذهب به إلى أقصى البلاد وخلا لكم وجه أبيكم. قال: فاتفق رأيهم على ذلك، فقام عنه، ثم أوثقوه كتافا بالحبال ونزعوا عنه قميصه، فتعلق بكم القميص وقال: يا إخوتي! اتركوه لي فإن عشت واريت به سوءتي وإن مت كان كفني. فلم يلتفتوا إلى قوله، بل نزعوه عنه، ثم ألقوه في الجب، فعمد أحدهم/ إلى سكين فقطع الحبل الذي أدلوه به، فأوحى الله تعالى [20/ب] إلى جبريل، عليه السلام: أدرك عبدي قبل أن يهلك، فنزل جبريل، عليه السلام، وأطلع له صخرة كانت في قعر الجب، فرفعها إليه، وأنزله سالما عليها، وقال له: يا يوسف! ربك يقرئك السلام، ويخصك بالتحية والإكرام، ويقول لك: لا تجزع، وعزتي وجلالي لئن كانوا قطعوا الحبل الذي بينك وبينهم لا أقطع الحبل الذي بيني وبينك، وأنا على كل شيء قدير. قال: وكان الجب مأوى الحيات والأفاعي فلما أحست به قالت كل واحدة لصاحبتها: إياك أن تتحركي فإنه نزل بجواركن نبي. قال: فلم تخرج واحدة من وكرها.

[24/د] قال ابن/ عباس رضي الله عنه: فلما استقر يوسف، عليه السلام، في قعر الجب سالما وقد اطمأن من الأفاعي والمؤذيات جعل ينادي إخوته ويقول: يا إخوتي! إن

لكل ميت وصيته ووصيتي[1] إليكم: إذا اجتمعتم فاذكروا وحدتي، وإذا طعمتم[2] فاذكروا جوعتي، وإذا شربتم فاذكروا/ عطشتي[3]، وإذا أنستم فاذكروا وحشتي، [15/أ] وإذا رأيتم صورة حسنة فاذكروا صورتي/ وشبابي. فقال له جبريل عليه السلام: [25/ج] يا يوسف! أمسك عن هذا، واشتغل بالدعاء فإن الدعاء من الله سبحانه وتعالى[4] بمكان، وعلمه هذا الدعاء وهو: يا كاشف كل كربة! يا مجيب كل دعوة! يا جابر كل كسير! يا شاهد كل نجوى! يا دافع كل بلوى! يا سامع كل شكوى! يا مؤنس كل وحيد! يا صاحب كل فريد! لا إله إلا أنت سبحانك، اجعل/ لي من أمري [20/هـ] فرجا ومخرجا، وأن تقذف في قلبي حبك حتى لا يكون لي هم وشغل سواك، وأن ترحمني يا أرحم الراحمين. فقالت الملائكة: يا ربنا! إنا نسمع صوتا ودعاء. أما الصوت فصوت صبي، وأما الدعاء فدعاء نبي. فأوحى الله تعالى إليهم: إنه النبي يوسف، ثم أوحى الله تعالى إلى جبريل، عليه السلام: أن قل له: ﴿لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون﴾[5].

ثم إن يعقوب، عليه الصلاة والسلام، لما تأخروا عن الوقت الذي كانوا يروحون فيه بالأغنام أحس قلبه بالشر، فقام ليستقبلهم فلم يطق النهوض فتوكأ على جارية له، فجعل يمشي حتى رمى بنفسه على شفير الوادي ينتظرهم، فلما أشرفوا على الوادي شقوا أثوابهم وحثوا التراب على رؤوسهم، وجعلوا يدعون بالويل والثبور ويصيحون: يا أخانا يوسف! فلما سمع يعقوب عليه السلام أصواتهم لم يتمالك أن خر مغشيا عليه، فلما أفاق قال: يا بني! ما لكم، ومالي أسمع

(1) ج: وان وصيتي.

(2) ب، د: أطعمتم.

(3) أ: عطشي

(4) ساقطة من: ب، د.

(5) يوسف: 15.

عويلكم شديدا، وسلامكم ضعيفا ولا أرى قرة عيني فيكم؟ فقالوا كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذيب، وما أنت بمومن لنا ولوكنا صادقين﴾[1]. فرمى بنفسه إلى الأرض وخر مغشيا عليه ثانيا، فنضحوا عليه الماء فلم يفق، فنادوه: يا أبانا! فلم يجبهم: فجعل يهوذا يضع يده على مخارج نفسه فلم يجد نفسا، فصاح وقال: ويل لنا من ديان[2]. يوم الدين، ضيعنا أخانا وقتلنا أبانا، فلم يفق إلا ببرد السَّحَر، فأفاق/ ورأسه في حجر روبيل فقال: يا روبيل! ألم أجعلك خليفتي عليه، ألم أعهد إليك فيه عهدي؟ فقال روبيل: ﴿يا أبت! إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذيب﴾، فقال يعقوب عليه السلام: أكله ولم يترك عضوا من أعضائه فتأتوني به فأستأنس به، وأشم رائحته فيه، فقالوا هذا قميصه ملطوخ بدمه، وكانوا قد[3] ذبحوا شاة، فلطخوا القميص بدمها. قال: فقلبه[4] يعقوب، عليه السلام، فلم ير فيه شقا ولا تمزيقا، وشمه فلم يجد فيه ريح يوسف فقال: سبحان الله، ما كان أشفق هذا الذيب حتى[5] أكله ولم يمزق له ثوبا ولا أبقى له/ عضوا، ثم قال، وقد أحس قلبه وأوجس[6] في نفسه أن الذيب لم يأكله، وأنه أمسى مظلوما غريبا، فجعل يعقوب عليه السلام ينوح ويقول: قرة عيني، في أي بئر طرحوك، ليت شعري، لأي سبع عرضوك؟ ليت شعري، أطريح أم مطرود؟ أم قتيل؟ معشر أولادي دلوني على ولدي فإن كان حيا زرته وإن كان/ ميتا دفنته، فقال بعضهم لبعض: ألا ترون إلى أبينا لا يصدقنا فيما قلناه، فتعالوا نصطاد ذئبا، ونلطخه بالدم، ونقول له: هذا الذئب الذي أكله،

[21/ب]

[25/د]

[26/ج]

---

(1) يوسف: 17.

(2) الديان: من أسماء الله الحسنى ومعناه الحكم القاضي. اللسان: دين.

(3) أ: وقد كانوا ذبحوا.

(4) أ، ج: فقبله

(5) ب، ج، د، هـ: حيث.

(6) أ: وأحس.

فلعله يسليه وينسى ما هوفيه، فاصطادوه وأوثقوه بالحبال وأتوا به إلى يعقوب، عليه السلام، فلما مثلوه بين يديه نظر إليه وقال: ما هذا؟ فقالوا: هذا الذي يغشى أغنامنا ويحل بساحتنا ولا نشك في أنه أكل يوسف أخانا وقتله وفجعنا به. فقال لهم: أطلقوه، فأطلقوه فجعل الذئب يبصبص بذنبه وهويقول له: ادن مني، فجعل يدنوحتى ألصق خده بخده، فرفع يعقوب طرفه إلى السماء وقال: اللهم إن كنت أجبت لي دعوة، أورحمت لي عبرة فانطق لي هذا الذئب بقدرتك إنك على كل شيء قدير. قال: فأنطق الله تعالى الذئب بقدرته، وأطلق لسانه من عقلته وقال: السلام عليك يا نبي الله، فقال له: وعليك السلام أيها الذئب، بأي وجه فجعتني في ولدي وأورثتني غما طويلا وحزنا شديدا؟/ فقال له الذئب: حاش يا سيدي، وحقك ما [16/أ] أكلت لحمه ولا شربت دمه ومالي بولدك علم ولا عهد، وإني لذئب غريب ببلادكم أقبلت من ناحية/ مصر في طلب أخ لي غاب منذ سنين، فلا أدري أحي فأرجوه أم [21/هـ] ميت فأحتسبه وأسلوه، وإن لحوم الأنبياء محرمة على الوحوش يا نبي الله. فقال يعقوب عليه السلام لبنيه: لقد أتيتم بالحجة على أنفسكم، هذا الذئب خرج يقفوأثر أخيه وأنتم ضيعتم أخاكم وآذيتم أباكم، ولقد علمت أن هذا الذئب بريء مما نسبتموه إليه. ﴿بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون﴾[1]، ثم قال للذئب: اذهب حيث شئت، بارك الله فيك وجمعك بأخيك[2]، قال: وكان في رقبة يوسف عليه السلام،/ قصبة فيها قميص من الجنة، وذلك أن [22/ب] نمرود لما ألقى إبراهيم عليه السلام، في النار جاءه جبريل عليه السلام، بقميص من الجنة ألبسه إياه، فجعل الله تعالى له[3] النار بردا وسلاما. فلما مات إبراهيم ورث القميص إسحاق من أبيه وأخذه يعقوب من أبيه إسحاق وجعله في قصبة

---

(1) يوسف: 18.

(2) ب، ج، د، هـ: على أخي

(3) ب: النار عليه.

من فضة، وعلقها في عنق يوسف، عليه السلام. فأخرج له القميص من القصبة وألبسه إياه، وهو يواري من الجن والملائكة ولا يواري من الإنس، كما قاله ابن عباس رضي الله عنه. وأوحى الله تعالى إلى يوسف، عليه السلام: إني مخرجك من الجب ومرسلك إلى مصر، وسأجعل أهل مصر لك[1] عبيدا، أن يخدموك[2] من الملوك والجبابرة وتذل لك الفراعنة، وتكون لك اليد عليهم، ولك اليد العليا على [26/د] إخوتك / تحكم فيهم بما أردت. قال: ثم قدمت قافلة من الشام تريد مصر، وعدة أهلها ثلاثمائة وسبعة عشر رجلا، وكان رئيس القافلة يسمى مالك الخزاعي، فلما قربوا من الجب قال لهم مقدمهم: عهدي بهذا المكان فيه بئر يستسقى منها فانزلوا [27/ج] واطلبوا / لنا ماء، فنزل غلامان له، يسمى أحدهما بشرا والآخر بشراي ومعهما دلوورشاء، قال: فانطلق بشر إلى البئر، فإذا نور يسطع منها. قال: فتعجب من ذلك وأدلى دلوه فتعلق به يوسف عليه السلام، وكان وسيما جسيما، فلما أراد أن يرفع الدلوثقل عليه، ثم نظر في البئر فرأى وجها يخجل الشمس والقمر حسنا. قال: فلما أبصر ذلك الغلام، بدر التمام، أخذه الدهش والهيام، وصاح يقول: يا بشراي! هذا غلام. قال: فتعاونا، يعني بشرا وبشراي عليه حتى رفعاه. قال: فلما رأياه تحيرا من حسنه وجماله، وجعلا يكلمانه بالعربية وهويتكلم بالعبرانية. قال: وكان إخوته قد جعلوا مراعيهم حول الجب يتحسسون أخباره، فلما نظروه مع السيارة وقد أُخْرِجَ من الجب، أقبلوا إليه وقالوا: هذا مملوكنا وقد أبِق[3] منا منذ ثلاثة أيام وتوارى في هذا الجب، ثم قالوا له بالعبرانية: إن أقررت لنا بالعبودية سلمت وإلا انتزعناك منهم وقتلناك فتوقف في الجواب. قال: فتقدم إليه أخوه يهوذا، وقال له: يا أخي! إنهم أخبروا أباك أن الذئب أكلك فإن أقررت لهم

(1) ساقطة من: ب، ج، د، هـ.

(2) أ: يخدمونك.

(3) الإباق: هرب العبيد وذهابهم من غير خوف ولا كد عمل. اللسان: أبق.

بالعبودية باعوك ونجوت من القتل، ولعل الله تعالى أن يأتيك بالفرج منه، فتقدموا إلى رئيس القافلة وقالوا له: هذا مملوكنا وقد أبق منا. فقال لهم الرئيس: والله ما عليه سمة العبيد: بل عليه سمة الأحرار الكرام الأبرار. فقالوا له: نعم، إن أبانا اشترى جارية اسمها راحيل، وكان هذا الغلام رضيعها معها، وقد تربى في حجورنا وتخلق بأخلاقنا. فقال له التاجر: ما تقول يا غلام؟ قال[1]: نعم، ربيت في حجورهم، وتخلقت بأخلاقهم. فقالوا له: اشتريه[2] منا نبعه لك. فقال لهم: ما بقي من الدراهم[3] إلا نحوعشرين درهما لأنا صرفنا أموالنا في أنواع / المتاجر،/ [17/أ][23/ب] فقالوا: بعناه لك بذلك، لكن على شرط أن تقيده/ وتغله وتوكل به من يحفظه [22/هـ] حتى تأتي به مصر، فإنه لص آبق. وإنما خافوا[4] أن ينفلت منهم ويرجع إلى أبيه. فقال لهم التاجر: لكم علي ذلك، لكن اكتبوا لي كتابا ببيعه. قال: فأخذ روبيل دواة وقرطاسا وكتب: بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، هذا ما اشتراه مالك الخزاعي من أولاد يعقوب، وهم فلان وفلان، مملوكهم يوسف بعشرين درهما. وأعطاهم عهد الله وميثاقه أنه يقيده ويغله ويوكل به من يحفظه حتى يأتي مصر، وأعطاهم عشرين درهما. قال: فاقتسموها درهمين درهمين. فالتفت يوسف، عليه السلام، إلى أخيه يهوذا وقال له: يا أخي! سألتك بالله لا تأكل من ثمني شيئا فإنه حرام. فقال يهوذا: والله لا آكل من ثمن أخي شيئا. قال: فدعا التاجر بقيد فقيده وبغِل فجعله في عنقه. فقال يوسف، عليه السلام: لا/ تغل عنقي فإني بذلك أذكر [27/د] أغلال أهل النار. فقال التاجر: يا يوسف! إني قد أعطيت مواليك عهدا وميثاقا أني أغلك وأقيدك حتى آتي بك مصر، فإذا أتيت إلى مصر حللت عنك قيودك

(1) أ: فقال.
(2) أ، هـ: اشتر.
(3) أ: الدرهيم.
(4) هـ: خاف.

[28/ج] وأغلالك وأنزلك منزلة الكرام الأحرار./ ولما جاء وقت ارتحالهم ونظر يوسف، عليه الصلاة والسلام، إلى الجمال تشد عليها الرحال، وتحقق الفراق، بكى بكاء شديدا، فقال التاجر: من الباكي عند مسيرنا؟ فقالوا له: الغلام العبراني. فقال: علي به. فجاء يوسف عليه السلام، يرسف[1] في قيوده وأغلاله. فقال له مالك الخزاعي: مالك تبكي يا غلام؟ قال: أريد أن أذهب إلى موالي الذين باعوني فأسلم عليهم وأودعهم وداع من لا يرجع إليهم أبدا. فقال له التاجر: اذهب. وقال للموكل به: اذهب به إلى مواليه حتى يودعهم، فما رأيت عبدا أبر بمواليه من هذا الغلام، ولا قوما أجفى منهم عليه، ثم قال للموكل به: إذا فرغ من وداعهم فألحقه بالقافلة. قال: فتقدم الموكل به يقوده بالسلسلة، وكانت الليلة، في نوبة الحرس في أولاد يعقوب عليه السلام، ليلة يهوذا، ولما سمع صلصلة الحديد نظر فإذا يوسف عليه السلام يرسف ويعثر في قيوده وسلسلته، فأكب عليه يهوذا يبكي، وقال: والله ما يعز علي مصيرك هذا، والله وكفى، فلماذا جئت؟ قال: أتيت لأودعكم وأسلم عليكم سلام من لا يرجع إليكم أبدا. فقال لهم يهوذا: قوموا لمن أتاكم مقيدا مغلولا يسلم عليكم ويودعكم، فويل لكم من هذا الوداع. فجعل يوسف، عليه السلام يبكي ويكب على كل واحد منهم ويقبله ويعانقه ويقول: حفظكم الله وإن ضيعتموني[2] آواكم الله[3] وإن أبعدتموني، رحمكم الله وإن لم ترحموني. قال: فألقت الحوامل ما في بطنها من الأجنة من هول هذا الوداع ومن حرارته. قال: ثم أخذه[4] الموكل به وحمله على بعير بغير غطاء ولا وطاء حتى ألحقه بالقافلة. قال: فمر، بمقابر كنعان، بقبر أمه راحيل، فلما أبصر القبر لم يتمالك أن رمى بنفسه عليه،

(1) رسف رسفا: أي مشي مشية المقيد. اللسان: رسف.

(2) ج، هـ: اضعتموني.

(3) ساقطة من: د.

(4) د أخذ.

وجعل يعتنقه ويقبله ويضطرب عليه ويبكي ويقول: يا أماه! ارفعي رأسك من التراب وانظري إلى ولدك يوسف مقيدا مغلولا مسلسلا. يا أماه! إخوتي باعوني./ [24/ب] يا أماه! وفي الجب طرحوني، يا أماه! وعن أبي أبعدوني. يا أماه! وبأبخس الأثمان باعوني، ولم يرقوا لصغرسني، ولم يرحموني، فأسأل الله تبارك وتعالى أن يجمع بيني وبينك وبين والدي في جنات النعيم، إنه سميع قريب مجيب. فتفقده الموكل به فلم يجده على بعيره، وكان يقود البعير. قال: فقفا أثره فوجده على قبر أمه، وهو يبكي، فقال له: لقد صدق مواليك الذين/ باعوك، أنك لص آبق، ثم لطمه لطمة شديدة [18/أ] على وجهه/ فعفره[1] بالتراب، فغشي عليه، فقال يوسف، عليه السلام، للموكل [23/هـ] به: لا تواخذني بهذا فإني قد مررت بقبر أمي فلم أتمالك أن رميت نفسي كما رأيتني، ولا أعود/ إن شاء الله تعالى، لما تكرهونه أبدا، ثم رفع طرفه إلى السماء وقد مرغ [28/د] وجهه بالتراب وتحدرت دموعه وقال: اللهم إن كانت لي خطيئة أخلقت[2] وجهي عندك فأسألك بحق آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن تعفوعني وتغفر لي يا أرحم الراحمين. قال: فعند ذلك ضجت الملائكة ضجيجا / بلغ العرش، فقال الله [29/ج] سبحانه وتعالى: يا ملائكتي! كل ذلك بعلمي، ولاتخفى علي خافية، وإنه دعاني واستغاث بي وأنا مغيثه. يا جبريل! أدركه فنزل جبريل، عليه السلام، وقال له: يا يوسف! إن الله يقريك السلام ويقول لك: يا صديق! مهلا، فقد أبكيت ملائكة السماوات السبع، أتريد أن أقلب السماء على الأرض؟ فقال يوسف عليه السلام: يا جبريل! ارفق بخلق ربي، فإنه حليم لا يعجل، فضرب جبريل عليه السلام، الأرض بجناحه[3] فجعلت الأرض يقرب بعضها من بعض وهبت ريح حمراء، وكسفت الشمس، فأظلمت الغبراء وصار النهار كالليل، واشتدت الظلمة فلم ير

---

(1) عفره بالتراب: مرغه. اللسان: عفر

(2) أخلق الدهر الشيء: أبلاه. اللسان: خلق.

(3) ب، ج، د، هـ: بجناحيه الأرض.

أهل القافلة بعضهم بعضا، فقال رئيس القافلة انزلوا[1] وإلا هلكتم. يا قوم! إن لي منذ كذا وكذا، أسافر في هذا الطريق فما رأيت كاليوم، فمن أصاب منكم ذنبا فليتب منه، فإن الذي أصابنا ما[2] أصابنا إلا لذنب اقترفناه. فتقدم إلى يوسف، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، الموكل به وقال له[3]: يا سيدي! الذنب مني، وهوأني ضربتك، ثم قال لسيده: إني ضربت هذا الغلام العبراني لأني لم أجده على البعير الذي هوعليه، فلما ضربته رأيته عند ذلك رفع يديه إلى السماء وحرك شفتيه ولم أدر ما قال، ولا شك أنه دعا علينا، فقال له التاجر: أهلكتنا وأهلكت نفسك، ثم إن التاجر تقدم إلى يوسف، عليه السلام، وقال له: يا غلام! لقد ظلمناك لما ضربناك، فإن شئت أن تقتص منا فنحن بين يديك وإن شئت أن تعفوفأنت أهل لذاك. قال: قال له يوسف، [عليه السلام: ما أنا من قوم إذا ظلموا يقتصون، وإنما أنا من قوم إذا ظلموا عفوا. ولقد عفوت رجاء أن يعفوالله عني قال: فلما قال ذلك يوسف، عليه السلام، انجلت الظلمة، وسكنت الريح، وأشرقت الشمس، وسكنت الأرض. قال: فعند ذلك أمر التاجر غلامه الموكل به أن يأتيه كل يوم مرتين بالغداة بالأكل والإكرام، وكذلك بالعشي، وأن يزوره ويراه ويبر به.

قال: فكان يفعل ذلك، فغاب يوسف، عليه السلام، عن التاجر ثلاثة أيام لم يره، فدعا الغلام الموكل به وسأله عنه، فقال له: إنه مريض. قال: فأتى إليه السيد / وقال له: ما الذي حبسك عني؟ فقال له يوسف، عليه السلام: إن القيد [25/ب] جرح ساقي والغل الذي في عنقي أذاني، فقال له التاجر: إنما بقي ليلة ونقبل على مصر وأحل عنك قيدك وغلك، وأخرج من العهد الذي بيني وبين مواليك، ثم

---

(1) د: انظروا.

(2) ب، ج، د، هـ: ما أصابنا ما أصابنا.

(3) ساقط من: ب، د.

جدوا في السير فما أصبحوا إلا في مصر. قال: فضرب التاجر فسطاطه[1] على النيل وحل عنه قيوده وأغلاله وقال له: ادخل إلى النيل واغتسل فإني أريد أن أزينك بزينة العبيد،/ قال: فدخل يوسف، عليه السلام، النيل واغتسل وأزال [29/د] عنه وعثاء[2] السفر وزاده الله سبحانه حسنا وجمالا وخرج كأنه البدر إذا انجلى عنه السحاب أو/ الشمس زال عنها الضباب، ثم ألبسه/ ثياب الديباج ورصع [24/هـ][30/ج] ذؤابته[3] بالجواهر واليواقيت،/ وكان شعره ينعقد على جبينه، ثم حمله على أحسن [19/أ] بعير ووطأ له ودخل المدينة نهارا، وكان يوم غيم. فوقع شعاع نوره على الجدران والحيطان، فلما نظر الناس إلى ذلك النور تخيلوا أن الشمس قد طلعت ونظروا إلى السماء فإذا الغيم مطبق والشمس محجوبة، فقال بعضهم لبعض: ما هذا النور؟ فتأملوه، فإذا هومن وجه هذا الغلام العبراني الذي قدم به مالك الخزاعي. قال: فتسابقوا إليه وصاروا يترامون عليه وقالوا: هذا الغلام إنسي أم جني أم ملك؟ فقال لهم مالك الخزاعي: بل هوغلام أريد بيعه. فقالوا: ساومنا عليه لنشتريه منك، فقال لهم: أما اليوم فلا أبيعه.قال: فتفرق عنه الناس وقد عجبوا من جماله وحسنه، وشاع خبره في مصر حتى وصل إلى البلاد الغربية والبوادي البعيدة. فلما كان من الغد ألبسه الفاخر من ثياب الحرير والديباج وقلده الجوهر، وأشخصه إلى باب الملك، فامتلأت الطرقات بالناس، وضاقت المسالك من تزاحم الناس، وكثرة الخلق، وحملت المرضى والزمنى[4] وخرجت المخدرات من خدورها ينظرن إلى ذلك الجمال البديع الذي لم ير ولم يسمع بمثله، وما بقي كبير ولا صغير ولا غني ولا فقير ولا مأمور ولا أمير، ولا حاجب ولا وزير إلا خرج إلى رؤياه.

---

(1) الفُسطاط والفِسطاط: ضرب من الأبنية. انظر اللسان: فسط.

(2) الوعثاء: من الوعث وهوالدهس من الرمال الرقيقة، والمشي يشتد فيه على صاحبه فجعل مثلا لكل ما يشق على صاحبه. انظر اللسان: وعث.

(3) الذؤابة: منبت الناصية من الرأس. انظر اللسان: دأب.

(4) الزمنى: رجل زمن أي مبتلى بَيِّنُ الزمانة، والزمانة: العاهة. اللسان: زمن.

وكانت امرأة العزيز وهي زليخا قد كثر شحمها ولحمها فركبت أحسن الدواب وخرجت بين الخدم والجواري والعبيد والأتراب لتراه ثم أجلس يوسف، عليه السلام، على كرسي ورفع البرقع عن وجهه ونادى عليه الدلال: من يشتري ويزيد في هذا الغلام العاقل الظريف الجميل؟ قال: فبكى يوسف، عليه السلام، وقال: لا تقل هكذا ولكن قل: من يشتري هذا العبد الحقير الغريب، فنادى عليه فبلغ وزنه فضة، ثم زاد فبلغ وزنه ذهبا. ثم زاد فبلغ وزنه مسكا وعنبرا، ثم زاد فبلغ وزنه لؤلؤا وجوهرا، فاشتراه الوزير وهوالعزيز يعني قهرمان[1] الملك وصاحب جيوشه والمستولي على خزائنه. قال العزيز للتاجر: بعتني هذا العبد بهذا؟ فقال: [26/ب] بعتك. فقال يوسف عليه السلام: ما أنا بعبد، إنما أنا عبد الله ونبي الله/ وابن صفي الله وابن ذبيح الله وابن خليل الله فقال التاجر ليوسف، عليه السلام: أعد كلامك، فأعاده. فقال له: يا هذا! لم لا تعرفني بجميع أحوالك؟ فقال له: أنا يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمان وإخوتي حسدوني وطرحوني في الجب وباعوني، فجعل التاجر يبكي ويقبل أقدامه ويديه ويقول له: العفو، العفو، مما[2] كان منا إليك. فقال له: عفا الله عنك وغفر لك. ثم قال التاجر للعزيز: أردد [30/د] علي غلامي وخذ مالك. فقال له العزيز: لئن[3] فعلت لآمرن/ بالغارة على جميع أموالك وأنكل بك نكالا شديدا تهلك به[4] قال: فأمسك التاجر خوفا على نفسه [31/ج] وماله./ ثم قال يوسف عليه السلام للتاجر: هل لك من حاجة أدعوالله لك بها؟ فقال له: لي أثنا عشر جارية لم تلد لي منهن واحدة وأريد أن تدعوالله لي أن يرزقني [25/هـ] ولدا، فدعا له يوسف، عليه السلام،/ بكثرة الأولاد وطول العمر فحملت كل

(1) القهرمان: هو المسيطر الحفيظ على من تحت يديه: كالخازن والوكيل. اللسان: هرم واسم العزيز في البداية والنهاية، وكذا في تاريخ الطبري: قطفير.

(2) ب، ج، د، هـ: لما

(3) أ: إن.

(4) أ: بها.

واحدة منهن بولدين فولد له في ذلك العام أربعة وعشرون ولدا ذكورا، وبورك له في عمره، وزاده الله من فضله. ثم إن العزيز حمله إلى منزله وسرت بذلك زليخا سرورا عظيما واغتاظ من العزيز الملوك في مصر وغيرها وقالوا: قد ملك العزيز مملوكا ما ملك مثله أحد من قبله ولا بعده، فلما دخل به العزيز على زليخا قال لها ما أخبر الله به: ﴿أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا﴾[1] لأنا ليس لنا ولد فتقر به أعيننا. قال: وكانت زليخا تلبسه الحرير والديباج وتوقفه على رأسها وتأمره بما تريد، وكان كلما فرغ من خدمتها يخرج ويتجسس الأخبار، فبينما هو كذلك وإذا بأعرابي على قعود[2] وهو يحدو له/ يقول: [20/أ]

[السريع]

سألت ربي وهو الحميد ... بالخير يبدي وبه يعيد

ليس له ضد ولا نديد ... يفعل في الأشياء ما يريد

قال: فلما سمع مقالته يوسف، عليه السلام، علم أنه غريب، فأقبل عليه وقال له: يا أعرابي! ما سمعت هذا الكلام العربي في هذه البلاد إلا منك كأنك لست منها. قال: نعم. قال: فمن أي مكان أنت؟ قال: من كنعان قال: من وادي الأردن؟ قال: نعم. قال: من أيها؟ قال: من مراعي آل يعقوب، فلما سمع يوسف بذكر يعقوب، عليهما، الصلاة والسلام، خر مغشيا عليه، فلما رأى الأعرابي ذلك منه رق له ونزل عن قعوده، وجعل يمسح العرق عن وجهه ورأسُه في حجره حتى أفاق، فقال له: مالك يا غلام؟ قال: ذكرت بلادا ربتني وإلى الغربة رمتني فلم أتمالك أن أصابني ما رأيت. فهل تعرف الشيخ يعقوب؟ قال: وكيف لا أعرفه، وهو نبي الله بن ذبيح الله بن خليل الله به نتوسل إلى ربنا في قحطنا وجدبنا؟ فقال

(1) يوسف: 21.

(2) القعود من الدواب: ما يقتعده الرجل للركوب والحمل، ولا يكون إلا ذكرا. اللسان: قعد.

يوسف، عليه السلام: سألتك[1] بالله إلا[2] ما أخبرتني كيف تركته؟ قال تركته وقد انحنى صلبه وتقوس ظهره وتضعضع ركنه ونازله الشيب قبل أوانه، وقد ترك [27/ب] أهله وهجر أولاده وبنى له على تل [كنعان][3] بيتا سماه «بيت الأحزان»/ يبكي فيه وينوح على قرة عين له يسمى يوسف، اختلس من بين يديه. فلما سمع يوسف عليه السلام، ذلك كثر بكاؤه ونحيبه، وعلا صراخه ووجيبه[4] وقال: يا ليت أمي لم تلدني ولا أصاب حبيب فؤادي ما أصابه إلا من أجلي، فرق له الأعرابي وجعل يبكي لبكائه، ثم قال له يوسف عليه السلام: إني محملك رسالة إلى يعقوب، تؤديها [31/د] له[5] دون كل أحد من الناس، وأنا أدعولك دعوة أن يكثر الله تعالى مالك/ وولدك [32/ج] ويطيل عمرك فقال/ الأعرابي: اذكرها. فقال يوسف، عليه السلام: إذا وصلت إلى كنعان وقد دعوت الله تعالى أن يوصلك سالما، فأت يعقوب إذا هدأ الليل، وجاء وقت السحر، وهووقت قيام الأنبياء لرب الأرض والسماء، فقف واسمع صوته ومناجاته وتسبيحه ودعاءه وبكاءه، فناده بأعلا صوتك وقل: السلام عليك أيها المكظوم، يقرئ عليك السلام ابنك المهموم المظلوم ويقول لك: إني حرمت على نفسي أن لا أنام على فراش وطيء حتى أراك، ولا أتوسد وسادة حتى ألقاك، فكن أنت كذلك. فقال الأعرابي: سبحان الله، من يقدر على حمل هذه الرسالة، لكن [26/هـ] لأجلك أحملها، ثم ركب الأعرابي قعوده/ وودعه وسار حتى أتى كنعان ليلا، ففرح به أهله وحط عندهم رحله، فقالوا له: أنزل. فقال: لا والله حتى أؤدي رسالة المهموم المظلوم إلى أبيه المكظوم، ثم أتى إلى بيت يعقوب عليه السلام، فانتظر الوقت الذي وقته له يوسف، عليه السلام، فلما سمع حركة يعقوب، عليه

(1) ب، ج، د، هـ: أسألك.

(2) هـ: إلى.

(3) زيادة من: ب، ج، د، هـ

(4) وجيبه: اضطرابه، وجب القلب يجب وجبا ووجيبا ووجبانا: خفق واضطرب. اللسان: وجب.

(5) ساقطة من: ب، ج، د، هـ.

السلام، ووعى نحيبه رفع صوته ونادى: السلام عليك أيها المكظوم، يقرئك السلام ابنك المهموم المظلوم. قال: وكان ليوسف، عليه السلام، أخت لأبويه، وقد بنت لها أيضا بيتا بجانب بيت والدها وآلت على نفسها أن لا تضحك حتى ترى يعقوب، عليه السلام، ضاحكا. فلما سمعت النداء أسرعت إلى المنادي وقالت له: يا هذا! إني أخاف أن ينفطر قلب الشيخ عند سماعه هذا الكلام فإن كنت حملت له رسالة فأدها إلي حتى أؤديها إليه بلطف. فقال لها: لا، والله لا أؤديها إلا لمن أرسلت إليه بها، فتقدمت إلى الباب وقالت: السلام عليك يا أبت. فقال لها: وعليك السلام، ما جاء بك في هذا الوقت؟ فقالت: البشارة بقرة عينك وحبيب قلبك يوسف. فقال: يوسف؟ قالت: نعم. فقام فجعل يسقط مرة ويقوم أخرى، يبادر الباب، فلما وصل إلى الباب خرمغشيا عليه كأنه ميت، فلما أفاق/ [21/أ] نادى الأعرابي فأدى الرسالة كما ذكر /[1] له يوسف، عليه السلام، فقال يعقوب [22/أ] عليه السلام: يا أعرابي! صفه لي، فقال: يا نبي الله! صفته كيت و[2]كيت، قال: فما بالك لا تصف الخال الذي على خده؟ فقال يا نبي الله! قال لي: إن سألك عن الخال، فقل له: إن الدموع محته لكثرة بكائه. فقال: يا أعرابي! لا أجد ما أكافيك به، فهل أبصرت قرة عيني بعينيك؟ قال: نعم. قال: فهلم لأقبلهما قال: فجعل يقبل عين الأعرابي ويقول: يا رب! العين التي رأت حبيبي يوسف لا تمسها النار، ثم قال: يا أعرابي! سل ما شئت من أمر الدنيا والآخرة. فقال له: سل الله تعالى أن يهون علي سكرات الموت، وأن يجعلني رفيقك في/ الجنة، فدعا له بما سأله. [33/ج]

قال: ولما تفرس[3] العزيز في يوسف، عليه السلام،/ الصلاح والخير لم ينزله [28/ب] منزلة العبيد، بل قال ما أخبر الله تعالى به: ﴿أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه

(1) بداية الخرم في: أ. وقد أثبت ما في: ب، وسأشير له عند انتهائه.

(2) الواوزيادة من: ج، د، هـ.

(3) تفرس فيه الشيء: توسمه، والإسم: الفراسة. اللسان: فرس.

[32/د] ولدا﴾[1]. قال مجاهد: أُلقي يوسف، عليه/ السلام، في الجب وهو ابن ست سنين، وجمع الله تعالى بينه وبين أبيه وهو ابن أربعين سنة.

قال: وكانت زليخا تخدمه وتمشطه وتسرح شعره بيدها. قال الله تعالى: ﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما﴾[2]. قال ابن عباس رضي الله عنه: الأشد ثمان عشرة سنة، والإستواء أربعون سنة، وما زالت زليخا تحسن إلى يوسف، عليه السلام، وتتولى أمره حتى مال قلبها إليه، وكثر شغفها به وزاد وجدها عليه، وهومع ذلك لا يلتفت إليها بعينيه ولا ينظر طرفها بنحره حتى تكاثر همها وزاد عشقها ورق عظمها، وكابدت من أجله الأشجان وأصابها النحول والأحزان، فلما عيل صبرها وضاق ذرعها دخلت عليها حاضنتها فقالت لها: مالي أرى غصنك ذاويا[3] وعقلك خاويا؟ فقالت لها: وكيف لا يكون ذلك وأنا أخدم هذا الغلام منذ سنين وألاطفه بكلامي، وطيب لساني وأتحبب إليه بإحساني وهويعرض [27/هـ] عني وكلما قربت منه بعد عني. فقالت لها الحاضنة: لونظر إليك/ وقد أبديت له محاسنك وجمالك بالزينة والخلوة معه والرفق به في الكلام لما قر له قرار، ولكان أسرع إليك منك إليه. قالت: وكيف لي بذلك؟ قالت لها: مكنيني من أحوالك وخزائنك. فقالت لها زليخا: خزائني بين يديك، خذي ما شئت وافعلي ما تريدين مما يقبل به علي. قال: ومكنتها من ذلك. قال: فدعت الحاضنة بالبنائين والمهندسين وقالت لهم: أريد بناء بيت تُرى الوجوه من سقفه وحيطانه من شدة الصفاء، كالمرآة المصقولة، فقالوا لها: نعم. فبنوا لها بيتا بالصفة المذكورة وسمته بيت السرور، فلما تناهى بناؤه، وتكامل زخرفه، وما أرادت منه، دعت مصورا [ماهرا فصور لها فيه صورة زليخا وصورة يوسف متعانقين، ولم تدع من صورتها

(1) يوسف:21.

(2) يوسف: 22.

(3) ذوي العود والبقل يذوي ذيا وذويا، كلاهما: ذبل. اللسان: ذوي.

شيئا إلا صورته، وأتت بسرير من ذهب مرصع بالجواهر واليواقيت ووضع في صدر البيت وأرخت عليه الستور ولبست زليخا أنواع الديباج والحرير والحلي والحلل المرصعة بالياقوت والجواهر وتطيبت بأفخر طيب الملوك. قال: ثم جلست على مرتبة[1] عظيمة وزينت الحاضنة البيت بالديباج الملون وطلت حيطانه بأنواع الطيب، ثم خرجت الحاضنة إلى يوسف، عليه السلام، وهي مستعجلة وقالت: يا يوسف! أجب سيدتك زليخا، فإنها تدعوك في بيت السرور، وكان سميعا مطيعا لها، فنهض وفي يده قضيب من ذهب يلعب به فرمى/ به من يده وأسرع لباب [34/ج] البيت، فنادته مستعجلة له بالدخول. فلما وضع قدمه في باب البيت ورأى البيت على هذه الصفة، والمكان خال، وزليخا في تلك المرتبة العظيمة، ورأى ما يدهش الأبصار ويحير الأفكار، أحس قلبه بالشر فأراد الخروج فقامت زليخا فبادرت الباب وأسرعت إليه وجَذَبَته إلى السرير ﴿وقالت هيت لك﴾[2] فغمض يوسف، عليه السلام، بصره وكف يديه ونكس رأسه حياء من ربه سبحانه وتعالى، وارتعدت فرائصه/ [3] وولى عنها، فقالت له: يا يوسف! ما أحسن وجهك. قال: [33/هـ] الله تعالى خلقه وصوره وهوأحسن الخالقين. قالت: ما أحسن عينيك. قال: هما أول ما يسيلان على خدي في قبري، فلو/ رأيتيهما بعد ثلاث لكنت أشد الناس [29/ب] فرارا مني. قالت له: افتح عينيك وانظر إلي ولو نظرة واحدة قال أخشى العمى في آخرتي. قالت: ضع يدك على فؤادي. قال: تغل يدي في نار جهنم. قالت له: اشتريتك بمالي وتخالفني فيما آمرك به؟ قال: الذنب لإخوتي الذين باعوني حتى ملكتيني قالت: اجلس معي ساعة واحدة لا تخش من شيء فالبيت خال قال:

---

(1) الرتبة والمرتبة: المنزلة عند الملوك ونحوها. اللسان: رتب.

(2) يوسف: 23.

(3) فرائص: ج فريصة وهي لحمة عند نغض الكتف في وسط الجنب عند منبض القلب وهما فريصتان ترتعدان عند الفزع. اللسان: فرص.

ليس فيه من موضع يسترني من ربي عز وجل، فإنه يراني في كل مكان. قالت: يا يوسف! بأي وجه تخالفني؟ وبأي حكم تخرج عن مرادي؟ قال: بحكم إلهي الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وإكراما لزوجك سيدي الذي أكرم مثواي وأنزلني منزلة الأولاد المكرمين. فقالت له: أما إلهك الذي في السماء عرشه فأنا أرضيه وأفتح بيوت أموالي وأتصدق بها عنك[1] وأهديها إليه حتى يرضى عنك، وما أبالي أنا بما فعل بي بعد ما أقضي منك مرادي، وأما زوجي فأطعمه السم فيموت من ساعته وتأمن شره، وأبقى أنا وأنت، وذفائري[2] وأموالي وما ملكت يدي ملكك وطرح[3] يمينك. قال: فما يكون عذري يوم القيامة عند ربي عز وجل؟ ثم إن يوسف، عليه السلام، قام فبادر الباب من غير أن يكون منه إليها سبب من الأسباب/ [28/هـ] وقد شهد الله تعالى له بذلك في كتابه العزيز فقال تعالى: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء، إنه من عبادنا المخلصين﴾[4].

قال: فلما تفلت منها وبادر الباب هاربا قامت قائمة وجذبت قميصه من خلفه، فجاذبها وجاذبته، فتمزق القميص وصادفت تلك الساعة دخول العزيز لبعض حوائجه فرأى الباب يرتج مقبلا ومدبرا فدفع الباب، وقال له: افتح الباب. ففتح يوسف، عليه السلام، الباب، مقدود القميص باكي العين، وإذا زليخا في أثره ناشرة الشعر محمرة الوجه في أكمل[5] الزينة، ويوسف، عليه السلام، يبكي، فقال العزيز: مالكما، وما الذي نابكما؟، وفيما أنتما؟ فقالت/ [35/ج] زليخا: غلامك العبراني الذي أمنته على أهلك ومننت عليه بفضلك، وشملته بنعمتك وأحللته محل ولدك

(1) ج، د، هـ: وعني.

(2) هكذا في جميع النسخ وليس لهذا الجمع أصل في معاجم اللغة. وأظن أن الكلمة مصحفة من كلمة ذخائري، التي هي جمع.

(3) الطرح: الشيء المطروح لا حاجة لأحد فيه. اللسان: طرح.

(4) يوسف: 24.

(5) ب: إكمال.

ورجوت الخير منه والانتفاع به، راودني عن نفسي ويريد بأهلك السوء، فغضب العزيز غضبا شديدا وأقبل على يوسف، عليه السلام، بوجهه وقال له: أوكان هذا جزائي منك؟ ائتمنتك على أهلي، ورجوت فيك الخير والانتفاع بك، فصرت تخونني في أهلي. فقال يوسف، عليه السلام: معاذ الله أن أخونك في أهلك وأرضى بذلك، بل هي راودتني عن نفسي، فقالت زليخا: بل هوراودني، ﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوء إلا أن يسجن أوعذاب أليم﴾[1] قال: فبهت العزيز وصار متحيرا منهما، ثم جعل ينظر إليه/ ساعة وإليها أخرى، ثم قال يوسف، عليه السلام: يا[2] [34/د] سيدي! إن لي شاهدا يشهد ببرائتي، فقال العزيز: ومن يشهد بينكما وأنتما خليان في هذا البيت، ليس بينكما ثالث إلا هذا الطفل الصغير؟ قال: وكان في البيت طفل صغير رضيع في مهد لبعض قرابة زليخا، لأنها كانت لا ولد لها، وكانت تحب الأولاد، فكانوا يأتونها بهذا الطفل لتنظر إليه/ وتأنس[3] برؤيته، وتستلذ [30/ب] به لشوقها للولد، وكان الطفل لا يفارقها، فرفع يوسف، عليه السلام، طرفه إلى السماء وقال: إلهي وسيدي ومولاي، أنت ترى مكاني ولا يخفى عليك حالي وقد وقع لي هذا الأمر العظيم فبرني ونجني يا أرحم الراحمين.

قال: فأوحى الله تعالى إلى جبريل، عليه السلام، [أن][4] ادرك عبدي يوسف، وشق لسان هذا الطفل حتى يتكلم ببراتته. قال: فنادى الطفل: يا أيها العزيز! إن لك فيها [وقع][5] فرجا، فلما سمع العزيز كلام الطفل ترك ما كان فيه وأقبل على الطفل متعجبا. قال: فقال الطفل: أيها العزيز! أنظر إلى القميص، فقال: ماله؟

(1) يوسف: 25.
(2) لياء: زيادة من: ج، هـ.
(3) هـ: تتأنس.
(4) زيادة من: ج، د، هـ.
(5) زيادة من: ج، د، هـ.

قال: ﴿**إن كان قيصه قد من قبل فصدقت وهومن الكاذبين وإن كان قيصه قد من دبر فكذبت وهومن الصادقين**﴾[1] قال: ثم ختم الله [تعالى][2] على فم الطفل[3]، فلم ينطق بعدها بشيء إلى حين كلامه المعتاد، فسبحانه تعالى، ما أعظم شأنه.

قال: وكان العزيز يحب زليخا حبا شديدا مستحكما، لما تحقق الخيانة لم يتمالك، من شدة حبها، البطش بها، بل أعرض عنها وأقبل على يوسف، عليه السلام وقال: يا يوسف أعرض عن هذا إلى وقته فلا تظهره لأحد ثم أقبل على زليخا وقال لها: ﴿**إستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين**﴾[4]

قال: ثم خرج العزيز فالتفتت زليخا ليوسف، عليه السلام وقالت له: يا يوسف! فضحتني، والله لأسلمنك للمعذبين يعذبونك حتى ينسل جسمك كما سللت جسمي، ويذهب حسنك وجمالك كي لا يحظى به غيري. فقال لها يوسف عليه السلام: حسبي الله ونعم الوكيل./ فتضاعف عشقها وزاد كلفها، [29/هـ] وتغير لونها،/ وزال حسنها ولزمت الفراش، وشاع خبرها بمصر أن ﴿**امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين**﴾[5] إذ تعشق [36/ج] عبدها وتنزل عن مكانتها لمن هو في ملكها. قال: فاجتمعت نساء أكابر مصر والرؤساء يوما في مجلس وتذاكرن حديثها، فبلغ زليخا ذلك وكبر عليها وأرادت أن تظهر عذرها عندهن فعملت وليمة وأرسلت تدعوهن وهن عشرة من بنات الأكابر وعشرة من نساء الأعيان. فمهدت لهن مجلسا حسنا وفرشته بالنمارق[6]

---

(1) يوسف: 27.

(2) زيادة من: ج، هـ

(3) هـ: الصبي.

(4) يوسف: 29

(5) يوسف: 30.

(6) النّمارق: مفردها نُمْرُق ونمرقة، وهي الوسادة وقيل وسادة صغيرة. اللسان: نمرق.

والحشايا[1] والوسائد، وجعلت فيه المراتب وأنواع الزينة والطيب، فقدمن عليها ثم مدت لهن الأطعمة وأنواع الأشربة و أجناس الحلواء، ولم تعلمهن بما أعدت لهن، وجعلت بين أيديهن ذلك، وهيأت لكل واحدة صحيفة من ذهب فيها عسل وأخرى أترج، وأعطت كل واحدة منهن سكينا وقالت لهن: بحقي عليكن، قطعن من هذا وأطعمن غلامي إذا خرج عليكن، وقالت ليوسف، عليه السلام: ﴿أخرج عليهن، فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن﴾[2] وكانت قد زينته بأنواع الزينة، ورصّعت/ ذؤابته بالجواهر، وكللت جبينه بالدر، وألبسته قباء[3] أخضر، [35/د] ومَنْطَقَتْهُ بمنطقة[4] من ذهب ووضعت على عاتقه منديلا من السندس، وفي يده كأس مرصع، فلما خرج عليهن ذهلن من رؤيته ونسين أنفسهن وتركن الطعام والشراب، وصرن كالسكارى، وجعلن يمعن النظر إليه ولا يصرفن عن وجهه أبصارهن، وجعلن يقطعن ما في أيديهن، والحال أنهن يقطعن أيديهن، ولا يدرين بالألم، وصارت الدماء تسيل على/ ثيابهن وهن لا يشعرن بذلك، ويوسف عليه [31/ب] السلام، يقول لهن: ويحكن، ماذا تصنعن بأنفسكن؟ إنما أنا عبد من عباد الله. وهن يقلن ما أخبر الله العظيم به: ﴿حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم﴾[5].

قال: وزليخا تضحك منهن لما رأت من تقطيع أيديهن وذهاب عقولهن ودهشتهن، ثم خشيت عليهن فغيبته عنهن، فعند ذلك رجع إليهن فكرهن وآبت[6] إليهن عقولهن، فقالت عند ذلك: ﴿فذلكن الذي لمتنني فيه﴾[7]

---

(1) الحشايا: مفردها حشية وهي الفراش المحشو. اللسان: حشا.

(2) يوسف: 31.

(3) قَباء: ما يلبس من الثياب، جمع أقبية. اللسان: قباء.

(4) منطقته بمنطقة: شدت وسطه بالنطاق أي ألبسته المنطقة. اللسان: نطق.

(5) يوسف: 31.

(6) آب: رجع. اللسان: أوب.

(7) يوسف: 32.

ويحكن، أنتن فعلتن بأنفسكن ما فعلتن من نظرة واحدة، فكيف بي وأنا أكابد غرامه سبع سنين وأخدمه، وهولا يلتفت إلي ولا ينظر بطرفه نحوي فقلن لها: حاش لله ما هذا من بني آدم ولا يكون هذا الجمال في آدمي، ثم قالت لهن: انظرن إلى أيديكن وثيابكن وما فعلتن بأنفسكن. قال: فلما نظرن إلى ذلك أدركهن الحياء والخجل، فذكرتهن ما قلن فيها ولومهن لها فيه. وقلن لها حينئذ: إنك لمعذورة، فمرينا نكلمه ونخلوبه ونوبخه لأجلك ونلومه في الإعراض عنك.

قال: فأذنت لهن في ذلك فجعلت كل واحدة منهن تخلوبه وتدعوه إلى نفسها وتشكوإليه ما نزل بها من حبه فيأبى، فتقول له: بالذي أبلا فؤادي بك أسالك قبلة في هذا الوجه الجميل فيقول:/ يا رب! كانت واحدة فلم أطعها، فكيف وقد [37/ج] صرن جماعة؟ قال: فعندها قالت زليخا: أنا راودته عن نفسه فأبى علي واستعصم. ﴿ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين﴾[1].

قال: فعندها قال يوسف، عليه السلام: ﴿رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه﴾[2] قال: فاختار السجن لكونه سبب البعد عنهن، واستغاث ربه في صرف كيدهن عنه/ ﴿[فاستجاب له ربه فصرف عنه][3] كيدهن، إنه هوالسميع العليم﴾[4] [30/هـ] ثم خرجت كل واحدة منهن وهي غضبانة على[5] يوسف، عليه السلام، إذ لم يجبها إلى مرادها. وذكر أن زليخا لما استمر وهو مشاقق[6] لها ممتنع عليها أيست منه، فقالت للعزيز: إن هذا الغلام فضحني ونكس رأسي عند نظرائي وشاع خبري

(1) يوسف: 32.
(2) يوسف: 33.
(3) ما بين معقوفين ساقط من: د.
(4) يوسف: 34.
(5) ج: عن.
(6) د، هـ: مشاق.

وخبره في مصر ولا براءة لي عندهم إلا أن أسجنه. قال لها: لا يسجنه إلا الملك الريان بن الوليد[1]، وأراد بذلك أن يخرج أمره عن يدها، وكان قصدها بحبسه ليؤدِّيه ذلك إلى طاعتها، قال: فلبست تاجها وسارت حتى أتت الملك، وكان له بيت من الحديد الصيني مرصع بالدر والجوهر، إذا دخل عليه أحد ينظره الملك من كوة قبل أن يدخل عليه. فلما رأى زليخا مقبلة/ استوى جالسا وأمر بفتح [36/د] الأبواب وكانت زليخا ذات قدر عظيم عندهم، مطاعة عند الملك الريان لأنها كانت من بنات الملوك، فلما دخلت عليه قام فخرت له ساجدة، فقال لها: ارفعي رأسك فأنت المقربة المرضية المسموع كلامها المقضي حاجتها لدينا. قال: فرفعت رأسها وأخذت في الثناء والدعاء له، ثم قالت له: أيها الملك العظيم، دام لك العز والبقاء، ولا زال عليك ثوب المهابة ولا زلت لي مكرما قاضيا حوائجي خلد الله عليك نعمتك، وأسبغ عليك دائم منته. إن عبدي/ العبراني عصاني وخالف [32/ب] أمري، لا يسمع ما أقوله له، وقد خرج عن طاعتي وأحب أن يأمر الملك بسجنه مع المجرمين حتى يتأدب ولو بعد حين.

قال: فقال لها الملك: قد جعلت أمر السجن ومن فيه إليك فاطلقي من أردت واسجني من أردت وأحببت. قال: فأخذت منه الإذن ورجعت إلى منزلها وأمرت بإحضار الحدادين، وقالت لهم: أريد أن تصنعوا لي قيدا ثقيلا محكما لعبدي هذا العبراني فقالوا لها: إنا نرى بدنا ناعما وساقا لطيفا ظريفا ووجها جميلا لا يخفى عليك، إنه تربى في نعمة شاملة وسعادة كاملة فكيف يقوى[2] على حمل ثقل الحديد، ويقدر على وثاق العبيد؟ فقالت: افعلوا ما أقوله لكم، ولابد من ذلك.

(1) في الطبري 1/ 176/ الوليد بن الريان (...)- وفي البداية والنهاية هو: الريان بن الوليد بن ثروان بن أراشة بن فاران ابن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح. وكان فرعون مصر آنذاك. انظر البداية والنهاية: 1/ 203.

(2) ج: يقدر.

قال: فقال يوسف، عليه السلام، للحدادين: افعلوا ما أمرتكم به، فإني من أهل بيت موكل بنا البلاء، ففعلوا ذلك وقيدوه بحضرتها وحملوه إلى السجن فتسامع[1] الناس به، فأقبلوا عليه من كل مكان وصعدوا على[2] الجدران، قال: فلما نظر يوسف، عليه السلام، إلى الناس وهم محدقون به، نكس رأسه، فجعل الناس يقولون له: يا يوسف! تركت بيت/ السرور والنعمة [والحبور][3] واخترت لنفسك السجن والهوان والهموم والأحزان، فيقول: هذا خير من سعير النيران وسرابيل[4] القطران[5]. [38/ج]

[قال:][6] فلما وصلوا به إلى السجن قالوا للسجان: خذ هذا الغلام فاسجنه فإن سيدته غضبت عليه وأمرت أن يسجن عند المجرمين فأقعده مع أصحاب الجنايات، ثم دخل العزيز فقال لزليخا: ما فعلت بيوسف؟ قالت: قيدته وأرسلته للسجن مع المجرمين، وكان مرادها أن تخرجه في قريب. فقال لها العزيز: أقسمت بحرمة الملك الريان بن الوليد أن يستمر مقيدا مسجونا ما دام الملك حيا، فداخلها منه الحياء، وقالت: نعم، ولم يمكنها إلا أنها برت قسمه وتعذر سؤالها له في إطلاقه حياء منه، ووقعت في الندم والأسف، ولم تجد عذرا تتوصل به إلى إطلاقه. قال: فكانت إذا جن الظلام تصعد إلى أعلا قصرها وتنظر نحو السجن، وتبكي وتنوح وتقول: حبيبي وقرة عيني وثمرة فؤادي، ليت شعري أنائم أنت أم يقظان؟ أجائع

(1) تسامع به الناس وأسمعه الحديث أي: شتمه. اللسان: سمع.

(2) ج: إلى.

(3) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(4) السربال: هو القميص والدرع. وقيل كل ما لبس فهو سربال والجمع سرابيل. اللسان: سربل.

(5) القطران: عصارة الأبهل والأرز ونحوهما، يطبخ فيحتلب منه ثم تهنأ به الإبل وفي التنزيل: ﴿سرابيلهم من قطران﴾. قيل والله أعلم، أنها جعلت من القطران لأنه يبالغ في اشتعال النار في الجلود. اللسان: قطر.

(6) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

أم عطشان؟ لقد أسأت فيك التدبير، ولكن بهذا جرت المقادير، ولم تزل تبكي وتنوح حتى يطلع الفجر شوقا إليه ووجدا وحزنا عليه. وقد أنحلها الغرام، وبرح بها السقام، وهجرها المنام، واستمرت/ على ذلك سبعة أعوام،/ حتى رق [31/هـ][37/د] جسمها، ودق عظمها، وتغيرت صفتها وذهب حسنها وجمالها، وبهجتها وتمررت عيشتها وتنغصت حياتها.

قال: ومات من النسوة اللواتي قطعن أيديهن تسع شوقا إليه ووجدا عليه، قال: وكانت زليخا لا تقطع ذكره، ولم تزل باكية تسأل عن أمره ولا تستطيع أن تسأل في إطلاقه، وأقام يوسف، عليه السلام، في السجن وقد سلب قلوب أهل السجن فكان يؤنس المحزونين، ويداوي المرضى، ويرجي القانطين، ويسلي المكروبين والمهمومين، حتى أحبه أهل السجن حبا شديدا وأقبلوا عليه، فلما مضى أربع سنين من سجنه، أوحى الله تعالى إلى جبريل، عليه السلام، وقال له: أن اهبط إلى عبدي يوسف بعلم الرؤيا فإني رحمت عبرته واستجبت دعوته، فهبط جبريل، عليه السلام، فقال له: السلام عليك/ يا رأس الصديقين، فقال له يوسف عليه [33/ب] السلام: وعليك السلام يا أمين رب العالمين. فقال له: افتح فاك وخذ ما أتحفك به مولاك.

قال: ففتح فاه، فألقى له جبريل، عليه السلام، فيه لؤلؤة صفراء، فلما استقرت في جوفه خرج من بين عينيه نور كالشمس يتشعشع، فعلم في الوقت علم الرؤيا، وعلم تعبير جميعها بإذن الله تعالى وقدرته من غير دراسة ولا تعليم. فكان يعبر الرؤيا لأهل السجن فزادهم ذلك حبا فيه، وأحبه جماعة السجن والقائمون عليه، ثم وسع له فيه، وكان الرجل من المسجونين إذا فرج الله تعالى عنه لم يزل يعود إليه ويزوره، فقال له السجان يوما:/ يا يوسف! لقد أحببتك، فقال له: أعوذ بالله [39/ج] من حبك. قال: ولم؟ قال: أحبني أبي ففعل بي إخوتي ما فعلوا، وأحبتني سيدتي

فكان من أمري ما ترى. قال: ولم يزل في السجن حتى سجن معه غلامان للملك، أحدهما خباز والآخر ساقي، فلبثا في السجن سنة، فكانا ينظران إلى أدبه وحسن فهمه وخلقه وتعبيره للرؤيا، فتمنى كل واحد منهما لو رأى رؤيا، فاتفق أن الساقي رأى رؤيا فانتبه فرحا مسرورا، وقال لرفيقه الخباز: قد رأيت رؤيا فقال: ما رأيت أنا شيئا، ولكن أبتدع رؤيا من عندي فانطلق بنا إلى يوسف نقص ذلك عليه حتى يعبر لنا ونعلم صدقه فأتياه، فقال الساقي:/ يا يوسف! رأيت كأن بين [23/أ] يدي ثلاث طسوت من ذهب، في كل واحدة ثلاثة أصول من كرم، على كل أصل ثلاثة عناقيد من العنب فعصرتها خمرا وسقيت الخمر للملك الريان بن الوليد وهو معنى قوله [تعالى ﴿إني أراني أعصر خمرا وقال الآخر: إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه﴾[1] الآية وقال الخباز: رأيت كأن بين يدي ثلاثة تنانير[2] من حديد مضرمة بنار وخبزت خبزا كثيرا وملأت منه سلالا وحملتها على رأسي والسلة العليا مكشوفة والطير تسقط عليها من الجوو تأكل من ذلك الخبز ﴿نبئنا بتاويله إنا نراك من المحسنين﴾[3].

قال[4]: فقال للساقي: أما ما رأيت من العنب والعناقيد الثلاثة وعصرك إياها وسقيك للملك فإنك تمكث في/ السجن ثلاثة أيام بعد يومك هذا، ثم يخرجك [38/د] الملك [ويردك إلى عملك الذي كنت عليه][5] ويوليك أمر شرابه ويحسن ذلك معه، وأما صاحب الرؤيا الثانية فإن السلال الثلاثة التي فوق رأسه، فإنه يمكث في السجن، بعد يومه هذا، ثلاثة أيام ثم يخرجه[6] الملك فيصلبه على جذع نخل

(1) يوسف: 36.
(2) تنانير: مفردها تنور وهو ما يخبز فيه. انظر اللسان: تنر.
(3) يوسف: 36.
(4) ساقطة من: ب، د.
(5) ما بين معقوفين ساقط من: ج.
(6) ب، د: ويخرجه.

ويقطع رأسه فتنزل الطير تأكل/ من رأسه. [32/هـ]

قال: فغضب الخباز وقال: إني لم أر شيئا، وإنما جئنا لنعلم العلم الذي تدعيه. فقال يوسف عليه السلام: ﴿قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾.[1] قلت: وهذه القصة أصلها أن قوما من أهل مدين أرادوا أن يسقوا الملك سما فيقتلوه وضمنوا للساقي والخباز مالا كثيرا على أن يجعلا السم في شراب الملك وطعامه فأرادا فعل ذلك، ففعل الخباز، ثم انتهى خبرهما إلى الملك وكان الساقي فطنا، فقال: لا أعجل بإلقاء السم، فلعل الملك قد فطن لذلك فإذا قربت إليه شرابه ربما يقول لي: اشرب منه، فإن شربت هلكت، وإن لم أشرب افتُضِحت/ .قال: فجعل السم بين [34/ب] أظفاره وقال: إن أمرني أن أشرب شربت، وإن لم يأمرني وتناول شرابه مني ناولته وجعلت ذلك السم فيه من بين أظفاري. وأما الآخر فلم يدرك ولم يتدارك شيئا من ذلك، وألقى السم في الطعام قبل تقديمه إلى الملك، وكان الملك قد فطن كما تقدم، ورفعت له رقعة بذلك، فلما قدم الساقي الشراب أمره أن يشرب منه فشرب وطرح/ ما كان بين أظفاره. [40/ج]

قال: ولما قدم الآخر الطعام قال له الملك: كل مما قدمت فتغير لونه وارتعدت فرائصه واصطكت أسنانه وامتنع من الأكل، فأمر الملك بشخص يستحق القتل وقدم إليه الطعام فأكل منه فهلك، فتحقق الملك خيانة الخباز وارتاب منه ومن الساقي فأرسلهما إلى السجن ليرى رأيه فيهما، ولما كان بعد ثلاثة أيام من تعبير الرؤيا طلبهما الملك، فقال عند ذلك يوسف، عليه السلام، للساقي: ﴿اذكرني عند ربك﴾[2] يعني الملك، أي قل له: في السجن غلام مسجون ظلما، واذكر له أمري، وكان قد قص قصته على الساقي فوعده بذلك.

---

(1) يوسف 41.

(2) يوسف 42.

قال: ثم خرجا من السجن، فصلب الخباز ورضي الملك على الساقي وأعاده إلى عمله، وأنسى الشيطان الساقي أن يذكر ذلك للملك، فلبث في السجن يوسف، عليه السلام، بضع سنين، قيل اثنا عشر سنة، وقيل غير ذلك، فلما انقضت المدة ومضى وقت الشدة أرسل الله تعالى، جبريل، عليه السلام، في صورة حسنة وهيئة جميلة مستحسنة، قال: فدخل على يوسف، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، فوقف بباب البيت الذي هومسجون فيه[1] [فجعل][2] [ينظر إليه ويتعجب من حسن صورته وأنكر أن يكون مثله في السجن، فسلم عليه فرد عليه السلام][3] فقال له جبريل: هل تعرفني أيها الصديق؟ فقال: أرى صورة حسنة وريحا طيبة، فمن أنت يرحمك الله؟ فقال: أنا أخوك جبريل، كيف أنت يا طيب الطيبين ورأس المغربين[4] وابن الطاهرين؟ فقال له يوسف عليه/ السلام: يا حبيبي! [39/د] كيف تشبهني بالصالحين وأنا بين هؤلاء المجرمين، وتسميني بأسماء الصديقين وقد دخلت مدخل المذنبين؟ فقال له جبريل عليه السلام: أوما علمت أن الله تعالى قد طهر هذا السجن وما حوله من أجلك يا حبيب رب العالمين؟ وأن الله تعالى قد جعلك رأس الصديقين إلا أنه سبحانه لم يغير خلقك بالبلاء ولم/ يدنس [24/أ] حرمتك بالرق ولم يعظم عليك أمر السجن في الله عز وجل، فلذلك سماك بأسماء الصديقين وجعلك كآبائك المخلصين، وأوجب لك جزاء الصابرين، وألحقك بآبائك الصالحين/ وإن ربك سبحانه وتعالى يقرئك السلام ويقول: كيف حالك؟ [33/هـ] وهوأعلم بذلك. فقال: يا أخي جبريل! ظاهر حالي يشهد بما ألاقيه فربي أعلم على كل حال. ثم قال يوسف، عليه السلام: يا أخي جبريل! هل لك علم بيعقوب؟

---

(1) عبارة ب: الذي فيه مسجون يوسف عليه السلام.

(2) زيادة من: ج، هـ.

(3) ما بين معقوفين زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(4) ساقطة من: د.

فقال له: نعم. وهب الله تعالى له الصبر الجميل، وابتلاه بالحزن فهوكظيم، وقد عدل حزنه عليك حزن مائة ثكلى، وبلغ بصبره ما استوجب به أجرمائة شهيد. قال: وكيف ذلك؟ قال: لأن الله تعالى كتم عليه أمرك/ فلم يدر أحي أنت فيرجوك [41/ج] أم أنت ميت فيحتسبك ويسلوك،/ وربما كتم عليه أمرك ليشتد عليه البلاء ليبلغ [35/ب] ما أعد الله سبحانه وتعالى له من الأجور، كما أن جدك إبراهيم ابتلاه الله سبحانه وتعالى بأمور، جعل للنار جسده وللذبح ولده، وفراق أحبته والجلاء عن قومه فاختاره الله تعالى لما اختاره فأوجب له بذلك الحكمة ومتعه بها وجعل صدره لسره، وبوأه موضع بيته، وجعل في ذريته النبوة والكتاب والحكمة إلى يوم القيامة، وهذا أوان الزمان الذي وعدك به ربك أن يعطيك اليد العليا على إخوتك ويظفرك بهم ويفك رقك ويظهر للناس حرمتك ويصدقك رؤياك وينصفك ممن ظلمك ويهب لك ملكا، أي ملك مصر، ويخضع لك أعزها ويذل لك جبابرتها ويلبسك الهيبة والمودة في قلوب الخلق حتى يبلغك برحمته ما بلغ آباءك الصالحين. قال: وسبب ذلك أن الملك الريان بن الوليد رأى رؤيا وهي كذا وكذا وتأويلها كذا وكذا، فانظر أيها الصديق، فأنت صديق الله وابن صفيه وابن ذبيحه وابن خليله، ثم خرج عنه وتركه، فلما جن الليل نام الملك الريان بن الوليد وكان معه[1] حاجبه[2] ومضحكه وساقيه ومسامره[3] وطائفة من عظماء دولته ومن رؤوس مملكته فرأى مناما وكان منامه في الثلث الأخير من الليل فانتبه مذعورا فزعا من منامه، فقالوا له: أيها الملك! ما الذي أفزعك؟ فأرواحنا وأموالنا لك الفداء. فقال لهم: علي بملإ من قومي ومنجميهم وكهانهم والعقلاء منهم فإني رأيت رؤيا عظيمة أفزعتني، وأعلم أن لها شأنا عظيما فأريد أن أقصها عليهم حتى يعبروها لي، فإني من ذلك

(1) ج: مع.
(2) ج: صاحبه.
(3) د: سائر.

وجل خائف، فتسارعوا لأمره وأشفقوا من قوله ومن وجله وخوفه وضجره[1]، فحضر أهل العلوم وأرباب العقول وأصحاب النجوم والكهانة، فلما حضروا بين يديه ونظروا إليه، قال لهم: اعلموا/ أني رأيت في منامي كأني على شاطئ النيل إذ [40/د] نطبت[2] الماء وخرج من النيل سبع بقرات سمان، ثم بعدهم خرج سبع بقرات مهازل عجاف لها خراطيم كخراطيم الفيلة والسباع فأكلن لحم السمان ومزقن جلودهن ولَحَسْنَ دِمائَهُنَّ فلم يبقين منهن شيئا، ولم يظهر في البقرات العجاف زيادة، فبينما أنا أنظر إليهن إذا بسبع سنبلات يابسة بيضاء لا خضرة فيها ولا ماء ولا حب، فالتفت السنبلات اليابسات على السنبلات الخضر فمصصن ما فيهن من الماء والخضرة حتى يبسن كلهن، فتعجبت كيف غلبت المهازيل السمان واليابسات على الخضر.

قال: فبهتوا وتحيروا وصار ينظر بعضهم إلى بعض فلم يعلموا ما الذي يجيبونه به وقالوا: ما سمعنا بمثل هذه الرؤيا، وهذه أضغاث أحلام ﴿وما نحن بتاويل الأحلام بعالمين﴾[3] فلا تشغل قلبك، أيها الملك، بها، فهي رؤيا كاذبة، فسكت الملك وظن الأمر كما قالوا ووصفوا.

[42/ج][34/هـ] قال/ : فلما سمع الساقي الذي سجنه[4] الملك مع يوسف عليه السلام، وكان/ قد رأى الرؤيا التي رآها في السجن هو[5] وصاحبه/ الخباز الكاذب في رؤياه، كما [25/أ] تقدم، فعبرها لهما يوسف، عليه السلام،/ فجاءت كفلق الصبح، فتذكر[6] بعد [36/ب]

(1) الضجر: القلق من الغم. اللسان: ضجر.

(2) نطبت الماء: أي صفي بالنواطب وهي خُروق يصفى بها الماء وغيره. اللسان: نطب.

(3) يوسف: 44.

(4) ب، د: الذي كان سجنه.

(5) ساقطة من: د.

(6) ب: تذكره. د: تذكرها.

نسيانه. قال: ثم وقف بين يدي الملك وقبل الأرض، وقال: أيها الملك! إن رؤياك صدق وحق[1] ولها برهان وعلم، ولئن أرسلتني إلى السجن أتيتك منه بأعجب العجائب. فقال له الملك: وما ذاك؟ قال: في حبسك شاب حكيم عليم عنده من رؤياك علم عجيب ومعنى غريب ولقد كنت في شدة شديدة لما غضبت علي فرأيت في المنام كذا وكذا، ورأى الخباز كذا وكذا فكان كما قال. فقال الملك: ما منعك أن تعرفني بأمره؟ قال: خفت أن تذكر جريمتي المتقدمة فيكون ذلك سببا للمعاقبة، فقال الملك: انطلق إليه فقد أذنت لك. قال: فانطلق الساقي ودخل على يوسف، عليه السلام، وجعل يتملى بين يديه ويعتذر إليه ويقول له: لا تؤاخذني بنسياني وتقصيري، فلم يكن ذلك مني قصدا، وإنما كان غفلة ونسيانا، ثم قال: ما أخبر الله تعالى به عنه: ﴿أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون﴾[2] يعني الملك وخواصه فيتحققون ما ذكرت لهم من شرفك وعلمك.

قال: فلما سمع يوسف، عليه السلام، هذه الرؤيا لم يمتنع من تفسيرها، فقال يوسف، عليه السلام: قل للملك إن البقرات السمان والسنبلات الخضر هي سبع سنين خصبة كثيرة الخصب والخير لو ألقي فيها الحب على الحجر الصلد اليابس لخرج ونبت وأخرج الحب الكثير ولا يخطئ منه شيئا، ولا حبة إلا أنبتت وأما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات التي أكلن الناعمات الخضر، فهي سبع سنين متصلة بالسبع الماضيات وهي مجدبات مقحطات يابسات لا ينزل فيها من/ السماء قطرة ولا تنبت في الأرض حبة فعليكم أن تبالغوا في السبع الأول في [41/د] الزراعة في كل سنة فإذا ادَّركت غلاتكم وكثر خيركم فذروا ما تحصدونه في سنبله ولا تدرسوا منه إلا ما يقوتكم في الوقت ليلا يداخله العفن ويكون السنبل علفا

(1) ساقطة من: ب.

(2) يوسف: 46.

للدواب فاستودعوها في المخازن واصنعوا في الأرض الأهرام حتى تتم السبع المخصبة، ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد تحتاج إلى استكمال ما ادخرتم من الحب والزرع، فإذا تمت الأربع عشر سنة صلحت الأمور وزال العذاب والجوع وتدارك الله تعالى خلقه بلطفه ورحمته وهوقوله تعالى: ﴿ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾[1] الآية، أي الزيت. قال: فراح الساقي إلى الملك، [43/ج] فأخبره بما قال يوسف/ ، عليه السلام، من تعبير الرؤيا. قال: فتعجب الملك من قوله، وكذلك من حوله، وأقر الكل بعلمه وفضله وحكمته وعقله وفطنته وقلبه. فقال الملك: «إيتوني به» فمثل هذا لا يسجن في سجن المجرمين، أحضروه إلي ومثلوه بين يدي وهومعنى قوله تعالى: ﴿إيتوني به﴾[2] اللآية. يعني هذا العليم الحكيم الكريم حتى أكرمه وأشرفه، فمثل هذا لا يهان ولا يحبس. قال: فجاءه الساقي وسأله الذهاب وقال له: إن الملك يدعوك ليكرمك ويشرفك. فإنه قد تحقق فضلك وعرف حرمتك وشرفك ونبلك. فقال يوسف، عليه السلام: كيف [37/ب] أخرج وأنا في حبسه/ بضع سنين وهولا يعرف براءتي؟ ارجع إليه ﴿فاسأله ما بال النسوة التي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم﴾[3]

[35/هـ] قال: فرجع الساقي إلى الملك فأخبره/ بمقالة يوسف، عليه السلام، فجمع الملك النسوة وجمع زليخا معهن فقال لهن: ﴿ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه﴾[4] وكيف دعوتنه إلى الفاحشة؟ قال: فأقررن بعد ذلك، ﴿وقلن حاش لله [26/أ] ما علمنا عليه من سوء﴾/ [5] وما كان له رغبة فينا ولا في الزنى، وإنه لبريء الساحة

---

(1) يوسف: 49.
(2) يوسف: 50.
(3) يوسف: 50.
(4) يوسف: 51.
(5) يوسف: 51.

طاهر الذيل. فقالت امرأة العزيز: هذا وقت بيان الحق واضمحلال الباطل، إن كان مراد حبيبي بإقراري فأنا أقر بذنبي ﴿الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين، ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾[1]

قال: فلما أقررن بين يدي الملك أتى الساقي إلى السجن وعرفه بإقرارهن وبشره بذلك. وقيل: إن جبريل، عليه السلام، أتاه في تلك الساعة فقال له: ما حملك على ما فعلت قال: ليعلم أني لم أخنه بالغيب. فقال له جبريل، عليه السلام، ولا حين هممت فعصمك الله تعالى، فعند ذلك قال يوسف، عليه السلام: ﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا من رحم ربي﴾[2]، يعني من عصم. وقيل لو خرج يوسف، عليه السلام، قبل أن يظهر للملك براءته لبقي في نفس الملك منه شيء فعندها زالت التهمة.

ولما خرج يوسف، عليه السلام، من السجن دعا لأهله، أي لأهل السجن، دعوة، فهي تعرف فيهم إلى يوم القيامة. اللهم أعطف عليهم قلوب/ الأخيار ولا تعم عليهم الأخبار. وقيل كتب على باب السجن، هذا قبر الأحياء ومنزل البلاء وشماتة الأعداء. [42/د]

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: لما تحقق الملك أمانته وتيقن براءته ازداد عنده حظوة فقال: ﴿إيتوني به أستخلصه لنفسي﴾[3] قال: فأرسل إليه عجلته التي كان يركبها وكانت من ذهب وشدت على أعناق الفيلة بسلاسل الذهب وأحاطت بها[4] الفرسان واصطفت خلفها الرجال، وضربوا بساطا[5] من باب/ السجن إلى [44/ج]

(1) يوسف: 51.

(2) يوسف: 53

(3) يوسف: 54.

(4) ج: به.

(5) أ: صفوفا. ج، هـ: ساباطا.

باب الملك.

قال: فخرج يوسف، عليه السلام، في موكب عظيم، فلما [أقبل][1] ونظر إليه الملك في ذلك الموكب وقد ألبس الهيبة والوقار، قام إليه وعانقه وقبله بين عينيه بعدما تزحزح عن سريره تعظيما له، ولم يفعل ذلك لأحد قبله ولا بعده، ثم أجلسه معه على السرير وقال له، ما أخبر الله تعالى به: ﴿إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾[2] قال: وكان الملك يتكلم بعدة ألسن فأجابه بكل لسان كلمه به[3]. فلما تكلم بالعربية، وكان الملك لا يحسنها، قال له الملك: ما هذا اللسان يا يوسف؟ فقال له يوسف، عليه السلام: هذا لسان عمي إسماعيل، قال: فازداد الملك به عجبا وحبا واعترف بحكمته وعلمه، ثم قال له: عبر لي رؤياي فإني أحب أن أسمعها منك، فقص عليه الرؤيا على أتم ما رآها، فقال له الملك: بالرؤيا تعجب يا يوسف. وأعجب [38/ب] منها/ قصصك وإلهامك وفهمك لمعانيها وعلمك بها يحق لك الفخار وعلو المقدار فبورك فيك وفي علمك وفهمك وحلمك. لقد حفظت وأحصيت فمن أخبرك بهذا على هذا الوجه؟ فقال: أخبرني به أمين رب العالمين جبريل، عليه السلام، فقال له الملك: ما تقول في هذا الأمر الذي ذكرت لنا، وكيف يكون منه الخلاص؟ فقال يوسف، عليه السلام، هو أن تجمع الطعام في زمن الخصب، ثم تتركه في سنبله لأنه يكون علفا للدواب في الجدب فيكون الحب للناس والقشر للدواب، فقال له الملك: فكيف أصنع؟ قال: اجمع عبيدك وأهل مصر ومن حولها من البلاد [36/هـ] والقرى/ فيأتمرون بحكمك ويجمعون الطعام بخرائنك لأن سنين القحط تعم البلاد كلها، فإذا فعلت ذلك لم يوجد الطعام يومئذ إلا عندك وفيه حياة الناس، فيكون الناس بيدك ويجتمع لك من الأموال والكنوز ما لم يجتمع لملك قبلك ولا

(1) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(2) يوسف: 54.

(3) ساقطة من: ب.

بعدك. فقال له الملك: يا يوسف! وكيف يكون ذلك؟ ومن القائم عليه، ومن يدبره ويجمعه؟ ومن يبيعه؟ ولواجتمع أهل مصر ومن حولها ما أطاعوني ولا سمعوا مني كل ما/ أقول. فقال يوسف، عليه السلام: ﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾[1]. إن الله قضى بذلك وأمرني به[2] وأخبرني أني القائم به والمدبر لأمر[3] الناس. فقال الملك: صدقت، فإني لا أرى أحدا أحق بذلك منك، فدونك الخاتم والتاج والسرير، فبها يقوم ذلك لك، فلعمري أن الذي أعطاك إلهك لقليل في حقك ويسير في خطرك[4] فأنت الذي تحصي[5] مصر وأهلها. فقال له يوسف، عليه السلام:/ أما الخاتم فأنفذ به أمرك وأما السرير فأظهر به سلطانك، وأما التاج فليس من لباسي و[لا][6] لباس آبائي. قال الملك: فإن لم تلبسه فأنا أضعه على رأسك حتى يعلم الناس أني وضعته إجلالا لك، وإني قد فضلتك على نفسي وآثرتك/ بسلطاني فوضع الملك التاج على رأس يوسف، عليه السلام، وختمه بخاتمه وأجلسه على سريره ثم قال له: رضينا بك وسمعنا كلامك وأقررنا بشرفك وعلمك وأدبك، وأنت المقدم ونحن لك التبع وسامعون ومطيعون، ولقد وليتك أمر ملكي أربع عشر سنة قدر أيام السعة والضيق والشدة، وأشارطك أنه إذا مضت هذه المدة وأمر الناس حسن بعد الشدة وعادت الأموال، رددت إلي ملكي كما وليتك، على أن تكون أنت أعز علي من كل ما في مملكتي ولا أمنعك أمرا تريده ولا حكما تنفذه.

[1/27] [43/د] [45/ج]

قال: فشارطه على ذلك، واستوثق منه وأشهدوا الله عز وجل على ذلك،

---

(1) يوسف: 55.

(2) ب، د: أمر به.

(3) د: لأهل.

(4) الخَطَر: ج أخطار وهو الشرف والقدر. اللسان: خطر.

(5) ب، ج، د: تحمي.

(6) زيادة من: ب، د.

واعتزل الملك وفوض أمر المملكة إليه ونزل عن سرير ملكه وأجلس يوسف، عليه السلام، عليه وجلس هوبين يديه.

قال: فلما طلع هلال أول سنة من السنين الصالحات جمع يوسف، عليه السلام، أهل مصر، قاصيا ودانيا، وأمرهم أن يفلحوا ولا يتركوا شبرا من الأرض بغير زرع فاستعدوا للعمارة وإصلاح الأرض وبذر الناس/ كلهم. قال فأنبت الله تعالى [39/ب] زرعهم فوق العادة في الغاية والنهاية وظهر فيها النماء والصلاح حتى عجب الناس من ذلك وذرت البركات ونجحت به الحركات، فلما كان أوان الزرع فعل ذلك، وحين حصاده أمر برفعه إلى الخزائن شيئا فشيئا فرفع منه ما لا يوصف ولا يقدر قدره ولا يدرك حصره ولا يضبط عده في الطول والعرض قدر ما يسع غلة عامهم ذلك كله، وأمرهم بخزنه في سنبله، فصارت الغلات تنقل إلى الخزائن وتجمع فيها وينفق في أهل كل بيت قدر حاجتهم على التحزير[1] وعدد العيال على التقدير، وكان النيل يفيض في كل سنة فيضا عاما شاملا، وهو يأمر بأن يوضع في الأهرام والمخازين، واستمر على ذلك سبع سنين حتى انقضت مدة الخصب، وجاء أوان الجدب والقحط، فلما كان أول ليلة من السنين المقحطات أوحى الله تعالى إلى جبريل، عليه السلام، في الثلث الأخير[2] من الليل يا جبريل أما تنظر إلى عبيدي وإمائي[3] يأكلون رزقي ويعبدون غيري؟ اهبط فإني سلطت عليهم الجوع والقحط سبع سنين، فنزل جبريل، عليه السلام، وصاح في الهواء: يا أهل مصر موتوا جوعا وعطشا فإن الله تعالى قد[4] سلط عليكم الجوع، فانتبه الرجال والنساء والصبيان من منامهم وهم يصيحون: الجوع! الجوع!

---

(1) الحَزْر: عد الشيء بالحدس. اللسان: حرز.

(2) أ، ب، هـ: الآخر.

(3) أ، و: أيمائي.

(4) ساقطة من: د.

قال: والقحط والجوع حالتان إذا اجتمعتا، فالهلاك أسرع، والعذاب أوجع فكثر الحرص على الطعام، واستكثر الأكل منه فصار لا يشبع الكبير ولا يستغني الصغير، فكان أحدهم يجوع قبل أوان الجوع ويأكل إذا وجد الطعام/ فوق [44/د] الحاجة/ ويسرع إليه الجوع قبل الميعاد، والحالة الثانية عدم/ الطعام حتى لا يكون [37/هـ] للشخص حاجة سواه، ومع ذلك لا يقدر على وجدانه إلا بعد المحنة والجهد الجهيد ولذلك قيل: إن الطعام إذا هانه الناس ولم يكرموه استغاث بالله تعالى وشكا إليه ما يناله من الأذى والإهانة فيعزه الله تعالى/ ويقل إنباته ويعدمه. قال: [28/أ] وخرج الملك ينادي: يا يوسف! الجوع، الجوع! فجعل يوسف عليه السلام يده على بطن الملك ودعا له فسكن. قال: واحتبس المطر عنهم، والأرض امتنعت من الإنبات للزرع فلم تنبت شيئا، فنادى يوسف عليه السلام: لا تزرعوا شيئا حتى تنقضي السبع المجدبات فإنه يضيع بذركم ولا ينبت لكم شيئا. قال: وفرغ القوت والطعام من بيوت الناس حتى لم يبق في بيت من بيوت مصر ونواحيها شيء من الطعام والقوت، وأصبح الناس متحيرين وقد داخلهم لهف عظيم، لأنهم شاهدوا أمرا لا يستطيعون رده. قال: فعند ذلك فتح يوسف، عليه السلام، أبواب الخزائن وجعل عليها القهارمة والأمناء، ونادى مناد: ألا من أراد الميرة[1] وشراء الطعام فيأت باب يوسف الصديق، فاشتروا منه في العام الأول بما في أيديهم من الدنانير والدراهم والذهب والفضة حتى لم يبق في/ أرض مصر دينار ولا درهم إلا صار [40/ب] ليوسف، عليه السلام، وباعهم في العام الثاني بما في بيوتهم من الأثاث والأواني والفرش، ثم باعهم في العام الثالث بالحلي والجواهر واللئالئ، ثم باعهم في العام الخامس بالحوانيت والدور والضياع[2] حتى احتوى على الأملاك جميعها[3]، ثم

(1) الميرة: جلب الطعام للبيع. اللسان: مير.

(2) أ: الضيع.

(3) ب، د: جميعا.

باعهم في العام السادس ببنيهم وبناتهم ونسائهم حتى صار الكل إليه عبيدا أرقاء، ثم باعهم في العام السابع برقابهم فأقروا له بالعبودية والرق حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة إلا صار مملوكا رقيقا ليوسف عليه السلام.

قال كعب الأحبار[1] رضي الله عنه: أصاب الناس في العام السابع شدة وجوع، حتى إن الرجل كان يأتي يوسف عليه السلام فيقول له: بعتك نفسي بملئ بطني. فلما ملكهم صار ينفق عليهم بحسب مراتبهم، ويعطي أهل كل دار وبيت ما يليق به، ويقوم بحال من فيه وهم يؤمون إليه إذا بدا ويشيرون إليه إذا غاب، فصار الناس كلهم وما يملكونه تحت حكمه وقهره وذلك إكراما من الله تعالى، وجزاء له فيما أقيم في سوق الرقيق ينادى عليه: من يشتري؟ من يزيد؟ وجزاء له بما صبر عن محارم الله تعالى فعوضه الله سبحانه وتعالى خيرا من ذلك حتى مَلَّكه مصر ونواحيها وصارت له بما فيها. ولقد روي عنه أنه كان يأكل الشعير ولا يشبع منه، ويقول: إني أخاف أن أشبع فأنسى الجائع.

[47/ج] قال: فخاف الملك على نفسه/ أن يستعبده يوسف، عليه السلام، مع من [45/د] استعبده من أهل مصر/ لما شاهد من سلطانه وعظيم شأنه، ثم قال له الملك: يا يوسف! إن ربك قد ملكك رقاب أهل مصر وأمرك فيهم نافذ وحكمك عليهم جائز. فقال له يوسف عليه السلام: إني ما أصلحتهم لأفسدهم، ولا أعتقتهم من الموت لأستعبدهم، ولا أنقذتهم من البلاء لأكون عليهم بلاء، ولم أجبهم لنفسي ولكن الله تعالى أجباهم وإياي فقال له الملك: يا يوسف! وأنا أيضا عبد من عبيدك ورجل من خولك[2] فقال له يوسف عليه السلام: وكيف تكون عبدا من عبيدي؟ فقال له الملك: هل الرأي إلا ذلك؟

(1) كعب بن ماتع ذي هجن الحميري، أبوإسحاق، تابعي توفي حوالي 32هـ. ترجمته في حلية الأولياء 5/ 364، تذكرة الحفاظ 1/ 49.

(2) الخَوَل: العبيد وغيرهم من الحاشية الواحد والجمع والمذكر والمؤنث سواء. انظر اللسان: خول.

قال: فقال له يوسف، عليه السلام: أنا أشهد الله وأشهدك أني قد عفوت عن أهل مصر وتصدقت عليهم بجميع أموالهم ورددت عليهم أملاكهم، وأيضا رددت جميع ملكك، فقال له الملك: جزاك الله خيرا يا يوسف. إني لأعلم أن هذا صنع أهل السماء والأرض ولا على وجه الأرض عبد يصنع ما صنعت ويصبر كما صبرت، فبورك فيك وفي علمك/ وحلمك وعقلك وفضلك،/ ثم قال له: [38/هـ][29/أ] فاقض، كما كنت في أول الأمر ما كنت قاض.

قال: ثم إن القحط انتشر في البلاد، فكان أهل النواحي والبلدان يقصدون مصر بأموالهم ويَرِدُونَها ببضائعهم يمتارون الطعام ويشكون ما يجدون، ليوسف عليه السلام، من الشر والضر، وأخذوا يشكرونه/ على ما فيه من الكرم والخير [41/ب] ووصل الجدب إلى بلاد يعقوب، عليه السلام، فظهر ذلك على كل بنيه، وكانوا يجتمعون على يعقوب عليه السلام وهم نحوستين أوسبعين رجلا وامرأة، يشكون إليه ما نالهم من الجدب ويسألونه أن يدعوالله لهم حتى يفرج الله تعالى عنهم وينظر إليهم، فقالوا كلهم: ادع لنا. فقال لهم يعقوب، عليه السلام: يا بني! إنه بلغني أن بأرض مصر ملكا من أكرم الملوك وأصلحهم وأنفعهم لعباد الله تعالى وأحسنهم خلقا وخلقا وأسخاهم كفا وأن عنده الطعام الكثير وقد توجه الناس إليه من كل البلدان ببضاعات وأموال، فحمدوا سيرته، وشكروا إحسانه وقد استخرت الله تعالى على أن أوجهكم نحوه لشراء الطعام. فقالوا: نحن مطيعون لك سامعون لقولك متبعون لرأيك، فحضر عشرة منهم وأعدوا أهبة حسنة وأظهروا زيا بديعا وحملوا ما أمكنهم ولم يقدم مصر أحد أحسن منهم ولا أبهى منظراً. ثم أخذوا في السير، وكان يوسف، عليه السلام، قد نصب قهرمانين أحدهما قبطي والآخر عربي، وأمر أحدهما أن يبيع الطعام من أهل مصر ويأخذ الثمن ولا يسأل عن اسم أحد ولا عن اسم أبيه ونسبه ولا يبيع الغرباء شيئا، وأمر الآخر أن يكون بيعه للغرباء دون أهل البلد وأمره أن لا يبيعهم/ حتى يسأل عن أسمائهم وبلدهم [48/ج]

وقبيلتهم، فإذا عرف القهرمان ذلك لا يبيعهم حتى يعرف يوسف، عليه السلام، بذلك، ويأخذ منه الإذن في البيع، فكان الغريب، إذا دخل، سأله القهرمان، فإذا عرفه تركه واقفا وسار إلى البواب فيعرفه، فيعرف البواب الحاجب، فيعرف الحاجب يوسف، عليه/ السلام فيأذن في البيع. ثم إن بني يعقوب، عليهم[1] [46/د] السلام، خرجوا من بلدهم وعزموا على الوصول إلى مصر وحملوا معهم زادا ظنوا أنه يوصلهم، فنفذ الزاد قبل وصولهم بمرحلتين. قال: وأثر الجوع فيهم ظاهر وغلب عليهم وبان فيهم التغير، فلما وصلوا إلى مصر سألوا الناس عن بائع الطعام فدلوا عليه. فلما وصلوا إليه وقفوا بين يديه وسألوه بيع الطعام فقال لهم: كأنكم غرباء، وليس أمر الغرباء إلي، ولكن انطلقوا إلى موضع كذا وكذا ففيه حاجتكم، فجاءوا إلى القهرمان الآخر الذي وكله يوسف، عليه السلام، بيع الغرباء، فوقفوا بين يديه وسألوه بيع الطعام، فقال لهم: من أنتم؟ فقالوا له[2]: نحن من ولد[3] الأنبياء، فقال لهم[4]: من أي بلد؟ فقالوا: من كنعان. فقال: ما أسماؤكم؟ فقالوا: فلان وفلان وفلان فعدوا عشرة. فقال: ومن آباؤكم؟ فقالوا: نحن أولاد يعقوب. قال: ويعقوب ابن من؟ فقالوا: ابن نبي الله إسحاق بن إبراهيم خليل الله.

قال: فدخل القهرمان على يوسف، عليه السلام، فقال له: أيها الملك ورد علينا قوم يريدون الميرة، من كنعان، صفتهم كذا وكذا، وحالهم كذا وكذا، وأسماؤهم كذا وكذا وأبوهم اسمه كذا وكذا، وإن الجوع قد أثر في وجوههم وهم في غاية من تغير الألوان وتحول الأبدان. قال: فاهتز يوسف، عليه السلام، عند سماع ذلك، وبدا عليه أثر السرور فقال للقهرمان: أنزلهم منزلا حسنا، وأرسل لهم/ طعاما [42/ب]

---

(1) ب، د: عليه.

(2) ساقطة من: ج.

(3) د: أولاد.

(4) ساقطة من: ب، ج، د، هـ.

كثيرا ورفههم ترفيها زائدا يجب لمثلهم وأكثر من ذلك، قال: فتعجب القهرمان من ذلك، وكان يوسف، عليه السلام، لا يفعل مثل ذلك مع أحد من الناس فخرج القهرمان وأمر لهم بما أمر به يوسف عليه السلام وزاد وأدخلهم دار الكرامة.

قال: واشتد سرور يوسف، عليه السلام،/ وشكر الله تعالى وأثنى عليه بإنجاز ما وعده به ربه في الجب بقوله تعالى: ﴿لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون﴾[1] [39/هـ]

قال: فبات تلك الليلة بأغبط ليلة، فلما أصبح لبس أحسن ثيابه وجلس على سرير ملكه، وجعل على وجهه برقعا[2] من الديباج منظوما بالجوهر واللؤلؤ، يرى الناظر وجهه فيه، وهو يرى الناس/ من داخله ولا يرونه من خارجه، وأقام على يمينه ألف جارية بزينتهن وحليهن وعلى يساره ألف جارية كذلك، وأمر قواده أن يلبسوا/ دروعهم وأسلحتهم ويحضروا مع جموعهم وأجنادهم، ففعلوا ذلك واصطفوا صفوفا عن يمين الكرسي ويساره، وأمر الغلمان فاصطفوا من خلف الفرسان بأيديهم الدبابيس[3] الموشية والحراب[4] الذهبية[5] وأظهروا زينة لم يظهر مثلها قبلها[6] عندهم[7]، وصاروا يتعجبون من ذلك ويسأل بعضهم بعضا: ما بال الملك فعل اليوم ما لم يفعله قبل ذلك؟ ثم أمر بالصواع[8] فأحضر بين يديه. وكان من عادته أن/ من دخل عليه من الغرباء وعرفه قضى حاجته، ومن لم يعرفه سأله، فإذا أجابه نقر الصواع فيعرفه الصواع أصدق في أخباره أم كذب، وكان الصواع [30/أ] [49/ج] [47/د]

---

(1) يوسف: 15.

(2) البرقع والبرقوع، جمع براقع، وتلبسه الدواب ونساء العرب وفيه حرقان للعينين. اللسان: برقع.

(3) الدبابيس: واحدها دبوس وهوالمقمعة أي عصا من خشب أوحديد في رأسها شيء كالكرة. اللسان: دبس.

(4) الحراب: ج.حربة وهي آلة الحرب دون الرمح. اللسان: حرب.

(5) أ: الذميمة.

(6) عبارة ب، ج، د: قبلها مثلها.

(7) ساقطة من: ج.

(8) الصواع والصواع والصوع والصوع كله: إناء يشرب فيه. اللسان: صوع.

من ذهب مرصع بأنواع الجواهر واليواقيت والدر، وكان يكتال به الطعام لعزته وعظم قدره وقيمته عند الناس، فجيء بالصواع فجعله بين يديه في حجره ثم دعاهم وأذن لهم في الدخول. ﴿وعرفهم وهم له منكرون﴾[1].

قال: ولما رآه أولاد يعقوب، على نبينا وعليهم الصلاة والسلام، رأوا ملكا عظيما وملكا جليلا ونظروا إليه وإلى الرجال والقهارمة والفرسان والغلمان والجواري والوصائف والحلي والحلل، فرأوا منظرا هائلا لم يروا قبله مثله ولا سمعوا به ولا بمثله فسلموا عليه، أي على يوسف، عليه السلام، بتحية الملوك، وقاموا وقوفا بين يديه منكسي الرؤوس والأعناق، وغضوا أبصارهم، وقف كل واحد منهم ينتظر ما يؤمر به، وجعل يوسف عليه السلام، ينظر إليهم ثم يتشاغل عنهم وينظر إلى جهة أخرى ويكلم وزراءه بما يريد، ولا يكلمهم. فلما كان بعد ساعة طويلة وهم وقوف لا يلتفت إليهم، قال لهم الوزراء: اعتزلوا حتى يفرغ الملك. قال: فخرجوا إلى مواضعهم ولم يكلمهم بشيء، ثم أقاموا ثلاثة أيام لا يؤذن لهم في الدخول ولا في الإنصراف، فوقع في خواطرهم التهمة، وتشوشوا من إطالة النظر إليهم وعدم كلامه لهم. قال: فقال لهم أخوهم يهوذا: يا إخوتاه! إن الملك يطيل النظر إلينا وينظرنا نظرا لم ينظره لغيرنا فإما أن يكون نظره إلينا على سبيل العظمة لنبوءة آبائنا وأنسابنا، وإما أن يكون نظره إلى هيئتنا وتجلدنا وقوتنا، يريد الإعانة بنا على عدومن أعدائه، أوسد ثغر من ثغوره، أويكون بلغه ما فعلنا بأخينا يوسف، فهويريد فضيحتنا وعقوبتنا وانتهارنا، وهذا هوالمصرع الذي كنت أحذركم منه فيا خجلتنا/ [43/ب] وسوء مقامنا! فإن هذا الأمر الذي يفعله الملك بنا ليس سدى ولا بد له من آخر، وأقول: إن له نبأ عظيما.

قال: وكانوا مع ذلك في منزل حسن وكرامة كاملة وضيافة متصلة لم يكن

---

(1) يوسف: 58.

بها أحد غيرهم، وكانوا يغدون ويروحون[عليه وهو/ معرض عنهم، وكانوا [50/ج] يتعجبون ويقولون: من العجب إكرامه لنا وإعراضه عنا، ويريدون][1] مفاجأته بالكلام، فإذا رأوه داخلهم منه الهيبة والحياء فيصمتون، ولبثوا[2] على ذلك أياما وهم في حيرة عظيمة، ثم أذن لهم في الدخول عليه، فأكرم منزلهم وجعل يسألهم ويكلمهم بترجمان بينه وبينهم ليلا يفطنوا إليه ويعرفونه.

قال: وأحضر الصواع بين يديه، فكان كلما يقول لهم[3] الترجمان شيئا ويجيبونه عنه ينقر يوسف، عليه السلام، الصواع ويدنيه من أذنه ويعرفهم أن الصواع يعرفه بصدقهم وكذبهم، إلى أن قال لهم الترجمان: الملك يقول/ لكم: رآكم ذوي [48/د][40/هـ] هيئة وهيبة وقوة اخبروني من أنتم وما نسبكم ومن أي البلاد أنتم؟ فقالوا نحن الأسباط أولاد يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله، نحن الأنبياء وأولاد الأنبياء.

قال: وأخبروه/ بحالهم ونسبهم واعتقادهم وطاعتهم لإلههم، فنقر الصواع [31/أ] نقرة وأدناه من أذنه وأصغى إليه، ثم قال: صدقتم في قولكم. أَلِوَالِدِكم ولد غيركم، أوكان له قبلكم أوخلفتموه معه، أوهوحاضر معكم، أوهوغائب عنكم؟ فأجابوه إلى أن وصل إلى حديث بنيامين. فقالوا: إنه كان لأبينا ولد فقده ولا يدري ما صار إليه أمره، وله أخ شقيق أنس به بعده واستراح إليه في غيبته. فقال لترجمانه: قل لهم: إن الصواع يخبرني أنكم تكذبون في هذا المفقود و إنكم تعرفون خبره. قال: فتغيرت منهم ألوانهم وتلجلجت ألسنتهم وارتعدت فرائصهم. فقال لهم: وكيف كان خبره؟ فقال واحد منهم: أكله الذيب، وقال آخر: أسره عدو. وقال آخر: غرق في البحر. فهز يوسف، عليه السلام، رأسه ونظر إلى الأرض، ثم

(1) ما بين معقوفين زيادة من: ب، ج، د، ه

(2) أ: فلبثوا.

(3) ب، ج: له.

رفع رأسه فقال: وماذا قال والده حين فقده؟ وكيف كان حاله بعده؟ فقالوا: باكي العين حليق الرأس لا يلتذ بهجوعه، ولا يشرب إلا من دموعه، وقد هجر الناس واتخذ لنفسه غارا تحت الأرض ودخل فيه، وبكى حتى ابيضت عيناه من البكاء، ولا يلتذ بمنام، ولا يقر له قرار. قال: فتململ يوسف، عليه السلام، عند سماع أخبار والده عليهما السلام. ثم نقر الصواع وأدناه من أذنه، ثم قال لترجمانه: أما ما ذكرتم من أنكم أولاد الأنبياء فلا أرى عليكم آثار ما ذكرتموه وإنما أنتم لصوص وجواسيس للملوك المعادين لنا، وقد جئتم لتطلعوا على عوراتنا وتعلموا أخبارنا فإذا رجعتم إلى أعدائنا بأخبارنا رجعتم بأمثالكم[1] من أهل القوة تقاتلوننا[2] في بلادنا وتدخلون علينا الفتنة والقتال، وأنا لا أطلقكم حتى أعلم حقيقة خبركم وأمركم[3] وما جئتم به[4] فالصواع يخبرني بأمور كثيرة ويقول: إنكم بضد/ ما قلتم. [43/ب]

قال: فلما سمعوا ذلك أظهروا الخضوع والخشوع وأسبلوا الدموع/ وقالوا: أيها الملك! إنا نسألك بالذي بلغك هذه المنزلة وأعطاك هذه المرتبة، وأكرمك وفضلك وأنعم عليك، إلا ما نظرت بعين الحنانة علينا، وعجلت ردنا إلى أبينا، فإنه اليوم أعظم أهل الأرض حرمة، ويجب على كل من في الأرض إكرامه واحترامه وإن لم ترحمنا فارحم أبانا يعقوب، فلو رأيته ورأيت حاله وشاهدت ما ناله لأحزنك وأبكاك، فقد احدودب ظهره وابيضت عيناه وكابد الحزن، وقد توسلنا به إليك فلا تضيع وسيلتنا ولا تخيب فيك ظنوننا. قال: فقال لهم يوسف، عليه السلام: أما ما ذكرتم من حرمة أبيكم فإني لا أعلم على وجه الأرض أعظم منه حرمة، ولا أعلى قدرا ولا أوجب حقا منه، ولومشى على ظهري مقبلا ومدبرا ما أديت حقه، [43/ب]

---

(1) ب: أشكالهم.

(2) أ: تقاتلونا.

(3) الواو ساقطة من: ج، د، هـ.

(4) ج، هـ: فيه.

ولا وفيت سبقه،/ فأخبروني ما الذي أحزنه وهونبي من الأنبياء؟ أليست الجنة [49/د] نصب عينيه، يأملها ويرجوها، وهوممن أمنه الله تعالى في عاقبته، فما الذي يحزنه بعد هذا؟ ولعله من كثرة مخالفتكم له وعقوقكم المتواصل إليه. قال: فقالوا: أيها الملك! ما نحن من المخالفين له، ولا من العاقين له ولا أتاه الحزن من جهتنا ولا يأتيه، وإنما هو مما ذكرنا لك من فقد ابنه وحبيبه يوسف، وكان أصغرنا وأحبنا إليه، فخرج معنا إلى المراعي فأكله الذيب.

قال: فما الذي حمل أباكم أن وجهكم جميعا، هلا حبس واحدا منكم عنده؟ فقالوا: أيها الملك! إنا كنا اثني عشر ولدا فأكل الذيب واحدا وحبس الشيخ الولد الثاني عنده وهو شقيق المفقود يستأنس به ويستريح إليه، وهو أصغرنا سنا وأحبنا إليه بعد أخيه المفقود. فقال لهم يوسف، عليه السلام: لولا أني أخشى أن تكونوا/ [41/هـ] صادقين وآثم في حبسكم لحبستكم ولغربتكم، ولكن إن كنتم صادقين فارجعوا إلى أبيكم فاقرأوه مني السلام، وقولوا له يكتب إلي كتابا يشرح حاله، ويخبرني ما الذي أكربه وأحزنه، وما الذي أعمى بصره؟ وإيتوني بشرح هذا كله وابنه الأصغر الذي زعمتم أنه حبسه عنده وهوأعزكم عليه، وهومعنى قوله تعالى: ﴿إيتوني بأخ لكم من أبيكم﴾[1] الآية.

قال: فقالوا له: أيها العزيز!/ إنا نرغب إليك في تسريحنا فإن أبانا يعقوب يَقُوتُ [32/أ] سبعين عائلا، فنخاف أن يطول مكثنا عندك فيهلك من وراءنا بالجوع. فقال لهم يوسف، عليه السلام: الصواع يخبرني أنكم إذا انصرفتم لا ترجعون إلا برسم المحاربة والقتال، وقد قويت تهمتكم عندي فكيف أسرحكم وأنا أخاف على رعيتي منكم فاخرجوا لا سراح لكم عندي، فخرجوا وقد داخلهم اليأس ونزل بهم الكرب/ وأيقنوا بالاغتراب والبعد على الأحباب. [52/ج]

---

(1) يوسف: 59.

قال: فبقوا أياما حيارى متملين متقلِّقين، فقال لهم يهوذا: يا إخوتاه! هذا الكرب لا يزيله عنكم إلا تذللكم لهذا الملك ورجوعكم إليه والخضوع بين يديه، فلعله يرحمكم ويرحم عيالكم وينظر إليكم بعين الرحمة. فدخلوا عليه وأظهروا التذلل لديه والخضوع بين يديه. فقال لهم: أما أنا، فلا إذن لكم عندي/ في السير ولا [45/ب] أمكنكم منه الآن إلا أن تتركوا عندي واحدا منكم وتعطوني عهودكم ومواثقكم أن ترجعوا إلي برسالة أبيكم وبأخيكم الأصغر. فقال له يهوذا: نحن أيها الملك! نقترع فمن أصابته القرعة تركناه عندك رهنا حتى نرجع من عند أبيه ونأتيك بما ذكرت لنا. قال: نعم. فاقترعوا فخرجت القرعة على شمعون وهو الذي خلع القميص عن يوسف، عليه السلام، يوم ألقي في الجب. فتركوا شمعون عند يوسف، عليه السلام، وأمر لهم بجهازهم وأمر بكيل طعامهم. فلما وفروا دوابهم ودخلوا عليه للوداع قال: ﴿إيتوني بأخ لكم من أبيكم﴾ أما رأيتم كرامتي للأضياف وأنا أكثر لهم من الإحسان ﴿فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون﴾/ [1] الآية، أي لا حق لكم عندي ولا إذن لكم في الدخول إلى بلدي فلما [50/د] شرط عليهم هذه الشروط وأوعدهم بهذا الوعيد أجابوه بقولهم: ﴿سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون﴾[2] أي سنحتال في أخذه من أبيه و إن كان يشق عليه، ونعلم أن هذا على أبينا شديد، لكنا لا نقصر أيها الملك في إنفاذ أمرك.

قال: فلما استوثق منهم وعلم أنهم لا يخلفونه، أمَرَ فتاه برد بضائعهم التي اشتروا بها الطعام في رحالهم من حيث لا يعلمون، وقال لجماعته: لا تجعلوها كلها في حمل واحد بل اجعلوها مفرقة في الأحمال بحيث لا يمكنهم حجرها وهوقوله تعالى، حكاية عنهم: ﴿اجعلوا بضاعتهم في رحالهم﴾[3] الآية.

(1) يوسف: 60.

(2) يوسف: 61.

(3) يوسف: 62.

قال وزاد في إعظامهم[1] وبالغ في إحسانهم وإكرامهم، وقال: هذا مما يؤكد رجوعهم لأنهم قد رأوا إحساني إليهم فلوأخذت بضاعتهم لما[2] وجدوا شيئا يرجعون به واعتذروا بالفقر. فلما قضوا ذلك كله وأرادوا المسير أمر بهم فأدخلوا عليه فأقبل عليهم وأمر ترجمانه. فقال: قل لهم: إن الملك قد فعل معكم الخير وإنه مودعكم ويقول لكم: أبلغوا أباكم سلامي فإذا لقيتموه، فقولوا له: إنا سمعنا عن همك وغمك فعليك بالصبر الجميل، فإن النصر مع الصبر، واليسر مع العسر، والله لطيف بعباده، ثم إنهم ودعوه وساروا وفي أثناء مسيرهم ورجوعهم إلى يوسف، عليه السلام، بأخيه بنيامين، سلط الله تعالى على زليخا الفناء ومات زوجها العزيز وافتقرت فقرا شديدا، ثم ذهب بصرها وصارت/ تتكفف[3] الناس فقيل [53/ج] لها: لوتعرضت إلى الملك[4] ورآك لرحمك وأعانك بشيء، ثم قيل لها: لا تفعلي، فإنه ربما تذكر ما كان منك إليه من المراودة وطول سجنه وقيده والكذب عليه/ [42/هـ] فيعاتبك عتابا شديدا. فقالت: هيهات! أنا أعْرِف بحبيبي من الناس أجمعين. إن من خُلُقِه الصفح والاحتمال، ثم صعدت ربوة في طريق يوسف، عليه السلام، وكان يركب في كل أسبوع يوما ويركب معه علماء قومه وعظماؤهم وأرباب دولته في نحومائة ألف فارس.

قال: فلما أقبل يوسف، عليه السلام، في ذلك الموكب وقد أحست به زليخا، قامت ونادت بأعلى صوتها: سبحان من جعل الملوك عبيدا بعصيانهم وجعل/ [33/لـ] العبيد ملوكا بطاعتهم. فأمسك/ يوسف، عليه السلام، عنان فرسه ثم نظر [46/ب] إليها وهي واقفة في ذلك المكان على الربوة. فقال لها: من أنت؟ فقالت له: أنا

(1) ب: إعطائهم.

(2) أ: فيا.

(3) ب، د: تكفف.

(4) أ: للملك.

التي كنت أخدمك دهري على رأسي وصدري وأسرح شعرك بيدي وأبذل في محبتك جهدي، وكان مني ما كان، وذقت وبال أمري والعسر بعد يسري، ولقيت نكال مالي وذهب ملكي ومالي وتغيرت، كما ترى، أحوالي وصرت أتذلل للناس فمنهم من يرحمني ومنهم من لا يرحم، بعد أن كنت ملكتهم وكنت صاحبة مصر ومغبوطتها فصرت محرومتها، هذا جزاء المفسدين.

[٥١/د] قال: فبكى يوسف، عليه السلام، عند ذلك، بكاء شديدا رأفة بها ورحمة/ عليها ورقة لحالها وأسفا على ما لها، ثم قال لها: فهل بقي في قلبك شيء مما كان؟ فقالت: والله لنظرة منك أحب إلي من الدنيا وما فيها. ثم قالت له: ناولني سوطك، فناولها فأخذت يده فوضعتها على صدرها وجانب قلبها فأحس منها بارتعاد وارتعاش، فقال لها: ما هذا؟ فقالت: هوما ترى يا نبي الله! ثم سار عنها وهو باكي العين حزين القلب ثم بعث إليها رسوله وقال له: قل لها: يقول لك الملك: إن كنت عازبة تزوجتك وإن كنت ذات بعل أغنيتك.

قال: فبكت عند ذلك وقالت للرسول: إن الملك أعزه الله يهزأ مني ويسخر، هوكان لا يلتفت إلي أيام شبابي وجمالي وغنائي، فكيف يلتفت إلي الآن وهوملك والدنيا في يده وأنا بهذه الحال؟

قال: فرجع الرسول إليه وأعلمه بما قالت له، فلما كان الأسبوع الثاني ركب يوسف، عليه السلام، على عادته وجلست هي على عادتها فلما مر بها قامت فنادته بما قالت له سابقا. فقال لها: ألم يبلغك رسولي وقال لك ما قال، فما ترين؟ فقالت [٥٤/ج] له: ألم أقل/ لك: نظرة إليك أحب إلي من الدنيا وما فيها. قال: فأمر يوسف عليه السلام بحملها إلى قصره ثم أحضر الشهود وتزوجها وأجرى عليها من الأموال ومن الأرزاق شيئا كثيرا، ولم يدخل بها، واستمرت كذلك حتى وصل يعقوب، عليه السلام إلى ابنه يوسف عليه السلام وبعدما ألقى القميص على وجهه فارتد

بصيرا. قال فجاءت ودخلت على يعقوب عليه السلام، ثم سلمت عليه، وقالت: يا رئيس المحزونين تصدق على الممتحنة المحزونة بخيط من القميص يزيل قبضها ويذهب كربها ويعيد بصرها.

قال: فناولها القميص وكان من الجنة كما مر، فمرت به على وجهها وجسدها فرد الله سبحانه وتعالى بصرها وشبابها وحسنها وكمالها ثم زفت إلى يوسف، عليه السلام، وهي في غاية الجمال ونهاية الكمال كهيئتها يوم راودته. ثم دعاها إلى الإسلام فأسلمت بين يدي يعقوب عليه السلام.

قال ثم إن يوسف عليه السلام طلب الخلوة بها. فاستأذنته أن يصبر عليها قليلا حتى تصلي وتشكر الله تعالى ربها: فأجابها لذلك، ثم طلبها أيضا فامتنعت فجذبها فشق قميصها من دبر ثم واقعها فوجدها بكرا، فقال لها يوسف عليه السلام: ما حملك/ على ما فعلت يوم المراودة؟ فقالت: يا نبي الله! اعذرني/ فإن الله تعالى قد [47/ب][43/هـ] كساك حلة الجمال والكمال، وكان زوجي عنينا[1] لا يقدر على إتيان النساء، وكنت مشركة بالله حينئذ فلا تؤاخذني. قال: وأقامت عنده مدة، فولدت له في أربع سنين في الإسلام ولدان وطاب عيشهما.

قال وهب بن منبه رحمه الله: لما خرجوا من عند أخيهم يوسف، عليه السلام، حصل لهم السرور والحبور واغتبطوا بقضاء حوائجهم وأخذ الطعام والميرة بأرخص مما أخذها/ غيرهم، لكن كانت في قلوبهم غصة بترك أخيهم شمعون، [52/د] وكيف يسألون أباهم ابنه الثاني بعدما فعلوا/ بالأول ما فعلوا، وخافوا ألا [34/أ] يصدقهم، فلا ينعم لهم بإرساله معهم، لكنهم لم يجدوا بدا من ذلك، فلما قدموا على أبيهم قالوا: ﴿يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكل وإنا له لحافظون﴾[2]

(1) العِنِّين: الذي لا يأتي النساء ولا يريدهن. انظر اللسان: عنن.

(2) يوسف: 63.

الآية. قال: وأخذوا في ذكر الملك وشكر[1] صنيعه الجميل معهم وإنزاله إياهم أحسن المنازل وبيعه لهم الطعام بأرخص الأثمان. وقالوا له[2]: يا أبانا إن لم توجه معنا أخانا لا وجه عندنا[3] في لقاء الملك بعد هذا ولا نقدر نطلب مما عنده شيئا. قال: فقال لهم أبوهم: يا بني! ولم ذلك، وقد اخبرتم عنه بالكرامات السابغات[4] والخيرات الوافرات؟ فقالوا له: لأنه سألنا عن أخينا بنيامين وطلب منا الورود به عليه وأمسك أخانا شمعون/ عنده حرصا على لقاء بنيامين، ومن أعظم ما [55/ج] رأيناه منه من الحث علينا في طلبه عند وداعنا، أنه قال: ﴿فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون﴾[5] ثم قال: ولا آذن لكم في الدخول إلى بلدي، فإن أنت سمحت بتوجهه معنا فنرجوا أن يكون لنا عنده حظوة وكرامة ونكتال الطعام، وإن منعته من التوجه معنا لم يقض حاجتنا. فأجابهم أبوهم بما أخبر الله تعالى به: ﴿هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل، فالله خير حفظا وهوأرحم الراحمين﴾[6] ثم قال: إن أخذتموه مني بالمواثيق الأكيدة وضمنتم لي رده أرسلته معكم، ثم قال بعدما تذكر المفقود: كيف أسلمه إليكم وقد فعلتم ما فعلتم، ثم سكت عن ذلك وكرهه واهتم هَـمًّا شديدا وجعل يبكي ويردد أمر يوسف، عليه السلام، وحديثه وهم يدعون للملك ويذكرون حسن سيرته ويقولون: يا أبانا! ما رأينا ملكا قط أشبه به منك في الأوصاف وإن جميع عاداته وسيرته وخلقه يشبه خلق الأنبياء، وقد أحسن إلينا، ولوحملنا أخانا إليه لازددنا كرامة عنده مع ما كنا نزداد من الهدايا والتحف، وأكثروا على أبيهم من القول ولم يزد على قوله: ﴿هل

(1) ب: وذكر.

(2) ساقطة من: ب، د.

(3) ب، ج، د، هـ: لنا.

(4) ب، هـ: السابقات. ج: السالفات.

(5) يوسف: 60.

(6) يوسف: 64.

آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل﴾. قال: فلما أعياهم ذلك قام كل واحد منهم إلى رحله وفتحه فوجدوا الثمن الذي دفعوه في الطعام في رحالهم. فقالوا: ﴿يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير﴾[1].

وكان الطعام يومئذ له قيمة عظيمة، فلما رأى يعقوب، عليه السلام، [ذلك][2] سكن واطمأن قلبه أن يبعث معهم ابنه بنيامين، لكن لم يجب إلى ذلك إلا أن أفنى الدهر ما عندهم من الطعام فدخل[3] عليه الصبيان يبكون من الجوع. قال: فَلَانَ قلبه واطمأن لهم لبُّه/ أن يوجه ابنه بنيامين معهم بعد أن استخار[4] الله تعالى في ذلك، وعزم على الصبر، فيما نزل به، ثم قال لهم: ﴿لن أرسله معكم حتى تؤتون[5] موثقا من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم﴾ أي إلا إن نزل بكم أمر مقدر من السماء لا يمكنكم دفعه، من موت أو مرض، فكأنه استثنى موثقه وعلم أن المقدور لا يرد، فقال لهم: ﴿إلا أن يحاط بكم﴾/ فلما أتوه موثقا قال: ﴿الله على ما نقول وكيل﴾[6] أي شهيد عليه. [48/ب] [53/د]

سئل ابن عباس رضي الله عنه عن الموثق الذي أخذه يعقوب، عليه السلام، على بنيه، فقال: إن يعقوب،/ عليه السلام، قال لأولاده: يا معشر أولادي! إن ختمتموني في ولدي بنيامين فأنتم بريئون مني وأنا بريء منكم والنبي العربي الذي يكون آخر الزمان، له/ أمة كصفوف الملائكة في السماء، ويكون لهم دوي كدوي [44/هـ] [56/ج]

(1) يوسف: 65.
(2) زيادة من: ب، ج، هـ.
(3) عبارة ب، ج، د، هـ: فدخل الصبيان عليه.
(4) د: استخر. أ، ج: استأخر.
(5) أ: تون.
(6) يوسف: 67.

الأشجار بشهادة أن لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وهو صاحب التاج والبردة والقضيب والوجه الأقمر والجبين الأزهر والحوض المورود واللواء المعقود والمقام المحمود، ذلك هو النبي العربي محمد ﷺ، فإن ختمتموني في ولدي فأنتم منه بريئون [35/أ] وهو معرض عنكم بوجهه يوم القيامة. قال: فقالوا/ له: ﴿الله على ما نقول وكيل﴾.

فلما قضى يعقوب، عليه السلام، موثقه وأنفذ جهده، دعا ابنه روبيل فقال: اكتب عني إلى الملك، بمصر، كتابا أمليه عليك. قال: نعم، قال: اكتب بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، من يعقوب نبي الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله إلى ملك مصر، أما بعد: فإنك سألتني، على لسان ولدي، عن سبب حزني وشيبي وانحناء ظهري وذهاب بصري فاعلم أني أولى الناس بذلك وأحقهم به وأخوفهم من الله وأذكرهم. أما شيبي قبل أوانه، فمن خوف يوم القيامة وخوف النار وشدة عذابها، وأما انحناء ظهري ووهن عظمي وذهاب بصري فمن الحزن على قرة عيني وثمرة فؤادي يوسف، ومواصلة بكائي عليه، فإنه كان حبيبي ونور بصري، وكان أنيسي في وحدتي، وقد أصبت فيه وفرق الدهر بيني وبينه، فلا أدري أهو حي فأرجوه، أم ميت فأحتسبه وأسلوه، وأنا من أهل بيت موكل بنا البلاء، خصصنا به، فلا تصفو لنا الدنيا، ولا نزال فيها منغصين معذبين، وما ذلك لهواننا على الله عز وجل، ولكنها حماية ليخلص لنا أجرنا ونسلم من النقص عنده، وقد بلغني اهتمامك بأمري وسؤالك عني وعن حالي، فالله يجازيك[1] عن ذلك[2] خيرا، وكفى بالله مجازيا ومثيبا، واعلم أنك لا[3] تكرمني بكرامة أعظم عندي ولا أبلغ لشكري من أن تعجل سراح[4] أولادي وردهم إلي فيتجدد بهم أنسي وتنبسط بهم

(1) ب، ج، د، هـ: يجزيك.

(2) ج، عني. د: عنا.

(3) ب: لم.

(4) أ، ب، هـ: بسراح.

نفسي، فلو رأيت ما أنا عليه لأبكاك حالي، وقد وجهتهم إليك بأمانة الله فردهم إلي بأمانة الله والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

قال: ثم ختم الكتاب وقال لبنيه ما أخبر الله تعالى به: ﴿يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة﴾[1] قيل: لأنه خاف عليهم العين، ولا عجب لنا في ذلك لأن نبينا عليه الصلاة والسلام. قال: «العين حق والسحر حق فاستعيذوا بالله من شر العين فإنها تدخل الرجل القبر/ والجمل القدر»[2] أوكما قال ﷺ. [49/ب] وقيل: إن الأعرابي الذي لقي يوسف، عليه السلام، في بعض أزقة مصر قال له يوسف، عليه السلام: أبلغ سلام المهموم المظلوم إلى المكظوم، فلما بلغ ذلك يعقوب، عليه السلام/ ، صارت/ في نفسه أن يوسف عليه السلام، بمصر فأمرهم [54/د][57/ج] أن يدخلوا من أبواب متفرقة لعل أحدا منهم أن يقف ليوسف، عليه السلام، على خبر، ولم يعلم يعقوب ما خص الله تعالى به يوسف، عليه السلام، من الملك والسلطان والفضل والامتنان، ولما وصلوا مصر وأخبر يوسف، عليه السلام، بوصولهم ووصول أخيهم بنيامين معهم سر بذلك سرورا عظيما وأمر بمجلسه فزين وجلس على سرير ملكه، وأمر بأواني الذهب والفضة مملوءة مسكا وعنبرا وأنواع الطيب، فنصب من باب قصره إلى موضع سريره عن يمين وشمال، ثم أمر بدخولهم عليه، فلما دخلوا عليه قدموا بنيامين بين أيديهم ليعلم الملك بوصولهم بالشرط ثم دخلوا في أثره. قال: فلما نظر بنيامين إلى تلك الأواني جعل يأخذ من الطيب ويتمسح به فلامه إخوانه على ذلك وقالوا له: ما أجهلك! ألك وضعت هذه الأواني؟ ولأجلك ملئت/ طيبا؟ هذا سوء أدب منك لأنك لم تتعود الدخول [45/هـ] على الملوك. فقال لهم: ليس الأمر كذلك. إن هذا ملك عزيز، وقد تعود الطيب، ووردنا وعلينا أثر السفر، وقد تغيرت روائحنا، ففعل إخوته مثله، وقالوا له:

(1) يوسف: 67.

(2) الحديث ورد في حلية الأولياء 7/ 90 وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة: 1239.

صدقت، ويوسف عليه السلام، ينظر إليهم وقد امتلأ سرورا.

قال: فلما وقفوا بين يديه ونظروا إلى بهاء ملكه وزيادة الزينة، عما رأوه أولا، تعجبوا من ذلك وقالوا: هذا الملك غير الملك الذي لقيناه أولا، ففاجأهم الترجمان وقال لهم: الملك يقول لكم: من أنتم، ومن أين[1] أقبلتم؟ قالوا: [نحن][2] بنو[3] الأنبياء الذين[4] أمرتنا أن نأتي إليك بأخينا. قال: نعم، عرفتكم وأنتم عندي مكرمون. قال: فاستبشروا بذلك وعلموا/ أن الملك الذي أرسلهم هو هذا. [36/أ] فقالوا: أيها العزيز! امتثلنا أمرك والتزمنا سمعك وطاعتك وأتينا بأخينا ومعنا كتاب أبينا. فقال للترجمان: خذ منهم الكتاب، فأخذه منهم وأعطاه ليوسف عليه السلام، قال: فلما قرأ كتاب أبيه فاضت عيناه ثم أمر بإنزالهم في دار الكرامة وأمر بإكرامهم، كما تقدم، ثم بعد أيام قلائل، أمر بطعام جليل وأمر بإحضارهم جميعا لديه فحضروا وأمرهم بالجلوس فجلسوا بين يديه على الموائد بعز وسرور وكرامة عظيمة والولدان والوصائف وقوفا على رؤوسهم بأنواع الأشربة، فلما أرادوا التناول قال الترجمان: إن الملك يأمركم أن يجلس كل شقيقين على مائدة/ ، وبقي [50/ب] بنيامين وحده لأنه لم يكن له شقيق إلا يوسف، عليه السلام، فتأخر عن الطعام وجرت دموعه وجعل يقول: واحر قلباه على فراقك يا يوسف! ولم يدر أن الذي يبكي لفراقه قد جرى القدر بدنوه وتلاقيه منه./ قال: فلما رأى يوسف، عليه [58/ج] السلام، حاله وسمع مقاله أشفق عليه ومال إليه وقال: يا غلام! لم تأخرت عن الطعام؟ فقال: أيها الملك أمرتنا أن يجلس كل شقيقين على مائدة، وكان لي شقيق يسمى يوسف ففقدته وصرت بعده مفردا، فكلما ذكرت فقده تجددت أحزاني

(1) ب، ج، د، هـ: أي البلاد.

(2) زيادة من: ب، ج، هـ.

(3) ب: أولاد.

(4) أ: الذي.

وتزايدت أشجاني، ثم صاح صيحة عظيمة وصعق ووقعت الصيحة في المجلس حتى ظن أحد إخوانه أنه قد مات. قال: فنزل يوسف عن سريره ورفع رأس بنيامين ووضعه في حجره، وجعل يساعده في البكاء حتى أفاق وهم ينظرون إلى ذلك ويتعجبون منه غاية العجب. فلما أفاق من البكاء أمر يوسف، عليه السلام، الخدم بحمله إلى السرير حتى يجلس معه، فحملوه ووضعوه إلى جانبه، ثم أمر بإحضار مائدة من ذهب مرصعة بالجواهر، وأمر بأنواع الأطعمة فحضرت، ثم قال له عند ذلك: إني أنا أخوك، يعني، إن بقيت منفردا فأنا لك كالأخ، فجعل يأكل معه. قال: فعظم ذلك على إخوانه وقالوا: انظروا إلى ابن راحيل، أخوه الأول قال: أنتم عبيدي، وهذا، إذا رجع إلى كنعان، يفتخر ويقول: أنا جلست على سرير الملك وأكلت معه، فأقبل عليه يوسف، عليه السلام، وقال له: يا فتى! ألك زوجة؟ قال: نعم. قال: ولك أولاد؟ قال: نعم، ثلاثة ذكور. فقال[1]: ما سميت الأكبر؟ قال: ذيب. قال: ولم ذلك؟ قال[2]: لأن إخوتي زعموا أن أخي يوسف أكله الذيب، فأنا أحب أن أذكر[3] ذلك. قال: والثاني ما سميته؟ قال دما. قال: ولم ذلك؟ قال: لأنهم جاءوا على قميصه بدم كذب، وأنا أحب أن أذكر ذلك. قال: فما سميت الثالث؟ قال: يوسف. قال: ولم ذلك؟ قال: ليلا يندرس هذا الاسم من عندنا. قال: فعند ذلك[4] اهتز يوسف، عليه السلام، هزة عظيمة وغلب عليه البكاء حتى كاد يصيح ويغشى عليه، ثم كف دموعه وتماسك، ثم قال: يا فتى! قم إلى البيت لأخبرك بأمر عجيب، فقام معه بنيامين فدخل البيت وأرخيت دونهما الستور، ثم كشف على وجهه البرقع وبدا الوجه الجميل وقال له:

---

(1) ب، ج، د: قال.

(2) ساقطة من: هـ.

(3) ج، د، هـ: أكثر.

(4) ب، ج، د، هـ: فاهتز عند ذلك.

أنا أخوك وقرة عينك يوسف. قال: فاعتنقا وبكيا بكاء شديدا فضجت الملائكة في السماوات وخر بنيامين ساجدا لله تعالى شكرا وفرحا، ومن شدة الفرح غشي عليه، ثم قال له يوسف؛ ما أخبر الله تعالى به: ﴿إني أنا/أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون﴾[1] واكتم أمرنا حتى يجمع الله تعالى بيننا وبين أبينا، وأريد أن أحبسك عندي وأكيد مكيدة في ذلك فلا تحزن فإن مع العسر يسرا. قال: فخرج بنيامين من عند أخيه يوسف، عليه السلام، وقد امتلأ سرورا وفرحا فلقيه إخوته يهنونه بخلوته مع الملك ويقولون/ له: هنيئا لك يا بنيامين، ماالذي قال لك الملك؟ فقال: وعد بكل خير، ولقيت منه ما هوأهله، ثم أمر يوسف، عليه السلام، وكيليه، وهما الفتيان، القهرمان ورفيقه العربي اللذان أقامهما للكيل، أن يكتالوا للإخوة وأن يكون الصغير منهم آخر من يكال له، وأن يجعل الصواع في رحله والإخوة لا يشعرون بذلك، ولم يكن إلى يوسف، عليه السلام، شيء أحب من/ الصواع ولا أكثر قيمة منه، وكان الله سبحانه وتعالى قد وهبه له، فيه معجزة وهي أن يعلم، إذا نقر عليه، الصادق/ من الكاذب، فأمر يوسف، عليه السلام بجعله في رحل أخيه بنيامين وأعلمه بذلك، وقال له: سأجعله في رحلك حتى آخذك بالسرقة وأسرحهم فلا تخف ولا تحزن، فإن الله عز وجل/ يكيد لنا.

[46/هـ] [59/ج] [56/د] [37/أ] [51/ب]

قال الله تعالى: ﴿كذلك كدنا ليوسف، ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك﴾[2] الآية. فجعل الصواع في وسط الغرارة[3] وشدوا رؤوس الغرائر ثم سلموها لأربابها، وكذلك كانوا يفعلون مع الناس الذين كانوا يشترون منهم الطعام، ثم قال الله تعالى حكاية عنهم: ﴿فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية[4] في رحل

---

(1) يوسف: 69.

(2) يوسف: 76.

(3) الغرارة: الجوالق، جمعها، غرائر وهي التي للتبن. انظر اللسان: غرر.

(4) السقاية: الإناء الذي يسقى به، وهي هنا الصواع الذي كان يشرب فيه الملك. انظر اللسان: سقي.

أخيه﴾،[1] الآية.

قال ابن جريج[2]: إن الصواع كان يشرب به الملك. ثم أمرهم بالحمل فحملوا طعامهم وودعوا الملك وساروا فرحين مسرورين حتى سافروا عن مصر ثلث[3] يوم، فلما نزلوا، إذا جماعة من القهارمة والحجاب بالسيوف والرماح، سابقون مسرعون إليهم، فلما أحاطوا بهم ونادى مناديهم: إنكم لسارقون، فتحيروا عند سماع ذلك النداء، وأقبلوا عليهم بالسلاح، وقالوا[4]: ما هذا الكلام، ولم سميتمونا سارقين؟ قال الله عز وجل مخبرا عنهم: ﴿**ماذا تفقدون؟ قالوا: نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم**﴾[5] الآية. ثم قالوا لهم: فما جزاؤنا منكم [هذا][6]، أدخلناكم منازلنا وبذلناكم طعامنا، ووفينا لكم مكيالنا، فهذا كان منكم جزاؤنا؟ وأحب الأشياء إلى الملك صواعه الذي يعلم به الصادق من الكاذب، ويشرب به إذا عطش، فردوا علينا صواعنا، فمن رده منكم كان له به حمل بعير ﴿**وأنا به زعيم**﴾ وكان حمل البعير يومئذ له قدر وقيمة، قال: فأجابوهم بما أخبر الله تعالى[به][7] ﴿**تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين**﴾[8] فقد رأيتم سيرتنا وظهرت لكم العلامة الصادقة منا في الأقوال والأفعال والأموال، فكيف سميتمونا سارقين؟ ﴿**قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في**

(1) يوسف: 70.

(2) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو خالد، فقيه الحرم المكي (80_150هـ)، ترجمته في تاريخ بغداد 10/ 400. الوفيات 3/ 163 تهذيب التهذيب 6/ 402.

(3) أ: ثلاث

(4) ج: فقالوا.

(5) يوسف: 72.

(6) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(7) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(8) يوسف: 73.

رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين﴾[1] أي يسترق ويبقى مملوكا عندنا للمسروق منه، فهذا هو الحكم عندنا وهي شريعة آل يعقوب، فقالوا: هذا هو الحكم الثابت المشروع عندنا في ملتنا، ثم قيل لهم: ردوا العير، فردوها ورجعوا/ إلى يوسف، [60/ج] عليه السلام، فلما وقفوا بين يديه أمر بتفتيش أوعيتهم وهم لا يخشون من ذلك لعلمهم ببراءتهم، ففتشوا رحال العشرة فلم يجدوا شيئا حتى وصلوا إلى رحل بنيامينَ فتركوه ولم يفتشوه، وصاروا يعتذرون إليهم وأمروهم بالمسير، فحسد بنيامينَ إخوتُه وقالوا: إن ابن راحيل يفتخر علينا بهذا وبما تقدم له من الخلوة مع الملك، ثم قالوا: أيها الملك ما لرحل أخينا لا تفتشوه؟ قال: لعله بريء الساحة كما أنتم، فقالوا: لا بد من ذلك، قال/ يوسف، عليه السلام: إن كان ولا بد من ذلك [57/د] فأنتم فتشوه بأيديكم، ولا يتولى ذلك غيركم.

قال: ففتشوه بأيديهم، فإذا الصواع فيه، فلما رأوا ذلك ضاقت صدورهم وسدت عليهم المسالك وصاروا متحيرين باهتين لا يردون جوابا ولا يفهمون[2] خطابا، ونكسوا رؤوسهم، ثم قالوا له: يا ابن المشؤومة! هذا من شؤم أمك وشؤم/ [47/هـ] أخيك، فليت ما فعلناه في أخيك فعلناه فيك[3]، إذ أنت أحق بذلك منه، فكيف فضحتنا وفضحت أباك؟ فقال لهم أخوهم بنيامين: يا إخوتاه! اسمعوا مني ولا تعجلوا/ علي حتى آتيكم ببرهان تعرفون به براءتي، فقالوا له: قل. فقال[4]: ألستم [52/ب] تعلمون أن بضاعتكم ردت إليكم يوم صدرتم من عند الملك، فإن كنتم سرقتم بضاعتكم فأنا سارق الصواع الآن، وإن كنتم براأى فأنا أيضا بريء[5]، فظهرت

(1) يوسف: 75.

(2) ج: يقيمون.

(3) ب، ج، د، هـ: معك.

(4) هـ: فقال لهم.

(5) ج: فأنا بريء، أيضا.

حجته لديهم وسكتوا عنه وتركوا ملامهم له، فقال لهم يوسف، عليه السلام: ألم أقل لكم: إن الصواع يخبرني عنكم بأشياء، وإنكم لصوص؟ فقالوا: أيها الملك! ﴿إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم﴾[1]. قال: فاحتوشهم الجند والخدم كالمنكرين، فأخرجوا من بينهم بنيامين بالعنف، وجعلوا يجرونه حتى غيبوه عنهم وأدخلوه قصر الملك، فلما غاب عن إخوته، قام يوسف، عليه السلام، عن سريره، ودخل على أخيه بنيامين وجعل يضمه إليه ويجمعه إلى صدره ويقول له: لا تحزن، أنا أخوك/ يوسف، ثم ألبسه أنواع الثياب [38/أ] الفاخرة وجعلا يتحدثان بما فعل إخوته به، ثم قال له: يا أخي! طب نفسا وقر عينا، اخرج إليهم وانظر ما يقولون. قال: فلما خرج إليهم رآهم باكين محزونين في خجل وذل. قيل: وقد اعترض بعض الناس وقال: كيف جاز له أن يفعل ذلك ويمكر بهم ويسميهم بسارقين ويوبخهم؟ فالجواب عنه: أن الله تعالى قد برأه من الذم وأضاف تلك المكائد إلى نفسه فقال تعالى: ﴿كذلك كدنا ليوسف﴾ الآية. فلا تظن أن يوسف، عليه السلام، أتى باطلا أو فعل ما لم يوح إليه والدليل/ على ذلك [61/ج] أن الله تعالى قال في آخر الآية: ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾[2].

قيل: إن جد يوسف، عليه السلام، وهوجده لأمه كان يعبد صنما وكانت راحيل أم يوسف، عليه السلام، تكره ذلك، فكانت تقول ليوسف: اسرق الصنم ليرى الشيخ عيب معبوده، وهومعنى قولهم الذي أخبر الله تعالى به عنه حكاية عنهم: ﴿إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل﴾[3] الآية. ثم خرج يوسف من عند أخيه بنيامين، فأمر بالصواع فأحضر بين يديه فنقره[4] نقرة سمعوا

(1) يوسف: 77.
(2) يوسف: 76.
(3) يوسف: 77.
(4) أ: فأنقره.

طنينها، فقال: اسمعوا ما يقول الصواع، إنه[1] يقول لكم: ختنتم أباكم في ولده الأول، فارتعدت فرائصهم وقالوا: يا أيها العزيز! استر علينا ما ستره الله تعالى [58/د] وإنا نسألك بالذي/ فضلك على العالمين إلا ما رحمتنا ورحمت شيبة أبينا وأزلت كربته ووحشته، فلما ذكروا والدهم قال لهم[2]: لولا حرمته وحرمة رسالته إلي لفعلت معكم وصنعت بكم[3] ما تستحقونه، فانطلقوا وغيبوا عني فلا حاجة لي بكم، وقد رغبت في تسريحكم إلى أبيكم، فقالوا له: لعلك إن ترد علينا أخانا [53/ب] الذي حبسته عندك وأنت لا تعلمه بشيء من سرقة ابنه وتوجهه إليه، فإن حبسته/ عندك تضاعف بلاؤه ولكن ﴿خذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين﴾[4] وجعلوا يتذللون بين يديه ويخضعون له ولوزرائه وحجابه، فقال لهم يوسف، عليه السلام: واعجبا لكم تقولون إنكم أولاد الأنبياء وإنكم الأسباط في شرعكم وشرع آبائكم أن نأخذ البريء ونسرح السقيم السارق. ﴿معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده﴾[5]. قالوا: يا أيها الملك! لا يمكننا الرجوع إلى كنعان دونه، وقد عهدنا لأبينا عهدا وقد أعطيناه ميثاقا غليظا، لا يمكننا حله. فقال يوسف، عليه السلام: أخرجوا عني، إنما أخوكم مأخوذ بجريمته. قال: فضجوا من ذلك وضاقت صدورهم وسدت عليهم المسالك، ثم خرجوا يتشاورون كيف رأيهم، وفيما ينظرون، وماذا يصنعون؟ ثم قالوا له: ﴿يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه﴾[6] الآية. فإن أباه هالك، إن لم ترحمه وقد أحسنت إلينا، [48/هـ] ورأينا منك إحسانا زائدا على أفعال الملوك الصالحين/ فاستعبد أحدنا مكانه. فرد

(1) ساقطة من: ب، ج، د، هـ.

(2) ساقطة من: ب، د.

(3) عبارة ب، د: لفعلت بكم وصنعت معكم.

(4) يوسف: 78.

(5) يوسف: 79.

(6) يوسف: 78.

عليهم مثل قوله الأول، واستعاذ بربه ﴿أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده﴾. أي صواعنا هذا. قال: وأخوهم بنيامين في قصر عظيم ومجلس كريم وخدم وسرور ونعيم وحبور، ولم يكن على يوسف، عليه السلام، في ذلك عيب لأن الله سبحانه وتعالى قرره في كتابه العزيز فقال تعالى: ﴿كذلك كدنا ليوسف﴾ وما قصده تحقيرا ولا تعذيبا بل تهذيبا وتأديبا حتى تظهر سرائرهم وترفع درجاتهم/ [62/ج] بالاعتراف والتوبة الصادقة. قال: فخرجوا من عند يوسف، عليه السلام، وقد داخلهم اليأس ونازلهم الغيظ، وعلموا أنه لا يؤذيهم أخاهم وهو معنى قوله تعالى: ﴿فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا﴾[1] الآية، وهذه الآية من فصيحات القرآن الكريم العظيم. ﴿قال كبيرهم﴾، يعني في العلم والسن والقوة، ﴿ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف﴾[2] الآية. أي ومن قبل أخذ مواثقنا في يوسف، عليه السلام، فقطعنا رحمنا وظلمنا أخانا وقد ذقنا وبال ذلك، وقد اطلع على أمرنا[3] ﴿فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أويحكم الله لي وهوخير الحاكين﴾[4] الآية.

قال: فقالوا: ندخل على[5] الملك ثالث مرة[6] فإن سمح لأخينا فذاك البغية والمراد وإن أبى ذلك حاربناه/ بالقوة التي أعطانا الله تعالى، وذلك أن الواحد من [39/أ] أولاد يعقوب، عليه السلام/ كان إذا غضب انتفخ واقشعر جلده في ثيابه فتخرج [59/د] من كل شعرة قطرة دم فإذا ضرب برجله الأرض تزلزلت ثم يصعق ويزعق[7]

(1) يوسف: 80.

(2) يوسف: 80.

(3) عبارة ب، د: وقد اطلع علينا الملك.

(4) يوسف: 80.

(5) ب، د: إلى.

(6) أ: ثلاث مرات.

(7) صعق الإنسان يصعق صَعْقا وصعَقا: غشي عليه وذهب عقله من صوت يسمعه. وزعق يزعق فهو زَعِقٌ: وهوالنشيط الذي يفزع مع نشاطه وقد أزعقه الخوف. انظر اللسان: صعق، زعق.

فلا تسمع ذلك الصوت حامل إلا وضعت ما في بطنها دما غبيطا ولا يسمعه أحد إلا غشي عليه، فإذا مسه أحد من آل يعقوب عليه السلام أومن نسله سكن ما به وزالت قوته وصار كواحد من الناس، وكان يوسف، عليه السلام، أقواهم بأسا وأشدهم قوة، فقال يهوذا لإخوته:/ اكفوني أهل مصر وأنا أكفيكم الملك ومن معه أو اكفوني الملك ومن معه وأنا أكفيكم أهل مصر. قال: ووجه يهوذا أحد إخوته وقال له: انظر كم من سوق في مصر؟ فقال: تسعة أسواق، فقال: يا إخوتي! كل واحد منكم يقوم بسوق وأقوم أنا بالملك ومن معه. [54/ب]

فقالوا: نعم. فدخل يهوذا مغضبا على يوسف، عليه السلام، فقال له: أيها الملك! رد علينا أخانا وإلا صحت صيحة في قصرك فلا تبقى حامل إلا وضعت ما في بطنها دما غبيطا، ومات كل من يسمع صيحتي وكان بين كتفيه شعرات إذا غضب خرجت من ثيابه كالمسالّ[1]، فلا تسكن حتى يسفك دما أويمسه أحد من آل يعقوب عليه السلام. قال: فقامت تلك الشعرات فنظر إليها يوسف، عليه السلام، فقال لولده الأكبر: قم وخذ بيد ذلك الرجل وآتيني به. فقام الولد وأخذ بيده وأتى به يقوده وقد زالت حدة الرجل وسكن غضبه وزالت قوته، فالتفت يهوذا يمينا وشمالا فلم يجد أحدا من إخوته فقال: والله لقد مسني أحد من آل يعقوب، فقال له إخوته: مالك؟ فقال لهم: من حضرني منكم؟ قالوا: والله ما حضرك منا أحد. قال: فأين شمعون؟ قالوا: مضى إلى الجبل يأتي بصخرة يشدخ[2] بها رأس من في هذا المنزل.

فقالوا له، لما جاء بالصخرة: ارم بها، فإنها لا/ تفيد شيئا [ثم][3] قال يهوذا: [63/ج]

(1) المسال: الإبر العظام، انظر اللسان: مسل.

(2) الشدخ: كسر الشيء الأجوف كالرأس ونحوه. انظر اللسان: شدخ.

(3) زيادة من: ب، ج، د، هـ

أقسم بالله أن في هذا القصر[1] أحدا[2] من آل يعقوب، فقالوا[3] ليهوذا: إذن، فأشر علينا بما نفعل ودبرنا برأيك. ولما علم يوسف عليه السلام أن غضب يهوذا قد سكن قام إليه وجذبه جذبة شديدة كاد أن ينصدع لها قلبه ونكته[4] في الأرض، فقال يهوذا: يا معشر الكنعانيين، إنكم تظنون أنه ليس أحد مثلكم في القوة، ثم قال عند ذلك: هذا هو القوي يعني الملك، فعندها أظهروا الخضوع وسكبوا الدموع، فلما رأى يوسف، عليه السلام، منهم ذلك، قال لهم: قد عفوت عنكم، وإنما أردت أن أريكم فضل قوتنا/ وما عندنا، ثم نقر الصواع وقال: إن الصواع يخبرني [49/هـ] أنكم طرحتم أخاكم في الجب ثم أخرجتموه وبعتموه بثمن بخس. قال: فأنكروا ذلك وقالوا: لم نفعل ذلك، ولعل الملك قد سمع غلطا، فأخرج الكتاب الذي كتبوه بأيديهم يوم بيعه وفيه خطوطهم وقال: وهذا الكتاب وجدته في خزائني وهومكتوب بالعبرانية فانشروه واقرأوه وفسروه/ فأخذه يهوذا ونظر فيه وقال: [60/د] يا روبيل! أتعرف خطك؟ قال: فلما نظر روبيل الكتاب عرفه، فعندها داخلهم الجزع، ودهشت قلوبهم وخرست ألسنتهم، فقال لهم يوسف، عليه السلام: ما لكم؟ ويحكم، لقد جئتم بها لا يليق، ولوكنتم كما تقولون ما ارتكبتم في صغركم ما ارتكبتم، ثم نقر الصواع وأصغى بأذنه إليه. وقال: إن الصواع يقول: إنكم قد فرطتم في أخيكم، وإن أخاكم الذي تزعمون أنه ميت هوحي، وإنه سيرجع ويحضركم ويخبر الناس بصنيعكم به، ثم نقر الصواع وقال: إنه يقول: إنكم كذبتم على أبيكم، ثم نقر الصواع وقال: إنه يقول.

كُلُّ ما دخل على أبيكم من الغم والحزن من قِبلِكم، ثم نقر الصواع وقال:

---

(1) أ، ب، ج: المنزل.

(2) ب، ج، د، هـ: واحد.

(3) أ: فقال.

(4) نكته: أي ألقاه على رأسه. انظر اللسان: نكت.

إنه يقول: إنكم لم تتوبوا من هذا الذنب، وما زلتم عليه مصرين، ولم تستغفروا
[55/ب] الله/ عز وجل منه، ثم قال لهم: لأصيرنكم نكالا للعالمين. علي بالجلادين حتى
[40/أ] أقطع أيديكم وأرجلكم من خلاف، قال/ : فلما سمعوا ذلك قال يهوذا: هذا ما
قد حذرتكم منه يوم فعلتم بأخيكم ما فعلتم، وقلت لكم: إن الله عز وجل من
ورائكم[1] بالمرصاد ولا يترك ظلم العباد، فكيف يكون حال والدنا إذا فقدنا جميعا؟
فتوبوا[2] إلى الله عز وجل، واعترفوا بالتوبة بين يدي هذا الملك وأشهدوه عليكم
بالتوبة، وأخلصوا عند هذا الملك الجليل، فلعل الله أن يجعل في قلبه لكم شفقة
ورحمة، فإن الله تعالى أرحم الراحمين. قال: فبكوا عند ذلك جميعا وقالوا: اعترفنا
[64/ج] بذنوبنا وبما كسبت أيدينا، ولئن من الله تعالى علينا [برد أخينا][3] لنقبلن رأسه/
ويديه ونكون[4] ترابا تحت قدميه، فلما سمع يوسف، عليه السلام، مقالتهم ورأى
حالتهم، فاضت عيناه بالدموع وقال: إلى متى أقلقل[5] قلوب إخوتي؟ ولكن
هو حرص على توبتهم وزوال الإصرار من قلوبهم. قال: ثم أمر أن يخلى سبيلهم
وينصرفوا إلى أبيهم وقال: أما أنا فلا أسرح لكم أخاكم بوجه من الوجوه، ولا
بحال من الأحوال، فقال لهم أخوهم يهوذا: أما أنا فليس لي وجه ألقى به والدي
﴿فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو أحكم الحاكمين﴾[6] فبقي
يهوذا بمصر وشمعون وبنيامين ويوسف، عليه السلام، ورجع الثمانية إلى أبيهم،
فلما وقفوا بين يديه قال: مالي أراكم ثمانية؟ فقالوا: يا أبانا! إن بنيامين سرق صواع
الملك فحبسه عنده واستعبده، وإن يهوذا وشمعون تخلفا حياء منك، قالا: لا نبرح

---

(1) ساقطة من: ب، ج، هـ.
(2) أ: فقال توبوا.
(3) ما بين معقوفين ساقط من: د.
(4) هـ: وتكونوا.
(5) أقلقل: أحرك. انظر اللسان: قلل.
(6) يوسف: 80.

من ها هنا حتى يأذن لنا أبونا أو يحكم الله لنا. فلما قالوا له: قال يهوذا: ﴿فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين﴾[1] ساء ظنه وقال لهم: كلما توجهتم ضيعتم واحدا من بينكم. ثم تزايد حزنه، وتضاعف كربه حتى صار يكابد الأسى ويقاسي هَمَّ يوسف وبنيامين ويهوذا وشمعون، ثم قال لهم يعقوب، عليه السلام: ما الذي سرق ابني؟ قالوا: صواع الملك. أخرج من رحله، وقد حبسه الملك بجنايته وغيبه عنا، وأردنا محاربته فإذا هو/ أشد قوة منا، وأراد قتلنا، [61/د] ولكن صرفه الله تعالى عنا ونحن لا ندري أسرق أخونا أم لا. ﴿واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون﴾[2] وقد وصفنا لك الأمر على حقيقته، وقد علم الناس حالنا وشاهدوا ما كان منا. فقال لهم: ما أخبر الله تعالى به: ﴿بل سولت لكم أنفسكم أمرا. فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا، إنه هو العليم الحكيم﴾[3] أي أرد أمري إلى الله تعالى، فلا أصدقكم ولا أكذبكم، بل أتوكل على الله وأصبر صبرا جميلا لا جزع فيه ولا شكوى لأحد من المخلوقين [وقوله: ﴿عسى الله أن يأتيني بهم جميعا﴾ الآية. وذلك أنه لما عظم بلاؤه وازداد رجاؤه، أعرض عنهم][4] وخلا بنفسه في بيت عبادته. ﴿وتولى عنهم وقال: يا أسفى على يوسف﴾[5]، معناه، وا حزناه! على يوسف وطول غيبته./ قال الله تعالى: ﴿وابيضت عيناه من [50/هـ] الحزن فهو كظيم﴾[6] والكظيم هو الذي يرد حزنه في جوفه ولا يطلع عليه غيره. ﴿قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين﴾/[7] أي من [56/ب]

(1) يوسف: 80.
(2) يوسف: 82.
(3) يوسف: 83.
(4) ما بين معقوفين زيادة من: ب، ج، د، هـ.
(5) يوسف: 84.
(6) يوسف: 84.
(7) يوسف: 85.

جملة الميتين. قال: وأقبلوا عليه يلومونه على ذلك، فأجابهم بما أخبر الله تعالى به، حكاية عنه: ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾[1] وأنتظر إحسانه وفرجه، ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾[2]. قال سعيد بن جبير[3] رضي الله عنه/ عن ابن عباس رضي الله [65/ج] عنه: كان يعقوب، عليه السلام، حين جاءه خبر ابنه بنيامين، يخرج كل يوم وقائد يقوده، فيقعد على الطريق فتمر به الجارية فيقول لها: من أنت؟ فتقول له: جارية فلان. فيقول لها: أما ترين ما فعل معي أولادي؟ فيذكر لها قصته، ثم يبكي وتبكي معه، ثم يمر به الغلام على رأسه الحزمة من الحطب فيفعل معه كذلك، فأوحى الله تعالى إليه: كم [تشكو][4] لخلقي ولا يملكون لك ولا لأنفسهم نفعا ولا ضرا، وعزتي وجلالي لوشكوت إلي لفرجت غمك. قال/ : فدخل بيته، وأغلق بابه، [41/أ] وسد حائطه، فبينما هوقاعد إذ دخل عليه رجل من غير الباب في أطيب رائحة وأحسن صورة. فقال له يعقوب، عليه السلام: من أدخلك علي وقد أغلقت بابي وسددت حائطي؟ فقال: أنا عبد من عبيد الله، أتيتك تسألني فأخبرك. قال: ومن أنت؟ قال: ملك الموت، فقال: سبحان الله! أتقبض روحي قبل رؤية حبيبي؟ قال[5]: لا، بل أتيتك لأخبرك. قال: أفقبضت روح ولدي يوسف في الأرواح؟ قال: لا، بل هوحي يرزق وستلقاه عاجلا. قال: فعندها خرج يعقوب عليه السلام لبنيه.

وقال ما أخبر الله تعالى به: ﴿يا بني! اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه، ولا

---

(1) يوسف: 86.

(2) يوسف: 86.

(3) سعيد بن جبير الأسدي، بالولاء، الكوفي: أبو عبد الله، تابعي توفي سنة 95هـ، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب 4/ 11 وحلية الأولياء 4/ 272. والوفيات 2/ 371.

(4) هـ: تشكومني. أ: ج: تشكوني.

(5) ب، ج، د، هـ: فقال.

تيئسوا من روح الله، إنه لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾[1]. قال: ثم دعا بدواة وقرطاس وقال لابنه[2] روبيل: أكتب عني للملك ما أمليه[3] عليك، اكتب، بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب إلى عزيز مصر أما بعد: فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء، أما جدي إبراهيم فألقي[4] في النار فجعلها الله له[5] بردا وسلاما، وأما عمي إسماعيل فابتلي بالغربة فصبر على أمر الله تعالى حتى أعطاه الله زمزم/ [62/د] وأما أبي إسحاق فابتلي بالذبح حتى فداه الله بذبح عظيم، وأما أنا فأضعفهم ركنا وأقلهم حيلة، كان لي ولد يقال له يوسف، اختلس من بين يدي فبكيت عليه حتى ذهب بصري، وأما الذي أخذت وقلت إنه سارق، فوالله إنا قوم لا نسرق، ولا نلد سارقا، وكان أخا شقيقا للمفقود، كنت إذا خفت أن ينصدع قلبي ضممته إلى صدري فشممت فيه ريح أخيه، فاتق الله أيها الملك، وأصرفه إلي وعجل برده علي ولا تحبسه عندك واغنم الأجر وارحم ترحم، فإن فعلت فالله يجزيك، وإلا دعوت عليك دعوة تلحق السابع من ولدك، فاردد علي ولدي ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾[6] وكفى بالله مجازيا، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

ثم قال: يا روبيل! اذهب بكتابي هذا وعجل بالجواب. قال: فلما وصل روبيل بكتاب يعقوب إلى يوسف، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، جمع يوسف، عليه السلام،/ أولاده وقال لهم: اسمعوا كلام/ جدكم المغموم المكظوم ثم كتب إليه [57/ب][57/ب] يقول: اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا. والسلام عليك. فلما وصل كتاب يوسف إلى يعقوب عليه السلام، وقرئ عليه قال: والله، ما هذه بمكاتبة الملوك، وإنما هي

---

(1) يوسف: 87.

(2) أ: لبنيه.

(3) ب: أمله.

(4) أ: ألقي.

(5) عبارة أ: فجعلها له الله.

(6) الكهف: 30.

مكاتبة الصديقين، ثم قال: يا بني! اذهبوا فتحسسوا أمر يوسف وأخيه فرجعوا كلهم إلى مصر ودخلوا على يوسف، عليه السلام، ورؤوسهم منكسة، وقد تذللوا وخضعوا وأبصارهم خاشعة. فلما نظر يوسف عليه السلام، إليهم رق لهم، وقال لهم: كيف أبوكم وكيف حاله؟ فقالوا: حزينا مكروبا، قال: على أي بنيه أشد حزنا؟ فقالوا: أما الأول فقد يئس منه، وإنما حزنه الآن على الذي هومحبوس عندك، وقد قال لنا قولا لولا خوفك ومهابتك لأخبرناك به، قال: قولوا وأنتم آمنون. قالوا: قد فجعته بولده وحبسته عندك، وكان يشم ريح المفقود فيه أفلا ترحم ضعفه؟ وهذا لا يليق بكرمك/ ولا هوالمشهور عنك فلما سمع منهم ذلك [51/هـ] لم يملك نفسه ولا دمعه فبكى بأعلى صوته ثم أكرمهم بعد ذلك وأحسن مثواهم وبالغ في إحسانهم.

قال: ولما جن الظلام توضأ ثم صلى ما شاء الله أن يصلي، ثم جعل يتضرع إلى الله تعالى ويدعو باسمه الأعظم، ثم قال لأخيه بنيامين: أمن على دعائي واسأل الله تعالى أن يرد بصر أبينا عليه ويجمع شملنا به مع كل من يليه من أهله وبنيه. فهبط جبريل، عليه السلام، على يوسف، عليه السلام، وقال له: يقرئك ربك السلام، ويقول لك: وجه قميصك لأبيك، فإذا ألقي على وجهه يرتد بصيرا. فلما أصبح أذن لإخوته في الدخول عليه فقال لهم: قد خليت سبيلكم كما تريدون فانصرفوا، فقالوا: ﴿يا أيها العزيز/مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة، فأوف لنا الكيل وتصدق [42/أ] علينا إن الله يجزي المتصدقين﴾[1] قال: وأخذوا في البكاء والتضرع/ والخضوع[2] [63/د] بين يديه فزادت رقته عليهم، وقال في نفسه: كم أقلقل[3] قلوب إخوتي، فعند ذلك

(1) يوسف: 88.

(2) أ: الخشوع.

(3) أ: أقال.

قال لهم: ﴿هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون﴾[1] الآية.ثم رفع برقع الحجاب الذي كان على وجهه فشاهدوه ونظروا إليه بالأبصار فعرفوه فقالوا ما[2] أخبر الله تعالى [به][3] عنهم: ﴿أإنك لأنت يوسف قال: أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا، إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾[4] قال: فأقبلوا على أقدام يوسف يقبلونها ويقولون ما أخبر الله تعالى به عنهم: ﴿تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين﴾[5] فقال لهم ما أخبر الله به عنه: ﴿لا تثريب[6] عليكم اليوم يغفر الله لكم وهوأرحم الراحمين﴾[7] ثم قال لهم: يا إخوتي! لقد/ ارتفعت الوحشة من قلوبنا [67/ج] وأزال الله تعالى ما نزل بنا فلا بد من زوال الكربة عن أبينا ورفع الغموم عنه، فقال لهم: ما أخبر الله تعالى به عنه: ﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يات/، بصيرا [58/ب] واتوني بأهلكم أجمعين﴾[8] قال: فأخذ يهوذا القميص وعجل به إلى أبيه، ثم كسا يوسف إخوته، على نبينا وعليهم الصلاة والسلام، وبعث إلى أبيه بكسوة عظيمة، وأرسل إليه مائتي راحلة وجهازا لأهله، وخرج يهوذا بالقميص حافيا راجلا شكرا لله تعالى على ما وهبه، وتزود سبعة أرغفة فلم يأكل منها شيئا حتى قدم على أبيه. وقد تقدم ذكر القميص أنه من الجنة. فلما كان يهوذا من يعقوب، عليه السلام، على ثمانية مراحيل أخرج القميص ونشره، فهبت ريح الشمال واستأذنت ربها في إيصال ريح يوسف إلى يعقوب، عليهما السلام، فوجد يعقوب، عليه السلام،

---

(1) يوسف: 89.

(2) ب: لما.

(3) زيادة من: ج.

(4) يوسف: 90.

(5) يوسف: 91.

(6) التثريب كالتأنيب والتعيير والاستقصاء في اللوم. اللسان: ثرب.

(7) يوسف: 92.

(8) يوسف: 93.

رائحة القميص على ثمانين فرسخا، قال الله تعالى: ﴿ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون﴾[1] قال: فأقبل عليه أولاده وأولاد أولاده باللوم، وقالوا ما أخبر الله تعالى به عنهم: ﴿تالله إنك لفي ضلالك القديم﴾[2] أي محبتك الضالة، لا تزال تذكر يوسف حتى الآن، ولا تنساه. قال: ﴿فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا﴾[3]. قال: ووجد ريح يوسف فيه، فزال الكرب عنه ورد الله تعالى له[4] بصره[5]، وزال سقمه وضرره، ثم قال لابنه يهوذا: ما أدري ما أكافيك به لكن أدعولك أن يهون الله تعالى[6] عليك سكرات الموت، فقال له يهوذا[7]: يا أبت! إنه أمر أن نصل إليه بك وبأهلنا ومن معنا أجمعين، وقد بعث إليك بمائتي راحلة وبجهازك ومن عندك. ثم قدم عليه أولاده لأخذ عيالهم، ثم قالوا ما أخبر الله تعالى به عنهم: ﴿يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم﴾[8] قال ابن عباس رضي الله عنه: بماذا عرفوه؟ قيل: كانت له علامة في جانب رأسه وهي شامة بيضاء وكان ليعقوب، عليه السلام، مثلها. قال: فلما رفع التاج عن رأسه نظروا إليها وبها عرفوه. قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى ﴿سوف أستغفر لكم ربي﴾: يعني في الأسحار لأن دعوة الأسحار مستجابة، ثم قال يعقوب، عليه السلام، لبنيه: كيف تركتم/ يوسف؟ قالوا: يا أبانا [52/هـ] تركناه ملكا عظيما، فقال يعقوب، عليه السلام: مالي وللملك، إنما أسألكم على أي

(1) يوسف: 92.
(2) يوسف: 95.
(3) يوسف: 96.
(4) ساقطة من: ب.
(5) ساقطة من: ب، ج، د، هـ.
(6) ساقطة من: د، هـ.
(7) ساقطة من: هـ.
(8) يوسف: 97، 98.

دين تركتموه؟ فقالوا: على/ دين آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فقال: الحمد [د/64] لله، الآن قرت عيني، ثم ارتحلوا من كنعان، فلم يبق بها منهم أحد. قال وهب بن منبه: كانوا نحوسبعين ذكرا وأنثى، فاستاقوا/ مواشيهم. فلما قاربوا مصر [ج/68] ولم يبق بينهم وبينها إلا يوم وليلة أرسل يعقوب، عليه السلام، ولده يهوذا إلى يوسف، عليه السلام، يعرفه بقدومهم، فخرج يوسف، عليه السلام، إلى لقائهم في مائة ألف من عظماء مملكته، وكانت عليه حلة حمراء فكشف الله تعالى عن بصر يعقوب، عليه السلام، فرأى ولده يوسف، عليه السلام، فقال: يا يهوذا!/ من هذا [أ/43] الذي عليه الحلة الحمراء كالقمر بين الكواكب؟ فتبصر[1] يهوذا فلم يبصر شيئا، فلما كان بينهما مقدار ميل نزل يوسف/ عن فرسه ونزل يعقوب عن فرسه، فجعل [ب/59] كل منهما يسعى إلى الآخر، فضج الناس بالبكاء وأشرفت الملائكة من السماء، فلما التقيا خر يعقوب[2] مغشيا عليه، ثم أفاق فجعل يلحس يوسف، عليه السلام، بلسانه كما تلحس الفرس مهرها[3]، و[هو][4] يقول: يا بني! أخبرني بفعل إخوتك معك[5] قال: يا أبت! نحمد الله تعالى على كل نعمة ونشكره على ما نحن فيه ولا نذكر الماضي الذي كان بيننا، فإنه كان في سابق علم الله تعالى، قال الله تعالى حكاية عنهم: ﴿ **فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال: ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين، ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا** ﴾[6]. وكان السجود تحية ذلك الزمان. فقال يوسف، عليه السلام، ما قال الله تعالى حكاية عنه: ﴿ **يا أبت! هذا تأويل رؤياي من**

(1) تَبَصَّرَ الشيء: أي نظر إليه هل يبصره. انظر اللسان: بصر.

(2) د: يوسف.

(3) د: ظهرها.

(4) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(5) ساقطة من: ب.

(6) يوسف: 99، 100.

قبل قد جعلها ربي حقا، وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو﴾[1] الآية. ثم قام يعقوب ويوسف وإخوته وزليخا أربعة وعشرين سنة في أطيب عيش وأتم سرور ولا يمضي يوم ولا ليلة إلا أحدث الله تعالى فيها لهم سرورا. قال: ولما حضرت الوفاة يعقوب جمع بنيه، عليهم السلام، وقال لهم: ما أخبر الله تعالى به عنهم: ﴿يا بني، ما تعبدون من بعدي؟ قالوا: نعبد إلهك وإله أبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون﴾[2]. ثم قالوا: يا أبانا! إنا نخاف أن يكون في نفس أخينا يوسف بغية منا وأن يحقد علينا وإنه كان يكرمنا بك فإذا مت اقتص منا، فارضه عنا، فدعا يعقوب يوسف، على نبينا وعليهما السلام، وقال له: يا بني! لا تحقد على إخوتك ما كان منهم إليك، فقال له: يا أبت! دعوت لهم وعفوت عنهم، وغفرت وتجاوزت عنهم جميع ما كان منهم إلي، رجاء أن يغفر الله تعالى لي ويرحمني وهو أرحم الراحمين، ثم قال يعقوب ليوسف، عليهما السلام: يا بني! إن أنا مت فاحملني من مصر إلى الشام وادفني عند آبائي، ففعل ذلك يوسف لما مات يعقوب، عليه السلام، ونفذ وصية والده، ولما جمع الله تعالى ليوسف/ شمله [69/ج] بأبيه وخالته وإخوته وأهله، على نبينا/ وعليهم الصلاة والسلام، وبلغ مراده تمنى [65/د] الموت ولم يتمن الموت نبي قبله، فقال ما أخبر الله تعالى به عنه: ﴿رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض انت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين﴾[3].

قال: ولما حضرته الوفاة جمع أولاده وإخوته وأوصاهم بنقله إلى الشام، فنقل ودفن عند آبائه الكرام، على نبينا وعليهم الصلاة والسلام، ثم بعده استخلف أولاد يعقوب، عليهم السلام، واحد بعد واحد، ودخلوا مصر وهم سبعون ذكرا

(1) يوسف: 100.

(2) البقرة: 132.

(3) يوسف: 101

وأنثى وخرجوا مع قوم موسى بن عمران على نبينا وعليه[1] الصلاة والسلام، كما قال الله تعالى: ﴿فاسر بعبادي﴾/ الآية[2] ستمائة ألف/ مقاتل خارجا عن النساء [53/هـ][60/ب] والذراري[3]. والله تعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب[4].

حُكي أن لنبينا محمد ﷺ شفاعات:

الشفاعة الأولى: في فصل القضاء بين أهل الموقف حين يفزعون إليه ﷺ بعد الأنبياء، [عليه][5] وعليهم السلام.

والشفاعة الثانية: في جماعة يدخلون الجنة بلا حساب، وهذه من خصائصه ﷺ.

والشفاعة الثالثة: في أناس[6] استحقوا النار فلا يدخلونها.

الشفاعة الرابعة: في إخراج أناس من النار.

الشفاعة الخامسة: في رفع أناس في الجنة.

والشفاعة السادسة: في تخفيف العذاب على من استحق الخلود كأبي طالب.

والشفاعة السابعة: فيمن مات في المدينة[7] المشرفة.

والشفاعة/ الثامنة: فيمن صبر على برد المدينة. [44/أ]

والشفاعة التاسعة: في فتح باب الجنة.

---

(1) أ: وعليهم.

(2) الدخان.

(3) الذراري: الذرية: الأولاد. انظر اللسان: ذرر.

(4) الحكاية في القرآن: سورة يوسف. والكشاف والسكردان: 405-418 وتاريخ الخميس 1/ 130. مع اختلاف الرواية.

(5) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(6) ج: ناس.

(7) ب: بالمدينة.

والشفاعة العاشرة: فيمن زاره ﷺ.

والشفاعة الحادية عشر: فيمن أجاب المؤذن ففي الصحيحين: «حلت له شفاعتي»[1] أو كما قال ﷺ.

(1) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، باب الدعاء عند النداء ج 1/ 84.

الباب الثاني

في أخبار هواتف الجن وغيرهم ببعثة النبي ﷺ وذكر شيء من معجزاته وشمائله ﷺ[1]

حُكي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: كنت مع النبي ﷺ وهو بظاهر المدينة إذ أقبل شيخ يتوكأ على عكازه، فقال النبي ﷺ: «إنها لمشية جني»، ثم أتى فسلم. فقال رسول الله ﷺ: «وإنها لنغمة جني»، فقال الشيخ: أجل يا رسول الله. فقال له رسول الله ﷺ: «من/ أي الجن أنت؟» فقال: أنا هامة بن لامة بن [٦٥/ج] لاقيس[2] بن إبليس[3]. فقال له النبي ﷺ: «لا أرى بينك وبينه إلا أبوين». فقال: أجل يا رسول الله. قال: كم أتى عليك من العمر؟ قال: أكلت الدنيا إلا قليلا، كنت ليالي قتل قابيل هابيل، غلاما بن أعوام. فكنت أشرف على الأكام وأصطاد الهام وأدوس على الأنام. فقال عليه السلام: «بئس العمل». فقال: يا رسول الله: دعني من/ العتاب، فإني[4] ممن آمن بنوح وعاتبته على دعوته على قومه فبكى [66/د] وأبكاني وقال: أنا على ذلك من النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، ولقيت إبراهيم وآمنت به، وكنت بينه وبين النار إذ رمي في المنجنيق، وكنت معه في النار إذ ألقي فيها، وكنت مع يوسف إذ ألقي في الجب فسبقته إلى قعره، ولقيت

---

(1) ب، ج، د، هـ: عليه السلام.

(2) د: لاقنس.

(3) ساقطة من: د.

(4) ب: فاني.

موسى بن عمران، وكنت مع عيسى بن مريم، فقال لي: إن لقيت محمدا فاقرأه مني السلام. قال أنس رضي الله عنه: فقال عليه السلام: وعليك السلام يا هامة. ما حاجتك؟ قال: إن موسى علمني التوراة، وإن عيسى علمني الإنجيل، فعلمني أنت القرآن. قال أنس: فعلمه عليه السلام شيئا من القرآن، وقُبِضَ عليه السلام ولم ينعه إلينا/ فلا نراه إلا حيا. [61/ب]

حُكي عن عبد الله بن ذياب عن أبيه قال: كنت مولعا بالصيد، وكان لنا صنم اسمه فراض، وكنت كثيرا ما أذبح له، وكنت لا أتخذ جارحا للصيد إلا رمي، وقلما أدخل الحي بصيد حيا، فعقرت له العقيرة ولطخته بدمها وقلت:

[الرجز]

فراض أشكو نكد[1] الجوارح　　من طائر ذي مخلب ونابح

فأنت للأمر الشديد الفادح　　فافتح فأنت اليوم خير[2] فاتح

قال: فأجابني مجيب من الصنم يقول:

[الرجز]

دونك كلبا جارحا مباركا　　أعد للوحش سلاحا شابكا

يفري حزون الأرض والدكادكا[3]

قال: فانطلقت إلى فنائي[4] فوجدت كلبا بهيا أهرت [5] الشدقين شابك الأنياب حد البراثن أشعر، مهول المنظر، فصفرت له فأتاني ولاذ بي وبصبص

(1) هـ: نكر.

(2) ب، د: غير.

(3) يفري حزون الأرض: يسيرها ويقطعها. والحزون: مفردها حزن، وهو ما غلظ من الأرض في ارتفاع. انظر اللسان: فرا، حزن.

(4) الفناء: سعة أمام الدار. اللسان: فني.

(5) الهرت: سعة الشدق، وكلب أهرت أي بين الهرت. اللسان: هرت.

فسميته حياضا، واتخذت له مربضا بإزاء فرسي، وأكرمته، ثم خرجت به إلى الصيد، فإذا هو أبصر بالصيد مني، فكان لا يثبت لي شيء من الوحش فقلت فيه:

[البسيط]

حياض! إنك مأمول منافعه ... وقد جعلتك موقوفا لفراض

قال: فكنت أعقر لفراض من صيده وأقري الضيف، ولم أزل به من أوسع العرب دخلا وأكثرها ضيفا إلى أن ظهر النبي، ﷺ، فنزل بي ضيف كان رآه وسمع منه القرآن فحدثني عنه، ورأيت كلبي حياضا ينصت لحديثه، ثم إني غدوت أقتنص بحياض،/ فجعل يجاذبني ويأبى أن يتبعني فأخذته وجعلت/ أمسحه إلى [71/ج][45/أ] أن عن لي تولب[1] جحش من حمر الوحش، فأرسلته إليه حتى إذا قلت أخذه حاد عنه فساءني ذلك، ثم أرسلته على بقرة، ثم على خشف[2]، كل ذلك لا يأتي بخير، فقلت:

[الطويل]

ألا ما لحياض يحيد كأنما ... رأى الصيد ممنوعا برزق اللهاذم

قال: [فأجابني هاتف لا أراه:

[الطويل]

يحيد لأمر لو بدا لك غيبه/ ... لكنت صفوحا عاذرا غير لائم/ [67/د][54/هـ]

فأخذت الكلب وانكفأت راجعا فإذا شخص إنسان عظيم الخلقة قد ركب حمارا وحشيا[3] وهو مربع على ظهره وهو يساير[4] شخصا مثله راكبا على قرهب[5]

(1) التولب: الجحش، يقال أطوع من تولب. كما يقال للأتان أم تولب. انظر حياة الحيوان الكبرى 1/ 160

(2) الخِشْفُ: الظبي بعد أن يكون جداية. انظر اللسان: خشف.

(3) ساقطة من: ب.

(4) ج: يسامر.

(5) القهرب من الثيران: المسن الضخم. اللسان: قرهب.

يعني ثورا وحشيا، وخلفهما عبد أسود يقود كلبا عظيما بساجور[1] فأشار أحد الراكبين إلى حياض وأنشأ يقول:

[السريع]

ويحك يا حياض كم تصيد   أخفيت وعدا قد خفته البيد؟
الله أعلم، وله التوحيد   وعبده محمد السديد/ [62/ب]
سحقا لحياض وما يكيد   [قد ظل لا يبدي ولا يعيد][2]

قال: فسكت رعبا، وذل الكلب، فما يرفع له رأسا، ورجعت إلى أهلي مغموما كاسف البال[3]، فبت أتململ على فراشي، ثم أفقت من آخر الليل، فإذا نغمة ففتحت عيني فإذا الكلب الذي كان الأسود يقوده وإذا حياض يقول له: أحسب صاحبي يقظانا. قال: فتناومت فقصدني فتأملني ورجع إليه وقال له[4]: قد نام، فلا عين ولا سمع. قال: أرأيت العفريتين وسمعت ما قالا؟ قال حياض: نعم. قال: إنهما قد أسلما واتبعا محمدا وقد سلطا على شياطين الأوثان فما يتركان لوثن شيطانا، وقد عذباني عذابا شديدا وأخذا علي موثقا لا أقرب وثنا، وأنا خارج إلى جزائر الهند، فما رأيك لنفسك؟ قال حياض: ما أمرنا إلا واحد، فذهبا، فقمت أنظر فإذا لا عين ولا أثر. فلما أصبحت أخبرت قومي بما رأيت وسمعت، وقلت لهم: تخيروا من ينطلق معي إلى هذا النبيء من حكمائكم وخطبائكم. فقالوا: أترغب عن دينك؟ فخفتهم وقلت لهم: إذا كرهتم شيئا كرهته، فما أنا إلا واحد منكم، ثم انسللت منهم فكسرت الصنم، ثم قصدت المدينة فأتيتها ورسول الله ﷺ يخطب، فجلست بإزاء منبره فعقب خطبته بأن قال: إن بإزاء منبري رجلا

---

(1) الساجور: القلادة أو الخشبة التي توضع في عنق الكلب. اللسان: سجر.

(2) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(3) كاسف البال: سيئ الحال. انظر اللسان: كسف.

(4) ساقطة من: ب، ج، د، هـ.

من سعد العشيرة قدم راغبا في الإسلام ولم أره ولم يرني إلا الساعة هذه؟ ولم يكلمني ولم أكلمه، وسيخبركم خبرا عجيبا، ونزل فصلى ثم قال لي: ادن يا أخا سعد العشيرة، فدنوت فقال: أخبرنا خبر حياض وفراض وما رأيت وما سمعت، فقمت/ على قدمي فقصصت القصة، والمسلمون يسمعون، فسر النبي ﷺ، [72/ج] ودعاني إلى الإسلام، وتلا علي القرآن فأسلمت وقلت:

[الطويل]

تبعت رسول الله إذ جاء[1] بالهدى ... وخلفت فراضا بدار هوان

شددت عليه شدة فتركته ... كأن لم يكن في الدهر ذو حدثان

رأيت له كلبا يقوم بأمره ... يهدد[2] بالتنكيل والرجفان[3]

فلما رأيت الله أظهر دينه ... أجبت رسول الله حين دعان

وأصبحت للأسلام ما[4] عشت ناصرا ... وألقيت فيه كلكلي[5] وجران[6]

فمن مبلغ سعد العشيرة أنني ... شريت الذي يبقى بما هو فان/ [68/د]

حُكي عن عبد الرحمان بن أسلم[7] السلمي أن العباس بن مرداس[8] رضي الله عنه كان في لقاح[9] له، وقد قام قائم الظهيرة فطلع عليه راكب على نعامة بيضاء

(1) أ: جاءنا.

(2) د: يهد.

(3) الرجفان: الإضطراب الشديد. انظر اللسان: رجف.

(4) ب، ج، د: منذ عشت.

(5) أ: كالكلي.

(6) الكلكل والكلكال هو الصدر من كل الشيء. اللسان: كلل. والجران: باطن العنق من مذبح البعير إلى منحره. فإذا برك ومد عنقه قيل: ألقى جرانه بالأرض. انظر اللسان: جرن.

(7) انظر معجم المؤلفين لعله أبو عبد الرحمان 9/ 258.

(8) العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي، أبو الهيثم، شاعر فارس، توفي حوالي 18هـ. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب 5/ 130، وخزانة الأدب 1/ 73.

(9) اللقاح: الإبل تنتج في أول الربيع فتكون لقاحا، واحدتها لقحة ولقحة ولقوح وهي: الحلوب. انظر اللسان: لقح.

في ثياب بيض فقال: يا عباس بن مرداس! ألم تر إلى السماء قد بدت حراسها؟
[46/أ] وأن الخيل شدت أحلاسها، وأن الجن جرعت أنفاسها/ وأن الذي بعث بالبر والتقوى ونزل عليه الوحي من السماء ولد يوم الإثنين ليلة الثلاثاء هوصاحب الغاية القصوى.

[63/ب] قال العباس: فنهضت مرعوبا وقد راعني/ ما رأيت وسمعت، ثم جئت ربا لنا، يقال له: ضمار، وكنا نعبده ونتكلم معه، فنسكت حوله وتمسحت به وإذا صائح يصيح من جوفه:

[الكامل]

قل للقبائل من سلم كلها ... هلك الضمار وفاز أهل المسجد[1]
هلك الضمار وكان يعبد قبل أن ... نزل الكتاب على النبي محمد
[55/هـ] إن الذي ورث النبوءة والهدى ... بعد ابن مريم من قريش مهتد/ [2]

قال العباس: فخرجت إلى أهلي فأعلمتهم بما رأيت وسمعت وأحرقت الضمار، ثم نهضت في ثلاث مائة من قومي إلى رسول الله، ﷺ، فلما رآني تبسم وقال: «يا عباس ! حدثنا بما رأيت وسمعت» فقصصت عليه القصة، فقال: صدقت فأسلمت أنا وأصحابي[3].

حُكي أن ربيعة بن عامر[4] قال: أخبرني خالي قال: لما ظهر علينا رسول الله، ﷺ

(1) لعل الشاعر قصد سليما العدنانية وهي قبيلة عظيمة تنتسب إلى سليم بن منصور... بن قيس بن عيلان. انظر معجم قبائل العرب: سليم.

(2) الأبيات وردت في البداية والنهاية 2/ 341 و 4/ 312.

(3) الحكاية. وردت في المرجع السابق، مع اختلاف الرواية.

(4) هو ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمروبن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، ويلقب بالمسكين الدارمي، وسبب لقبه بالمسكين قوله: أنا مسكين لمن أنكرني ولمن يعرفني جد نطق. جمهرة الأنساب: 263. خزانة الأدب للبغدادي 1/ 467.

بخير، تشعبنا في كل شعب، فلا يلوي حميم على حميم، فبينما أنا في بعض الشعاب[1] إذ رأيت ثعلبا قد تحوى[2] عليه[3] أرقم[4] والثعلب يعدو به عدوا شديدا، فضربتهما بحجر فما أخطأتهما ثم انتهيت إليهما فإذا الثعلب قد سبقني بنفسه وإذا الأرقم قد تقطع فهو يضطرب فقمت لأنظر إليه، فهتف بي هاتف ما سمعت أقطع من صوته يقول: تعسا وبؤسا قد قتلت رئيسا، ثم قال: يا داثر ! يا داثر ! فأجابه مجيب من العدوة الأخرى: لبيك ! لبيك ! فقال: بادر، بادر إلى بني الغرائر فأخبرهم بما صنع الكافر، فقلت: إني لم أشعر، وأنا عائذ بك فأجرني، قال: كلا والحرم الأمين/ [73/ج] لا أجير قاتل المسلمين، وعابد غير رب العالمين، فناديت: أنا أسلم. فقال: إن أسلمت سقط عنك القصاص وأمنك الخلاص، وإلا فلا مناص، قال: فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، قال: نجوت وهديت ولولا ذلك لرديت، فارجع من حيث جئت، قال: فرجعت أقفو دارجي فإذا بقائل يقول: امتط الأزل[5]، يعلو بك التل، فهناك أبو عامر يتبع الفل، فإذا سِمْعٌ[6] كالأسد النهد[7]، فركبته ومر بي يشتد حتى علا بي على تل عظيم فأشرفت منه على خيل المسلمين، فنزلت عنه وقصدت نحوهم، فلما دنوت منهم خرج إلي فارس كالعلاج الهائج، فقال لي: سلاحك، لا أم لك، فألقيت السلاح، فقال: من أنت؟ قلت مسلم. فقال: سلام عليك من أبي عامر، قلت: أنا هو، الحمد لله. فقال: لا

(1) أ: السعب.

(2) أ، ب، هـ: احتوى.

(3) ب، د: عليها.

(4) الأرقم: حية، والأرقم من الحيات الذي فيه سواد وبياض. وتحوى عليه: دار عليه. انظر اللسان: رقم، حوا.

(5) هكذا في جميع النسخ، ولم ترد هذه الكلمة بهذا المعنى في معاجم اللغة.

(6) السِّمْع: السبع المركب، وهو ولد الذئب من الضبع. انظر اللسان: سمع.

(7) النهد: صفة للفرس، وهي بمعنى الجسيم المشرف، وقيل: كثير اللحم حسن الجسم، ولم ترد هذه الصفة للأسد عند ابن منظور. انظر اللسان: نهد.

[69/د] بأس عليك، وهؤلاء إخوانك المسلمون لما رأيتك بأعلا التل رأيتك فارسا/ فأين فرسك؟ قال: فقصصت عليه القصة فأعجبه ما سمع مني، وسرت مع القوم أقفو أثر هوازن حتى بلغوا ما أرادوا[1].

أقول: تفسير بعض الألفاظ من هذا الخبر قوله: تحوى[2] عليه أرقم: أي استدار عليه، والحية إذا كان فيها خطوط [كالرقم][3] فهوأرقم، والعرب تزعم أن [64/ب] الثعالب مطاياها الجن ويكرهون من صادها،/ ويقولون من صاد ثعلبا أصيب في بعض ماله. وقوله: سبقني بنفسه أي: هلك قبل أن أصل إليه. وقوله: لولا ذلك لرديت أي: [لهلكت][4] وقوله: أقفو دارجي أي: أتبع طريقي التي منها جئت. وقوله: الأزل[5]؛ أي السمع، وهو سبع تلده الضبع وأبوه الذئب وهو أخبث السباع وأشدها جرأة. وقوله: الفل: أي المنهزمون. وقوله: النهد، أي: العظيم الخلقة. وقوله: كالعلاج: هوالبعير ذوالسنامين.

حُكي عن مالك بن نفيع أنه قال: ند لي بعير فركبت نجيبة[6] فطلبته حتى ظفرت [47/أ] به فأخذته وانكفأت راجعا إلى أهلي، فأسريت ليلتي حتى كدت أصبح، فأنخت/ النجيبة، والجمل وعقلتهما واضطجعت في ذرى كثيب رمل، فلما كحلني الوسن سمعت هاتفا يقول: يا مالك! يا مالك! لوفحصت عن موضع الجمل البارك، لسرك ما هنالك. قال: فقمت وأثرت البعير عن مبركه واحتفرت، وإذا بصنم بصورة امرأة صفراء كالورس[7] واستخرجتها ومسحتها بثوبي ونصبتها فاستوت

(1) الحكاية وردت في حياة الحيوان للدميري 2/ 26، ونهاية الأرب 18/ 155. وفيه: كالفالج.

(2) ج: تحوي.

(3) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(4) أ، ب، د: هلكت.

(5) ساقطة من: د.

(6) ناقة نجيبة ونجيب هي: السريعة الخفيفة. اللسان: نجب.

(7) الورس: نبت أصفر يكون باليمن. اللسان: ورس.

قائمة، فما تمالكت أن خررت ساجدا لها، ثم قمت فنحرت البعير لها ورششتها بدمه وسميتها غلاب، ثم حملتها على النجيبة وأتيت بها إلى أهلي، فحسدني كثير من أهلي لأجلها، وسألوني نصبها لهم ليعبدونها معي فأبيت ذلك،/ وانفردت [74/ج] بعبادتها وجعلت لها على نفسي كل يوم عقيرة، وكانت/ لي قطعة من الغنم فأتيت [56/هـ] على آخرها، فأصبحت يوما وليس عندي ما أعقره، وكرهت الإخلال بنذري فأتيتها فشكوت إليها ذلك، وإذا بهاتف من جوفها يقول: يا مال! يا مال! لا تاس على المال، سر إلى طوى الأرقم[1] فخذ الكلب الأسحم، الوالغ في الدم، ثم صد به تغنم. قال مالك: فوثبت من فوري إلى طوى الأرقم فإذا بكلب أسحم هائل المنظر قد وثب على قرهب، يعني ثورا وحشيا، يصرعه وأنا أنظر إليه، ثم بقر بطنه[2] وجعل يلغ[3] من دمه. قال: فأقبلت عليه وهو مقبل على عقيرته، لم يلتفت إلي، فشددت في عنقه حبلا ثم جذبته، فتبعني فأتيت راحلتي فأنختها، ثم حملته عليها، ثم قدمت قاصدا إلى الحي والكلب يلوذ بي، فعنت له ظبية فجعل الكلب يثب ويجاذبني المرة والمرتين فترددت في إرساله، ثم أرسلته، فمر كالسهم حتى اختطفها فأتى بها فأرسلها في يدي، فأتيت أهلي فعقرت الظبية لغلاب وبت بخير ليلة، ثم لازمت به الصيد، فلم يفته حمار، ولا مَاطَله ثور، ولا اعْتَصم منه وَعْل، ولا أَعْجزه ظبي، فتضاعف سروري به وبالغت في إكرامه وسميته سحام، فاصطدت به ما شاء الله، وإني لذات يوم أصيد به فعنت لي نعامة، وهي قريبة مني، فأرسلته عليها فأجفلت أمامه، فتبعها، فلما كاد الكلب يثب عليها انقض عليه عقاب من الجوفكر راجعا نحوي/ فصحت به فجاء هاربا ودخل بين قوائم الفرس، ونزل [75/د] العقاب أمامي على صخرة وقال: سحام ! فقال: لبيك! قال: هلكت الأصنام،

---

(1) لم أقف عليه. ولعله اسم لموضع من المواضع.

(2) بقر بطنه: شق بطنه وفتحه. اللسان: بقر.

(3) يلغ من دمه: يشرب منه، والولغ: شرب كل ذي خطم. اللسان: ولغ.

وظهر الإسلام، فانج بسلام، وإلا فلست بدار مقام، ثم طار العقاب وتبصرت سحام فلم أره فكان آخر العهد به.

حكى ابن أبي حزم[1] قال: خرجت في الجاهلية أطلب إبلا أضللتها، فلما كنت بأبرق العزاف[2]، عقلت راحلتي وتوسدت ذراعها وقلت: أعوذ بعظيم هذا المكان، فسمعت/ هاتفا، أسمع حسه ولا أرى شخصه يقول: [65/ب]

[الرجز]

تعوذن بالله ذي الجلال ووحد الله ولا تبالي
ما هول ذي الجن من الأهوال

قال: فقلت: بين لي يرحمك الله، فقال:

[الرجز]

هذا رسول الله ذو الخيرات يدعو إلى الجنة والنجاة
يأمر بالصوم وبالصلاة[3]

قال: فوقع الإسلام في قلبي، فقلت: من أنت أيها الهاتف؟ قال: أنا مالك بن مالك، إن طلبت الإسلام فأنا كفيل بطلب ضالتك حتى أردها إلى أهلك، فركبت راحلتي وقصدت المدينة فقدمتها يوم جمعة فأتيت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ يخطب، فأنخت راحلتي بباب المسجد وقلت: ألبث حتى يفرغ من خطبته، وإذا أبو ذر[4]

(1) في نهاية الأرب: ومنه ما روي عن أبي خريم، ولعله أيمن بن خريم.

(2) أبرق العزاف: ماء لبني أسد بن خزيمة بن مدركة مشهور، ذكر في أخبارهم وهو في طريق القاصد من البصرة إلى المدينة. وقيل سمي العزاف، لأنهم يسمعون فيه عزيف الجن. انظر معجم البلدان: أبرق.

(3) الأبيات وردت في البداية والنهاية 2/ 353 مع اختلاف الرواية.

(4) جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد من بني غفار، أبوذر، صحابي، توفي حوالي 32 هـ انظر ترجمته في الإصابة 4/ 62. حلية الأولياء 1/ 156.

قد خرج فقال: إن رسول الله ﷺ أرسلني إليك، وهو يقول لك: «مرحبا، قد بلغني إسلامك فادخل فصل مع الناس». قال:/ فتطهرت ودخلت[1] فصليت، [1/48] ثم دعاني رسول الله ﷺ فبايعني وأخبرني الخبر قبل أن أذكره وقال لي: «إبلك قد بلغت أهلك[2]، وقد وفى لك صاحبك». فقلت: جزاه الله خيرا ورحمة، فقال رسول الله ﷺ: آمين[3].

حُكي عن سلمه بن يزيد[4] قال: بينما خثعم[5] وخصم لهم يتحاكمون عند وثن، إذ هتف هاتف يقول:

يا أيها الناس ذوو الأجسام ما أنتم وطائش الأحلام
ومسند الحكم إلى الأصنام هذا النبي سيد الأنام
أعدل ذي حكم من الحكام يصدع بالنور وبالإسلام
مظهر[6] بالبلد[7] الحرام[8]

قال: فتفرقوا عنه، وصاروا يلهجون بهذا الشعر حتى أتى الخبر بمبعث النبي ﷺ، قال: فأتيت إليه وأسلمت على يديه[9].

(1) د: ثم دخلت.
(2) أ: لأهلك.
(3) الحكاية وردت في نهاية الأرب في فنون الأدب 18 / 147.
(4) أظنه أراد سلمة بن يزيد بن مشجعة بن المجمع، وفد على رسول الله ﷺ فأسلم. راجع الإصابة 2/ 69.
(5) خثعم قبيلة من اليمن ويقال هي من معد صاروا باليمن. اللسان: خثعم. معجم القبائل: خثعم.
(6) ج، هـ: مظهر.
(7) أ: بلد.
(8) الأبيات وردت في البداية والنهاية 2/ 343.
(9) الحكاية وردت في المرجع السابق.

حُكي عن عبد الله بن كعب[1] قال: بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في الناس بمسجد رسول الله، ﷺ، إذ أقبل رجل من العرب، فدخل المسجد، فلما رآه عمر رضي الله عنه قال له: أسلمت؟ قال: نعم. قال: فأخبرنا عن سبب إسلامك/ . قال: جاءني صاحبي قبل الإسلام بشهر فقال: [57/هـ]

[السريع]

عجبت للجن وتعساسها وشدها العيس بأحلاسها[2]
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما مومنو الجن كأرجاسها[3]

[71/د] قال: ثم أتاني في الليلة القابلة فقال:/

[السريع]

عجبت للجن وترحالها ونصبها العيس وأعمالها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما مومنوالجن كضلالها[4]

[66/ب] قال: ثم أتاني في الليلة الثالثة وقال:[5]/

[السريع]

عجبت للجن وأجلالها وشدها[6] العيس بأقتابها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما مومنو الجن كصيابها[7]

(1) عبد الله بن كعب بن عمروبن عوف بن مندول الأنصاري صحابي شهد بدرا وكان على غنائم الرسول ﷺ. الإصابة 2/ 362.

(2) العيس: الإبل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة. اللسان: عبس.

(3) البيتان وردا في البداية والنهاية 2/ 333 ؛ 5/ 96 مع اختلاف بين الروايتين.

(4) البيتان وردا في البداية والنهاية 2/ 334 ؛ 5/ 96 مع اختلاف الرواية.

(5) ب، ج، د، هـ: يقول.

(6) د: سدها.

(7) ب: كصبابها. وصيابها: خيارها. انظر اللسان: صيب، والبيتان وردا في المرجع السابق.

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كنت أعبد وثنا من أوثان الجاهلية في نفر من قريش، وقد ذبح له عجل فنحن ننتظر أن يقسم علينا منه، إذ سمعت من جوف الصنم صوتا ما سمعت صوتا أنفذ منه وهويقول: يا ذريح[1]! أمر نجيح، رجل يصيح، بلسان فصيح، لا إله إلا الله[2].

حُكي أن وائل بن حجر[3]، وكان ملكا مطاعا، كان له صنم من العقيق الأحمر يعبده ويحبه حبا شديدا، ولم يكلم منه، إلا أنه كان يرجوذلك، فكان يكثر السجود له ويعقر له العقائر وهي ذبائح كانوا يتقربون بها إلى الأصنام، وكان يستنزل كلام الصنم استنزالا شديدا، فبينما هونائم في الظهيرة إذ أيقظه/ صوت منكر من المخدع الذي فيه الصنم، فقام من مضجعه وأتاه وسجد أمامه فإذا بقائل يقول: [76/ج]

[السريع]

وا عجبا لوائل بن حجر	يخال يدري وهو ليس يدري
ماذا يرجى من سخيف صخر	ليس بذي عرف ولا ذي نكر
ولا بذي نفع ولا ذي ضر	لوكان ذا حجى أطاع أمري

قال وائل: فرفعت رأسي واستويت جالسا، ثم قلت: قد سمعت أيها الناصح لله تعالى، فماذا تأمرني به؟ فقال:

[الرجز]

ادخل إلى يثرب ذات النخل	وسر إليها سير مسمغل[4]/ [49/أ]

(1) ب: يا ذبيح.

(2) الحكاية وردت في سيرة ابن هشام 1/ 211 مع اختلاف الرواية والطبري والبداية والنهاية 2/ 333.

(3) وائل بن حجر بن ربيعة بن وائل بن يعمر الحضرمي أحد ملوك اليمن، يقال إن رسول الله ﷺ بشر أصحابه قبل قدومه به وقال: يأتيكم بقية أبناء الملوك، فلما دخل رحب به وأدناه من نفسه وقرب مجلسه وبسط له رداءه وقال: «اللهم بارك في وائل وولده وولد ولده»، واستعمله على الأقيال من حضرموت. انظر أسد الغابة 5/ 21. البداية والنهاية: 5/ 79.

(4) المسمغل من الإبل: الطويل، وناقة مسمغلة، طويلة... والمسمغلة: السريعة. انظر اللسان: سمغل.

تدين دين الصائم المصلي   محمد المرسل خير الرسل

قال وائل: ثم إن الصنم خر على وجهه[1] فانكسر أنفه، واندق عنقه، فقمت إليه فجعلته رفاتا، ثم سرت مسرعا حتى أتيت المدينة، فلما رآني رسول الله ﷺ، أدناني وبسط لي رداءه فجلست معه ثم صعد المنبر وأقامني دونه، ثم قال: «أيها الناس ! هذا وائل بن حجر أتاكم من أرض بعيدة، من حضرموت، راغبا في الإسلام». فقلت: يا رسول الله ! بلغني ظهورك وأنا في ملك عظيم فمن الله علي إذ رفضت ذلك وآثرت دين الله، فقال: «صدقت، بارك الله في وائل وولده وولد ولده»[2]، فما لقيني أحد من أصحابه إلا قال: بشرنا بك رسول الله، ﷺ قبل قدومك[3].

حُكي عن أبي رجاء[4]، قال: كنا في سفر فنزلنا على ماء فضربنا أخبيتنا، فإذا بحية قد دخلت الخباء وهي تضطرب فنضحت عليها الماء فسكنت ثم اضطربت فنضحت عليها الماء فسكنت[5] ولم يزل ذلك دأبي ودأبها حتى أذن مؤذن الرحيل، فقلت لأصحابي: انتظروا حتى أعلم علم هذه الحية إلى ما يصير، فلما صلينا العصر ماتت، فاستخرجت من علبتي خرقة بيضاء، فكفنتها فيها وحفرت لها ودفنتها، ثم سرنا بقية يومنا/ ذلك وليلتنا، فلما/ أصبحنا نزلنا على الماء في أخبيتنا فإذا نحن [67/ب][72/د] بأصوات تقول: سلام عليكم: لا عشرة ولا مائة ولا ألف بل[6] أكثر من ذلك، فرددنا السلام وقلنا: من أنتم؟ قالوا: نحن الجن. قال: ثم قالوا لي: يا فلان! بارك

(1) د: وجه الأرض.

(2) ساقطة من: ب.

(3) الحكاية وردت، دون الشعر، في أسد الغابة والبداية والنهاية.

(4) هو يزيد بن أبي حبيب، أبو رجاء الأسدي، عالم ومفتي أهل مصر في صدر الإسلام (توفي سنة 335هـ)،. ذكره ابن هشام في السيرة 1/ 142 وابن حجر في تهذيب التهذيب 11/ 318.

(5) زيادة من: ب، د، هـ.

(6) ساقطة من: ب، ج، د، هـ: ولا.

الله فيك وعليك، فقد صنعت إلينا ما لا نستطيع/ أن نجازيك به. قلت: وما الذي [58/هـ] صنعت لكم؟ قالوا: إن الحية التي كانت عندك كانت آخر من بقي من الجن الذين بايعوا رسول الله ﷺ، ثم تركوني وانصرفوا.

حُكِي عن مرثد بن كلال[1] أنه رجع من غزوة غزاها بغنائم عظيمة فوفد عليه كبار العرب وشعراؤها وخطباؤها يهنونه، فرفع الحجاب عن الوافدين وأوسعهم عطاء/ واشتد سروره بورود الشعراء والخطباء عليه، فبينما هوكذلك إذ رأى في [77/ج] المنام رؤيا هالته وأذعرته وأخافته في حال منامه، فلما انتبه نسيها حتى لم يعرف منها شيئا، وثبت ارتياعه في نفسه فانقلب سروره حزنا واحتجب عن الوفود حتى أساءوا الظن به، ثم حشر الكهان فجعل يخلو بكاهن بعد كاهن ثم يقول: أخبرني عما أسألك عنه، فيقول: لا علم عندي، حتى لم يدع كاهنا علمه إلا كان منه إليه ذلك. فتضاعف قلقه، وطال أرقه، وكانت أمه قد تكهنت فقالت له: أبيت اللعن، إن[2] الكواهن أهدى[3] إلى ما تسأل عنه لأن أتباع الكواهن ألطف وأظرف من أتباع الكهان. فأمر الملك بحشر الكواهن إليه وسألهن عما سأل الكهان فلم يجد عند واحدة منهن علما مما أراد علمه، ولما أيس من طلبته[4] سلا عنها، ثم بعد ذلك خرج[5] يتصيد فأوغل في طلب الصيد وانفرد عن أصحابه، فرفعت له أبيات في ذرى جبل وقد لحقه الهجير فعدل إلى الأبيات، وقصد بيتا منها كان منفردا عنها فبرزت له منه عجوز، وقالت له: انزل بالرحب والسعة والأمن والدعة والجفنة

---

(1) في بلوغ الأرب هو مرثد بن عبد كلال، ولعله الصواب. انظر ج 3/ 296.

(2) ساقطة من: د.

(3) أ: أهي.

(4) د: طلبه.

(5) هـ: ذهب.

المدعدعة[1] والعلبة[2] المترعة، فنزل عن جواده ودخل البيت، فلما احتجب عن الشمس وخفقت الأرواح، نام فما استيقظ حتى تصرم[3] الهجير، فجلس يمسح عينيه، فإذا بين يديه فتاة لم ير مثلها جمالا وقواما، فقالت له: أبيت اللعن، أيها الملك الهمام، هل لك في الطعام؟ فاشتد إشفاقه وخاف على نفسه لما رأى أنها قد عرفته وتصامم[4] عن كلمتها، فقالت له: لا حذر، فذاك البشر، فجدك الأكبر، وحظك الأوفر. ثم تقربت إليه بثريد وقامت عنه حتى أكله، ثم سقته لبنا ضريبا[5] وضريعا، فشرب ما شاء وجعل يتأ ملها مقبلة مدبرة فملأت عينه حسنا وقلبه هوى، ثم قال لها: ما اسمك يا جارية؟ قالت: اسمي عفيرا. فقال لها:/

[50/أ] يا عفيرا! من الذي أخبرت ودعوتيه بالملك الهمام؟ فقالت: مرتد العظيم الشان، حاشر الكواهن والكهان، لمعضلة يقل عنها الجنان. قال: يا عفيرا ! أتعلمين تلك المعضلة؟ قالت: أجل أيها الملك الهمام، إنها رؤيا منام، ليست بأضغاث أحلام، قال

[68/ب] لها الملك: أصبت يا عفيرا، فما تلك الرؤيا؟ قالت: رأيت/ أعاصير زوابع، بعضها لبعض تابع، فيها لهب لامع، ولها دخان ساطع، يقفوها نهر متدافع وسمعت فيها

[73/د] سامع، دعاء ذا جرس/ صادع، هلموا إلى المشارع، روى جارع، وعرق كارع، قال الملك: أجل هذه رؤياي فما تأويلها يا عفيرا؟ قالت: الزوابع: ملوك تبابع،

[78/ج] والنهر:/ علم واسع، والداعي: شافع، والجارع: ولي له تابع، والكارع:عدو له منازع. قال الملك: يا عفيرا ! أسلم هذا النبي أم حرب؟ قالت: أقسم برافع السماء،

---

(1) الجفنة المدعدعة: المملوءة.

(2) العلبة: قدح ضخم من جلود الإبل، وقيل من خشب، تحلب فيه الناقة، والمترعة: المملوءة. انظر اللسان مادتا: علب، ترع.

(3) تصرم الهجير: أي ذهب حر الشمس بزوالها نحو الغروب. انظر اللسان: صرم، هجر.

(4) تصامم: أي جعل كأنه لم يسمع كلامها. انظر اللسان: صمم.

(5) الضريب: لبن يحلب من عدة لقاح في إناء واحد. انظر اللسان: ضرب.

ونزول الماء من العمَاء[1]، إنه لمطل الدماء، ومنطق[2] العقائل، بنطق[3] الإماء. [قال الملك: إلى ما يدعو يا عفيرا؟ قالت: إلى صلاة وصيام، وصلة أرحام، وكسر أصنام، وتبطيل أزلام[4] واجتناب آثام][5] قال الملك: يا عفيرا! من يكون قومه؟ قالت: مضر بن نزار، له منهم نقع مثار، يجلو من ذبح وآثار. قال: إذا ذبح قومه فمن أعضاده؟ قالت: أعضاده غطاريف[6] يمانيون طائرهم به ميمون، يقربهم فيقربون/، ويدمث[7] بهم الحزون، وإلى نصرته يعتزون. [59/هـ]

قال الراوي: ثم أطرق الملك يشاور نفسه في خطبتها، فقالت: أبيت اللعن، إن تابعي غيور، ولأمره صبور، وناكحي مقبور، والكلف[8] في ثبور، فنهظ الملك مبادرا في صهوة جواده، وانطلق فبعث إليها بمائة ناقة كوماء[9].

أقول في تفسير غريب هذا الخبر: قوله: أوغل في طلب الصيد أي بالغ في ذلك وأمعن، والوغول: الدخول في الشيء بقوة. وقوله ذرى جبل: الذري بفتح الذال المعجمة، الكنف. وقولها: الجفنة المدعدعة: هي التي ملئت، ثم حركت حتى فاض ما فيها، ثم ملئت بعد ذلك. وقولها: العلبة: هي إناء من جلد، وقولها، ضريبا ضريعا: الضريب: اللبن المحض الذي لا يخالطه شيء، والضريع من اللبن: الرائب، ليستضرب أي يغلظ. وقولها أعاصير زوابع: هي من الرياح

(1) العماء: السحاب المرتفع أو الكثيف الممطر. انظر اللسان: عمي.

(2) أ، ج، هـ: ممنطق الإماء. سبقت الإشارة إلى هذه الكلمة

(3) ب: تنطق.

(4) الأزلام: السهام التي كان أهل الجاهلية يستقسمون بها. انظر اللسان: زلم.

(5) ما بين معقوفين زيادة من: ب، ج، هـ.

(6) غطاريف: مفردها غطريف، وهو السيد الشريف. انظر اللسان: غطرف.

(7) دمث المكان: سهله. انظر اللسان: دمث.

(8) ب: الكلب.

(9) ناقة كوماء: عظيمة السنام طويلته. انظر اللسان: كوم، والحكاية وردت في الأغاني 10/ 21، وبلوغ الأرب 3/ 296. وتاريخ الخميس 1/ 29.

ما تثير التراب فتلقيه في الجو وتذريه. وقولها: ساطع، أي مرتفع. وقولها: ذي جرس صادع، الجرس: الصوت. وقولها: بالمشارع: هي المداخل في النهر. وقولها: روى جارع، أي من شرب جرعا روى، ومن أمعن غرق، وقد كرعت الماشية في الحوض، والإنسان يكرع في الحوض أي يشرب بفيه منه. وقولها: تبابع، جمع تبع وهذا كان لقبا لملوك اليمن. وقولها: العماء، أي الغيم والغمام، وقولها: مطل الدماء أي مريق. وقولها ممنطق العقائل: هن الكرائم من النساء أي يمتهن فيشددن المناطق في أوساطهن للمهنة والخدمة. وقولها: نقع مثار، النقع، الغبار يثيره المتحاربون، والخيل وغيرها. وقولها: أعضاده غطاريف: أي أكابر والأعضاد: الأنصار. والغطاريف: أيضا السادة. والتغطرف: التكبر. وقولها: يدمث، أي يسهل. وقولها إلى نصرته يعتزون: هو قولنا أنصار، وقولها: يشاور ويؤامر نفسه كذلك، والمراد به تعارض الأمرين[1] المتضادين في النفس، وقولها صيور[2] بالياء المثناة من تحت أي [79/ج][69/ب] له/ عاقبة يصير إليها، تقوله[3] العرب على جهة/ التعظيم، وقوله: جال في صهوة جواده، أي وثب، والصهوة: مقعد الفارس من ظهر فرسه[4]، وقوله: كوماء، أي [74/د] عظيمة السنام/.

حُكي أن بختنصر[5] لما غزا بيت المقدس، اختار من سبي بني إسرائيل مائة ألف [51/أ] صبي فكان منهم دانيال[6] عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام/، فرأى بختنصر رؤيا

---

(1) أ: الأمر عن المتضادين.

(2) أ: حيور.

(3) أ: يقف له.

(4) أ: جواده.

(5) بختنصر مرزبان أحد الملوك القدماء، أي صاحب ناحية من النواحي، انظر الكلام عنه في مروج الذهب 1/ 269.

(6) دانيال: نبي من الأنبياء. انظر شيء من أخباره في العرائس: 340-344. والبداية والنهاية 2/ 40.

ارتاع[1] لها، ثم حدث له في المنام ما أنساه الرؤيا، فسأل الكهان والحكماء والسحرة والمنجمين عن ذلك، فقالوا له: إن أخبرتنا بالرؤيا أخبرناك بتأويلها. فقال: قد نسيتها، ولئن لم تخبروني لأفعلن بكم وتوعدهم فخرجوا من عنده مذعورين، ثم رجع إليه أحدهم فقال: أيها الملك ! إن يكن عند أحد من هذا علم فعند دانيال الغلام الإسرائيلي، فأحضره فسأله، فقال له عليه السلام: إن لي ربا عنده علم ذلك فخلني، فخلاه ثلاثا، فخرج دانيال، عليه السلام، ثم أقبل على الصلاة والدعاء فأوحى الله تعالى إليه بالرؤيا وتأويلها فجاء بختنصر، فقال: إنك رأيت صنما قدماه وساقاه من فخار وركبتاه وفخذاه من نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب وعنقه ورأسه من حديد. قال: صدقت قال: فبينما أنت تنظر إليه وتتعجب منه أرسل الله تعالى عليه صخرة فهشمته فصار رفاتا، ثم عظمت تلك الصخرة حتى ملأت الأرض فهي التي أنستك الرؤيا، قال: صدقت، فما تأويلها؟ قال: الصنم مثل للملوك الدنيا وكان بعضهم ألين ملكا من بعض، وكان أول الملك الفخار/ [60/هـ] وهو أضعفه، ثم كان فوقه النحاس وهو أفضل منه وأشد، ثم كان فوقه الفضة، وهي أفضل منه وأحسن، ثم كان فوقه الذهب، وهو أفضل من ذلك وأحسن، ثم فوقه كان الحديد وهو ملك أشد ملكا وأعز مما كان قبله، والصخرة التي أنزل الله تعالى عليه من السماء، نبي يبعث في آخر الزمان فيدق ذلك كله أجمع، ويملأ الدنيا بدينه ويصير الأمر كله إليه، ويقيم الله تعالى له ملكا لا يزول أبدا ما بقي الدهر. فتعجب بختنصر من ذلك وأحسن إلى دانيال، عليه السلام، وقربه ولطف منزلته وصار عنده من المقربين المقبولين[2].

حُكي عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، أنه نزل ببلخ[3] إلى جانب دير، فأتاه

(1) ارتاع منه، وروعه فتروع أي تفزع. انظر اللسان: روع.
(2) الحكاية ورد شيء منها في العرائس والبداية والنهاية.
(3) بلخ: مدينة مشهورة بخراسان. انظر معجم البلدان: بلخ.

قيم الدير فقال له: يا أمير المؤمنين! إني ورثت عن آبائي كتابا قديما كتبه أصحاب المسيح، عليه السلام، فإن شئت قرأته عليك. فقال له: قم هات كتابك، فجاءه بكتاب فإذا فيه: الحمد لله الذي قضى، وسطر فيما سطر، إني باعث في الأميين رسولا يعلمهم الكتاب والحكمة، ويدلهم على سبيل الخير، لا فظا ولا غليظا ولا صخابا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح. أمته الحمّادون/ لله تعالى في كل هبوط ونشر وصعود بالتكبير والتهليل ينصرونه[1] على كل من ناوأه أو كما قال. [٨٥/ج]

حُكي عن عبد الله بن عمر، رضي الله عنه، أن رجلا جاء إلى كعب الأحبار من بلاد اليمن، فقال له: إن فلانا الحبر أرسلني إليك برسالة، فقال: هاتها. فقال له الرجل،/ إنه يقول لك: [ألم تكن فينا سيدا شريفا مطاعا؟][2] فما الذي أخرجك من دينك إلى أمة أحمد؟ فقال له كعب: أتراك راجعا إليه؟ قال: نعم، قال: فإن رجعت/ إليه فخذ طرف ثوبه لئلا يفر منك وقل له: يقول لك كعب: أسألك بالذي رد موسى إلى أمه، وأسألك بالذي فرق البحر بموسى، وأسألك بالذي ألقى الألواح لموسى بن عمران، فيها علم كل شيء، ألست تجد في كتاب الله أن أمة محمد ثلاثة أثلاث؟ ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يدخلون الجنة برحمة الله تعالى، وثلث يحاسبون حسابا يسيرا، ثم يدخلون الجنة، فإنه سيقول لك: نعم. فقل له: يقول لك كعب: اجعلني في أي هذه الأثلاث شئت. [٧٥/ب] [٧٥/د]

حُكي أن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال لكعب الأحبار: يا كعب! أدركت رسول الله، ﷺ، وقد علمت أن موسى بن عمران تمنى أن يكون في أيامه [فلم تسلم في أيامه][3]. وأسلمت في أيامي. فقال له: يا أمير المومنين! لا تعجل

(1) أ: فنصروه.

(2) ما بين معقوفين زيادة من: ب، ج، د، ه

(3) ما بين معقوفين ساقط من:

علي، فإني كنت أتثبت حتى أنظر كيف الأمر، فوجدت كالذي هو في التوراة، أن سيد الخلق والصفوة من ولد آدم، يظهر من جبال فاران[1] من منابت القرظ[2] من الوادي المقدس/ فيظهر التوحيد والحق، ثم ينتقل إلى المدينة فتكون حروبه وأيامه [52/أ] بها، ثم يقبض فيها ويدفن بها. قال عمر رضي الله عنه: ثم ماذا؟ قال كعب: ثم يلي بعده الشيخ الصالح قال عمر رضي الله عنه: ثم ماذا؟ قال كعب: ثم يموت شهيدا. قال عمر رضي الله عنه: ثم ماذا؟ قال كعب: ثم يلي صاحب الحياء والكرم قال عمر رضي الله عنه: ثم ماذا؟ قال كعب: ثم يقتل مظلوما قال عمر رضي الله عنه: ثم ماذا؟ قال كعب: ثم يلي صاحب الحجة البيضاء والعدل والشرف، صاحب الشرف التام والعلم الجم والحلم الوافر. قال عمر رضي الله عنه: هو أبو الحسن، ثم ماذا؟ قال كعب: ثم يقتل شهيدا، سعيدا. قال عمر رضي الله عنه: ثم ماذا؟ قال كعب: ثم ينتقل الأمر إلى الشام. فقال عمر رضي الله عنه: حسبك يا كعب[3].

حُكي عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، أنه كان يحدث عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه[4] قال: خرجت في تجارة قبل أن يبعث النبي ﷺ، فنزلت[5] على شيخ من الأزد عالم، قد قرأ الكتب وحوى علما كثيرا، وأتى عليه من السنين ثلاثمائة/ سنة فلما تأملني قال: أحسبك حرميا. قال الصديق: فقلت [61/هـ] له: نعم أنا من أهل الحرم. قال: أحسبك تيميا[6]، قال الصديق: فقلت له: نعم. أنا/ من بني تيم بن مرة بن عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد [81/ج]

---

(1) أ، ج، هـ: فارا. وفاران: جبال بمكة ذكرها ابن كثير في تفسير سورة التين انظرج 4/ 498.

(2) منابت القرظ: هي بلاد اليمن. والقرظ شجر عظام لها سوق غلاظ ينبت في بلاد اليمن. انظر اللسان: قرظ

(3) انظر نهاية الأرب 16/ 119.

(4) ساقطة من: ج.

(5) ب،: فزفت.

(6) أ، د: تميميا.

بن تيم. قال: بقي لي فيك واحدة. قال: قلت[1]: ما هي؟ قال: اكشف عن بطنك. قلت: لا أفعل، أو تخبرني لم ذلك؟ قال: إني أجد في العلم الصحيح الصادق أن الله يبعث نبيا من الحرم يعاونه على أمره فتى وكهل، أما الفتى فخواض غمرات، [71/ب] وكشاف معضلات، وأما/ الكهل فأبيض نحيف، على بطنه شامة، وعلى فخذه الأيسر علامة، فلا عليك أن تريني لما خفي علي. قال الصديق: فكشفت له عن بطني فرأى شامة سوداء فوق سرتي، فقال لي: أنت هو ورب الكعبة، وإني مقدم إليك في أمر فاحذره. قلت: وما هو؟ قال: إياك والميل عن طريق الهدى، وتمسك [76/د] بالطريقة المثلى، وخف الله عز وجل فيما أعطاك وخولك. قال/ أبو بكر الصديق رضي الله عنه: فقضيت باليمن إربي، ثم أتيت الشيخ لأودعه. فقال: أحامل مني أبياتا لذلك النبي؟ قلت: نعم. فأنشأ يقول:

[الطويل]

ألم تراني قد سئمت معاشري ... ونفسي وقد أصبحتُ في الحجر راهنا
حييت وفي الأيام للمرء عبرة ... ثلاث سنين ثم تسعين آمنا
وصاحبت أحبارا أناروا بعلمهم ... غياهب جهل ما ترى فيه طابنا[2]
وكم عنشليل فوق راهب قائم ... لقيت وما غادرت في البحث كاهنا
وكلهم لما تفطمت قال لي: ... بأن نبيا سوف تلقاه دائنا
بمكة والأوثان فيها عزيزة ... فيركسها حتى تراها كوامنا
فما زلت أدعو الله في كل حاضر ... حللت به سرا وجهرا معالنا
وقد خمدت مني شرارة قوتي ... وألقيت سيفا لا أطيق الشواجبا
وأنت، ورب البيت، تلقى محمدا ... بعامك هذا قد أقام البراهنا
فحيٍّ رسول الله عني فإنني ... على دينه أحيى وإن كنت واهنا

(1) عبارة أ: قال فقلت.

(2) بالنسبة للشرح اللغوي للكلمات الصعبة فقد خصص المؤلف فقرة ألحقها بهذه الحكاية.

فيا ليتني أدركته في شيبتي[1] فكنت له عبدا أوا لي العجاهنا[2]
وما كشحت[3] بالجهلتين وشيجة[4] وما خلد الطود المبالغ عادنا

قال أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، فحفظت وصيته وشعره، وقدمت مكة فجاءني شعبة بن ربيعة[5] وأبو جهل بن هشام[6] وأبو البختري[7] وعقبة بن أبي معيط[8] ورجال من قريش، مُسَلِّمِين علي./ فقلت: هل حدث أمر؟ فقالوا: حدث أمر عظيم. هذا محمد بن عبد الله يزعم أنه أرسله الله إلى الناس، ولولا أنت ما انتظرنا به أحدا، فأنت النهية، قال أبو بكر، رضي/ الله عنه: فأظهرت تعجبا فتفرقوا، وذهبت أسأل عن رسول الله ﷺ، فقيل: هو في منزل خديجة بنت خويلد. قال: فقرعت عليه الباب فخرج إلي، فقلت: يا محمد ! فقدت من نادي قومك فاتهموك في غيبتك، وتركت دين آبائك. فقال لي: «يا أبا بكر ! إني رسول الله إليك وإلى الناس كلهم، فآمن بالله». فقلت: وما آيتك؟ قال: «الشيخ الذي أخبرك عني، وأفادك الأبيات». قلت: ومن أخبرك بهذا يا حبيبي؟ قال: «الملك العظيم الذي نبأ الأنبياء قبلي»، فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. فانطلقت وما أحد أشد سرورا من رسول الله ﷺ بإسلامي./

[53/أ]
[82/ج]
[72/ب]

---

(1) أ، ب، هـ: شيبتي.

(2) أ: العهاجن.

(3) ج، هـ: كسحت.

(4) أ: نتيجة.

(5) شيبة بن ربيعة بن عبد شمس من زعماء قريش في الجاهلية أدرك الإسلام (ت: 2هـ). انظر المحبر: 160. والأعلام 3/ 181.

(6) هوعمروبن هشام بن المغيرة المخزومي، من أشد الناس عداوة على النبي، ﷺ، قتل يوم بدر ترجمته في الوفيات 3/ 439.

(7) هو العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي، قتل على الشرك يوم بدر، انظر ترجمته في نسب قريش: 302.

(8) عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية، من مقدمي قريش في الجاهلية أول مصلوب في الإسلام، انظر ترجمته في الروض الأنف 2/ 76.

قلت: وهذا تفسير بعض الألفاظ من الأبيات، قوله: راهنا، الراهن: هو المقيم البائت. وقوله: طابنا، الطابن بالشيء العارف به. وقوله: الشواجنا: هي هنا الطرق المختلفة المتداخلة، فلعله أراد، لا أطيق السير. وقوله: واهنا/ أي ضعيفا. [77/د] وقوله: العجاهن: أي الذي يتلهى بحديثه ويضحك منه. وقوله الجهلتين: هما جانبا الوادي، والوشيجة: عرق الشجر الملتفة، وقوله: هفاف هو الرفيق المطرب. وقوله: بارق هو الضعيف. ومبالغ: أي مطاول. وقوله: عادنا: أي مقيما.

[62/هـ] حُكي عن لهيب/ بن مالك اللهبي[1]، رضي الله عنه، قال: حضرت مع رسول الله، ﷺ، فذكرت الكهانة، فقلت: بأبي أنت[2] وأمي يا رسول الله، نحن أول من عرف حراسة السماء وزجر الشياطين ومنعهم من استراق السمع عند قذفهم[3] بالنجوم، وذلك أنا اجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له[4] خطر بن مالك، وكان شيخا كبيرا قد أتت عليه مائة وثمانون سنة[5]، وكان أعلم كهاننا، فقلنا له: يا خطر! هل لك علم بهذه النجوم التي ترمي بها؟ فإنا قد رأيناها وخفنا سوء عاقبتها. فقال: ايتوني بسحر أخبركم الخبر بخير أم ضرر، وأمن أم حذر. فانصرفنا عنه يومنا، فلما كان من الغد في وجه السحر أتيناه فإذا هو قائم على قدميه شاخص إلى السماء بعينيه، فناديناه: يا خطر! فأومأ إلينا أن اسكتوا، فأمسكنا وانقض كوكب عظيم من السماء، فصرخ الكاهن قائلا: أصابه، أصابه، خامره عقابه، عاجله عذابه، أحرقه شهابه زايله[6] جوابه، يا ويله ما حاله، بلباله، بلباله، عاوده خياله، وغيرت

(1) هو لهيب بن مالك اللهبي ويقال له لهب، من الصحابة ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب 3/ 131 وابن حجر في الإصابة 3/ 331.

(2) ساقطة من: د.

(3) ب: قولهم.

(4) ساقطة من: ج.

(5) عبارة أ: مائة سنة وثمانون سنة.

(6) زايله، مزايلة: فارقه. اللسان: زيل.

أحواله وأمسك عنا طويلا ثم قال:

[الرجز]

هل استمتعتم يا بني قحطان ... أخبركم بالحق والبيان

أقسمت بالكعبة والأركان ... والبلد المؤتمن السكان[1]

قد منع السمع عتاة الجان ... بثاقب بكف ذي سلطان/[2] [83/ج]

من أجل مبعوث عظيم الشان ... يبعث بالتنزيل والقرآن

وبالهدى وفاضل الفرقان ... تمحى به عبدة الأوثان[3]

قال: فقلنا له: يا خطر! إنك لتذكر أمرا عجيبا فما ترى لقومك؟ قال:

[الرجز]

أرى لقومي ما أرى لنفسي ... أن يتبعوا خير نبي الإنس[4]

برهانه مثل شعاع الشمس ... محكم التنزيل عند اللبس

قال: فقلنا له: يا خطر ! فمن هو؟ فقال: والحياة والعيش، إنه لمن قريش، ما في حكمه طيش، يكون في جيش وأي جيش، من آل قحطان وآل ريش[5]. قال: فقلنا له: بين لنا من أي قريش هو؟ فقال: والبيت والدعائم، إنه من هاشم، من معشر أكارم، يُبعث بالملاحم، وقتل كل ظالم، ثم قال: هذا هو البيان، أخبرنا به/ رئيس [54/أ] الجان، قال: ثم قال: الله أكبر، جاء الحق وظهر، وانقطع عن الجن الخبر، ثم سكت وأغمي عليه، فما أفاق إلا بعد ثلاث. فقال: لا إله إلا الله فقال [رسول الله][6] ﷺ:

(1) في الاستيعاب: السدان.

(2) عتاة: جمع عاتي وهو شديد الدخول في الفساد والذي لا يقبل موعظة. انظر اللسان: عتا.

(3) الأبيات وردت في الاستيعاب بهامش الإصابة 3/ 332.

(4) الأبيات وردت في المرجع نفسه.

(5) الاستيعاب: ايش

(6) زيادة من: ب، ج، هـ.

«لقد نطق عن مثل نبوة وإنه ليبعث يوم القيامة أمة[1] وحده[2] أوكما قال ﷺ.

حُكي عن ابن هشام في السيرة أن الملك ربيعة بن [نصر][3] اللخمي[4] رأى رؤيا هالته فبعث/ إلى جميع الكهان والسحرة والمنجمين من رعيته فاجتمعوا [73/ب] لديه فقال: إني رأيت رؤيا هالتني فقالوا: قصها علينا نخبرك بتأويلها. فقال: إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها ولست أصدق في تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره فقال بعضهم لبعض: إن هذا الذي يطلبه الملك لا/ يجده إلا [78/د] عند سطيح[5] وشق[6] فبعث الملك إليهما وأحضرهما، فسأل الملك سطيحا فقال له: أنت أيها الملك ! رأيت حممة، خرجت من ظلمة، فوقعت بين روضة وأكمة وأكلت كل ذات نسمة. فقال الملك ما اخطأت منها شيئا، فما عندك في تأويلها ! فقال سطيح: اقسم بما بين الحرتين من حنش، ليهبطن أرضكم الحبش، فليملكن ما بين أبين إلى جرش[7]. فقال له الملك: وأبيك يا سطيح إن هذا لغائظ موجع، فمتى يكون ذا؟ أفي زماني أم بعدي؟ فقال: بل بعده بحين وأكثر من ستين أو سبعين تمضي من السنين ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين فقال له الملك: ومن يلي قتلهم وإخراجهم؟ فقال: فتى يقال له ابن ذي يزن. يخرج عليهم من عدن، فلا يترك أحدا منهم باليمن. قال له الملك: أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع. فقال له الملك: ومن يقطعه؟ قال: نبي/ زكي يأتيه الوحي من [63/هـ]

---

(1) ساقطة من: ج.

(2) أ: واحدة.

الحكاية وردت في الاستيعاب والإصابة 3/ 332 - 333.

(3) زيادة منه.

(4) ربيعة بن نصر اللخمي ملك من ملوك اليمن، ذكره ابن هشام في السيرة 1/ 15-18.

(5) اسم سطيح: ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن. سيرة بن هشام 1/ 15

(6) شق: هو شق بن صعب بن يشكر بن رهم بن افرك بن قسر. المصدر نفسه.

(7) أبين أو إبين.. وجرش: من مخاليف اليمن من جهة مكة وقيل هي مدينة عظيمة باليمن وولاية واسعة، انظر معجم البلدان: جرش.

العلي. فقال له الملك: وممن هذا النبي؟ فقال: من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون/ الملك في قومه إلى آخر الدهر. فقال له الملك: وهل للدهر من آخر [٨٤/ج] يا سطيح؟ فقال: نعم. يوم يجمع فيه الأولون والآخرون ويسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون. فقال له الملك: أحق ما تخبر به يا سطيح؟ قال: نعم. والشفق والغسق والقمر إذا اتسق، إن ما أخبرتك به لحق.

قال: ثم إن الملك أحضر شقا أيضا فسأله، فقال له شق: إنك رأيت حممة[1] خرجت من ظلمه فوقعت في روضة وأكمة، فأكلت كل[2] ذات نسمة[3]. قال: فلما سمع الملك مقالة شق، قال له: ما أخطأت منها شيئا، فما عندك في تأويلها؟ فقال: أقسم بما بين الحرتين من إنسان لينزلن أرضكم السودان وليقبلن[4] على كل طفلة[5] البنان وليملكن ما بين أبين إلى نجران. فقال له الملك: إن ذلك لغائظ مؤلم، فمتى يكون أفي زماني أم بعده؟ فقال: بل بعده. يستنقذكم منه عظيم الشأن ويذيقهم أشد الهوان. فقال له الملك: من هذا العظيم الشأن؟ فقال: غلام من اليمن، يخرج من بيت ذي يزن. فقال له الملك: فهل يدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع؟ قال: ينقطع برسول هو خاتم الرسل، يحكم بالحق والعدل من أهل الدين والفضل، يكون في قومه إلى يوم الفصل قال له الملك: وما يوم الفصل؟ قال: يوم تجزى فيه الولاة ويدعى فيه من السماء بدعوات، يسمعها الأحياء والأموات، ويجمع الناس فيه للميقات، فيفوز الصالحون بالخيرات، فقال له الملك: أحق ما تقول يا شق؟ فقال: إي ورب السماء والأرض وما بينهما من رفع وخفض. إن ما

---

(1) أ، ب، د، هـ: جمجمة.

(2) أ: من ذات.

(3) د: سنمة.

(4) ب، د: وليقلبن.

(5) الطَّفلة من النساء: المرأة البينة الطفولة. انظر اللسان: طفل.

أنبأتك به لحق ما فيه نقض. قال: فوقع ذلك في نفس الملك لما رأى من تطابق قول شق وسطيح/ على ما ذكراه. فجهز الملك أهله إلى الحيرة خوفا من سلطان الحبشة. [74/ب]
﴿وكان أمر الله قدرا مقدورا﴾[1].

حُكي عن وهب بن منبه أنه قال: في كتب الله المنزلة على نبي من أنبياء بني إسرائيل، أن قم في قومك فقل: يا سماء! اسمعي، ويا أرض! أنصتي إن الله يريد أن يقص شأن بني إسرائيل، إني ربيتهم بنعمتي وآثرتهم بكرامتي/ واخترتهم لنفسي، و إني وجدت بني إسرائيل كالغنم الشاردة التي لا راعي لها، فرددت شاردها/ وجمعت ضالتها وداويت مريضها، وجبرت كسيرها، وحفظت سمينها، فلما فعلت ذلك فيها بطرت[2] فتناطحت كباشها، فقتل بعضها بعضا، فويل لهذه الأمة الخاطئة، وويل لهؤلاء القوم الظالمين، إني قضيت يوم خلقت السماوات والأرض قضاء حتما، وجعلت له أجلا مؤجلا لا بد منه، أن لوكانوا يعلمون الغيب فليخبروك متى حتمه، وفي أي زمان يكون ذلك؟ فإني مظهره على الدين كله، فليخبروك متى يكون هذا، ومن القائم به، ومن أعوانه وأنصاره أن لوكانوا يعلمون الغيب/ فإني باعث رسولا في الأميين، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب[3] في الأسواق ولا قوال بالهجر والخنا، أسدده[4] لكل جميل، وأهب له كل خلق كريم، وأجعل السكينة على لسانه، والتقوى في ضميره والحكمة منطقه، والصدق والوفاء طبيعته، والعفووالمعروف خلقه، والحق شريعته، والعدل [79/د] [55/أ] [85/ج]

(1) الأحزاب: 38. والحكاية وردت في سيرة ابن هشام 1/ 15 مع اختلاف قليل بين الروايتين. والخصائص الكبرى 1/ 87.

(2) بطرت: طغت عند النعمة وطول الغنى. انظر اللسان: بطر.

(3) ب، ج، د: سخاب.
الصخب: الضجة واختلاط الأصوات للخصام. اللسان: صخب.

(4) أ: أشده.

سيرته، والإسلام ملته، أرفع به من الوضيعة، وأغني به من العيلة[1]، وأهدي به من الضلالة، وأألف [به][2] بين قلوب متفرقة[3]، وأهواء مختلفة/ وأجعل [64/هـ] أمته خير الأمم إيمانا بي وتوحيدا لي وإخلاصا بما جاء به رسولي، ألهمهم التسبيح والتحميد في مساجدهم وصلواتهم ومتقلبهم ومثواهم، يخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتي، يقاتلون في سبيلي صفوفا، ويصلون لي قياما وركوعا وسجودا، يكبروني على كل شرف، رهبان الليل أسد النهار، ذلك فضلي أوتيه من أشاء وأنا ذوالفضل العظيم.

حُكي أن عبد المطلب جد النبي ﷺ، كان يفرش له الفراش إلى جدار الكعبة المشرفة فيجلس عليه في ظلها ويحدق بفراشه بنوه وغيرهم من سادات قريش، وكان الفراش يفرش قبل مجيئه فيأتي النبي، ﷺ، وهوطفل صغير يدوسه ولا يثنيه عن الفراش شيء ويجلس عليه فيزيله أعمامه عنه فيبكي حتى يردوه إليه، فاطلع عليهم عبد المطلب وقد أزالوا النبي ﷺ، عن الفراش وهويبكي فقال عبد المطلب: ردوا ابني إلى مجلسي فإنه يحدث نفسه بملك عظيم سيكون له شأن، فكانوا بعد ذلك لا يردوه عن الفراش، وأرسلت آمنة، رضي الله عنها، وهي بنت وهب أم النبي ﷺ، وقابلتها أم وهب إلى جده عبد المطلب في الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ، بأن يأتي إليهما، وكان عبد المطلب يطوف بالبيت تلك الساعة فأتاهما، فقالتا له: يا أبا الحارث قد ولد الليلة لك مولود له أمر عظيم وسر عجيب، فذعر عبد المطلب وقال: ليس هو بشرا سويا؟ قالتا: بلى، ولكن سقط حين خرج خارا كالرجل الساجد ثم رفع رأسه/ وأصبعه نحوالسماء، وخرج منه نور ملأ البيت، [75/ب] وصارت النجوم تدنو منه حتى ظننا أنها ستقع علينا، ثم قالت آمنة رضي/ الله [85/د]

(1) العيلة: الفاقة. اللسان: عيل.

(2) زيادة من: ب، ج، هـ.

(3) أ: مفترقة.

عنها: يا أبا الحارث ! إنه لما أشتد بي المخاض كثرت علي الأيدي في البيت، وحين خرج هذا المولود إلى الدنيا خرج معه نور رأيت معه قصور بصرى[1] من أرض الشام، ولقد قيل لي في منامي قبل أن ألده، ستلدين سيد هذه الأمة، فإذا ولدتيه فسميه محمدا، وإذا وقع على الأرض فقولي: أعوذ بالواحد من شر كل حاسد. [86/ج] فقال لها عبد المطلب:/ أخرجي إلي ابني، فلقد كنت الساعة أطوف بالبيت فرأيته مال حتى قلت: سقط علي ثم استوى منتصبا، وسمعت من تلقائه قائلا يقول: الآن طهرني ربي، وسقط هبل على رأسه حتى جعلت امسح عيني وأقول: أنائم[2] [56/أ] أنا؟ فأخرجته إليه فقبله وانصرف به إلى البيت فطاف به سبعا وجعل يقول:/

[الرجز]

يا رب كل طائف وهاجد	ورب كل غائب وشاهد
ادعوك في ليل طفوح راكد	اللهم فاصرف عنه كيد الكائد
واحطم به كل عنيد[3] جاحد[4]	وابقه في عز وسعد زائد

في [حد دراس][5] وجد صاعد

حُكي أن حليمة السعدية، رضي الله عنها، وهي مرضعة رسول الله ﷺ. قالت: قدم علينا عائف[6]، والعائف متفرس لا تخطئ فراسته[7]، وهم من قوم بني مدلج

(1) بصرى: من أعمال دمشق وهي قصبة كورة حوران مشهورة عند العرب قديما وحديثا. انظر معجم البلدان: بصري.

(2) أ: أنا نائم أنا. وهذا كله ساقط من: ج.

(3) د: وعيد.

(4) هـ: حاسد.

(5) ما بين معقوفين زيادة من: ب، د.

(6) العائف الذي يعيف الطير ويزجرها وهي العيافة. انظر اللسان: عيف.

(7) الفراسة: النظر والتثبت والتأمل للشيء والبصر به. انظر اللسان: فرس.

يتوارثون العيافة، فانطلق الناس بأولادهم إلى ذلك العائف حتى يعيف لهم، وذهب زوجي الحارث بن عبد العزى[1] برسول الله ﷺ وهو في سن الرضاع، فلما رآه العائف أخذه من عبد العزى وقبله وقال: ما ينبغي لهذا الصبي أن يكون من بني سعد. قال عبد العزى: صدقت، وإنه لمسترضع فينا، وهوابني من الرضاع، فقال العائف: ردوا هذا الصبي إلى أهله، فإن له شأنا عظيما. قلت: وقال جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه: خرج رسول الله ﷺ، وهوطفل يلعب فرآه قوم من بني مدلج، وهم العافة، فدعوه ونظروا إلى قدميه ﷺ، وفقده عبد المطلب فخرج في طلبه حتى انتهى إليهم، ورسول الله، ﷺ، بين أيديهم وهم يتأملونه فقالوا له: يا عبد المطلب: ما هذا الغلام منك، قال: ابني./ قالوا: احتفظ به فما رأينا قدما أشبه [65/هـ] بالقدم التي في المقام من قدمه، يعنون إبراهيم الخليل، على نبينا وعليه الصلاة والسلام[2].

حُكي أن قريشا اجتمعت في دار الندوة يتشاورون في أمر بينهم وحضرهم قيل[3] من أقيال اليمن، ودخل رسول الله، ﷺ، دار الندوة، وهو صبي يدعو عمه أبا طالب، فنهض إليه أبو طالب حين[4] أشار ﷺ [إليه][5] وخرجا معا، فقال القيل: يا معشر قريش! من هذا الغلام الذي ينظر مرة بعيني أسد ومرة بعيني[6] عذراء خفرة[7]؟ قالوا: هذا يتيم أبي طالب، وهو ابن أخيه، ثم قالوا: أيها القيل،

(1) الحارث بن عبد العزى بن رفاعة، السعدي، زوج حليمة السعدية مرضعة الرسول ﷺ. انظر الإصابة: 1/ 282.

(2) الحكاية وردت في السيرة 1/ 159، وما بعدها مع اختلاف الرواية. وكذا في الخصائص للسيوطي 1/ 137 وما بعدها.

(3) القيل: الملك من ملوك حمير باليمن. انظر اللسان: قيل.

(4) أ، ب: حتى.

(5) زيادة من: ب، ج، د.

(6) هـ: بعين.

(7) الخفرة: الخفر: شدة الحياء، خفرت المرأة خفرا وخفارة فهي خفرة. انظر اللسان: خفر.

إن وصفك له حق عن عظمة في صدرك. قال: أما ومسرح، يعني صنما كانت حمير تعبده، لئن بلغ هذا الغلام أشده ليميتن قريشا ثم ليحييها، وقد نظر إليكم نظرة لوكانت سهاما[1] لانقطعت أفئدتكم فؤادا/ فؤادا/ ثم نظر إليكم نظرة أخرى لوكانت نسيا لانتشرت الموتى. قالوا: حسبك يا قيل حمير فإن الأمر غير ما تظن. قال: سترون ذلك[2].

[81/د/87ظ/ج]

حكى الحاكم الترمذي، في المناقشة، عن أبي موسى[3] رضي الله عنه قال: خرج أبوطالب إلى الشام ومعه النبي، ﷺ، في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على دير هناك، ظهر منه راهب، فجاء حتى أخذ بيد رسول الله، ﷺ، وقال: هذا سيد الخلق أجمعين، هذا رسول رب العالمين. فقال له أشياخ قريش: من أعلمك بهذا؟ قال: إنكم حين أشرفتم على العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خر ساجدا لله تعالى، وسلم عليه ﷺ، ولا يفعل ذلك إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف[4] كتفه مثل الثغامة[5]، ثم رجع يصنع لهم طعاما، فلما أتاهم به، وكان ﷺ في رعية الإبل قال: أرسلوا إليه. فأقبل ﷺ وعليه غمامة تظله، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوا إلى الشجرة، فلما جلس ﷺ مالت الشجرة إليه. قال: فبينما هو قائم عليهم يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم فإن/ الروم إن رأوه عرفوه بالصفة، فربما يقتلونه' فالتفت الراهب فإذا سبعة قد أقبلوا من الروم، فاستقبلهم الراهب، فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: أخبرنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليه أناس، وإنا قد أخبرنا خبره فبعثنا إلى طريقك هذا. قال:

[57/أ]

(1) ب، ج، د، هـ: سهما.

(2) الحكاية لم أقف عليها.

(3) أبوموسى الأشعري، وهوعبد الله بن قيس من الأشعريين، توفي حوالي 44هـ. انظر الإصابة 4/ 187. الأعلام 4/ 114.

(4) الغضروف: العظم الذي على طرف الحمالة. انظر اللسان: غضرف.

(5) الثغامة: نبت أبيض الثمر والزهر يشبه بياض الشيب. انظر اللسان: ثغم.

هل خلفكم أحد هو خير منكم؟ قالوا: إنما اخترنا طريقك هذا لأجلك. قال: أفرأيتم أمرا أراد الله تعالى أن يقضيه، هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا: لا قال: فبايعوه، فأقاموا معه، ثم قال لهم: أنشدكم الله أيكم وليه؟ قالوا: أبو طالب، فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه أبو بكر، رضي الله عنه بلالا[1] وزوده الراهب من الكعك والزيت[2].

حَكَى الدارقطني والبيهقي وشيخه وابن عدي[3] عن ابن عمر، رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان في محفل من أصحابه، إذ جاء أعرابي من بني سليم قد صاد ضبا وقد جعله في كمه ليذهب به إلى أهله فرأى جماعة فقال: على م هؤلاء الجماعة؟ فقالوا: على هذا النبي. فأتى النبي ﷺ فقال: يا محمد ! ما اشتملت الغبراء على ذي لهجة أكذب منك، فلولا أن تسميني العرب عجولا لقتلتك فسررت بقتلك الناس أجمعين. فقال عمر رضي الله عنه: دعني أقتله يا رسول الله. فقال ﷺ: أما علمت [أن الحليم][4] كاد أن يكون نبيئا»، ثم أقبل الأعرابي على رسول الله ﷺ فقال: واللات والعزى، لا آمن بك أو يؤمن بك هذا الضب، و[5] أخرج الضب من كمه وطرحه بين يديه ﷺ، وقال: إن آمن بك آمنت بك./ فقال النبي صلى الله [88/ج]"77 عليه/ وسلم: يا ضب ! فأجابه بلسان فصيح عربي مبين يفهمه القوم جميعا: لبيك [66/هـ] وسعديك يا رسول الله [ورسول رب/ العالمين][6] فقال ﷺ: من تعبد؟ فقال: [82/د] الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته،

---

(1) أ: وبلالا

(2) الحكاية وردت في سيرة بن هشام 1/ 181- 183. الخصائص الكبرى 1/ 206-207.

(3) ابن عدي، هو عبد الله بن محمد بن عدي بن عبد الله بن محمد بن مبارك، توفي عام 365هـ انظر طبقات الشافعية 2/ 233.

(4) ما بين معقوفين ساقط من: ب.

(5) ب، ج، د: قال وأخرج.

(6) زيادة من: ج، د، هـ.

وفي النار عذابه. فقال رسول الله ﷺ: من أنا يا ضب؟ فقال: رسول رب العالمين وخاتم النبيئين، قد أفلح من صدقك، وقد خاب من كذبك، فقال الأعرابي: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله حقا، والله، لقد أتيت وما على وجه الأرض أبغض إلي منك، والله لأنت، الساعة، أحب إلي من نفسي ومن ولدي، فقد آمن بك شعري وبشري وداخلي وخارجي وسري وعلانيتي. فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي هداك لدين يعلو ولا يعلى عليه، ولا يقبله الله إلا بصلاة، ولا يقبل الصلاة إلا بقرآن. قال: فعلمني يا رسول الله. فعلمه ﷺ الحمد، وقل هو الله أحد. فقال: يا رسول ! ما سمعت في البسيط ولا في الرجز بأحسن من هذا. فقال ﷺ: هذا كلام رب العالمين وليس بشعر[1].

حَكَى الواقدي عن ثعلبة بن مالك[2] أن عمر، رضي الله عنه، سأل أبا مالك[3]، رضي الله عنه، وكان من أحبار اليهود فقال: أخبرني بصفة رسول الله ﷺ في التوراة. فقال: إن صفته في التوراة لم تبدل، وهي توراة بني هارون، ولم تغير.

قال: فيها، يخرج من ولد إسماعيل بن إبراهيم نبي وهو آخر الأنبياء، وهو النبي العربي، يأتي بدين إبراهيم الحنيف، يأتزر في وسطه ويغتسل على أطرافه، في عينيه حمرة، وبين كتفه خاتم النبوءة، وليس بالقصير ولا بالطويل، يلبس الشملة ويجتزي[4] بالبلغة، ويركب الحمار، ويمشي في الأسواق، وسيفه[5] على عاتقه، ولا يبالي من لقي من الناس، معه صلاة لو كانت مع قوم نوح ما أهلكوا بالطوفان،

(1) الحكاية وردت في سيرة ابن هشام والخصائص الكبرى 2/ 275.

(2) هو ثعلبة بن أبي مالك القرظي حليف الأنصار، روى عن النبي ﷺ وعمر وعثمان وجابر وغيرهم. انظر حلية الأولياء 2/ 25.

(3) هو أبو مالك القرظيي السابق الذكر، قدم من اليمن وهو على دين اليهودية فتزوج امرأة من قريظة فانتسب فيهم. انظر الإصابة 4/ 172.

(4) يجتزي: لعله يريد معنى الإجتزاء بالبلغة عن غيرها أي الاكتفاء بها. انظر اللسان: جزأ.

(5) ب، ج، د، هـ: سيفه.

ولو كانت في عاد ما أهلكوا بالريح العقيم[1] ولو كانت في ثمود ما أهلكوا بالصيحة، مولده بمكة ومنشأه ومبدأ نبوته بها، ودار هجرته يثرب، بين لَابَتَيْ حرة وسبخة[2] وهو/ أمي لا يكتب ولا يقرأ المكتوب، وهو الحماد يحمد الله على كل شدة ورخاء، سلطانه بالشام، وصاحبه من الملائكة، جبريل. يلقى من قومه أذى شديدا ثم يزال[3] عليه فيحصرهم حصرا، تكون له[4] وقعات بيثرب، منها له، ومنها عليه، ثم له العاقبة، معه قوم هم إلى الموت أسرع من الماء من رأس الجبل إلى أسفله، صدورهم أناجيلهم، وقربانهم دماؤهم، ليوث النهار ورهبان الليل، يرهب عدوه منه مسيرة شهر، يباشر القتال بنفسه ثم يخرج ويتكلم، لا شرطة له ولا حرس، الله يحرسه[5]./ [58/أ] [89/ج][67/هـ]

حُكي أن أكثم بن صيفي[6]، وهو حكيم العرب، رأى النبي ﷺ، وهو صبي يتبع عمه أبا طالب. فقال أكثم لأبي طالب: ما أسرع ما شب أخوك، يعني رسول الله، ﷺ، فقال أبوطالب: ليس بأخي، ولكنه ابن أخي عبد الله، فقال أكثم: هذا ابن الفتح. فقال: نعم. وجعل أكثم يتأمله/ ويتوسمه ثم قال: يا أبا طالب! ما تظنون بهذا الفتى؟ قال: إنا لنحسن به الظن، وإنه لحي جرئ سخي وفي. فقال أكثم: هل غير هذا يا أبا طالب؟ فقال: نعم. إنه لذو شدة ولين، ومجلس/ ركين، وفضل مبين. فقال أكثم: هل غير هذا يا أبا طالب! فقال: نعم. إنا لنقيم بمشهده [78/ب] [83/د]

---

(1) ساقطة من: ب، د، هـ.

(2) اللابة: هي الحرة وقيل هي الأرض التي ألبستها الحجارة السود. والسبخة: الأرض الساخنة. انظر اللسان: لوب، سبخ

(3) ب، ج، د، هـ: يدال.

(4) ساقطة من: ب.

(5) الحكاية: لم أقف عليها.

(6) أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث، التميمي: حكيم العرب في الجاهلية، عاش زمنا طويلا توفي حوالي 9هـ انظر الإصابة 1/ 113، وجمهرة الأنساب: 200.

ونتعرف البركة فيها لمسه بيده. فقال أكثم: هل غير هذا يا أبا طالب؟ فقال: نعم. إنه لغلام حري أن يسود ويتطول بالجود، فقال أكثم: لكني أقول غير هذا يا أبا طالب. قال: قل، فإنك نقاب غيب وجلاء ريب، فقال أكثم: أخلق بابن أخيك أن يضرب العرب بيد خابطة ورجل لابطة[1] ثم ينعق بهم إلى مرتع مريع[2] وورد [شريع][3]، فمن اخرورط[4] إليه هداه، ومن احرورف[5] عنه أرداه، فقال أبو طالب: إن عندنا لعلما من ذلك[6].

حُكي أنه لما رجع المشركون من بدر إلى مكة، أقبل عمير بن وهب الجمحي[7] إلى صفوان بن أمية[8] وقال: والله ما في العيش خير بعد قتلى بدر، ولولا دين علي لا أجد له قضاء، وعيال لا أجد لهم شيئا لرجعت إلى محمد حتى أقتله، إن ملأت عيني منه، وقد بلغني أنه يمشي في الأسواق ولي عندهم ابن أسير فأحتج عليهم به[9] ففرح صفوان بقوله، وقال له: يا أبا أمية ! وهل أراك فاعلا؟ قال: إي ورب الكعبة فقال صفوان: فعلي دينك، وعيالك إسوة عيالي، وأنت تعلم أنه ليس بمكة رجل أكثر توسعا مني على عيالي. فقال عمير بن وهب: قد عرفت ذلك يا أبا وهب، فحمله صفوان على بعيره وجهزه وأجرى على عياله

(1) لابطة: أي خابطة، واللبط باليد كالخبط بالرجل. انظر اللسان: لبط.

(2) المريع: الخصيب. اللسان: مرع.

(3) الورد الشريع: الذي فيه الشريعة أو الشرعة وهي مشرعة الماء أي مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون. انظر اللسان: شرع.

(4) حسب ما بحثت فيه من المعاجم فلا أصل لهذه الصيغة. ولعله يريد: فمن انضم إليه...

(5) احرورف: عدل ومال عن الشيء. انظر اللسان: حرف.

(6) الحكاية لم أقف عليها.

(7) عمير بن وهب بن خلف الجمحي، أبو أمية، من الصحابة توفي حوالي 22هـ. الإصابة 3/ 36.

(8) صفوان بن أمية بن خلف الجمحي، أبو وهب، صحابي من أشراف قريش، وكان جوادا توفي حوالي 41هـ. وانظر تهذيب التهذيب 4/ 424. الإصابة 2/ 187.

(9) ساقطة من:ه.

ما يجري على عيال نفسه، وتقلد عمير سيفه وخرج إلى المدينة ولم يعلم به أحد وقدم المدينة، فنزل على مسجد رسول الله، ﷺ، فنظره عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، ومعه جماعة من أصحابه فقال: دونكم، هذا عدو الله عمير، فنادى عمر: يا رسول الله! هذا عمير بن وهب قد دخل المسجد ومعه السلاح. فقال رسول الله ﷺ: «أدخله علي يا عمر». فخرج عمر، رضي الله عنه، فأخذ بحمائل سيفه فقبض[1] بيده عليها وقبض باليد الأخرى/ قائم السيف ثم أدخله على رسول [68/هـ] الله ﷺ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «يا عمر! تأخر عنه»، فلما دنا منه قال النبي ﷺ: «ما أقدمك يا عمير؟» قال: قدمت لأجل/ أسيري الذي عندكم تحسنون [90/ج] إلينا فيه، فقال النبي ﷺ: «فما بال السيف معك»؟ قال: قبحها الله من سيوف ما أغنت عنا شيئا، إني نسيته وقد دخلت وهو معي في عنقي، فقال له[2] ﷺ: «فما شرطت لصفوان بن أمية في الحجر»؟ ففزع عمير وقال: يا رسول الله ! وماذا[3] شرطت له؟ قال ﷺ: «تحملت بقتلي على أن يقضي دينك ويعول عيالك، والله حائل بيني وبينك». فقال عمير: أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، كنا نتهمك فيما تقول والله ما اطلع/ على هذا الأمر غير صفوان، والله إنك لصادق، [59/أ] وقد أمرت صفوان أن يكتم علي هذا الأمر فأطلعك الله عليه، وقد آمنت بالله ورسوله وشهدت أن ما جئت به/ حق. فقال النبي ﷺ: «علموا أخاكم/ الصلاة [79/ب][84/د] والقرآن وأطلقوا له أسيره». فقال: والله إني كنت جاهدا على إطفاء نور الله وقد هداني فله الحمد، فأذن لي فألحق بقريش فأدعوهم إلى الله وإلى الإسلام، فأذن له فلحق بمكة، وسأل صفوان عن عمير فقيل له: إنه أسلم، فلعنه وحلف لا يكلمه أبدا، وطرح عياله، وقدم عمير، رضي الله عنه، مكة المشرفة فدعاهم إلى الله تعالى

(1) أ: فقبضه.

(2) ج: فقال له النبي.

(3) ب، د: ما.

وتصديق رسول الله[1] ﷺ، وأسلم معه[2] خلق كثير رضي الله عنهم[3].

حُكي أنه لما خرج النبي ﷺ من مكة المشرفة إلى المدينة المنورة معه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان دليلهما عبد الله بن الأريقط[4] الليثي رضي الله عنه، فمروا على أم معبد الخزاعية رضي الله عنها وكانت امرأة صبورة جلدة[5] تطعم الطعام فسألوها[6] لحما وتمرا فلم يجدوا عندها شيئا من ذلك، وكان القوم جياعا، فنظر النبي ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة[7]، فقال ﷺ: «ما هذه الشاة يا أم معبد؟» قالت: شاة خلفه الجهد عن الغنم. قال ﷺ: «هل بها لبن؟» قالت: هي أجهد من ذلك. قال ﷺ: «أتأذنين لي أن أحلبها؟» قالت: بأبي وأمي إن كان بها لبن فاحلبها. فدعا بها النبي ﷺ، ومسح ضرعها فذرت ودعا بإناء فحلب حتى ملأه وسقاها وسقى أصحابه حتى رويا وشرب ﷺ/ آخرهما، ثم بايعها على الإسلام [69/هـ] وارتحل عنها، فقلما لبثت حتى جاء زوجها يسوق أعنزا عجافا، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال: من أين لك هذا يا أم معبد والشاة عجفاء وليست بحلوب؟ قالت: الآن مر بي رجل مبارك، من حاله كذا وكذا، قال: صفيه لي. قالت: رأيت رجلا ظاهر الوضاءة حسن الوجه كريم الخلق لم يعبه بخل، وسيم قسيم[8]، في

---

(1) ب، ج، د، هـ: النبي.

(2) ج: على يده.

(3) الحكاية وردت في سيرة ابن هشام 2/ 317. والمعجم الكبير للطبراني 17/ 57 ودلائل النبوة 3/ 149.

(4) عبد الله بن أريقط الليثي، ويقال له ابن أريقد، ودعاه صاحب السيرة(ج 1/ 488)- عبد الله بن أرقط، وهو دليل رسول الله ﷺ وأبي بكر لما هاجرا إلى المدينة: راجع الإصابة 2/ 274.

(5) ساقطة من: د.

(6) ب: فسألوا.

(7) كسر الخيمة: جانب الخيمة. اللسان: كسر.

(8) قسيم الوجه: حسن الوجه. اللسان: قسم.

عينيه دعج[1] وفي أشفار عينيه/ وطف[2]، وفي صورته جمال، وفي لحيته كثافة، [91/ج]
أزج أقرن[3]، إن سكت علاه البهاء، وإن تكلم زينه الوقار، غصن بين غصنين، له رفيقان يحفان به، إن قال أنصتا لقوله، وإن أمر تبادر لأمره، لا عابس ولا مفند[4]، قال أبو معبد هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر، ولقد هممت أن أصحبه فلأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا[5].

حكى أبو القاسم الطبري[6] في كتاب الدعوات عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ حتى إذا نحن في مجمع طرق[7] المدينة فرأينا أعرابيا آخذا بخطام[8] بعيره[9] حتى وقف على رسول الله ﷺ ونحن حوله، فقال: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فرد عليه النبي[10] ﷺ، السلام، فقال: «كيف أصبحت؟» ورغا البعير[11] وجاء رجل كأنه حرسي، فقال الحرسي: يا رسول الله! هذا الأعرابي سرق البعير، فرغى البعير ساعة وحن، فأنصت له النبي ﷺ، وسمع رغاءه وحنينه، فلما هدأ البعير أقبل النبي ﷺ/ على الحرسي وقال: «انصرف عنه [80/ب]

---

(1) الدعج: السواد، وقيل شدة سواد العين. اللسان: دعج.

(2) الوطف: كثرة شعر الحاجبين. اللسان: وطف.

(3) أزج الحواجب: والزجج: تقوس في الناصية مع طول في طرفه وامتداد. أقرن: بَيِّنَ القرن وهوالمقرون الحاجبين، والقرن: التقاء طرفي الحاجبين. انظر اللسان: زجج، قرن.

(4) ولا مفند: أي لا فائدة في كلامه لكبر أصابه. انظر اللسان: فند.

(5) الحكاية وردت في المستدرك للحاكم 3/ 9، ومعجم الزوائد للهيثمي 6/ 56.

(6) هو الطبراني وليس الطبري، وهو سليمان بن أحمد بن أيوب، أبوالقاسم: اللخمي من كبار المحدثين توفي سنة 360هـ، انظر الوفيات 2/ 407 والنجوم الزاهرة 4/ 59 وكتاب الدعوات نسبه صاحب كشف الظنون لعدة شخصيات، انظر ج 2/ 1417.

(7) د: طريق.

(8) أ: بخرطام.

(9) الخطام: الحبل الذي يقاد به البعير. اللسان: خطم.

(10) هـ: علينا.

(11) رغا البعير: أي صوت، والرغاء، صوت ذوات الخف. اللسان: رغا.

[85/د] فإن البعير شهد عليك أنك كاذب». قال: فانصرف/ الحرسي وأقبل النبي ﷺ على الأعرابي وقال: «أي شيء قلت حين جئتني؟» قال: بأبي أنت وأمي، قلت: اللهم صل على محمد حتى لا تبقى صلاة، وبارك على محمد حتى لا تبقى بركة، اللهم وسلم على محمد حتى لا يبقى سلام وارحم محمدا حتى لا تبقى رحمة، قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى أبداها لي والبعير ينطق بعذره وإن الملائكة عليهم سلام الله تعالى، الجميع قد سدوا أبواب السماء» أو كما قال رسول الله ﷺ، وشرف وكرم وبجل وعظم[1].

حُكي أنه روى نافع عن ابن عمر رضي الله عنه قال: جاءوا برجل إلى النبي [60/أ] ﷺ فشهدوا عليه أنه سرق ناقة لهم فأمر النبي ﷺ/ بيده أن تقطع، فولى الرجل وهو يقول: اللهم صل على محمد حتى لا يبقى من صلاتك شيء، وبارك على محمد حتى لا يبقى من بركاتك شيء، قال: فتكلمت الناقة وقالت: يا رسول الله ! إنه بريء من سرقتي، فقال رسول الله ﷺ: «من يأتيني بالرجل؟» قال: فابتدره سبعون بدريا[2]ا فجاءوا به إلى النبي ﷺ فقال له: «يا هذا ! ما قلت آنفا؟» فأخبره [70/هـ] بما قال: فقال ﷺ: «لذلك نظرت إلى الملائكة/ يفترقون سكك المدينة حتى كادوا يحولون بيني وبينك، ثم قال رسول الله ﷺ: «ليردن على الصراط ووجهه[3] أضوأ من القمر ليلة البدر» أوكما قال ﷺ[4].

(1) الحكاية وردت في المعجم الكبير للطبراني 5/ 57 ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي 6/ 56.

(2) بدريا: لعله بمعنى المسرع، يقال ناقة بدرية أي بدرت أمُّها الإبلَ في النتاج فجاءت بها في أول الزمان. انظر اللسان: بدر.

(3) ب، ج، د: ووجهك.

(4) الحكاية والحديث وردا في تنزيه الشريعة لابن عراف 2/ 332 وكنز العمال: 4004.

حكى/ تميم الداري[1]، رضي الله عنه، قال: كنا جلوسا عند رسول[2] الله ﷺ، [92/ج] إذ أقبل بعير يعدو حتى وقف على هامة رسول الله ﷺ فرغا، فقال رسول الله ﷺ: «[أيها البعير !][3] اسكن، فإن تك صادقا فلك صدقك وإن تك كاذبا فعليك كذبك، مع أن الله [تعالى][4] أمن عائذنا وليس بخائب لائذنا». قال: فقلنا: يا رسول الله ! ما يقول البعير؟ قال: «هذا بعير هم أهله بنحره وأكل لحمه فهرب منهم، واستغاث بنبيكم» قال: فبينما نحن كذلك إذ أقبل أصحابه يتعادون[5] فلما نظر إليهم البعير عاد إلى هامة النبي ﷺ فلاذ بها فقالوا: يا رسول الله! هذا بعيرنا هرب منذ ثلاثة أيام، فلم نلقه إلا بين يديك، فقال رسول الله ﷺ: « إنه أتى يشكو إلي، وبئست الشكاية». فقالوا: يا رسول الله! ما يقول؟ قال: إنه يقول: إنه ربي في حيكم أعواما، وكنتم تحملون عليه في الصيف إلى موضع الكلإ، وإذا كان الشتاء دخلتم إلى موضع الدفء، فلما كبر استفحلتموه فرزقكم الله منه إبلا سائمة، فلما أدركته هذه الخصبة هممتم بنحره وأكل لحمه». فقالوا: قد كان والله، ذلك يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: ما هذا جزاء المملوك الصالح من مواليه». فقالوا: يا رسول الله! لا نبيعه ولا ننحره. فقال رسول الله ﷺ: «قد استغاث بكم فلم تغيثوه، وأنا أولى بالرحمة منكم، فإن الله نزع الرحمة من قلوب المنافقين وأسكنها في قلوب المؤمنين». فاشتراه رسول الله ﷺ بمائة درهم وقال: «أيها/ البعير! انطلق [81/ب] فإنك حُر/ لوجه الله تعالى»، فرغا البعير على هامة رسول الله ﷺ، فقال رسول الله [86/د]

(1) تميم بن أوس بن خارجة الداري، أبو رقية، صحابي من لخم، أسلم سنة 9هـ كان راهب أهل عصره، وهو أول من أسرج السراج بالمسجد، وللمقريزي فيه كتاب سماه: «ضوء الساري في معرفة خبر تميم الداري» توفي حوالي 40هـ .انظر صفة الصفوة 1/ 31.

(2) ب، ج، د: عند النبي.

(3) ما بين معقوفين زيادة من: ب، د.

(4) زيادة من: ج.

(5) يتعادون: أي يتبارون في العدو. انظر اللسان: عدا.

ﷺ: آمين، ثم رغا، فقال: «آمين». ثم رغى، فقال: «آمين» ثم رغا الرابعة، فبكى رسول الله ﷺ فقلنا[1]: يا رسول الله ! ما يقول هذا البعير؟ فقال: «قال: جزاك الله أيها النبي عن الإسلام والقرآن خيرا، فقلت: آمين. ثم قال: أسكن الله رعب أمتك يوم القيامة كما سكنت روعتي[2]، فقلت: آمين. ثم قال: حقن الله دم أمتك من أعدائها كما حقنت دمي، فقلت: آمين. ثم قال: لا جعل الله بأسها بينها فإن هذه الخصال سألت ربي فأعطانيها ومنعني هذه، ثم أخبرني جبريل عن الله عز وجل[3] أن فناء أمتي بالسيف جرى القلم بما هو كائن». أو كما قال ﷺ[4].

حكى الطبراني وأبو نعيم[5] من طرق صحيحة عن ابن أوس[6] قال: هاجرت إلى النبي، ﷺ، وقدمت إليه[7] عند منصرفه من تبوك فأسلمت، فسمعته يقول: «هذه الحيرة رفعت إلي وإنكم ستفتحونها، وهذه الشيماء بنت بقيلة الأزدية على بغلة شهباء بخمار أسود». فقلت:/ يا رسول الله! إن نحن دخلنا الحيرة فوجدناها [93/ج] على هذه الهيئة فهي لي؟ قال: «هي لك» قال: فأقبلنا مع خالد بن الوليد نريد الحيرة، فلما دخلناها كان أول من لقينا الشيماء بنت بقيلة كما قال رسول الله، ﷺ، على بغلة شهباء معتجرة[8] بخمار أسود، فتعلقت بها وقلت: هذه وهبها لي رسول

---

(1) ب، د: قلت.

(2) أ: رعبتي.

(3) هـ: عن الله تعالى.

(4) الحكاية وردت في الترغيب والترهيب للمنذري 3/ 207.

(5) أحمد بن عبد الله بن أحمد أبونعيم الأصبهاني، من الثقات، ولد ومات في أصبهان عام 430هـ له تصانيف منها «حلية الأولياء» «دلائل النبوة» وغيرها مخطوط ومطبوع. انظر ميزان الاعتدال 1/ 111. لسان الميزان 1/ 201.

(6) لعله ابن أوس بن مخزمة، ذكره ابن هشام في السيرة 2/ 351.

(7) ب، د، هـ: عليه.

(8) معتجرة: ملتفة، والاعتجار هو لَيُّ الثوب على الرأس من غير إدارته تحت الحنك. انظر اللسان: عجر.

الله ﷺ. فطلب خالد عليها مني البينة، فأتيته بها فسلمها إلي، ونزل أخوها عبد المسيح فقال: أتبعنيها؟ قلت: نعم. قال: فاحتكم ما شئت. قلت: والله لا أنقصها عن ألف درهم. قال: فدفع لي ألف درهم وقال لي: لوقلت: مائة ألف، لدفعتها إليك. فقلت: لا أحسب مالا أكثر من ألف درهم./ [71/هـ]

[61/أ] حكى ابن عساكر بسنده/ إلى أبي منصور[1] قال: لما فتح رسول الله ﷺ خيبر، أصاب حمارا أسود، فكلم الحمار رسول الله ﷺ، فقال له: «ما اسمك؟» قال: يزيد بن شهاب، أخرج الله من نسل جدي ستين حمارا، وكلها لا يركبها إلا نبي [وقد][2] كنت أتوقعك لتركبني، ولم يبق من نسل جدي غيري، ولا من الأنبياء غيرك، وقد كنت قبل عند رجل يهودي، وكنت إذا ركبني أتعثر[3] به عمدا، وكان يجيع بطني ويضرب ظهري، فقال له النبي ﷺ: «فأنت يعفورا[4] يا يعفور![5] تشتهي الإناث؟» قال: لا. وكان ﷺ يركبه في حاجته. فإذا نزل عنه بعثه إلى باب الرجل فيأتي الباب فيقرعه برأسه، فإذا خرج صاحب الدار أومأ إليه فيعلم أن رسول الله ﷺ أرسل إليه فيأتي النبي ﷺ، فلما قبض رسول الله ﷺ جاء إلى بئر كانت لأبي الهيثم بن التيهان[6] فتردى فيها جزعا على رسول الله ﷺ فعادت قبره. قال الحافظ أبو موسى[7]: هذا حديث منكر إسنادا ومتنا لا يحل لأحد/ أن يرويه [82/ب]

(1) هو عبد القاهر بن طاهر بن محمد التيمي أبومنصور البغدادي توفي حوالي 429هـ. الوفيات 3/ 203، طبقات السبكي 3/ 238. الوافي 1/ 299. أنباء الرواة 2/ 175.

(2) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(3) أ: نعثر.

(4) ب: تعفور.

(5) ساقطة من: ب.

(6) أبو الهيثم بن التيهان واسمه مالك: كان يكره الأصنام في الجاهلية ويقول بالتوحيد، توفي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر صفة الصفوة 1/ 462، والإصابة 3/ 341.

(7) لعله محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المديني أبو موسى الحافظ، توفي عام 581هـ انظر وفيات الأعيان 4/ 286، و طبقات الشافعية 4/ 90.

إلا مع كلامي هذا.

[87/د] حكى القاضي/ عياض رحمه الله في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى عليه الصلاة والسلام، فذكر فيه فصلا عجيبا وحسن إيراده هنا، وهو فصل، أقول: إذا كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يشرف بواحدة منها أو اثنتين إن اتفقت له في كل عصر، وهي: إما نسب أو جمال أو قوة أو علم أو حلم أو شجاعة أو سماحة، حتى يعظم قدره وتضرب باسمه الأمثال ويتقرر له، بالوصف بذلك، في القلوب رحمة وعظمة، وهومنذ عصور خوال، رمم بوال، فما ظنك بعظم قدر من اجتمعت فيه هذه الخصال إلى ما لا يحد ولا يعبر عنه بمقال ولا ينال بكسب ولا احتيال، إلا بتخصيص من الملك المتعال، من فضيلة النبوءة [94/ج] والرسالة، والخلة والمحبة والاصطفاء والإسراء والرؤية والقرب/ والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث إلى الأبيض والأسود والأحمر، والصلاة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والشهادة بين الأنبياء والأمم وسيادة بني آدم، ولواء الحمد، والنذارة والبشارة والمكانة عند ذي العرش، والطاعة والأمانة، والهداية ورحمة للعالمين، وإعطاء الرضى والكوثر والسؤال، وسماع القول، وإتمام النعمة والعفو عما تقدم وما تأخر وشرح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر وعزة النصر، ونزول السكينة والتأييد بالملائكة، وإيتاء الكتاب والحكمة، والسبع المثاني، والقرآن العظيم، وتزكية الأمة، والدعاء إلى الله تعالى، وصلاة الله والملائكة، والحكم بين الناس بما أراه الله ووضع الإصر[1] والأغلال عنهم، والقسم باسمه، وإجابة دعوته، وتكليم الجمادات، وتكثير القليل، ونبع الماء من بين أصابعه ﷺ، وانشقاق القمر، ورد الشمس، وقلب الأعيان والنصر بالرعب، وظل الغمام، والاطلاع على الغيب، وتسبيح

(1) أ، هـ: الأضر.

الحصا، وإبراء الآلام[1] والعصمة من الناس، إلى ما [لا][2] يحويه محتفل، ولا يحيط بعلم ذلك إلا معطيه ومفضله به، لا إله غيره، إلى ما أعد له في دار الآخرة من منازل الكرامة، ودرجات القدس، ومراتب السعادة[3] والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول ويحار دون إدراكها الوهم. ﷺ وشرف وكرم وبجل وعظم وعلى آله الكرام وصحابته هداة الإسلام وتابعيهم أجمعين إلى يوم الدين[4].

(1) أ: الأليم.

(2) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(3) أ: الشهادة.

(4) الحكاية وردت في الشفا بتعريف حقوق المصطفى: 36.

الباب الثالث

في مناقب بعض سادات الأمة وأعيانهم وكراماتهم الباقية[1] بعد انقضاء أزمانهم/ [72/هـ]

حكى محمد بن هشام[2] [الكلبي][3] وغيره من أهل التاريخ[4] أن خالد بن الوليد المخزومي لما أقبل يريد الحيرة/ في خلافة أبي بكر رضي الله عنه تحصن أهلها [62/أ] منه ببعض الحصون، فلما رأى خالد، رضي/ الله عنه ذلك، أمر فأنزل العسكر [88/د] وبعث إليهم أن ابعثوا إلينا رجلا من عقلائكم وذوي رأيكم وأنسابكم نسأله عن أمركم، فبعثوا إليه عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن/ بقيلة الغساني[5] [83/ب] وهو عبد المسيح الذي أتى سطيحا فسأله عن رؤيا الموبذان[6] وارتجاج الإيوان وما كان من ملوك ساسان، فأتى عبد/ المسيح خالدا وله من العمر ثلاثمائة وخمسون [95/ج] سنة، فأقبل يمشي، فنظر إليه خالد، رضي الله عنه مقبلا فقال له: من أين أصلك؟ قال: من صلب أبي. قال: من أين جئت؟ قال: من بطن أمي. قال: على م أنت ويحك؟ قال: على الأرض. قال: ففيم أنت لا كنت؟ قال: في ثيابي. قال: أتعقل

---

(1) هـ: الباقيات.

(2) هو هشام بن محمد، وليس محمد بن هشام، بن أبي النضر بن السائب بن بشر الكلبي، مؤرخ عالم بالأنساب وأخبار العرب (توفي عام 204هـ انظر الفهرست 1/ 95. وتاريخ بغداد 14/ 45 الوفيات 2/ 195

(3) زيادة من: ب، ج، هـ.

(4) ج: العلم.

(5) عبد المسيح بن عمروبن قيس، الغساني، من الدهاة، له أخبار وشعر توفي حوالي: 12هـ. انظر الديارات: 154-155، والبيان والتبيين.

(6) الموبذان: للمجوس كقاضي القضاة للمسلمين، الموبذ: القاضي. انظر اللسان: موبذ.

لا عقلت؟ قال: أي وأقيد. قال: ابن كم أنت؟. قال: ابن رجل واحد. قال: ما سنك؟ قال: عظم. قال: اللهم اخزهم، أهل بلد، ما أرسلوا لنا إلا من فيه عمى، أسأله عن الشيء فيجيب عن غيره. قال: كلا ! والله ما أجبتك إلا عما سألتني عنه، فاسأل عما بدا لك. قال: عرب أنتم أم نبط؟ قال: عرب استنبطنا ونبط استعربنا. قال: فحرب أنتم أم سلم؟ قال: بل سلم. قال: فما بال هذه الحصون؟ قال: بنيناها للسفيه نحبسه فيها حتى يأتي الحليم فينهاه. قال: كم لك من السنين؟ قال: خمسون وثلاثمائة. قال: فما أدركت؟ قال: رأيت البحر في هذا الموضع، وأمواجه تضرب تحت قدميك. فانظر كم بينهما، اليوم، وبين البحر، ورأيت المرأة تخرج من أهل الحيرة تأخذ مكتلها[1] فتضعه على رأسها لا تزود رغيفا واحدا ولا تزال في قرى عامرة [عمارة][2] متصلة وأشجار مثمرة وانهار جارية حتى ترد الشام، وتراها اليوم وقد أصبحت خرابا، وذلك صنع الله في البلاد والعباد، فتعجب خالد مما سمعه منه وعرفه، وكان مشهورا في العرب بطول العمر وكبر السن وصحة العقل. فقال له خالد، رضي الله عنه، وكان معه سم ساعة في يده: ما هذا الذي معك؟ قال: سم ساعة. قال ما تصنع به؟ قال: أتيتك، فإن كان عندك ما يسرني ويوافق أهل بلدي قبلته وحمدت الله تعالى، وإن تكن الأخرى، لم أكن أول من ساق إلى بلده ذلا وبلاء[3]. فآكل من هذا السم فأستريح من هذه الدنيا، فإنه لم يبق من عمري إلا اليسير فقال له: هات، ولك الأمان، فأعطاه له، فأخذه ووضعه في راحته ثم قال: بسم الله وبالله، بسم الله رب الأرض والسماء، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم، ثم ابتلعه فتجللته غشية، فضرب بذقنه على صدره ثم سري عنه فأفاق كأنما نشط من عقال:

---

(1) المكتل: الزنبيل الذي يحمل فيه التمر والعنب. اللسان: كتل.

(2) زيادة من: ب، ج، هـ.

(3) د: الأوبلا.

فانصرف عبد المسيح إلى قومه فقال: يا قوم ! جئتكم من عند شيطان الإنس، أكل سم ساعة، فلم يضره، صالحوه وأخرجوه عنكم فالقوم ملكهم مقبل وملك ساسان مدبر، وسيكون لهذه الملة شأن [فيغشى الأرض][1] ثم يمتد فيها. قال: فصالحوا خالدا رضي الله عنه على مائة ألف درهم، فرحل خالد[2] عنهم وأنشد عبد المسيح يقول:/ [89/د][96/ج]

[الوافر]

أبعد المنذرين أرى سواما ... يروح بالخورنق والسدير[3]

تحاماه الفوارس من معد ... مخافة ضيغم عالي الزئير

فصرنا بعد ملك أبي قبيس ... كمثل الشاة في يوم مطير[4]

تقاسمنا القبائل من معد ... مقاسمة كأشلاء[5] الجزور/ [84/ب]

نؤدي الخرج مثل خراج كسرى ... وخرج بني قريضة والنضير[6]

كذلك الدهر دولته سجال ... فيوم من بكاء أوسرور[7]

حُكي لما فتحت مصر، في خلافة/ عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، على يد [73/هـ] عمرو بن العاص،/ أتى أهلها إليه وقالوا: أيها الأمير ! إن لنيلنا هذا سُنَّة لا يجري [63/أ]

---

(1) ما بين معقوفين ساقط من: د.

(2) أ، ب، ج، هـ: خالدا.

(3) السوام: طائر. اللسان: سوم. السدير: بناء، وهي كلمة فارسية معربة، ويقال قصر، انظر اللسان: سدر. الخورنق: بناء النعمان الأكبر. انظر اللسان: خرنق.

(4) أي أبو قابوس، النعمان.

(5) أشلاء: مفردها شلو وهو الجلد والجسد من كل شيء وكل مسلوخة أكل منها شيء فبقيتها شلو، وشلا. اللسان: شلا.

(6) بنو قريضة والنضير: حيان من يهود خيبر كانوا بالمدينة.

(7) الأبيات وردت في مروج الذهب 1/ 118، 119، وكتاب المعمرين برواية بيت زائد وهو:

وبعد فوارس النعمان أرعى ... رياضا بين مرة والحفير

والحكاية وردت في المرجعين السابقين مع اختلاف في الرواية. وورد شيء منها في تاريخ الخميس 2/ 221. وكذا في حياة الحيوان 1/ 277.

إلا بها. فقال لهم: ما ذاك؟ قالوا: إذا كانت اثنتا عشر ليلة خلت من شهر يونيو عمدنا إلى جارية بكر فأرضينا أهلها وحملناها إلى النيل، وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في النيل. فقال لهم عمرو رضي الله عنه: هذا لا يكون في الإسلام، وإن الإسلام يهدمه. فأقاموا ثلاثة أشهر لا يجري النيل فيها، حتى هموا بالجلاء عنه. فلما رأى ذلك عمرو، كتب إلى عمر بن الخطاب[1]، رضي الله عنه، يعلمه بذلك. فكتب عمر، رضي الله عنه، [إلى عمرو][2] بطاقة وأمره أن يلقيها في النيل، فأخذها فإذا فيها: من عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب[3] إلى نيل مصر، أما بعد: فإن كنت لا[4] تجري إلا من قبل نفسك فلا حاجة لنا فيك، وإن كنت تجري بأمر الله تعالى فاجر على اسم الله تعالى، فألقى البطاقة في النيل فأصبحوا وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة. وقطع الله تعالى تلك السنة السيئة[5]. قلت: وكان بمصر مثل هذه البدعة واستمرت إلى سنة أربع وخمسين وسبعمائة وهي أن النصارى كان عندهم صندوق فيه بعض من هلك من عبادهم يسمونه الشهيد، وكانوا في كل سنة يلقونه في البحر عند سرى، وهي قرية على شاطئ النيل بالقرب من القاهرة في ثامن شنس[6] من أشهر القبط، ويزعمون أن النيل لا يجري إلا بإلقائه فيه، وكان يحصل بسببه من ركوب الناس في البحر من الفساد ما لا يعبر عنه، فألهم الله تعالى من أجرى الخير على يده، وهو رأس

(1) ساقطة من: ب، ج، د، هـ.

(2) زيادة من: ب، ج، هـ.

(3) ساقطة من: ج، هـ.

(4) ساقطة من: د. وفي ب، ج: ما تجري.

(5) الحكاية وردت في الرياض النضرة في مناقب العشرة 2/ 327. وشرح المقامات للشريشي 2/ 69 والكردان: 362 وتاريخ الخميس 2/ 242 مع اختلاف الرواية.

(6) شنس: اسم أعجمي. اللسان: شنس.

نوبة الملك الناصر[1] فأخذ الصندوق وأحرقه وذلك في التاريخ المذكور، فاتفق أن النيل زاد تلك السنة زيادة لم يعهد مثلها قط في دولة الإسلام، واستمر على ذلك يجري على عادته في السنين الماضية، وبطلت هذه السنة السيئة والله أعلم[2].

حكى مالك، رضي الله عنه، قال: بلغني أن أبا بكر، رضي الله عنه، لما ولي/ [97/ج] أمر الناس لم ينفق من بيت المال شيئا، وغدا يبيع جمالا له، فلقيه بعض المسلمين فقال له: هذا يشغلك عن الناس وعن النظر في أمورهم وتنفق من هذا المال، فباع تلك الجمال وغيرها من ماله ثم طرحه في بيت المال. قال: ولما/ [90/د] توفي أبو بكر، رضي الله عنه، استرجع علي، رضي الله عنه، وجاء مسرعا باكيا، وقال: رحمك الله يا أبا بكر، كنت والله أول القوم إسلاما، وأكملهم إيمانا، وأشدهم يقينا وأخوفهم لله تعالى، وأحوطهم على رسول الله ﷺ، وأشبههم به خلقا وهديا وسمتا وفضلا، وأكرمهم عليه وأرفعهم/ [85/ب] عنده[3]، فجزاك الله عن الإسلام خيرا، صدقت رسول الله ﷺ حين كذبه الناس فسماك الله تعالى في كتابه العزيز صديقا، فقال تعالى: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾[4]. وآنسته حين تخلفوا عنه، وقمت معه حين قعدوا، وصحبته في الشدة حين تفرقوا، أكرم الصحب في اثنين، وصاحبه في الغار ورفيقه في الهجرة، والمنزل عليه السكينة وخليفته في أمته أحسن الخلافة، فقويت حين ضعف أصحابك وبرزت حين استكانوا، وقمت حين فشلوا، ومضيت[5] بقوة إذ وقفوا، كنت أطولهم صمتا وأبلغهم قولا/ [74/هـ] وأشجعهم

---

(1) هو الملك حسن (الناصر بن محمد (الناصر) بن قلاوون، أبو المحان، توفي عام 762 هـ انظر البداية والنهاية 14/ 224.

(2) القول لم أقف عليه.

(3) د: عندك.

(4) الزمر: 33.

(5) د: قضيت. أ: حضيت.

فعلا وقلبا وأحسنهم عملا، كنت كما قال رسول الله[1] ﷺ ضعيفا في بدنك قويا في دينك متواضعا في نفسك عظيما محبوبا إلى أهل السماوات والأرض، فجزاك الله عنا وعن الإسلام خيرا[2].

حُكي أن زياد بن أبيه[3] كان ممن استطال فجوره[4] وعسفه لما ولي العراقين، الكوفة والبصرة،/ فلما ذل له من فيهما كبرت نفسه عليه واستقلهما لها، فكتب [64/أ] إلى معاوية: إني قد ضبطت لك العراقين بيميني وبقيت شمالي فارغة، فأضاف له معاوية الحجاز، واتصلت ولايته بالمدينة المشرفة فاجتمع أهل المدينة إلى مسجد رسول الله ﷺ، ولاذوا بقبره الشريف يسألون الإقالة منه، ورفع عبد الله بن عمر، رضي الله عنه يديه وقال: اللهم اكفنا شمال زياد كما كفيتنا يمينه، فطعن فيها، فشاور القاضي شريح في قطعها فقال له القاضي شريح[5]: رزق مقسوم وأجل معلوم، وإني أكره إن كانت مدة أن تعيش مقطوع اليد، وإن اقترب أجلك فتلقى الله تعالى مقطوع اليد، فإذا سألك: لم قطعتها؟ فتقول: بغضا في لقائك وفرارا من قضائك فتركها، فلما خرج من عنده لامه الناس. فقال: إنه استشارني والمستشار مؤتمن، ولولا أمانة المشورة، لوددت أنه قطع يده يوما ورجله يوما وسائر أعضائه يوما. وزاره/ شريح بعد ذلك فلما خرج من عنده قال له مسروق[6]: كيف تركت [98/ج] الأمير؟ قال: تركته يأمر بالوصية وينهى عن البكاء عليه ووفاته كانت في سنة

---

(1) ساقطة من: ب.

(2) ثناء علي على أبي بكر ورد في الرياض النضرة 1/ 262.

(3) سبق ذكره.

(4) د: بجدره.

(5) شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، ولي قضاء الكوفة وتوفي حوالي: 78هـ انظر حلية الأولياء 4/ 132 والوفيات 2/ 460، وشذرات الذهب 1/ 85.

(6) مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني، أبو عائشة، تابعي، توفي حوالي: 63هـ انظر تهذيب التهذيب 10/ 109 والإصابة 3/ 492.

ثلاث وخمسين في شهر رمضان، ومولده عام الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام[1].

حكى لي بعض أهل الخبر أنه سمع بمجلس شيخ الإسلام والمسلمين قاضي القضاة بالديار المصرية أفندي المناوي[2] فسح الله تعالى في مدته أن رجلا صوفيا كان بخلوة بمدرسة تحت نظر الأمير قرقماس الأتابكي، بالدولة الظاهرية، أبي سعيد جقمق[3]، وكان له جماعة يسلكهم الطريق، وكان من/ عادتهم إذا جلسوا [91/د] بين يديه لا يتكلمون إلا جوابا، فإذا كلمهم أجابوا وإلا استمروا صموتا، فاتفق أن شخصا من جماعة الشريف حصلت له ضرورة فجاء إلى الشريف فشكا مظلمة نالته بسبب قرقماس من المشار إليه/ وسأله رسالته إليه في ذلك فأرسل [86/ب] إليه بكلمات أغلظ عليه فيها فغضب فأرسل إليه من أخرجه من خلوته، فجاء جماعته على عادتهم صموتا، فجاء رجل وبيده ولد صغير فقبل يد الشريف وقال: يا سيدي ! اسمع ما يقول هذا الولد، فسأله، فقال الولد: رأيت في منامي رب العزة تعالى وقال لي: اذهب إلى الشريف وسلم عليه مني[4] وبلغه عني ثم أنشد:

[الرمل]

يا بني الزهراء! والنور الذي ظن موسى أنه نار القبس
لا أوالي الدهر من عاداكم إنه آخر سطر من عبس[5]

(1) الحكاية وردت في الطبري 6/ 162 مع اختلاف قليل في الرواية.

(2) هو يحيى بن محمد بن محمد أبوزكريا المناوي، فقيه شافعي ولي قضاء الديار المصرية توفي عام 871هـ. انظر الضوء اللامع 10/ 254 وشذرات الذهب 7/ 312.

(3) جقمق الظاهري أبوسعيد من ملوك الشراكسة (ت 857هـ). انظر الضوء اللامع 3/ 71. والشذرات 7/ 291.

(4) ب: مني عليه.

(5) البيتان لم أقف عليهما فيما رجعت له من كتب الأدب والشعر.

يشير إلى قوله تعالى: ﴿أولئك هم الكفرة الفجرة﴾[1]. قال: فتواجد الناس ثم اتفق ركوب قرقماس المذكور على الملك الظاهر وحرق باب مدرسة السلطان حسن، المقابلة للقلعة، فقبض عليه السلطان وحبسه بثغر الأسكندرية وثبت عليه ما أفتى العلماء بكفره فيه، فضرب عنقه. قال: وطولعت[2] عدة كثيرة من دواوين الشعراء وكلام الأقدمين فلم يعرف لهذين البيتين قائل. وذلك مما يشهد لصدقه.

حُكي أن بعض الأولياء زار الحجرة المشرفة، على الحال بها أفضل الصلاة والسلام، فجلس عند القبر الشريف وأنشد يقول:/ [75/هـ]

[البسيط]

الروح في كل عام كنت أرسلها ... تقبل الأرض عني فهي نائبتي
هذه نوبة الأشباح قد حضرت ... فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فخرجت له اليد الشريفة من القبر وقبلها.

[99/ج] حكى المؤلف رحمه/ الله قال: ومن غريب ما سمعته أن وليين من الأولياء كانا يعبدان الله تعالى فمرض أحدهما فعاده[3] الثاني[4] فنظر العائد[5] في اللوح/ [65/أ] المحفوظ أن المريض شقي. فقال له[6]: فقال: نعم. ثم قال: والله، لي نحو أربعين سنة أرى ما رأيت ومع ذلك ما قصرت في عبادته طرفة عين، أنا ما أعبده ليدخلني الجنة ولا ليبعدني من النار، إنما أعبده لكونه أهلا للعبادة، ثم نظر فإذا قد بدل

(1) عبس: 42.
(2) أ، ج، هـ: طالعت.
(3) أ: قعوده.
(4) ساقطة من: ج.
(5) أ: العابد.
(6) هناك خلخلة في السياق والمعنى، مما يؤكد نقص بعض الكلمات لإتمام المعنى.

شقي بسعيد[1].

حكى ابن خلكان في تاريخه أن الجنيد[2] رحمه الله قال: ما انتفعت بشيء كانتفاعي بأبيات سمعتها. قيل له: وما هي؟ قال: مررت بدرب القراطيس[3] فسمعت جارية تغني وتقول هذا الشعر وهو:

[الطويل]

إذا قلت: أهدى الهجر لي حلل الضنا	تقولين: لولا الهجر لم يطب الحب
وإن قلت: ما أذنبت قالت مجيبة:	وجورك[4] ذنب لا يقاس به ذنب[5]

قال: فصعقت وصحت فبينما أنا كذلك، إذا بصاحب الدار قد خرج فقال: ما هذا ياسيدي؟ فقلت له: مما/ سمعت. قال: إنها هبة لك مني. فقلت له: قد قبلت، وهي حرة لوجه الله تعالى، ثم دفعتها لبعض أصحابنا بالرباط[6] فولدت له ابنا نبيلا حج على قدميه ثلاثين حجة[7]. [99/د]

حكي عن علي بن حمزة الكسائي[8] قال: استحضرني الرشيد ذات ليلة، فلما دخلت عليه رفعني وأدناني منه، وإذا المجلس فيه جمع كثير، ومحمد بن الحسن

---

(1) الحكاية لم أقف عليها.

(2) الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي، أبو القاسم، من العلماء بالدين توفي حوالي: 297هـ. انظر حلية الأولياء 10/ 255، وتاريخ بغداد 7/ 241، والوفيات 1/ 373.

(3) لم أقف عليه.

(4) د: وجودك.

(5) البيتان وردا في الوفيات 1/ 374 ولهما ثالث يتوسطهما وهو:

وإن قلت: هذا القلب أحرقه الهوى   تقولي: بنيران الهوى شرف القلب

(6) لا أدري أي رباط يقصد المؤلف

(7) الحكاية في الوفيات 1/ 374.

(8) علي بن حمزة بن عبد الله، أبو الحسن الكسائي، إمام اللغة والنحو توفي حوالي: 189هـ انظر تاريخ بغداد 11/403، والوفيات 3/ 295.

[٨٧/ب] صاحب[1] الإمام أبي حنيفة، فلما سكن روعي قال:/ أتدري لم أرسلت خلفك يا أبا الحسن؟ فقلت: لا، جعلني الله فداءك. قال: إني أحضرتك لأمر سرني فأحببت أن أسرك به، فقلت له: سرك الله في جميع أمورك ووقاك كل محذور. فقال: إني رأيت البارحة فيما يرى النائم، سيدي وابن عمي رسول الله ﷺ كأنه دخل علي البيت الذي كنت فيه، فلما بصرت به وقعت علي الرعدة واعتراني البكاء وسقطت على وجهي، فجاء ﷺ، حتى وقف علي وقال: ارفع رأسك يا هارون وأبشر، فإن الله تعالى قد شكر لك خوفك منه، والتجاءك إليه، فغفر لك ورحمك فلا خوف عليك، وأن الله تعالى قد جعل الخلافة في ذرية ولدك محمد إلى أن تقوم الساعة، فرفعت رأسي، وأقبلت أحمد الله وأثني عليه، وإذا بمحمد بن إدريس الشافعي يده في يد رسول الله ﷺ، فكأني قد غبطته بمكانه من رسول الله، ﷺ. فقال لي رسول الله ﷺ: يا هارون ! أفتعرف هذا؟ قلت: نعم يا رسول الله، بأبي أنت وأمي[2]، هذا الشافعي المطلبي، هذا سيد المسلمين الفقيه الورع. أفهمت يا هارون؟ فقلت: نعم [١٠٠/ج] يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: استوصي به/ خيرا، فإنه على الحق مع سنتي، وإن الله سينفع به بشرا كثيرا، ثم أقبل عليه رسول الله ﷺ، وقال له: ادع لهارون هذا بالصلاح والإصلاح والموافقة[3]، فدعا لي، فانتبهت وأنا[4] مسرور بذلك، فما تقول أنت في الشافعي؟ قال: فقلت: إني لأدين الله تعالى بحب محمد بن إدريس الشافعي وآخذ في كثير من أقوالي بقوله. فقال: سررتني بعلم الله، ثم أخذ الناس الحاضرون في الدعاء له، فقال الرشيد: لقد هممت أن أكتب له بذلك وآمر له بمال جزيل قال الكسائي: ثم انصرفت وأنا مسرور بذلك.

---

(1) هو محمد بن الحسن بن فرقد، أبو عبد الله، الشيباني، توفي سنة 189هـ انظر الوفيات 4/ 184 والبداية والنهاية 10/ 202 والنجوم الزاهرة 2/ 130.

(2) هكذا في جميع النسخ وأظن أن فعل قال: بعد كلمة «وأمي» ينقص السياق.

(3) أ: المراقبة.

(4) أ: وإني.

قلت: وأنشد ابن خلكان في أبي منصور محمد بن أسعد بن القاسم[1] لبعضهم/ [76/هـ] فيه:

[الخفيف]

مثل الشافعي في العلماء　　مثل الشمس في نجوم السماء
قل لمن قاسه بغير نظير　　هل يقاس الضياء بالظلماء[2]؟

حكى أبو العباس المبرد أن بعض أهل الذمة سأل أبا عثمان المازني[3] في قراءة كتاب سيبويه عليه وبذل له مائة دينار في تدرسه إياه. قال: فأبى وامتنع من ذلك. قال: فقلت له: جعلت فداءك، أترد هذه النفقة مع ما فيك من الضيق والاحتياج إليها. قال المبرد: فقال أبو عثمان: هذا الكتاب مشتمل/ على ثلاثمائة وكذا وكذا [66/أ] آية من كتاب الله تعالى، ولست أرى أن أمكن منها ذميا غيرة على/ كتاب الله تعالى [93/د] وحمية له. قال: فاتفق أن غنت جارية بحضرة الواثق من شعر العرجي[4] تقول:

[الكامل]

أظلوم إن مصابكم رجلا　　أهدى السلام تحية ظلم[5]

قال: فاختلف الحاضرون في إعرابه، فمنهم من نصبه وجعله اسم إن، ومنهم من رفعه على أنه خبرها/ والجارية مصرة على أن شيخها أبا عثمان لقنها إياه [88/ب]

---

(1) محمد بن أسعد بن محمد بن الحسين، أبو منصور المعروف بحفدة..كان فقيها فاضلا، توفي سنة 571هـ. ترجمته في الوفيات 4/ 238. طبقات السبكي 4/ 65. الشذرات 4/ 240.

(2) البيتان وهما من أمالي أبي منصور السابق. وردا في الوفيات 4/ 238. والقول ورد كذلك في المرجع نفسه.

(3) بكر بن محمد بن حبيب بن بقية، أبوعثمان المازني أحد أئمة النحو توفي حوالي: 249هـ. معجم الأدباء: 107. الوفيات 1/ 283.

(4) عبد الله بن عمر بن عمروبن عثمان بن عفان، أبو عمر شاعر الغزل المطبوع توفي حوالي 120هـ. الأغاني 1/ 283. خزانة البغدادي 1/ 47.

(5) البيت ورد في شرح الشريشي 2/ 15 ودرة الغواص: 96 / 97. وشرح النهج 4/ 329 ووفيات الأعيان 1/ 284 وروضة المحبين: 456 و457. وتاريخ الخميس 2/ 337.

بالنصب قال: فأمر الواثق بإشخاصه[1] قال أبوعثمان: فلما مثلت بين يديه قال: ممن الرجل؟ قلت[2] من مازن. قال أي[3] الموازن؟ قلت: من مازن ربيعة، فكلمني بكلام قومي، وقال لي: باسمك؟ لانهم يقلبون الميم باء والباء ميما إذا كانت في أول الأسماء. قال: فكرهت أن أجيبه على لغة قومي ليلا أواجهه بالمكر، فقلت: بكر يا أمير المؤمنين قال: فتفطن لما قصدته وأعجبه ذلك مني ثم قال: ما تقول في قول الشاعر:

أظلوم إن مصابكم رجلا ... أهدى السلام تحية ظلم

أترفع رجلا أو تنصبه؟ فقلت: الوجه النصب، فقال: ولم ذلك؟ فقلت: إن مصابكم مصدر بمعنى إصابتكم[4] فأخذ اليزيدي[5] في معارضتي، فقلت: هو بمنزلة قوله: إن ضربك زيدا ظلم، فالرجل مفعول مصابكم منصوب به، والدليل عليه أن الكلام معلق إلى أن تقول: ظلم فيتم/ قال: فاستحسنه الواثق [١٠١/ج] وأمر لي بألف دينار، قال المبرد: فلما عاد أبو عثمان المازني إلى البصرة قال لي: رددنا مائة دينار لله فعوضنا الله تعالى ألفا[6]

حكى المؤلف رحمه الله تعالى قال: رأيت في بعض المجاميع أن خليفة من خلفاء بني العباس[7] أكرم بني طالب وقرب منهم رجلا، وكان عنده بمكان، فسعى به

(1) أ: اشخاصه.

(2) أ: قال.

(3) أ: أبي.

(4) ب: أصابكم.

(5) هو إبراهيم بن يحيى بن المبارك، أبو إسحاق اليزيدي، أديب وشاعر، توفي حوالي 225هـ. انظر أنباه الرواة 1/ 220 ونزهة الألبا: 148.

(6) الحكاية وردت في الكامل، درة الغواص 96-97، شرح نهج البلاغة 4/ 329، الوفيات: 1/ 84.، روضة المحبين 456-457.

(7) هو المتوكل العباسي و صاحبه هو أبو الحسن العسكري أحد الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. انظر الوفيات: 3/ 272.

إليه رجل آخر، وقال له: إن في داره كتبا وأنصارا يزعمون أن الخلافة له دونك، فأمر أن يهجم على بيته ليلا على حين غفلة، وأن يؤتى به على الحالة التي هو عليها فأتوه فوجدوه في بيت مظلم وعليه ثياب من الشعر وهو ساجد على الأرض من غير حائل قال: فأتوه به كذلك، وقالوا: لم نجد عنده شيئا مما نسب إليه، فلما رآه كذلك رق له وبكى وقال له: أنشدني شيئا من الشعر، فقال: إني قليل الرواية له، فقال له: لابد، فأنشده هذه الأبيات، ويحكى أنها وجدت مكتوبة على قبر سيف ذي يزن وهي:

[البسيط]

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا من أعالي عز معقلهم ... فأسكنوا حفرا يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ[1] من بعد ما دفنوا ... أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة ... من دونها تضرب الأستار والكلل[2]/ [77/هـ]
فأفصح القبر عنهم عند سائلهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طال ما أكلوا دهرا وما شربوا ... فأصبحوا بعد ذاك الأكل قد أكلوا[3]/ [94/د]

حُكي عن ظبية[4] بن محصن[5] قال: كان علينا أبو موسى الأشعري أميرا بالبصرة، فكان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسول الله ﷺ، وأنشأ يدعو لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فغاظني ذلك منه، فقمت إليه وقلت: أين

(1) د: صرح.
(2) الكلل: الصوامع والقباب التي تبنى على القبور. اللسان: كلل.
(3) الأبيات وردت ضمن نفس الحكاية في الوفيات: 3/ 272، مع اختلاف قليل بين الروايتين، والمستطرف 2/ 467.
(4) أ: ظبة.
(5) هو ظبية بن محصن العنزي البصري تابعي مشهور. راجع الإصابة 2/ 215.

أنت من صاحبه تفضله عليه؟ فصنع ذلك جمعا ثم كتب[1] إلى عمر بن الخطاب
[89/ب] يشكوني إليه يقول: إن ظبية بن محصن يتعرض لي في خطبتي فكتب إليه/ عمر أنِ اشخصه إلي، قال[2]: فأشخصني، فقدمت المدينة وطرقت الباب، فخرج إلى عمر وقال: من أنت؟ فقلت: ظبية بن محصن فقال: لا مرحبا بك، ولا أهلا، فقلت: أما المرحب فمن الله، وأما الأهل فلا أهل ولا مال. بماذا يا عمر استحللت إشخاصي
[67/أ] بلا ذنب أذنبته؟ فقال: ما الذي شجر بينك وبين/ عاملي؟ قلت: الآن أخبرك، إنه إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ، وأنشأ يدعولك، فغاظني ذلك منه، فقمت إليه وقلت له: أين أنت من صاحبه، تفضله عليه؟ فصنع ذلك جمعا
[102/ج] ثم كتب إليك يشكوني. قال: فاندفع عمر/ رضي الله عنه، باكيا، وهو يقول: أنت والله أوفى منه وأرشد، فهل أنت غافر لي ذنبي يغفر الله لك؟ فقلت: غفر الله لك يا أمير المومنين، ثم اندفع باكيا وهو يقول: لليلة أبي بكر ويومه أفضل من عمر وآل عمر، فهل لك أن أحدثك بليلته ويومه؟ فقلت: نعم. قال: أما الليلة فإن رسول الله ﷺ لما أراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلا فتبعه أبو بكر فجعل يمشي مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن شماله فقال له رسول الله ﷺ: «ما هذا يا أبا بكر، ما أعرف هذا من أفعالك»؟ فقال: يا رسول الله ! أذكر الرصد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون خلفك، ومرة عن يمينك ومرة عن شمالك لا آمن عليك. قال: فمشى رسول الله ﷺ ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت، فلما رأى أبو بكر ذلك حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى أتى فم الغار فأنزله ثم قال: والذي بعثك بالحق نبيئا لا تدخل أنت حتى أدخله، فإن كان فيه شيء نزل بي قبلك، قال: فدخل فلم ير فيه شيئا، فحمله فأدخله وكان في الغار

(1) هـ: ركب.

(2) ساقطة من: ب، د.

خرق فيه حيات وأفاعي فألقمه[1] أبو بكر [قدمه][2] مخافة أن يخرج منه شيء إلى النبي ﷺ فيؤذيه فخرجت منه حية فلدغته، وجعلت دموع أبي بكر تنحدر[3] على خديه من ألم ما يجد وهو صابر مخافة أن يغيظ رسول الله ﷺ فقال له رسول الله، ﷺ: لا تحزن إن الله معنا، فأنزل الله سكينته[4]، أي[5] الطمأنينة لأبي بكر، فهذه ليلته، وأما يومه: فلما توفي رسول الله ﷺ ارتدت العرب فقال بعضهم: نصلي ولا نزكي، فأتيته لأنصحه، فقلت: يا خليفة رسول الله ﷺ ! ألف الناس وارفق بهم، فقال: أجبار في الجاهلية خوان في الإسلام؟ فبماذا تألفهم، قبض رسول/ الله [95/د] ﷺ، وامتنع الوحي، فوالله لو منعوني عقالا كانوا يعطونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، وكان رأيه رشيدا، فهذا يومه. ثم كتب إلى أبي موسى الأشعري يلومه على ذلك، فرضي الله تعالى عنهم أجمعين.

حكى الغزالي في الإحياء قال: كان أويس القرني[6] يظن أهله أنه مجنون لشدة تضيقه على نفسه، وكان له بيت بين أهله، وكان يقيم السنة والسنتين لا يرى له أهله وجها، وكان يلقط النوى/ ويشتري به ما يقوته وكان لباسه من الخرق [78/هـ] التي يلتقطها من المزابل، فيلتقط قطع الأكسية/ فيغسلها في الفرات ويلفق بعضها [90/ب] إلى بعض فيلبسها، فكان ذلك لباسه، وربما مر به الصبيان فيرجمونه ويظنون أنه مجنون. ولهذا عظم رسول الله، صلى الله عليه/ وسلم، أمره فقال: «إني أجد نفس [103/ج]

(1) ألقمه قدمه: أي جعل قدمه للخرق كاللقمة للقم: اللسان: لقم.

(2) أ، ب، د، هـ: فمه.

(3) ب، ج، د: تتحدر.

(4) ج: سكينة.

(5) ساقطة من: ب، ج.

(6) أويس بن عامر بن جزى بن مالك القرني، أحد النساك العباد من التابعين توفي حوالي 37هـ انظر حلية الأولياء: 79، يزان الإعتدال 1/ 278، لسان الميزان 1/ 471.

الرحمان جانب اليمن»[1] إشارة إليه، قال رسول الله ﷺ لعمر وعلي رضي الله عنهما: «إن لقيتماه فاسألاه يستغفر لكما»، فيه بياض يُرى منه إلا قدر الدرهم. فلما توفي رسول الله ﷺ، ثم أبو بكر، رضي الله عنه، ثم آل الأمر إلى عمر رضي الله عنه، وقف الموقف الأعظم ثم قال: أيها الناس! من كان منكم من العراق فيقم، فقاموا، فقال: اجلسوا إلا من كان منكم من أهل الكوفة، فقال: اجلسوا إلا من كان من مراد[2]، فقال: اجلسوا إلا من كان من قرن[3]. فجلسوا كلهم إلا رجلا واحدا. فقال له عمر: أقرني أنت؟ قال: نعم. قال: أتعرف أويس بن عامر؟ قال نعم، فوالله ما بيننا أحق منه ولا أجن ولا أحوج، فبكى عمر، رضي الله عنه، ثم قال: ما أقول إلا ما سمعته من رسول الله ﷺ، قال: «يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر»[4].

[68/أ] قال هرم بن حيان: [5]/ فلما سمعت هذا القول من عمر رضي الله عنه قدمت الكوفة فلم يكن لي هم[6] إلا طلب أويس القرني، وأسأل عنه حتى سقطت عليه جالسا على جانب الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه، قال: فعرفته بالنعت الذي نعت لي، فإذا رجل شديد الأدمة[7] محلوق الرأس، كث[8] اللحية، متغير اللون، أشعث[9]، مهيب المنظر، قال: فسلمت عليه فرد علي السلام، فقلت:

(1) الحديث ورد في الأسماء والصفات للبيهقي: 463.

(2) قبيلة من قبائل اليمن تقع مساكنها إلى الغرب الجنوبي من مأرب. راجع معجم القبائل لكحالة 3/ 1065.

(3) بطن من مراد من القحطانية، وهم بنو قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد. المرجع السابق 3/ 946.

(4) انظر الحكاية في إحياء علوم الدين 3/ 222.

(5) هو هرم بن حيان العبدي الأسدي، قائد فاتح من النساك، توفي حوالي 26هـ. انظر طبقات بن سعد 7/ 95 وأسد الغابة 5/ 57، والإصابة 3/ 601.

(6) أ: وهم.

(7) الأدمة: شربة من سواد وهي السمرة الشديدة. اللسان: آدم.

(8) أ: كثب، د: كثف.

(9) د: أشعب.

حياك الله من يكون الرجل؟ ومددت يدي أصافحه فأبى أن يصافحني فقلت: يرحمك الله يا أويس، وغفر لك، ثم خنقتني العبرة من حبي إياه ورقتي عليه لما رأيت من حاله ما رأيت، حتى بكيت فبكى ثم قال: وأنت فحياك الله يا هرم بن حيان، كيف أنت يا أخي؟ ومن دَلَّك علي؟ فقلت: الله، قال: لا إله إلا الله ﴿سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا﴾[1] قال: فتعجبت حين عرفني، ولا والله ما عرفته ولا رأيته قبل ذلك ولا رآني، فقلت له: ومن أنت، عرفت اسمي واسم أبي وما رأيتني؟ هل دَلك أحد قبل ذلك؟ قال: نبأني العليم الخبير، إن المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا ويتحابون بنور الله ويتعارفون وإن نأت بهم الدار، وتغربت بهم المنازل. قال: فقلت: حدثني عن الرسول ﷺ حديثا ما سمعته منه. قال: إني لم أدرك رسول الله ﷺ/ ولكني رأيت رجالا قد صحبوه، وبلغني من حديثه نحو ما بلغك، ولست أحب أن أفتح علي هذا، أن أكون محدثا أو مفتيا أو قاضيا، في نفسي شغل عن الناس. قلت: يا أخي! اقرأ علي آية من القرآن أسمعها منك وادع لي وأوصيني بوصية أسمعها منك، فإني أحبك في الله حبا شديدا، فقام وأخذ بيدي ومشى على الفرات ثم قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم بكى،/ ثم قال: قال ربي والحق قول ربي وأصدق الحديث حديثه وأصدق الكلام كلامه: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾[2] و﴿ما خلقناهما/إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾[3] إلى قوله تعالى: ﴿إنه هو العزيز الرحيم﴾[4] فشهق شهقة غشي عليه. ثم قال: يا هرم! مات أبوك حيان ويوشك أن تموت، فإما إلى جنة وإما إلى نار، ومات أبوك آدم وماتت أمك حواء، ومات نوح، ومات إبراهيم خليل الرحمان،

[96/د]
[104/ج]
[91/ب]

---

(1) الإسراء: 108.

(2) الأنبياء: 16.

(3) الدخان: 39.

(4) الدخان: 42.

ومات موسى كليم الرحمان، ومات داوود خليفة الرحمان، ومات محمد ﷺ حبيب الرحمان، ومات أبو بكر، رضي الله عنه، خليفة رسول الله ﷺ، ومات عمر بن الخطاب أخي وصفيي، ثم قال: يا عمر! يا عمر! آه ! فقلت: يرحمك الله، إن عمر لم يمت/ فقال: نعاه إلي ربي في هذه الساعة، ثم قال: وأنا وأنت من الموتى، ثم صلى على النبي ﷺ، ثم دعا بدعوات خفيات[1] ثم قال: هذه وصيتي إليك يا هرم بن حيان[2] بكتاب الله تعالى والمؤمنين والصالحين، وقد نعيت لك نفسي ونفسك، عليك بذكر الموتى لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت، وأنذر قومك إذا رجعت إليهم، وانصح الأمة جميعا. وإياك أن تفارق الجماعة قيد شبر، فتفارق دينك وأنت لا تعلم، فتدخل النار يوم القيامة. ادع لي ولنفسك، فقال: اللهم إن هذا يزعم أنه يحبني فيك وزارني من أجلك فعرفني وجهه في الجنة، وأدخله في دارك دار السلام، واحفظه ماكان في الدنيا حيث ما كان، وارضه من الدنيا باليسير، وما أعطيته له في الدنيا فيسره له تيسيرا، واجعله، لما أعطيته من نعمائك، من الشاكرين، واجزه عنا خيرا، ثم قال: استودعك الله يا هرم بن حيان، والسلام ورحمة الله وبركاته لا أراك بعد اليوم، رحمك الله، لا تطلبني فإني أكره الشهرة، والوحدة أحب إلي، إني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس فلا تسأل عني، ولا تطلبني، وأعلم أنك مني ببال، وإن لم أرك وترني[3] فادع[4] لي فإني سأذكرك/ وأدعولك إن شاء الله تعالى انطلق أنت من هنا حتى أنطلق أنا من ها هنا، فحرصت أن أمشي معه ساعة، فأبى علي وفارقني وفارقته، وبكى وأبكاني، وجعلت أنظر إليه حتى دخل بعض السكك، ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت أحدا يخبرني عنه بشيء رحمه الله[5].

[79/هـ]

[69/أ]

(1) أ: خفيفات

(2) د: حبان.

(3) ساقطة من: ج، د: تردني.

(4) هـ: وادع.

(5) قول هرم بن حيان ورد في حلية الأولياء 2/ 84-86.

حكى المحب الطبري المكي[1] قال: روينا عن أبي بكر محمد بن عثمان الزبيري من ولد عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: حدثني رجل قال: كان لي مال على رجل من أهل السواد فأتيته/ أتقاضاه فجرى عنده ذكر أبي بكر وعمر رضي الله [105/ج] عنهما فسبهما سبا قبيحا، فرجعت مغتما لذلك،/ فنمت من الليل فرأيت النبي ﷺ، [97/د] فقال لي: كنت عند فلان وسمعته يسب أبا بكر وعمر؟ فقلت: نعم يا رسول الله، قال: فادعه. قال: فذهبت فدعوته فجاء، فقال لي رسول الله ﷺ: اضجعه، فاضجعته، فناولني ﷺ شفرة وقال: اذبحه، فذبحته، فاستيقضت فزعا والدم يجري على كفي، فلما أصبحت قلت: لأغدون فلأنظرن ما صنع، فانطلقت، فلما صرت بقرب مسكنه وسكة منزله، فإذا أنا بالصراخ فقلت: ما هذا؟ قالوا: طرقته الذبحة البارحة فمات.

[قال:][2] فأتيت ولده فقلت[3]/ لهم[4]: أنا والله ذبحت أباكم[5] بأمر رسول الله [92/ب] ﷺ، وحدثتهم الحديث فأخذوا علي العهود والمواثيق أن لا أسمي أباهم لأحد، ففعلت، فلا أستطيع أن أسميه. خرجه الحافظ أبو محمد عبد الرحمان بن علوان الأسدي في مشيخته رحمه الله.

حُكي عن أبي المحيا التيمي[6] قال: حدثني رجل أعرفه قال: خرجنا في سفر ومعنا رجل يشتم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما. قال: فنهيناه فلم ينته، فخرج

---

(1) أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري محب الدين أبو العباس، فقيه شافعي توفي عام 694هـ انظر النجوم الزاهرة 8/ 74 وشذرات الذهب 5/ 425.

(2) زيادة من: ب، ج، هـ.

(3) ج: وقلت.

(4) د: له.

(5) د: أباك.

(6) لم أقف له على ترجمة، ولعله أبو حيان التيمي الذي ذكره ابن سعد في طبقاته 6/ 342.

لبعض حاجته فاجتمع عليه الزنابير[1] فاستغاث فأغثناه، فحملت علينا الزنابير فتركناه فما أقلعت عنه حتى قطعته قطعا[2].

حُكي من حديث أبي الدنيا[3]، قال: حدثني مؤذن عكار[4] قال: خرجت أنا وعمي إلى ماوان[5] وكان معنا رجل يسب أبا بكر وعمر، رضي الله عنهما، وأماتنا على محبتهما ومحبة أصحاب رسول الله ﷺ، قال: فنهيناه فلم ينته، فقلنا له: اعتزلنا، فاعتزلنا. فلما دنا خروجنا ندمنا وقلنا: صحبنا حتى نرجع إلى الكوفة، فلقينا غلامه فقلنا له: قل لمولاك ارجع إلينا. قال: إن مولاي قد حدث له أمر عظيم، قد مسخت يداه يدا خنزير، فأتيناه وقلنا له: عد إلينا. قال: إنه قد حدث بي أمر عظيم،/ وأخرج ذراعيه فإذا هما ذراعا خنزير. قال: فصحبناه حتى انتهينا إلى قرية من قرى السواد، كثيرة الخنازير، فلما رآها صاح صيحة ووثب فمسخ خنزيرا وخفي علينا، فجئنا بمتاعه وغلامه إلى الكوفة[6]. [85/هـ]

حكى المحب الطبري[7]: قال: أخبرنا الشيخ داوود المبتوني[8] عن الشيخ عمر بن الرغيب[9] قال: كان بالمدينة المنورة فقير مجاور، يعنى نفسه، وإنما كان يورى ويستتر بذكر الفقير، فقدم عليه أصحاب له فقراء فقالوا: نحن على فاقة،

---

(1) الزنابير ضرب من الذباب اللساع. انظر اللسان: زنبر.

(2) الحكاية وردت في حياة الحيوان الكبرى 2/ 9.

(3) هو ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان، أبو بكر حافظ للحديث توفي عام 281هـ. انظر تذكرة الحفاظ: 2/ 224 وتهذيب التهذيب 16/ 12.

(4) لم أقف عليه ولعل الصواب: عكا.

(5) ماوان: قرية من أرض اليمامة، قيل هو وادي فيه الماء فغلب الماء فسمي بذلك ماوان. انظر معجم البلدان 5/ 45.

(6) الحكاية وردت في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للألكائي 7/ 1331.

(7) سبق ذكره.

(8) لعله المتبولي، ولم أعثر على داود له هذه النسبة.

(9) لم أقف عليه.

فاسأل لنا ما نقتات به، فاعتذر إليهم ولم يكن من عادته السؤال، فلم يعذروه لمكان ضرورتهم وحاجتهم، فأجابهم. قال: فخرج إلى/ البقيع وكان يوم عاشوراء [106/ج] فوجد جماعة من الشيعة بقبة العباس والحسن بن علي، رضي الله عنهما، يصنعون ما جرت به عادتهم في ذلك اليوم، فوقف عليهم وذكر لهم[1] شأن الفقراء ثم قال لهم: أسأل بحب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال له أحد الجماعة: اجلس، فجلس حتى قضوا وظيفتهم، ثم قال[2] الرجل الذي أمره بالجلوس: قم فاتبعني، فتبعه حتى وصل إلى دار كبيرة فأمره بالدخول فدخل، ثم رقى إلى علو الدار ثم أمره بالجلوس فجلس، ثم خرج فمكث غير بعيد، ثم رجع ومعه عبدان أسودان فأمرهما به فضرباه ضرب من يريد قتله، ثم قطعا لسانه،/ وأغلقا عليه الباب، وقد [75/أ] فترت أعضاؤه وغاب حسه حتى كان الليل فتحوا/ عنه وحملوه[3] ورموا به على [98/د] قارعة الطريق. قال: فوجد الفقير في نفسه بقية رمق فتوصل إلى المسجد ووقف على النبي ﷺ، وشكا إليه حاله وما جرى له، ثم أخذته سنة من النوم، فلما استيقظ وجد نفسه وقد زال عنه كل ما كان يجده من الألم، وعاد لسانه على حاله وقوته.

قال: فلما كان في العام القابل في مثل ذلك اليوم عرض[4] له بعض الفقراء فسألوه مثل ذلك السؤال، واعتذر إليهم فأبوا إلا سؤاله فأجابهم وخرج إلى البقيع إلى القبة المذكورة فوجد جمعا على مثل تلك الهيئة، فسأل بحب الشيخين رضي الله عنهما، كسؤاله الأول، قال: فقال له شاب: اجلس، فجلس حتى قضوا وظيفتهم، ثم قام/ ذلك الشاب فاستتبعه فوصل إلى تلك الدار بعينها فأمره بالدخول. قال: [93/ب] فتوقفت، ثم عزمت ودخلت معتمدا على الله تعالى، ودخل معي الدار، ثم رقى

---

(1) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(2) أ: قال.

(3) أ، ج، هـ: احتملوه.

(4) أ: عزبه.

إلى ذلك العلو بعينه وأمرني بالجلوس فجلست، ثم قدم لي طعاما وإذا بقرد قد خرج من خزانة. فقلت: ما شأن هذا القرد، قال: أوتكتم علينا خبره؟ قلت: نعم. قال: هذا أبونا اتفق له في العام الماضي كذا وكذا. قال: وقص عليه قصة الفقير بعينها، ثم قال: ولا نشك أنك ذلك الفقير، فإن من صفاته فيك ما يدل على أنك هو. قال: قلت: نعم، أنا هو، ثم ذكر ما كان من أمره. قال: ثم إنه بعد أن أخرج ذلك الفقير ورمي به جلس مع أمنا يتحدثان وإذا به زعق زعقة فصار كما ترى، فاحتفظنا به وأشعنا أنه مريض ثم أشعنا موته وعمدنا إلى جذع فكفناه وحملناه إلى المقابر ليلا فدفناه، وأما نحن فتبنا إلى الله تعالى ونحن على مذهبكم إن شاء الله تعالى.

حُكي أن أويس القرني[1] رحمه الله تعالى، كان يقتات من المزابل ويكتسب منها، فنبحته يوما كلبة على مزبلة فقال لها أويس: كلي ما يليك، وأنا آكل مما يليني، فإن جزت/ الصراط فأنا خير منك، وإلا فأنت خير مني، وكان أقاربه يستهزؤون به ويقولون: هو مجنون. وفي الحديث الشريف من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب من خلقه الأصفياء الأخفياء الشعثة[2] رؤوسهم، المغبرة وجوههم، الخميصة[3] بطونهم، الذين إذا استأذنوا/ على الأمراء لم يؤذن لهم، وإن خطبوا المنعمات[4] لم ينكحوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، وإن طلعوا لم يفرح بطلعتهم، وإن مرضوا لم يعادوا، وإن ماتوا لم يشهدوا، قالوا يا رسول الله! كيف لنا برجل منهم؟ قال: ذلك أويس القرني. قالوا: وما أويس؟ قال: أصهب ذو شهولة، بعيد ما بين المنكبين، معتدل القامة، أدم شديد الأدمة، ضارب بدقنه

[107/ج]

[81/هـ]

(1) سبق ذكره.

(2) هـ: المشعثة.

(3) أ، ج، هـ: الخمصة. الخميصة: الجائعة. اللسان: خمص.

(4) ب، ج، د، هـ: المتنعمات.

إلى صدره، رام ببصره إلى موضع سجوده، واضع يمينه على شماله يبكي على نفسه، ذو طمرين[1] متزر بإزار صوف ورداء صوف، مجهول في الأرض معروف في السماء، لو أقسم على الله لأبر قسمه، ألا وإن تحت منكبيه لمعة، وهو المنكب الأيمن، ألا وإنه إذا كان يوم القيامة قيل للناس: ادخلوا الجنة، وقيل لأويس: قف واشفع، فيُشفعه الله تعالى في مثل ربيعة ومضر. يا علي! ويا عمر! إذا لقيتماه فاطلبا له أن يستغفر لكما»[2] قال: فمكثا يطلبانه عشر سنين/ لا يقدران عليه، فلما كان [99/د] آخر السنة التي توفي فيها عمر، رضي الله عنه، قام على أعلا أبي قبيس[3] ونادى: يا أهل اليمن أفيكم أويس؟ فقال شيخ كبير اللحية: إنا لا ندري ما أويس. ولكن ابن أخ لي يقال له: أويس هو أخمل ذكرا وأقل مالا وأهون من أن أرفعه إليك، فإنه يرعى إبلنا حقيرا بين أظهرنا، فعمى عليه عمر، رضي الله عنه، كأنه لا يريده وقال: أين ابن أخيك هذا؟ أبحرمنا هو؟ قال: نعم. قال: وأين يصاب؟ قال: بأراك عرفة. قال: فركب عمر وعلي رضي الله عنهما، سراعا إلى عرفة، فإذا هو قائم يصلي إلى شجرة، والإبل حوله ترعى، فأقبلا عليه فقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته،/ فخفف أويس في الصلاة، ثم رد عليهما. فقالا: من الرجل؟/ قال: [94/ب][71/أ] راعي إبل، وأجير قوم. قالا: إنا لا نسألك عن ذلك، ولا عن الإجارة، ما اسمك؟ قال: عبد الله، قالا: قد علمنا أن أهل السماوات والأرض عبيد الله، فما اسمك الذي سمتك به أمك؟ قال: يا هذان ! ما تريدان مني؟ قالا: وصف لنا رسول الله ﷺ أويسا، وذكر لنا الصهوبة والشهولة، وأخبرنا أن بمنكبه الأيمن لمعة بيضاء، فأوضِحها لنا، فإن كانت بك، فأنت هو، فأوضح منكبه فرأياها، فابتدرا يقبلانها وقالا: نشهد أنك أويس، فاستغفِر لنا يغفر الله لك. فقال: ما أخص باستغفاري

---

(1) طمرين: الطمر: الثوب الخلق، وفي الحديث: رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره. انظر اللسان: طمر.

(2) الحديث ورد في الحلية 2/ 81، مع اختلاف بين الروايات.

(3) أبو قبيس: جبل مشرف على مكة. انظر معجم البلدان: أبو قبيس.

[108/ج] نفسي ولا أحدا من ولد آدم ولكن لمن في البر والبحر من المؤمنين والمومنات/ والمسلمين، والمسلمات، يا هذان! قد شهد لكما حالي وعرفتما أمري، فمن أنتما؟ قال علي رضي الله عنه: أما هذا فعمر، وأما أنا فعلي بن أبي طالب. قال أويس: فجزاكما الله عن هذه الأمة خيرا، فقال له عمر رضي الله عنه: مكانك يرحمك الله حتى أدخل فآتيك بنفقة من عطائي، وفضل كسوة من ثيابي، وهذا المكان ميعاد بيني وبينك. قال: لا أراك بعد اليوم تعرفني، ما أصنع بالكسوة؟ ما أصنع بالنفقة؟ أما ترى علي إزارا من صوف ورداء من صوف [متى][1] تراني أخلقهما؟ أما ترى نعلي مخصوفتان[2] متى تراني أبليهما؟ أما تراني أخذت من رعايتي أربعة دراهم متى تراني آكل بها يا أمير المؤمنين؟ إن بين يدي ويديك عقبة كؤودا لا يجاوزها إلا كل مخف[3] ضامر مهزول، فلما سمع ذلك[4] عمر رضي الله عنه، ضرب بردته[5] الأرض، وقال: ليت أم عمر لم تلده، ليتها كانت عقيما، ألا من يأخذها بما فيها؟ يعني الخلافة. ثم قال له أويس: رحمك الله تعالى يا أمير المؤمنين! خذ أنت من ها هنا حتى آخذ أنا من ها هنا. قال: فولى عمر وعلي، رضي الله عنهما، ناحية مكة وساق أويس، رحمه الله، إبله فوالى القوم، فأعطاهم إبلهم وأقبل على العبادة حتى لحق بالله تعالى، رحمه الله، وقد تقدم أيضا لأويس ذكر مع هرم بن حيان[6]./ [82/هـ]

حُكي أنه وُشي بجماعة من الصوفية إلى بعض الخلفاء بأنهم زنادقة، فأحضرهم مجلسه وكان به أحمد بن أبي دواد[7] قال: فأمر بضرب رقابهم، وكان فيهم أبو

(1) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(2) خصف النعل يخصفها: أي خرزها. اللسان: خصف.

(3) المخف: القليل المال، الخفيف الحال. اللسان: خفف.

(4) ساقطة من: د.

(5) ب، ج، د: بدرته.

(6) الحكاية وردت في حلية الأولياء 2/ 81-82، وشرح الشريشي 2/ 160.

(7) أحمد بن أبي دواد بن حرير بن مالك الأيادي، أبو عبد الله، أحد القضاة المشهورين المعتزلة (160-240هـ). انظر ترجمته في تاريخ بغداد 4/ 141، والوفيات 1/ 81-91، والنجوم الزاهرة 2/ 300.

الحسن علي النوري فتقدم إلى السياف وقال: ابدأ بي دون أصحابي، فقيل له: لأي شيء فعلت ذلك؟ قال: أوثر أصحابي بحياة ساعة واحدة. فقال الخليفة للقاضي أحمد: ناظر هؤلاء، فطلبهم القاضي أحمد وسألهم/ أسئلة، فنظر النوري عن يمينه [100/د] ثم نظر عن شماله ثم طأطأ رأسه إلى الأرض، ثم أجاب القاضي أحمد عما سأله. فقال له القاضي: من أين لك هذا؟ فقال له النوري: والله لقد سألتني عما سألتني عنه وليس عندي من ذلك علم، فسألت كاتب اليمين: هل عندك علم عن ذلك؟ فقال: لا، فسألت كاتب الشمال: هل عندك علم من ذلك؟ فقال: لا، فسألت قلبي فسأل قلبي ربي فألهمني ما أجبتك به، ثم تكلم بكلام أبكى القاضي، فالتفت القاضي إلى الخليفة وقال له: إن كان هؤلاء القوم زنادقة فما على وجه الأرض مسلم، فخلى سبيلهم بعد أن رضي عنهم واعتذر إليهم وأجازهم./ [95/ب]

الباب الرابع

في أخبار بعض الملوك العظام
وذكر حوادث أيامهم متسقة النظام/ [109/ج]

حكى ابن أبي حجلة[1] وروى بسنده إلى سيف الدين فليح بن عبد الله المنصوري[2]، وكان من خيار الخيار ودَيّنهم وعاقلهم، قال: بعثني الملك المنصور سيف الدين قلاوون[3] إلى ملك المغرب بتقدمة[4] وهدية، فأقمت عنده، فجاءت رسالة إلى ملك المغرب من بعض ملوك الإفرنج[5] يسأله أن يشفع له في تزويج ابنه ببنت[6] بعض ملوك الإفرنج، وكان والدها مهادنا له، وهو يدعي صحبته، وكان المستشفع قبل ذلك معاديا للمسلمين، لكن حمله الهو ى إلى أن بعث إلى ملك المغرب في ذلك. فاحتاج ملك المغرب إلى إرسال رسول إلى ملك الإفرنج، فقال لي: تذهب في ذلك؟ فأبيت، فقال لي[7]: هذه مصلحة المسلمين، وأرى أن تذهب في ذلك، فلم يزل بي حتى ذهبت فأديت رسالته إلى ملك الإفرنج/ [72/أ]

---

(1) أحمد بن يحيى بن أبي بكر التلمساني، أبو العباس، شهاب الدين ابن أبي حجلة عالم بالأدب ، توفي عام 776هـ انظر الدرر الكامنة 1/ 350. تعريف الخلف لأبي القاسم محمد الحفناوي 2/ 46.

(2) في سكردان السلطان قليج بن عبد الله المنصوري، وهو الصواب. انظر ترجمته في الأعلام 5/ 203.

(3) قلاوون الألفي العلائي الصالحي، أبو المعالي، سيف الدين، الملك المنصور أول ملوك الدولة القلاوونية. (620-689هـ) انظر فوات الوفيات 3/ 203. ابن اياس 1/ 114 النجوم الزاهرة 7/ 292. الشذرات 5/ 409.

(4) د: بتقدمه.

(5) ب، ج: الفرنج.

(6) د: بنت.

(7) ساقطة من:ه.

وقضيت الإزب منه وأقمت عنده مدة فعرض علي المقام عنده فامتنعت، فلما أردت الانصراف أكرمني وزودني وقال: إني أريد أن أتحفك بأمر عظيم لم يظفر بمثله أحد من المسلمين في هذا الحين. فقلت: ما هو؟ فأخرج لي صندوقا مصفحا بالذهب وأخرج منه مقلمة من ذهب ثم أخرج كتابا قد زال أكثر حروفه من طول الزمان، وقد ألصق عليه بخرقة حرير ثم قال: أتدري ما هذا؟ فقلت: لا. فقال: هذا كتاب نبيكم إلى جدي قيصر، ما زال يتوارثه ملك بعد ملك إلى الآن، وقد وصانا أجدادنا من الملوك أنه ما دام عندنا هذا الكتاب لا يزال الملك فينا، وإن هذه الوصية متلقاة من جدنا قيصر، فنحن نحتفظ بهذا الكتاب غاية الحفظ ونعظمه غاية التعظيم. ونحن نتبرك به ولا يعرف ذلك أحد من النصارى إلا نحن، ولولا تقربك عندي وكرامتك لدي وثقتي بعقلك ودينك ما أطلعتك عليه. فأخذته وعظمته وتبركت به ولم أقدر على قراءته لتقطع حروفه من طول البلا والعتق[1].

حُكي أن السلطان شاه السلجوقي[2] كان لهجا[3] بالصيد حتى ضبط ما اصطاده بيده فكان عشرة آلاف، فقال: إني أخاف الله في إزهاق روح لغير مأكلة، وصاد بعد/ ذلك، فكان كلما قتل صيدا يتصدق بدينار، فخرج من الكوفة لتوديع الحاج، فصاد في طريقه وحشا كثيرا بالقرب[4] من واسط[5]، فبنى هناك منارة من حوافر[6] الحمر[7] الوحشية وقرونها، وتعرف بمنارة القرون[8] والله تعالى

[١٠١/د]

(1) الحكاية وردت في سكردان السلطان: 391 مع قليل من الإختلاف بين الروايتين.

(2) السلطان شاه السلجوقي.

(3) لهج بالشيء. أي ولع به. اللسان مادة: لهج.

(4) ج: من القرب.

(5) واسط: هو موضع بين الكوفة والبصرة. معجم البلدان: واسط.

(6) ساقطة من: ج.

(7) أ: الجهار.

(8) منارة مشهورة بطريق مكة. معجم البلدان 5/ 201.

أعلم[1]/. [83/هـ]

حكى المسعودي قال: من طرائف أخبار الملوك أن رجلا من قريش من ولد هبار بن الأسود[2]، وكان من فتيان البصرة وأرباب النعم بها، خرج من بلده وركب بحر الهند، ولم يزل يتجول من بلد إلى بلد ومن مركب إلى مركب، وهو يخترق ممالك الهند/ إلى أن انتهى إلى بلاد الصين، فسار إلى مدينة يقال لها [١١٠/ج] خانفو[3]، ثم نازعته نفسه إلى أن سار إلى دار ملك الصين وأقام ببابها مدة طويلة يرفع الرقاع ويذكر أنه من أهل نبوة العرب، فأمر الملك بعد هذه المدة بإنزاله في بعض المساكن وإزاحة علله والإقامة له/ بما يحتاج إليه، وكتب الملك إلى عامله [96/ب] المقيم بخانفويأمره بالبحث عن أمر الرجل ويسأل التجار عن الأمر الذي يدعيه من قرابة نبي العرب، فكتب إليه عامل خانفو بصحة نسبته، فأذن له في الدخول عليه وأمر له بمال واسع، وكان شيخا عاقلا عارفا بأخبار الناس، فذكر أنه لما وصل إليه سأله عن العرب وكيف أزالوا ملك العجم فقال: بالله عز وجل وبما كانت عليه من عبادة النيران والشمس والقمر من دون الله، فقال: لقد غلبت العرب على أجل الممالك وأوسعها ريفا وأكثرها أموالا وأبعدها صيتا، ثم قال للترجمان: قل له: أتعرف صاحبك إن رأيته؟ يعني النبي ﷺ، فقال: كيف لي برؤيته وهو عند الله تعالى؟ فقال: لم أرد هذا وإنما أردت صورته. فقال: أجل، فأمر بسفط[4] فأخرج ووضع بين يديه وتناول منه درجا[5] وقال للترجمان: أره

---

(1) الحكاية وردت في سكردان السلطان: 386-387.

(2) هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد، شاعر من الصحابة توفي حوالي 15هـ انظر الإصابة 3/ 597. وسيرة ابن هشام 2/ 364.

(3) خانفو: مرسى بالصين كان مركز التجارة البحرية بين الصين وآسيا. انظر فهرست مروج الذهب: خانفو.

(4) السفط: الذي يعبى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء. انظر اللسان: سفط.

(5) الدرج: سفيط صغير تدخر فيه المرأة طيبها وخف متاعها. انظر اللسان: درج.

صاحبه. قال: فرأيت في الدرج صور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فحركت شفتي بالصلاة عليهم، ولم يكن عنده أني أعرفهم، فقال للترجمان: سله عن تحريك شفتيه. قال: فقلت: أصلي على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. فقال[1]: ومن أين عرفتهم؟ فقلت[2]: بما صور من أمورهم، هذا نوح في السفينة ينجو بمن معه لما أمر الله الماء أن يغمر الأرض كلها بمن فيها ويسلم بمن معه. قال: فضحك وقال: أما نوح فقد صدقت في تسميته وأما غرق الأرض كلها فلا تعرفه، وإنما أخذ الطوفان قطعة من الأرض ولم يصل إلى أرضنا معاشر الصين والهند والسند، ولم ينقل لنا أسلافنا غير ذلك، وما ذكرت من غمر الماء الأرض كلها فمن الأمور العظام التي تفزع النفوس إلى حفظه/ وتتداوله[3] الأمم ناقلة لخبره. قال: فتهيأت [73/أ] للرد عليه وإقامة الحجة لعلمي بدفعه لذلك، ثم قلت: هذا موسى وعصاه وبنو إسرائيل. قال: نعم. فقلت: وهذا عيسى على حماره والحواريون معه. فقال: لقد كان قصير المدة، إنما كان أمره نحوا من ثلاثين شهرا وشيئا يسيرا. وعدد من الأنبياء وأخبارهم، ورأيت فوق صورة دائرة قد دون فيها ذكر أسمائهم ومواضع بلدانهم/ ومقادير أعمارهم وأسباب نبوتهم وسيرتهم، ثم رأيت صورة نبينا محمد [د/102] ﷺ على جمل وأصحابه محدقون به، في أرجلهم نعال عربية من جلود الإبل، وفي أوساطهم حبال الليف، وقد علقوا فيها المساويك فبكيت لـمَّا/ رأيت ذلك. فقال [ج/111] للترجمان: سله عن سبب بكائه. فقلت: هذا نبينا محمد ﷺ فقال: صدقت لقد ملك قومه أجل المماليك إلا أنه لم يعاين ما ملك وإنما عاينه من بعده، ثم سألني عن الخلفاء ورتبهم وكثير من الشرائع فأجبته بما أعلم من ذلك، ورأيت صور الأنبياء في الدرج كثيرة، منهم من أشار بيده جامعا بين سبابته وإبهامه نحو السماء

---

(1) أ: قال.

(2) ساقطة من: د.

(3) ب: تداوله.

كالموهب للخليفة بها فوق ذلك. وكان فيما سألني عنه أن قال: كم عمر الدنيا عندكم؟ فقلت: قد تنوزع في ذلك، فبعض يقول: ستة آلاف سنة، وبعض يقول: فوق ذلك. فقال: ذلك عن نبيكم؟ فقلت: نعم./ فضحك ضحكا شديدا كثيرا [84/هـ] دل على إنكاره لذلك، ثم قال: ما أحسب نبيكم قال هذا، فقلت: بلى، قال ذلك. فرأيت الإنكار في وجهه، ثم قال لترجمانه: سله عن كلامه، فإن الملوك/ لا تكلم [97/ب] إلا عن تحصيل، أما ما زعمت من اختلافكم في قول نبيكم فما قاله الأنبياء لا يجب أن يختلف فيه، بل هو مسلم به، فاحذر هذا وشبهه أن تحكيه، وذكر أشياء كثيرة غير هذا ذهبت عني لطول الزمان. ثم قال: لم عدلت عن ملكك وهو أقرب إليك دارا ونسبا، فقلت: ما وقع على البصرة من الخوارج ووقوعي في سراب ونزعت همتي إلى ملكك أيها الملك، لما بلغني من استقامة ملكك وحسن سيرتك وكثرة عدلك وسياستك لسائر رعيتك فأحببت الوصول إلى هذه المملكة، وأنا راجع إلى بلادي وملك ابن عمي ومخبر بما شاهدته من جلالة هذا الملك وسعة هذه البلاد[1] وعموم العدل وحسن شيمتك أيها الملك المحمود، فأنا سأقول بكل قول حسن وأثني بكل ثناء جميل، فسره ذلك وأمر لي بجائزة سنية وأمر بحملي على البريد إلى مدينة[2] خانفو وكتب إلى عاملها بإكرامي وتقديمي على [من في][3] جميع ناحيته من سائر الناس إلى وقت خروجي، فكنت عنده في أخصب عيش وأنعمه إلى أن خرجت من بلاد الصين[4].

(1) ب، د: البلد.

(2) أ: المدينة.

(3) ما بين معقوفين ساقط من: د.

(4) الحكاية وردت في مروج الذهب 1/ 168-172.

حكى الهمذاني[1] أن سواديا لقي السلطان ملك شاه [السلجوقي][2] وهو يبكي فسأله عن سبب بكائه. فقال: ابتعت بطيخا بِدُرَيْهِمَات لا أملك غيرها فلقيني ثلاثة من الأتراك فأخذوه مني، ومالي حيلة سواه فقال له: أمسك. واستدعى فراشا، وكان ذلك أول قدوم البطيخ فقال له: أرى نفسي قد اشتاقت إلى البطيخ فطف بالعسكر وانظر من عنده شيء منه فأحضره إلي، فعاد ومعه بطيخة، قال: عند من رأيت هذا؟ قال: عند الأمير فلان، فأحضره وقال له: من أين لك هذا البطيخ؟ فقال: جاء به الغلمان. فقال: أريد إحضارهم، فذهب وقد عرف نية الملك فيهم. فعاد، وقال: لم أجد منهم أحدا/ فالتفت السلطان إلى صاحب البطيخ وقال: هذا، [112/ج] يعني الأمير، مملوكي وقد وهبته لك حيث لم يحضر الذين أخذوا البطيخ منك/ [103/د] والله لئن خليته لأضربن عنقك، فأخذه وخرج من بين يدي السلطان فاشترى الأمير نفسه منه بثلاثمائة دينار [فعاد صاحب البطيخ للسلطان وقال: أيها الملك قد بعت المملوك بثلاثمائة دينار[3].

[74/أ] حُكي من غريب ما اتفق للمعتصم المدعو بالثماني/ أنه كان قاعدا في مجلس أنسه والكأس في يديه، فبلغه أن امرأة شريفة مقهورة عند علج[4] من الروم في عمورية[5]، وأنه لطمها على وجهها فصاحت: وامعتصماه ! فقال لها العلج: يأتيك على أبلقه[6]، فختم الكأس ودفعه إلى الساقي وقال له: لا أشربه إلا بعد فك هذه

---

(1) هو محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد، أبو الحسن الهمذاني، من كبار المؤرخين، توفي عام 521هـ انظر المنتظم ١٠/ ٨، وطبقات الشافعية 4/ 80، والبداية والنهاية 12/ 198.

(2) زيادة من: ب، ج.

(3) الحكاية وردت في الأذكيا: 53 وسكردان السلطان: 386.

(4) علج: الرجل من كفار العجم. اللسان: علج.

(5) بلد في بلاد الروم غزاه المعتصم سنة 223هـ بسبب شراة العلوية. معجم البلدان 4/ 158.

(6) أبلقه: يعني الفرس، يقال فرس أبلق، والبلق: سواد وبياض، وأصله ارتفاع التحجيل إلى الفخذين. انظر اللسان: بلق.

الشريفة وقتل العلج إن شاء الله تعالى فلما أصبح نادى بالرحيل إلى غزو عمورية، وأمر عسكره أن لا يخرج أحد منهم إلا على فرس أبلق، فخرج إليها في سبعين ألف فارس أبلق، فلما فتح عمورية دخل وهو يقول: لبيك، لبيك، وطلب العلج صاحب الأسيرة الشريفة وضرب عنقه وفك قيود الشريفةورجع[1] غانما، ثم قال للساقي: إيتيني بكأسي، فشربه بعد فك/ ختمه وقال: الآن طاب الشراب. سامحه [98/ب] الله تعالى وعفا عنه آمين وعلى جميع المذنبين[2].

حُكي أن الرشيد حلف أنه من أهل الجنة فاستفتى العلماء فلم يفته أحد أنه من أهلها، فقيل له: سل ابن السماك[3] القاضي الكوفي فاستحضره وسأله فقال له: هل قدرت على معصية فتركتها خوفا من الله تعالى؟ قال: نعم، قال: كان لبعض [الناس][4] جارية فهويتها وأنا إذ ذاك شاب، ثم إني ظفرت بها مرة/ وعزمت على [85/هـ] ارتكاب الفاحشة منها، ثم فكرت في النار وهَوْلِها فكففت[5] عن الجارية مخافة الله تعالى. قال له ابن السماك: إنك[6] من أهل الجنة. فقال له: ومن أين لك ذلك؟ قال: قوله تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾[7] فسر بذلك[8].

حَكَى الغزالي في الإحياء: أنه كان لبعض الملوك وزير. في صبيحة كل يوم يسلم على الملك ويقول بعد السلام: سيجزي الله المحسن بإحسانه، وتكفي

(1) أ: وخرج.
(2) الحكاية وردت في السكردان: 395.
(3) سبق ذكره.
(4) زيادة من: ب، ج، د، ه.
(5) ب، د: ففككت.
(6) أ، ج، ه: إنه.
(7) النازعات: 40.
(8) الحكاية وردت في السكردان: 404، والمستطرف 1/ 235، والمخلاة للعاملي: 268.

المسيئ إساءته. لا يترك هذا كل يوم، وهو مقرب عنده، فحسده حاسد وسعى في هلاكه بأن أضافه وأطعمه طعاما فيه ثوم كثير، ثم جاء إلى الملك وقال: أيها الملك! إن هذا الوزير الذي قدمته على أصحابك قد فضحك بين الناس، يقول عنك: إنك أبخر[1]، فلما أصبح الصباح جاء الوزير على عادته للسلام فغطى فمه ليلا يشم الملك رائحته فلم يشك الملك في مقالة الذي وشى به إليه، وقال عنه ما قال من البخر، فتغيظ عليه وكتم ذلك عنه، ثم كتب الملك في رقعة إلى بعض بوابه وقال:إذا وصلت/ ، إليك الرقعة فاقطع رأس حاملها واسلخه واملأ جلده تبنا. [113/ج] ثم ختم الرقعة، وكان عادة الملك لا يكتب بيده إلا الجائزة العظيمة، ودفعها إلى الوزير وأوهمه أنها صلة وجائزة وقال له: ادفع هذه الرقعة لفلان فخرج بها فوجد الحاسد الذي وشى به واقفا عند الباب فقال:ما هذه؟ قال: جائزة، كتب لي بها/ [104/د] الملك. قال: ادفعها إلي وأنا أذهب فأحصلها وأدفعها إليك، فدفعها إليه فذهب بها ففعل به ما كان مكتوبا فيها، ثم أرسل إلى الملك، فلما طلع الوزير على عادته للسلام على الملك تعجب من ذلك وسأل عن القصة، فذكرها له.فقال له: هل كان بينك وبينه شيء؟ فقال: لا، إلا أنه أضافني بالأمس وأطعمني طعاما فيه ثوم كثير، فلذلك غطيت فمي بالأمس عند السلام عليك، لا أعلم بيني وبينه غير هذا. فقال الملك: صدقت في قولك: «سيجزي الله المحسن بإحسانه وتكفي المسيء إساءته»[2].

حُكِيَ أن المتلمس[3] وطرفة بن العبد كانا ينادمان عمرو بن هند فهجواه[4]

(1) أبخر من البَخَر وهو الرائحة المتغيرة من الفم. اللسان: بخر.

(2) الحكاية وردت في الإحياء 3/ 188، والسكردان: 428، وفي المستطرف أنها وقعت بين المعتصم ووزيره. انظر 1/ 306.

(3) جرير بن عبد العزى أوعبد المسيح من بني ضبيعة، شاعر جاهلي، توفي حوالي 50 ق.م. انظر خزانة البغدادي 3/ 73، والوفيات 6/ 92، ومعاهد التنصيص 2/ 312.

(4) د: فهجياه.

هجوا قبيحا فبلغه، فلم يظهر لهما شيئا من التغيير، ثم مدحاه بعد ذلك فكتب إلى عامله على الحيرة، وقيل البحرين، كتابا وأمره بقتلهما إذا وصلا إليه وأوهمهما أنه كتب لهما بصلة وجائزة. فخرجا من عند الملك عمرو بن هند حتى/ مرا في بعض [99/ب] الطرق بشيخ وهو يحدُثُ ويأكل خبزا ويتناول القمل من ثيابه[1] ويقتله، فقال المتلمس: ما رأيت شيخا أحمق من هذا، فقال له الشيخ[2]: ما رأيت من حمقي؟ أخرج داء وأدخل دواء وأقتل عدوا، ولكن أحمق/ مني الذي يحمل حتفه بيده [75/أ] فارتاب المتلمس من قوله وقال: كل واحد منا هجا الملك ولو أراد الملك أن يعطينا لأعطانا ولم يكتب لنا إلى عامل الحيرة، فهلم ندفع كتابينا إلى من يقرأهما، لأنهما كانا لا يحسنان القراءة، فقال طرفة: ما كنت لأفتح كتاب الملك. فقال المتلمس: والله لأفتحنه ولا أكون ممن يحمل حتفه بيده. ثم نظر فإذا غلام قد خرج من الحيرة فقال له: أتقرأ يا غلام؟ فقال: نعم. فدفع إليه الكتاب، فلما قرأه قال:ثكلت المتلمس أمه، فإذا في الكتاب: إذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا. فقال المتلمس لطرفة: افتح كتابك فما فيه إلا مثل الذي في كتابي. فقال طرفة: إن كان قد اجتار عليك فلا يجتار علي ولا يغير صدر قومي بقتلي فألقى المتلمس كتابه في بحر الحيرة وفر هاربا إلى الشام، ودخل طرفة الحيرة ودفع الكتاب إلى العامل وأخبره بما كان من المتلمس، فحن عليه ورق له لصدقه ودس عليه من أشار عليه بالهرب فلم ينتصح، وجاء إلى العامل وقال: أظن أنه قد ثقلت عليك جائزتي/ وبخلت [86/هـ] علي بما أمرك به الملك. فقال: أما إذا كان الأمر هكذا فأنا أجيزك، وفعل به ما كان في الكتاب/ ثم قطع يديه ورجليه وأذنيه ثم دفنه حيا. قلت: وطرفة بن العبد هذا [114/ج] هو من أصحاب القصائد السبعة المعلقات وأول قصيدته المعلقة قوله:

---

(1) أ: بيده.

(2) عبارة ج: فقال الشيخ له.

[الطويل]

لخولة أطلال ببرقة تهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد[1]

وله أخت لأمه اسمها خرنق[2]من العرب الفصحاء[3].

حُكي [عن أحمد بن طولون[4] أنه دخل على أبيه فقال: إن بالباب ضعاف قوم فلو كتبت لهم بشيء. فقال: إيتوني بدوات، فذهب فوجد في الدهليز[5]/ حظية [105/د] من حظايا أبيه قد خلا بها خادم[6] فأخذ الدواة ولم يكلم الجارية، فخشيت منه أن يسبقها إلى أبيه ويعلمه، فجاءت إليه وقالت: إن أحمد راودني عن نفسي الساعة، فصدقها وكتب كتابا إلى بعض خدمه يأمره بقتل حامل الكتاب من غير مشورة، وقال لأحمد: اذهب بهذا الكتاب إلى فلان، فأخذه ومر على الجارية. فقالت: إلى أين؟ قال: حاجة للأمير، ولم يعلم ما في الكتاب، فقالت: أنا أرسل إليه ولي بك حاجة، فدفع إليها الكتاب، فدفعته هي إلى الخادم الذي كان معها، وقالت: اذهب إلى فلان وإنما أرادت أن يزداد والده عليه حنقا، فلما وقف المأمور على الكتاب قطع رأس الخادم وبعث به إلى طولون، فلما رآه عجب من ذلك[7] ودعا أحمد وقال: أصدقني ما الذي كان وإلا قتلتك؟ فأخبره بقصة الجارية فطلب الجارية

---

(1) انظر الديوان: 30.

(2) شاعرة من شواعر العرب في الجاهلية، أكثر شعرها في رثاء أخيها طرفة بن العبد أحد أصحاب المعلقات، راجع ديوان الشاعرة: 1، وأعلام النساء 1/ 348.

(3) الحكاية وردت في معاهد التنصيص 1/ 164، 2/ 312، والسكردان: 429، وسرح العيون: 394.

(4) أحمد بن طولون، أبو العباس الأمير، صاحب الديار المصرية، توفي عام 270هـ. انظر الولاة والقضاة: 216- 232 ووفيات الأعيان 1/ 173، والنجوم الزاهرة 3/ 1.

(5) أ: دهليز.

(6) أ: غلام.

(7) أ: منه.

فأخبرته بقصة الخادم فقتلها وحظي أحمد/ عنده وقدمه على جميع أولاده][1]. [١٥٥/ب]

حُكي أن أحمد هذا بن طولون كانت له سيرة حسنة وطلب العلم والحديث، وتقلبت الأحوال به حتى ولي مصر والشام، وكان حكمه من الفرات إلى المغرب، وأنفق على جامعه المعروف به، مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار، ورتب للعلماء والقراء وأصحاب الوظائف في كل شهر عشرة آلاف دينار، وللصدقة في كل يوم مائة ألف درهم، وكانت خلاله جميلة إلا أنه كان سفاكا للدماء، ومات في حبسه ثمانية عشر ألف مسجون، وتوفي سنة ثمان وستين ومائتين، ورءي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: إنما البلاء على من ظلم، من لا ناصر له إلا الله تعالى، وما على رؤساء الدنيا أشد من الحجاب لطالب الإنصاف، قال بعضهم: كنت أرى شيخا يقرأ على قبره ثم تركه فسألته عن ذلك فقال: كان له علينا فضل فأحببت أن أصله بالقرآن، فرأيته في النوم فقال: لا تقرأ علي شيئا فإنه ما تمر آية إلا قيل لي: أما سمعت هذه؟ أما مر بك هذه؟ ويقال: إنه خلف ثلاثة وثلاثين ولدا منهم سبعة عشر ذكرا وخلف عشرة آلاف ألف دينار، وسبعة آلاف مملوك وأربعة آلاف غلام، ويقال: أربعة وعشرون ألف غلام، ومن الخيل سبعة آلاف فرس ومن البغال والحمير ستة آلاف رأس، وعشرة آلاف من الجمال،/ ومن الدواب [76/أ] الخاص ثلاثمائة، ومن المراكب الشواني[2] مائة مركب، وكان خاصُّه في كل سنة أربعة آلاف ألف دينار[3].

حُكي أنه كان من اصطلاح القبط في يوم النيروز[4] أن يأتي الملك رجل من الليل، قد أرصد لما يفعله، ويكون مليح الوجه حسن الثياب طيب الرائحة.

(1) ما بين معقوفين ساقط كله من: ج. والحكاية وردت في السكردان: 430.

(2) الشواني: جمع شيني وهي عبارة عن سفن حربية كبيرة ذات أبراج. انظر خطط الوقريزي 19 /2 /4.

(3) الحكاية وردت في السكردان: 430.

(4) النيروز: أصله بالفارسية نيع روز وتفسيره: جديد يوم. انظر اللسان: نزر.

فيقف على الباب حتى يصبح، فإذا أصبح دخل على الملك من غير استئذان ووقف بحيث يراه الملك، فيقول الملك: من أنت؟ ومن أين أقبلت؟ وأين تريد؟ وما اسمك ولأي شيء وردت وما معك؟ فيقول: أنا فلان النيروز[1]، واسمي المازن، ومن قبل الله أقبلت، وللملك السعيد قصدت، وبالهنا والسعادة وردت، ومعي السنة الجديدة. ويدخل بعده رجل/ ومعه طبق من فضة/ وفيه حنطة [106/د][106/د] وشعير وجلبان وذرة وحمص وسمسم[2] وأرز[3]، من كل واحد سبع سنابل و[4]سبع حبات وقطعة سكر ودينار ودرهم جديدان فيضع الطبق بين يدي الملك وتدخل عليه الهدايا ويكون أول من يدخل عليه وزيره[5]/ ثم صاحب الخراج ثم [115/ج] صاحب المعونة ثم الناس على مراتبهم، ثم يقدم للملك رغيف كبير مصنوع من تلك الحبوب في سلة فيأكل منه ويطعم من حضر ويقول: هذا يوم من شهر جديد بطعام جديد في زمان جديد يصلح أن يجدد فيه ما أخلق من الزمان، ويعم الناس بالفضل والهدايا والإحسان كالرأس لفضله على سائر الجسد، ثم يخلع على وجوه دولته ويصلهم ويفرق ما حمل إليه من الهدايا والتحف. وكان من عادة الفُرس في عيدهم أن يدهن ملكهم بدهن البان[6] تبركا ويلبس القصب[7] والوشي[8] ويجعل على رأسه تاجا فيه صورة الشمس ويكون أول من يدخل عليه موبذان[9] بطبق فيه أترجة وقطعة/ سكر ونبق وسفرجل وتفاح وعناب وعنقود عنب أبيض وسبع [101/ب]

---

(1) ج: النور.

(2) سبقت الإشارة إليه.

(3) أ: روز.

(4) هـ: أو.

(5) د: الهدايا.

(6) البان: شجر يسمو ويطول، وثمره شبيه بقرون اللوبياء، وله حب يستخرج منه دهن البان. اللسان: بين.

(7) القصب: ثياب تتخذ من كتان، رقاق ناعمة. اللسان: قصب.

(8) الوشي من الثياب، يكون فيه كل الألوان. اللسان: وشي.

(9) سبق ذكره.

باقات آس قد زُمْزِمَ[1] عليها ثم يدخل الناس على طبقاتهم بمثل ذلك[2].

حُكي أن ملك الهند كتب إلى أنوشروان: من ملك الهند وعظيم ملوك الشرق وصاحب قصر الذهب وإيوان الياقوت والدر، إلى أخيه كسرى أنوشروان ملك فارس صاحب التاج والرأفة، المحمود السيرة، ملك المملكة المتوسطة الأقاليم السبعة أنو شروان، وأهدى إليه ألف أوقية من عود يذوب على النار كما يذوب الشمع، وجاما من الياقوت الأحمر وتحته شبر[3] مملوء درا، وعشرة [أمنان][4] كافور كالفستق[5]، وجارية طولها سبعة أذرع تضرب أهداب عينيها خديها، وكأن بين أجفانها لمعان البرق مع اتفاق شكلها، مقرونة الحاجبين، لها ضفائر تجرها، وجعل لها فراشا من جلود الحيات أنعم من الحرير وأحسن من الوشي، وكان كتابه من ورق الشجر المعروف بالكاذى[6] مكتوب بالذهب الأحمر[7].

حُكي أن ملك الصين كتب إلى الملك أنوشروان: من يعصور ملك الصين صاحب قصر الدر والجوهر، الذي يجري في قصره نهران يسقيان العود والكافور الذي توجد رائحته من فرسخين، والذي يخدم على بابه ألف ملك، والذي في مربطه ألف فيل أبيض، إلى أخيه كسرى أنوشروان، وأهدى إليه فرسا وفارسا من در، عينا الفرس والفارس من الياقوت الأحمر، وقائم سيفه من زبرجد منضد من جوهر، وثوبا صينيا فيه صورة الملك في إيوانه وعليه حلته[8] وتاجه، وعلى رأسه

(1) الأس: ضرب من الرياحين. انظر اللسان: أوس، وزمزم: من الزمزمة وهو كلام المجوس عند الأكل. انظر اللسان: زمم.

(2) الحكاية وردت بالرواية نفسها في السكردان: 436.

(3) ب، ج: يشبر.

(4) المن: الكيل أو الميزان الذي يوزن به السمن وغيره. انظر اللسان: مني.

(5) سبقت الإشارة إليه.

(6) الكاذي: شجر طيب الريح يطيب به الدهن. اللسان: كود.

(7) الحكاية وردت في السكردان: 436-437، وخريدة العجائب وفريدة الغرائب: 121.

(8) ج: حلته.

الخدم بأيديهم المرازب[1] والصورة منسوجة بالذهب وأرض الثوب لازورد[2] في صفط من ذهب تحمله جارية تغيب في شعرها تتلألأ جمالا، والله أعلم[3].

حُكي أن هدية بلقيس كانت خمسمائة لبنة من ذهب ومثلها من فضة، كل لبنة مائة رطل، وتاجا مكللا بالجواهر، ومسكا وعنبرا وحقة[4] فيها درة ثمينة وخرزة[5] جزعية معوجة[6]/ الثقب/، وخمسمائة جارية وخمسمائة غلام، وألبستهم لباسا واحدا، وقيل: ألبست الجواري لباس الغلمان وألبست الغلمان لباس الجواري، وأرسلت هذه الهدية/ مع رجل من قومها يقال له المنذر بن عمر وذو لب ورأي، وكتبت معه كتابا فيه نسخة الهدية، وقالت له: إن كنت نبيا ميز لنا بعض الوصائف والغلمان وأخبرنا بما في الحقة قبل فتحها، واثقب الدرة ثقبا مستويا من غير عوج ومن غير علاج إنس ولا جن، وأمرت الغلمان أن يتكلموا بكلام لين يشبه كلام النساء، والجواري أن يتكلمن بكلام غير لين يشبه كلام الرجال، وقالت للرسول: انظر إليه فإن نظر إليك نظرة غضب فاعلم أنه ملك، فلا يهو لنك أمره، وإن/ رأيته هينا لينا لطيفا فاعلم أنه نبي مرسل فتفهم قوله ورد الجواب كما فهمت، فانطلق الرسول بالهدية وانطلق الهدهد نحو سليمان، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، يخبره بالخبر فأمر سليمان الجن أن تضرب لبنة الذهب والفضة وأن يبسيطوهما من المكان الذي هو فيه إلى سبعة فراسخ في مثلها ميدانا، وأن يجعل حول/ الميدان حائطا من الذهب مطرق ثم أمر الجن فجاءه بأحسن دواب البر والبحر فجعلوها عن يمين

[107/د][116/ج] [77/أ] [88/هـ] [102/ب]

---

(1) جمع مرزبة وهي: عصية من حديد. اللسان: رزب.

(2) هكذا وردت في جميع النسخ وكذا في السكردان.

(3) الحكاية وردت في السكردان: 437. وخريدة العجائب: 121.

(4) الحقة: ج. حقق، وهو ما ينحت من الخشب أو العاج. اللسان: حقق.

(5) الخرزة: ج، خرز، وهي فصوص من جيد الجوهر ورديئه من الحجارة ونحوه والخرزة الجزعية هي التي فيها بياض وسواد تشبه به الأعين. انظر اللسان مادتا: خرز، جزع.

(6) ج: معرجة.

الميدان وشماله وأمرهم أن يتركوا على طريقهم موضعا خاليا على قدر اللبنات التي معهم، وجلس في الميدان وحوله الجن والإنس والشياطين والطير والوحوش[1]، فلما رأى الرسول ذلك الموضع خاليا من اللبنات خافوا أن يتهموا فتركوا ما معهم من اللبنات فيه، فجعلوا يمرون على كراديس[2] الإنس والجن والشياطين وسائر الحيوانات حتى وصلوا إلى سليمان، [على نبينا و][3] عليه الصلاة والسلام، فنظر إليهم بوجه حسن طلق فأعطاه الرسول كتاب الملكة فنظر فيه وقال: أين الحقة؟ فجيء بها، فأخبره جبريل، عليه السلام، بما فيها. فقال سليمان، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، ذلك للرسول، ثم أمر الأرضة فأخذت شعرة في فيها ودخلت[4] في الدرة وخرجت من الجانب الآخر، [وجاءت دودة أخرى بيضاء فأخذت خيطا في فيها ودخلت في ثقب الخرزة ثم خرجت من الجانب الآخر][5]، ثم جمع ما بين طرفي الخيط وختمه ودفعه إليهم وميز بين الغلمان والجواري ورد الهدية. فلما رجع الرسول أخبرها الخبر فقالت: والله إنه ليس ملكا، ولا طاقة لنا به، وأرسلت إليه: إني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما تدعونا إليه من دينك ثم جعلت سريرها داخل سبعة أبواب وكان قصرها داخل سبعة قصور، ثم أغلقت الأبواب كلها وجعلت عليه حرسا وأمرتهم بحفظه، ثم ارتحلت إلى سليمان، عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، في اثني عشر قيلا، كل قيل في ألوف كثيرة وهو الأمير الكبير. فلما نزلت على فرسخ من سليمان، أراد أخذ سريرها قبل أن تصل إليه مسلمة فيحرم إذ ذاك، وقيل لأمر قدره الله تعالى، وما أعطاه الله/ [117/ج] لأنبيائه من المعجزة، ثم أقبل/ على جنوده وقال: ﴿يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها [108/د]

(1) ب، د: والوحش.

(2) الكراديس: كتائب من الخيل، وكَردَس القائدُ خيله، أي جعلها كتيبة كتيبة. انظر اللسان: كردس.

(3) ما بين معقوفين زيادة من: ب، ج.

(4) أ: فدخلت.

(5) ما بين معقوفين ساقط كله من: ج.

قبل أن يأتوني مسلمين﴾[1] أي مومنين، قال عفريت من الجن، وهو صخر الماردي، أنا آتيك به إن اخترت قبل أن تقوم من مقامك أي مجلسك الذي تقضي فيه بين الناس وكان يقضي بين الناس من طلوع الشمس إلى ارتفاعها، ثم إنه قال: ﴿وإني عليه لقوي أمين﴾[2] أي قوي على حمله أمين على ما فيه من الجواهر، فقال: أريد أسرع منك. ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾[3] قيل: هو جبريل، وقيل: هو الخضر عليهما السلام، وقيل: آصف بن برخيا، وكان يحفظ الاسم الذي إذا دعا به أجيب: ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾[4]. إذا مددته إلى مرئ، والمعنى آتيك به في أسرع وقت. قال آصف لسليمان: مد عينيك فمد عينيه نحو اليمن فدعا آصف فوضع عرش بلقيس تحت كرسي سليمان، وكانت المسافة بينهما شهرين، فلما رآه مستقرا عنده قال: هذا من فضل ربي، ثم دعاها إلى الإسلام فأسلمت، فتزوجها وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنت قصورا لم ير مثلها ارتفاعا وحسنا باليمن، وكان يزورها في كل شهر مرة/ ، والله سبحانه وتعالى أعلم[5]. [102/ب]

حُكي عن الحاكم بأمر الله العبيدي[6] أن أموره كانت متضاده، كان عنده شجاعة وإقدام، وجبن وحزم، ومحبة للعلم وانتقام/ من العلماء، وميل[7] إلى الصلاح وقتل الصلحاء، ولبس الصوف سبع سنين وأقام سنتين يوقد عليه الشمع ليلا ونهارا، [103/ب]

(1) النمل: 39.

(2) النمل: 40-41.

(3) النمل: 40-41.

(4) النمل: 40-41.

(5) الحكاية وردت في العرائس: 317 -321 والسكردان: 437-439.

(6) منصور، الحاكم بأمر الله، ابن نزار بن معد العبيدي الفاطمي، من خلفاء الدولة الفاطمية، توفي عام ٤١١هـ. انظر الوفيات: 292، والنجوم الزاهرة 4/ 176.

(7) د: قيل.

ثم جلس في الظلام[1]/ مدة، ثم أمر بقتل الكلاب ثم نهى عنه، ونهى عن النجوم [89/هـ] وكان يرصدها، وبنى جامعا بالقاهرة وجامع راشدة، ومنع صلاة التراويح عشر سنين، ثم أباحها وهدم القمامة[2] وبنى مكانها مسجدا، ثم أعادها كما كانت، وبنى المدارس وجعل فيها العلماء والمشايخ، ثم قتلهم، وكانت أفعاله كلها من هذا القبيل، فمنها: أنه كان يعمل الحسبة بنفسه فيدور في الأسواق على حمار له، فمن رآه غش في بضاعة أمر عبدا له أسود معه يقال له: مسعود، أن يفعل به الفاحشة العظمى، وهذا المنكر لم يسبق إليه، ومنها: أنه منع النساءأن يخرجن ليلا ونهارا إلى الطرقات. قال ابن خلكان: « كانت مدة منعهن سبع سنين وسبعة أشهر[3] ومنها: أنه أمر الناس بغلق الأسواق نهارا وفتحها ليلا فامتثلوا ذلك مدة طويلة، ثم اجتاز بشيخ يعمل النجارة بعد العصر فوقف عليه وقال: ألم أنهكم عن هذا؟ فقال: إني ساهر، فذهب عنه وأعاد الناس إلى أمرهم الأول. قال ابن كثير: هذا من أحكامه الشنيعة وأوامره المخالفة للشريعة، وكل ذلك تغيير للرسوم واختبار/ [118/ج] للطاعة من العامة ليحملهم على ما هو أعظم من ذلك. ومنها: أنه نهى عن بيع الملوخية والجرجير[4] وعلل ذلك بميل معاوية إليهما[5] وكون الجرجير أكلته عائشة، رضي الله عنها، وعذره أقبح من ذنبه، واطلع على جماعة أكلوا الملوخيا فضربهم بالسياط وطاف بهم القاهرة، ثم ضرب رقابهم على باب ازويلة، ونهى عن بيع الرطب، ثم جمع منه/ شيئا كثيرا وأحرقه، وكان مقدار النفقة على إحراقه [109/د] خمسمائة دينار، ونهى عن بيع العنب وأنفذ شهودا إلى الحيرة حتى قطعوا شيئا من العنب والكرم ورموا بذلك إلى الأرض ودرسو بالبقر، وجمع ما في خزائنها من

(1) أ: في الطعام.

(2) أعظم كنيسة للنصارى ببيت المقدس. انظر معجم البلدان 4/ 396.

(3) القولة وردت في الوفيات 5/ 294.

(4) الجرجير والجرجار: نبتان، وقيل الجرجار عشبة لها زهرة صفراء. انظر اللسان: جرر.

(5) ب، ج، د: إليهم.

جرار[1] العسل وطرحت في النيل بعد كسرها، فكانت خمسة آلاف جرة، ونهى عن بيع الزبيب قليله وكثيره على اختلاف أنواعه، ونهى التجار عن حمله وجمع من ذلك شيئا[2] كثيرا وأحرقه، ونهى عن بيع السمك الذي لا قشر له، فإن[3] ظهر على من باعه قتله[4]، وأمر النصارى أن تجعل في أعناقها الصلبان، زنة الواحد خمسة أرطال، واليهود القزامى[5] الخشب زنة الصلبان، ويلبسوا العمائم السود ولا يكتروا دابة من مسلم، وأفرد لهم حمامات يدخلونها وفي أعناقهم ذلك، وفي وقت أمرهم بالدخول في الإسلام كرها ثم أمرهم بالعود إلى أديانهم فارتد في سبعة أيام ستة آلاف شخص، وخرب كنائسهم ثم أعادها، وكان يعاقب بسلب الألقاب فربما يبقى الإنسان إذا غضب عليه لا يدعى بلقبه وهو مع ذلك في حزن حتى يرد عليه لقبه فتكون عنده البشارة العظمى،/ ومنها أنه ادعى الربوبية وكتب [١٠٤/ب] له: بسم الله الرحمن الرحيم. وله من أشباه ذلك أمور كثيرة اقتصرنا عن بعضها مخافة التطويل قال الذهبي في تاريخ الإسلام: زاد الحاكم في الظلم وعن له أن يدعي الربوبية كفرعون فصار قوم من الجهال إذا أرادوه قالوا له: يا واحد ! يا محيي ! يا مميت! وادعى علم الغيب في وقت فكان يقول: فلان قال في بيته: كذا وكذا، وذلك مما اعتمده من عجائز كانت تدخل بيوت الأمراء والرعايا وغيرهم ويعرفنه ذلك فرفعت إليه رقعة فيها:

[مجزوء البسيط]

بالجور والظلم قد رضينا وليس بالكفر والحماقة

---

(1) الجرار مفردها جرة وهي آنية من خزف. انظر اللسان: جرر.

(2) أ، ب، ج، هـ: شيء.

(3) ب، ج، د، هـ: وظهر.

(4) ج، فقتله.

(5) ج: الصرامي.

إن كنت أوتيت علم غيب بَيِّن لنا كاتب البطاقة[1]

فسكت عن الكلام في المغيبات، وكان على المنبر يفتخر على بني العباس، والرقاع ترفع إليه وهو / على/ المنبر في أشغال الناس، فرفعت إليه رقعة فيها: [90/هـ][79/أ]

[السريع]

إنا سمعنا نسبا منكرا يتلى على المنبر في الجامع/ [119/ج]
إن كنت فيما قلته صادقا فاعدد لنا بعد الأب السابع
أو فدع الأشياء مستورة وادخل بنا في النسب الواسع
[فـ]إن انسب بني هاشم يقصر عنها طمع الطامع[2]

فلم يفتخر بعد ذلك، قابله الله بأقواله وأفعاله[3].

حكى ابن الجوزي[4] في "مرآة الزمان" أن سبط أخرج من ديوان القادر بالله بالقدح في الحاكم وفي نسبه مضمونه[5]: يشهد من أثبت اسمه/ ونسب في هذا [115/د] الكتاب من الأشراف والقضاة والعلماء والعدول الأكابر والأماثل، شهادة يتقربون بها إلى الله عز وجل ويعتقدون ما أوجبه الله تعالى على العلماء أن يبينوه للناس ولا يكتموه جميعا، أن القائم بمصر هو المنصور بن نزار[6]، الملقب بالحاكم حكم الله عليه بالبوار والدمار والخزي والنكال والوبال والاستئصال، ابن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمان بن سعيد لا أسعده الله، وأنه لما سار إلى المغرب تسمى

---

(1) البيتان وردا في السكردان: 441.

(2) الأبيات وردت في السكردان: 441 برواية مختلفة.

(3) الحكاية وردت في الوفيات 5/ 292 - 296. والسكردان: 442.

(4) يوسف بن قزاوغلي بن عبد الله، أبو المظفر ابن الجوزي مؤرخ من الكتاب الوعاظ، توفي عام654هـ انظر ميزان الاعتدال 3/ 333. البداية والنهاية 13/ 194. شذرات الذهب 3/ 266.

(5) هكذا ورد هذا التعبير في جميع النسخ، وأظن أن فيه خلخلة لم أهتد إلى تقويمها.

(6) سبقت الإشارة إليه.

بعبد الله ولقب نفسه بالمهدي ومن تقدم قبله من أسلافه الأنجاس الأرجاس نطف الشياطين، عليهم وعليه[1] لعنة الله واللاعنين، وادعى أن له نسبا في ولد علي رضي الله عنه، فإنه ليس له فيهم نسب ولا يتعلقون منه بسبب، وإنهم فجار كفار ملحدون زنادقة معطلون [وللإسلام جاحدون، ولمذهب المانوية والمجوس معتقدون، قد عطلوا الحدود] [2]، وأباحوا الفروج، وأحلوا الخمور، وسفكوا الدماء، ومنهم من ادعى الربوبية، قال: وكتب فيه من الأعيان: الشريف الرضي والمرتضى[3] وأبو حامد الأسفرايني[4] وأبو الحسين القدوري[5] وجماعة من علماء بغداد وأعيانهم[6].

حُكي أن الحاكم[7] جلس يوما، وفي مجلسه من أعيان دولته جماعة، فقرأ بعض الحاضرين [قوله تعالى][8]: ﴿فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدون في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾[9] والقارئ يشير بيده إلى الحاكم/ [105/ب] في أثناء قراءته، فلما فرغ قام رجل يعرف بابن المسجر[10] بضم الميم وفتح السين

(1) عبارة: ب، ج، ه: عليه وعليهم.

(2) ما بين معقوفين ساقط كله من: ج.

(3) علي بن الحسين بن موسى بن محمد، أبو القاسم، من أحفاد الحسين بن علي الشريف، المرتضى من أئمة علم الكلام والأدب والشعر، توفي عام 436هـ راجع معجم الأدباء 13/ 146 الوفيات 3/ 313. لسان الميزان 4/ 223.

(4) أحمد بن محمد بن أحمد الإسفرايني، أبو حامد، من أعلام الشافعية، توفي عام 406هـ. راجع طبقات الشافعية 3/ 24 طبقات الفقهاء للشيرازي: 103. الوفيات 1/ 72.

(5) أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان، أبو الحسن القدوري، فقيه حنفي، توفي عام428هـ راجع تاريخ بغداد 4/ 377. الوفيات 1/ 78. شذرات الذهب 3/ 233 النجوم الزاهرة 5/ 24

(6) الحكاية وردت في السكردان: 441-442.

(7) سبقت الإشارة إليه.

(8) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(9) النساء: 64.

(10) لم أقف عليه.

والجيم بعدها راء. وكان رجلا صالحا، وقرأ قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولواجتمعوا له، وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه﴾[1]. فلما انتهت قراءته وسكت تغير لون الحاكم، ثم أمر له بمائة دينار، ولم يعط القارئ الأول شيئا، فلما خرج القارئ الثاني قال له بعض أصحابه: أنت تعرف خلق الحاكم ولا تأمن حقده عليك وأن يفعل بك سوء، والمصلحة أن تغيب عنه. قال: فتجهز الرجل للحج وركب البحر فغرق، فرآه بعض أصحابه في المنام فسأله عن حاله فقال: ما قصر صاحب المركب أرسى بنا على باب الجنة[2].

حَكى الصولي[3] أن كل سادس من هذه الأمة من الخلفاء والملوك لا بد أن يخلع، فأول من قام بالأمر رسول/ الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن [120/ج] رضي الله عنهم، والحسين[4] السادس فخلع، ثم معاوية وابنه يزيد وابنه معاوية ثم مروان وعبد الملك وعبد الله بن الزبير فخلع وقتل. ثم الوليد بن عبد الملك ثم سليمان ثم عمر بن عبد العزيز، ثم يزيد ثم هشام ثم الوليد بن يزيد فخلع وقتل، قلت: ولم يل بعد ذلك من بني أمية من بلغ ستة ثم أتى الله[5] بعد ذلك بالدولة العباسية فكان أولهم السفاح ثم المنصور ثم المهدي ثم الهادي ثم الرشيد ثم الأمين فخلع وقتل ثم المأمون ثم/ المعتصم ثم الواثق ثم المتوكل ثم/ المنتصر ثم المستعين [111/د][91/هـ] فخلع، ثم ردي وقد انتهى كلام الصولي، قلت: قال صاحب كتاب رأس مال

---

(1) المؤمنون: 71.

(2) الحكاية وردت في الوفيات 5/ 295. السكردان: 445.

(3) أظنه أراد أبا بكر الصولي محمد بن يحيى من علماء الأخبار(ت: 335هـ)، راجع تاريخ بغداد 3/ 427.

(4) أ: الحسن.

(5) أ: إليه.

النديم[1]: ثم القاهر[2] ثم الراضي[3] ثم المتقي[4] ثم المستكفي[5] ثم المطيع[6] ثم الطائع[7] فخلع. انتهى.

قلت: ثم القادر[8] ثم القائم[9] ثم المقتدي[10] ثم المستظهر[11] ثم المسترشد[12]

---

(1) هو أبو العباس أحمد بن علي القاشاني، كان أديبا صنف رأس مال النديم في التاريخ، راجع نكت الهميان: 4. وهدية العارفين 1/ 748.

(2) محمد بن أحمد بن طلحة العباسي، أبو منصور، أمير عباسي (287-339هـ)، راجع تاريخ بغداد 1/ 339. النجوم الزاهرة 3/ 303هـ.

(3) محمد بن المقتدر بالله، أبو العباس، الراضي بالله، خليفة عباسي (297-329هـ)، راجع تاريخ بغداد 2/ 142. فوات الوفيات 3/ 321. البداية والنهاية11/ 196 وفيه كما في الكامل اسمه أحمد.

(4) إبراهيم (المتقي) بن (المقتدر بالله) جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن الموفق بن المتوكل أبو إسحاق، خليفة عباسي. (297-357هـ)، راجع مروج الذهب 5/ 231. راجع تاريخ بغداد: 51 والوفيات 1/ 7.

(5) عبد الله (المستكفي بالله)، بن علي المكتفي بن المعتضد، أبو القاسم، من خلفاء الدولة العباسية(292-338هـ)، انظر مروج الذهب 5/ 244. تاريخ بغداد 10/ 10.

(6) الفضل (المطيع لله) بن جعفر (المقتدر بالله) بن المعتضد العباسي، أبو القاسم، من خلفاء الدولة العباسية: (301-364هـ)، راجع مروج الذهب5/ 258 الفوات 3/ 182.

(7) عبد الكريم بن الفضل المطيع بن المقتدر، أبو الفضل خليفة عباسي (317-393هـ)، راجع تاريخ بغداد 11/ 79. الفوات 2/ 375.

(8) أحمد بن إسحاق بن المقتدر، أبو العباس، القادر بالله (336-422هـ)، راجع تاريخ بغداد 4/ 37. النبراس لابن دحية: 127 وتاريخ الخلفاء: 655.

(9) عبد الله بن أحمد القادر بالله بن إسحاق ، أبو جعفر توفي سنة 467هـ راجع تاريخ بغداد 9/ 388. فوات الوفيات 2/ 157 والنبراس: 136.

(10) عبد الله بن محمد بن القائم بن المقتدر، أبو القاسم. (448-487هـ)، راجع فوات الوفيات 2/ 219. النجوم الزاهرة 5/ 139.

(11) أحمد بن عبد الله (المقتدي) بن محمد بن القائم، أبو العباس من الخلفاء العباسيين الذين كانت لهم سيرة ممدوحة (470-512هـ)، راجع تاريخ الخلفاء: 678.

(12) الفضل (المسترشد) بن أحمد بن المقتدي، أبو منصور، كان شجاعا عالي الهمة (485-529هـ)، راجع فوات الوفيات 3/ 179، المنتظم 10/ 53. تاريخ الخميس 2/ 361.

ثم الراشد[1]/ ثم المقتفي[2]. ثم المستنجد[3] ثم المستضيء[4] ثم الناصر[5] ثم [1/80] الظاهر[6] ثم المعتصم فخلع وقتل. قلت: وكذلك الدولة العبيدية كان أولهم المهدي عبيد الله[7] والقاهر بأمر الله[8] والمنصور[9] صاحب إفريقية والمعز[10] باني القاهرة والعزيز[11] والحاكم[12] فقتلته أخته وولت ابنه الظاهر[13] والمستنصر[14]

---

(1) المنصور بن الفضل بن المستظهر (504-532هـ)، راجع فوات الوفيات 4/ 816/ تاريخ الخلفاء: 694.

(2) محمد بن أحمد المقتفي بن المستظهر من أعظم الخلفاء العباسيين (489-555هـ)، انظر ترجمته في تاريخ الخلفاء: 696.

(3) يوسف (المستنجد) بن محمد المقتفي بن المستظهر أبو المظفر (510-566هـ)، راجع فوات الوفيات 4/ 358. تاريخ الخميس 2/ 363.

(4) الحسن بن المستنجد بالله يوسف بن المقتفي العباسي، أبو محمد (536-575هـ)، راجع فوات الوفيات 1/ 269. تاريخ الخلفاء: 707.

(5) أحمد بن الحسن المستضيء بأمر الله الحسن بن المستنجد، أبو العباس، الناصر لدين الله. انظر تاريخ الخميس 2/ 366 تاريخ الخلفاء: 713.

(6) محمد بن أحمد، أبو نصر الظاهر بن الناصر بن المستضيء: (571-623هـ)، تاريخ الخميس 2/ 369. البداية والنهاية 13/ 112

(7) عبيد الله بن محمد الحبيب بن جعفر، الفاطمي، جد العبيديين الفاطميين (259-322هـ)، انظر الوفيات 3/ 117. الشذرات 2/ 294.

(8) لعله القائم بأمر الله كما في تاريخ الخميس 2/ 386.

(9) إسماعيل بن محمد بن عبيد الله المهدي، ثالث خلفاء الدولة الفاطمية (302-341هـ)، انظر ترجمته في الوفيات 1/ 234.

(10) معد بن إسماعيل (المنصور) بن القائم، المعز لدين الله العبيدي الفاطمي (319-365 هـ)، راجع الوفيات 5/ 224. المنتظم 7/ 82. البيان المغرب 3/ 262.

(11) نزار بن معد بن المنصور العبيدي العزيز بالله أبو منصور الفاطمي (344-386هـ)، راجع الوفيات 5/ 371. خطط المقريزي 2/ 160.

(12) انظر الهامش 57 من الباب نفسه.

(13) علي بن منصور بن العزيز بن المعز، أبو الحسين الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله. (395-427هـ)، راجع الوفيات 3/ 407. المنتظم 8/ 90. وخطط المقريزي 2/ 160.

(14) معد بن علي بن الحاكم، أبو تميم العبيدي الفاطمي المستنصر بالله (420-487 هـ)، راجع الوفيات 5/ 229. النجوم الزاهرة 5/ 1 وخطط المقريزي 2/ 162 وفي تاريخ الخميس هو المستعين.

والمستعلى[1] والآمر[2] بالله[3] والحافظ[4] والظافر[5] فخلع وقتل، ثم ابنه القادر[6] والعاضد[7] وهو آخرهم. وكذلك بنو أيوب فأولهم صلاح الدين يوسف[8]، وولده العزيز[9] وأخوه الأفضل[10] بن صلاح الدين والعادل الأكبر[11] أخو صلاح الدين والكامل[12] ولده والعادل الصغير[13] قبض عليه[14] أمراء دولته وأحضروا أخاه الصالح نجم الدين ابن أيوب. وكذلك دولة الأتراك، أولهم المعز[15] وابنه

(1) أحمد بن معد (المستنصر بالله)، بن الظاهر، أبو القاسم المستعلي بالله (467-495 هـ)، راجع الوفيات 1/ 178. النجوم الزاهرة 5/ 142.

(2) أ، ج، هـ: الأمير.

(3) منصور بن أحمد بن معد، أبو علي العبيدي الفاطمي (490-524 هـ)، راجع الوفيات 5/ 170.

(4) عبد المجيد بن محمد بن المستنصر، أبو الميمون الحافظ العبيدي الفاطمي (467-544هـ)، راجع الوفيات 3/ 235. شذرات الذهب 4/ 138.

(5) إسماعيل بن عبد المجيد بن محمد بن الظاهر العلوي الفاطمي أبو المنصور الظافر (527-549هـ)، راجع الوفيات 1/ 237 النجوم الزاهرة 5/ 319.

(6) لم يرد من بين العلماء الفاطميين فيما رجعت إليه من كتب التاريخ.

(7) عبد الله (العاضد) بن يوسف بن الحافظ العلوي الفاطمي أبو محمد (544-567 هـ)، راجع الوفيات 3/ 109. النجوم الزاهرة 5/ 307.

(8) سبق ذكره.

(9) عثمان بن يوسف بن أيوب أبو الفتح عماد الدين الملك العزيز من ملوك الدولة الأيوبية (567-595هـ)، راجع الوفيات 5/ 87. النجوم الزاهرة 6/ 120.

(10) سبق ذكره.

(11) سبق ذكره.

(12) محمد بن محمد بن أيوب، الملك الكامل أبو المعالي ناصر الدين. من سلاطين الدولة الأيوبية (576-635 هـ)، راجع الوفيات 5/ 89.

(13) سبق ذكره.

(14) ساقطة من: ب.

(15) هو أيبك بن عبد الله الصالحي النجمي، عز الدين التركماني. أول سلاطين المماليك البحرية في مصر والشام. (توفي حوالي 656هـ)، راجع السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي 1/ 368. تاريخ مصر لابن أياس 1/ 90 والنجوم الزاهرة 7/ 3.

المنصور[1] والمظفر قطز[2] والظاهر[3] وابنه السعيد[4] وأخوه العادل سلامش[5] فخلع، ثم الملك المنصور قلاوون[6] والأشرف ولده[7] وأخوه الناصر[8] محمد بن قلاوون والملك المنصور[9] بن الملك الناصر وأخوه الملك الأشرف كجك[10] وأخوه الناصر أحمد[11] خلع، ثم أخوه الصالح[12] ثم أخوه الملك الكامل شعبان[13]

---

(1) علي بن أيبك التركماني الصالحي، نور الدين، ثاني ملوك دولة المماليك (توفي بعد 657هـ)، راجع السلوك 1/ 405. وتاريخ مصر 1/ 93.

(2) قطز بن عبد الله المعزي، سيف الدين، ثالث ملوك الترك بمصر، توفي حوالي 658هـ راجع السلوك 1/ 417 وتاريخ مصر 1/ 96.

(3) بيبرس العلائي الصالحي ركن الدين، الملك الظاهر، صاحب الفتوحات والأخبار والآثار (625-676هـ)، انظر فوات الفوات 1/ 159. النجوم الزاهرة 7/ 94.

(4) محمد بركة، أبو المعالي ناصر الدين ابن الملك الظاهر بيبرس (658-678 هـ)، راجع السلوك للمقريزي 1/ 641 وتاريخ مصر 1/ 112. النجوم الزاهرة 7/ 259.

(5) سلامش بن بيبرس، سيف الدين الملقب بالملك العادل (670-690 هـ)، سلطن وعمره سبع سنوات ونصف. راجع السلوك 1/ 776. تاريخ مصر 1/ 114. النجوم الزاهرة 7/ 286.

(6) سبق ذكره.

(7) خليل بن قلاوون الصالحي، الملك الأشرف، صلاح الدين بن السلطان الملك المنصور من ملوك مصر (666-693 هـ)، راجع فوات الوفيات: 1: 406 ، والسلوك 1/ 656. النجوم الزاهرة 8/ 3. وتاريخ مصر 1/ 121.

(8) محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحي، أبو الفتح، من كبار ملوك الدولة القلاوونية (484-741هـ)، راجع فوات الوفيات 4/ 35 والدرر 4/ 261. النجوم الزاهرة 8/ 41. وابن اياس 1/ 129.

(9) أبو بكر بن محمد بن قلاوون، سيف الدين الملك المنصور بن الملك الناصر (720-742هـ)، راجع البداية والنهاية 14/ 190.

(10) كجك بن محمد بن قلاوون، علاء الدين الملك الأشرف بن الملك الناصر (734-746هـ)، راجع الدرر الكامنة 3/ 351. البداية والنهاية 14.: 192 والنجوم الزاهرة 10/ 21.

(11) أحمد بن محمد بن قلاوون، بن شهاب الدين، الملك الناصر بن الملك الناصر (716-745 هـ)، راجع الدرر 1: 314 النجوم الزاهرة 10/ 50. البداية والنهاية 14/ 193. وتاريخ مصر 1/ 179.

(12) اسماعيل بن محمد بن قلاوون، أبو الفداء، علاء الدين، الملقب بالملك الصالح (توفي سنة 746هـ)، راجع الدرر 1/ 406. البداية والنهاية 14/ 202. النجوم الزاهرة 10/ 78.

(13) شعبان (الكامل) بن محمد الناصر بن قلاوون، توفي سنة 747هـ راجع تاريخ ابن اياس 1/ 183 والدرر الكامنة 2/ 289 والبداية والنهاية 14/ 216. النجوم الزاهرة 10/ 116. شذرات الذهب 6/ 150.

ثم أخوه الملك المظفر حاجي[1] ثم أخوه الناصر[2].

[106/ب] حُكي أنه اتفق في أيام العادل الكبير[3] سنة سبعة وتسعين وخمسمائة فناء وغلاء/ عظيم. فأكل الناس بعضهم بعضا وهلك خلق كثير من الأغنياء والفقراء. قال أبو شامة[4] في الذيل: إن السلطان الملك الناصر[5] كفر من ماله[6] في مدة يسيرة من هذه السنة نحوا من مائتي ألف وعشرين ألفا، وأكلت الميتات والكلاب في هذه السنة بمصر، وأكل من الصغار والأطفال خلق كثير، كان يشترى الصغير ويؤكل، وكذلك المرأة تؤكل[7]، وكثر هذا في الناس حتى صار لا ينكر بينهم، [121/ج] ثم صاروا يحتالون[8]/ على الناس فيأكلون من يقدرون عليه، وإذا قوي[9] القوي على الضعيف ذبحه وأكله، وفقد خلق كثير من الأطباء في هذه السنة، يدعونه إلى المريض فيذبح ويؤكل، واستدعي بعض الأطباء لمريض فخاف على نفسه فذهب على خوف ووجل، فجعل الرجل الداعي يكبر ويكثر من ذكر الله تعالى ويتصدق في طريقه على من يجده. قال: فسكن روع الطبيب قليلا. قال: فلما

(1) حاجي بن محمد الناصر بن قلاوون، سيف الدين الملقب بالمظفر. توفي سنة 748 هـ راجع الدرر الكامنة 2/ 83. والبداية والنهاية 14/ 219. النجوم الزاهرة 10/ 148. وتاريخ مصر 1/ 186.

(2) حسن بن محمد بن قلاوون، أبو المحاسن (736-762هـ)، راجع البداية والنهاية 14/ 224 وتاريخ مصر 1/ 190. والحكاية وردت في السكردان: 450-451، والغيث المسجم في شرح لامية العجم 2/ 112.

(3) سبق ذكره.

(4) عبد الرحمان بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، أبو القاسم، شهاب الدين أبو شامة، مؤرخ ومحدث باحث. (599-665 هـ)، وهو صاحب كتاب (الروضتين في أخبار الدولتين) وذيل الروضتين، وفيه ترجمته، انظر ص:37. وفي فوات الوفيات 2/ 269. طبقات الشافعية 5/ 61. البداية والنهاية 13/ 250.

(5) سبقت الإشارة إليه.

(6) د: مائة.

(7) ج، هـ: وتؤكل.

(8) د: يتحالون.

(9) د: أقدر.

وصلا إلى دار المريض وجدها الطبيب خربة فارتاب فخرج من الدار رجل وقال لصاحبه: أبطأت جئت لنا بصيد، فلما سمع الطبيب ذلك ولى هاربا، فما خلص إلا بعد جهد جهيد[1].

حُكي أنه وقع الغلاء في زمن المنتصر العلوي، أحد خلفاء مصر، وأكل الناس بعضهم بعضا حتى أن الوزير/ ركب إلى دار الوزارة فلما نزل عن بغلته أخذت [112/د] من غلمانه وأكلت ويقال: إن الملك الكامل[2] لما قتل «صاحب ميافارقين»[3] بعد محاصرتها مدة، بلغ ثمن المكوك[4] من القمح بكيل ميافارقين، خمسة وأربعين ألف درهم ورطل الخبز وهو سبعمائة وعشرون درهما، وكذلك اللحم واللبن بسبعمائة، وأوقية العسل كذلك، وكل بصلة بثلاثة وخمسين درهما، ورأس الكلب بستين درهما، وبيعت بقرة لنجم الدين بخشار[5] بسبعين ألف درهم، فاشترى الملك الأشرف رأسها وكوارعها بستة آلاف وخمسمائة درهم ومن ذلك وأشباهه شيء كثير، نسأل الله سبحانه وتعالى العصمة والسلامة[6].

حُكي أنه كان باليمن خارجي استولى على البلاد، وكان يدَّعي مذهب القرامطة وينتمي إلى صاحب/ مصر الفاطمي[7]، ويتستر بالإسلام، فقتل خلقا كثيرا وشق [92/هـ]

(1) الحكاية وردت في ذيل الروضتين: 19 والسكردان: 451.

(2) محمد بن غازي (المظفر) بن محمد العادل الملقب بالملك الكامل قتل بعد محاصرته أكثر من سنة ونصف. 658هـ. راجع ذيل الروضتين: 205 وشذرات الذهب 5/ 295.

(3) ميافارقين: مدينة قديمة بديار بكر بناها ملوك الفرس، فتحت على يد خالد بن الوليد، انظر ذلك مفصلا في معجم البلدان: ميافرقين.

(4) المكوك: طاس يشرب به، وعند أهل العراق هو مكيال مقداره صاع ونصف. انظر اللسان: مكك.

(5) لم أقف عليه.

(6) الحكاية وردت في ذيل الروضتين: 19. وفيه أنه في سنة 451 هـ في زمن المنتصر بن الظاهر بن الحكم. ولم يرد خبر البقرة التي بيعت لنجم الدين. والسكردان: 452 وفيه أنه في زمن المستنصر العلوي. وكذا في تاريخ مصر 1/ 59.

(7) لعله المعز الفاطمي.

بطون الخوامل وقتل الأطفال، ومات وملك بعده ولده ففعل أشد مما[1] فعل أبوه وبنى على قبر [أبيه][2] قبة عظيمة وصفح حيطانها بالذهب والجوهر وقناديل الذهب وستور الحرير، بحيث لم يعمل مثلها في الدنيا، ومنع أهل اليمن من الحج إلى مكة، وأمرهم بالحج إلى قبر أبيه، فكان الناس يحملون في كل سنة إلى قبر أبيه من الأموال ما لا يحصى، ويطوفون به ومن لا يحمل شيئا قتله، وأقام على البغي والفجور وذبح الأطفال وسبي النساء وسفك الدماء، فكاتب أهل اليمن السلطان صلاح الدين[3] يوسف بن أيوب فجهز إليه أخاه شمس الدولة[4] ففتح اليمن وقتل ابن[5] الخارجي/ ، وكان اسمه عبد النبي بن المهدي، وهدم القبة [81/أ] وأخذ ما فيها من الأموال والجواهر فكانت ستمائة حمل، ونبش قبر الخارجي][6] وأخرج وأحرق حتى عظامه[7].

حكي أن الفضل بن مروان[8] وزير المعتصم كان ظالما غاشما مبيحا للظلم وكان المعتصم يقول: الفضل بن مروان أسخط الله وأرضاني فسلطني الله عليه فصرف وجهه/ عني فخرج من عنده وهو ينشد ويقول: [122/ج]

[الطويل]

[107/ب] تجبرت يا فضل بن مروان فانتظر   فقبلك كان الفضل والفضل والفضل/

(1) أ، ب، د، هـ: ما.

(2) زيادة من: ب، ج، هـ.

(3) سبق ذكره.

(4) ذكره اليونيني في ذيل مرآة الزمان 2/ 297 وكذا في الروضتين 2/ 18.

(5) ساقطة من: ب.

(6) ما بين معقوفين ساقط كله من: ب.

(7) الحكاية وردت في السكردان: 454.

(8) الفضل بن مروان بن ماسرجس. وزير كان حسن المعرفة بخدمة الخلفاء، استوزره المعتصم العباسي (170-250هـ)، راجع الوفيات 4/ 45. النجوم الزاهرة 2/ 233.

ثلاثة أملاك مضوا لسبيلهم أبادهم التغيير والموت والقتل
فإن كنت قد أصبحت للناس ظالما ستردى كما أردى الثلاثة من قبل[1]

قال: فلما سمع الفضل أبياته قال: ما الذي أراد بقوله؟ فقيل له: [إنه أراد][2] الفضل بن يحيى[3]، والفضل بن سهل[4]، والفضل بن الربيع[5] فتغير وجهه ولم يلبث إلا أياما يسيرة حتى قبض[6].

حُكي أنه كتب أبو مسلم الخراساني[7] إلى أبي جعفر المنصور يخطب منه ابنة عني بن عبد الله[8] وكتب إليه: عافانا الله وإياك، فنقم عليه ذلك، واستشار فيه مسلم بن قتيبة[9] فقال: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾[10] فقال المنصور: حسبك يا أبا أمية، لقد أصبت الغرض، ثم استدعاه ولم يأذن لأحد معه، فلما دخل عليه وأخذ مجلسه سأله أن يريه سيفه، فلما تناوله أخذ يذكره فعلاته التي نقمها عليه وهو

(1) الأبيات وردت في الوفيات 4/ 45. وفيه أن المرزباني نسبها للشاعر الهيثم بن فراس لكنها غير واردة في المعجم المطبوع. وغرر الخصائص: 60 والمستطرف 1/ 186 والمخلاة: 305 مع اختلاف قليل بين الروايات.

(2) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(3) الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي وزير الرشيد العباسي(147-193هـ)، راجع تاريخ بغداد 12/ 334. الوفيات 4/ 27.

(4) الفضل بن سهل السرخسي، أبو العباس، وزير المأمون العباسي (154-202هـ)، راجع تاريخ بغداد 12/ 339. الوفيات 4/ 41.

(5) الفضل بن الربيع بن يونس، أبو العباس، كان وزيرا للرشيد وهو صاحب نكبة البرامكة (138-207 هـ)، راجع تاريخ بغداد 12/ 343. الوفيات 4/ 37. البداية والنهاية 10/ 263.

(6) الحكاية وردت في الوفيات 4/ 45 مع اختلاف في الرواية.

(7) عبد الرحمان بن مسلم، مؤسس الدولة العباسية وأحد كبار القادة. (100-137 هـ)، راجع تاريخ بغداد 10/ 207. الوفيات 3/ 145. لسان الميزان 3/ 436.

(8) سبق ذكره.

(9) هو سلم وليس مسلم بن قتيبة أبو عبد الله الباهلي خدم بني أمية وبني العباس (ت 149 هـ)، انظر الكامل في التاريخ 5/ 590 والنجوم الزاهرة 2/ 11.

(10) الأنبياء: 22.

يعتذر، ثم ركضه برجله فوثب عليه المرصدون لقتله، فقال: استبقيني لأعدائك. فقال: وأي عدو أعدى منك؟ فقتلوه وأخرج إلى قواده بالجوائز والخلع فقسمت عليهم ثم رمى برأسه إليهم/ فتفرقوا وجعلوا يقولون مضى مولانا بالدراهم إنا لله وإنا إليه راجعون. وفيه يقول أبو دلامة[1] واسمه زيد[2] بن الجون[3] وكان وعده بالقتل: [113/د]

[الطويل]

أبا[4] مجرم ما غير الله نعمة	على العبد إلا أن يغيرها العبد[5]
افي دولة المنصور حاولت غدرة	ألا إن أهل الغدر آباؤك الكرد
أبا مجرم خوفتني القتل فانتحى	عليك بما خوفتني الأسد الورد[6]

ومولد أبي مسلم على رأس المائة، وقتله سنة سبع وثلاثين ومائة، واسمه عبد الرحمان بن مسلم بن عبد القيس، وكان مولى لإدريس جد أبي دلف[7]، وكان مولاه مسجونا بالكوفة، وأبو مسلم معه يخدمه فرأى بكر بن ماهان[8] منه طرافة وحذقا[9] فقال لإدريس: ما هذا الغلام؟ قال: هذا مملوك لي. قال: بعه لي. قال:

(1) أبو دلامة زند بن الجون(ت161هـ)، كوفي أسود، مولى لبني أسد، مدح أبا جعفر المنصور لما قتل أبا مسلم الخرساني بقصيدة طلب فيها من أبي جعفر عشرة آلاف درهم فأمر له بها. راجع تاريخ بغداد 8/ 488. الأغاني 10/ 235 والوفيات: 2/ 320 معجم الأدباء 11/ 165. بروكلمان 2/ 18.

(2) أ: زيد.

(3) هـ: ابن الجور.

(4) أ، هـ: أيا.

(5) في الأغاني: 10/ 235 أبا مسلم ما غير الله نعمة على العبد حتى يغيرها العبد

(6) اختلف ترتيب الأبيات في الأغاني فكان هذا البيت في الرتبة الأولى مع سقوط البيت الثاني. والأبيات وردت في الأغاني 10/ 235 والوفيات 3/ 155. وغرر الخصائص: 75-76.

(7) سبق ذكره.

(8) لم أقف عليه، ولعله أبو بكر بن ماهان.

(9) أ: وضرفا.

هو لك بها شئت، فأعطاه أربعمائة درهم وأخذه وبعث به إلى إبراهيم [1] بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، المنعوت بالإمام، فدفعه إبراهيم إلى موسى الروح [2] فسمع منه وحفظ عنه وما زال فوره [3] ينبل/ إلى أن أرسله إبراهيم بالدعوة لبني [93/هـ] العباس سنة ثمان وعشرين ومائة، فقدم خراسان يدعو الناس إلى طاعتهم [4] في شهر رمضان سنة تسع وعشرين ومائة، فنزل قرية من قراها، وبعث [5] دعاته، فقال الناس: رجل من بني هاشم قد ظهر، له حلم ووقار وسكينة، فانطلق فتية/ [123/ج] من أهل مرو فأتوا أبا مسلم في عسكر فسألوه عن نسبه، فقال لهم: خبري خير لكم من نسبي، فسألوه شيئا من الفقه فقال: نحن إلى دعوتكم أحوج منا إلى مسألتكم، ولم يزل في الدعوة إلى أن أظهر الله الدعوة العباسية فقيل لأبي مسلم: ما كان سبب انتقال الدعوة من بني أمية إلى بني العباس؟ فقال: لأنهم أبعدوا أولياءهم ثقة بهم، وقربوا أعداءهم تعطفا فصار الولي عدوا بالبعد ولم يصر العدو وليا بالقرب، وأنشد يقول/ : [108/ب]

[البسيط]

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت ... عنه ملوك بني مروان إذ حسدوا/ [82/أ]
ما زلت أضربهم بالسيف فانتبهوا ... من رقدة، لم ينمها قبلهم أحد

---

(1) إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، زعيم الدعوة العباسية ورأس الخارجين على بني أمية. (82-131هـ)، راجع مروج الذهب: بداية الدولة العباسية الجزء 4. الكامل في التاريخ 5/ 422.

(2) أظنه أراد به موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي، أمير عباسي كان يصبو إلى الخلافة قبل المنصور. انظر الوزراء والكتاب للجهشياري: 217-220.

(3) لعله أراد هنا القوة والشدة.

(4) أ: طاعته.

(5) ج: فبعث.

ومن رعى غنما بأرض مسبعة ونام عنها تولى رعيها لأسد[1]

وقيل: أحصي من قتله أبو مسلم صبرا فكانوا ستمائة ألف، وقيل لبعضهم: أيهما خير، الحجاج أم أبو مسلم؟ فقال: لا أقول بخيرة أحدهما، أبو مسلم فيه تؤدة في نفسه لم يُرَ عليه سرور ولا حزن، ولم ير ضاحكا ولا باكيا، ولا يأتي النساء إلا مرة في السنة ويقول: الجماع جنون، ويكفي الرجل أن يجن في السنة مرة[2]، وسيأتي بعد ذلك خبر انتقال الدولة من بني أمية إلى بني العباس بأبسط من ذلك.

حُكي لما أراد المعتصم أن يشرف أشناس[3] التركي[4]، أمر أصحاب المراتب أن يترجلوا له، فكان فيمن ترجل/ الحسن بن سهل[5] فرآه حاجبه يمشي ويعثر فبكى [114/د] رحمة له، فقال: لا يهمك ما ترى، إن هذه الملوك شرفتنا ثم شرفت بنا. قيل: ولما عزل مسلم بن قتيبة[6] عن رياسة بني تميم قال شاعرهم:

[الوافر]

فإن تك قد عزلت فلا عجيب[7] ضياء الشمس يمحوه الظلام[8]

وقال آخر فيه:

---

(1) الأبيات وردت في الوفيات 3/ 152. مع اختلاف قليل بين الروايتين. وغرر الخصائص: 181 والمستطرف 1/ 296.

(2) الحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 137-143 والوفيات 3/ 145-155. والغرر: 181، والمستطرف 1/ 296.

(3) د: الناس.

(4) قائد تركي من قواد المعتصم والواثق توفي حوالي 230هـ. انظر فتوح البلدان: 297. تاريخ اليعقوبي 2/ 586.

(5) الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي، أبو محمد، وزير المأمون العباسي (166-236 هـ)، راجع تاريخ بغداد 7/ 319. الوفيات 2/ 120.

(6) سبق ذكره.

(7) أ: عجب.

(8) البيت ورد في غرر الخصائص: 77.

[الكامل]

عزلوه كالذهب المصفى لا يرى   حالا[1] مغيرة له عن حال
لم يعزلوا الأعمال عنه وإنما   عزلوا[2] العفاف به عن الأعمال[3]

قال مطرف[4]: «لا تنظروا إلى خفض عيش الملوك وطيبه ولكن انظروا إلى سوء منقلبهم»[5] وأنشد ابن الأعرابي[6] رحمه الله:

[المديد]

رب قوم رتعوا في نعمة   رغد والعيش ريان غدق[7]
سكت الدهر طويلا عنهم   ثم أبكاهم دما حين نطق[8]

وقال آخر وأجاد[9]:

[البسيط]

لا تغبطن وزيرا للملوك وإن   أحله الدهر منهم فوق رتبته
واعلم بأن له يوما تمور به   الأرض الوقور كما مارت لهيبته/ [124/ج]

---

(1) أ: حال.

(2) ب: عجزوا.

(3) البيتان وردا في غرر الخصائص: 77.

(4) هو مطرف بن مازن أبو أيوب الصنعاني، تولى القضاء بصنعاء اليمن. وتوفي في خلافة هارون الرشيد. انظر الوفيات 5/ 209.

(5) قول مطرف، ورد في غرر الخصائص: 78.

(6) محمد بن زياد، المعروف بابن الأعرابي، أبو عبد الله، راوية، علامة باللغة (150-231 هـ)، راجع تاريخ بغداد 5/ 282. الوفيات 4/ 306. بروكلمان 1/ 119.

(7) العيش ريان غدق: ريان: من الرواء وهو الماء الذي يروي، والغدق: وهو بمعنى الخصب الواسع. اللسان: رين. غدق.

(8) البيتان وردا في الغرر: 78. وتحفة الأريب ونزهة اللبيب لأبي مدين الفاسي.

(9) هو أبو زيادة أبو طالب يحيى بن أبي الفرج (522-594 هـ) راجع معجم الأدباء 20/ 16 وفيه ابن زيادة. والوفيات 6/ 244. الشذرات 4/ 318.

هـارون وهـو أخوموسـى وناصـره لـولا الـوزارة لـم يأخـذ بلحيتـه[1]

حُكي أن الحجاج وفد على عبد الملك بن مروان فأخذا يتجاذبان أطراف المذاكرة فقال له: هل لك في الشراب؟ فقال: [ليس][2] بحرام ما أحللته، ولكني أمنع أهل عملي منه، وأنا آخذ بما قال العبد/ الصالح وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه. قال: فاستحسن ذلك وأعفاه[3]. [94/هـ]

ويقال: دخل إسحاق بن إبراهيم الموصلي[4] على الرشيد فسأله أن يغنيه صوتا اقترحه عليه، فلما غناه لم يكد أن يملك نفسه من شدة الطرب، فقال: تمن علي. فقال: أتمنى عين مروان[5]، يعني ضيعة عظيمة قال: فرأيته وقد دارت عيناه في رأسه حتى خلتهما[6] جمرتين، ثم قال لي: يابن الخنا ! أتريد أن تشهرني[7] بهذه المجالس؟ يقول الناس: أطربه فوهبه عين مروان، أما والله لولا بادرة جهلك غلبت عليها صحة عقلك لألحقتك بمن غبر من أهلك،/ وأطرق إطراق الأفعوان[8]، فرأيت مَلَكَ الموت بيني وبينه ينتظر أمره في، ثم رفع رأسه وقال: يا غلام ! خذ بيد هذا الجاهل، وأدخله بيت المال، ودعه وإياه ! قال إسحاق: فدخلت وأخذت ما يساوي عين مروان أضعافا مضاعفة. [109/ب]

(1) الأبيات وردت في المراجع المشار إليها في ترجمة الشاعر.

(2) زيادة من: ج.

(3) الحكاية متفرقة في الكتب التاريخية التي وردت فيها أخبار الحجاج

(4) إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي الموصلي من أشهر ندماء الخلفاء (155-235هـ)، راجع تاريخ بغداد 6/ 328. الأغاني 5/ 268. الوفيات 1/ 202.

(5) عين مروان: لم أقف عليها.

(6) أ: خلتاهما.

(7) هـ: تشتهرني.

(8) الأفعوان: ذكر الأفاعي، والجمع كالجمع. اللسان: فعا.

حُكي أن بعض الملوك انفرد عن عسكره فعطش فدخل قرية يستسقي[1]، وقصد بابا منها، وإذا فيه امرأة كالقمر فراودها عن نفسها فلم تستطع مخالفته لمعرفتها به، ثم أخرجت له كتابا وقالت: انظر في هذا حتى أصلح من شأني ما يجب، فلما نظر فيه رأى فيه الزجر عن الزنى، وما أعد الله تعالى/ لفاعله من العذاب [83/أ] الأليم، فصرف الملك همته عن ذلك، ثم دفع لها الكتاب ومضى، فلما جاء زوجها أخبرته الخبر فاعتزلها خوفا من الملك، وربما دخلت في خاطره وكان جبارا، فأضر ذلك بحالها، فشكاه أهلها إلى الملك، فقالوا: أيها/ الملك، إن هذا الرجل استأجر [115/د] منا أرضا للزراعة، فزرعها مدة، ثم عطلها الان، وإن الأرض تفسد بالتعطيل، فقال له الملك: ما يمنعك من زرع أرضك؟ فقال له: أيها الملك، إنه قد بلغني أن الأسد قد دخل أرضي وإنه لا طاقة لي بالأسد، فعرف الملك القصة فقال له: إن أرضك أرض طيبة صالحة للزرع فازرع أرضك، فإن الأسد ما بقي يدخل أرضك، بارك الله لك فيها[2].

حُكي لما أراد هارون الرشيد أن ينقل وزارته من الفضل بن يحيى[3] إلى أخيه جعفر بن يحيى[4] قال لو الدهما يحيى[5]: إني أريد أن أنقل الخاتم الذي في يد الفضل إلى يد جعفر فاحتشمت منه فاكفني ذلك. فكتب يحيى إلى[6] الفضل: قد أمر أمير المومنين أعلى الله قدره، وأنفذ أمره، أن ينقل خاتمك من يمينك لشمالك، فأجاب الفضل: قد فهمت ما أراد مني في أخي، وما انتقلت عني نعمة صارت إليه، ولا

(1) ج، د: يستقي.
(2) الحكاية وردت في ثمرات الأوراق بتصرف. انظر ج 2/ 228.
(3) سبقت الإشارة إليه.
(4) سبق ذكره.
(5) سبق ذكره
(6) د: ابن الفضل.

غربت عني رتبة طلعت عليه[1].

[125/ج] حُكي أن السفاح خطب لما قتل مروان[2]/ بن محمد الجعدي وبويع له، فقال في خطبته، وتلى قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار، جهنم يصلونها وبئس القرار﴾[3] ثم قال: نكص بكم[4] يا أهل الشام[5]، آل حرب وآل مروان، ما يقول زعماؤكم؟ يقولون: ﴿ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار﴾[6] فيقول الله وفاء لما وعد: ﴿لكل ضعف ولكن لا تعلمون﴾[7] أما أنا فقد غفرت لكم الزلة، وبسطت لكم الإقالة، وعذت بفضلي على نقصكم وبحلمي على جهلكم فليسكن روعكم وليطمئن جاركم وليعظكم مصارع أوليائكم، ﴿فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا﴾[8].

حُكي أن المنصور خطب فقال: أيها الناس، اتقوا الله، فقام إليه رجل وقال: اذكر من ذكرتنا به، فقال: قل سمعا وطاعة لمن سمع عن الله وذكر به، ومحال أن أذكر وأنساه، ﴿لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين﴾[9]، وأما أنت أيها الرجل فما أردت بهذا وجه الله ولكن ليقال: قام فقال فعوقب فصبر![10] وأهون بها لو كانت، وأحضكم أيها الناس عليها فإن الموعظة فينا نزلت، وعنا أخذت وبيننا نبتت،

(1) الحكاية وردت في زهر الآداب 2/ 385 وغرر الخصائص: 149.
(2) ساقطة من: د.
(3) الأعراف: 36.
(4) ب: فيكم.
(5) هـ: السلام.
(6) إبراهيم: 30-31.
(7) الأعراف: 36.
(8) النمل: 52. والحكاية وردت في العقد الفريد 4/ 184-185. جمهرة خطب العرب 3/ 8.
(9) الأنعام: 56.
(10) لعله يعني العقوبة.

فرحم الله امرءا عمل في دنياه لآخرته، فمشى القصد، ونال الفضل، وجانَب الهجر. قال: ثم أخذ بقائم سيفه ثم قال: إن داءكم/ هذا دواؤه وأنا زعيم لكم [١١٥/ب] بشفائه، فليعتبر/ عبد قبل أن يُعتَبر به، فما بعد الوعيد إلا الإيقاع، وتلا قوله تعالى: [٩٥/ب] ﴿إنما يفتري الكذب الذين لا يومنون بآيات الله﴾[1].

حكى أبو القاسم الأيادي[2] أن جماعة من بني أمية دخلوا على السفاح وفيهم هشام[3] عم سليمان بن عبد الملك فألح عليه السفاح بالنظر، فلما رأى ذلك منه أنشده يقول:

[الخفيف]

عبد شمس أبو ك وهو أبو نا ... لا تناديك من مكان سحيق

والقرابات[4] بيننا موشجات[5] ... محكمات العرى بحبل وثيق[6]

قال: فأعجبه ذلك منه وأجلسه معه على السرير، وأقعد أصحابه يمينا وشمالا، ثم قال لهم: إني/ أريد أن أستخلصكم لنفسي فشكروه على ذلك، [فبينما هم على [116/د] ذلك][7] إذ دخل عليهم سديف[8]، فأنشد للسفاح قصيدته التي أولها يقول:

ظهر الدين فاستبان مليا[9]

(1) النحل: 105 والحكاية وردت في العقد 4/ 186 وعيون الأخبار 2/ 336 وجمهرة خطب العرب 3/ 2.

(2) هو علي بن محمد بن علي بن يعقوب ، أبو القاسم الإيادي، كان ثقة يتفقه على مذهب مالك، توفي سنة 414هـ انظر تاريخ بغداد 13: 579

(3) هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أبو الوليد عاشر خلفاء بني أمية (72-125هـ)، وفي غرر الخصائص هو الغمر بن هشام. انظر ترجمة هشام في تاريخ الخلفاء: 96 تاريخ الخميس 2/ 318.

(4) هـ: القرابة.

(5) أ: مسجات.

(6) البيتان وردا في غرر الخصائص: 108-109 وورد البيت الثاني برواية مختلفة. في اللسان: وشج.

(7) ما بين معقوفين ساقط من: د.

(8) سديف بن إسماعيل بن ميمون، مولى بني هاشم، شاعر حجازي توفي حوالي 136هـ طبقات الشعراء: 37 وفيه: سديف بن ميمون. الشعر والشعراء 2/ 765. الأغاني 16/ 142.

(9) هذه القصيدة لم أقف عليها.

فقال السفاح لسليمان: يا ابن هشام! كيف شاعرنا؟ فقال لحينه معجلا: شاعرنا أكثر بيانا وأفصح لسانا، فاحمرت عيناه غضبا وهاجت حميته، ثم ضرب على فخذه وقال في الحال بالارتجال:

[الكامل]

طمعت أمية أن تجاهي هاشم   عنها ويذهب زيدها وحسينها
كلا ورب محمد ومليكه   حتى يباد كفورها وخؤونها[1]

قال: ثم قال لهم: قوموا إلى مقصورتكم، ثم دعا بجماعة من أهل خراسان فأعطاهم الخشب/ وقال: أشدخوهم[2] فشدخوهم/ عن آخرهم، قال سديف: ما خرجت حتى رأيتهم معلقين بعراقيبهم وقد نهشت الكلاب رؤوسهم وأجسادهم[3]. [126/ج][84/أ]

حُكي أنه اجتمع جماعة من الشعراء بباب المعتصم فبعث إليهم يقول: من كان منكم يحسن أن يقول ما يقول منصور النمري[4] في الرشيد فليدخل علينا، وهي هذه الأبيات:

[البسيط]

إن المكارم والمعروف أدوية   أحلك الله منها حيث تجتمع
إذا رفعت امرئ فالله رافعه   ومن وضعت من الأقوام يتضع
من لم يكن بأمين الله معتصما   فليس بالصلوات الخمس ينتفع

(1) البيتان وردا في غرر الخصائص: 109.

(2) الشدخ: كسر الشيء الأجوف كالرأس. اللسان: شدخ.

(3) الحكاية وردت في غرر الخصائص: 108-109.

(4) منصور بن الزبرقان بن سلمة بن شريك النمري، أبو القاسم، شاعر، توفي نحو190هـ. راجع الشعر والشعراء 2/ 863 وفيه: منصور بن سلمة بن الزبرقان. والأغاني 13/ 157-175. وتاريخ بغداد 13/ 65.

إن أخلف الغيث لم تخلف أنامله   أوضاق أمر ذكرناه فيتسع[1]

فقال محمد بن وهيب[2]: فينا من يقول خيرا منه وأنشد يقول:

[البسيط]

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها   شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر
يحكي أنامله في كل نائبة   الليث والغيث والصمصامة الذكر[3]

قال: فأمر بإدخاله وأحسن جائزته. ويقال: إن النمري كانت زوجته في المخاض فمر به العتابي[4] فقال له: مالك؟ فقال: امرأتي في المخاض منذ ثلاث، ونحن على يأس منها. فقال له العتابي: إن دواءها معك، قل: يا هارون الرشيد! فإن الولد يخرج. فقال له النمري: شكوت إليك ما بي فأجبتني بمثل/ هذا. فقال: [111/ب] ما أخذته إلا من قولك:

[البسيط]

[إن أخلف الغيث لم تخلف أنامله   أوضاق أمر ذكرناه فيتسع[5]][6]

فقال النمري: يا هارون الرشيد! فجاء البشير بوضعها غلاما[7]، وهذا غريب.

---

(1) الأبيات وردت في شعر النمري: 97. والأغاني ما عدا البيت الثالث. انظر الجزء 13/ 165-167. وورد البيت الأول منها في تاريخ بغداد 13/ 143. وورد البيتان الأولان في المستطرف 1/ 180 وديوان المعاني 1/ 59.

(2) محمد بن وهيب الحميري، أبو جعفر، شاعر من شعراء الدولة العباسية، توفي حوالي 225هـ راجع معجم الشعراء: 357 والأغاني 17/ 142.

(3) الصمصامة والصمصام: بمعنى واحد للسيف الصارم الذي لا ينثني. انظر اللسان: صمم. والبيتان وردا في الوفيات منسوبين للبحتري 7/ 351.

(4) كلثوم بن عمرو بن أيوب من بني عتاب، شاعر مجيد (توفي حوالي 220هـ)، راجع الشعر والشعراء 2/ 867. ومعجم الشعراء: 244 وتاريخ بغداد: 488. بروكلمان 1/ 120.

(5) هـ: فيتبع.

(6) ما بين معقوفين ساقط من: د.

(7) الحكاية وردت في الأغاني 19/ 4، وزهر الآداب 3/ 703، وقصة المخاض وردت في شعر النمري: 9. وطبقات ابن المعتز: 242-243. وديوان المعاني 1/ 59.

حُكي أن محمد الأمين بينما هو يطوف بقصره إذ مر بجارية له سكرى، وعليها كساء عز تسحب[1] أذيالها فراودها عن نفسها فقالت: إنا على ما ترى ولكن إذا كان في غد أكون في خدمتك. فلما كان من الغد قال لها/ : الميعاد. فقالت: كلام الليل يمحوه النهار. قال: فخرج إلى مجلسه فقال: من بالباب من الشعراء؟ فقيل له: مصعب[2] والرقاشي[3] وأبو نواس، فأمر فأدخلوا عليه. فقال: ليقل كل واحد منكم شعرا يكون آخر ذلك الشعر[4] كلام الليل يمحوه النهار، فابتدر الرقاشي فقال/ : [96/هـ] [117/د]

[الوافر]

متى تصحو وقلبك مستطار ... وقد منع القرار فلا قرار
وقد تركتك محبا مستهاما ... فتاة لا تزور ولا تزار[5]
إذا استنجزت منها الوعد قالت: ... كلام الليل يمحوه النهار[6]

وقال مصعب/ : [127/ج]

[الوافر]

أتعذلني وقلبك مستطار ... كئيب لا يقر له قرار

---

(1) د: تحسب.

(2) مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، أبو عبد الله، علامة بالأنساب وشاعر وثقة في الحديث. (156-236 هـ)، معجم الشعراء: 327. تاريخ بغداد 13/ 112. تهذيب التهذيب 10/ 162.

(3) الفضل بن عبد الصمد بن الفضل الرقاشي البصري، أبو العباس، شاعر مجيد (ت نحو 200هـ)، معجم الشعراء: 180 تاريخ بغداد 12/ 345. الأغاني16/ 260. فوات الوفيات 3/ 183.

(4) عبارة د: آخر الشعر ذلك.

(5) الصب: المشتاق. انظر اللسان: صبب.

(6) الأبيات وردت في العقد الفريد 8/ 115 بنفس الرواية، وديوان الصبابة: 205 -206 وحلبة الكميت: 162. وروضة الأزهار 24 وبدائع البدائه: 251.

بحب مليحة صادت فؤادي ... بألحاظ يخالطها[1] احورار[2]
ولما أن مددت يدي إليها ... لألمسها[3] بدا منها النفار[4]
فقلت لها: عديني منك وعدا ... فقالت: في غد منك المزار
فلما جئت مقتضيا فقالت: ... كلام الليل يمحوه النهار[5]

وقال أبو نواس:

[الوافر]

وخود قد مشت[6] في القصر سكرى ... ولكن زين السكرَ الوقارُ[7]
وهز الريح أردافا ثقالا ... وغصنا فيه رمان صغار
وقد سقط الردى عن منكبيها ... من الحركات وانحل الإزار/ [85/أ]
وقد وعدت بوصل ثم لما ... أتيت له وفي الأحشاء نار
فقلت الوعد سيدتي، فقالت: ... كلام الليل يمحوه النهار[8]

فقال له الأمين: أخزاك الله! أكنت معنا أو مطلعا علينا؟ فقال: بل علمت ما في نفسك فترجمت عما في ضميرك، فأعجبه ذلك وأجازه[9].

حُكي أن المنصور خرج يوما إلى مجلسه المعد للقضاء، ثم نادى الحجاب والبوابين

---

(1) أ: يخالطه.

(2) الحور: أن تسود العين كلها مثل أعين الضباء والبقر، وهو مستعار للنساء. انظر اللسان: حور.

(3) د: لأمسها.

(4) ب، ج، د، هـ: الفار.

(5) الأبيات وردت في العقد 8/ 115 مع اختلاف بسيط بين الروايتين. وديوان الصبابة و حلبة الكميت: 162. وروضة الأزهار: 24.

(6) ب، د: مست. زيادة من: ب، ج، هـ.

(7) الخود: الفتاة الشابة الحسنة الخلق. اللسان: خود.

(8) الأبيات لم ترد في الديوان ووردت في العقد 8/ 116. وديوان الصبابة: 205-206 وحلبة الكميت: 162.

(9) الحكاية وردت في العقدة 8/ 115. وديوان الصبابة: 205-206 وحلبة الكميت: 162.

واغتاض عليهم وقال: ألم آمركم أن تمنعوا سفلة الناس ألا يدخلوا مجلسنا فيكتبون لنا فيه ما لا يليق؟ فقالوا: والله لم يدخل أحد. قال: فمن الذي كتب لنا على الحائط هذا الشعر:

[الطويل]

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت سنوك وأمر الله لا شك نازل

[112/ب] أبا جعفر هل كاهن أو منجم يرد قضاء الله أم أنت جاهل[1]/

فقال الحاجب: يا سيدي: والله ما أرى الحائط إلا أبيض نقيا، فقال: هذه نفسي نعيت إلي، علي بالرحيل إلى حرم ربي. فخرج حاجا، قال: فزلقت به ناقته بالحجون[2] عند بئر ميمون[3] في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة، فمات رحمه الله تعالى[4].

حُكي أن معاوية، رضي الله عنه، دخل عليه[5] رجل فسأله شيئا وقال له: [لي][6] عليك حقان. الأول: حق الإسلام، والثاني: حق القرابة. فقال له معاوية: من أي قرابتنا أنت؟ قال: فانتسب إلى خزيمة[7] فقال له معاوية: لقد أدليت بقرابة [118/د] بعيدة، فقال/ الرجل: قال رسول الله ﷺ: «الرحم يوصل ولو يلقيك إلى ثلاثين

(1) البيتان وردا في مروج الذهب 4/ 163. والكامل في التاريخ 6/ 22 وشرح المقامات للشريشي 2/ 51. وقصص العرب: 1/ 115.

(2) الحجون: الجبل المشرف مما يلي شعب الجزارين بمكة وقيل هو موضع بمكة فيه اعوجاج. اللسان: حجن. ومعجم البلدان: الحجون.

(3) بئر ميمون بأعلا مكة، ذكره ياقوت في معجمه.

(4) الحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 162 ولم يرد فيه خبر زلق الناقة. والكامل في التاريخ 6/ 22. تاريخ الطبري 9/ 321. وشرح المقامات 2/ 51.

(5) ساقطة من: ج.

(6) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(7) أراد خزيمة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة وهم بطن من قريش. انظر معجم قبائل العرب لكحالة 1/ 343.

أباه»[1]. فقال معاوية: اللهم اشهد، ثم وصله بمال، فقال له[2]: هذا أجهز به ابني[3] فاعطني مثله أصلح به حالي. فأعطاه. فقال له ابنه: يا أبت! حسبك. فقال له: يا بني! إنما مثلنا مع أمير المومنين كما قال الأول[4]:/ [128/ج]

[الوافر]

نقلبه لنخبر حالتيه فتلقى عنده كرما ولينا
نميل على جوانبه كأنا إذا ملنا نميل إلى أبينا[5]

فقال معاوية للولد: فاسأل حاجتك فقال: لأن حسبنا المومن لا يحتشم ولا يغتم[6].

حُكي أن معاوية خطب، وهي آخر خطبة خطبها فقال: أيها الناس! إنه من زرع قد احتصد، وإنه لن ياتيكم بعدي إلا من هو شر مني، كما كان من قبلي خير مني، وأنت يا يزيد! إذا دنا أجلي فول غسلي رجلا لبيبا فإن اللبيب من الله بمكان، ثم اعمد إلى منديل في الخزانة/ فيه ثوب من ثياب النبي ﷺ وقراضة[7] من شعره، [97/هـ] وأظفاره ﷺ، فاجعل الثوب على بدني دون أكفاني واستودع القراضة منافذ وجهي، فإذا أدرجتموني في جديدي ولحدي فخلوا بين معاوية وأرحم الراحمين، ولما ثقل في الضعف وتحدث الناس أنه الموت مهد له مجلسا وجعل فيه الوسائد

(1) الحديث لم أقف عليه.
(2) ساقطة من: د.
(3) أ، ج، هـ: ابنتي.
(4) وهو أبو الجهم، عامر بن حذيفة بن غانم، أسلم يوم فتح مكة شارك في بناء الكعبة واحد الأربعة الذين دفنوا عثمان، توفي حوالي 70 هـ راجع نسب قريش: 369. الإصابة: 2/ 249.
(5) البيتان وردا في العقد 1/ 50 مع اختلاف بين الروايتين.
(6) الحكاية وردت دون الشعر في المستطرف 1/ 269.
(7) القراضة: ما يقرض من خبز أوثوب وغيره. ومنها قراضات الثوب وهي التي يقطعها الخياط. انظر اللسان: قرض.

والحشايا، ثم أذن للناس فدخلوا عليه فلما أحس بالموت أمرهم بالانصراف، فلما انصرفوا أنشأ يقول:

[الكامل]

وتجلدي للشامتين أريهم   أني لريب الدهر لا أتضعضع[1]

فلما شاع هذا في الناس[2] أجابه بعض العلويين يقول:

[الكامل]

وإذا المنية أنشبت أظفارها   ألقيت كل تميمة لا تنفع[3]

قال: ثم جمع أهله وقال لهم: ألستم أهلي؟ قالوا: بلى، فداك الله بنا. قال: ولكم كسبي وعليكم كدي كان[4]. قالوا: بلى بنا فداك الله. قال: فهذه روحي قد خرجت من قدمي فردوها علي إن[5] استطعتم، فبكوا وقالوا: ما لنا إلى هذا من سبيل. فبكى وقال: من تغره الدنيا من[6] بعدي[7].

حُكي أن معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان خطب يوم خلع نفسه بنفسه من الخلافة، فقال: نحمد الله/ تعالى بأبلغ ما يكون من الحمد ونثني عليه بأبلغ [١١٣/ب]

(1) البيت ورد في شرح أشعار الهذليين للسكري 1/ 10 والوفيات 6/ 155. والبداية والنهاية 8/ 142 وهو لأبي ذؤيب الهذلي واسمه خويلد بن خالد بن محرث من بني هذيل، شاعر فحل مخضرم، توفي حوالي 27هـ انظر ترجمته في الشعر والشعراء 2/ 657 ومعاهد التنصيص 2/ 165.

(2) عبارة ب، د: شاع في الناس هذا.

(3) البيت ورد في الديوان والمراجع السابقة والبيتان معا في قصيدة الهذلي مطلعها:

أمن المنون وريبها تتوجع   والدهر ليس بمعتب من يجز

انظر أشعار الهذليين 1/ 4.

(4) ساقطة من: ج.

(5) ساقطة من: د.

(6) ساقطة من: ب.

(7) الحكاية وردت في تاريخ ابن الأثير 4/ 7 والطبري 6/ 181 والبداية والنهاية 2/ 142 وجمهرة خطب العرب 2/ 175.

ما يكون من الثناء، ثم قال: أيها الناس! ما أنا راغب في الولاية عليكم لعظيم ما أكرهه/ منكم، وإني أعلم أنكم تكرهونا أيضا لكنا بلينا بكم وبليتم بنا لأن [86/أ] جدي معاوية سامحه الله قد نازع في الأمر من هو أحق به منه لقرابته من رسول الله ﷺ، وسابقته أعظم المجاهدين قدرا وأعلاهم منزلة، فركب جدي منه ما تعلمون وركبتم معه ما لا تجهلون، ثم أفضت الخلافة إلى أبي/ يزيد، ولقد كان أبي لسوء [119/د] فعله وإسرافه على نفسه غير خليق بالخلافة على أمة رسول الله ﷺ، فركب ما ركب من جرأته على الله وقتله أولاد رسول الله ﷺ، فقَلَّت مدته وانقطع أمله، وضاجع عمله، وبقي مرتهنا به فريدا في قبره، وشغلنا الحزن له عن الحزن عليه، فليت/ شعري ماذا قال؛ وماذا قيل له؟ هل عوقب بإساءته أم جوزي بعمله؟ [129/ج] وذلك ظني. قال: ثم اختنق بعبرته فبكى طويلا ثم قال: وصرت أنا ثالث القوم، والساخط علي أكثر من الراضي، ولا يراني الله تعالى متقلدا أوزاركم ولا ألقاه بتبعاتكم فدونكم أمركم فخذوه، ومن رضيتم به خليفة عليكم فولوه، فقد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي، والله لئن كانت الخلافة مغنما فقد نال أبي منها مأثما، وإن كانت شرا فحسبه منها ما أصابه، ثم نزل عن المنبر، فدخلت عليه أمه فقالت له: ليتك كنت حيضة ولم أسمع بخبرك، فقال لها: وددت والله ذلك، وتوفي رحمه الله تعالى بعد خلع نفسه بسبعين ليلة، وهو ابن ثماني عشرة سنة ولم يعقب، وكان السبب الحامل له على خلع نفسه ما حكاه محمد بن ظفر[1]، إنه كان له جاريتان إحداهما بارعة في الجمال فدخل عليهما وهما يتناجيان[2]. فقالت إحداهما للجميلة: لقد ألبسك الجمال كبر الملوك فقالت: وأي ملك يضاهي ملك الحسن؟ وهو قاض على الملوك، فهو الملك حقا. فقالت: وأي خير في الملك وصاحبه، إما مقبل على

(1) محمد بن عبد الله أبو محمد بن محمد بن ظفر الصقلي (497-565 هـ)، أديب رحالة مفسر، انظر ترجمته في الوفيات 4/ 395. ومعجم الأدباء 19/ 48.

(2) ب، ج، د، هـ: يتلاحيان.

لذاته فمصيره للهلاك والدمار، وإما أن يكون كعمر بن الخطاب، رضي الله عنه؟ فقد قال: إن نمت ليلتي ضيعت نفسي، وإن نمت نهاري ضيعت رعيتي، فكيف لي بالنوم بينهما؟ قال: فوقعت الكلمتان في نفس[1] معاوية موقعا حمله على خلع نفسه، فأطلع أهل بيته على ذلك فأقاموا عشرين ليلة يناظرونه على ذلك، فلما رأوه غير منته قالوا له: أعهد إلى أحدنا. فقال لهم: لم أكن لأتجرع مرارة فقدها وأتقلد تبعة [2] عهدها، ولوكنت موثرا بها أحدا لآثرت بها نفسي، ثم خرج فخلع نفسه أيضا، وكان مع صغر سنه عالما عاملا متبتلا، توفي رحمه الله تعالى لخمس بقين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين[3].

[98/هـ] حُكي أن سليمان بن عبد/ الملك بن مروان كان أبيض طويلا عريضا، وجهه كاستدارة القمر، لبس يوم جمعة أحسن ثيابه ومس أطيب طيبه، ثم نظر في مرآته [114/ب] فأعجبته/ نفسه وقال: أنا الملك الشاب ثم قال لجاريته وهما في صحن الدار: كيف ترين؟ فقالت:

[السريع]

أنت نعم المتاع لوكنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان
ليس فيما بدا لنا منك عيب عابه الناس غير أنك فاني[4]

فأعرض عنها وصعد المنبر فخطب وصوته يسمع من آخر المسجد فما نزل حتى ما سمعه أحد ممن حوله. ومات في ليلته[5] تلك، من الجمعة الثانية لعشر خلون

(1) د: قلب.

(2) د: بيعة.

(3) الحكاية وردت بروايات مختلفة في تاريخ المسعودي 3/ 271 والكامل في التاريخ 4/ 129 وتاريخ الخميس 2/ 301، دون ذكر السبب الذي حمل معاوية بن يزيد على خلع نفسه.

(4) البيتان لموسى شهوات بن يسار مولى قريش. انظر ترجمته في الأغاني 3/ 351. الشعر والشعراء 2/ 581. وقد وردا، برواية مختلفة في البيت الثاني، في العقد 5/ 173 وبترتيب مختلف في الأغاني 3/ 360 ومروج الذهب 4/ 8-9.

(5) أ، ج: علته.

من صفر، سنة تسع وتسعين، وله خمس وأربعون سنة ويقال: إنه كان شرها، كثير النكاح، يأكل في كل يوم/ نحو مائة رطل[1]/ . [130/ج][120/د]

حُكي عن السلطان محمود نور الدين الشهيد[2]، رحمه الله تعالى أنه اشترى مملوكا بخمس مائة دينار وخلعة وبلغة زائدة وبغلة. وكان جميل الصورة، وسلمه إلى خادم له يسمى سهيل، كان قد ربى السلطان محمودا، فقال سهيل في نفسه: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، هذا ما اشترى مملوكا قط بأكثر من خمسين دينارا واشترى هذا بخمسمائة دينار، قال سهيل: فتركه أياما ثم قال لي مرة: أحضره مع المماليك يقف/ في الخدمة كل يوم. فلما كان في بعض الأيام قال: [87/أ] أحضره بعد العشاء إلى الخيمة أنت وإياه، فجئت به إليه، وقلت في نفسي: هذا الشيخ، أيام شبابه ما ارتكب كبيرة فلما كبر سنه يقع فيها، والله لأقتلنه قبل أن يقع في المعصية، فأخذت سكينا فأصلحتها، وجئت به وأنا قلق، فسهرت غالب الليل ثم غلبتني عيناي فنمت ثم استيقظت فوضعت[3] يدي على الغلام فإذا هو مثل الجمر[4] وعليه حمى شديدة، فرجعت به إلى خيمتي فمات قبل وقت الظهر. قال: فغسلته وكفنته ودفنته. قال: فدعاني نور الدين في اليوم الثاني وقال: يا سهيل! إن بعض الظن إثم، فاستحييت فقال[5]: قد علمت حالي وأنت ربيتني، هل اطلعت لي على زلة؟ قلت: حاش لله. قال: فلم حملت السكين وحدثتك نفسك بالسوء يا سهيل[6]؟ ما أنا معصوم، لما رأيت الغلام وقع في قلبي مثل لهب النار فطلبت قربه

---

(1) الحكاية وردت في العقد 5/ 173 . ومروج الذهب 4/ 8-9 . تاريخ اليعقوبي 2/ 43 والكامل في التاريخ 5/ 37 .

(2) محمود بن زنكي (عماد الدين) أبو القاسم، نور الدين ملك الشام ومصر (511-569 هـ)، راجع الوفيات 5/ 184-189 ومرآة الزمان 8/ 305 .

(3) أ: فوقعت.

(4) أ، هـ: الحجر

(5) هـ: وقال.

(6) أ: ويا سهيل.

لعل يذهب ما بي منه، فاشتريته فلم يذهب ما بي فقلت في نفسي: أريد أن أراه كل يوم فأمرتك بإحضاره مع المماليك فلم يذهب ما بي فقلت: أريد أن تحضره إلى الخيمة فلما حضر ما تركتني نفسي أنام، وبقيت معها في حرب إلى السحر فهممت أن أطلعه عندي فتداركني الله برحمته فكشفت رأسي وقلت: إلهي وسيدي ومولاي! عبدك محمود المجاهد في سبيلك، الذاب عن دينك، الذي عمر المساجد والمدارس والخوانق[1] والربط، تختم أعماله بمثل هذا، فسمعت هاتفا يقول: قد كفيتك همه يا محمود فعلمت أنه قد حدث حادث، وأما أنت فجزاك الله خيرا، والله إن القتل أهون علي من المعصية ثم أحسن إلي رحمه الله تعالى.

حُكي أن بعض الأمراء سأل بعض الأطباء، أي أطباء الملوك، في قتل الملك، [115/ب] فأعلم الطبيب الملك فحقد على ذلك الطبيب/ وأمر بضرب عنقه فلما قتل وجد في كمه كتابا فأخذه الملك، فإذا هو ورق أبيض لا كتابة فيه غير أن في كل ورقة حرفا واحدا فجعل الملك يتصفح الورق ويدخل أصبعه في فمه ويتصفح الأوراق ويجمع الحروف فاجتمع من مجموعها بيتان وهما:

[الطويل]

[131/ج] نصحت فلم أفلح وخانوا فأفلحوا	وأسكنني نصحي بدار هوان/
فإن عشت لم أنصح وإن مت فالعنوا	ذوي النصح من بعدي بكل مكان

قال: فلما فرغ الملك من جمع الحروف سقط ميتا، وكان الطبيب قد سم الورق [121/د][99/هـ] فتحلل منها/ السم/ في أصبعه وأدخله في فمه، فتحلل السم فيه منه وسرى إلى جوفه فمات.

حُكي أن الحجاج لما ولي الحرمين من قبل عبد الملك بن مروان حظي عنده

---

(1) الخوانق: ج خانقاه: كلمة فارسية تطلق على المباني التي تقام لإواء الصوفية.(الموسوعة العربية: 750).

إبراهيم بن طلحة،[1] فلما وفد على عبد الملك أوفده معه إلى الشام يريد به خيرا عند عبد الملك، فلما دخل على عبد الملك قال له: أتيتك برجل أهل الحجاز في الأبوة والشرف والمروءة والفضل، إبراهيم بن طلحة مع ما هو عليه من حسن الطاعة وجميل المناصحة، والله لم يكن له بالحجاز نظير، فبالله[2] يا أمير المؤمنين! إلا فعلت معه من الخير ما هو مستحقه، فقال عبد الملك: يا أبا محمد! لقد ذكرتنا بحق واجب إيذن له في الدخول. فلما دخل أمر بجلوسه في صدر المجلس وقال له: إن[3] أبا محمد ذكرنا بك ما لم نكن نعرفه من كمال مروءتك وحسن نصيحتك فلا تترك في نفسك حاجة إلا أعلمتنا[4] بها لنقضيها لك ولا نضيع[5] مقالة أبي محمد فيك فقال إبراهيم: إن الحاجة التي أريد، أبتغي بها وجه الله ونصيحتك والتقرب إلى رسول الله، ﷺ، في القيامة، فأنا أبديها لك. قال عبد الملك: قل. قال: لم أقلها لك وبيني وبينك ثالث. قال: ولا صديقك أبو محمد؟ قال: نعم. قال: قم يا حجاج، فقام خجلا وهو لا يعرف أين يطأ، ثم قال: هات نصيحتك يا إبراهيم! فقال: يا أمير المؤمنين! إنك وليت الحجاج الحرمين، وفيهما من قد علمت من أبناء المهاجرين والأنصار وأصحاب رسول الله ﷺ مع ما تعلمه من ظلمه وعسفه وبعده من الحق وقربه من الباطل، فليت شعري/ أي جواب أعددت لرسول الله [88/أ] ﷺ إذا سألك في عرصات القيامة عن ذلك فبالله إلا ما عزلته عنهم وادَّخرتها عند الله قربة، فقال عبد الملك: لقد ظن الحجاج الخير في غير أهله، قم لا قمت. فقال إبراهيم: فقمت على أبخس حال، وخرجت من المجلس وقد أظلمت الأرض في وجهي، فتبعني حاجبه وقبض على زندي وجلس بي في الدهليز، ثم دعا الحجاج

---

(1) هو إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله، ذكره ابن خلكان في معرض حكايته مع عبد الملك، انظر الوفيات 2/ 40.

(2) ب، د: بالله.

(3) ب: أنا.

(4) د: علمتنا.

(5) أ: نضيعوا.

فدخل فمكث طويلا ما شككت أنهما يتناجيان في قتلي، ثم دعاني فقمت لأدخل فوافاني الحجاج بالباب فعانقني وقال: جزاك الله خيرا عن الصحبة، والله لإن عشت لأرفعن لك قدرا ثم تركني ومضى، فدخلت وأنا أقول: يهزأ بي، فلما [116/ب] دخلت عليه أجلسني مجلسي ثم قال: لقد علمت صدقك/ ونصحك وقد عزلته عن الحرمين ووليته العراق وأوهمته أن ذلك بشفاعتك وسفارتك وأنك تطلب له الزيادة في الأعمال، فسر بذلك، فسر معه أينما توجه يوليك خيرا ولا تقطع عنا نصيحتك[1].

[132/ج] حُكي عن ابن عياش[2] أنه ذكر أن المنصور بينما/ هو جالس في قصره إذ جاء سهم غائر حتى وقع بين يديه فذعر منه، فإذا مكتوب على بعض ريشه:

[الوافر]

أتطمع في الحياة إلى التنادي ... وتحسب أن مالك من معاد

[122/د] ستسأل عن ذنوبك والخطايا ... و[تسأل][3] بعد ذلك عن العباد[4]/

قال: ثم قرأ على بعض الريش فإذا فيه مكتوب:

[البسيط]

دع المقادير[5] تجري في أعنتها ... واصبر فليس لها صبر على حال

(1) الحكاية وردت في المستطرف 1/ 266.

(2) إسماعيل بن عياش بن سليم العنسي أبو عتبة، عالم الشام ومحدثها في عصره، رحل إلى العراق فولاه المنصور خزانة الكسوة (106-182هـ)، راجع تذكرة الحفاظ 1/ 253. تهذيب ابن عساكر: (انظر عبد الله بن عياش)

(3) هـ: وتسل.

(4) البيتان لم أقف على قائلهما، وقد وردا في مروج الذهب 4/ 136 والشهب اللامعة: 360-361 وبدائع السلك 2/ 174.

(5) أ: المقادر.

يوما تريك وضيع القوم مرتفعا   إلى السماء ويوما تخفض العالي[1]

ثم قرأ على[2] بعض الريش فإذا فيه مكتوب:

[البسيط]

أحسنت[3] ظنك بالأيام إذ حسنت   ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها   وعند صفو الليالي يحدث الكدر[4]/ [100/هـ]

قال: وعلى جانب السهم مكتوب همذان[5]، منها رجل مظلوم في حبسك. قال: فبعث من فوره جماعة يفتشون السجون والمطابق فوجدوا شيخا في بيت من الحبس، مظلم وعليه سراج والرجل موثق بالحديد، وهو متوجه إلى القبلة يردد هذه الآية الشريفة، وهي قوله تعالى: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾[6] قال: فسألوه عن بلده، فقال: من همذان، فحمل إلى المنصور على حاله، فسأله عن أمره فأخبره أنه رجل من ذوي البيوت بهمذان، وهو من أرباب نعمها، ثم قال له: إن واليك دخل إلى بلدي ولي ضيعة منيعة تساوي ألف ألف درهم، فأراد أخذها مني، فامتنعت فأوثقني بالحديد وكتب إليك أني عاص، فطرحت في السجن. فقال المنصور: منذ كم حبست؟ فقال: منذ أربعة أعوام، فأمر بفك الحديد عنه والإحسان إليه وأنزله أحسن منزل وقال له: يا شيخ! قد رددنا إليك ضيعتك بخراجها ما عشت وعشنا؛ وأما همذان فقد وليناك عليها، وأما الوالي فقد

(1) البيتان وردا كذلك في المراجع السابقة بدون نسبة وبرواية: هي المقادير، البيت الأول. وخسيس القوم: في البيت الثاني.
(2) ساقطة من: هـ.
(3) ب، ج، د، هـ: حسنت.
(4) البيتان وردا في المراجع السابقة أيضا بدون نسبة وبرواية: وساعدتك.
(5) همذان: بلدة فتحت في عهد عمر بن الخطاب. انظر الكلام عنها مفصلا في معجم البلدان: همذان.
(6) الشعراء: 227.

حكمتك فيه وجعلنا أمره إليك. فدعا له الشيخ وجزاه خيرا وقال: أما الضيعة فقد قبلتها، وأما الولاية فلا أصلح لها، وأما الوالي فقد عفوت عنه. قال: فأمر له المنصور بمال جزيل، واستحله وحمله إلى بلده مكرما بعد أن عزل الوالي وعاقبه وسأل الشيخ أن يكاتبه بمهماته وأخبار بلده، فرحمه الله رحمة واسعة[1].

حكى أبو الفوارس بن إسرائيل الدمشقي[2] قال: كتب السلطان صلاح الدين[3] إلى صاحب المدينة المشرفة على مشرفها أفضل الصلاة وأتم السلام، يطلب منه الطاعة فأرسل إليه رسوله وأرسل معه هدايا للسلطان صلاح الدين، فلما حضر عنده في مصر/ أخرج من كمه مروحة بيضاء عليها سطران/ [89/أ][133/ج] بالخوص[4] الأحمر، وقال للسلطان/ : مولانا! [السيد][5] الشريف يخدم السلطان [117/ب] بهذه، ويقول: هذه المروحة ما رأى السلطان ولا أحد من بني أيوب مثلها. قال: فاستشاط[6] السلطان صلاح الدين غضبا فقال له الرسول: لا تعجل بالغضب واقرأ ما عليها، فتأملها فإذا عليها مكتوب:

[الخفيق]

أنا من نخلة تجاور قبرا ساد فيه سائر الناس طرا
شملتني سعادة القبر حتى صرت في راحة ابن أيوب أقرا[7]/ [123/د]

فإذا هي من خوص النخلة التي في مسجد رسول الله ﷺ فقبلها ووضعها على

(1) الحكاية وردت في المراجع السابقة.
(2) لم أقف على ترجمته، وأظنه أبو الفوارس إسرائيل الدمشقي، وليس ابن إسرائيل.
(3) هو صلاح الدين الأيوبي. سبق ذكره.
(4) الخوص: ورق المقل والنخل والنارجيل وما شاكلها، واحدتها خوصة. انظر اللسان: خوص.
(5) زيادة من: ب، ج، د، هـ.
(6) استشاط: تحرق من شدة الغضب، وتلهب وصار كأنه نار. اللسان: شيط.
(7) البيتان وردا في الكشكول: 62.

صدره، وقال: صدق الشريف. وقال الشيخ برهان الدين القيراطي[1]:

[الخفيف]

صاح[2]، هذي قباب طيبة لاحت ففؤادي على اللقاء حريص
وتبدى نخيلها للمطايا فعيون المطي[3] النخل خوص

قلت: الأخواص: الأحوال، وقال في المروحة:

[الطويل]

ومحبوبة في القيظ لم تخل من يد وفي القر تسلوها أكف الحبائب
وإذا ما الهوى المقصور هيج عاشقا أتى الهوى الممدود من كل جانب

وسألني بعض الأصدقاء وأنا بثغر دمياط عند نزول السلطان قايتي باي[4] بها عام ثلاث وستين وثمانمائة أن أعمل له شعرا يكتب على مروحة[5] يقدمها ويهديها إليه فـ:

[المتقارب]

عملت برسم المقام الشريف [بياض] الأشرف
مبيد الجمود ومغنى الوفود ببذل النفود وبالمرهف/ [١٥١/هـ]
بعام ثلاث وستين مع ثمان مئين بها تسعف

(1) إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عسكر الطائي برهان الدين القيراطي شاعر من أعيان القاهرة واشتغل بالفقه والأدب. (726-781 هـ)، انظر ترجمته في الدرر الكامنة 1/ 32. شذرت الذهب 4/ 269.

(2) ب: صلاح.

(3) ب، د: المطا.

(4) قايتي باي المحمودي الأشرف الظاهري أبو النصر سيف الدين سلطان الديار المصرية (815-901هـ)، انظر ترجمته في تاريخ مصر 2/ 90.

(5) أ: المروحة.

ثم أنشدتُ شيئا كثيرا في هذا المعنى يكتب على المروحة، كان ينبغي أن يكتب ها هنا ولكن سأذكره بعد ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى في أثناء هذا الكتاب، والله الموفق للصواب.

حكى الحريري في درة الغواص قال: قال حماد الراوية: كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك بن مروان في خلافته وكان أخوه هشام يجفوني لذلك، فلما مات يزيد وأفضت الخلافةإلى هشام اختفيت في بيتي سنة لا أخرج إلا إلى من أثيق به من إخواني، فلما لم أسمع[1] أحدا ذكرني في السنة أمنت، فخرجت فصليت الجمعة في الرصافة[2] وإذا بشرطين على رأسي، فقالا أجب الأمير يوسف بن عمر الثقفي[3] وكان واليا على العراق، فقلت في نفسي: من هذا كنت أخاف، فقلت لهما: دعاني آتي أهلي ثم أسير معكما إلى الأمير، فقالا: لا سبيل إلى[4] ذلك، فاستسلمت لهما، ثم سرت[5] إلى يوسف وهو / في الإيوان الأحمر، فسلمت عليه فرد علي السلام ورمى [134/ج] لي كتابا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر أما بعد/ : إذا قرأت كتابي فابعث إلى حماد الراوية بعد أن تدفع إليه[6] خمسمائة [118/ب] دينار وجملا مهريا[7] يسير على الجمل إلى دمشق في اثني عشرة ليلة قال حماد: فأخذت الدنانير ونظرت فإذا جمل مرحول بالباب، فركبت وسرت حتى وافيت

---

(1) د: يسمع.

(2) معسكر بالجانب الشرقي من بغداد اتخذه المهدي بن المنصور لما بنى أبو ه مدينته بالجانب الغربي فبنى فيه دورا التحق بها الناس وعمروها فصارت مدينة، وبنى بها جامعا كبيرا. معجم البلدان: الرصافة

(3) يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم، أبو يعقوب الثقفي، من جبابرة الولاة في العهد الأموي. (توفي حوالي 127هـ)، انظر الوفيات 7/ 101

(4) أ: لذلك.

(5) ب، د: صرت.

(6) ج: له.

(7) جمل مهري: منسوب إلى حي عظيم يسمون بأبيهم. وهو مهرة بن حيدان. اللسان مادة: مهر.

دمشق فنزلت على باب هشام فاستأذنت فأذن لي فدخلت عليه وهو جالس على طنفسة[1] حمراء وعليه ثياب من حرير، وقد تضمخ بالمسك والعنبر، فسلمت عليه فرد علي السلام واستدناني فدنوت منه حتى قبلت رجله، فإذا جاريتان لم أر مثلهما قط، في أذن/ كل وا حدة منهما جوهرتان تقدان، فقال: كيف أنت وكيف حالك؟ [124/د] فقلت: بخير يا أمير المؤمنين. فقال: أتدري فيم بعثت إليك؟ فقلت: لا. فقال: لبيت خطر ببالي لم أدر قائله. قلت: وما هو؟ فقال:

[الخفيف]

ودعوا للصبوح يوما فجاءت ... قينة في يمينها إبريق[2]

قال حماد: فقلت له: هذا شعر العبادي[3]. قال: فأنشدني ما يحضرك منه، فأنشدته/ : [90/أ]

[الخفيف]

بكر العاذلون في وضح الصبـ ... ـح يقولون لي أما تستفيق

ويلومون فيك يا ابنة عبد الـ ... ـله والقلب عندكم موثوق

لست أدري إذا أكثروا العذل فيها ... أعدو يلومني أم صديق

ودعوا للصبوح يوما فجاءت ... قينة في يمينها إبريق

قدمته على عقار كعين الـ ... ديك صفا سلافها الراووق[4]

---

(1) الطنفسة: النمرقة فوق الرحل وقيل هي البساط الذي له خمل رقيق. اللسان: طنفس.

(2) الصبوح: الخمر. انظر اللسان: صبح. والبيت ورد في الديوان: 78. رسالة الغفران: 146. والأغاني 6/ 84. برواية: ثم نادوا على الصبوح.

(3) هو زيد بن عدي بن حماد العبادي التميمي، شاعر من دهاة الجاهليين توفي نحو 35 ق هـ. راجع الشعر والشعراء: 176 . الأغاني 2/ 97 خزانة البغدادي 1/ 183.

(4) العقار، يقال في البيت عقار حسن أي متاع وأداة. والسلاف: ما سال من عصير العنب قبل أن يعصر، ويسمى الخمر سلافا. الراووق: المصفاة. اللسان: مواد: عقر، سلف، روق.

مـزة قبـل مزجهـا فـإذا [مـا][1]   مزجـت لـذ طعمهـا مـن يـذوق[2]

قال: فطرب هشام ثم قال: أحسنت يا حماد، سل حاجتك، فقلت: إحدى الجارتين فقال: هما وما لهما وما عليهما هبة[3] لك، ثم وصلني بمائة ألف درهم، والله تعالى أعلم[4].

حُكي عن أبي بكر المصلي[5] أنه كان يتولى نفقة[6] كافور الإخشيدي[7] وكان له في كل ليلة عيد الأضحى، عادة وهي أن يسلم إليه بغلا محملا ذهبا وجريدة تتضمن أسماء قوم من الفقراء وأهل الخير، وكان يمشي معه صاحب شرطته، ونقيب يعرف المنازل. قال أبو بكر: فكنت أطوف من بعد العشاء الأخيرة إلى/ [102/ب] آخر الليل، حتى أسلم ذلك إلى من تضمنته الجريدة، وكنت أطرق دار كل إنسان من رجل وامرأة وأقول: الأستاذ كافور يهنيك بالعيد، ويقول لك: اصرف هذا في نفقة هذا العيد، وأدفع إليه[8] ما جعل له، و في آخر الجريدة اسم الشيخ علي بن جابار[9]، وجعل له في ذلك العيد مائة دينار، قال أبو بكر: فطفت/ تلك الليلة [135/ج]

(1) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(2) المزة: الخمر اللذيذ في الطعم. انظر اللسان: مزز. والأبيات وردت في الديوان: 76. وهي مطلع قصيدة تضم 22 بيتا وردت في شرح المقامات للشريشي3/ 45. ودرة الغواص: 111. والأغاني 6/ 84. وفي حلبة الكميت للنواجي: 122 وفيه أنها من نظم تبع اليماني، وهو حسان بن أسعد من أعظم من تبابعة اليمن في الجاهلية. انظر الأعلام 2/ 172.

(3) ب، ج، د، هـ: صلة.

(4) الحكاية وردت في درة الغواص: 110-111. وحلبة الكميت: 122-123 مع اختلاف واضح بين الروايتين.

(5) ذكره ابن خلكان في الوفيات: 4/ 103.

(6) ج، هـ: نفقات.

(7) كافور بن عبد الله الإخشيدي، أبو المسك، الأمير المشهور صاحب المتنبي (292-357هـ)، انظر الوفيات 4/ 99-105. النجوم الزاهرة 4/ 1 - 10.

(8) ب، د: له.

(9) هو الشيخ عبد الله بن جابار الصوفي الزاهد. انظر الوفيات في ترجمة كافور 4/ 103.

وفرقت المال على أربابه ولم يبق إلا نفقة الشيخ المذكور فجعلتها في كمي وسرت مع النقيب حتى أتيت منزله بظاهر القرافة[1]، فطرقت الباب، فنزل الشيخ وعليه أثر السهر، فسلمت عليه فرد السلام وقال: ما حاجتك؟ فقلت: الأستاذ كافور يخص الشيخ بالسلام، فقال: والي بلدنا؟ فقلت: نعم. قال: حفظه الله، يعلم أني/ [119/ب] أدعو له في الخلوات وإدبار الصلوات وللمسلمين بما الله سامعه ومستجيبه إن شاء الله تعالى. قال: فقلت له: وقد أرسل معي نفقة وهي هذه الصرة ويسألك قبولها لتصرفها في نفقة هذا العيد المبارك. فقال: نحن رعيته ونحبه في الله تعالى، ولا نفسد هذا بعلة، فراجعته القول فتبين لي الضجر في وجهه والقلق، واستحييت من الله تعالى على أن أراجعه أيضا وأقطعه عما هو فيه من العبادة، فتركته وانصرفت فجئت فوجدت الأمير قد تهيأ للركوب وهو ينتظرني، فلما رآني قال: أنهيت/ المال. فقلت: أرجو الله تعالى أن يستجيب كل دعوة صالحة دعيت [125/د] لك في هذه الليلة. وفي هذا اليوم الشريف، فقال: الحمد لله الذي جعلني سببا لإيصال الراحة لعباده وعياله، ثم أخبرته بامتناع الشيخ علي بن جابار فقال: نعم. هو جديد لم تجر بيننا وبينه معاملة؛ قبل هذا اليوم، ثم قال لي: عُد إليه واركب دابة من دواب النوبة، وأطرق بابه، فإذا نزل إليك فإنه سيقول لك: ألم تكن عندنا؟ فلا ترد عليه جوابا ثم استفتح قوله تعالى: باسم الله الرحمان الرحيم ﴿**طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى الرحمان على العرش استوى له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى**﴾[2] وقل له: يا ابن جابار! الأستاذ كافور يقول لك: ومن كافور[3]، العبد

---

(1) القَرافة: هي مقبرة أهل مصر، بها ابنية جليلة ومحال واسعة وسوق قائمة، وهي من نزه المصريين ومتفرجاتهم. انظر معجم البلدان: القرافة.

(2) طه: 1، 2، 3، 4، 5.

(3) ب، د: وما كافور.

الأسود؟ ومن مولاه؟ ومن الخلق؟ ليس لأحد مع الله ملك ولا شريك في شيء، أتدري من هو معطيك وعلى من ترد وأنت ما سألت، وإنما هو أرسل إليك، يا ابن جابار! ما تفرق بين السبب والمسبب؟ قال أبو بكر: فركبت وسرت فطرقت منزله، فنزل إلي وقال لي مثل لفظ كافور، فأضربت عن كلامه وقرأت ثم قلت له ما قال لي كافور، ثم بكى وقال لي: أين ما حملت؟ فأخرجت إليه الصرة فأخذها وقال: علمنا الأستاذ كيف التصوف قل[1] له: أحسن الله جزاءك/ ثم عدت إليه [91/أ] فأخبرته فسر بذلك وسجد شكرا لله تعالى، [وقال: الحمد لله تعالى][2] على ذلك[3].

حُكي أن الأدب كان هو وأهله عند ملوك حماة في الذروة، ولكن قصة عبد الرحمان القوصي[4] مع الملك المظفر محمود بن الملك منصور[5] كانت على غير المعهو د من سلفه، وذلك أن عبد الرحمان المذكور دخل على الملك المظفر قبل أن يتظفر وأن يتملك مدينة[6] حماة، فأنشده/ يقول: [136/ج]

[البسيط]

متى أراك كما تهوى وأنت ومن	تهوى على رغمهم روحين في بدن
هناك أنشد والآمال حاضرة	هنيت بالملك والأحباب والوطن[7]

قال الراوي: فوعده إذا تملك حماة أن يعطيه ألف دينار، فلما ملكها دخل عليه

(1) أ: قال.

(2) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(3) الحكاية وردت في الوفيات 4/ 103-104.

(4) هو عبد الرحمان بن عبد الوهاب بن الحسن بن علي، أبو القاسم، القوصي (ت 631هـ)، شاعر وكاتب. راجع الطالع السعيد: 150. فوات الوفيات 2/ 304 وفيه أنه توفي مخنوقا بعد الأربعين وستمائة.

(5) محمود بن محمد المنصور بن عمر المظفر بن شاهنشاه، الملك المظفر صاحب حماة (599-642هـ)، راجع تاريخ ابن الوردي 2/ 174.

(6) أ: بمدينة.

(7) البيتان وردا في فوات الوفيات 2/ 305 مع اختلاف الرواية.

وأنشد يقول:/ [١٠٣/هـ]

[السريع]

مولاي إن الملك قد نلته برغم مخلوق من الخالق

والدهر منقاد لما تشتهي وذا أوان الموعد الصادق[1]

قال: فدفع له ألف دينار، فأقام معه وألزمه أسفارا معه أنفق عليها المال الذي/ [١٢٠/ب] أعطاه له فقال منشدا:

[السريع]

إن الذي أعطوه لي جملة قد استردوه قليلا قليل

فليت لم يعطوا ولم يأخذوا وحسبنا الله ونعم الوكيل[2]

قال: فبلغ المظفر ذلك فأخرجه من دار كان أنزله[3] فيها فقال:

[الطويل]

أتخرجني من كسر بيت مهدم ولي فيك من حسن الثناء بيوت

فإن عشت لم أعدم مكانا يضمني وأنت ستدري ذكر من سيموت[4]

قال: فحبسه المظفر فقال له: وما ذنبي؟ فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل، ثم أمر بشنقه، فلما أحس بذلك/ قال: [١٢٦/د]

[البسيط]

أعطيتني الألف تعظيما وتكرمة يا ليت شعري أم أعطيتني ديتي[5]

---

(1) البيتان وردا في الطالع السعيد: 151 وفوات الوفيات: 2/ 304.

(2) البيتان وردا في الطالع السعيد: 151 وفوات الوفيات 2/ 304.

(3) أ: أسكنه.

(4) البيتان وردا في الطالع السعيد: 151 وفوات الوفيات 2/ 304.

(5) البيت ورد في فوات الوفيات 2/ 305. وإلى هذا الحد وردت حكاية القوصي مع المظفر في الطالع السعيد: 150: 151. وفوات الوفيات 2/ 304-305.

فكان حال القوصي مع المظفر كقول الشاعر:

[البسيط]

وكان كالمتمني أن يرى فلقا ... من الصباح، فلما أن رآه عمي

وكان الملك المنصور والد المظفر هذا من كبار أهل الأدب ويحب أهله وله طبقات الشعر[1] في عشرين مجلدا، وسمع الحديث من الحافظ [السلفي][2] بالإسكندرية وكان مغرما بحب العلماء والأدباء، وجمع تاريخا عن[3] السنين في عدة مجلدات وجمع من الكتب ما لا مزيد عليه، وكان في خدمته ما ينيف على مائتي متعمم من الفقهاء والنحاة والأدباء والمشتغلين بالحكمة والكتابة، وأقامت دولته نحو ثلاثين سنة، وتوفي في سنة ست عشرة وستمائة ومن شعره قوله:

[مجزوء الرمل]

إربي راح وريحا ... ن ومحبوب وشادي

والذي ساق لي الملك ... له دفع الأعادي[4]

وكان الملك المؤيد بدر كمالهم ومسك ختامهم، وهو الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء[5] إسماعيل بن الملك الأفضل بن الملك المنصور صاحب حماة، كان أميرا/ [137/ج]

(1) ذكره صاحب كشف الظنون في من صنف في طبقات الشعراء بعد ابن قتيبة. انظر ج 2/ 1102.

(2) أحمد بن محمد بن سلفة الأصبهاني، أبو طاهر السلفي حافظ مكثر، من أهل أصبهان (478-576هـ)، راجع الوفيات 1/ 105.

(3) ج: على

(4) البيتان وردا ضمن الكلام عن المنصور والد المظفر، في فوات الوفيات 4/ 13-14. والحكاية وردت في ثمرات الأوراق: 122 والغيث المسجم في شرح لامية العجم 1/ 39.

(5) إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه، الملك المؤيد، مؤرخ جغرافي (672-732هـ)، راجع طبقات السبكي 6/ 84. الدرر الكامنة 1/ 396. البداية والنهاية 4/ 158. النجوم الزاهرة 9/ 292.

بدمشق فخدم الملك الناصر، كما كان بكرك[1] وبالغ في ذلك، فوعده[2] بحماة، ووفى له بذلك الوعد، فجعل بها سلطانا يفعل فيها ما يشاء من إقطاع وغيره، ليس لأحد من الدولة المصرية فيها حديث، وأركبه في القاهرة بشعار الملك، وأبهة السلطنة ومشى الأمراء في خدمته، ولم يتخلف عنه أحد، ولقبه بالملك الصالح، ثم بعد قليل لقب بالمؤيد، ورسم الملك الناصر [كتابه أن يكتبوا إليه، يقبل الأرض بالمقام الشريف وفي العنوان صاحب حماة، وكان الملك الناصر] [3] يكتب إليه أخوه[4] محمد بن قلاوون، وكان الملك المؤيد من العلماء والفقهاء وله في الأدب والحكمة، والهيئة تآليف، ونظم[5] الحاوي[6]، وله تاريخ بديع ومصنفات في أنواع العلوم بديعة أجاد فيها وكان وصولا للشيخ جمال الدين ابن نباتة[7] يتحفه في كل سنة بأنواع من/ التحف، ولما ورد الملك المؤيد إلى مصر، ومعه ولده الملك الأفضل [92/أ] مرض معه بمصر فأرسل إليه الملك الناصر الرأس كمال الدين ابن المعري[8] رئيس الأطباء فكان يجيء إليه بكرة وعشيا فيبحث معه في مرضه، ويدبر معه/ الأدوية [121/ب] فقال له الرأس بن المعري: يا مولانا السلطان! أنت والله ما تحتاج للملوك، وما أجيء إلا لأجل الأوامر الشريفة، ولما عوفي أعطاه/ بغلة بسرج ولجام وكنبوش[9] [104/هـ]

---

(1) كرك: قلعة حصينة في طرف الشام من نواحي البلقاء. معجم البلدان: كرك.

(2) أ: فوجده.

(3) ما بين معقوفين كله زيادة من: ب، ج، هـ.

(4) ساقطة من: ب، د.

(5) أ: نظر.

(6) هو الحاوي الصغير في الفروع لنجم الدين القزويني وقد نظم له الملك المؤيد نظما. انظر كشف الظنون 1/ 627.

(7) محمد بن محمد بن محمد الفارقي المصري، أبو بكر جمال الدين ابن نباتة (686-768هـ)، راجع الدرر الكامنة 4/ 216. البداية والنهاية 1 322/ 4. النجوم الزاهرة 11/ 95. وتاريخ مصر 1/ 221.

(8) هو قاضي القضاة كمال الدين ابن المعري، ذكره تقي الدين المقريزي في السلوك لمعرفة دول الملوك، انظر ج5: 360.

(9) الكنبوش ج كنابيش: البرذعة وقيل هو برقع يغطى به الوجه المحيط: كنبوس.

مزركش بالذهب وبفجتين[1] قماش وعشرة آلاف درهم ودست فضة[2] التي يطبخ فيها الأدوية، وقال: يا رئيس! اعذرني، ومدحه شعراء زمانه وأجازهم، وبنى بظاهر حماة جامعا وسماه جامع الدهشة، ووقف عليه كتبا كثيرة ما اجتمعت لغيره من سائر/ الفنون، جمعها من البلاد شرقا وغربا، وتوفي رحمه الله سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة ومن شعره قوله: [127/د]

[المنسرح]

كم من دم حللت وما ندمت بفعل ما تشتهي فلا عدمت
شمس فدتها الشمس لوبلغت لثم مواطن أقدامها لثمت[3]

حكى القعقاع بن الحكيم[4] قال: أتى[5] سفيان الثوري[6] للمهدي فلما دخل سلم عليه بسلام العامة، ولم يسلم بسلام الخلافة، والربيع متكىء على سيفه يرقب[7] أمر المهدي فيه، قال: فأقبل عليه المهدي بوجه طلق[8] وقال له: يا سفيان! أعجزتنا هربا وتظن أنا لو أردناك[9] بسوء لم نقدر عليك، فقد قدرنا عليك الآن، أما تخشى أن نحكم فيك بِهَوَ انَا؟ فقال له سفيان: إن تحكم فِيَّ يحكم فيك ملك قادر

(1) لم أقف عليها.

(2) الدست: هو المرجل عند العامة.

(3) البيتان وردا في فوات الوفيات 1/ 184. والكلام عن أبي الفداء ورد في طبقات الشافعية 6/ 84. والبداية والنهاية 4/ 158.

(4) ذكره المسعودي في تاريخه 4/ 180. وابن خلكان في الوفيات 2/ 390. وهو القعقاع بن حكيم الكناني المدني، روى عن أبي هريرة وعائشة وابن عمر وهو من الثقاة. انظر تهذيب التهذيب 8/ 383.

(5) ب: أوتي.

(6) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله: سيد أهل زمانه في الحديث وعلوم الدين (97-161هـ)، انظر ترجمته في الوفيات 3/ 386. حلية الأولياء 6/ 356. تهذيب التهذيب 4/ 111.

(7) أ: يرتقب.

(8) أ: طليق.

(9) ج: لو أدركناك أدركناك.

يفرق بين الحق والباطل، فقال الربيع: يا أمير المؤمنين، أهذا الجاهل يقابل، أوقال: يستقبل بمثل هذا؟ أتأذن لي في ضرب عنقه؟ فقال المهدي: ويلك اسكت! ما يريد هذا وأمثاله إلا أن نقتلهم فنشقى/ بسعادتهم اكتبوا عهده على الكوفة قاضيا على [138/ج] أن لا يعترض عليه في حكم، فكتب العهد له ودفع إليه فأخذه وخرج به فرماه في الدجلة وهرب، فطلب في كل بلد فلم يقدر عليه[1].

حُكي أن المأمون لما تزوج ببوران[2] بنت الحسن بن سهل أراد، تلك الليلة، وصالها. فحاضت، فقالت له: ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾[3] فقام إلى فراش آخر، فلما أصبح دخل عليه خواص ندمائه يهنونه ويدعون له، فقال لهم منشدا ومشيرا لعدم النكاح:

[المديد]

فارس في الحرب منغمس عارف بالطعن في الظلم
رام أن يدمي فريسته فاستجارت من دم بدم[4]

فعلموا أنها حاضت، ويقال أن بوران لقب لها، واسمها خديجة، ماتت في سنة إحدى وسبعين ومائتين، وقد بلغت إلى الثمانين: والطعم البورانية يقال أنه منسوب إليها[5].

حُكي أنَّه كان سبب ظهور شجرة الكرمة والخمرة وانتشارها[6] أن بعض

(1) الحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 180، والوفيات 2/ 390.

(2) بوران بنت الحسن بن سهل زوجة المأمون العباسي، واسمها خديجة، من أكمل النساء أدبا وأخلاقا (191-271هـ)، راجع مروج الذهب 4/ 327. والوفيات 1/ 287.

(3) النحل: 1.

(4) البيتان لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد ابن السري بن سهل الزجاج النحوي. وقد وردا في الوفيات 1/ 50، 289. مع اختلاف الرواية.

(5) الحكاية وردت بتصرف في الطبري والوفيات 1/ 288-289.

(6) ساقطة من: ب.

الملوك بالهند كان جالسا يوما إذ نظر في أعلا قصره إلى طائر قد أفرخ هناك، وإذا هو يضرب بجناحيه ويصيح، فنظر الملك إلى ذلك فإذا حية تنساب[1] إلى وكر الطائر صاعدة لأكل فراخه، فدعا الملك بقوس فرمى الحية فصرعها وسلمت أفراخ الطائر، [ثم جاء الطائر][2] بعد ساعة فصفق[3] بجناحيه وفي منقاره حبة وفي مخلابيه حبتان، ووازن الملك فألقى/ الحبات عليه وبين يديه، والملك ينظر، [122/ب] فسقط الحب بين يدي الملك فتأمله وقال: لاشك أن هذا الطائر أراد مكافأتنا على ما فعلنا معه، وأخذ الملك الحب وجعل يتأمله فلم يعرفه ولا وجد في إقليمه مثله، فقال له حكيم من جلسائه لما نظر إلى حيرة الملك في الحب: أيها الملك! ينبغي أن تودع هذه الحبات في أرحام الأرض فإنها تخرج كنه ما فيها، وتقف على الغاية منها وأداء ما في مخزونها ومكنونها وأمر الملك بزراعة الحب ومراعاة ما يكون منه، فزرع ونبت وأقبل يلتف بالشجر، ثم حصرم[4] ثم أزهى/ وصار عنبا وهم يرمقونه في [128/د] أوقاته، والملك يراعيه/ إلى أن انتهى في البلوغ وهم لا يقدرون على ذوقه خوفا [105/هـ] من أن يكون/ متلفا، فأمر الملك بعصر ماءه وإفراد حبه وأن يودع في الآنية ويترك [93/أ] على حاله، فلما صار في اللآنية عصيرا قذف بالزبد وفاحت منه روائح عبقة فقال الملك: علي بشيخ هرم كبير. قال: فأوتي به فأعطاه من ذلك في إناء، فرأى لونا ياقوتيا، أحمر أشعث، ذا منظر عجيب، فشرب منه الشيخ ثلاثا فمال وأبدى أنواعا من الفضول في الكلام وصفق بيديه وحرك رأسه وضرب برجليه على الأرض/ [139/ج] وطرب ورفع عقيرته[5] يغني فقال الملك: هذا شراب يذهب بالعقول وأحسب أن يكون كثيره قاتلا، أما ترون إلى هذا الشيخ قد عاد إلى حالة الصبا وسلطان الدم

(1) أ: تنسلب.

(2) ما بين معقوفين ساقط من: د.

(3) أ: فصعق.

(4) حصرم: أول العنب، وقيل هو الثمر قبل النضج. اللسان: حصرم.

(5) عقيرة الرجل: صوته إذا غنى أو قرأ أو بكى. اللسان: عقر.

وقوة الشباب، ثم أمر الملك به فزيد في سكره، فسكر الشيخ ونام، فقال الملك: هلك، ثم أنه أفاق وطلب الزيادة من الشراب وقال: لقد شربته فكشف عني الهموم والغموم وأزال عن ساحتي الأحزان وما أراد ذلك الطائر إلا مكافأتكم بهذا الشراب الشريف. فقال الملك: هذا أشرف شراب الرجال، وذلك لأنه رأى الشيخ وقد حسن لونه وقوي ميله وانبسط في نفسه وطرب في حالة طبع الحزن وسلطان البلغم[1]، وجاد هضمه وجاءه النوم وقد اعترته أريحية فأمر أن يكثر من غرسها فكثر الغرس للكرمة وأمر أن تمنع العامة من شربه وقال: هذا شراب الملوك فقط، وأنا كنت السبب فيه فلا يشربه غيري، فاستعمله الملك بقية عمره، ثم زاد ونمى في أيدي الناس وفي البلاد فاستعملوه وكثر حتى ملأ الدنيا. قلت: ذكر ذلك صاحب مروج الذهب غفر الله له[2].

حكى صاحب الغرر[3] أن أهل العراق لما أرسلوا كتبهم للحسين بن علي، رضي الله عنه، بالبيعة أرسل إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل[4] بن أبي طالب رضي الله عنه، فلما دخل إليهم اجتمعوا عليه وبايعوا للحسين وأنزلوه بقصر[5] الإمارة وهرب عامل[6] يزيد[7] إليه وأعلمه ببيعة أهل العراق للحسين فأرسل يزيد خلف عبيد الله بن زياد بن أبيه[8]، وكان متمرضا، فلما دخل عليه أعلمه بذلك وقال

(1) البلغم: أحد الطبائع الأربعة. اللسان: بلغم.

(2) الحكاية لم أقف عليها.

(3) يريد غرر الخصائص الواضحة وغرر النقائص الفاضحة لمحمد بن إبراهيم الكتبي المعروف بالوطواط. والكتاب مطبوع.

(4) مسلم بن عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، تابعي من ذوي الرأي والعلم والشجاعة (ت 60هـ)، راجع الكامل لابن الأثير.

(5) أ، هـ: بعض.

(6) أ: عاقل بن يزيد.

(7) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

(8) سبق ذكره.

له: لو لا أنت بهذا الضعف لأرسلناك مقدما على العسكر، فقال: وهل ينتفع إلا برأيي، ثم جهز إليهم جيشا وهو مقدم عليهم، وسار حتى دخل الكوفة، وقال: [123/ب] يا أهل العراق! إنا مقدمة أمير المؤمنين ونذير لكم وهو آت/ بعدي بجيوش لا قبل لكم بها، فجعل الأخ يخوف أخاه والوالد يخوف ولده، فانفكوا عن مسلم بن عقيل، فخرج يطلب الفرار ومعه ألف رجل يشيعونه، فما وصلوا باب المدينة حتى لم يبق معه أحد والتجأ إلى دار امرأة فاختفى عندها، فجاء ولدها فأخبرته بذلك فجاء إلى ابن[1] زياد وأعلمه بذلك فأرسل إليه عشرين فارسا فلما أحاطوا بالدار وسمع وقع حوافر الخيل خرج إليهم ثم سل كنانته[2] وأخذ قوسه وجعل يرميهم [129/د] بالنبل فقالوا/ : لا تفعل، لا بأس عليك، إنه لا يفعل بك سوء. فقال:

[السريع]

أقسم لا أقتل إلا حرا　　وإن رأيت الموت شيئا نكرا
كل أمرئ يوما ملاق شرا　　أخاف أن اكذب أوأغرا[3]

فقالوا له: لن تكذب ولن تغر، فاستسلم فأخذوه وذهبوا به إلى ابن زياد فقال له: والله لأقتلنك قتلة لم يقتلها أحد قبلي من العرب، ثم أمر به فرمي من أعلى [140/ج] القصر فلم يمت فضربت/ عنقه رحمه الله، ثم إن الحسين رضي الله عنه، خرج من بيته يريد العراق ومعه نحو سبعين نفرا من جماعته وأهل بيته وفيهم أخوه العباس الساقي[4] فوصلوا إلى قرية تسمى كربلا[5] فقال لما سأل عنها: كرب وبلاء، والله [106/هـ] لقد/ مررت أنا وجدي رسول الله ﷺ على هذه القرية فقال: هنا تهرق دماء من

(1) ساقطة من:ب، د.

(2) الكنانة: جعبة السهام تتخذ من جلود لا خشب. اللسان: كنن.

(3) البيتان وردا في غرر الخصائص: 332.

(4) العباس بن علي بن أبي طالب، أبو الفضل، لقب بالساقي وبأبي قربة لأن أخاه الحسين شرب من قربة ناوله إياها يوم كربلاء توفي حوالي 61هـ انظر مقاتل الطالبيين: 84.

(5) هو الموضع الذي قتل فيه الحسين بن علي، وهو بطرف البرية عند الكوفة. معجم البلدان 4/ 445.

آل محمد، ثم مر به أعرابي فقال له: يا أعرابي! ما وراءك؟ فقال: قد فارقت الكوفة منذ ثلاث ورأيت مسلم بن عقيل يجر بعرقوبه[1]/ في أسواقها فسقط في يد الحسين [٩٤/أ] ثم تمثل بقول القائل: «ولو ترك القطا[2] ليلا لنام»[3]، ثم طلع عليه سرية من جماعة[4] يزيد، وكان هناك ماء فنزلوا عليه فبات الحسين رضي الله عنه وأصحابه عطاشا، فلما أصبحوا قال الحسين رضي الله عنه: يا مسلمين! هذا الماء يرده[5] الكلب والكافر، وبتنا عطاشا، ثم قال في اليوم الثاني: دونكم[6] والحرب، فأخذوا في الحرب، فصاروا يقتلون أصحابه ويتحامونه، ثم جاءه ملعون بخنجر في يده فضربه فقص له ثلاثة أضلاع فسقط وهو يقول، قتلتم أبي بالأمس وقتلتموني اليوم رغبة في القاسطين، والله لتعلمن نبأه بعد حين، ثم أخذوا رأسه ودخلوا به دمشق وهم يهللون أمامها ويكبرون فقال خالد بن عفران[7] في ذلك:

[الكامل]

جاءوا برأسك يا بن بنت محمد ... متزملا بدمائه تزميلا[8]

وكأنما بك يا بن بنت محمد ... قتلوا جهارا عامدين رسولا

قتلوك عطشانا ولم يترقبوا ... قتلوا بك التأويل والتنزيلا

ويكبرون بأن قتلت وربما ... قتلوا بك التكبير والتهليلا[9]

---

(1) العرقوب: العصب الغليظ الموتر فوق عقب الإنسان. اللسان: عرقب.

(2) أ: القضا.

(3) الشطر من الوافر. وهو مثل ورد في "معاني القرآن" 3/ 175و"تاريخ الطبري" 5/ 420 و"الكامل في التاريخ" 3/ 167، ومعناه أن القطا لا يسري ليلا.

(4) عبارة ج: جماعة من سرية يزيد.

(5) أ: يريده.

(6) الواو ساقطة من: من ب، د.

(7) انظر "حياة الحيوان" 1: 88.

(8) متزملا بدمائه: أي مغطى بها. اللسان: زمل.

(9) الأبيات وردت في البداية والنهاية 8/ 198.

ثم دخلوا برأسه على يزيد فأنشد الشقي له يقول:

[الرجز]

[124/ب] أوقر ركابي فضة وذهبا قتلت خير الناس اما وأبا[1]/

فقال له يزيد: حيث عرفته كذلك لم قتلته؟ ثم أمر بقتله، وجعل الرأس بين يديه فقيل: إنه كان بيده قضيب من جوهر فجعل يقلب الرأس به، فقيل له: لا تفعل فلطالما قبلها رسول الله ﷺ، ثم وقع غراب على القصر والرأس بين يديه فنعب[2] فتطير من ذلك ثم قال:

[الرمل]

[130/د] يا غراب البين ما شئت فقل إنما تندب أمرا قد نزل/
كل ملك ونعيم زائل وبنات الدهر يلعبن دول

قلت: ووراء ذلك ما يمسك عنه. قال: ثم نودي في المدينة الشريفة بمقتله، رضي الله عنه لتسكن الفتنة. قال: فخرجت زينب بنت عقيل أخت مسلم رضي الله عنهم تقول:

[البسيط]

[141/ج] ماذا تقولون إن قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم/
بعترتي وصحابي[3] في مساجدهم البعض أسرى وبعض ضربوا بدم؟
ما كان جزاءي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحم[4]

(1) أوقر: يقال أوقر راحلته ذهبا، أي حملها وقرا، والوِقر بالكسر: يستعمل في حمل البغل والحمار. انظر اللسان مادة: وقر. والبيت ورد في غرر الخصائص: 334 مع اختلاف رواية الشطر الثاني.

(2) نعب الغراب: صوت وصاح وقيل: مد عنقه وحرك رأسه في صياحه. انظر اللسان: نعب.

(3) ب: وأصحابي.

(4) الأبيات وردت في مروج الذهب 3/ 266 مع اختلاف الرواية. وكذا في البدء والتاريخ 6/ 12. وغرر الخصائص: 335 والبداية والنهاية 8/ 198.

فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولعمري هذه المصيبة في جنبها تستصغر سائر المصائب. وقيل: إنه كان بالقرب من كربلاء دير فوجد مكتوب على بعض أحجاره:

[الوافر]

أترجو أمة قتلت حسينا شفاعة جده يوم الحساب[1]

فقال لهم الديراني[2]: هذا مكتوب هنا قبل مبعث نبيكم بخمسمائة عام[3].

قلت: ورأى بعض السلف في منامه، بعد قتل الحسين، رسول الله ﷺ، ومعه زجاجة فيها دم، وهو ﷺ/ يقول: هذا دم ابني الحسين أرفعه إلى الله تعالى، وقيل: [107/هـ] إن العباس الساقي أخا الحسين وهو الذي كان بكربلاء وإنما سمي بذلك لأن الحسين لما ضرب وهو عطشانا انغمس العباس في الناس حتى ذهب إلى الماء وجاء لأخيه الحسين بالماء رضي الله عنهما.

حُكي عن حبان بن عبد الله[4] قال: تنزه الرشيد يوما في بستان ومعه رجل[5] من بني هاشم وهو سليمان بن أبي جعفر[6] فقال له الرشيد: أعندك جارية تغني فتحسن الغناء؟ قال: نعم. قال:فجيء بها فغنت فلم يحمد غناءها، فقال لها: ما شأنك؟ فقالت: ليس هذا عودي. فقال لخادم: هات لها عودها. قال: فجاءها الخادم بالعود، فرأى شيخا يلقط النوى فسأل/ الشيخ عن الطريق فرفع رأسه فرأى [95/أ]

---

(1) البيت ورد في غرر الخصائص: 335 والمخلاة للعاملي: 233.

(2) الديراني: هو صاحب الدير والقيم عليه. اللسان: دير.

(3) الحكاية وردت في غرر الخصائص: 332-335.

(4) انظر ترجمته في تاريخ دمشق12/ 13.

(5) أ: رجال.

(6) سليمان بن جعفر بن سليمان بن علي أبو أيوب العباسي، والي مكة في أيام هارون الرشيد (ت 248هـ)، الجهشياري: 241، 242.

العود فأخذه وضرب به الأرض فكسره، فأخذ الخادم بيده وقبض عليه وذهب به لصاحب الشرطة وقال له[1] احتفظ به فإنه طلبه أمير المؤمنين الرشيد، ثم ذهب الخادم فدخل على الرشيد وقص عليه القصة فاستشاط غضبا واحمرت عيناه فقال له الهاشمي: ارسل لصاحب الشرطة يضرب عنقه ويرميه[2] في الدجلة، فقال: لا، بل أناظره، ثم قال: إن دخل علينا ونحن على الحالة يقيم عينا الحجة، فأمر الرشيد/ برفع ما بين يديه، ثم أمر بإدخال الشيخ فأدخل عليه فقال له: يا هذا! ما حملك على ما صنعت؟ فقال: وما الذي صنعت؟ وجعل يكرر ذلك والرشيد يستحي أن يقول كسرت عودنا. فقال الشيخ للرشيد: إني سمعتك البارحة تقول فوق المنبر، وسمعت أباءك وأجدادك من قبلك يقرأون هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء، والمنكر والبغي﴾[3]/ وقد رأيت منكرا فأزلته، فأمر بإخراجه إلى حال سبيله، وقال للخادم خذ هذه البردة[4] ثم اذهب خلفه فإذا رأيته يقول: قال لي أمير المؤمنين، أو قلت له؛ فلا تعطه شيئا، وإن رأيته ذهب/ ولم يتكلم ولم يكلم أحدا[5] فاعطه إياها، فخرج الشيخ فرأى نواة في الأرض فأخذ يعالجها ولم يكلم أحدا، فقال له الخادم: إن أمير المؤمنين رسم إليك[6] بهذه البردة. فقال الشيخ: قل لأمير المومنين يردها على من أخذها، ثم ذهب وهو يقول:

[25/ب]

[131/د]

[142/ج]

[الوافر]

أرى الدنيا لمن هي في يديه همومـا كلمـا كثـرت لديـه

(1) ساقطة من: ج، د، هـ.
(2) أ: يرمي به.
(3) النحل: 90.
(4) ب، ج، هـ: البذرة.
(5) ساقطة من: ب.
(6) ساقطة من: هـ د.

[تهين المكرمين لها ببذل وتكرم كل من هانت عليه][1]
إذا استغنيت عن شيء فدعه وخذ ما أنت محتاج إليه

حُكي عن سفيان الثوري[2] قال: حج المهدي في سنة ست وستين ومائة فرأيته يرمي جمرة العقبة والناس يضربون يمينا وشمالا بالسياط فوقفت فقلت: يا حسن الوجه! حدثنا أيمن بن نائل[3] عن قدامة بن عبد الله الكلابي[4] رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ يرمي بالجمرة يوم النحر على جمل ولم يكن ضرب ولا طرد»[5] فتواضعك في سفرك خير من تكبرك وتجبرك. فقال: من هذا؟ فقيل: سفيان فقال! يا سفيان! لوكان المنصور ما احتملك. قال: فقلت: لو أخبرك المنصور بما لقي لقصرت عما أنت فيه فقيل له: إنه يقول لك: يا حسن الوجه ولم يقل لك: يا أمير المؤمنين فقال: اطلبوه فاختفى.

حُكي أن رجلا في زمن المأمون كان يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر من غير ولاية، فبلغ ذلك المأمون، فأرسل إليه. فلما حضر بين يديه قال له المأمون: بلغني أنك رأيت نفسك أهلا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقمت فيه من غير إذننا، وقد قال الله تعالى فينا معاشر أهل البيت: ﴿الذين إن مكانهم/في الأرض أقاموا [108/هـ] الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهو ا عن المنكر﴾[6]. فهذا خاص بنا، وكان مع المأمون ورقة يقرأ فيها فلما تلاها عنه سقطت من يديه فوضع قدمه عليها وهو لا يشعر فقال له الرجل: يا أمير المؤمنين! ارفع قدمك عن أسماء الله تعالى، ثم

(1) ما بين معقوفين زيادة من: ب، ج، د، هـ والأبيات وردت في "عقلاء المجانين": 123، و"محاضرات الأدباء" 1/ 601.

(2) سبق ذكره

(3) هو أيمن بن نائل وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب 3/ 1279.

(4) هو قدامة بن بن عبد الله بن عمار بن معاوية الكلابي، من بني كلاب، يكنى أبا عبد الله شهد حجة الوداع. راجع الاستيعاب 3/ 1279.

(5) الحديث ورد في الاستيعاب 3/ 1279.

(6) الحج: 41.

قل ما شئت، فرأى المأمون الورقة تحت قدميه فأخذها وقبلها وخجل، ثم قال:
[126/ب] ونحن أيضا لنا[1] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال[2] الله تعالى: ﴿والمومنون/ والمومنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾[3] فأعجب المأمون ذلك منه وقال: الآن اذهب واحتسب عن أمرنا.

حُكي أن المنصور لما كان نازلا بالدير الذي على شاطئ دجلة في الموضع الذي يسمى الخلد[4] إذ أتى الربيع في وقت الهاجرة والمنصور نائم في البيت الذي هو فيه، وحماد الحاجب بالباب، وقد وردت[5] الكتب بخروج الطالبيين، والكتب بيد
[143/ج] الربيع. فقال: يا حماد! افتح الباب، فقال حماد: الساعة/ هجع، فقال: افتح ثكلتك
[132/د] أمك، فسمع/ المنصور كلامهما، فنهض ففتح الباب بيده وتناول منه الكتب فقرأها ثم تلا هذه الآية الشريفة وهي قوله تعالى: ﴿وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم
[96/أ] القيامة، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله﴾[6]/ ثم أمر بإحضار الناس من القواد والموالي وأهل بيته وأصحابه ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال متمثلا:

[البسيط]

مالي أكفكف[7] عن سعد ويشتمني	ولو شتمت بني سعد لما سكنوا
جهلا علينا وجبنا عن عدوهم	لبئست الخلتان، الجهل والجبن[8]

(1) ج: لنا أيضا.
(2) ج: كما قال.
(3) التوبة: 72.
(4) قصر بناه المنصور على شاطئ دجلة. انظر مراصد الاطلاع 1/ 477.
(5) أ: ورد.
(6) المائدة: 66.
(7) أكفكف: من الكفكفة وهي كف الشيء ورد الشيء عن الشيء. انظر اللسان: كفف.
(8) البيتان وردا في الطبري ومروج الذهب 4/ 149.

ثم قال: ألا ترون إلى بني طالب وما فعلوا؟ والله لقد عجزوا عن أمر قمنا به فما شكروا القائم ولا عضدوا الكافي، فماذا يحاولون منا؟ والله لئن أموت عزيزا أحب إلي من أن أعيش ذليلا، و«السعيد من وُعِظَ بغيره»[1] ثم قال: يا غلام! الفرس. فركب ثم قال: اللهم لا تكلنا إلى خلقك فنضيع، ولا إلى أنفسنا فنهلك، ثم سار فتتابعته الجنود فالتقى مع الطالبيين فانهزموا فقبض على جماعة منهم وحملوا معه في محامل ليسجنهم، ثم مر عليهم وهم في محاملهم فصاح به عبد الله بن [الحسن][2] يا أبا جعفر! ما هكذا فعلنا يوم بدر، يشير إلى أن العباس لما أسر جعل النبي ﷺ أمره لعلي رضي الله عنه وخيره فيه بين القتل والفداء، فاختار علي رضي الله عنه، الفداء. ثم حملهم المنصور إلى الكوفة فحبسهم في سرداب[3] لا يميزون فيه بين ضياء النهار وظلام الليل، وكانوا يتوضأون فتفوح عليهم الروائح الخبيثة، فدس لهم بعض الناس الغالية لتدفع عنهم ذلك، وكان الورم فيه وافى أقدامهم ثم يتصاعد إلى أفئدتهم فيموتون لذلك، رحمهم الله تعالى رحمة واسعة[4].

حُكي أنه لما جيء المنصور برأس إبراهيم بن عبد الله بن الحسن[5] وجه به المنصور مع الربيع إلى من في السجن من الطالبيين فوضعوا الرأس بين أيديهم وعبد الله يصلي، فقال له بعضهم: أسرع في صلاتك يا أبا محمد، فلما فرغ أخذ الرأس في حجره وقال: أهلا وسهلا يا أبا القاسم، لقد كنت فيما علمتك[6] صواما

(1) «السعيد من وعظ بغيره» مثل ورد في زهر الأكم لليوسي 3/ 168.

(2) عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو محمد تابعي (70-145 هـ)، راجع تاريخ بغداد 9/ 431. ومقاتل الطالبيين: 179.

(3) السرداب بالكسر هو بناء تحت الأرض للصيف. القاموس المحيط: سرداب.

(4) الحكاية وردت في الطبري ومروج الذهب 4/ 148-150، مع اختلاف الرواية.

(5) إبراهيم بن عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أحد الأمراء الشجعان الأشراف (97-145هـ)، راجع مقاتل الطالبيين: 315 دول الإسلام للذهبي 1/ 74.

(6) ج: علمت.

[109/هـ] قواما، وكما قال الله تعالى: ﴿الذين يوفون بعهد الله/ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون [127/ب] ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب/والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار﴾[1]. فقال له الربيع: كيف كان أبو القاسم في نفسه؟ قال: كما قال الشاعر:

[الطويل]

[144/ج] فتى كان يحميه من الذل سيفه ... ويكفيه سوءات الأمور اجتنابها[2]/

ثم التفت إلى الربيع وقال له: يا ربيع! قل لصاحبك: قد مضى من بؤسنا أيام [133/د] ومن نعيمك أيام/ والملتقى القيامة. قال الربيع: فلما قلت[3] ذلك للمنصور ما رأيت المنصور قط أشد منه انكسارا في الوقت الذي بلغته فيه هذه الرسالة.

قلت: أخذ هذا المعنى العباس بن الأحنف[4] فقال:

[الطويل]

فإن تلحظي حالي و حالك مرة ... بنظرة عين من هو ى النفس تحجب

ترى كل يوم مر من بؤس عيشتي ... يمر بيوم من نعيمك يحسب[5]

حكى المسعودي قال: لما أخذ المنصور عبد الله بن الحسن وإخوته والنفر الذين

---

(1) الرعد: 20، 21، 22.

(2) البيت ورد في مروج الذهب 4/ 152، وفي زهر الآداب 1/ 91 وفي عيون الأخبار 3/ 221 ورد، باختلاف رواية الشطر الأول، منسوبا لهلال بن جشم أحد الشعراء الفصحاء. وقبله (ص: 184)، نسب لبشار بن برد.

(3) ج: فلما دخلت.

(4) سبق ذكره.

(5) البيتان وردا في الديوان: 60 ومروج الذهب 3/ 226 وزهر الآداب 1/ 91 مع اختلاف بين الروايات. والحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 151-152. زهر الآداب1/ 91.

كانوا معه من أهل البيت من الطالبيين، صعد المنبر بالهاشمية[1]. فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله ﷺ ثم قال: يا أهل خراسان! أنتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دعوتنا ولو بايعتم غيرنا لم تجدوا خيرا منا، إن ولد أبي طالب تركناهم، والله الذي لا إله إلا هو ، والخلافة، فلم نتعرض لهم بقليل ولا بكثير فقام فيها علي[2] فلم يفلح وحكم الحكمين[3] فافترقت عليه الأمة، واختلفت عليه الكلمة، ثم وثبت عليه شيعته وأنصاره فقتلوه، ثم قام بعده الحسن بن علي فوالله ما كان فيها إلا رجلا عرضت عليه الأموال فقبلها ودس إليه معاوية أني أجعلك ولي عهدي فخلع نفسه وانسلخ مما كان فيه وسلمه إليه، وأقبل على النساء يتزوج اليوم واحدة ويطلق أخرى، فلم يزل كذلك حتى مات على فراشه،/ ثم قام بعده الحسين بن [97/أ] علي فخدعه أهل العراق وأهل الكوفة، أهل الشقاق والنفاق والإغراق في الفتن، أهل هذه الدرة السوداء، وأشار[4]، إلى الكوفة، فوالله ما هي لي بحرب فأحاربها ولا بسلم فأسالمها؛ [فرق][5] الله بيني وبينهم، فخذلوه وبرءوا أنفسهم منه وأسلموه حتى قتل. ثم قام بعده زيد بن علي[6] فخدعه أهل الكوفة وأخرجوه ولما ظهر أسلموه، وقد كان محمد بن علي[7] ناشده ألا يقبل أقاويل أهل الكوفة، فإنا نجد في علمنا أن بعض أهل بيتنا يصلبون بالكناسة، وإني أخاف أن تكون ذلك المصلوب، وحذره[8] غدر أهل الكوفة فلم يقبل. وبقي على خروجه فقتل وصلب

---

(1) مدينة بناها السفاح بالكوفة. انظر معجم البلدان: الهاشمية.

(2) ساقطة من: د.

(3) أ: الحاكمين.

(4) أ: اشارة.

(5) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(6) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ويقال له: زيد الشهين (79-122 هـ)، راجع مقاتل الطالبيين 127 فوات الوفيات 2/ 35.

(7) محمد بن علي (زين العابدين) بن الحسين الطالبي الهاشمي، أبو جعفر الباقر (57-114 هـ)، راجع الوفيات 3/ 266. تهذيب التهذيب 9/ 350. حلية الأولياء 3/ 180)،

(8) ب، د: وحذروه.

بالكناسة، ثم وثب بنو أمية علينا وانتزعوا شرفنا وأذهبوا عزنا، والله ما كان لهم عندنا ثأر يطلبونه، وما كان ذلك كله إلا بسبب خروج بني طالب فيهم فنفونا عن[1] البلاد فصرنا مرة في الطائف، ومرة في الشام، ومرة بالعراق، حتى بعثكم الله لنا شيعة وأنصارا فأحيى الله تعالى شرفنا وأعزنا بكم يا أهل خراسان، فدفع بكم ثلم[2]، الباطل وأظهر حقنا وأصار إلينا ميراثنا من نبينا محمد/ ﷺ، [فقر [128/ب] الحق قراره وأظهر الله مناره وأعز أنصاره، ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين﴾][3] فلما استقرت/ الأمور فينا، من فضل الله تعالى، على قرارها [145/ج] بحكم العدل وثبوا علينا حسدا منهم لنا وبغيا علينا لما فضلنا الله تعالى به عليهم وكرمنا به دونهم من خلافته وميراث نبيه ﷺ/ وجبنا من بني أمية وجرءة علينا [134/د] لا نعمة وكرامة والله يا أهل خراسان، كان يبلغني عنهم الأمر فاغضي عنهم/ [110/هـ] وأقسم فيهم الأموال وحذوت[4] لهم تمثالا يمشون عليه فلم يرضوا حتى أتوا المدينة فخرجوا ونقضوا العهد والبيعة ولم يبق بالمدينة شيخ ولا شاب ولا كبير ولا صغير إلا بايعهم، فاستحللت دماءهم وحلت لي عند نقضهم بيعتي وطلبهم الفتنة والتماسهم الخروج علي، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل، إنهم كانوا في شك مريب﴾[5].

حُكي أن المنصور لما قبض على عمه عبد الله بن علي[6] كما ذكره المسعودي في

---

(1) ب، ج، هـ: إلى.

(2) الثلم: هو كسر الحرف من الإناء والسيف وغير ذلك، وهو هنا بمعنى التقادم والبلى. انظر اللسان: ثلم.

(3) الأنعام: 45

(4) حذوت: من حذا يحذو حذوا وحذاء وهو تقدير الشيء بالشيء وقطعه على قدره. اللسان: حذا.

(5) سبأ: 54. والحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 155/ 153.

(6) عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي العباسي، أمير، (103-147هـ)، راجع تاريخ بغداد 10/ 8. النجوم الزاهرة 2/ 7.

مروج الذهب، سجنه فطال سجنه، فلما أراد الحج سنة تسع وأربعين ومائة حوله من الحبس إلى عند عيسى بن موسى[1] وأمره بقتله وأن لا يعلم به أحدا، فبعث عيسى إلى ابن أبي ليلي[2] وإلى ابن شبرمة[3] ثم شاورهما في ذلك، فقال ابن أبي ليلي: امض لما أمرك به[4] وقال ابن شبرمة[5] لقد تركك في أوسع مما بين السماء والارض فلا تورطن[6] نفسك. فحبسه مغيبا وأبى أن يقتله وأظهر للمنصور أنه قتله، فكلم بنوعلي المنصور في أخيهم عبد الله، فقال: هو عند عيسى بن موسى، فسألوه عنه، فقال: قتلته، فرجعوا إلى المنصور فقالوا: زعم عيسى[7] أنه قتله فأظهر المنصور الغضب على عيسى بن موسى وقال: يقتل عمي بغير أمري والله لأقتلنه، وكان يود أن عيسى قتله فيقتله به فيستريح منهما جميعا. قال: فدعا عيسى بن موسى فقال: قتلت عمي بغير أمري. فقال: نعم. أنت أمرتني به. قال: لم آمرك. قال: هذا كتابك إلي فيه قال: لم أكتبه فلما رأى الجد من المنصور وخاف على نفسه قال: هو عندي قال: فادفعه إلى ابن الأزهر المهلب بن عيسى[8] فدفعه إليه، فلم يزل عنده محبوسا حتى أمر بقتله فدخل عليه ومعه جارية له فبدأ بعبد الله فخنقه حتى مات، ثم مد يده على فراشه ثم أخذ الجارية فخنقها فكان ابن الأزهر يقول: ما رحمت

---

(1) عيسى بن موسى بن محمد العباسي، أبو موسى، أمير من الولاة القادة. وهو ابن أخي السفاح. (102 - 167هـ)، راجع المرزباني: 96 وأشعار أولاد الخلفاء: 83.

(2) محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، يسار بن بلال الأنصاري، قاض فقيه، ولي القضاء لبني أمية وبني العباس (74-148 هـ)، راجع الوفيات 4/ 179. تهذيب التهذيب 9/ 301.

(3) هو عبد الله بن شبرمة بن حسان الضبي القاضي الكوفي (72-144هـ)، تهذيب التهذيب5/ 250

(4) ب، د: إليه.

(5) أ: سبرمة.

(6) أ، ج، هـ: نرعى.

(7) ج: موسى.

(8) لعله أحمد بن محمد بن عيسى بن الأزهر البرقي القاضي. انظر تاريخ بغداد 5/ 61-63 وشذرات الذهب 2/ 175.

أحدا قتلته غيرها فصرفت وجهي عنها فخنقتها ووضعتها معه على الفراش وأدخلت يدها تحت جنبه ويده تحت جنبها كالمتعانقين، ثم أمرت بالبيت فهدم عليهما، ثم دعا المنصور ابن علاثة[1] القاضي وغيره فنظروا إلى عبد الله والجارية معه على تلك الحالة، ثم أمر به فدفن بباب الشام[2] ببغداد في الجانب الغربي رحمه الله[3]./ [98/أ]

حُكي أن المنصور كان من الحزم وصواب التدبير وحسن السياسة بالمحل الأعلى، وكان يعطي العطاء الجزيل ولكن في محله. ولم يتصنع في/ عطائه وكان [146/ج] يقول: لوكان لي ألف بعير ولي جمل أجرب لقمت به قيام من لا يملك غيره. وخلف المنصور ستمائة ألف/ ألف درهم، وأربعة عشر ألف ألف دينار، وكان [129/ب] مع ذلك يثمر المال[4] وينظره في نموه كما ينظر التجار[5] والعامة. شارط صاحب مطبخه على أن له الرءوس والأكارع والجلود وعليه/ الحطب والتوابل، ووصل [135/د] المنصور عمومته وهم عشرة في يوم واحد بعشرة آلاف[6] درهم وله خطب ومواعظ وسير وسياسات للملك حسان إلى الغاية[7].

حُكي أن الهادي كان كثير الطاعة لأمه الخيزران[8] مجيبا لها فيما تسأل من

---

(1) محمد بن عبد الله بن علاثة أبو اليسير توفي سنة 163هـ. من أهل حران قضى أيام المهدي. راجع تاريخ الطبري 5/ 388.

(2) باب الشام: محلة كانت بالجانب الغربي من بغداد. معجم البلدان: باب الشام.

(3) الحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 159-161. والمستطرف 1/ 65.

(4) د: الماء.

(5) د: الجار.

(6) أ: عشرة آلاف ألف درهم.

(7) الحكاية وردت في مروج الذهب مع اختلاف الرواية انظر ج 4/ 163 - 164.

(8) الخيزران بنت عطاء، أم المهدي والرشيد، توفيت سنة 173 هـ وكانت تسأل الحوائج للناس من ابنها الهادي، فكان بينهما ما كان. انظر مروج الذهب 4/ 186.

الحوائج، فكانت المواكب لا تخلو من بابها وفي ذلك يقول أبو المعافي[1]:

[الكامل]

يا خيزران هناك ثم هناك   إن العباد يسوسهم أبناك[2]

فكلمته ذات يوم في أمر فلم يجد إلى إجابتها سبيلا، فاعتل عليها بعلة فقالت: لا بد من إجابتي. فقال: لا أفعل. فقالت: إني قد ضمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك الغزالي[3] فغضب الهادي وقال: ويلي على ابن الفاعلة! قد علمت أنه صاحبها، والله لا قضيتها لك، قالت: إذا والله لا أسألك حاجة أبدا. قال: إذاً/ [١١١/هـ] والله لا أبالي، [فحميت] [4] وقامت مغضبة. فقال: مكانك، فاستوعي كلامي والله وإلا نفيت من قرابتي من رسول الله، ﷺ، لئن بلغني أنه وقف ببابك أحد بعد اليوم من قوادي أوخدمي أوخاصتي لأضربن عنقه ولأقبضن ماله، فمن شاء فليلزم ذلك، ما هذه المواكب التي قعدت على بابك كل يوم؟ أمالك مغزل يشغلك أومصحف يذكرك أو بيت يصونك؟ إياك ثم إياك تفتحي بابك في حاجة لي لصديق أوعدو فانصرفت وما تعقل ما تطأ من الأرض ولم تنطق بعده بحلو ولا مر[5].

حكي أنه لما ظهر الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم في أيام الهادي انتدب إليه جماعة من بني هاشم فقتلوه يوم التروية[6]على

(1) يعقوب ابن إسماعيل بن رافع، أبو المعافي المزني، شاعر من أبناء العصر العباسي توفي حوالي 180هـ. انظر المزرباني: 496.

(2) البيت ورد في الطبري ومروج الذهب 4/ 186.

(3) أراد عبد الله بن مالك الخزاعي صاحب شرطة المهدي والهادي والرشيد انظر الطبري.

(4) حميت: أي صارت لا تحتمل الضيم. اللسان: حما.

(5) الحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 186.

(6) يوم الروية: هو يوم قبل يوم عرفة، وهو الثامن من ذي الحجة، سمي به لأن الحجاج يتروون فيه من الماء. اللسان: روي.

ستة أميال من مكة المشرفة هو وجماعة من الطالبيين وجاءوا برأسه إلى الهادي مستبشرين بذلك، فسخط الهادي عليهم وبكى بكاء شديدا وقال: جئتم إلي مستبشرين كأنكم أتيتم برأس رجل من أهل الشرك والديلم، إنكم أتيتموني برأس رجل من عترة[1] رسول الله ﷺ[2]. قلت: وفي الحسن بن علي هذا يقول بعض شعراء عصره[3]:

[مجزوء الكامل]

فلأبكين على الحسين ولأبكين[4] على الحسن
ذاك بن عاتكة الذي قد أبرزوه للكفن[5]
قتلوه ظلما[6] عدوة[7] في غير منزلة[8] الوطن
[147/ج] كانوا كراما قتلوا لا طائشين ولا جبن/
غسلوا المذمة عنهم غسل الثياب من الدرن
هدي العباد بجدهم فلهم على الناس المنن[9]

حُكي عن عيسى بن دأب[10] أنه قال: دعاني الهادي في وقت من الليل ما عادته أن يدعوني في مثله، فدخلت عليه فإذا هو جالس في بيت صغير شتوي، وبيده

(1) العترة: الأقرباء من ولد وغيره. اللسان: عتر.
(2) الحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 186.
(3) هو عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب. راجع مقاتل الطالبيين:
(4) د: وأبكين.
(5) لا أدري ماذا أراد الشاعر «بابن عاتكة»، لأنه معلوم أن أم الحسين المذكور هي زينب بنت عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. انظر المحبر: 37. المقاتل: 431.
(6) ب، د: ظلمة.
(7) ج: عدوانا.
(8) ب، ج: منزله.
(9) الأبيات وردت في مروج الذهب 4/ 186، مع اختلاف الرواية.
(10) عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب، أبو الوليد، محدث نساب وشاعر من أهل المدينة، توفي حوالي 171هـ. راجع دائرة المعارف الإسلامية 2/ ابن دأب.

جزء ينظر فيه. فقال:/ يا عيسى! قلت: لبيك. قال: إني أرقت الليلة، وتداعت [130/ب] علي الخواطر واشتملت بي الهموم، وهاج لي ما جرأ علينا أهل البيت من بني أمية وبني حرب وبني مروان من سفك الدماء وهتك الحرمة. فقلت له: ألم يكفك ما جرى عليهم. هذا عبد الله بن علي قتل منهم، وهذا عبد الصمد[1] قتل منهم في الحجاز في وقت واحد/ نحوما قتل عبد الله بن علي[2] وهو القائل هذا الشعر بعد [136/د] سفكه لدمائهم:

[الكامل]

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها ... أخذي بثأري من بني مروان

مع آل حرب ليت شيخي شاهد ... سفكي دماء بني سفيان[3]

قال: فسري[4] عن الهادي وسر بذلك وظهرت عليه أريحية[5].

حُكي أن الهادي لما ثقل عليه الضعف وتحدث الناس أنه الموت، استدعى أمه الخيزران، فلما حضرت نهض أن يقوم لها فلم يقدر، وغلب ثم قال لها: اجلسي، فجلست عند رأسه واستعبر باكيا، ثم قال لها: يا أماه! إني هالك في هذه الليلة، وأنت تعلمين ما مضى لي معك من البر وعدم/ العقوق، ثم بعد ذلك أمرتك [99/أ] بأشياء ونهيتك عن أشياء على ما أوجبته سياسة الملوك لا موجبات الشرع، ولم أكن بذلك عاقا لك، بل كنت مشفقا عليك صائنا لحجابك، قائما بحرمتك، فسامحيني اليوم واغفري، ثم بكى وبكت بكاء شديدا واستغفرت له ثم قبض على يدها[6]

(1) هو عبد الصمد بن علي بن عبد الله، أبو محمد العباسي، عم السفاح (106-185هـ)، انظر الوفيات 3/ 195 لسان الميزان 4/ 21. الشذرات 1/ 357.

(2) سبق ذكره.

(3) البيتان وردا في مروج الذهب 4/ 188.

(4) سري عنه: أي تجلى همه. اللسان: سرا.

(5) الحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 187-188.

(6) أ: يديها.

ووضعها على فؤاده ومضى[1] من ساعته وهو على تلك الحالة، وفي الليلة التي مات فيها ولي الرشيد وولد المأمون[2].

حُكي أن المهدي قال: رأيت في منامي كأني دفعت إلى ابني موسى الهادي [112/هـ] قضيبا وإلى ابني هارون قضيبا، فأما قضيب موسى[3] فأورق[4]/ أعلاه قليلا، وأما قضيب هارون فأورق من أصله إلى آخره، فقص الرؤيا على الحكم بن إسحاق[5] الضميري وكان يعبر الرؤيا. فقال: يملكان جميعا، فأما موسى فتقل أيامه، وأما هارون فيبلغ مبلغا عظيما في الخلافة، وتكثر أيامه، وتكون أحسن الأيام، ودهره أحسن الدهو ر. فلما مات المهدي واستخلف الهادي دعا أخاه الرشيد في بعض الأيام وقال له: كأني بك تحدثك نفسك برؤيا أبينا وتؤمل ما أنت بعيد عنه وتمثل بقول الشاعر:

[المتقارب]

[148/ج] ومن دون ذلك خرط القتاد وضرب وطعن يفض الشؤونا[6]/

فقال له الرشيد: من تكبر وضع، ومن تواضع رفع، ومن ظلم خذل، ولئن وصل إلي الأمر جعلت فداءك، وصلت من وصلني، وبررت من حرمني وصيرت أولادك أعز وأعلى من أولادي، وزوجتهم بناتي وقضيت بذلك حق الإمام المهدي، فانجلى عن موسى الغضب وسري عنه وبان السرور في وجهه

(1) ب، د: وقضى.

(2) الحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 193.

(3) د: بلي موسى.

(4) أ: فأوراق.

(5) أظنه الحكم بن موسى الضمري، وليس الضميري، راجع الطبري 3/ 585. أما ابن إسحاق الضميري فقد عاش في القرن الثالث.

(6) الشطر الأول من هذا البيت ورد في الكامل لابن الأثير 5/ 266.

وقال: ذلك الظن بك يا أبا جعفر: ادن مني فقام الرشيد فقبل يده ثم ذهب ليعود، فيقف بين يديه. فقال موسى: والشيخ الجليل والملك النبيل، يعني أباه، لا جلست معي إلا في صدر المجلس، ثم قال: يا خازن احمل/ إليه الساعة ألف ألف [131/ب] دينار، فلما أراد الرشيد أن يقوم أمر الهادي أن تقدم إليه ابنيه إلى البساط[1] قال عمروالرومي[2]: فلما افضت الخلافة إلى الرشيد زوج حمدونة[3] بانيه من جعفر بن موسى الهادي وزوج فاطمة ابنته من إسماعيل بن المهدي[4] ووفى له/ بكل ما [137/د] وعده[5].

حكى المسعودي في مروج الذهب [أن][6] في سنة إحدى عشر ومائتين نادى المأمون: برئت الذمة من أحد من الناس ذكر معاوية بن أبي سفيان بخير أو قدمه[7] على أحد من الصحابة رضي الله عنهم. وقد تنازع الناس في السبب الذي لأجله أمر بذلك، فقيل: إن بعض أصحابه حدثه بحديث مطرف بن المغيرة[8] بن شعبة وهو ما ذكره الزبير بن بكار[9] في الموفقات التي صنفها[10] للموفق[11] قال الزبير:

---

(1) في مروج الذهب: فلما أراد هارون الانصراف قدمت دابته إلى البساط وأظنه تصحيف.

(2) عمرو الرومي من ندماء الرشيد ذكره صاحب فتوح البلدان: 451.

(3) حمدونة بنت هارون الرشيد. ذكرها الجاحظ في البيان والتبين 2/ 232، وكذا في الأغاني 12/ 328.

(4) أظنه أراد إسماعيل بن موسى الهادي. انظر مروج الذهب 4/ 194.

(5) الحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 194.

(6) زيادة من: ج.

(7) أ: وقدمه.

(8) مطرف بن المغيرة بن شعبة، ثائر من أتقياء الولاة والأمراء، ولاه الحجاج على المدائن (ت 77هـ)، راجع جمهرة رسائل العرب 2/ 205.

(9) سبق ذكره.

(10) أ: صنعها.

(11) طلحة بن جعفر بن المعتصم، العباسي أبو أحمد أمير عباسي (ت 278هـ)، راجع تاريخ بغداد 2/ 127 وفيه: أحمد بن جعفر. والكامل في التاريخ حوادث 278 والنجوم الزاهرة 3/ 79.

سمعت المدائني[1] يقول: قال مطرف بن المغيرة بن شعبة: وفدت مع أبي المغيرة على معاوية بن أبي سفيان وكان أبي يتحدث عنده ثم ينصرف إلي فيذكر معاوية ويذكر عقله ويتعجب مما رأى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيته[2] مغموما فانتظرته ساعة وظننت أنه لشيء حدث فينا أو في عملنا. فقلت له: ما لي أراك مغتما في هذه الليلة؟ فقال: يا بني، إني جئت من عند أخبث الناس، قلت: وما ذاك؟ قال: قلت له، وقد خلوت به: قد كبرت سنا يا أمير المؤمنين فلوأظهرت عدلا وبسطت خيرا، ولو نظرت إلى إخوانك من بني هاشم فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، فقال لي: هيهات! هيهات! ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فوالله ما عدا أن هلك ذكره إلا أن يقول قائل: أبو بكر ثم ملك أخوعدي واجتهد وعمر عشر سنين، فوالله ما عدا أن هلك وهلك ذكره، إلا أن يقول قائل: عمر، ثم ملك أخونا عثمان فملك وما أحد في مثل سنه فعمل ما عمل، فوالله ما عدا أن هلك ودرس ذكره وذكر ما فعل به، وأن أخا بني هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرات: محمد رسول الله، فأي عمل يبقى مع هذا لا أم لك، لا، والله إلا دفنا دفنا فقيل: إن المأمون لما سمع هذا الخبر بعثه ذلك على ما فعل، وبث الكتب في الآفاق بذلك وبها لا يذكر ويمسك عنه، فأعظم الناس ذلك [ج/149][أ/100] وأكبره واضطربت العامة فأشير عليهم بترك ذلك فأعرض/ عنه[3]./

قلت: والذي أعتقده وأدين الله تعالى به أن معاوية رضي الله عنه بريء من ذلك، وأنه من خيار أصحاب رسول الله ﷺ/ ولا عبرة بقول أهل التعصب «ولا [هـ/113] بد من مثن عليك وقال».

(1) سبق ذكره.

(2) ب: ونظرته.

(3) الحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 338. وفيه: سنة اثنتي عشرة ومائتين نادى منادي المأمون.

حُكي أن المتوكل وقع في خلافته في محنة عظيمة في آل بني[1] طالب حتى أمر بهدم قبر الحسين رضي الله عنه ومحو أثره فهاب الناس ذلك فأمر بعض غلمانه فأخذ مسحاة [2] فهدم أعالي القبر فأقبل الفعلة[3] بعده على الهدم إلى أن وصلوا إلى الحفيرة فلم يجدوا بها أثر رمة ومنع من زيارة قبور الطالبيين، فلما استخلف ابنه المستنصر بالله كف عن بني طالب وترك البحث عن أخبارهم، ولا يمنع أحدا من زيارة قبورهم، وأمر برد التراب على قبور ولد [الحسن][4] والحسين رضي الله عنهما[5]، وأطلق وقوف أولاد بني طالب، وترك التعرض لهم، وفي ذلك يقول/ [132/ب] [يزيد][6] بن محمد المهلبي:[7]/ [138/د]

[الكامل]

ولقد بررت الطالبية بعدما	رموا زماما بعده وزمانا
ووددت إلفة هاشم فرأيتهم	بعد العداوة بينهم إخوانا
أمنت خائفهم وجدت عليهم	حتى نسوا الاحفاد والأوطانا
لو يعلم الأسلاف كيف بررتهم	لرأوك أثقل من بها ميزانا[8]

حُكي أن أبا الحسن يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وأمه بنت الحسين بن عبد الله الطالبية رضي الله عنها ظهر بالكوفة في سنة ثمان وأربعين ومائتين، فأخذ وقتل وحمل رأسه إلى بغداد فصلب

(1) ب، د: أبي.
(2) المسحاة: مجرفة من الحديد. اللسان: مسح.
(3) الفعلة: صفة غالبة على عملة الطين والحفر ونحوهما لأنهم يفعلون. اللسان: فعل.
(4) زيادة من: ب، ج، د، هـ.
(5) أ: عنهم.
(6) في جميع النسخ زيد والصواب ما أثبتناه.
(7) يزيد بن محمد بن المهلب بن المغيرة، شاعر محسن، من الندماء الرواة (ت 259هـ)، راجع تاريخ بغداد 14/ 348. ويتيمة الدهر 2/ 156.
(8) الأبيات وردت في مروج الذهب 5/ 51.

فضج الناس من ذلك لما كان ليحيى في نفوس الناس من المحبة لأنه استفتح أمره بالكف عن الدماء والورع عن أموال الناس وإظهار العدل والانصاف، ولما قتله ابن طاهر[1] دخل عليه الناس يهنونه بالفتح فدخل عليه أبو القاسم الجعفري[2] فقال يا بن طاهر إنك لتهنأ بقتل رجل لو كان رسول الله ﷺ حيا لعزي به وأنشد:

[الخفيف]

يا بني طالب كلوه وبيا	إن لحم النبي غير مري
إن ثأرا يكون طالبه الله	لثأر بالموت غير حري[3]

ورثاه الشعراء فأكثروا، فمن ذلك ما قاله أجرب بن طاهر[4] من قصيدة طويلة منها:

[الطويل]

أتجمع عين بين نوم وجفنها	ولابن رسول الله في الترب مضجع
وقد أقفرت[5] دار النبي محمد	من الدين والإسلام فالدار بلقع[6]
وقتل آل المصطفى في بيوتهم	وبدد شمل منهم ليس يجمع
بني طاهر واللؤم فيكم سجية	وللغدر[7] منكم حاسر[8] ومقنع/

[150/ج]

(1) محمد بن عبد الله بن طاهر الخزاعي، أبو العباس، أمير حازم من الشجعان (209 - 253هـ)، راجع المرزباني: 383 تاريخ بغداد 5/ 418. فوات الوفيات: 3/ 403-404. النجوم الزاهرة 2/ 340.

(2) لم أقف عليه.

(3) البيتان وردا في الطبري ومروج الذهب 5/ 62 برواية «يا بني طاهر» في البيت الأول، وأظنه هو الصواب. وبرواية: «إن وترا» في البيت الثاني.

(4) أظنه تصحيف ل«أحمد بن أبي طاهر» وهو أحمد بن طيفور الخراساني، أبو الفضل مؤرخ من الكتاب البلغاء الرواة (204-280 هـ)، راجع معجم الأدباء 1/ 156 وتاريخ بغداد 4/ 211.

(5) أ: أنفرت.

(6) الدار بلقع: هي الخالية. اللسان: بلقع.

(7) أ: والغدر.

(8) أ: حاصر. ساقطة من: د.

قواطعكم في الترك غير قواطع[1] ولكنها في آل أحمد تقطع
لكم كل يوم مشرب من دمائهم فغلتكم من شربها ليس تنقع[2]
رماحكم في الطالبين شرع وفيكم رماح الترك بالقتل شرع
لكم مرتع في دار آل محمد وداركم للترك والروم مرتع
علمتم بأن الله يرعى حقوقكم وحق رسول الله فيكم مضيع[3]

حُكي أن المهتدي بالله[4] كان آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، حرم الشراب و هجر القيان ونهى عن الغناء، وأظهر الله عدله، وكان يحضر كل جمعة الجامع ويخطب في الناس ويؤم بهم، وذهب في أمره إلى القصد، وقرب العلماء، ورفع منازل الفقهاء، وعمهم ببره وخيره، وكان/ يقول/ : يا بني هاشم: دعوني أسلك [133/ب4] فيكم مسلك عمر بن عبد العزيز في بني أمية، وتقلل من الدنيا ومن اللباس/ [10/أ] والفرش/ والمطعم والمشرب، وأمر بإخراج آنية الذهب والفضة من الخزائن [139/د] فكسرت وضربت دنانير ودراهم، وعمد إلى الصور التي كانت في مجالس الخلفاء فمحاها وذبح الكباش التي كانت يناطح بها بين يديه، وكانت الخلفاء تنفق على موالدها في كل يوم عشرة آلاف درهم، وأزال ذلك وكان لمائدته وسائر مئونته في كل يوم نحو مائة درهم، وكان يواصل الصيام، وكان سهل الحجاب يدخل عليه الخاص والعام، ولما قتل وجدوا في الموضع الذي كان يأوي إليه سفطا مغلقا فتوهموا أن فيه جوهرا فوجدوا فيه جبة صوف وغلا من حديد، وقيل: جبة شعر فسألوا من كان يخدمه، فقال: إنه كان: إذا جن عليه الليل لبسها وغل نفسه بهذا

---

(1) أ: مقطع.

(2) الغُلة والغل والغلل والغليل: كله شدة العطش وحرارته. اللسان: غلل.

(3) القصيدة وردت في مروج الذهب 5/ 62 - 63. والحكاية وردت في الطبري أما المسعودي فقد ذكر في تاريخه أن الخارج هو: أبو الحسين يحيى بن عمر بن الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الطيار. انظر مروج الذهب 5/ 61.

(4) هو محمد بن هارون الواثق بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد من الخلفاء العباسيين (222-256هـ)، راجع الوفيات 4/ 50-51. تاريخ الخميس 2/ 341.

الغل ويصلي حتى يدركه الصباح، وإنه كان لا ينام بالليل إلا ساعة بعد العشاء، ثم يقوم. وإنه سمعه من كان يأنس به، وقد صلى المغرب ودنا من إفطاره وهو يقول: اللهم قد صح عن نبيك محمد ﷺ أنه قال: ثلاثة[1] لا تحجب دعوتهم: «الإمام العادل...»[2]، وقد علمت حالي بيني وبينك، وما أجهدت نفسي فيه من العدل بين رعيتي. ودعوة المظلوم وأنا مظلوم، ودعوة الصائم حتى يفطر وأنا صائم، وجعل يدعو بدعوات سرا، ولما كانت هذه سيرته، ثقل أمره على جماعته [لما حملهم إليه من الطريق الواضحة فاستطالوا خلافته] [3] وسئموا أيامه فعملوا[4] الحيلة عليه حتى قتلوه ظلما رحمه الله[5].

حكى محمد بن علي الربعي[6] وكان ممن يكثر عند المهتدي الجلوس. قال: بت عند المهتدي ذات ليلة فقام من الليل فقال[7]: يا محمد! أتحفظ خبر نوف[8] الذي حكاه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين كان يبيت عنده؟ قلت: نعم. قال: هات. قلت: ذكر نوف، قال: رأيت عليا ليلة قد أكثر الخروج والدخول والنظر إلى السماء، فقال: يا نوف! أنت نائم؟ قلت: بل أرمقك بعيني/ منذ الليلة [151/ج] يا أمير المؤمنين. فقال: يا نوف! طوبى للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة، أولائك قوم قد اتخذوا أرض الله بساطا، وترابها أسبابا، وماءها طيبا، وكتاب الله

(1) أ، د، هـ: ثلاث.

(2) الحديث أخرجه ابن ماجة في سننه، باب الصائم لا ترد دعوته: 1752.

(3) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(4) ب، د، هـ: فاعلموا.

(5) الحكاية وردت في مروج الذهب 5/ 98-99، مع اختلاف قليل بين الروايتين.

(6) ذكره المسعودي في مروج الذهب في الحكاية نفسها. انظر ج 5/ 102.

(7) أ: قال.

(8) هو نوف بن فضالة الحميري البكالي إمام أهل دمشق في عصره (ت 95هـ)، راجع التهذيب 10/ 490.

شعارا والدماء دثارا[1]، ثم قطعوا الدنيا على منهج عيسى بن مريم عليه السلام، يا نوف! إن الله أوحى إلى عبده عيسى بن مريم ﷺ: قل لبني إسرائيل لا تدخلوا في بيوتي إلا بقلوب خاضعة وأبصار خاشعة وأكف نقية، واعلمهم أني لا أجيب لأحد دعوة ولأحد من خلقي قبله مظلمة. قال محمد الربعي: فطلب المهتدي دواتا وقرطاسا وكتب الخبر بخطه، ثم قمت في جوف الليل فسمعته وقد خلا بنفسه في بيت كان يخلوبه وهو يبكي ويقول: «طوبى للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة» ويقول الخبر رحمه الله[2].

حُكي أن القاهر بالله[3] كان شهما شديد البطش بأعدائه لا يكاد يضبط لتقلبه وتلونه، أباد جماعة من أهل/ الدولة واتخذ حربة عظيمة لم يزل يحملها في يديه، [134/ب] ويطرحها بين يديه حال جلوسه، يباشر القتل بتلك الحربة بنفسه[لمن يريد قتله][4].

حكى/ يحيى بن علي [المصري][5] الأخباري[6]، وكان آنسا بالقاهر[7] بالله، [140/د] قال: خلا بي القاهر بالله يوما وقال: أتصدقني أو هذه الحربة في كبدك؟ وأشار بالحربة إلي، فرأيت، والله، الموت عيانا، فقلت: أصدق، وعن ماذا[8]؟ فقال: عما أسألك عنه، ولا تغيب عني منه شيئا ولا تسقط منه شيئا. قلت: نعم. قال: أنت علامة عارف بأخبار بني العباس وأخلاقهم وشيمهم من السفاح إلى الآن. قلت: على أن لي الأمان. قال: ولك ذلك. قلت: أما السفاح فكان سريعا إلى

(1) الدثار: هو الثوب الذي يكون فوق الشعار. اللسان: دثر.

(2) الحكاية وردت في مروج الذهب 5/ 102 مع اختلاف الرواية.

(3) سبق ذكره.

(4) الحكاية وردت في مروج الذهب 5/ 210.

(5) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(6) في مروج الذهب هو محمد بن علي المصري الخراساني الأخباري. انظر الجزء 5/ 211.

(7) عبارة المسعودي: وكان القاهر به آنسا.

(8) ج: عماذا.

[115/هـ] سفك الدماء، سفك ألف دم وأتبعه/ عليه في [الشرق والغرب][1] في فعله عماله، وكان مع ذلك جوادا سمحا وصولا بالمال واصلا للأرحام. قال: فأخبرني عن المنصور. قلت: الصدق؟ قال: الصدق. قلت: كان والله أول[2] من أظهر الفرقة بين ولد العباس وآل بني طالب، وقد كان قبل ذلك أمرهم واحد، وكان أول خليفة قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم، وكان في أول خلافته ترجمت له الكتب من اللغة العجمية إلى العربية مثل كليلة ودمنة ومثل كتاب أرسطوطاليس وكتاب إقليدس[3] وغير ذلك من الكتب القديمة، من الكتب اليونانية والرومية [102/أ] والفيلسوفية والفارسية والسريانية، وأخرجت/ للناس فنظروا وتعلقوا بها، وفي أيامه وضع محمد بن إسحاق المطلبي[4] المغازي والسير وأخبار المبدأ والمعاد، ولم تكن قبل ذلك، وكان أول خليفة استعمل مواليه وغلمانه وصرفهم في مهماته وقدمهم على العرب ففعل ذلك الخلفاء بعده من ولده، فسقطت إمارة العرب [152/ج] وزالت رئاستها وذهبت مراتبها، ونظم في/ العلوم والمذاهب والآراء من النِّحل والملل، وكتب الحديث، فقال القاهر بالله: قد قلت فأحسنت وعبرت فبينت ثم قال: اخبرني عن المهدي كيف كانت أخلاقه؟ قلت: كان سمحا سخيا كريما، وكانت بدر[5] الدنانير والدراهم تحمل إليه ولا يسأل أحد منه شيئا إلا أعطاه، وإن سكت ابتدأه، وأمعن في قتل الملحدين وكان أول من أمر أهل الجدل به، وأهل البحث من المتكلمين، وأمر بتصنيف الكتب في الرد على الملحدين وغيرهم وإقامة

(1) عبارة أ: المشرق والمغرب.

(2) ساقطة من: د.

(3) العالم اليوناني المشهو ر وهو إقليدس بن نوقطرس من الفلاسفة الرياضيين وهو صاحب «جومطريا» أي الهندسة. انظر الفهرست: 371.

(4) محمد بن إسحاق بن يسار، أبو بكر، صاحب المغازي والسير (ت 151هـ)، راجع تاريخ بغداد 1/ 214 ومعجم الأدباء 18/ 5. والوفيات 4/ 276 وتهذيب التهذيب 9/ 38.

(5) بدر: مفردها بدرة وهي كيس فيه ألف أو عشرة آلاف. اللسان: بدر.

البراهين على المعاندين وإزالة شبهة الزنادقة والملحدين، وإيضاح الحق للسالكين، وهو الذي شرع في بناء المسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ على ما هما عليه الآن، وبنى بيت المقدس وقد هدمته الزلازل.

قال: فأخبرني عن الهادي على قِصَر أيامه، كيف كانت خلافته وشيمه؟ قلت: كان جبارا عنيدا، أول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المرهفة والأعمدة المصقولة والقسي[1] الموترة، وطلب السلاح وغالى[2] فيه. قال: لقد أجدت في وصفه وبالغت فيما ذكرت من [قولك][3] فيه، ثم قال: فأخبرني عن الرشيد، كيف كانت طريقته؟ قلت: كان مواضبا على الحج متابعا للغزو/ واتخذ المصانع [135/ب] والآبار والبرك والقصور في طرق مكة، وأظهر ذلك بها وفي منى وعرفات ومدينة النبي ﷺ فعم إحسانه/ وعدله ثم بنى الثغور والمدن وحصن فيها الحصون مثل [241/د] طرسوس[4] وآذنة[5] والمصيصة[6] ومرعش[7] وأحكم بناء الفنادق وغير ذلك للمسافرين والمرابطين، وأمن السبل وقمع الباطل وأظهر الحق وشيد الإسلام فبرز على سائر الأمم، وكان أحسن الناس في أيامه فعلا، زوجته أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور مما أحدثته بناء دور السبيل بمكة واتخاذ المصانع والبرك والآبار بمكة وطريقها المعروف إلى هذه الغاية. ومما أحدثته، دور السبيل بالثغر الشامي وطرسوس وغيرها وما أوقفته على ذلك من الأوقاف الجليلة، وما ظهر في أيامه من فضل البرامكة وجودهم وأفضالهم وماشهر عنهم من أفعالهم،

(1) هـ: القبي.
(2) ب، ج، د: غالا.
(3) زيادة من: ب، ج، د، هـ.
(4) مدينة بثغور الشام بين انطاكيا وحلب وبلاد الروم. معجم البلدان: طرسوس.
(5) خيال من أخيلة حمى فيد. والأخيلة علامات توضع على الحدود المحمية. المرجع السابق: آذنة.
(6) المصيصة مدينة على الشاطئ جيحان من ثغور الشام. معجم البلدان: المصيصة.
(7) مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم. المرجع السابق: مرعش.

وكان أول خليفة لعب الصولجان[1] في الميدان والكرة ورمى بالنشاب[2] في البرجاس[3] ولعب بالكرة وقرب الحذاق في ذلك، وكان أول من لعب الشطرنج من خلفاء بني العباس وقرب اللعاب وأجرى عليهم الصلاة والأرزاق فسمى الناس أيامه: «العروس» لكثرة خيرها وصفوها وخصبها/ . فقال القاهر: إذًا [116/هـ] قصرت في وصف أفعال أم جعفر قلت: ميلا للإختصار وطلبا للإيجاز. قال: فتناول الحربة ثم هزها فرأيت الموت الأحمر في طرفها، ثم برقت عيناه مع ذلك، فاستسلمت للموت وقلت: هنا ملك الموت، ولم أشك أنه سيقبض روحي/ [153/ج] فأهوى بها نحوي فرغت عنها فاسترجع وقد أخطأتني وقال: ويحك! أبغضت ما فيه عيشك ومللت الحياة. قلت: ما هو؟ قال: أخبار أم جعفر، زدني منها. قلت: كانت، من شرف فعلها وحسن سيرتها في الجد والهزل، نادرة فيه على غيرها. فأما الجد فالآثار الجميلة التي لم يكن في الإسلام مثلها مثل حفرها العين المعلومة بعين المشاش بالحجاز[4] فإنها حفرتها ومهدت الطريق لها إلى مكة فاستسهلت، وكانت جملة ما أنفقت[5] عليها فيما ذكر ألف ألف وسبعمائة ألف دينار وما قدمت ذكره من المصانع والدور والبرك والآبار بالحجاز والثغور والأوقاف على ذلك وهي[6] باقية إلى يومنا هذا، وأما الوجه الثاني فما به تتباهى الملوك ويتنعمون به في أيامهم ويصولون به في دولهم، فهي أول من اتخذت الآلات الملوكية من الذهب/ والفضة [103/أ] المكللة بالجواهر، واصطنع لها الرفيع من الوشي حتى بلغ لها ثوب وشي، اتخذ لها، نحو خمسين ألف دينار وهي أول من اتخذ الخدم من الجواري يختلفون على الدواب

(1) الصولجان عصا يعطف طرفها، فتضرب بها الكرة على الدواب. اللسان: صلج.

(2) النشاب: السهام. اللسان: نشب.

(3) البرجاس: غرض في الهواء يرمى به. اللسان: برجس.

(4) لم أقف عليها.

(5) ب، د: انفق.

(6) أ، ج، هـ: وهذا.

في جهاتها[1] ويذهبون في حوائجها برسائلها وكتبها. وأول من اتخذ القبقاب[2] من الفضة والآبنوس والصندل وستورها من الذهب والفضة. وأول من اتخذ الأقبية الموشاة المفرات بالسمور[3] والسنجاب[4] والمبطنة بالديباج وأنواع الحرير من الأحمر والأخضر والأصفر والأزرق. وأول من اتخذ الخفاف/ المرصعة [136/أ] بالجوهر والشمع المعنبر، ولما أفضى الأمر إلى ولدها محمد الأمين قدم الخدم/ ورفع [142/د] منازلهم واختص عدة منهم مثل كوثر[5] وغيره من خدمه، فلما رأت أم جعفر شدة شغفه بالخدم واشتغاله بهم، اتخذت له الجواري الطوال الحسان الوجوه وعممت رؤوسهن وجعلت لهن الطرر والأصداغ[6] وألبستهن الأقبية والقراطق[7] والمناطق، فبانت قدودهن وبرزت أردافهن وبعثت بهن إليه فاختلفن بين يديه فاستحسنهن وأبرزهن للناس من الخاص والعام فسماهن الناس الغلاميات. قال: فلما سمع القاهر بالله هذا الوصف ذهب به الطرب والسرور والفرح والحبور كل مذهب ونادى بأعلا صوته: يا غلام! قدح على وصف الغلاميات، فبادر إليه جوار كثيرة على قد واحد مثل الغلمان بالقراطق والأقبية والطرر والمناطق من الذهب والفضة فأخذ الكأس بيده فأقبلت أتأمل صفاء جوهر الكأس ونور الشراب وشعاعه وحسن الجواري حتى كاد يبدو علي الطرب والارتياح لهن

(1) أ: جيهتها.

(2) القبقاب: النعل المتخذة من الخشب، بلغة أهل اليمن. اللسان: قبب. وأظن أن المراد هو: القباب، وذلك لذكر القرينة وهي الستور.

(3) السمور: دابة معروفة تسوى من جلودها فراء غالية الأثمان. اللسان: سمر.

(4) السنجاب: حيوان على حد اليربوع تتخذ من جلده الفراء. انظر القاموس المحيط: سنجاب.

(5) كوثر: غلام الأمين العباسي، وكله بحراسة إبراهيم بن المهدي في سجنه. راجع الطبري، وذكره المسعودي في تاريخه 4/ 296.

(6) الطرر: مفردها طرة، وطرة الجارية أن يقطع لها في مقدم ناصيتها كالعلم أو كالطرة تحت التاج. والصدغ هو ما تدل على الصدغ من الشعر. اللسان مادتا: طرر، صدغ.

(7) القراطق: ج قرطق وهو نوع من الأقبية. اللسان: قرطق.

مع ما خامرني من خوفه فأمسكت، فأكب على كأسه والحربة بين يديه فأسرع في شربه ثم قال: هيت. فقلت: ثم أفضى الأمر إلى المأمون فكان يستعمل النظر في أحكام النجوم/ وقضاياها، وينقاد إلى موجباتها ويذهب مذاهب من سلف [154/ج] فيها من ملوك آل ساسان مثل أردشر بن بابك[1] وغيره، واجتهد في قراءة الكتب القديمة وأمعن في درسها وواضب على قراءتها، فلما قدم العراق انصرف عن ذلك كله وأظهر القول بالتوحيد والوعد والوعيد وجالس المتكلمين وقرب إليه كثيرا من المحدثين المبرزين[2] والمناظرين كأبي الهذيل[3] وأبي إسحاق بن سيار[4] وألزم مجلسه الفقهاء وأهل المعرفة من الأدباء والشعراء وأقدمهم[5] من الأمصار وأجرى عليهم الأرزاق فرغب[6] الناس في صناعة النظر وتعلموا البحث والجدل والنظر، وكان أكثر الناس عفوا/ وأعظمهم احتمالا، وأحسنهم خلقا، وأجودهم بالمال، [117/هـ] وأبدلهم للعطاء، وأبعدهم من الكبر. ثم قال: أخبرني عن المعتصم، كيف كانت سيرته؟ قلت: سلك مسلك أخيه وغلب عليه حب الفروسية والتشبه بملوك الأعاجم في الآلة[7] ولبس القلانس والشاشات فسميت المعتصميات وعم الناس أفضاله، وأمنت السبل في أيامه، وشمل الناس إحسانه قال: فأخبرني عن الواثق بالله. قلت: اتبع في الديانة أباه وعمه، وعاقب المخالف، وكثر معروفه، وكان

---

(1) أردشير الأول بن بابك شاه، مؤسس الدولة الساسانية. راجع الطبري والمسعودي 1/ 285.

(2) أ: المبارزين.

(3) أبو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي المعروف بالعلاف من أكبر علماء أهل البصرة، من المعتزلة توفي حوالي 235هـ. ، راجع تاريخ بغداد 3/ 366. الوفيات 4/ 265. الشذرات 2/ 85).

(4) أبو إسحاق، إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري، من أئمة المعتزلة (ت 231هـ)، راجع تاريخ بغداد 6/ 97. النجوم الزاهرة 2/ 234).

(5) أ: أقدامهم.

(6) أ: وأرغب.

(7) ج: الأدلة.

كثير الأكل، واسع العطاء، سهل القياد، محبا لرعيته. قال: فاخبرني عن المتوكل قلت: خالف ما كان عليه المأمون والمعتصم والواثق من الاعتقاد ونهى عن الجدل والمناظرة وعاقب عليه، وأمر بالتقليد وإظهار الرواية للحديث، فحسنت أيامه، وانتظمت دولته، ودام ملكه إلى غير ذلك مما اشتهر من أخلاقه، قال: فقال لي القاهر بالله: قد سمعت كلامك وكأني مشاهد للقوم على ما وصفت/ ومعاين [137/ب] لهم فيها ذكرت، ولقد سرني ما سمعته منك، ولقد فتحت لي أبواب السياسة،/ [143/د] وأخبرتني عن طرق الرياسة، ثم أمر لي بجائزة عجل لي إعطاءها في وقتها، ثم قال لي: إن شئت فقم. قال: فقمت وقام على أثري بحربته فخيل إلي أنه يرميني بها من ورائي، ثم نحا نحو دار الخدم وكان آخر العهد به[1]. بأنه/ دخلت عليه داره [104/أ] وكحلت عيناه وقتل.

حُكي أنه عرض على المهتدي دفاتر من خزائن الكتب فإذا على ظهر دفتر أبيات قالها المعتز بالله[2] وكتبها بخطه وهي:

[البسيط]

إني عرفت علاج الطب من وجعي	وما عرفت علاج الحب والخدع
جزعت للحب والحمى صبرت لها	إني لأعجب من صبري و من جزعي
من كان يشغله عن إلفه وجع	فليس يشغلني عن حبكم وجعي/ [155/ج]
ولا أمل حبيبي ليتني أبدا	مع الحبيب وياليت الحبيب معي[3]

قال: فلما قرأها المهتدي قطب[4]، وقال: حداثة سن وسلطان وعز وملك

(1) الحكاية وردت في مروج الذهب 5/ 215. مع اختلاف قليل من الروايتين.

(2) سبق ذكره.

(3) الأبيات وردت في مروج الذهب 5/ 101-102.

(4) قطب يقطب قُطُوبا وقَطْباً: فهو قاطب وقطوب، والقُطوب: تزوي ما بين العينين عند العبوس. اللسان: قطب.

وشباب، كيف بنجاته[1].

حُكي أن المعتضد بالله صلى يوم عيد الفطر فكبر في الركعة الأولى ست تكبيرات وفي الثانية تكبيرة واحدة ثم صعد المنبر فحصر[2] ولم يفتح عليه بشيء، وفي ذلك يقول بعض الشعراء[3]:

[الكامل]

حصر الإمام ولم يبين خطبة ... للناس في حل ولا[إحرام] [4]

ما ذاك إلا من حياء لم يكن ... ما كان من عي ولا إفحام

من عابه عند الخطابة لم يعب ... إقدامه في الضرب بالصمصام[5]

قال: ولما ولي ذلك أهل المشرق[6] والمغرب[7] وارتفعت الحروب ورخصت الأسعار[8] وذل له المخالفون والمعاندون وكان سديد الرأي كثير الأموال بخيلا شحيحا ينظر في الشيء الحقير قال ابن حمدون[9] وكان من خاصيته: أمر بنقص كل رغيف من الجرايات أوقية وكذا من خبزه الذي يعمل لسماطه فتعجبت من ذلك، ثم رأيت في ذلك أنه إذاً يتوفر من ذلك أموال كثيرة، وكان قليل الرحمة سفاكا للدماء يعاقب بأنواع العذاب وله رغبة في الدنيا والنساء، صرف على قصره

(1) الحكاية وردت في مروج الذهب 5/ 101 مع اختلاف قليل بين الروايتين.

(2) حصر من الحصر وهو ضرب من العي. ويقع لمن يصيبه عي في منطقه ولا يقدر على الكلام. اللسان: حصر.

(3) الحكاية وردت مع الأبيات في "غرر الخصائص" 225.

(4) أ: حرام.

(5) ورد البيتان الأولان في مروج الذهب 139/ 5.

(6) د: الشرق.

(7) ج: والغرب.

(8) ب: الاصعار.

(9) أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل، أبو عبد الله، ابن حمدون، عالم بالأدب والأخبار (ت 255هـ)، راجع إرشاد الأريب 1/ 365.

المعروف بالثريا أربعمائة ألف دينار وكان طوله ثلاثة فراسخ[1].

حُكي أنه لما اتصل خبر قتل مصعب بن الزبير[2] إلى أخيه عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أعرض عن ذكره حتى تحدث بذلك العبيد في سكك المدينة والبلد الحرام مكة، فعند ذلك صعد/ المنبر وجبينه يرشح عرقا. فقال: الحمد لله مالك [118/هـ] الدنيا والآخرة ﴿يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير﴾[3] ألا إنه لن يذل الله من كان الحق له ومعه، ولن يعز الله من كان أولياء الشيطان حزبه[4] ألا إنه قد أتانا خبر من العراق وأحزننا وأفرحنا، وهو قتل مصعب، فأما الذي أحزننا من ذلك، فإن لفراق/ الحميم لوعة يجدها حميمه/ [عند المصيبة] [5]،ثم يرعوي[6] من بعد ذلك [138/ب][144/د] إلى كريم الصبر وجميل العزاء، وأما الذي أفرحنا، فأرى القتل له شهادة، ويجعل الله لنا وله في ذلك الخيرة، أما والله إنا لا نموت حتف[7] أنوفنا[8] كميتة آل أبي العاصي، وإنما نموت طعنا بالرماح وقتلا تحت ظلال السيوف، ألا إنما الدنيا عارية من الملك القهار الذي لا يزول سلطانه ولا يبدل، فإن تقبل الدنيا علي لا

(1) الحكاية وردت في مروج الذهب 5/ 138 وفيها ملخص لثلاث فقرات منه، انظر الفقرات التالية: (3244، 3245، 3246) وكذا في غرر الخصائص: 172.

(2) سبق ذكره.

(3) اقتباس من سورة آل عمران من الآية: ﴿اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء...﴾ آل عمران: 26.

(4) عبارة أ: أولياؤه الشيطان وحزبه.

(5) ما بين معقوفتين ساقط من: د.

(6) يقال ارعوى فلان عن الجهل ارعواء حسنا ورعوى حسنة، وهو نزوعه وحسن رجوعه. اللسان: رعي.

(7) أ: حتفا.

(8) د: أنفنا

آخذها أخذ الأشير البطر[1] وإن تدبر لا أبكي بكاء الحزين المهين. قال الراوي:

[156/ج] ثم زحف الحجاج إلى مكة فحاصر ابن الزبير و ظفر/ بأبي قبيس وذلك في ذي القعدة سنة اثنين وسبعين، وكانت مدة حصاره خمسين ليلة، ودخل ابن الزبير على أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد بلغت من السن مائة سنة لم يقلع لها سن ولم يبيض لها شعر، ولم ينكر من عقلها شيء، فقال لها: يا أماه! كيف حالك؟ فقالت: إني لشاكية يا بني، قال لها: إن في الموت لراحة، قالت: ما أحب أن أموت حتى تأتي على أحد طرفيك، إما أن تظفر فتقر بك عيني أوتقتل فأحتسبك. قال: وأوصى عبد الله وصيته وأمر نساءه وقال: «إذا سمعتن بخبري فاضممن أسماء أمي إليكن»، وكان أخوه عروة متزوجا عمة عبد الملك بن مروان، ولم تزل كتب عبد الملك ترد على الحجاج بأن يتعاهد عروة ولا يسوءه في شيء من نفسه

[105/أ] وماله، وخرج عروة إلى الحجاج ورجع إلى أخيه وقال له:/ هذا خالد بن عبد الله بن أسيد[2] وعمرو بن عثمان[3] يعطيانك أمان عبد الملك على ما أحدثت أنت ومن معك، وأن تنزل أي البلاد شئت، لك بذلك عهد الله وميثاقه، ونحوذلك من الكلام، فأبى عبد الله قبول ذلك، فقالت له أمه أسماء: أي بني! لا تقبل خطة تخاف على نفسك منها القتل، مت كريما وإياك أن تسلم نفسك أسيرا. قال لها: يا أماه! أخاف أن يمثل بي بعد القتل. قالت: يا بني! وهل تألم الشاة من السلخ بعد الذبح، فاقتحموا على ابن الزبير المسجد وقت الصبح، وقد التجأ إلى البيت وهم ينادون يا ابن ذات النطاقين ونظر إلى طائفة منهم قد أقبلوا نحوه بالسيوف فقال لأصحابه: من هؤلاء؟ فقالوا: أهل مصر. قال: قتلة عثمان، ورب الكعبة. فحمل

---

(1) الأشر: المرح وقيل هو البطر، وهو النشاط. اللسان مادتا: أشر، بطر.

(2) خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية، أبو أمية القرشي. راجع ابن الأثير حوادث سنة 71هـ. وذكره المسعودي في تاريخه 3/ 316.

(3) عمرو بن عثمان بن عفان. راجع نسب قريش.

عليهم فضرب منهم رجلا فقتله فتكاثر عليه الرجال من أهل الشام ومصر فلم يزل يضرب فيهم حتى أخرجهم من المسجد ورجع وهو يقول:

[الطويل]

ولست بمبتاع الحياة نسيئة ولا مرتق من رهبة الموت سلما[1]
ألا مت كريما فالفتى غير خالد وملقي المنايا أي [صوب][2] تيمما[3]

قال الراوي: فدخلوا عليه من كل باب، فحمل عليهم واستلم الحجر ثم تكاثروا عليه فرموه بالحجارة فجاءه حجر فصك[4] جبينه فأوضحه فحمل عليهم وهو يقول:

[الطويل]

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما[5]/ [139/ب]

قال/ : وحمل عليهم فكشفهم ورجع إلى من بقي من أصحابه عند البيت فقال [145/د] لهم: ألقوا حمائل سيوفكم وكل[6] منكم يصون سيفه كما يصون وجهه ولا ينكسر سيف أحدكم فيقعد كالمرأة، ولا يسألن رجل منكم فيقول/ : أين عبد الله؟ من [119/هـ] سأل عني فإني في الرعيل[7] الأول ثم أنشد يقول:

(1) النسيئة: اسم نسأ الشيء أي باعه بتأخير. اللسان: نسأ.

(2) أ: صوت.

(3) البيتان ورد الأول منهما في تاريخ المسعودي 3/ 317 وفي الطبري 7/ 205. وفي شرح نهج البلاغة 4/ 481 مع اختلاف الروايات وكذا في البداية والنهاية 8/ 343.

(4) د: فصد.

(5) البيت ورد في المراجع السابقة، نفس الجزء والصفحة وبنفس الرواية.

(6) ساقطة من:هـ

(7) أ، ب: الرحيل.

[البسيط]

[157/ج] يـا رب إن جنـود الشـام قـد كثـروا وهتكـوا من حجاب البيت أسـتارا/

يا رب إنـي ضعيف الركـن مضطهد فابعـث إلـي جنـودا منك أنصـارا[1]

قال: وتكاثر أهل الشام عليه، ألوف من كل باب فحمل عليهم فشدوه وشدخوه بالحجارة فانصرع فأكب عليه موليان له فقتلوا جميعا وتفرق من كان معه من أصحابه، وأمر الحجاج به فصلب بمكة وكان مقتله يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من جماد الأولى سنة ثلاث وسبعين رحمه الله ورضي عنه [وعن أمه][2].

(1) البيتان وردا في مروج الذهب 3/ 318.

(2) الحكاية وردت في مروج الذهب 3/ 314. والطبري 7/ 203-205.والبداية والنهاية 8/ 331-343.

الباب الخامس

في الجهاد وما يتعلق به من صلح ومهادنة وضرب جزية وخبر بعض المجاهدين

حُكي أنه بارز يوم الخندق عمرو بن عبدود[1] ونادى من يبارز؟ فقام علي رضي الله عنه وهو مقنع بالحديد وقال: أنا له يا نبي الله، فقال له عليه الصلاة والسلام: إنه لعمرو اجلس، فنادى عمرو[2] ألا رجل؟ أين جنتكم التي تزعمون أن من قتل منكم دخلها؟ ألا يبرز إلي[3] رجل؟ فقام علي رضي الله عنه فقال: أنا له يا رسول الله، فقال له ﷺ: اجلس إنه لعمر، ثم نادى الثانية وهو ينشد ويقول[4]:

[مجزوء الكامل]

ولقد بححت[5] من الندا	لجموعكم: هل من مبارز؟
ووقفت إذ جبن المشجع	وقفة الرجل المناجز
وكذا كأني لم أزل	أسد الشرى يوم الهزاهز[6]
إن الشجاعة في الفتى	والجود من خير الغرائز[7]

---

(1) عمرو بن عبدود العامري، من بني لؤي من قريش، فارس قريش في الجاهلية، أدرك الإسلام ولم يسلم، قتله علي حوالي 5 هـ انظر ترجمته في زهر الآداب 1/ 46 والأعلام 5/ 81.

(2) ما بين معقوفين ساقط من: د.

(3) د: يبارز إلي.

(4) ساقطة من: ج.

(5) ب: نجحت.

(6) الهزاهز: الفتن يهز فيها الناس. اللسان: هزز.

(7) الأبيات وردت في شرح نهج البلاغة 4/ 464. وزهر الآداب 1/ 46 والبداية والنهاية 4/ 106.

فقام علي، رضي الله عنه، وقال: أنا له يا رسول الله، فقال له ﷺ: إنه لعمرو، فقال: وإن كان عمرو، فأذن له ﷺ فمشى إليه علي رضي الله عنه وهو ينشد ويقول:

[مجزوء الكامل]

لا تعجلن فقد أتـــا ك مجيـب صوتـك غيـر عاجـز
ذونيـــة وبصـيـــــرة والصدق منجـي كل فائـز
إنـــي لأرجـــو أن أقيـــ ـــم عليـك نائحـــة الجنائـــز
بضـربـــة النـجـــلاوي بقـى ذكرهـا عنـد الهزاهـــز[1]

فقال عمرو ومن أنت؟ فقال: أنا علي بن أبي طالب، فقال: غيرك يا بن أخي من أعمامك ممن هو أسن منك، فإني أكره أن أهرق دمك، فقال علي رضي الله عنه: [106/أ] لكني والله لا أكره أن أهرق دمك. فغضب وسل سيفا كأنه شعلة/ نار نحو علي، [158ج] رضي الله عنه، فاستقبله علي/ بدرقته فضربه عمرو في الدرقة فقدها وأثبت فيها [146/د] السيف فأصاب رأسه فشجه فضربه علي، رضي الله عنه،/ على حبل عاتقه فسقط [140/ب] وثار العجاج وسمع رسول الله ﷺ التكبير فعرف أن عليا رضي الله عنه/ قد قتله[2].

قلت: وعن لي أبيات في هذا المعنى للشعراء منها قول المتنبي:

[الرمل]

وإذا لـم يكـن مـن المـوت بـد فمـن العجـز أن تمـوت جبانـا[3]

---

(1) الأبيات وردت في المراجع السابقة.

(2) الحكاية وردت في سيرة ابن هشام 2/ 224-225 ولم يرد فيها الشعر المنسوب لعلي بن أبي طالب. وفي شرح نهج البلاغة 4/ 464. والبداية والنهاية 4/ 106.

(3) البيت ورد في الديوان: 2/ 241. وروايته: أن تكون جبانا. وشرح النهج 4/ 439 وديوان المعاني 1/ 197. وتحفة الأريب ونزهة اللبيب: 91.

وقال يزيد بن الحكم بن العاصي[1] في المعنى:

[الطويل]

[فعش ملكا أومت كريما فإن تمت وسيفك مشهور بكفك تعذر[2]

وقال آخر فيه:

[الطويل]

محرمة أكفال خيلي على القنا ودامية لثاتها ونحورها
حرام على أرماحنا قتل مدبر وتندق منا في الصدور صدورها[3]

وقال آخر فيه:

وما القتل بالبيض الرقاق نقيصة إذا كان لا يخلو من العز والفخر
وإنا أناس لا نرى الموت سبة[4] إذا كان بين البيض والأسل[5] السمر/ [120/هـ]

وقال آخر فيه:[6]

[الوافر]

أقول لها، وقد طارت شعاعا من الأبطال: ويحك لا تراعي
فإنك لو سألت بقاء يوم من الأجل الذي لك، لن تطاعي
فصبرا في مجال الموت صبرا فما نيل الخلود بمستطاع

(1) هو يزيد بن الحكم بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان الثقفي، شاعر من أهل الطائف، عاش في العصر الأموي، ولاه الحجاج كورة فارس، ثم عزله عنها، انظر الأغاني وخزانة البغدادي 1/ 54.

(2) البيت ورد في الطبري 8/ 155، والإعلام 8/ 181.

(3) البيتان وردا في شعر الخوارج: 105.

(4) السبة: العار. اللسان: سبب.

(5) أ: الأسد.

(6) هو قطري بن فجاءة سبقت ترجمته

سبيل الموت غاية كل حي ... وداعية لأهل الأرض داعي[1]

يروى أن البهلول بن بشر[2] أحد الأبطال، كثيرا ما كان ينشد ويقول:

[البسيط]

من كان يكره أن يلقى منيته ... فالموت أشهى إلى نفسي من العسل

فلا التقدم في الهيجاء يقتلني ... ولا الحذار ينجيني من الأجل[3]

حُكي أن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، جهز جيشا من المسلمين إلى الشام فحاصروا حصنا من حصونها حصارا شديدا، وكان في المسلمين رجلان أخوان قد آتاهما الله جرأة ونجدة على العدو، وكان ملك ذلك الحصن يقول لأقياله ولمن بين يديه من أبطاله: لو أن هذين المسلمين حصلا أو قتلا لكفيتم من سواهما من المسلمين، فما زالوا يرصدون لهما[4] المصائد ويختلقون لهما المكائد إلى أن أخذوا[5] الواحد منهما أسيرا والآخر شهيدا فحمل الأسير[6] إلى مَلكهم، فلما نظر إليه قال:/ إن قَتل هذا مصيبة عظيمة وإن رُجوعه إلى المسلمين لداهية كبيرة، وودت لو دخل في دين النصرانية وله من مالي كذا وكذا فإنه يكون لدين النصرانية عونا وعضدا. فقال بطريق من بطارقته[7]: أيها الملك، أنا أفتنه عن دينه، وذلك أن العرب تصبو إلى النساء كثيرا وأن لي ابنة لها جمال فائق وبهاء رائق فلو رآها افتتن بها. فقال: خذه إليك، فحمله إلى منزله وألبس الصبية من الثياب والحلي ما زاد من [159/ج]

(1) الأبيات ورد منها البيتان الأولان في العقد الفريد 1/ 96. وحماسة البحتري: 10 والوفيات 4/ 96.

(2) بهلول بن بشر الشيباني ثائر من الشجعان الزعماء من أهل الموصل (توفي حوالي 119هـ)، راجع ابن الأثير 5/ 209-212.

(3) البيتان وردا في شعر الخوارج: 201.

(4) د: بهما.

(5) ب: أخذ.

(6) ساقطة من: ب.

(7) سبق شرحه.

جمالها وأحضر طعاما طيبا وبقلا وحلواء ومداما/ وأوقف الصبية بين يديه كالخادم [147/د] المطيع لسيده، وأغلق عليهما الباب وتركهما، فلما رأى الشاب ما نزل به من الفتنة اعتصم بالله عز وجل، وغض بصره، واشتغل بعبادة ربه وقراءة القرآن. وكان له صوت حسن ونغمة عالية، فمال قلبها إليه وأحبته حبا شديدا حتى أشغلها عن الطعام والشراب والمنام/ ، وأقاما على تلك الحالة سبعة أيام حتى صارت [141/ب] تتمنى لو دخلت هي في دينه، فلما عيل صبرها، وضاق ذرعها، ترامت بين يديه وقالت له: أسألك بدينك ألا ما سمعت كلامي، فقال لها: ما كلامك؟ قالت: اعرض علي الإسلام، فعرضه عليها/ فأسلمت وتطهرت وعلمها كيف تصلي، [157/أ] فلما فعلت ذلك قالت له: يا أخي! إنما كان دخولي في الإسلام بسببك وابتغاء لقربك. فقال لها: إن الإسلام يمنع النكاح إلا بشاهدين وولي ومهر، وأنا لا أجد الشاهدين، ولا شيئا من ذلك فلو تحيلت في خروجنا من هذا الموضع لرجوت إلى ما تريدين، فقالت: أنا أحتال لك في ذلك، فدعت أباها وأمها وقالت لهما: إن هذا المسلم قد لان قلبه إلي وندبته إلى الدخول في ديني، فقال: إن هذا لا يتفق لي في بلد قتل فيه أخي فلو خرجت منه ليتسلى قلبي ووافقتكم على ما تريدون مني. قال: فسار والدها إلى الملك وعرفه بذلك فسر به وفرح فرحا شديدا، وأمر بإخراجها معه إلى القرية فلما وصلا إلى القرية أقاما يومهما، ولما جن الليل أخذا في الرحيل فسارا ليلتهما تلك، فلما قرب الصباح مال بها عن الطريق، ونزلا فصليا، فبينما هما كذلك إذ سمعا قعقعة السلاح وصلصلة اللجم، ووقع حوافر الخيل، فقال لها: يا فلانة! هذا تبع النصراني تداركنا وفرسنا قد كل من طول/ ليلتنا، فقالت له: [121/هـ] ويحك! أفزعت وخفت؟ قال: نعم. قالت: وأين ما كنت تحدثني به من قدرة إلهك وإغاثة المستغيثين به؟ فتعال[1] نتضرع[2] إليه وندعوه لعله يغيثنا بغياثه ويتداركنا

(1) أ: فقال.

(2) أ: أتضرع.

بلطفه. فقال لها: نعم.والله ما قلت إلا حقا[1]، وأخذا في التضرع إلى الله تعالى، فبينما هو يدعو ويبتهل والجارية تؤمن على دعائه إذ سمع كلام أخيه الشهيد وهو يقول: يا أخي لا تخف ولا تحزن، فالوفد وفد الله، وهؤلاء[2] ملائكته،/ أرسلهم [160/ج] الله إليكما يشهدون عليكما بالتزوج، وأن الله تعالى باهى بكما ملائكته، وأعطاكما أجر الشهداء السعداء، وطوى لكما الأرض، وإنك تصبح بجبال المدينة، فإذا اجتمعت بعمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فاقرأه مني السلام، وقل له: جزاك الله عن الإسلام خيرا، فلقد نصحت واجتهدت. قال: ثم رفعت الملائكة أصواتها بالسلام عليه وعلى زوجته. قال: ومشينا خطوات يسيرة والفرس في يدي، وإذا بعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان من عادته، إذا صلى الصبح يطيل في الركعة الأولى ليتنبه النائم ويأتي البعيد، فما يتم الركعة إلا والمسجد قد امتلأ/ بالناس [148/د] فيصلي الركعة الثانية خفيفة، فلما كان ذلك اليوم صلى صلاة خفيفة ثم سلم وقال لأصحابه: قوموا بنا نتلقى عروسين، فتعجب أصحابه من ذلك، ولم يفهموا ما أراد، فلما اجتمع وأصحابه بهما قالوا لعمر رضي الله عنه: من أعلمك بهما؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وأخبرني بما جرى لهذا الشاب وزوجته، ثم عمل عمر وليمة وعقد عقدة على الجارية ودخل الشاب بها. ولم يمت حتى رزق منها أولادا، وقاتلوا بين يديه، والله تعالى أعلم[3].

[142/ب] حكى أبو الحسن علي بن الخضر السلمي[4] في كتاب الجهاد/ بسنده عن رافع بن خديج[5] بن عبد الله قال: قال لي هشام بن يحيى الكناني[6]: ألا أحدثك بحديث

(1) ساقطة من: ج، هـ.

(2) هـ: وهو.

(3) الحكاية لم أقف عليها.

(4) هو علي بن الخضر بن الحسن القرشي العثماني أبو الحسن السلمي توفي حوالي 459هـ. انظر النجوم الزاهرة 5/ 80.

(5) هو رافع بن خديج بن رافع الأنصاري، صحابي، شهد أحدا والخندق، توفي حوالي 74هـ راجع الإصابة 1/ 495. تهذيب التهذيب 3/ 229.

(6) لم أقف عليه.

رأيته بعيني وشهدته بنفسي ونفعني الله عز وجل به، فعسى الله أن ينفعك به كما نفعني؟ قلت: حدثني يا أبا الوليد، قال: غزونا أرض الروم في سنة ثمان وثلاثين وعلينا مسلمة بن عبد الملك[1]، وعبد الله بن الوليد بن عبد الملك وكنا رفقاء من أهل البصرة وأهل الجزيرة في موضع واحد، وكنا نتناوب الخدمة والحراسة، وكان معنا رجل يقال له: سعد بن الحارث ذو حظ من العبادة، يصوم النهار ويقوم الليل، وكنا نحرص أن نخفف عنه من نوبته ونتولى ذلك فيأبى إلا أن يكون في جميع الأمور، حيث لا يخل بشيء من عبادته. قال: وما رأيته في ليل ولا في[2] نهار قط، إلا على حالة اجتهاده، فإن لم يكن وقت صلاة أو كنا نسير لم يفتر عن ذكر الله تعالى ودراسة القرآن. قال هشام: فأدركتني وإياه النوبة ذات ليلة في الحراسة[3] ونحن محاصِرون حصنا من حصون الروم قد استصعب علينا أمره. قال[4]: فرأيت من سعد[5] بن الحارث في تلك الليلة من شدة الصبر على العبادة ما احتقرت به نفسي، وعجبت من قوة جسمه/ على ذلك، وعلمت أن الله تعالى [108/أ] يهب الفضل لمن يشاء. وأصبح كالا نصبا لما كان منه في ليلته، فقلت له: رحمك الله، إن لنفسك عليك حقا ولعينك عليك حقا وقد علمت أن رسول الله ﷺ/ قال: [161/ج] «لا تكلفوا من العمل ما لا تطيقون»، وذكرت له شبه هذا من الأحاديث فقال لي: يا أخي! إنما هي أنفاس تعد وعمر يفنى وأيام تنقضي، وأنا رجل أرتقب الموت، وأنا على جناحي سفر بعيد، فأبكاني جوابه، ودعوت الله، عز وجل، له بالتثبيت

---

(1) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أمير من بني أمية، له فتوحات مشهورة، توفي بالشام حوالي 120هـ. راجع تهذيب التهذيب 10/ 144 ونسب قريش: 165. وأظن أن هناك اضطراب تاريخي بحيث أن 38 هـ بينها وبين ميلاد عبد الملك بن مروان 12 سنة فكيف بمسلمة ابنه يكون في هذه السنة على رأس الجيش، فلعل ذلك راجع إلى تحريف أو تصحيف بعض الأسماء.

(2) ساقطة من: هـ. زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(3) أ: الحراصة.

(4) ساقطة من: ج.

(5) ب، د: سعيد. ب، د، هـ: تسترح.

[122/هـ] والعون، ثم قلت له: نم/ قليلا تستريح، فإنك لا تدري ما يحدث من أمر العدو، فإن حدث شيء كنت نشيطا. قال: فنام الرجل إلى جانب الخباء وتفرق أصحابنا، فمنهم من هو في القتال، ومنهم من هو في غير ذلك، وقمت في موضعي أتفقد رحلاتهم، وأصلح لهم طعاما، فبينما أنا كذلك إذ سمعت كلاما من الخباء فأنكرته إذ ليس فيه غير سعد بن الحارث نائما، وظننت أن أحدا دخل من حيث لم أره، فبادرت فدخلت فإذا ليس فيه أحد غيره، وهو نائم بحاله، إلا أنه يتكلم في نومه [149/د] ويضحك، فأصغيت إليه فإذا هو كأنما يخاطب إنسانا فحفظت من قوله/ ما أختار أن أرجع، ثم مد يده اليمنى كأنه يلتمس شيئا ثم ردها ردا رفيقا وهو يضحك ثم قال: فالليلة، ثم وثب وثبة من نومه استيقظ لها وهو يرتعد، فأتيته فاحتضنته إلى صدري مليا، وهو يلتفت يمينا وشمالا حتى سكن روعه وعاد إليه عقله وجعل يهلل ويكبر ويحمد الله تعالى، فقلت: يا أخي! ما شأنك؟ قال: خير يا أبا الوليد، فقلت: إني رأيت منك شيئا وسمعت منك كلاما في نومك فحدثني بما رأيت. فقال: أعفني من ذلك يا أبا الوليد، فذكرته حق الصحبة، وقلت: حدثني رحمك الله، فعسى الله أن يجعل لي في ذلك عظة وخيرا. فقال: إني لما نمت، في وقتي هذا، رأيت كأن القيامة قد قامت وخرج الناس من قبورهم فوافوا توقفهم وشخصوا بأبصارهم ينتظرون أمر ربهم فبينما أنا كذلك إذ أتاني رجلان لم أر قط مثل صورتهما كمالا وحسنا فسلما علي، فرددت عليهما السلام فقالا لي: يا أبا سعيد! أبشر أبشر فقد غُفر ذنبك، وشُكر سعيك، وقبل عملك، واستجيب دعاؤك، وعجلت لك البشرى في حياتك فانطلق معنا حتى نريك ما أعد الله، عز وجل، لك[1] من [143/ب] النعيم/ المقيم. قال: فانطلقت معهما حتى أخرجاني من جملة أهل الموقف، فإذا نحن ذات اليمين بخيل لا تشبه خيلنا هذه، إنها[2] هي كالبرق الخاطف، فركبنا،

(1) عبارة د: ما أعد الله لك عز وجل.

(2) أ: إنها.

فسارت بنا كهبوب الريح حتى انتهينا إلى قصر عظيم لا يقع الطرف على أوله ولا على آخره ولا على ارتفاعه، ثم [هو][1] مع ذلك كأنه صيغ[2] من فضة صافية فهو در يتلألأ، فلما وردنا بابه انفتح لنا من غير أن نستفتح، فدخلنا إلى ما لا يبلغه وصف واصف ولا يخطر على قلب بشر، وإذا بالقصر من الوصائف كعدد النجوم، كأنهم كما قال الله تعالى: ﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾[3] فحين رأونا أخذوا في أنواع من القول الحسن بأنواع مختلفة وهم يخلطون كلامهم ويقولون هذا ولي الله، وقد جاء ولي الله، ومرحبا بولي الله،/ فسرنا حتى انتهينا إلى مجالس ذات أسرة [162/ج] من ذهب مكللة بالجوهر محفوفة بكراسي من ذهب، وإذا على كل سرير جارية لا يستطيع أحد من خلق الله وصفها وفي وسطهن واحدة عالية عليهن في طولها وتمامها وجمالها وكمالها، فقال لي الرجلان: هذا منزلك وهؤلاء أهلك ومالك عند ربك من الرضوان أكثر، وانصرفا عني وأقبلت الجواري علي بالترحيب والتعظيم والإستبشار، كما يكون من الرجل الغائب إذا قدم على أهله، وحملوني على السرير الأوسط إلى جانب تلك الجارية وقلن لي هذه زوجتك ولك مثلها معها، وقد طال انتظارنا إياك فكلمتني وكلمتها فقلت لها: أين أنا؟ فقالت: أنت في جنة المأوى، فقلت: ومن أنت؟ فقالت: أنا زوجتك الخالدة، فقلت: وأين الأخرى؟ فقالت: في قصرك الآخر. فقلت: فإني أقيم عندك اليوم ثم أتحول إلى تلك في غد ومددت يدي إليها فردتها ردا رفيقا، وقالت: أما اليوم فلا؛ لأنك راجع إلى الدنيا، فقلت: لا أحب أن أرجع. فقالت: لا بد من ذلك/ وستقيم ثلاثا ثم تفطر/ عندنا [109/أ][150/د] من الليلة الثالثة إن شاء الله تعالى. فقلت: الليلة/ فقالت: إنه كان أمرا مقضيا ثم [123/هـ] نهضت عن مجلسها فوثبت لقيامها فإذا أنا استيقظت. قال هشام: فقلت: يا أخي

(1) زيادة من: د.

(2) ب: سيغ.

(3) الواقعة: 23.

اسجد لله شكرا، فقد كشف لك عن ثواب عملك، فقال: أسألك بالله عز وجل إلا ما سترت علي ما دمت حيا، فقلت: نعم. ثم قال: فما فعل أصحابنا؟ فقلت: بعضهم في القتال وبعضهم في حوائجه، فقام فتطهر واغتسل وترجل ومس طيبا وأخذ سلاحه وسار إلى موضع القتال وهو صائم، فلم يزل يقاتل حتى أتى الليل ثم انصرف مع أصحابه، فقالوا: يا أبا الوليد! لقد صنع هذا الرجل في هذا اليوم شيئا ما رأيناه صنع مثله قط، ولقد حرص على الشهادة وطرح نفسه تحت سهام العدووحجارتهم، وكل ذلك لم يؤثر فيه، فقلت في نفسي: لوتعلمون شأنه لتنافستم في مثل صنعه وانصرف من آخر النهار من اليوم الثاني فذكر عنه أصحابه مثل ما ذكروا عنه بالأمس حتى كان اليوم الثالث وقد مضت ليلتان، قال هشام: [144/ب] وانطلقت معه وقلت: لابد أن/ أشهد أمره وما يكون منه، فلم يزل يلقي نفسه تحت مكائد العدوولا يصل إليه شيء، وهو يؤثر فيهم الآثار وأنا أرعاه بطرفي من بعيد، لا أستطيع الدنومنه، حتى إذا تدلت الشمس للغروب وهو أنشط مما[1] يكون، فإذا برجل من فوق حائط الحصن قد تعمده بسهم فوقع في نحره فخر صريعا [163/ج] وأنا أنظر إليه فابتدروه/ فاجتذبوه وبه رمق، فجاءوا به وهو محمول، فلما رأيته قلت له: هنيئا لك ما تفطر عليه الليلة، ﴿يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما﴾[2] قال: فعض على شفته السفلى وأومأ إلي بطرفه وهو يضحك يذكرني ما سألني من الكتمان عليه، ثم قال: الحمد لله الذي صدقنا وعده. فوالله ما تكلم بشيء غير هذا ثم قبض[3] رحمة الله [تعالى][4]، عليه، قال هشام: فقلت بأعلى صوتي: يا عباد الله! لمثل هذا فليعمل العاملون، اسمعوا ما أخبركم به عن أخيكم هذا فأقبل الناس

(1) ج: ما يكون.

(2) النساء: 73.

(3) ب، د، ج، هـ: قضى.

(4) زيادة من: د.

إلي فحدثتهم بالحديث على وجهه، فما رأيت قط أكثر باكيا في تلك الساعة، ثم كبروا تكبيرة اضطرب لها العسكر، وجعل الناس يخبر بعضهم بعضا حتى شاع الحديث في جميعهم، فأقبلوا للصلاة عليه، وبلغ الخبر مسلمة بن عبد الملك فأقبل وقد وضعناه لنصلي عليه، فقلنا: إن رأى الأمير أن يصلي عليه، فقال: بل يصلي عليه [صاحبه][1] الذي عرف من أمره ما عرف، قال هشام: فصليت عليه ودفناه في موضعه وعلمنا أثر القبر، وبات الناس يذكرون حديثه ويحرض بعضهم بعضا، ثم أصبحوا فنهضوا إلى الحصن بنيات مجددة وقلوب مشتاقة إلى الله تعالى فما طلع النهار واستوت الشمس حتى فتح الله الحصن [ببركته] رحمه الله تعالى[2].

حكى الشيخ تقي الدين الحصني[3] في كتاب، «قمع النفوس»/ أن عمر بن [151/د] الخطاب، رضي الله عنه، أرسل إلى سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، وهو بالقادسية[4] يقول له: وجه نضلة الأنصاري[5] إلى حلوان[6] العراق ليغير عليها وعلى نواحيها، فبعث سعد نضلة في ثلاثمائة فارس فأتوا حلوان وأغاروا على نواحيها، فأصأبو ا غنيمة وسبيا فأقبلوا يسوقونها حتى أرهقهم العصر، وكادت الشمس أن تغيب فألجأ نضلة السبي والغنيمة إلى سفح جبل، ثم قام فأذن فقال: الله أكبر، الله أكبر، فإذا مجيب من الجبل يقول: كبرت تكبيرا يا نضلة! ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله فقال: كلمة الإخلاص يا نضلة! ثم قال: أشهد أن محمدا رسول

(1) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(2) الحكاية وردت في روضة الرياحين: 500-501.

(3) أبو بكر بن محمد بن عبد المومن بن حريز بن معلى، تقي الدين (752-829هـ)، راجع الضوء اللامع 11/ 81. شذرات الذهب 7/ 188. البدر الطالع 1/ 166.

(4) قرية قرب الكوفة، بينها خمسة عشر فرسخا، وعندها كانت وقعة المسلمين والفرس. انظر مراصد الاصلاع 3/ 1054.

(5) هو نضلة بن معاوية الأنصاري، ذكره ابن حجر في الإصابة 1/ 535، وفيه أن الحكاية تتعلق بجعونة بن نضلة.

(6) حلوان العراق: في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد. معجم البلدان: حلوان.

الله، فقال: هو الذي بشرنا به عيسى بن مريم عليه السلام[1]، وعلى رأس أمته
[124/هـ] تقوم الساعة. ثم قال: حي على الصلاة، فقال[2]:/ طوبى لمن مشى إليها وواضب
عليها، ثم قال: حي على الفلاح فقال: قد أفلح من أجاب، ثم قال: الله أكبر، الله
أكبر لا إله إلا الله، فقال: أخلصت[3] الإخلاص كله يا نضلة! حرم الله جسدك
على النار، فلما فرغ من آذانه[4] قال: من أنت يرحمك الله؟ أسمعتنا صوتك فأرنا
صورتك فإن الوفد وفد رسول الله، ﷺ، ووفد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه،
[110/أ] فانغلق الجبل على هامة أبيض الرأس واللحية/ وعليه طمران من صوف فقال:
[164/ج] السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرددنا/ عليه السلام وقلنا له: من أنت يرحمك
الله؟ قال: أنا زريبُ بن برثملا وصي العبد الصالح، عيسى عليه السلام، أسكنني
[145/ب] في هذا الجبل ودعا لي بطول/ البقاء إلى حين نزوله من السماء، فأقرءوا عمر مني
السلام وقولوا له: يا عمر! سدد وقارب، فقد دنا الأمر، وأخبروه بهذه الخصال
التي أخبركم بها: يا عمر! إذا ظهرت الخصال في أمة محمد فالهرب الهرب، إذا
استغنى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وانتسبوا إلى غير مناسبهم وانتموا إلى
غير مواليهم ولم يوقر كبيرهم، ولم يرحم صغيرهم، وترك المعروف فلم يؤمر به،
والمنكر فلم ينه عنه، وتعلم عالمهم العلم ليجلب به الدنانير والدراهم، وكان المطر
فيظا والولد غيظا، وطولوا المنارات وفضضوا المصاحف، وزخرفوا المساجد،
وأظهروا الرشى وشيدوا البناء، واتبعوا الهو ى، وباعوا الدين بالدنيا، وقطعت
الأرحام وبيع الحكم، وأكلوا الربى، وصار الغنى عزا والفقر ذلا، وخرج الرجل
من بيته فقام إليه من هو خير منه فسلم عليه، وركبت النساء السروج، ثم غاب

---

(1) ساقطة من ج، د، هـ.

(2) ب: ثم قال.

(3) أ، ب: حصلت.

(4) ساقطة من: د.

عنهم فلم يروه، فكتب بذلك نضلة إلى سعد رضي الله عنه، وكتب به سعد إلى عمر، رضي الله عنه، فكتب إليه عمر: سر أنت إليه ومن معك من المهاجرين والأنصار حتى تنزلوا بذلك الجبل فإن لقيته فاقرأه مني السلام، فخرج سعد في أربعة آلاف من المهاجرين والأنصار حتى نزلوا بذلك الجبل، ومكث أربعين يوما ينادي بالصلاة فلم يجبه أحد حتى لا خطاب ولا جواب. أخرجه القضاعي في فضائله[1]/ . [152/د]

حكى أبو قدامة الشامي قال: كنت أميرا على جيش في بعض الغزوات فدخلت بعض البلاد، فدعوت الناس للجهاد ورغبتهم في الثواب، فلما انصرفت إذا أنا بأمرأة تنادي يا أبا قدامة! فقلت: هذه مكيدة من الشيطان فأعرضت عنها، فقالت: ما هكذا كان الصالحون، فوقفت، فقالت: يا أبا قدامة! أنت دعوتنا للجهاد ورغبتنا في الثواب ولا طاقة لنا على ذلك، فقطعت أحسن ما في ظفيرتي شعري تجعلها قيدا لفرسك، فلعله يرى شعري قيدا لفرسك في سبيله فيغفر لي فأخذتها، فلما كانت صبيحة القتال، إذا أنا بغلام راجل يمشي بين يدي في الصفوف، فقلت: يا هذا! أنت غلام راجل، أرجع من موضعك فلا تأمن أن تطأك الخيل بأرجلها، فقال: يا أبا قدامة! أتأمرني بالرجوع وقد قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار﴾[2] قال: فحملته على هجين[3] كان معي، ثم قال: يا أبا قدامة! أقرضني ثلاثة أسهم[4]، فقلت: ما هذا وقت قرض، فما زال يلح علي حتى قلت له: بشرط إن من الله عليك بالشهادة أكون في/ شفاعتك فقال: [165/ج]

---

(1) الحكاية وردت في كرامات الأولياء للالكائي 9/ 138 ومدح التواضع لابن عساكر 47 ولسان الميزان 3/ 402.

(2) الأنفال: 15.

(3) الهجين من الهجنة وتكون في الناس والخيل من قبل الأم. فإذا كان الأب عتيقا والأم ليست كذلك كان الولد هجينا. اللسان: هجن.

(4) أ: أشعر.

نعم، فأخذ سهما فرمى به فقتل روميا ثم رمى بالثاني فقتل [روميا][1] آخر، ثم وقع له سهم بين عينيه فمال برأسه[2] على كوره[3]، فقلت: لا تنسها، فقال: نعم، ولكن لي إليك حاجة قلت: ما هي؟/ قال: أن تأخذ هذا السفط وتسلمه لوالدتي وتقرأها [125/هـ] السلام مني، فقلت: ومن والدتك؟ قال: التي أعطتك شعرها قيدا لفرسك، فلما انتهى القتال حفرنا له قبرا ثم رددنا/ عليه التراب، فألقته الأرض على ظهرها، ثم [146/ب] دفناه ثانيا فألقته فقال بعض القوم: لعله خرج بغير إذن والدته، قلت: الأرض تقبل من هو أشر منه، فبينما نحن كذلك وإذا بمناد، يا أبا قدامة! اترك ولي الله، فتركته فلم أبرح حتى نزلت طيور خضر فأكلت لحمه وتركت عظامه فدفنتها، فلما دخلت البلد جئت إلى دار أمه فطرقت الباب فخرجت إلي أخته، ثم رجعت فقالت: يا أماه! هذا أبو قدامة، قد جاء ولا بد أن يكون معه خبر أخي، فخرجت إلي أمه وقالت: يا أبا قدامة! مهنئا أم معزيا؟ فقلت: ما معنى ذلك؟ فقالت: إن كان قد مات فعزني، وإن كان قد استشهد فهنني/ فقلت: لا، بل مات شهيدا. [111/أ] فقالت لي: فيه إمارة هل عرفتها؟ قلت نعم. لم تقبله الأرض، وقصصت عليها القصة فتناولت السفط بعد أن قالت: الحمد لله، فأخرجت منه مسحا[4] وغلا من حديد وقالت: إنه كان إذا جن الليل لبس هذا المسح وغل نفسه بهذا الغل وناجى مولاه وقال: ربي احشرني من حواصل الطيور فقد استجاب الله سبحانه وتعالى دعاءه.

حكى الشيخ محي الدين بن النحاس في كتابه المسمى بكتاب الجهاد، عن عبد الله بن محمد قاضي نصيبين[5] قال: حدثني محمد بن إبراهيم بن أبي سكينة قال:

---

(1) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(2) رأسه.

(3) أ، ب: كورة.

(4) المسح: الكساء من الشعر. اللسان: مسح.

(5) نصيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة. انظر تفصيل ذلك في معجم البلدان: نصيبين.

أملى علي عبد الله بن المبارك[1] هذه الأبيات بطرطوش[2] وأرسلها معي إلى مكة، إلى الفضيل بن عياض[3] في سنة/ سبع وسبعين ومائة وهي هذه: [153/د]

[الكامل]

[يا سيد][4] الحرمين لو [أبصرتنا][5]	لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه	فنحورنا بدمائنا تتخضب
أوكان يتعب خيله في باطل	فخيولنا يوم الكريهة تتعب
ريح العبير لكم، ونحن عبيرنا	رهج السنابك والغبار الأطيب[6]
[ولقد أتانا عن مقال نبينا	قول صحيح صادق لا يكذب][7]
لا يستوي[8] غبار خيل الله في	أنف امرئ ودخان نار تلهب

قال: فلقيت الفضيل بكتابه، فلما قرأه ذرفت عيناه، ثم قال: صدق أبو عبد الرحمان ونصحني رحمه الله.

حكى ابن النحاس في كتابه المشار إليه أنه كان بالبصرة نساء عابدات، وكان منهن أم إبراهيم الهاشمية[9]/ فأغار العدو على ثغر المسلمين فانتدب للجهاد، فقام عبد الواحد بن زيد المصري في الناس خطيبا فحظهم على الجهاد، وكانت هذه أم [166/ج]

---

(1) هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء التميمي، أبو عبد الرحمان. (118-181هـ)، تذكرة الحفاظ 1/ 274 مفتاح السعادة 2/ 112. شذرات الذهب 1/ 295.

(2) أظنه أراد طرطوس بالسين. وهي بلدة بالشام مشرفة على البحر قرب المرقب. انظر معجم البلدان: طرسوس.

(3) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي أبو علي (105-187هـ)، راجع الوفيات 4/ 47. صفة الصفوة 2/ 134. تذكرة الحفاظ 1/ 245.

(4) زيادة من: ب، د.

(5) ابصرت.

(6) السنابك: مفردها سنبك. وهو طرف الحافر وجانباه من قدم. انظر اللسان: سنبك.

(7) أ: ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(8) ج: لا يستوون.

(9) أم إبراهيم عابدة من عابدات البصرة. انظر أعلام النساء 1/ 22.

إبراهيم حاضرة بمجلسه وتمادى عبد الواحد في كلامه ثم وصف الحور العين وذكر ما قيل في أوصافهن ثم أنشد في صفة حورية:

[الرمل]

غادة ذات دلال ومرح　　يجد الناعت فيها ما اقترح
زانها الله بوجه جمعت　　فيه أوصاف غريبات الملح
[147/ب] وبعين كحلها من غنجها　　وبخد مسكه فيه رشح/[1]
ناعم تجري على صفحته　　نظرة الحسن ولألاء الفرح
[126/هـ] أترى خاطبها يسمعها　　إذ تدير الكأس طورا والقدح/
في رياض مؤنق نرجسها　　كلما هبت له الريح نفح
وهي تدعوه بود صادق　　ملئ القلب به حتى طفح
يا حبيبا لست أهوى غيره　　لا، وفي القلب سواه ما سنح
لا تكونن كمن جد إلى　　منتهى حاجته ثم جنح
لا فما يخطب مثلي من سهى　　إنما يخطب مثلي من ألح

قال: فهاج الناس بعضهم في بعض، واضطرب المجلس فوثبت أم إبراهيم من وسط الناس وقالت لعبد الواحد: يا أبا عبيد! ألست تعرف ولدي إبراهيم ورؤساء البصرة يخطبونه لبناتهم وأنا أضن[2] به عليهم؟ ولكني والله أعجبتني هذه الجارية وأنا أرضاها عرسا لولدي، فكرر ما ذكرت[3] من محاسنها فأخذ [154/د] يقول:/

[الطويل]

[112/أ] تولد نور النور من نور وجهها　　فمازج طيب الطيب من خالص العطر/

(1) الغنج: ملاحة العينين. اللسان: غنج.
(2) أ، ب: أظن.
(3) ب، د: تقول.

فلو وطئـت بالنعل منهـا على الحما | لأعشـبت الأقطـار مـن غير مـا قطر
ولوشـئت عقـد الخصر منهـا عقدته | كغصن مـن الريحان ذي ورق خصر
ولـو تفلت فـي البحر شـهد رضابها | لطـاب لأهـل البر شـرب مـن البحر
يـكاد اختلاس اللحـظ يجرح خدها | بجارح وهم القلب من خارج[1] الستر

فاضطرب الناس أكثر[2]، فوثبت أم إبراهيم وقالت لعبد الواحد: يا أبا عبيد! قد والله أعجبتني هذه الجارية، وأنا أرضاها عرسا لولدي، فهل لك أن تزوجه منها وتأخذ مني مهرها عشرة آلاف دينار ويخرج معك في هذه الغزوة فلعل الله يرزقه الشهادة فيكون شفيعا لي ولأبيه في القيامة؟ فقال لها عبد الواحد: لئن فعلت فزت أنت وولدك فوزا عظيما، ثم نادت يا إبراهيم ! فوثب من وسط الناس وقال: لبيك يا أماه/ ! قالت: يا بني! أرضيت هذه الجارية زوجة ببذل مهجتك في سبيل [167/ج] الله وترك العود إلى الذبوب؟ فقال: اي والله يا أماه! رضيت، فقالت: اللهم إني أشهدك أني زوجت ولدي هذا من هذه الجارية ببذل مهجته في سبيلك، فتقبله مني يا أرحم الراحمين. ثم انصرفت فجاءته بعشرة آلاف دينار، وقالت: يا أبا عبيد! هذا مهر الجارية تجهز به وجهز به الغزاة في سبيل الله، وانصرفت فابتاعت لولدها فرسا واستجادت له سلاحا، فلما خرج عبد الواحد خرج إبراهيم معه، والقراء حوله يقرأون قوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المومنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾/ الآية[3]. فلما أرادت فراق ولدها دفعت إليه كفنا وحنوطا وقالت له: [148/ب] إي بني! إذا أردت لقاء العدوفتكفن بهذا الكفن وتحنط بهذا الحنوط، وإياك أن يراك الله مقصرا في سبيله، ثم ضمته إلى صدرها وقبلت بين عينيه وقالت: يا بني! لا جمع الله بيني وبينك إلا بين يديه في عرصات القيامة. قال عبد الواحد: فلما[4]

(1) د: جارح.
(2) ساقطة من: د.
(3) التوبة: 112.
(4) د: لما.

بلغنا بلاد العدوونودي بالنفير وبرز[1] الناس للقتال، وبرز إبراهيم في المقدمة فقتل من العدوخلقا كثيرا ثم اجتمعوا عليه فقتل. قال عبد الواحد: فلما أردنا الرجوع إلى البصرة قلت لأصحابي: ألا[2] تخبروا أم إبراهيم بخبر ولدها؟ اذهبوا بنا إليها حتى نلقاها[3] بحسن العزاء ليلا تجزع فيذهب أجرها. قال: فلما رجعنا إلى البصرة تلقانا الناس وخرجت أم إبراهيم فيمن خرج قال: فلما أبصرتني قالت: يا أبا عبيد! هل قبلت مني/ هديتي فأهنأ أم ردت فأعزى؟ قال: فقلت لها: قد [127/هـ] قبلت والله هديتك، إن إبراهيم في الأخيار يرزق. قال: فخرت ساجدة لله شكرا، وقالت: الحمد لله الذي لم يخيب ظني وتَقبل نسكي وانصرفت. فلما كان من الغد أتت إلى المسجد ونادت: السلام عليك يا أبا عبيد بشراك، فقال لها: لا زلت مبشرة بالخير، فقالت له: رأيت البارحة ولدي إبراهيم في/ روضة حسناء وعليه قبة [155/د] خضراء وهو على سرير من اللؤلؤ وعلى رأسه تاج وإكليل وهو يقول لي: يا أماه! أبشري فقد قبل المهر وزفت العروس.

حكى الشيخ محي الدين ابن النحاس أيضا في الكتاب المشار إليه في تفسير قوله تعالى: **﴿إن الله اشترى من المومنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم﴾**[4]. نفاسة السلعة تعرف بثلاثة أشياء: بعظم المشتري لأن العظيم القدر لا يباشر في العادة مشترى الأشياء الخسيسة بنفسه، ولا ينسب إليه شراؤها. وتعرف بجلالة السمسار، لأن السمسار الكبير لا يسمسر على الأشياء الحقيرة./ وتعرف بعظم الثمن، لأن الشيء الحقير لا [168/ج]

(1) أ: برز.
(2) أ، ج: لا.
(3) ج، هـ: نلقها.
(4) سبقت ذكر الآية.

يدفع فيه الثمن الخطير. فانظر إلى نفوس الشهداء والمجاهدين كيف اشتراها الله عز وجل بنفسه الشريفة،/ وجعل السمسار عليها أشرف خلقه أجمعين وجعل ثمنها الجنة في جوار رب العالمين. ثم قال: المومنون عبيد الله تعالى، والعبد لا يملك شيئا يبيعه لسيده، فمتى عتقه صح بيعه، وفي شرائه سبحانه وتعالى من عباده المومنين إشارة إلى أنه تعالى ما اشترى إلا ممن سبق قضاؤه سبحانه وتعالى بعتقهم، ولما اشترى سبحانه وتعالى نفوسهم وأموالهم فكأنهم قالوا: يا ربنا! ما الثمن في هذا البيع؟ فقال سبحانه وتعالى، بأن لهم الجنة، فكأنهم قالوا: يا ربنا كيف نسلم السلعة التي وقع عليها البيع؟ فقال سبحانه وتعالى: ﴿يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون﴾، فإذا فعلتم ذلك فقد سلمتم السلعة ووفيتم بما لزمكم في هذه الصفقة، ووجبت لكم الجنة، فكأنهم قالوا: يا ربنا! مضت سنة فضلك بأن تشهد ملائكتك بما تنعم به على عبادك، وقلت في كتابك القديم: ﴿وأشهدوا/إذا تبايعتم﴾[1] وأمرتنا بكتابة الوثائق بين المتبايعين فمن أشهدت في هذا البيع؟ فقال سبحانه وتعالى: ﴿وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن﴾، فأنتم يا عبادي! تثقون بثقة واحدة، فهذه ثلاث[2] وثائق وتثقون[3] بشاهدين فقد أشهدت علي من أنزلت عليهم هذه الكتب، وهم[4] ثلاثة أنبياء وثلاثة أمم كل[5] أمة لا تحصى فكأنهم قالوا: يا ربنا تمحوا ما تشاء وتثبت ما تشاء ولا تسأل عما تفعل فربما تمحوهذا البيع وترجع في الثمن فنرجع خائبين، فقال سبحانه ومن أوفى بعهده من الله أي لا أحد أوفى بعهده مني، ثم لما كان من البيع ما يعقبه الندم إذا تبين صاحبه الخسران أو نقصا في الثمن ومنه ما يعقبه الفرح والسرور لما يظهر فيه من الربح والغبطة وحسن الوفاء،

[113/أ] [149/ب]

(1) البقرة: 282.
(2) أ، ب، ج، هـ: ثلاثة.
(3) أ: تتيقون.
(4) ج، هـ: عليهم.
(5) د: لكل.

قال سبحانه: فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وأكد ذلك بقوله تعالى وذلك هو الفوز العظيم.

حكى الطرطوشي وغيره كما نقله ابن النحاس أيضا قال: خرج ملك الروم من القسطنطينية في ستمائة ألف مقاتل خارجا عن المتطوعة، فكان لا يدركهم الطرف ولا يحصيهم العدد، بل كتائب متواصلة وعساكر متراكمة/ وكراديس/ [128/هـ156] [د/] يتلوبعضها بعضا كالجبال الشوامخ، وقد أعدوا من السلاح والكراع والآلات لفتح الحصون ما يعجز عنه الوصف، وجعل على كل مائة ألف مقدمة ملكا عليها وقسموا بينهم الدنيا فجعلوا لكل مائة ألف قطرا، فالعجم والعراق لملك والحجاز واليمن لملك والهند والصين لملك، وديار ربيعة ومضر لملك ومصر والغرب لملك، والروم لملك، فاضطربت ممالك الإسلام لذلك واشتد وجلهم وكثر جزعهم/ [169/ج] وهرب بعضهم من بين أيديهم وأخلوا البلاد، وكان الملك ألب أرسلان التركي[1] ملك العراق والعجم يومئذ فجمع وجوه مملكته وقال: قد علمتم ما نزل بالمسلمين فما رأيكم في ذلك؟ فقالوا: رأينا لرأيك تبع وهذه الجموع لا قبل لأحد بها. فقال لهم: وأين المفر؟ لم يبق إلا الموت فموتوا كراما أحسن. فقالوا: إذا سمحت نفسك بذلك فنفوسنا لك الفداء. فعزموا على ملاقاتهم فقال: ألقاهم في أول بلادي. فخرج في عشرين ألف من الشجعان، فلما سار مرحلة ثانية عرض عسكره فإذا هم اثنا عشر ألفا فلما واجههم عند الصباح رأى ما أذهل العقول وحير الألباب، وكان المسلمون كالشامة البيضاء في الثور الأسود فقال، وكان يوم الجمعة: إني هممت أن لا ألقاهم إلا بعد الزوال قالوا: ولم؟ قال: لأن هذه ساعة لا يبقى على وجه الأرض فيها أهل منبر إلا دعوا لنا بالنصر، فقالوا: افعل. فلما زالت الشمس صلى الجمعة وقال: ليودع كل واحد منكم صاحبه وليوصي، ففعلوا ذلك، وقال:

---

(1) ألب أرسلان، محمد بن داوود أخو السلطان طغر لبك بن سلجوق، من ملوك السلاجقة. انظر تاريخ دمشق لابن القلانسي سنة 463هـ.

إني عازم على أن أحمل فاحملوا معي وافعلوا كما أفعل فاصطف المشركون عشرين صفا، كل صف لا يرى[1] طرفاه ثم قال: بسم الله وعلى بركة رسول الله ﷺ، احملوا معي ولا يضرب أحد منكم بسيف ولا يرمي بسهم إلا حيث أحمل، وحمل وحملوا معه حملة فرقوا صفوف المشركين صفا بعد صف لا يقف لهم شيء حتى انتهوا/ [١١٤/أ] إلى سرادق/ الملك، فوقفوا[2] وأحاطوا[3] به، والملك لا يظن أن أحدا يصل إليه، [١٥٠/ب] فما شعر حتى قبضوا عليه وقتلوا كل من كان حوله، وقطعوا رأسا[4] وعلقوها على رمح وصاحوا: قتل الملك، فولوا منكسرين منهزمين لا يلوون على أحد، وحكموا السيف فيهم أياما، فلم ينج منهم إلا القليل، وجلس البارسلان على كرسي الملك في مضربه وسرادقه وعلى فراشه، وأكل من طعامه ولبس من ثيابه، وأحضر الملك بين يديه في عنقه حبل فقال له: ما كنت صانعا لوظفرت بي؟ قال: أوتشك في قتلك حينئذ؟ فقال له البارسلان: لكن أنت عندي أقل من أن أقتلك، اذهبوا فبيعوه فطافوا به جميع العسكر والحبل في عنقه ينادي عليه بالدراهم والفلوس فما رضي يشتريه أحد حتى انتهوا به إلى رجل في آخر العسكر فقال بعتمونيه بهذا الكلب فأتوا بهما إلى البارسلان وأخبروه بما صنعوا وما دفع لهم فيه، فقال: الكلب خير منه، خذوا الكلب منه وادفعوه له. ثم أمر بإطلاقه بعد ذلك وأن/ يجعل قرينه [١٥٧/د] مربوطا في عنقه ووكل به من وصله إلى بلاده فلما وصل عزلوه عن الملك وكحلوه فصار أعمى[5].

حُكي أنه كان في زمن الرشيد رجل يوصف بالشجاعة والنجدة، والمعرفة

---

(1) ب: لا ترى.

(2) أ، ج، هـ: فوقف.

(3) أ، ج، هـ: وأحاط.

(4) د: رأسه.

(5) الحكاية وردت في سراج الملوك: 154-155.

بمكائد الحرب وملاقاة الرجال، وكان يعرف بابن الجزري. قال القرطبي[1] في
[170/ج] تاريخه: خرج الرشيد إلى القسطنطينية في مائة ألف/ وخمسة وثلاثين ألف فارس خارجا عن المتطوعة والأتباع والغلمان وكان ملكها يومئذ يعفور بن استبراق فحاصرها وضيق عليها تضييقا شديدا حتى أشرف على أخذها فسير إليه يعفور يسأله الصلح، وأن يعطي الجزية عن نفسه وولده وسائر من في بلاده يومئذ، ويبذل
[129/هـ] له جميع ما غرمه منذ خرج من بغداد/ إلى أن وصل إليه، ويحمل إليه هدية ترضيه ويطلق له كل أسير في بلاده، فاختار الرشيد حقن دماء المسلمين فأجابه إلى ذلك، فأوصل إليه ما هو منسوب إلى الجزية وهو خمسون ألف دينار وترك الرشيد عنده أحد القواد ليقبض منه المال الذي بذله، ويأخذ الأسرى والهدية، وفرح المسلمون بذلك فرحا شديدا، ورحل الرشيد، فلما نزل على الرقة[2] مرض الرشيد وأقام بها مدة، فبلغ يعفور مرضه فغدر ولم يعط شيئا مما قدره الرشيد، وما جسر أحد يخبره بذلك لمرضه، فلما أفاق أنشد أبو العتاهية أبياتا يعرض فيها بغدر يعفور وهي:

[الكامل]

نقض الذي أعطاكه يعفور	وعليه دائرة البوار تدور
أبشر أمير المؤمنين بأنه	فتح أتاك به الإله كبير
فتح يزيد على الفتوح مؤمنا[3]	بالنصر فيه لواؤك المنصور
فلقد تباشرت الرعية أن أتى	بالغدر منه وافد وبشير
ورجت بميدان تعجل غزوة	تشفي النفوس ويومها مذكور

(1) أراد محمد بن أحمد، كمال الدين ابن ضياء الدين، ابن القرطبي، المؤرخ، له تاريخ في عدة مجلدات (توفي حوالي 693هـ)، راجع الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد للأدفوني: 267.

(2) الرقة: مدينة مشهورة على الفرات. معجم البلدان: الرقة.

(3) أ، ج، هـ: يؤمنا.

يعفور إنك تغدر، إن ثناى ... عنك الإمام، لجاهل[1] مغرور
أظننت حين غدرت أنك مفلت[2] ... ثكلتك أمك، ما ظننت غرور/ [151/ب]
إن الإمام، على [اقتناصك][3] قادر ... قربت ديارك أم نأت بك دور
ليس الأمام، وإن غفلت، غافلا ... عما يسوس بحزمه ويدور
ملك تجرد للجهاد بنفسه ... فعدوه أبدا به مقهور
يا من يريد رضي الإله بسعيه ... والله لا يخفى عليه ضمير
لا نصح ينفع من يغش إمامه ... والنصح من نصحائه مشكور/ [115/أ]
نصح الإمام على الأنام فريضة ... ولأهله كفارة وطهور/ [158/د]

فسأل الرشيد عن حقيقة الأمر فأخبر به فكر راجعا على أثره حتى نزل هرقلة[4] وقال: لا أدع حصنا مغلقا حتى أفتحه. فقال أبو إسحاق الفزازي[5]: يا مولانا! هذا حصن عظيم من أعظم حصونهم ما نفتحه إلا بعد جهد جهيد، فإذا فتحته لا تجد العساكر فيه ما يقوم بهم، وإن لم تفتحه كان نقصا في الملك، ووهنا في الدين وخمدة في المسلمين، والرأي أن تنزل/ على مدينة عظيمة يجد المسلمون فيها ما [171/ج] يكفيهم ويستعينون به على أخذ القسطنطينية ثم خذه وغيره فقال ابن مخلد: هذا حصن عظيم ليس لهم مثله، ومتى فتحته ذلوا ودخلوا تحت طاعة أمير المؤمنين وإن جاوزته ففي ذلك تراخ، فأمر الرشيد بالنزول ونصب المنجنقات ورتب الحروب ونفذ السرايا فنفذ عبد الله بن مالك[6] إلى بلاد الروم فأسر وقتل وغنم. ونفذ

(1) د: فجاهل.

(2) أ: فقلت.

(3) أ: اقتدارك.

(4) حصن بناه الرشيد على الفرات بين الرافقة وباليس. راجع معجم ياقوت: هرقلة.

(5) إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة الفزاري، أبو إسحاق، توفي حوالي 188هـ. من كبار العلماء. راجع معجم الأدباء 1/ 209. تهذيب التهذيب 1/ 153. والشذرات 1/ 307.

(6) عبد الله بن مالك بن الهيثم الخزاعي، كان على دار الرشيد وشرطته. راجع مروج الذهب 4: 206.

داوود بن علي[1] فأوغل[2] في بلادهم وكان معه سبعون ألف فارس فقتل وسبى وغنم. وسير شرحبيل بن معد ففتح حصن الصقالبة. ونفذ بدر بن مخلد ففتح الصفصاف[3]، ونفذ جميل بن معروف فحرق وغرق وقتل وأسر وأحضر معه ستة عشر ألف أسير، وأقام الرشيد على هرقلة سبعة عشر يوما فضاق صدره من طول مكثه، ونفذ الزاد فشكا ذلك إلى [بعض][4] أصحابه فقال له الفزاري/ قد [130/هـ] كنت أشفق من ذلك ونصحت أمير المؤمنين ولم يبق إلا الجد فما إلى الرحيل سبيل. ولو متنا عن آخرنا، وأنا أشير عليك بأمر فإن قبلته رجونا الفتح والنصر فقال له[5] الرشيد: قل فما كنا لنخالفك أولا وآخرا. فقال[6]: تأمر بقطع الأشجار ونقل الأحجار وتنادي في العسكر أن أمير المؤمنين عزم على الإقامة فليبن كل منكم مسكنا يسكنه فنودوا وشرعوا في البناء، فلما علا النهار واشتد الحر نام الرشيد وخف القتال، ففتح باب الحصن وخرج منه رجل من أتم الرجال في أكمل السلاح على أجود الخيل ونادى بلسان فصيح: يا معشر العرب! ليخرج إلي من فرسانكم عشرون مبارزا، فلم يخرج إليه أحد لنوم الرشيد وما جسر أحد يوقظه، فجال الرومي بين الصفين وهو ينادي بذلك فضج المسلمون واضطربوا وعاد إلى الحصن مسرورا يضحك هو وأصحابه وكثر ضجيجهم حتى استيقظ الرشيد فقال: ما الخبر؟ فأعلموه بذلك، فتألم وقلق وقام وقعد وقال: هلا أيقظتموني. وما بال أحدكم لم يخرج/ إليه؟ فقال له الفزاري: إن غرته ستحمله على الخروج في غد [152/ب]

---

(1) هو داود بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أبو سليمان، الهاشمي عم السفاح. انظر ترجمته في تاريخ ابن عساكر 5: 203.

(2) ج، هـ: فأوحل.

(3) الصفصاف: كورة من ثغور المصيصة. انظر معجم البلدان 3: 413.

(4) زيادة من: د.

(5) ساقطة من: د.

(6) د: قال.

فلما نام الرشيد تلك الليلة، فلما أصبح خرج الرومي وقال ما قال بالأمس، فقال الرشيد: ليخرج إليه عشرون فارسا، فقال ابن مخلد: لا والله لا يخرج إليه إلا واحد فإن ظفر به فالحمد لله وإن قتله كان شهيدا ولا تسمع الروم/ أن فارسا خرج إليه [159/د] عشرون فارسا من المسلمين، فقال: صدقت، وكان في العسكر رجل يعرف بابن الجزري، وهو معروف بالنجدة موصوف بالشجاعة فقال: أنا أخرج إليه وأستعين بالله عليه، فأمر له بفرس وسلاح، فقال: لا أريد شيئا فانحدر إليه بعد أن ودعه الرشيد ودعا له وترك معه عشرين يودعونه، فلما صار في بطن الوادي قال الرومي: غدرتم يا مسلمون: طلبت عشرين فنزل إلي واحد/ وعشرون فقالوا: ما يبارزك [172/ج] إلا واحد ونحن مودعوه وراجعون. فقال العلج: سألتك بالله أنت ابن الجزري؟ قال: نعم قال: كفء كريم فرجع المسلمون وتطاعنا حتى كلا واشتد الحر عليهما والمسلمون والمشركون ينظرون إليهما فولى ابن الجزري منهزما فغطغط[1] المشركون وضج المسلمون والعلج في أثره ثم عطف[2] ابن الجزري على العلج فاختطفه من سرجه وما أوصله إلى الأرض إلا بعد مفارقة روحه من جسده فكبر المسلمون تكبيرة واحدة كادت الجبال أن تدكدك منها وانكسر المشركون وجد المسلمون في القتال ففتح الحصن عنوة وقتلوا وأسروا ولما صعد ابن الجزري أجلسه الرشيد وأمر بصب الأموال عليه حتى عجز عن النهوض وأفرغت عليه/ الخلع حتى لم [116/أ] يطق حملها وصار يسأل الإعفاء، ثم توجه الرشيد إلى القسطنطينية فلقيه الأساقفة والأقساء والرهبان وسألوه العفو والصفح عن ملك الروم [يعفور][3] وأن يومه هذا لا ينقضي حتى يحمل إليه [منه][4] جميع ما قدره من هدية ما عزمه منذ خروجه

(1) الغطغطة: صوت القِدر في الغليان وما أشبهها. اللسان: غطط.
(2) ج: فعطف.
(3) زيادة من: ب، ج، د، هـ.
(4) زيادة من: ب، ج، د، هـ

إلى اليوم، وما زالوا يتضرعون إليه ويقبلون الأرض ويعفرون جباههم في التراب حتى أجابهم إلى ذلك وأقام الرشيد عليها حتى قبض جميع ما أحب واختار، فكان جملة المال ما أخذ منهم ثلاثمائة ألف دينار ورتب عليهم في كل سنة خمسة ألف دينار جزية تحمل إليه في كل سنة، وشرط عليه ألا يبني هرقلة ولا غيرها مما هدمه المسلمون ولما عزم الرشيد على الانصراف كتب إليه ملك الروم كتابا وهو: لأمير المؤمنين وخليفة المسلمين، من يعفور ملك الروم، سلام عليك أيها الملك العظيم/ [131/هـ] أما بعد، فإن لي حاجة يسيرة ولا تضرك في دينك ولا في دنياك حقيرة هينة وهي جارية من بنات هرقلة خطبتها لابني فإن رأيت أن تسعفني في حاجتي فلك المن والفضل وإن أضفت إلى ذلك سرادقا من سرادقاتك وطيبا من طيبك فأنت لذلك أهل، وأرسل الكتاب إليه مع قسيسين عظيمين فبحث الرشيد عن الجارية حتى وجدها فجهزها إليه أحسن جهاز وضرب مضربا عظيما ونضده بأنواع الفرش وجعل فيه أواني الذهب والفضة مملوءة بأنواع المسك والطيب والغالية والعنبر والعود والند والصندل وغير ذلك وقال: هذا المضرب وما فيه للملك يعفور فسر بذلك/ يعفور سرورا عظيما وسير إليه بغالا موقرة[1] بدراهم إسلامية كان [153/ب] مبلغها مائة ألف وخمسين ألفا، وبغالا أخرى موقرة بأصناف/ الديباج منسوجة [160/د] بالذهب من أغلا ما يكون، وأرسل إليه مائة ثوب منسوجة بالفضة واثني عشر بازيا وأربعة/ أكلب من كلاب الصيد يفترسون الأسد وثلاثة برادين من أفره ما [173/ج] يكون، ثم إن الرشيد ضبط الفيء الذي قسم في هذه الغزوة على الأجناد فكان الخمس المتحصل لبيت المال ثلاثة آلاف وخمسمائة ألف دينار وانصرف الرشيد والمسلمون مسرورين منتصرين وقد غنموا وظفروا وحصل لهم السعد الأوفر.

---

(1) موقرة: محملة، والوقر: الحمل يحمل على الرأس أو الظهر. اللسان: وقر.

حكى عبد الرحمان بن غنم[1] قال: كتب نصارى الشام، حين صالحوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كتاب عهد فيه: بسم الله الرحمان الرحيم، هذا كتاب لعبد الله عمر بن الخطاب أمير المومنين، من نصارى الشام، إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملتنا وشرطنا لكم على أنفسنا أنا لا نحدث في مدائننا ولا فيما حولها ديرا ولا قبلة ولا كنيسة ولا صومعة راهب[2] ولا نجدد ما خرب منها، وأن ننزل من مَرَّ بِنَا من المسلمين ثلاث ليال ونطعمهم ولا نأوي في كنائسنا ولا منازلنا جاسوسا ولا نكتم غشا للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولا نظهر شرعنا ولا ندعو إليه[3] أحدا. ولا نمنع أحدا من ذوي قرابتنا الدخول في الإسلام إن أرادوه، وأن نوقر المسلمين ونقوم لهم في مجالسنا إذا أرادوا الجلوس، ولا نتشبه بهم في شيء [من لباسهم، في قلنسوة، ولا عمامة، ولا نعلين، ولا نفرق شعورنا، ولا نتكلم بكلامهم][4] ولا نتكنى بكناهم، ولا نركب السروج ولا نتقلد السيوف، ولا نتخذ شيئا من السلاح ولا نحمله معنا، ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخمر، وأن نجرد مقادم رؤوسنا ونلزم زينا حيثما كنا، وأن نشد الزنانير[5] على أوساطنا، ولا نظهر صلباننا ولا كتبنا في شيء من طرق المسلمين، ولا نرفع أصواتا مع موتانا ولا نظهر في شيء من طرق المسلمين وأصواتهم، ولا نجاورهم بموتانا، ولا نتخذ من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين، ولا نطلع على منازلهم. قال: فلما أتى الكتاب الإمام عمر رضي الله عنه زاد فيه. ولا نضرب أحدا من المسلمين، شرطنا على أنفسنا وأهل ملتنا

---

(1) هو عبد الرحمن بن غنم بن كريز الأشعري فقيه الشام (ت حوالي 78هـ)، راجع تهذيب التهذيب 6: 250 وتذكرة الحفاظ 1: 51.

(2) د: لراهب.

(3) أ: الله.

(4) ما بين معقوفين زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(5) الزنانير: ما يلبسه الذمي، يشده على وسطه. اللسان: زنر.

وقبلنا عليه الأمان فإن نحن خالفنا في شيء مما شرطناه [لكم وضمناه] على أنفسنا فلا ذمة لنا، وقد حل بنا ما يحل بأهل المعاندة والنفاق، فكتب الإمام عمر رضي الله عنه ان يمضي ما سألوه/ ويلحق به حرفان فإن اشترطهما مع ما شرطوه على أنفسهم وأن لا نشتري شيئا من سبايا المسلمين ومن ضرب مسلما عمدا فقد خلع عهده[1]/ . [117/أ] [132/هـ]

حكى أصحاب الإمام الشافعي أنه قال: يلزم أهل الذمة أن يتميزوا عن المسلمين في اللباس، وإن لبسوا قلانيس ميزوها عن قلانيس المسلمين بالخرق، وأن يشدوا الزنانير على أوساطهم ويكون في رقابهم/ خاتم من رصاص أونحاس أوجرس يدخل معهم إلى الحمام ويكون أحد خفي المرأة منهم أسود والآخر أبيض ولا يركبون الخيل ويركبون البغال والحمير بالأكف عرضا/ ولا يركبون/ بالسروج ولا يصدرون في المجالس ولا يبدؤون بالسلام ويلجؤون إلى أضيق الطرق ويمنعون أن يعلوا في البناء على المسلمين وتجوز المساواة في البناء، وقيل لا تجوز، بل يمنعون، وإن ملكوا دارا عالية أقروا عليها، ويمنعون من إظهار المنكر والخمر والخنزير والناقوس والجهر بالقرآن والإنجيل، ويمنعون من المقام بالحجاز، وهي مكة المشرفة والمدينة المنورة واليمامة، ويجعل الإمام على كل طائفة منهم رجلا يكتب أسماءهم وحلاهم ويستوفي جميع ما يؤاخذون به من الشروط وإن امتنعوا من أداء الجزية والتزام أحكام الملة انتقض عهدهم، وإن زنى احدهم[2] بمسلمة وأصابها بنكاح أوآوى أحدا من الكفار أودل على عورة المسلمين أوفتن مسلما عن دينه أوقتله أوقطع عليه الطريق أوذكر الله ورسوله بما لا يجوز، قيل: ينتقض، وإن فعل منه ما [174/ج] [154/ب][161/د]

(1) الحكاية وردت في سراج الملوك: 118. مع اختلاف قليل في الرواية.
(2) أ، ب، ج، هـ: أحد.

[لا][1] ضرر فيه كترك الخمار، ومثل اظهار الخمر وما أشبههما، غدر. وأما إن فعل ما يوجب نقض العهد رد إلى مأمنه في أحد القولين وقتل[2] في القول الآخر، والله سبحانه وتعالى أعلم[3].

حكى الطرطوشي قال: كان شيخ الجند في بلدنا طرطوشة[4]، يحكي أنهم خرجوا في أيام سيف الدولة في سرية إلى بلاد العدو، فبينما هم يسيرون إذ لقيتهم سرية الروم تريد منهم ما يريدون منها. قال: وعرف بعضهم بعضا، وكان فينا صناديد[5] الفرسان، وفيهم صناديد الروم، قال: فتواقفنا ساعة ثم شددنا وشدوا، فالتقينا[6] وتجاولنا ساعة ثم منحنا الله تعالى أكتافهم ثم جعلناهم حصيدا كأنهم جزر في الأوضام[7]، وكان هناك بقربهم قرية فيها شيء من الخمر فشربنا وسكرنا، ثم اشتهينا شيئا من شرائح اللحم، فقمنا نقطع من لحومهم ونجعلها على النار ونأكلها، ففزع من ذلك من أسرنا منهم، وبلغ الحديث الروم فانقلبت النصرانية تعجبا، وقذف الله الرعب في قلوبهم بسبب ذلك[8].

حُكي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لعمرو بن معدي كرب[9]: صف

(1) زيادة من: ب، د.

(2) أ: قيل.

(3) الحكاية وردت في سراج الملوك: 119.

(4) مدينة بالأندلس تتصل بكورة بلنسية. انظر معجم البلدان: طرطوشة.

(5) الصناديد: الأشراف العظماء، الواحد صنديد، وكل غالب عظيم شجاع. اللسان: صند.

(6) ب: والتقينا.

(7) الأوضام: مفردها وضم، كل شيء يوضع عليه اللحم من خشب أو بارية يوقى به من الأرض. اللسان: وضم.

(8) الحكاية وردت في سراج الملوك: 149. مع اختلاف قليل بين الروايتين، وكذا في المستطرف 351/1.

(9) عمرو بن معدي كرب بن عبد الله الزبيدي، أبو ثور ،شاعر مخضرم، توفي حوالي 21 هـ،. راجع الشعر والشعراء 1/ 372. ومروج الذهب 3/ 69-73الإصابة 3/ 21.

لنا الحرب فأنشد يقول:

[الكامل]

الحرب أول ما تكون فتية ... تسعى ببزتها لكل جهول[1]
حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها ... أضحت عجوز غير ذات خليل
شمطاء قد كشرت على أنيابها ... مكروهة للضم والتقبيل[2]

وقال آخر في معنى آخر:

[المتقارب]

[175/ج] فلا تحقرن عدوا رماك ... وإن كان في ساعديه قصر/
فإن السيوف تحز الرقاب ... وتعجز عما تنال الإبر[3]

حُكي لما برز المقتدر بن هود[4]، ملك الأندلس، للقاء الطاغية ردميل[5] عظيم الروم، وكان كل واحد قد احتشد بما في ميسوره من الرجال والعدد والعدد، فالتقى [162/د][133/هـ] المسلمون والكفار/ ثم تنازلوا للقتال وتصافقوا[6] ودام القتال بينهم صدرا كبيرا من النهار، وكان المسلمون في خسران، فأفزع المقتدر ذلك، وفرق على المسلمين [118/أ] من ذلك اليوم، فدعا المقتدر رجلا من المسلمين لم يكن في/ الثغور أعرف بالحرب [155/ب] منه يسمى/ سعدادة [فقال له المقتدر: كيف ترى حالك اليوم؟ فقال له سعدادة:

---

(1) البزة: السلاح، يدخل فيه الدرع والمغفر والسيف. اللسان: بزز.

(2) الشمطاء: الشمط، بياض شعر الرأس يخالطه سواده. اللسان: شمط. والأبيات وردت في الشعر والشعراء1/ 380. وورد البيت الأول في اللسان: (مادة فتى) والمسعودي 3/ 70، 191، وفيه أنها لامرىء القيس، ووردت أيضا في شرح النهج 2/ 386. والحكاية وردت في مروج الذهب 3/ 70 مع اختلاف قليل في الرواية.

(3) البيتان وردا في المستطرف 1/ 351.

(4) أحمد بن سليمان بن محمد بن هود، الملقب بالمقتدر بالله من ملوك الطوائف بالأندلس توفي حوالي 475هـ. راجع البيان المغرب 3/ 224.

(5) أ، ب: رويبل.

(6) ساقطة من: د.

هذا يوم أسود، ولكن صنعت حيلة، فذهب سعدادة][1] وكان زيه زي الروم ثم قصد الطاغية [ردميل][2] فألقاه شاكي السلاح متكفئا بالحديد، لا يظهر منه إلا عيناه فجعل يترصده ويتوقع غرته إلى أن أمكنه الفرصة فحمل عليه وطعنه في عينه فخر صريعا ثم نادى بلسان الروم: قتل السلطان يا معشر الروم! فشاع قتله في العسكر فولوا منهزمين وكان الفتح، بإذن الله تعالى، للمسلمين ببركة حركة سعدادة رحمه الله تعالى[3]. قال الشاعر:

[الطويل]

ألم تر أن الله أوحى لمريم ... وهزي إليك الجذع تساقط الرطب
ولوشاء أحنى الجذع من غير هزها ... إليه، ولكن كل شيء له سبب[4]

وقال آخر:

[مجزوء الكامل]

قالوا: بقيت وقد أحـ ... ـاط بك العدوولا مفرْ
فأجبتهم، والشيخ مـ ... ـا لم ينتفع بالعلم غِرْ[5]
لا نلت خيرا ما بقيـ ... ـت ولا عداني الدهر شرْ
إن كنت أعلم أن غيـ ... ـر الله ينفع أويضرْ

(1) ما بين معقوفين ساقط كله من: هـ.

(2) زيادة من: ب، ج، هـ.

(3) الحكاية وردت في سراج الملوك: 156 وفيه أن الرجل العارف بالحرب اسمه: سعدارة.

(4) في البيت الأول اقتباس من قوله تعالى: ﴿وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا﴾.

(5) الغِر والغرير: الشاب الذي لا تجربة له. اللسان: غرر.

الباب السادس

في الشجاعة وأخبار بعض الشجعان الأماثل والجبن وأهله الأراذل

حُكي أن من شجعان هذه الأمة رجلا يقال له: ابن فتحون. قال الطرطوشي في كتابه سراج الملوك: وكان خال والدتي. وكان أشجع العرب والعجم، وكان المستعين بن المقتدر بالله يرى ذلك[1] ويعظمه، وكان يجري له في كل شهر جراية كبيرة، وكانت النصرانية بأسرها قد عرفت مكانه، فيحكى أن الرومي كان إذا سقي فرسه/ ولم يشرب قال له: اشرب أو ابن فتحون[2] رأيته في الماء، فحسده [176/ج] نظراؤه على كثرة العطاء، ومنزلته من السلطان وما زالوا حتى غيروه عليه فغزا المستعين بلاد الروم، فتواقف المسلمون والمشركون صفوفا فبرز علج وسط الميدان ينادي: هل من مبارز؟ فبرز إليه فارس، فتجاولا ساعة، فقتله الرومي فصاح الكفار سرورا، وانكسرت نفوس المسلمين، ثم برز آخر فقتله، ثم آخر فقتله، وجعل الرومي يكر بين الصفين ويقول: هل من مبارز؟ ويقول: واحد لاثنين واحد لثلاثة من المسلمين، فضج المسلمون واضطربوا ولم يجسر أحد من المسلمين أن يخرج إليه وبقي الناس/ في حيرة فقيل للمستعين ما لها إلا ابن فتحون، [163/د] فدعاه وقال له: أما ترى ما صنع هذا العلج؟ قال: نعم. قال: فما الحيلة فيه؟ قال: ما تريد. قال: تكفيني[3] شره. قال[4]: إن شاء الله تعالى الساعة يكون ذلك. فلبس

---

(1) ج، هـ: يرى له ذلك.

(2) ج: ابن فتوح.

(3) ج: تكفي.

(4) ساقطة من: د.

قميصا من كتان واسع الأكمام وركب فرسه بلا سلاح وأخذ بيده سوطا طويل
[156/ب] الطرف، وفي طرفه عقدة ثم برز/ إليه فتعجب منه النصراني وحمل كل واحد منهما
على صاحبه، فلم تخط طعنة النصراني سرج ابن فتحون فتعلق ابن فتحون برقبة
فرسه ونزل نحوالأرض ولم يبق شيء منه في السرج ثم استوى على سرجه وحمل
عليه فضربه بالسوط على عنقه فالتوى عليه وأخذه بيده فاقتلعه من السرج وجاء
[134/هـ] به نحو المستعين فألقاه بين يديه، فتحقق المستعين/ أنه أخطأ في صنيعه مع ابن
فتحون فأكرمه ورده إلى منزلته وزاد في عطائه[1].

حُكي أن أبا دلف[2] كان من قواد المأمون ثم المعتصم بعده وكان جوادا، حكي
أنه لقي أكرادا فقطعوا عليه الطريق فطعن واحدا فنفذت الطعنة إلى فارس آخر
فقتلهما معا، وفي ذلك يقول بكر بن النطاح[3] الشاعر المشهور:

[الكامل]

[119/أ] قالوا: وينظم فارسين بطعنة ... يوم الهياج ولا تراه كليلا/
لا تعجبوا فلو أن طول قناته ... ميل إذا نظم الفوارس ميلا[4]

وقال فيه أيضا:

[الكامل]

يا طالبا للكيمياء وعلمها ... مدح ابن عيسى الكيمياء الأعظم

(1) الحكاية وردت في سراج الملوك: 156 والمستطرف 1/ 313-314 والشهب اللامعة: 409-410.

(2) هو القاسم بن عيسى بن ادريس بن معقل، أحد الأمراء الأجواد الشجعان الشعراء، كان من قادة جيش المأمون، توفي حوالي 226هـ. انظر ترجمته في الوفيات 4/ 73-79 وتاريخ بغداد 12/ 416، والأغاني 8/ 248.

(3) هو بكر بن النطاح الحنفي، أبو وائل، شاعر غزل، من الفرسان توفي حوالي 192هـ. راجع تاريخ بغداد 7/ 90. الأغاني 19/ 113. فوات الوفيات1/ 141. والبداية والنهاية 10/ 208.

(4) البيتان وردا في مروج الذهب 4/ 361. الأغاني 117.19. الوفيات 4/ 75. فوات الوفيات 1/ 146.

لولـم يكـن فـي النـاس إلا درهـم ومدحتـه، لأتـاك ذاك الدرهـم[1]

حكي أن أبا محجن[2] الثقفي[3] كان كثير[4] الشرب، وجلده عمر رضي الله عنه مرارا، وينسب إليه [هذا][5] الشعر/ : [ج/177]

[الطويل]

إذا مـت فادفنـي إلـى جنـب كرمـة تـروي عظامي بعد موتـي[6] عروقها
ولا تدفننـي بالفـلاة فإننـي أخـاف إن مـت أن لا أذوقهـا[7]

قال: فلما لم ينته نفاه عمر رضي الله عنه إلى جزيرة من جزائر البحر أميرها يومئذ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وأمر سعدا أن يحبسه، فأتى العدو إلى تلك الجزيرة، فخرج سعد رضي الله عنه بالجند، فنال المشركون من المسلمين، فلما بلغ ذلك أبا محجن أنشد يقول:

[الطويل]

كفـى حزنـا أن ترتـدى الخيـل بالقنا وأُتْـرَكُ مشـدودا علـي [وثاقيـا][8]

---

(1) البيتان من الكامل وردا في الوفيات ضمن الكلام عن الشعراء الذين مدحوا أبا دلف. نفس الجزء: 74. وانظر ثمرات الأوراق: 125، والمستطرف 1/ 225. والسكردان: 447.

(2) أ: محمد.

(3) عمروبن حبيب بن عمروبن عمير ابن عوف في اسمه اختلاف، أحد الأبطال الشعراء الكرماء في الجاهلية والإسلام. أسلم سنة 9 هـ وتوفي حوالي 30هـ. انظر ترجمته في الإصابة 4/ 172، وخزانة الأدب البغدادي 3/ 553.

(4) أ: ستعير.

(5) زيادة من ج، هـ.

(6) أ: موت.

(7) البيتان وردا في عيون الأخبار 1/ 38 (مع اختلاف الرواية)، وكتاب الأشربة لابن قتيبة: 34. والعقد الفريد، والأغاني 19/ 10. وحلبة الكميت 1/ 186.

(8) في جميع النسخ: وثاقها. وقد أثبتنا رواية ابن قتيبة وابن سلام والمسعودي وذلك ليستقيم المعنى. والبيت ورد في الشعر والشعراء. وطبقات ابن سلام 1/ 225. وفيه: كفى حزنا أن تطرد الخيل بالقنا، ومروج الذهب 4/ 58. والطبري 4/ 123 .الأغاني 19/ 8.

ثم قال: أما أنا لو حللت من قيودي هذه وحملت على هذه الفرس، وأشار إلى فرس بلقاء كانت بدار سعد، رضي الله عنه، لكنت أول من يأتي بخبر القوم. قال: فحلت امرأة سعد قيوده وحملته على ذلك الفرس، وجعل يركض حتى وصل إلى القوم فجعل لا يدرك فارسا إلا طعنه ولا يعرفه أحد من المسلمين حتى فتح الله، ثم رجع إلى قيوده، فلما جاء سعد، رضي الله عنه، قالت له زوجته: ما فعلتم؟ فقال: لما نال المشركون منا طلع لنا فارس على فرس بلقاء، فأبلى بلاء حسنا حتى فتح الله ولولا/ إني تركت أبا محجن في قيوده لظننت أنه إياه. فأخبرته القصة فأخذ عليه العهد على عدم الشرب وحل قيوده، رضي الله تعالى عنهما[1]. [164/د]

حكى يوسف بن إبراهيم [2] الكاتب، أنه كان واقفا بين يدي الهادي وهو على حمار فظفر برجل خارجي وهو بالباب، فأمر بإدخاله فأدخل، وقد قبض عليه اثنان، فلما قرب من[3] الهادي جذب نفسه منهما واخترط سيف أحدهما[4] وأقبل نحو الهادي وكاد يعلوه بالسيف، وهرب من حوله، فلم/ يلتفت إليه الهادي ولم ينزل عن حماره، وقال: اضرب عنقه يا غلام، ولم يكن خلفه أحد، فالتفت الخارجي فوثب الهادي عليه فصرعه وأخذ منه السيف وضرب عنقه. قال: ولم يركب بعدها حمارا ولم يفارق سيفه[5]. [157/ب]

حُكي أن محمدا الأمين اضطجع[6] يوما ثم دخل عليه الصيادون معهم[7] سبع

---

(1) الحكاية وردت في الشعر والشعراء والطبقات لابن سلام 1/ 225. ومروج الذهب 4/ 58-60. والأغاني 19/ 8.

(2) يوسف بن إبراهيم الكاتب، صاحب إبراهيم بن المهدي، من أولاد أخواله ذكره المسعودي في مروج الذهب 4/ 183.

(3) أ، ب: على.

(4) أ: إحداهما.

(5) الحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 183-184. مع اختلاف قليل في الرواية.

(6) د: اصطنع.

(7) أ: مع.

أسود هائل مستوحش في قفص من حديد، فقال: حلوا عليه. ففتحوا باب القفص فخرج سبع عظيم له شعر أسود مثل الثور قال: فزأر وضرب بذنبه الأرض فهرب الناس وغلقت الأبواب/ في وجهه، وبقي الأمين وحده جالسا في موضعه غير مكترث به، فقصده الأسد حتى دنا منه ومد يده إلى الأمين فجذبها الأمين وقبض على أذنه فهزه ودفع به إلى خلف، فوقع الأسد على/ موخره ميتا، فتبادر الناس إلى الأمين، فإذا أصابعه ومفاصل يده قد زالت من أماكنها. قال: فأتى بمجبر وردها وبقي كأنه لم يعمل شيئا ثم شق بطن الأسد، فإذا مرارته قد انفطرت[1]. قلت: ويقرب منه أن ملكا من الملوك خرج في عسكره فرأوا أسدا فأحاطوا به، وتوعد الملك من يخرج من جهته فجاء الأسد من جهة الملك، وكان في يده سوط، فضربه به، فتنابه ثم قبض عليه وإلى ذلك يشير أبو الطيب يمدحه:

[135/هـ]

[178/ج]

[الكامل]

ومعفر الليث الهزبر بسوطه لمن اذخرت الصارم المصقولا[2]

حكى محمد بن إسحاق[3] قال: كنت مشغوفا بأخبار العرب وأشعارها وأيامها، أحب أن نسمعها/ فنجمعها، فنزل علينا يوما فتيان لبني ثعلبة، فذهبت إليهم لأسمع من أشعارهم وأخبارهم، فمررت بفناء خيمة، وإذا بغلام ما رأيت مثله حسنا وجمالا، له ذؤابتان كالدر المنظوم وله وجه كاستدارة القمر، ومعه امرأة أحسن منه وأجمل وأكثر ما أسمع من كلامها[4]: يا بني! وهو يبتسم، وقد غلب

[120/أ]

(1) الحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 268-269.

(2) البيت ورد في الديوان 3/ 237. والقول ورد في هامش ديوان المتنبي برواية مختلفة. وفيه أن الملك هو بدر بن عمار. انظر الديوان الجزء والصفحة السابقين.

(3) سبق ذكره.

(4) أ: كلامه.

عليه[1] الحياء، كأنه كاعب[2] عذراء. لا يرد جوابا من الحياء، فاستحسنت ما رأيت منها، فبصرت [بي][3] المرأة[4] وقالت: ما حاجتك يا حضري؟ فقلت: لا حاجة إلا استحسان ما رأيت منك ومن حسن هذا الغلام. فقالت: حملته تسعة أشهر فكنا في عيش كدر ورزق حصر، حتى إذا شاء الله أن أضعه فوضعته بحمد الله خلقا سويا، فلا وأبيك ما هو إلا أن وضعته حتى من الله وأجزل، وسهل وتفضل بِيُمْنِ وجهه وسعادة طلعته فسميته مالكا، ثم أرضعته حولين كاملين، فلما استتم الرضاعة/ نقلته من المهد بيني وبين أبيه فنشأ بيننا كأنه شبل أسد، نقيه [165/د] برد الشتاء وحر الصيف، فلما مر عليه خمسة أعوام دفعته إلى مؤدب فعلمه القرآن فقرأه وتلاه وقرأ الشعر ورواه حتى مضى له بضع عشرة سنة ركبته عتاق الخيل فتفرس وحمل السلاح ومشى بين بيوت الحي، وأصغى إلى صوت الصارخ وأنا خائفة عليه وجلة، مشفقة من الألسن أن تعينه ومن الأعين أن تصيبه حتى شاء الله، أصابتنا سنون أجذبت بلادنا وكاد يهلك كبارنا وأطفالنا، فخرجنا إلى مناهل غير مناهلنا، فخرج أصحابنا يوما لطلب ثأرهم، وخلفه/ عن/ الركوب معهم [158/ب][179/ج] وجع أصابه، فلا وأبيك ما علمنا حتى دهمتنا الخيل من العدوفما كان إلا هنيهة حتى حازوا الأموال وانهزم الرجال، وهو معي في البيت يسألني عن الصوت وأنا كاتمة له خيفة عليه حتى علت الأصوات وبرزت المخبئات فسمع، فثار كما يثور الأسد المغضب فأسرج فرسه ولبس لامة[5] حربه وتقلد سيفه واعتقل برمحه ولحق بالعدو فطعن أدنى فارس منهم فرجعوا عليه فرأوه صبيا لطيفا فعطفوا

(1) ساقط من: ج.
(2) الكاعب: الجارية التي نهد ثديها. اللسان: كعب.
(3) أ: في.
(4) ج: امرأة.
(5) اللامة: الدرع. اللسان: لأم.

عليه الأسنة وأطلقوا الأعنة فمرق[1] منهم كما يمرق السهم من القوس ثم عطف عليهم فلا وأبيك ما زال يقاتلهم إلى أن قتل منهم مائة وأكثر، ونحن مادون أيدينا إلى السماء ندعو الله له بالسلامة، فانهزموا وإذا به قد رجع وهو يزأر كما يزأر الأسد وينشد هذه الأبيات ويقول لعذارى الحي مخاطبا لهن بهذه الأبيات:/ [136/هـ]

[الطويل]

تأملن فعلي هل رأيتن مثله
إذا خرجت نفس الجبان من الكرب
وضاقت عليه الأرض حتى كأنه
من الخوف، مسلوب العزيمة والقلب
ألم أعط كلا حقه ونصيبه
من السمهري اللدن والمرهف العضب[2]
عليّ بأن أعطى الحفيظة [مرهف
وطرف قوى الظهر][3] والجوف والجنب
وسيفا صقيلا لوضربت بحده
شماريخ رضوى[4] لانخفظن إلى الترب[5]
وعرضا شريفا أتقي أن أعيبه
وبيتا كريم الأصل من ثعلب[6] الغاب

(1) مرق يمرق مرقا: خرج من الجانب الآخر. اللسان: مرق.

(2) السمهري: الرمح الصليب العود. اللدن: اللين من كل شيء. والمرهف: السيف الرقيق. والعضب: السيف القاطع. اللسان: (سمهر، لدن، رهف، عضب)،

(3) ما بين معقوفين زيادة من المستطرف، وفي جميع النسخ بياض.

(4) زيادة من: ب، د، هـ.

(5) رضوى: اسم جبل بالمدينة. انظر معجم البلدان 3/ 51. اللسان: رضى.

(6) أ: تغلب. ب: تقلب.

معاذ الإله أن يقلن حلائلي
ألا قر عينا مالك بن أبي كعب[1]

أقاتل حتى لا أرى لي مقاتلا
وأضرب إن حاد[2] الجبان عن[3] الضرب

وأطعن كبش القوم في حومة الوغى
وإن كان كبش القوم في الموكب الصعب

فإن لم أحامي دونكن وأحتمي
عليهم وأحميكن في البعد والقرب

وأبذل نفسا دونكن كريمة
علي لإطراق الأسنة والقضب

فقد كذب اللاتي سعين إلى أبي
يهنينه بالفارس البطل الندب[4]

قالت: فما هو إلا أن بدت علينا غرر الخيل، وهي خيل أصحابنا فولى القوم [166/د] هاربين ولم/ يفت علينا من مالنا شيء، وهو والله كرار غير فرار، فما كان أملح صباحنا ذلك اليوم[5].

[121/أ] حُكي/ أنه قيل للأعور الشاعر[6] في بعض الغزوات وقد نادى الأمير: من جاء برأس من رؤوس القوم فله مائة درهم وزيادة عشرة دنانير في عطائه فقيل له: [180/ج] تقدم فإنها عشرة دنانير في عطائك. فقال: إني أخاف أن يذهب/ العطاء كله. وقيل [159/ب] لبعض الجبناء: تقدم للحرب، فقال/ منشدا:

(1) كبش القوم: زعيمهم ورئيسهم. اللسان: كبش.
(2) أ: جاد.
(3) أ: من.
(4) الندب: الرجل الخفيف الظريف. اللسان: ندب. والقصيدة وردت في المستطرف 1/ 226.
(5) الحكاية وردت في المرجع السابق مع اختلاف الرواية.
(6) أظنه أراد به الأعور بن عمرو بن هناءة الأزدي.

[الطويل]

وقالوا: تقدم. قلت: لست بفاعل ... أخاف على فخارتي أن تحطما
فلو كان لي رأسان أتلفت واحدا ... ولكنه رأس إذا زال أعقما
وأيتم أولادا وأرمل نسوة ... فكيف تطيب النفس أن أتقدما[1]

(1) الأبيات وردت في العقد الفريد 1/ 133 وفي مروج الذهب 5/ 184 ورد البيت الأول منها منسوبا لأبي فرعون، وهو شاعر بدوي من أبناء القرن الثالث. ذكره ابن المعتز في طبقاته. وفي الأغاني أن أبا مسلم دعا أبا دلامة البراز فأنشأ يقول:

ألا لا تلمني إن فررت فإنني ... أخاف على فخارتي أن تحطما

والحكاية وردت في العقد 1/ 133، مع اختلاف قليل بين الروايتين. وغرر الخصائص: 360.

الباب السابع

في الجود وخبر أهله الكرام
وذكر بعض أضدادهم ممن اشتهر من اللئام

حُكي أن يحيى بن عفان[1] حدث عن علي بن حرب[2] [عن أبي عبيدة] [3] قال: رأيت حاتم الطائي بواد يقال له الحائل[4]، فإذا قدور عظيمة وقصع وأواني من حجر مكفات بناحية القبر وهي من القدور التي كان يطعم فيها الأضياف، وعن يمين القبر أربع جواري من حجارة وعن يساره كذلك كأنهن[5] سواحب شعر منشور، منعطفات على قبره، كالنائحات على قبره. قال: فعجبت من بياض أجسامهن وجمال وجوههن مثلهن الجن على قبره. ولم يكن أحد قبل ذلك يراهن بالنهار. فإذا هدأت العيون ارتفعت أصوات الجن بالنياحة قال من هو قريب من الوادي: كنا، ونحن في منازلنا، نسمع ذلك إلى أن يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر سكتن إلى أن يمضي النهار، وربما[6] مر المار فيراهن فيميل إليهن عجبا بهن، فإذا دنا منهن وجدهن أحجارا. قال محمد بن أبي هريرة[7]: كان رجل يكنى

---

(1) أراد به يحيى بن عتاب وذلك أنه ورد في معجم الأدباء 1/ 95. والبيان المغرب (1/ 403) رجل يعرف بابن عتاب.

(2) هو علي بن حرب بن محمد الطائي الموصلي، أبو الحسن، من رجال الحديث والأدب (170-265هـ)، راجع تاريخ بغداد 11/ 418. تهذيب التهذيب 7/ 294

(3) ما بين معقوفين زيادة من: ب، ج، د، هـ سبق ذكره.

(4) الحائل: من أرض اليمامة لبني قشير، وهو واد أصله من الدهناء. انظر معجم البلدان: الحائل.

(5) أ: كل من.

(6) د: وبها.

(7) ذكره المسعودي والبغدادي ولم يترجماه.

[137/هـ] أبا الخيبري، مر مع نفر من قومه بقبر حاتم فنزلوا/ قريبا منه، فنادى أبو الخيبرى، بعد أن بات على قبره: يا أبا الجعد! أقرنا أقرنا. فقال له قومه: مهلا ما تكلم من رمة بالية. فقال: إن طيئا[1] تزعم أنه لم ينزل به أحد إلا أقراه، ثم ناموا، فلما كان آخر الليل قام أبو الخيبري مذعورا فزعا ينادي: وا راحلتاه! فقال له أصحابه: مالك؟ قال: خرج حاتم من قبره بالسيف، وأنا أنظر حتى عقر ناقتي. فقالوا: كذبت، ونظروا إلى ناقته فوجدوها من دون نوقهم لا تنبعث، فقالوا له: قد والله أقراك، فظلوا يأكلون من لحمها شواء وطبيخا حتى أصبحوا ثم أردفوه وانطلقوا سائرين. فإذا راكب يقود بعيرا آخر قد لحقهم فقال: أيكم أبو الخيبري؟ فقال: أنا هو ذاك. فقال: عدي بن حاتم[2]، وإن حاتما أبي جاءني الليلة في النوم ونحن نزول وراء هذا الجبل وذكر شتمك له ولومك إياه وإنه قرى راحلتك أصحابك، [167/د][181/ج] وحملني إليك هذه الأبيات/ وهي:/

[المتقارب]

أبا الخيبري وأنت امرؤ ... ظلوم العشيرة شتامها
نزلت بأهلك تبغي القرى ... لذي حفرة صدحت هامها
أتبغي لك الذم عند المبيت ... وعند طي وأنعامها[3]
فإنا[4] سنشبع أضيافنا ... ونأتي المطي فنعتامها[5]

(1) د: نبيئا.

(2) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي، من الأجواد العقلاء، كان رئيس طيء في الجاهلية والإسلام (ت68هـ)، انظر ترجته في الإصابة 2/ 468. الاعلام 4/ 220.

(3) أ: وألحامها.

(4) أ: فإني.

(5) الأبيات وردت في ديوان حاتم: 89 والعقد الفريد 1/ 243 مع اختلاف واضح بين الروايتين. كذا في الشعر والشعراء: 255. ومروج الذهب 2/ 299 وشرح مقامات الحريري للشريشي 2/ 244. والأغاني 17/ 375 والبداية والنهاية 2/ 217.

وقد أمرني أن أحملك[1] على هذا البعير فدونكه، وقد ذكر ذلك [سالم] [2] بن زرارة[3] الغطفاني في مدح عدي/ بن حاتم فقال: [160/ب]

[الطويل]

أبوك أبو سفانة الخير لم يزل ... لَدُنْ شَبَّ حتى مات في الخير راغبا
قرى قبره الأضياف إذ نزلوا به ... ولم يقر قبر قبله الدهر راكبا
به تضرب الأمثال في الجود ميتا ... وكان له إذ ذاك حيا مصاحبا[4]

حكى ابن خلكان في تاريخه أن بوري بن أيوب بن شادي[5] أخا السلطان صلاح الدين بن أيوب رآه بعض[6] أصحابه في النوم وسأله شيئا على عادته معه فلف كفنه ودفعه إليه وأنشد:/ [122/أ]

[البسيط]

لا تستقلن معروفا سمحت به ... ميتا وأمسيت منه عاري البدن
ولا تظنن جودي شابه بخل ... من بعد بذلي ملك الشام واليمن
لكن خرجت من الدنيا وليس معي ... من كل ما ملكت كفي سوى كفني[7]

---

(1) د: نحملك.

(2) زيادة من: ب، ج، د، هـ

(3) أظنه أراد سالم بن دارة وهو سالم بن مسافع الغطفاني، ودارة أمه، شاعر مخضرم يعرف بأمه. انظر الشعر والشعراء 408-410. والأغاني 21/ 230. وفيه أنه: عبد الرحمان بن دارة، ودارة لقب لجده.

(4) الأبيات وردت في الأغاني، وورد البيتان الأولان في مروج الذهب، انظر ج 2/ 299. وأسطورة حاتم مع أبي الخيبري موجودة في كثير من المصادر منها الشعر والشعراء: 202. وديوان حاتم الطائي: 9-10 وشرح المقامات للشريشي 2/ 444-245. والأغاني والمستطرف 1/ 282 ولم يذكر فيه اسم حاتم وابنه وصاحبها.

(5) بوري بن أيوب بن شاذي بن مروان مجد الدين، أبو سعيد، أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي (556-579هـ)، راجع الوفيات 1/ 290، وفيه أن اسمه: توران شاه بن أيوب. وكذا في طبقات السبكي 5/ 52. والأعلام 2/ 77، وقد أثبت رواية الزركلي لمطابقتها مع جميع نسخ النزهة.

(6) في الوفيات، هو الشيخ مهذب الدين أبو طالب محمد بن علي المعروف بابن الخيمي الحلي. انظر ج 1/ 309.

(7) الأبيات وردت مع الحكاية نفسها في الوفيات 1/ 290.

حُكي أن كافورا الإخشيدي[1] كان وظيفة مطبخه من اللحم كل يوم ألفي رطل وسبعمائة طائر من الدجاج وثلاثمائة فرخ كذلك من أفراخ الحمام، ومن الأوز شيئا كثيرا، وعشرين خروفا وأربعة أدراج سمك، وثلاثمائة صحن حلوى وألف كماجة[2] وسبعة قرود[3] بقل وألف كوز فقاع[4]، ومن أنواع الأشربة المفتخرة مائة قربة[5] تفرق في خاصته، وكان رحمه الله تعالى يعطي العطاء الجزيل فاتفق في أيامه زلزلة عظيمة فدخل عليه محمد بن عاصم[6] الشاعر[7] فأنشده قصيدته المشهورة فيه، فمن جملتها قوله:

[البسيط]

ما زلزلت مصر من سوء[8] يراد بها وإنما رقصت من عدله فرحا[9]

فأجازه كافور بألف دينار[10].

حكى أبو العيناء[11] قال: أقمت مع جماعة من الشعراء على باب أبي دلف[12]

(1) سبق ذكره.

(2) كماجة: تعني عند الفرس نوعا من الخبز الفطير شديد البياض، انظر تكملة المعاجم العربية 9/ 137.

(3) أظنه أراد جمع النرد: وهو شبه الجوالق، واسع الأسفل، يسف من خوص النخل ثم يخيط ويضرب بالشرط المفتولة. ينقل فيه الرطب أيام الخراف. اللسان: رند.

(4) الكوز: من الأواني. الفقاع: شراب يتخذ من الشعير، وسمي كذلك لما يعلوه من الزبد. اللسان: كوز، فقع.

(5) أ، ج، د، هـ: قرابة.

(6) محمد بن عاصم الموقفي، ويقال له: ابن عاصم، شاعر مصري، في شعره رقة (توفي حوالي 215هـ)، ذكره الثعالبي وأورد أبياتا من شعره، انظر يتيمة الدهر 1/ 442، الديارات للشابشتي: 180. وأورد ياقوت في معجم البلدان قصيدة من شعره في دير القصير. انظر الجزء 4/ 163.

(7) ب: الشاب.

(8) أ، ج، هـ: خوف.

(9) البيت ورد في الوفيات 4/ 103 برواية: لكنها رقصت.

(10) الحكاية وردت في السكردان: 448-449.

(11) محمد بن القاسم خلاد بن ياسر الهاشمي بالولاء، أبو العيناء، أديب فصيح من الظرفاء (191-283هـ)، الديارات: 52-60. تاريخ بغداد 3/ 170. الوفيات 4/ 343. لسان الميزان 5/ 344.

(12) سبق ذكره.

أياما وهو يعدنا بأمواله التي ترد عليه من الكرخ وأعمالها، فلما حضرت فرش لها نطعا/ وأمر بصبها عليه وأجلسنا حوله ثم خرج علينا فقمنا له فحلف علينا [138/هـ] بالجلوس ثم اتكأ على قائم سيفه وقال:/ [182/ج]

[الطويل]

أيا معشر الزوار لله فاعذروا ... أياديكم عندي أجل وأكبر
فإنكم اهلتموني للرجا ... فشكري لكم من شكركم لي أكثر
فإني للمعروف أهل وموضع ... ينال الرضى عندي وعرضي موقر
فيا معشر الزوار في تحكموا ... فكلكم عندي أمير مؤمر/ [168/د]

قال: ثم أمرنا بانتهاب الأموال، فأخذ كل منا على قدر طاقته[1].

حُكي أن الحسن بن وهب[2] وعد حبيبا الطائي[3] بعدة فاستبطأه فكتب إليه يستعجله بها، فبعث إليه الحسن المذكور ألف درهم وكتب إليه يقول:

[الكامل]

أعجلتنا فأتاك عاجل برنا ... قلا ولوأمهلتنا لم نقلل
فخذ القليل وكن كأنك لم تسأل ... ونكون نحن كأننا[4] لم نُسْأَلِ[5]/ [161/ب]

حُكي أن بعض الشعراء دخل على يحيى بن خالد بن برمك فأنشده:

[الطويل]

سألت الندا: هل أنت حر؟ فقال: لا ... ولكنني عبد ليحيى بن خالد

---

(1) الحكاية لم أقف عليها.

(2) الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثي، كاتب من الشعراء (توفي حوالي 250هـ)، راجع الأغاني 23/ 94 الفهرست: 197. فوات الوفيات 1/ 267.

(3) هو أبو تمام الشاعر المعروف.

(4) ساقطة من: د.

(5) البيتان وردا في العقد الفريد مع الحكاية بتصرف انظر ج 1/ 208. وشرح المقامات 2/ 46.

فقلت:شـراء؟ قـال: لا، بـل وراثـة   توارثنـي عـن والـد بعـد والـد[1]

فأمر له بعشرة آلاف درهم[2].

حُكي أنه كان عند رجل من أهل البصرة جارية، أدبها وكان يحبها حبا شديدا، فقعد به الزمان، فقالت له الجارية: إني أريد أن أذكر لك شيئا استحي منه غير أن فيه رفقا بي وبك. قال: وما هو؟ قالت: إني أخاف عليك الحاجة، وهذا عبد الله بن معمر[3] قد علمت شرفه وسعة ماله، وجودة كفه، فلوأذنت لي فأصلحت من شأني ما يجب ثم تقدمت بي إليه وأهديتني له[4] لرجوت أن يأتيك من مكافأته[5] ما يغنيك إن شاء الله تعالى، فبكى سيدها وجدا عليها وجزعا لفراقها، وقال: والله لولا أنك طلبت ذلك مني ما بدأتك به أبدا، ثم نهض بها حتى مثلها بين يدي عبد الله بن معمر. فقال له: أعز الله الأمير، إن هذه الجارية ربيتها وأحسنت أدبها فاقبلها مني هدية قال: فقبلها منه ودفع له عوضها مالا كثيرا ثم قال له: يقنعك ذلك؟ فقال له: والله يا سيدي ما امتد أملي إلى عُشُر ذلك، ولكن هذا جودك المعروف وفضلك المشهو ر الموصوف. ثم قال للجارية: ادخلي الحجاب فقال له سيدها: أعزك الله لوأذنت لي في وداعها. فقال: افعل، فوقفت وقام لها وعيناه تذرفان وقال:/ [123/أ]

[الطويل]

أنـوح بقلـب مـن فراقـك موجـع   أقاسـي بـه ليـلا بطـول تفكـري

---

(1) البيتان وردا في العقد 1/ 226. والمستطرف 1/ 274.

(2) ساقطة من: ج.
الحكاية وردت في العقد نفس الجزء والصفحة.

(3) هو عبيد الله بن معمر بن عثمان التيمي القرشي، من الشجعان الأجواد، توفي حوالي 29هـ راجع ترجمته في الإصابة 2/ 440. الكامل لابن الأثير حوادث سنة 23.

(4) ج، هـ: إليه.

(5) أ: مكافته.

ولولا قعود الدهر بي عنك لم يكن   لفرقتنا شيء سوى الموت فاعذري/ [183/ج]
عليك سلام لا زيارة بيننا   ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر[1]

فقال ابن معمر: قد شئت، فخذ جاريتك والمال بارك الله لك فيهما فأخذهما وانصرف[2]/ . [169/د]

حُكي أن يزيد بن المهلب[3] كان من ذوي المروءات وله سخاء زائد وظن جميل بالله، فمن ذلك/ أنه كان في سجن الحجاج على أموال يعذب عليها، فدخل عليه [139/هـ] يزيد بن الحكم[4]، وقد حل عليه نجم من النجوم التي نجمها عليه الحجاج في كل أسبوع، وكان قد حل أسبوع نجمه وهو ستة عشر ألف درهم، فأنشده يزيد بن الحكم المذكور قوله:

[المنسرح]

أصبح من جندك السماحة   والجود وفضل السخاء والأدب
لا بطر إن تتابعت نعم   وصابر في الخطوب محتسب[5]
سبقت سبق الجياد في مهل   وقصرت دون سعيك[6] العرب[7]

قال: فالتفت يزيد بن المهلب[8] إلى مولى له وقال له[9]: اعطه نجم هذا الأسبوع

---

(1) الأبيات وردت في العقد الفريد 1/ 252.

(2) الحكاية وردت في المرجع السابق 1/ 251. وثمرات الأوراق: 260-261.

(3) هو يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، الأزدي، أبو خالد، من القادة الشجعان الأجواد (53-102هـ)،، ذكره الطبري في تاريخه حوادث سنة: 82. وترجمه ابن خلكان 6/ 278.

(4) سبق ذكره.

(5) البطر: شدة الفرح. اللسان: بطر.

(6) د: سعيدك.

(7) الأبيات غير واردة في الديوان. وورد منها البيتان الأولان منسوبين للفرزدق في الوفيات 6/ 300، مع اختلاف الرواية.

(8) أ، ب، د: المهلب.

(9) ساقطة من: ب، ج، هـ.

واصبر على العذاب إلى السبت الآخر[1].

حُكي أنه سأل رجل الحسن بن علي رضي الله عنه شيئا فقال له: يا هذا! سؤالك يعظم لدي، ومعرفتي بما يجب لك تكبر علي، ويدي تعجز عن ذلك بما أنت أهله، والكثير في فضل الله قليل/ وما في ملكي وفاء لشكرك، فإن قبلت مني اليسير ورفعت عني مؤونة الامتنان والاهتمام بما أتكلف من واجبك فعلت. [فقال الرجل:][2] يا ابن رسول الله ﷺ، أنا أقبل القليل وأشكر على العطية وأعذر على المنع فدعا الحسن، رضي الله عنه، بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها. فقال: هات الفاضل، فأحضر خمسين ألف درهم ثم قال: ما فعلت بالخمس مائة دينار؟ قال: عندي، قال: احضرها. قال: فدفع له الدنانير والدراهم وقال للرجل: هات من يحملها فأتاه بحمال فدفع له الحسن، رضي الله عنه، رداءه الذي كان عليه، أجرة للحمال فقال له مواليه: ما بقي عندنا درهم. فقال: أرجو أن يكون لي عند الله ذلك[3].

[162/ب]

حُكي أن مصعب بن الزبير[4] رضي الله عنه، قال: حج معاوية في بعض حجاته، فلما انصرف مر بالمدينة فقال الحسين للحسن رضي الله عنهما: إن علينا ديونا ولا بد من سؤال معاوية فركب الحسن وخرج، ولحقه أخوه[5]، فسلم عليه وقضى من حقه ما يجب وسأله[6] عن حاله فأخبره الحسن بما عليه من الدين،

(1) الحكاية وردت في الوفيات 6/ 300، وفيه أن يزيد بن المهلب كان في حبس عمر بن عبد العزيز وأن الذي دخل عليه هو الفرزدق.

(2) ما بين معقوفين ساقط من: ب.

(3) الحكاية لم أقف عليها فيما رجعت له من المصادر والمراجع.

(4) سبق ذكره.

(5) أ: أخاه.

(6) أ: فسأله.

فالتفت معاوية، رضي الله عنه[1]، فإذا هو بجمل بختي[2]، وقد تعب وحوله جماعة من الجند يسوقونه، فقال له: اليوم أجزيك جائزة لم يجزها أحد قبلي من العرب، اصرفوا هذا لأبي محمد بما عليه/ وكان عليه حمل ذهب[3]. [184/ج]

حُكي أن عبد الله بن جعفر[4]، رضي الله عنه، قدم على يزيد بن معاوية، فقال له يزيد: ما كان أمير المؤمنين يعطيك؟ يعني أباه. فقال: كان رحمه الله يعطيني مائة ألف. فقال: أعطوه مائة ألف ولقوله، رحمه الله مائة ألف، قال: يا مولاي! قال: ولقوله يا مولاي مائة ألف، فحمل عبد الله بن جعفر رضي الله عنه المال وانصرف فقيل ليزيد: لقد أنفذت بيت المال/ وأجحفت بالخزانة، تدفع لرجل واحد ثلاثمائة ألف درهم قال: ما دفعتها له وحده، وإنما دفعتها لأهل المدينة لأنه لا يملك درهما إلا جاد به[5]. [170/د]

حُكي أنه خرج أعرابي حاجا، فلما كان في بعض الطريق مات جمله فذهب إلى عمرو بن عثمان[6] رضي الله عنه، وكان يومئذ والي المدينة، فشكا إليه فلم يعطه شيئا، فجعل الأعرابي يتصفح وجوه الناس فمر به عبد الله بن جعفر، رضي الله عنه، فقام الأعرابي فقال:/ [124/أ]

[الطويل]

أبا جعفر ضن الأمير بماله وأنت على ما في يديك أمير/ [140/هـ]

---

(1) بن د: عنهما.

(2) جمل بختي وناقة بختية: هي الجمال الخراسانية، تنتج من بين عربية وفالج وهي جمال طوال الأعناق: انظر اللسان: بخت.

(3) الحكاية وردت في غرر الخصائص: 246.

(4) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب.

(5) الحكاية وردت في غرر الخصائص: 245 بتصرف. والمستطرف 1/ 270 وتحفة الأريب ونزهة اللبيب: 50-52.

(6) عمرو بن عثمان بن عفان من أكبر ولد عثمان. كانت تحته رملة بنت معاوية فأخبرت أباها بجهود مروان بن الحكم في حث عمرو على مطالبة الخلافة. انظر نسب قريش: 105، 109.

أبـا جعفـر يـا بـن الشـهيد الـذي لـه جناحـان فـي أعـلا الجنـان يطيـر
أبـا جعفـر مـن آل بيـت نبـوءة صلاتهـم للعالميـن طهـور

قال: وكان لعبد الله، رضي الله عنه، بعير قدمه ليركبه، فقال: خذه بما عليه فذهب الغلام ليأخذ سيفا كان عليه فقال له عبد الله رضي الله عنه: دعه فقد أعطيته بما عليه. فقال الغلام للأعرابي: احتفظ[1] بالسيف فإنه[2] يساوي ألف دينار.

حكى أبو العباس الشيباني قال: لما مرض أبو دلف بالعلة التي مات منها أقام شهرا ملازما للوسادة، فلما أفاق يوما قال لخادمه بشر:/ يا بشر! كم لي على هذه الحالة؟ قال: شهر. فبكى وقال: أيمر علي شهر من عمري فلا أبر فيه[3] أحدا من الناس، يا غلام! أخرج إلى الناس فإن قلبي يشهد أن بالباب من لهم إلينا حوائج، فلا تمنع أحدا من الدخول، فخرج بشر[4] فإذا عشرة من أولاد أبي طالب فأمرهم بالدخول فابتدر منهم رجل فقال: أصلحك الله، نحن قوم من ولد أبي طالب من أهل بيت رسول الله ﷺ، وفينا من ولده وقد أحاطت بنا المصائب وأجحفت[5] بنا النوائب، فإن رأيت أن تجبر كسرنا فعجل بالبر. فقال لغلامه: خذ بيدي وأجلسني، ففعل، فقال: ليأخذ كل منكم ورقة ويكتب فيه بخط يده[6] أنه قبض مني عشرة آلاف درهم، وفي قول آخر مائة ألف درهم فتحيروا من قوله، وكتبوا الرقاع ووضعوها بين يديه، فقال لخادمه: علي بالمال، فأحضره، وأعطى كل واحد منهم مائة ألف درهم فلما تسلموا المال/ قال رجل منهم: بالأباء والأمهات نفديك والله ما لنا مال ولا عقار فخطوطنا عندك ما تصنع بها؟ فبكى، وقال: أتظنون أنها

[163/ب]

[185/ج]

(1) د: احتفظه.
(2) ب، ج، د، هـ: فأراه.
(3) أ: فيها.
(4) لعله اسم غلام أبي دلف.
(5) اجحفت بهم النوائب: أي اذهبت أموالهم. اللسان: جحف.
(6) ب، ج، د، هـ: بخطه.

عليكم وثائق؟ لا والله. ثم قال لخادمه: يا بشر! إذا أنا مت فاجعل هذه الرقاع في أكفاني ألقى بها رسول الله ﷺ، في عرصات القيامة، ثم قال: اعطوا كل واحد منهم عشرة آلاف درهم ينفقها في طريقه، ثم انصرفوا وفيه يقول الشاعر[1]:

[المديد]

إنما الدنيا أبو دلف بين بادية ومحتضره
فإذا ولى أبو دلف ولت الدنيا على أثره[2]

حُكي أن عبد الله بن عامر[3] خطب يوم عيد النحر بالبصرة، وكان غلاما حينئذ، وكان بين فصحاء الناس/ فارتج عليه ولم يفتح عليه بكلمة واحدة، فسكت ساعة [171/د] ثم قال: يا أهل البصرة لا أجمع اليوم أوقال: في يوم واحد، بين صمت ولؤم. ألا من ضحى منكم أضحية في هذا اليوم فعلي ثمنها، ثم نزل فصرف مالا كثيرا بسبب ذلك[4].

حُكي أنه جاء رجل لمعن بن زائدة فقال له: احملني أيها الأمير قال: فأمر له بناقة وفرس وبغل وحمار وجارية، وقال له: لوعلمت أن الله تعالى[5] خلق مركوبا

(1) هو علي بن جبلة بن مسلم بن عبد الرحمان، العكوك، الأنباري، أبو الحسن، شاعر عراقي مجيد. (160-213هـ)، راجع الشعر والشعراء. تاريخ بغداد 11/ 359. الوفيات 3/ 350.

(2) البيتان وردا في العقد 1/ 259 وفي جمع الجواهر في الملح والنوادر: 210-211، وفي الأغاني 8/ 254 والوفيات 3/ 351. وشرح النهج 4/ 353. وشرح المقامات الشريشي 2/ 21 والمستطرف 1/ 333. والحكاية وردت بتصرف في الوفيات 4/ 77. وفي المختار عن نوادر الأخبار (مخطوط) وقصص العرب 1/ 311.

(3) هو عبد الله بن عامر، كريز بن ربيعة بن مالك بن ربيعة، أبو عبد الرحمن، توفي سنة 85 هـ في خلافة عبد الملك بن مروان، راجع طبقات ابن سعد 5/ 9 وفيه أنه يكنى أبو عبد الله. ونسب قريش 148-149. والبداية والنهاية 9/ 60.

(4) الحكاية وردت في: 171 مع اختلاف الرواية.

(5) ساقطة من: ج.

غير هذا لحملتك عليه. فقال: قد أمرنا لك من الخز بجبة وقميص وعمامة ودراعة وسراويل ومنديل ومطرف[1]ورداء وكساء وجورب وكيس، وقال [له][2]: لوعلمنا لباسا غير هذا لأعطيناك، فبلغ ذلك المعلى بن أيوب[3] فقال: رحم الله[4] بن زائدة. لوعلم أن الغلام يركب لأمر له به، ولكنه كان عربيا لم يدنس بقاذورات العجم[5].

قلت: وقد قال صاحبنا الشيخ شمس الدين القرافي المعروف بابن الإستدار في حال خدمته للملك المنصور بن الملك الظاهر أبي[6] جقمق[7] بدمياط، أنه لم يوجد للعرب شعر في مذكر ولقد/ تصفحت كثيرا من كتب العرب والشواهد/ [125/أ][141/هـ] فلم أجد ذلك، وهذا يشهد لصحة قول المعلى بن أيوب رحمه الله.

حُكي أن أبا محمد الحسن[8] الوزير المهلبي كان في غاية الأدب والمحبة لأهله، وكان قبل اتصاله بمعز الدولة بن بويه[9] في شدة عظيمة من الضرورة والضيق، وسافر وهو على تلك الحالة ولقي في سفره شدة، فاشتهى يوما اللحم ولم يقدر

(1) مِطرَف ومُطرَف: واحد المطارف وهي أردية من خز مربعة لها أعلام، وقيل: ثوب مربع من خز له أعلام. اللسان: طرف.

(2) ساقطة من: ب.

(3) هو المعلي بن أيوب، كاتب عباسي عمل في ديوان الجيش منذ خلافة المأمون والمعتصم، وكان نبيلا نزيها عادلا، وهو ابن خالة الحسن بن سهل. انظر إعتاب الكتاب: 109.

(4) ج، هـ: رحم الله تعالى.

(5) الحكاية وردت في العقد 1/ 254 وثمرات الأوراق: 7 149/ 7.

(6) أ: ب.

(7) جقمق العلائي الظاهري سيف الدين، أبو سعيد، من ملوك الدولة الشراكسة بمصر. توفي حوالي 857هـ. راجع الضوء اللامع 3/ 74. والشذرات 7/ 291.

(8) الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله، أبو محمد، كان وزير معز الدولة البويهي (291-352هـ)، راجع اليتيمة 2/ 224 ومعجم الأدباء 9/ 118 .الوفيات 2/ 124 المنتظم 7/ 9. والشذرات 3/ 9.

(9) سبق ذكره.

عليه. فقال ارتجالا في الحال:/ [164/ب]

[الوافر]

ألا موت يباع فأشتريه ... فهذا العمر ما لا خير فيه/ [186/ج]

ألا موت لذيذ الطعم يأتي ... يخلصني من العيش الكريه

إذا أبصرت قبرا من بعيد ... وددت لوأنني مما يليه

ألا رحم المهيمن نفس حر ... تصدق بالوفاة على أخيه[1]

وكان سافر معه رفيق له يقال له: أبو عبد الله الصوفي[2] وقيل أبو الحسن العسقلاني[3]، فلما سمع الأبيات اشترى لحما بدرهم وطبخه وأطعمه وتفارقا، ثم تنقلت الأحوال به بعد ذلك ولي الوزارة ببغداد لمعز الدولة المذكور[4] وضاقت الحال[5] برفيقه الذي اشترى له اللحم وبلغه وزارته فقصده وكتب له:

[الوافر]

ألا قل للوزير فدته نفسي ... مقال[6] مذكر ما قد نسيه

أتذكر إذ تقول لضيق عيش[7] ... ألا موت يباع فأشتريه[8]

فلما وقف على ذلك تذكر الحال وهزته أريحية الكرم، فأمر له بسبعمائة درهم، وقيل دينار، ووقع في رقعته قوله تعالى: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله

---

(1) الأبيات وردت في اليتيمة 2/ 224-225 وجمع الجواهر في الملح والنوادر: 270. وفوات الوفيات 1/ 258 بترتيب مخالف. وشرح نهج البلاغة1/ 737 وزهر الآداب 1/ 737.

(2) هكذا ورد في الوفيات 2/ 124.

(3) في الوفيات هو أبو الحسين العسقلاني. انظر 2/ 124.

(4) د: المذكورة.

(5) أ: الأحوال.

(6) أ: فقال.

(7) د: عيشي

(8) البيتان وردا في اليتيمة 2/ 225. الوفيات 2/ 125 مع اختلاف قليل في الرواية.

كمثل حبة﴾ الآية[1]، ثم دعاه فخلع عليه، وقلده عملا يرتفق به[2].

حكى المدائني[3] قال: أقبل ركب من بني أسد ومن بني قيس يريدون النعمان فلقوا حاتما فقالوا له: إنا تركنا قوما يثنون عليك كثيرا، وقد أرسلوا إليك رسالة. فقال: وما هي؟ فأنشد الأسديون شعرا للنابغة فيه مدح، فلما أنشدوه قالوا: إنا نستحيي أن نسألك شيئا وإن لنا لحاجة. قال: وما هي؟ قالوا: صاحب لنا فقدت راحلته، فقال حاتم: خذوا/ فرسي هذه فاحملوه عليها، فأخذوها، فربطت جارية [172/د] حاتم فلوها[4] بثوبها فأقبل الفلو يتبع أمه واتبعته الجارية لترده فصاح حاتم وقال لهم ما تبعكم فهو لكم[5].

حُكي أن حاتما الطائي كان إذا اشتد البرد أمر غلامه أن يوقد نارا على نشز[6] من الأرض لينظرها من ضل عن الطريق ليلا ليبادر إليها، وهو القائل لغلامه يسار يخاطبه و يأمره:

[الرجز]

أوقد فإن الليل ليل قر   والريح، يا موقد! ريح صر[7]
عسى يرى نارك من يمر   إن جلبت ضيفا فأنت حر[8]

---

(1) البقرة: 260.

(2) الحكاية وردت في اليتيمة 2/ 224-225. الوفيات 2/ 125 والفوات 1/ 258 257-مع اختلاف في الرواية.

(3) سبق ذكره.

(4) الفِلْو: الجحش والمهر إذا فطم. اللسان: فلو.

(5) الحكاية وردت في الأغاني برواية مختلفة انظر ج17/ 362، ومقدمة الديوان: 21.

(6) النشز والنشز: المتن المرتفع من الأرض. اللسان: نشز.

(7) القَر هو البرد عامة. والقر: اليوم البارد، وكل بارد: قر. والريح القر: شديد البرد. اللسان: قرر.

(8) البيتان وردا في الديوان: 60، والعقد الفريد1/ 242. والحكاية وردت في مقدمة الديوان متضمنة البيتين، انظر ص: 16.

حُكي أن القاضي حسام الدين كان قاضي قضاة المالكية وابن قاضي قضاتها بمصر، وكان يضرب به المثل في الكرم وكان شريفا فكتب بعض الفضلاء على باب داره يقول/ : [187/ج]

[الكامل]

يا دار مولى لا يضام نزيله	ولسانه، كلسان حالي، قائلا:
لا مرحبا بالليل إن لم يأتني	في جنحه ضيف ملم نازل/ [165/ب]
وإذا النهار أتى فلا أهلا[1] به	إن قال: ضيفي إنني راحل/ [142/هـ]

كما حكى ولده لي عند قدومه ثغر دمياط سنة تسع وسبعين وثمانمائة.

حُكي أن معاوية، رحمه الله، حبس عن الحسين بن علي عطاءا. فقيل له: لووجهت إلى ابن عمك عبد الله بن عباس/ لكفاك، وقد قدم بنحوألف ألف [126/أ] درهم، فقال الحسين رضي الله عنه: وما مقدارها عنده؟ والله إنه لأجود من الريح إذا عصفت، وأسخى من البحر إذا زجر، ثم وجه إليه رسوله بكتاب فيه: حبس معاوية عطاءه، وضيق حاله، وإنه يحتاج إلى مائة ألف درهم، فلما رأى الكتاب رق له ودمعت[2] عيناه، ثم قال: معاوية يكون لين[3] المهاد رفيع العماد، والحسين يشكو ضيق الحال وكثرة العيال، ثم قال رضي الله عنه لقهرمانه: احمل إلى الحسين نصف ما أملك من ذهب وفضة ودابة، وأخبره أني شاطرته مالي، فإن قنع بذلك، وإلا فاحمل إليه الشطر الثاني رضي الله عنه[4].

حُكي أن من جملة كرم عبد الله بن عباس، رضي الله عنه، أن معاوية رحمه الله

---

(1) أ: مرحبا.

(2) أ، ب، د: هملت.

(3) ب: بين.

(4) الحكاية وردت في المستطرف 1/ 238.

أهدى إليه، وهو عنده، من هدايا النيروز[1] حللا كثيرة ومسكا وآنية من ذهب وفضة، وقال الراوي: ووجهها إليه مع حاجبه، فلما وضعت بين يديه نظر إلى الحاجب وهو يطيل النظر اليها فقال له: هل في نفسك منها شيء؟ فقال: نعم، والله إن في نفسي منها ما في نفس يعقوب من يوسف، فضحك منه وقال: فشأنك بها. فقال: جعلت فداءك، أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيغضب لذلك علي قال: فاختمها بخاتمي وادفعها إلى الخازن وهو يدفعها إليك ليلا. فقال الحاجب: والله إن هذه الحيلة في الكرماء أعظم من الكرم، ووددت أني لا أموت حتى أراك مكان معاوية فظن عبد الله بن عباس، رضي الله عنه، أنها مكيدة منه فقال: دع عنك هذا، فإننا قوم نفي بما عقدنا، ولا ننقض ما أكدنا. فقال له رجل من الأنصار: [173/د] جعلت فداءك والله/ لوسبقت حاتما بيوم[2] ما ذكرته العرب أبدا، وأنا أشهد أن عفوجودك أكثر من مجهو ده، وطل صوبك أكثر من وابله[3].

حُكي أن الحكم بن حنطب[4] كان من الأجواد، قيل: سأله أعرابي فأعطاه [188/ج] خمسمائة دينار فبكى الأعرابي،/ فقال له[5]: لعلك استقللت الذي أعطيناك. فقال: لا والله، ولكن أبكي كيف تأكلك الأرض؟ ثم أنشأ يقول:

[الكامل]

فكأن آدم حين حان مماته أوصاك وهو يجود بالحوباء[6]

(1) النيروز أو النوروز، أصله بالفارسية، بيع روز وتفسيره: جديد يوم. اللسان: نرز.
(2) أ، ج، هـ: يوما.
(3) الحكاية وردت في المستطرف 1/ 283.
(4) ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد 1/ 254.
(5) هـ: فقيل.
(6) الحوباء: النفس، وقيل روع القلب. اللسان: حوب

بنيه[1] أن ترعاهم فرعيتهم وكفيت آدم عيلة[2] الأبناء[3]

حكى العتبي[4] قال: حدثني شيخ من منبج[5] قال: قدم علينا الحكم بن حنطب وهو فقير فأغنانا، فقلت: وكيف أغناكم وهو فقير؟ قال: علمنا المكارم فعاد غنينا على فقيرنا فأغنانا[6].

حُكي أن يزيد بن المهلب[7] أيضا، كان من الأجواد وكان ابن هشام[8] إذا ذكره يقول: أكادت الشمس تجري في بحر جوده؟ قدم عليه قوم من قضاعة[9] فتقدم إليه رجل منهم فأنشده:/ [166/ب]

[الكامل]

والله ما ندري إذا ما فاتنا طلب إليك، من الذي نتطلب؟
ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد أحدا سواك إلى المكارم ينسب
فاصبر لعادتك التي عودتنا أو لا، فارشدنا إلى من نذهب[10]؟

(1) أ: بنوه. ب: ببنيك.

(2) ب: عليه.

(3) البيتان من شعر ابن بيض. وردا في العقد 1/ 254. ثمرات الأوراق: 149. سرح العيون: 295. والمنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء للجرجاني: 120. والحكاية وردت في العقد.

(4) هو محمد بن عبد الجبار العتبي، أبو نصر مؤرخ وكاتب وشاعر (ت 427هـ)، له كتاب اليمني يعرف بتاريخ العتبي، ذكره الثعالبي في اليتيمة 2/ 35. ونبذة عن ترجمته في الأعلام 6/ 184-185.

(5) منبج: مدينة قديمة، يقال أن أول من بناها كسرى، وهي بلدة البحتري وأبي فراس. انظر معجم البلدان 5/ منبج.

(6) الحكاية وردت في العقد 1/ 254.

(7) سبق ذكره

(8) لعله صاحب السيرة.

(9) قضاعة: هم بنو قضاعة بن مالك بن... حمير كما ذهب بعض النسابين، وذهب أكثرهم أن قضاعة هو ابن معد بن عدنان. انظر معجم القبائل: قضاعة.

(10) الأبيات وردت في العقد 1/ 257.

قال الراوي: فأمر لهم بألف دينار][1].

[143/هـ] حُكي عن خالد بن عبد الله القسري[2] أنه كان أيضا/ من أجواد العرب، بينما هو في مظلة له، إذ نظر إلى أعرابي يحث بعيره نحوه، فقال: إذا طلبني هذا فلا تحجبوه، فلما وصل دخل فسلم وقال:

[المنسرح]

أصلحك الله قل ما بيدي   وما أطيق العيال إذ كثروا
أناخ دهري على كلكله   فأرسلوني إليك وانتظروا[3]

فقال خالد: لا تزل حتى تعود إليهم بما يسرهم وأمر لهم بكسوة وجائزة[4].

حُكي أن الفرزدق دخل على يزيد بن المهلب[5] لما حبسه الحجاج فأنشده:

[الطويل]

أبا خالد ضاعت خراسان بعدكم   وصاحت ذوو الحاجات: أين يزيد؟
فلا قطرت بالري بعدك قطرة   ولا اخضر بالمروين بعدك عود[6]

وكان يزيد قد أعد مالا للحجاج فقال لخادمه ادفع المال للفرزدق، ودع الحجاج وما أراد.

---

(1) الحكاية وردت في العقد 1/ 257.

(2) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري: أبو الهيثم، أمير العراقين واحد خطباء العرب وأجوادهم (66 – 126هـ)، راجع الأغاني 22/ 1-30 وتهذيب ابن عساكر 5/ 67 والوفيات 2/ 226 وتهذيب التهذيب 3/ 191.

(3) البيتان وردا في العقد 1/ 257.

(4) الحكاية وردت في العقد 1/ 260.

(5) سبق ذكره.

(6) المروان: تثنية مرو، إحداهما مرو الشاهجان، وهي العظمى، والأخرى مرو الروذ، وهي الصغرى وكلتاهما مدينتان مشهورتان بخاراسان. والبيتان وردا في ديوان الفرزدق: 137. والوفيات: 279، والمستطرف 1/ 240.

قيل: ومما يورث من جوده أنه مر بأعرابية فأقرته بعنز فقبله منها، ثم قال لأبنه: ما بقي/ معك من نفقتنا؟ قال: خمسمائة دينار. قال: فادفعها إليها. فقال له ابنه: يا [127/أ] أبت! إنك تريد الرجال ولا رجال إلا بالمال[1]، وهذه يرضيها اليسير، فقال: إن كانت ترضى باليسير فأنا لا أرضى إلا بالكثير، فدفع لها المال وانصرفت داعية[2].

حُكي أنه دخل أعرأبي على علي بن أبي طالب، رضي/ الله عنه فقال له: يا أمير [189/ج] المومنين! لي إليك حاجة، والحياء يمنعني من ذكرها فقال له: خطها في الأرض. فخط: إني فقير/ ، قال: فأعطاه بردتيه ويقال برديه وكانا عليه [فأنشد الأعرابي:][3] [174/د]

[البسيط]

كسوتني حلة تبلى محاسنها ... فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
إن نلت حسن ثنائي نلت مكرمة ... ولست تبغي بما قد نلته بدلا
إن السخاء ليحيي ذكر صاحبه ... كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا[4]

حُكي أنه وقف أبو دهمان[5] على الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك فأنشده:

[البسيط]

لوجئت للفضل يوما أشتكي زمني[6] ... وما ألاقي، لأعداني على الزمن
هو الفتى المبتدي بالفضل سائله ... والمشتري الحمد بالغالي من الثمن

---

(1) د: بمال.

(2) الحكاية والقول وردا في تحفة الأريب ونزهة اللبيب: 77 والمستطرف 1/ 240.

(3) ما بين معقوفين زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(4) الأبيات وردت في أدب السياسة: 176 والمستطرف 2/ 244 والشهب اللامعة في السياسة النافعة: 240. والحكاية وردت في المراجع السابقة.

(5) هو أبو دهمان الغلابي، شاعر من شعراء البصرة مخضرم الدولتين الأموية والعباسية ذكره ابن خلكان في الوفيات 4/ 89. وترجمه الأصفهاني في الأغاني 22/ 269.

(6) أ: زماني.

إذا تغابن أهل المجد[1] بينهم رأى ارتخاص المعالي أغبن الغبن
لا يستطيع بلوغا حصر سؤدده منا ذوو الهمم العليا ولا اللسن[2]

قال: فأمر له بعدد حروفها، كل حرف ألف دينار وعشرة آلاف درهم، فكان مائة حرف وتسعة/ وثمانون حرفا، فقال له أبوه: فعلت ما لم يسبقك إليه أحد، وأخاف أن يسمع الرشيد ذلك فينكره عليك. قال: ولا يسمع الناس أني أمرت بشيء ثم رجعت عنه. [167/ب]

حُكي أنه أتى رجل إلى علي بن سليمان[3] فقال له: بالذي أسبغ عليك هذه النعمة من غير شفيع لك إليه إلا تفضلا[4] منه عليك إلا أنصفتني من خصمي فإنه ظلوم غشوم لا يوقر كبيرا ولا يرحم صغيرا. قال: أعلمني به لأنصفك منه. قال: الفقر. فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال: أعطوه عشرة آلاف دينار، ومتى عاد إليك خصمك متعسفا إيتنا منه متظلما، فإني أنصرك عليه، ولا أجعل له عليك سبيلا، فأخذها وانصرف وكان/ [يصله][5] في كل وقت ويذكره[6] ويتفقده ويقول: ما أحسن ما تلطف به في سؤاله. [144/هـ]

حُكي أن أعرابيا وقف بباب داوود بن المهلب[7] سنة فما استطاع الوصول إليه، ثم أذن للناس إذنا عاما فدخل الناس عليه فقضى حوائجهم على قدر مراتبهم[8]

(1) أ: الحمد.

(2) الأبيات ورد البيتان الأولان منها في الوفيات 4/ 29 برواية مختلفة وفيه أنهما لإسحاق الموصلي.

(3) علي بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي العباسي، أبو الحسن، أمير من الولاة (ت 178هـ)، راجع الولاة والقضاة: 131 والنجوم الزاهرة 2/ 61.

(4) ب: تفضيلا.

(5) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(6) ساقطة من: ب، ج، د، هـ.

(7) داود بن يزيد بن حاتم المهلبي الطائي: من أبناء المهلب بن أبي صفرة، أمير من الشجعان (ت 205هـ)، راجع الولاة والقضاة: 133، والنجوم الزاهرة2/ 3، 75.

(8) ب: قرابتهم.

ودخل الأعرابي معهم فقال له: ألك حاجة؟ قال: أيد الله الأمير أتيتك ممتدحا بأبيات أؤمل بكل بيت منها ألف درهم قال: والله إن أحسنت لأحسنن إليك وإن أسأت لآخذن الذي/ في عينيك، فقل. فقال: [190/ج]

[الطويل]

أمنت بداوود وجود يمينه	من الحدث المفشي والبؤس والفقر
وأصبحت لا أخشى بداوود نكبة	ولا حدثا، لما شددت به أزري
له حكم لقمان وصورة يوسف	وملك سليمان وصدق أبي ذر
فتى تهرب الأموال من جود كفه	كما يهرب الشيطان من ليلة القدر
له همم لا منتهى لكبارها	وهمته الصغرى أجل من الدهر/ [175/د]
وراحته، لو أن معشار عشرها	على البر كان البر أندى من البحر[1]

فقال له: أحسنت يا أعرابي هل أعطيك على قدري أوعلى قدر شعرك؟ فقال: بل على قدر شعري، فأعطاه عشرة آلاف درهم، ثم قال له: يا أعرابي! لم لا سألت على قدري؟ فقال: نظرت إلى الدنيا/ وما فيها فإذا هي لا تفي بعشر معشار قدرك فأبيت أن أسألك ما ليس في قدرك. [128/أ]

فقال له: أحسنت وأمر له بعشرة آلاف درهم أخرى فلما قبضها بكى، فقال له: لم بكاؤك، وهل استقللت ما أعطيناك[2] أواستكثرته؟ فقال: بلى[3]، بكيت كيف تموت فيفقد[4] الوافدون رفدك؟ فقال: اثبتوه في خواصنا[5].

(1) الأبيات وردت في العقد 1/ 217. وغرر الخصائص: 266.

(2) ب، د: اعطيتك.

(3) ساقطة من: د.

(4) أ: فيفقر.

(5) الحكاية وردت في العقد الفريد 1/ 216-217. وغرر الخصائص: 266.

حُكي أن أبا وجزة[1] قدم على المهلب بن أبي صفرة بالبصرة[2] فوجده خارجا من الخيام. فقال له: أيها الأمير! ضربت إليك من الدهناء فقال له: قدمت بمعرفة أووسيلة؟ قال: لا، ولكني رأيتك أهلا لحاجتي وموضعا لها، فإن قضيتها فهو ما أملت، وإن حال دون ذلك حائل فما أذم يومك ولا أيئس من غدك، فقال له المهلب: أبشر. ثم قال لغلامه: أعطه عشرة آلاف درهم فقال في/ الحال أبو وجزة فيه: [168/ب]

[البسيط]

يا من من الجود صاغ الله راحته   فليس تعرف غير البذل والجود
عمت عطاياك بالشرق قاطبة   فأنت والجود منحوتان من عود[3]

فقال المهلب يثبت في عشائرنا ويلحق بخواصنا[4].

حُكي أن مروان بن أبي حفصة[5] أنشد في معن بن زائدة أربعة أبيات فأعطاه أربعة آلاف دينار فبلغ ذلك المنصور، فاستدعاه وأنكر عليه فلما مات معن قام على قبره مروان وأنشد وجعل يقول:

[الطويل]

ألما على معن وقولا لقبره   سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا
[191/ج] ويا قبر معن كيف واريت جوده   وقد كان منه البر والبحر مترعا/

---

(1) هو يزيد بن عبيد السلمي السعدي، أبو وجزة، شاعر محدث مقرئ، من التابعين (ت 130هـ)، راجع الشعر والشعراء 2/ 706 والأغاني 12/ 239 الخزانة 2/ 150.

(2) المهلب بن أبي صفرة، ظالم بن سراق الأزدي، أبو سعيد، أمير بطاش (7-85هـ)، راجع الوفيات 4/ 350-359. الإصابة 3/ 535. سرح العيون: 194.

(3) البيتان وردا في المستطرف 1/ 86.

(4) الحكاية وردت في المستطرف 1/ 89.

(5) سبق ذكره.

ويا قبر معن كنت أول حفرة ... من الأرض خطت للمكارم مضجعا
ولكن ضممت الجود والجود ميت ... ولوكان حيا كان منه تصدعا
ولما مضى معن مضى الجود والندى ... وأصبح عرنين المكارم أجدعا[1]/ [145/هـ]
فتى عيش في معروفه بعد موته ... كما كان قبل الموت معناه مرتعا
تعزى أبو العباس عنه ولا يكن ... ثوابك عن معن بان تتضجعا
تمنى رجالٌ شأوه من ضلالهم ... فأضحوا على الأذقان صرعى وخضعا[2]

حُكي أن زياد الأعجم[3] قدم على طلحة الطلحات[4] فأقام ببابه أربعين صباحا لا يصل إليه فلما طال ذلك عليه كتب إليه:

[الكامل]

ورد السقاة المعطشون وأنهلوا ... ريا وطاب لهم لديك المكرع[5]/ [176/د]
وأراك تمطر جانبا عن جانب ... ومحل بيتي من سمائك بلقع[6]

قال الراوي: فلما قرأ الورقة أمر بإدخاله وكان معه في تلك الساعة ثلاثة أحجار ياقوت[7] كل حجر بمائة ألف درهم فأعطاه مائة ألف درهم، فلما قبضها قال: إن رأى أمير المومنين أن يعطيني حجرا منها فضحك وأعطاه منها حجرا.

---

(1) أجدع: الأجدع، المقطوع الأنف أو الأذن أو الشفة. اللسان: جدع.

(2) الأبيات من شعر الحسين بن مطير الأسدي، وردت في معجم الأدباء 10/ 166، والأغاني 16/ 16 والفوات 1/ 285. وزهر الآداب 2/ 794. مع اختلاف بين الروايات.

(3) هو زياد بن سليمان الأعجم، أبو أمامة العبدي، من شعراء الدولة الأموية (ت نحو100هـ)، راجع الأغاني 15/ 380. تهذيب ابن عساكر 4/ 401، وفيه: زياد بن سليم.

(4) طلحة بن عبد الله به خلف الخزاعي، أحد الأجواد المقدمين (ت نحو65هـ)، راجع المحبر: 356. خزانة البغدادي 3/ 394.

(5) المَكْرَع: مَفعَل من الكرع، وهو ماء السماء إذا اجتمع في غدير أوشبهه. اللسان: كرع.

(6) بلقع: خال. اللسان: بلقع. البيتان وردا في ربيع الأبرار 3: 187، وغرر الخصائص: 346.

(7) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

حُكي أن مقدس[1] الشاعر مدح طاهر بن الحسين[2] فلم يجزه بشيء فركب طاهر في بعض الأيام في حراقة[3] فعارضه مقدس في البر وقال: أقسم عليك أيها الأمير بحق أمير المومنين إلا ما سمعت مني ثلاثة أبيات قال: قل. فقال:

[المتقارب]

عجبت[4] لحراقة ابن الحسين كيف تعوم ولا تغرق
[169/ب] وبحران: من تحتها واحد وآخر من فوقها مطبق/
وأعجب من ذاك عيدانها وقد مسها كيف لا تورق[5]

قال: فأمر به إلى دار الضيافة، وأطلق في كل يوم ثلاثة آلاف درهم[6].

[129/أ] حُكي/ أنه خرج القاضي أحمد بن أبي دواد[7] يوما من عند الواثق فوجد فقيرا بالباب، فقال له الفقير: أيها القاضي، أنت الذي يقال عنك إنك تقضي حوائج الناس وتحسن إليهم؟ قال: أرجو ذلك. قال: فاقض حاجتي عند الواثق. قال: في غير هذا الوقت، فإني قمت من عنده الآن بعد أن أكل وقام لينام. قال: فإن مت أنا [192/ج] أوأنت أوهو الساعة، كيف يكون الحال؟ ادخل إليه فلعلك تجده/ فإن الله سبحانه

---

(1) مقدس بن صيفي الخلوقي نسبة إلى خلوق أو خلوقة وهو قبيلة من العرب. انظر الوفيات 2/ 523.

(2) أظنه عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب، أبو العباس، أمير خراسان (182-230هـ)، راجع الديارات: 86وتاريخ بغداد 9/ 483. الوفيات3/ 83.

(3) الحراقة: ضرب من السفن فيها مرامي نيران يرمى بها العدوفي البحر. اللسان: حرق

(4) أ: عجبا.

(5) الأبيات وردت في العقد الفريد منسوبة لدعبل بن علي. انظر ج 1/ 266 وفي طبقات الشعراء هي لعوف بن محلم، انظر الصفحة: 189. وفي الوفيات هي لمقدس بن صيفي المذكور. انظر ج 2/ 519.

(6) الحكاية وردت في العقد بين دعبل بن علي وعبد الله بن طاهر الخراساني ج 1/ 262. أما مقدس الشاعر فقد وردت حكايته مع طاهر بن الحسين في الوفيات 2/ 519 ومجاني الأدب 3/ 161. وغرر الخصائص: 365.

(7) أحمد بن أبي دواد بن جرير بن مالك الأيادي: أبو عبد الله أحد القضاة المشهورين (160-240هـ)، راجع تاريخ بغداد 4/ 141. الوفيات 1/ 81. النجوم الزاهرة 2/ 300.

وتعالى هو قاضي الحوائج. فقال له أحمد: ما حاجتك؟ قال: مائة ألف درهم، فضحك أحمد. فقال: مما تضحك؟ استخفافا بي أواستبخالا للواثق أواستقصارا لهمتك أواستعجازا لبيت المال؟ قال: معاذ الله، قال: فادخل [إذن][1] الآن، فإن الله هو الفعال لما يريد[2]. فدخل على الواثق، وقد اتكأ فقال: ما حاجتك؟ فأخبره القصة على حقيقتها. قال: اعطه مائتي ألف درهم فأخذ المال وخرج به إليه، فلما رآه قال: ارجع بها إليه لا حاجة لي بها، إنما أردت أن أعرف أن في الدنيا فقيرا مثلي يشفع له شافع مثلك ويدفع دافع مثل الواثق مثل هذا المال. والآن قد علمت ذلك ووجدته قال: إنه لا يأخذه. فقال: عد به إليه، ثم انصرف فعاد وأخبر الواثق بذلك فقال: اطلبوه، فطلبوه فلم يجدوه. قال: إذن لا يعود إلينا وتصدقوا به عنه[3].

حُكي أن بعض الشعراء قدم على عيسى بن السمح[4] بآمد[5] فأنشده:

[الوافر]

رأيتك في المنام خلعت خزا[6] ... علي بنفسجا وقضيت ديني/ [146/هـ]

فحقق يا فدتك النفس رؤيا ... رأتها في المنام لديك عيني[7]

فقال: يا غلام! إعرض عليه كل ما في الخزائن من الخز البنفسجي فعرضه عليه، فكان نحوسبعين قطعة فدفعها إليه وقال: كم دينك؟ قال: عشرة آلاف درهم، فقال: ندفع إليه ومثلها معها يستعين بها على وقته حتى لا يعود يرى مناما آخر.

---

(1) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(2) اقتباس من قوله تعالى: ﴿إن ربك فعال لما يريد﴾. (هود: 108)،

(3) ب، د: عني.

(4) أراد عيسى بن الشيخ الشيباني، أبا موسى، قائد من قواد العباسيين استقل بالشام واستقر بآمد، ذكره المسعودي في تاريخه 5/ 87.

(5) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(6) أ: عزا.

(7) البيتان وردا في "ربيع الأبرار" 2: 439. و"نهاية الأرب" 4: 68، و"المستطرف" 1: 136.

حُكي أنَّ خارجة بن حصن[1] وجد فتى جالسًا على باب داره فقال له: ما أجلسك هاهنا؟ فتستر منه فألح عليه. فقال: جئت سائلًا لصاحب هذه الدار، فخرجت منها جارية اختطفت قلبي فجلست كي تراني فأتزود منها بنظرة فأذهب. فقال له: أتعرفها؟ فقال: نعم. فدعا جواريه فعرضهن عليه حتى مرت به فقال: هذه. فقال له: مكانك ولا تبرح. ثم خرج وذهب فاشتراها من صاحبها وقال له: خذها، بارك الله لك فيها، واستولدها أولادًا نجباء وأنشأ يقول:

[الخفيف]

إذا ما مات خارجة بن حصن ... فلا مطرت على الأرض السماء
ولا رجع البشير بغنم جيش ... ولا حملت على طهر نساء
فيومٌ منك خيرٌ من أناس ... تروح عليهم نعم وشاء
فبورك في بنيك[2] وفي بنيهم ... إذا ذكروا ونحن لهم فداء[3]

حُكي أن أسخى الناس في الإسلام عبد الله بن جعفر[4] وطلحة الطلحات[5] رضي الله عنهما. وسمي بطلحة الطلحات [لأنه أجود من تسمى بطلحة، قال الأصمعي: الطلحات الأجواد خمسة: طلحة بن عبد الله[6] وهو الفياض][7]

---

(1) أراد أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزاري، تابعي من رجال الطبقة الأولى. كان جوادا مقدما عند الخلفاء (ت نحو66هـ)، راجع الأغاني 20/ 363 والكامل في التاريخ حوادث 66هـ والفوات 1/ 168. والنجوم الزاهرة 1/ 179.

(2) د: بيتك.

(3) الأبيات وردت في العقد ما عدا البيت الأخير، مع قليل من الاختلاف بين الروايتين. انظر ج 3/ 243. وفي الفوات هي للأخطل، انظر 1/ 20.

(4) سبق ذكره

(5) سبق ذكره

(6) في المحبر هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان التميمي صاحب رسول الله ﷺ، وأحد العشرة المبشرين (ت نحو36هـ)، راجع المحبر: 355. تهذيب ابن عساكر 7/ 71. تهذيب التهذيب 5/ 20.

(7) ما بين معقوفين زيادة من: ب، ج، د، هـ.

وطلحة بن عمر بن عبيد الله[1] التيمي وهو طلحة الجود، وطلحة بن عبد الله بن عوف وهو طلحة الندى[2]، وطلحة بن الحسن[3] بن علي رضي الله عنه وهو طلحة الخير، وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي وهو طلحة الطلحات[4]، وفيه يقول الشاعر[5]:

[الطويل]

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ... ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت

رأى خلتي من حيث يخفى مكانها ... فكانت قذى عينيه حتى تجلت[6]

[130/أ]

قلت[7]: وقبلها/ :

سأشكر عمرا إذ[8] تراخت منيتي ... أيادي لم تمنن وإن هي جلت

أنشد ذلك صاحب التلخيص ولعل قائلها تمثل بها والممدوح الأول هو عمرو ولعله عمرو بن هند.

حُكي أن معن بن زائدة كان له شاعر يغشى مجلسه كل يوم فانقطع عنه أياما، فلما دخل عليه قال له: ما أبطاك؟ قال: ولد لي مولود قال: ما سميته؟ قال: معن، وقلت فيه هذا الشعر:

---

(1) طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، انظر المحبر: 355.

(2) هو طلحة بن عبد الله بن عوف، من بني زهرة، قاضي ممن اشتهر بالكرم والجود. (25-97هـ)، راجع تهذيب ابن عساكر 7/ 69. المحبر: 150.

(3) طلحة بن الحسن بن علي بن أبي طالب وأمه أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله بن عثمان، كان مطعاما للطعام، ممدحا، ولم يعقب. انظر المحبر: 150

(4) قول الأصمعي ورد في تهذيب التهذيب 5/ 17.

(5) هو إبراهيم بن العباس الصولي، حسب ما ورد في الوفيات 3/ 478، 6/ 432.

(6) الخُلة: الفقر والحاجة. والقذي: ما يسقط في العين من أذى. انظر اللسان: خلل، قذي. والبيتان وردا في العقد 1/ 255.

(7) ساقطة من: ج.

(8) ب، ج، د: إب.

[البسيط]

سميت نجلي معنا ثم قلت له: هذا اسم أفضل أهل الفضل والجود
قد فاق جودك جود الناس كلهم فصار جودك محراب الأجاويد
أنت الجواد ومنك الجود أوله فإن فقدت فما جود بموجود
من نور وجهك تضحى الأرض مشرقة ومن ثنائك يجري الماء في العود[1]

فيقال إنه كل ما كان ينشده بيتا يعطيه ألف دينار، فلما وصل إلى البيت الأخير[2] قال له الخازن على بيت ماله: كف أيها الشاعر فوالله لم يبق في بيتي ماله من[3] شيء أصلا[4] قلت:

فلله در قوم بليت أجسادهم وبقيت[5] مكارمهم تضرب بها الأمثال، وقد قيل [178/د][147/هـ] في معنى ذلك/ :

[الوافر]

فلا شيء يدوم فكن حديثا جميل الذكر فالدنيا حديث

[وقال آخر:][6]

[الكامل]

فكأنه العنقاء تسمع باسمها والجسم لست ترى له تحقيقا[7]

[194/ج] وقال أبو الطيب المتنبي:/

(1) الأبيات وردت في ثمرات الأوراق: 474 وقصص العرب 1/ 260. مع اختلاف الرواية.
(2) أ: الاخر.
(3) ساقطة من: ج.
(4) الحكاية وردت في المرجعين السابقين.
(5) ساقطة من: د.
(6) ما بين معقوفين زيادة من أ: ليس.
(7) العنقاء: قيل هي طائر ضخم ليس بالعُقاب، وقيل هي الطير الأبابيل. اللسان: عنق..

[البسيط]

أرى أناسا ومحصولي على غنم   وذكرى جود ومحصولي على كلم/ [١٧١/ب]

حكى أبو الفرج عن أبي عمرو بن العلاء[1] قال: جلس النعمان بن منذر بن ماء السماء يوما وحوله ندماؤه، وعليه حلة مرصعة بالجوهر لم ير مثلها، وأذن في العرب في الدخول عليه فاستحسنها جلساؤه، وكان فيهم أوس بن حارثة[2] وهو مطرق لا يتكلم، فقال له النعمان: لم لا تستحسن هذه الحلة كما استحسنها غيرك، فقال: أيها الملك! إنما تستحسن الحلة في يد التاجر، فلما إذا كانت على الملك فنظري قام عليه لا عليها. قال: فاستحسن منه ذلك، ثم قال لمن حضره: إيتوني غدا فسألبسها لسيد العرب، فلما كان من الغد حضروا إلا أوس بن حارثة لم يذهب فقيل له: لم لا تغدوا إلى الملك فلعلك تكون صاحبها؟ فقال أوس: إن حضرت ولم آخذها صرت منقوصا، وإن كنت المطلوب لها فسيعرف مكاني عند الطلب. قال: فنظر النعمان فلم يجد أوس بن حارثة فأرسل في طلبه فلما حضر أخبر بمقالته فألبسه إياها. ويقال: إن بعض حساد أوس سأل بعض الشعراء أن يهجوه ويجعل له على ذلك جعلا، فقال الشاعر: كيف أهجوحسيبا لا ينكر حسبه؟ فربما لا ينقطع عطاؤه عني، فهو حازم لا يطعن في رأيه، وشجاع لا يضام نزيله، ومحسن لا أرى في يدي شيئا إلا من فضله.

يقال[3]: إن بعض الشعراء رغب في الجعل وقال: أنا أهجوه فهجاه[4] وعرض بأمه فتطلبه أوس فهرب منه واستجار بالعرب فلم يجره منه أحد حتى ظفر به

---

(1) هو زيان بن عمار التيمي المازني البصري، أبو عمرو ويلقب أبو ه بالعلاء، من أئمة اللغة والأدب (70-154هـ)، راجع الوفيات 3/ 466 وفوات الوفيات: 2/ 28.

(2) أوس بن حارثة بن ثعلبة من الأزد، جد قبيلة الأوس، راجع الأعلام 2/ 31 ومعجم المطبوعات: 409.

(3) ج: حكى.

(4) ساقطة من: ب.

ودخل على أمه وقال لها: قد أمكنني الله ممن هجاك، وقد آليت لأقتلنه، فقالت: يا بني! أوخير من ذلك؟ فقال: وما هو؟ قالت: أن تطلقه وتمكنه من جعله وتزيده من عندك وترده إلى أهله، فقد آيسوا منه. فخرج عليه أوس، وقال: ما كنت تظن أني فاعل بك؟ قال: تقتلني لا محالة، قال: أفتستحق ذلك؟ قال: نعم قال: إنصرف فخذ جعلك. وخذ ما أمرت لك به، واذهب إلى أهلك سالما، وكان أمر له بمال. قال[1]: فسجد بين يديه شكرا، وقال: لا أعود لمثلها أبدا وآلى على نفسه ألا يمدح في الدنيا غيره، وقبض ما رسم له به وانصرف من عنده/ مكرما، رحمة الله عليهما. [131/أ]

حكى [العباس بن] [2] أبي الفرج[3] بإسناد ذكره قال: كان في خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان رجل يسمى خزيمة بن بشر/ الأزدي وكان مقيما بالرقة[4] [179/د] وله مروءة ظاهرة وبر وافر كثير للإخوان،/ حتى نفذ ما عنده وقعد به الدهر [195/ج] ولح عليه الفقر فواساه إخوانه قليلا ثم ملوه، فلما لاح له تغيرهم اختار لزوم بيته وأغلق بابه وانقطع عن الناس، وكان عكرمة الفياض[5] واليا على الرقة من قبل سليمان بن عبد الملك، فبينما هو في مجلسه وعنده جماعة من أصحابه جرى ذكر خزيمة بن بشر الأزدي فسأل عنه الأمير فأعلموه أنه لزم بيته وأغلق بابه. فقال عكرمة الفياض: أوما كان لخزيمة ما يكافيه على مروءته ويساعده على سد خلته؟ فقالوا: لا. فلما خلا المجلس ومضى من الليل جانب قام عكرمة الفياض

---

(1) أ: وقال.

(2) ما بين معقوفين زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(3) هو العباس بن أبي الفرج بن علي بن عبد الله الرياشي، أبو الفضل، الذي روى عنه المبرد في الكامل (177-257هـ)، انظر ترجمته في تاريخ بغداد 12/ 138. الوفيات 3/ 27 تهذيب التهذيب 5/ 124.

(4) سبق ذكره.

(5) انظر قصة عكرمة الفياض مع خزيمة بن بشر في ثمرات الأوراق1/ 214 مجاني الأدب3/ 204 والمستجاد في فعلات الأجواد1/ 6.

إلى كيس وجعل فيه أربعة آلآف دينار ثم ركب دابة وخرج مع غلام سرا من أهله والغلام يحمل الكيس، ثم آتاه ثم طرق عليه الباب فخرج خزيمة بن بشر فناوله/ الكيس وهم بالإنصراف فمسك خزيمة بطرف ثوبه وقال له: من أنت؟ [148/هـ] فقال له: ما جئتك في هذا والوقت وأريد/ أن يعرفني أحد. فقال له خزيمة: لا بد [172/ب] من معرفتك وأقسم عليه، وقال: أنا جابر عثرات الكرام، ثم تركه ومضى فدخل داره وهو يظن الكيس فلوسا. قال فتفقدت زوجة عكرمة زوجها فلم تره وظنت أنه عند بعض سراريه، ولما رجع إليها غضبت، فقال لها: والله لست كما ظننت، فأقسمت عليه أن يخبرها أين كان، وألحت عليه فذكر لها صورة الأمر فبرد ما بها. قال: ثم إن خزيمة بن بشر أصلح شأنه فاشترى له ثيابا[1] فاخرة[2] ومركوبا وتوجه إلى سليمان بن عبد الملك وكان يعرفه، فقال له: ما أقعدك عنا يا خزيمة قال: سوء الحال وقلة المال. فقال له: فما أراك إلا في أحسن حال وأرضى بال. فقال له: إن من أمري عجبا[3] يا أمير المومنين، وقص عليه القصة كما صدرت فاهتز طربا وجعل يقول: جابر عثرات الكرام[4] ويكررها ويقول: والله اشتقت أن أنظر جابر عثرات الكرام وإلى معرفته ولوعرفته لأعنته على مروءته، فلله دره ما أحسن فعله وأوفر عقله ثم عقد سليمان بن عبد الملك لخزيمة الولاية على الرقة وهو العمل الذي بيد عكرمة الفياض وأمره أن يقبض ما عنده من المال ويحاسبه ويحتاط على موجوده، فلما قدم خزيمة بن بشر الرقة خرج إليه عكرمة يتلقاه ومعه وجوه الناس فلما دخل دار الإمارة قبض على عكرمة وحاسبه فوجد عنده مالا كثيرا فضيق عليه وحبسه وثقل حديده، فأقام ثلاثة أيام. قال: فمضت إليه

---

(1) أ: توب.

(2) أ: فأخذه. ساقطة من: ج.

(3) هـ: عجب.

(4) لم تتكرر هذه العبارة في: ب، ج.

زوجته إلى السجن وكانت ابنة عمه، فلما رأت ما هو عليه من سوء الحال ذهبت [196/ج] إلى خزيمة وقالت له: بئس ما/ جازيت به جابر عثرات الكرام، فلما سمع خزيمة ذلك دهش عقله وغاب لبه وقال: وا سوءتاه! وا خجلتاه! وا فضيحتاه! من الله تعالى ومن جابر عثرات الكرام وقام من وقته وأتاه إلى السجن يمشي وهجم على عكرمة ورمى بنفسه عليه وجعل يقبل يديه ويعتذر إليه ويقسم بالله أنه ما عرفه، ثم أخرجه وأدخله الحمام وأتاه باللباس والطيب. قال: ثم سافر به حتى قدم على سليمان بن عبد الملك، فقال له: ما أقدمك يا خزيمة؟ قال: ظفرت بجابر عثرات الكرام. فقال: من هو؟ قال: عكرمة الفياض هذا، وأخبره الخبر فقال لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم ترك ما كان عليه من المال وولاهما الرقة وأضاف إليهما أعمالا غيرها رحمهم الله.

حكى القاسم بن المعتمر قال: كنت عند الحكم بن المطلب[1] بن عبد الله بن المطلب وهو في السياق[2] فقلت: اللهم/ هو ن عليه فإنه كان وكان، وذكرت ما [180/د] كان يصنعه من فعل المعروف ففتح عينيه وقال/ : من المتكلم؟ فقلت: أنا، فقال: [132/أ] إن ملك الموت يقول لك: إني بكل سخي رفيق، ثم احمر وجهه وضحك ومات رحمه الله، فكأنه سراج انطفأ.

حُكي أن الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك ركب يوما في حشمه وخدمه وإذا بأعرابي قد أقبل عليه فنزل عن ناقته وعقلها، ثم دنا منه وقال: السلام عليك، فقال له الفضل: وعليك السلام، أي حاجتك؟ فقال: أريد الفضل، فإنه شاع [173/ب] في العرب ذكره وكرمه فقصدته[3] على الشهرة ببيتين من الشعر. فقال يا أخا/ العرب! وجب نصحك علينا، أنا عارف بالفضل فانشدهما لي، فإن كان الشعر

(1) الحكم بن المطلب، ذكره ابن المعتز في طبقاته: 21.

(2) السياق: يقال فلان في السياق أي في نزع الروح. انظر اللسان: سوق.

(3) د: وقصدته.

يصلح له أوصلناك[1] إليه وإلا أوصلناك بنفقة توصلك إلى أهلك. فأنشد يقول:

[الطويل]

فلو قيل للمعروف: خاد أخا العلا لنادى بأعلى الصوت: يا فضل! يا فضل!/ [١٤٩/هـ]
ولو أم[2] طفل مضها[3] جوع طفلها وغذته باسم الفضل لاستمسك الطفل[4]

فقال له الفضل: إنهما لبيتان جيدان فإن قال لك الفضل: أنشدني أبياتا في كل بيت [منها] إسم الفضل، فما كنت تصنع؟ فقال: كنت أقول له:

[الطويل]

ولائمة لامتك، يا فضل! في الندا فقلت لها: هل يقدح اللوم في البحر
أرادت لتثني الفضل عن عادة الندا، ومن ذا الذي يثني السحاب عن القطر؟
مواقع جود الفضل في كل بلدة مواقع ماء المزن في البلد القفر
كأن وفود الفضل حين تحملوا إلى الفضل وافوا عنده ليلة القدر[5]/ [١٩٧/ج]

فقال له الفضل: أحسنت يا أخا العرب. أنا الفضل، فنهض الأعرابي فقبل يده فقال له الفضل: ما الذي أملته؟ قال: ألف درهم أستعين بها على حالي، فقال الفضل: يا غلام! ادفع ألفا وألفا وألفا ولم يزل يكررها حتى انقطع نفسه وأحصيت فكانت ستة عشر ألف.

حكى عثمان بن سعد[6] قال: بعثني المنتصر إلى مصر في بعض حوائجه فرأيت

---

(1) ب، د: أصلناك.

(2) أ، ب: أن.

(3) أ، ج، هـ: فضها.

مضها: أحرقها. المضى: الحرقة. اللسان: مضض.

(4) الأبيات وردت في عيون الأخبار 2/ 5 وورد منها البيتان الأولان في العقد ج 2/ 320 ووردت في ديوان المعاني 1/ 217.

(5) الأبيات وردت في "الشعر والشعراء" 1: 73، و"عيون الأخبار" 2: 8.

(6) هو أبو عثمان سعيد بن محمد الصغير مولى المنتصر. انظر مروج الذهب 5/ 56.

بها جارية لبعض النخاسين عرضت للبيع، فعشقتها لأنها كانت تحسن الغناء، مقبولة الطلعة، مكمولة المحاسن والجمال، فساومت فيها صاحبها فأبى أن يبيعها إلا بألف دينار، فلم تكن معي، فحضرت إلى المنتصر بعد قضاء ما وجهني إليه، فذاكرني يوما فذكرت له ما حصل عندي من تلك الجارية فأعرض عني وجعل وجدي لا يزداد إلا شدة وشغفا، وقلبي لا يزداد إلا كلفا، وصبري لا يزداد إلا ضعفا، وسليت نفسي عنها بغيرها فكأنما أغريتها، ولم نسأل عنها وجعل المنتصر كلما دخلت عليه وخرجت من عنده يذكرها ويهيج إليها شوقي ثم أمر أحمد بن الخصيب[1] أن يكتب إلى صاحب مصر بشرائها، فاشتريت وحضرت إليه وأنا لا أعلم، فنظر إليها وسمع منها ودفعها إلى قيمة جواريه فأصلحت من شأنها ما يجب، فلما كان/ في بعض الأيام استجلبني ونصب الستارة فامر بها فجلست [181/د] من ورائها وأمرها أن تغني صوتا كنت أعلمته أني سمعته منها وقد استحسنته، فلما سمعت عناءها وكرهت أن أعلمه أني أعرفها حتى ظهر ما كتمته من الوجد وغلب علي صبري. فقال لي: هل تعرف هذا الصوت؟ فقلت إني والله أعرفه، ولقد كنت أطمع في صاحبته، وأما الان فقد يئست وكنت كالقاتل نفسه بيده، والجالب حتفه إلى حياته. فقال[2]: والله يا أبا سعد ما اشتريتها إلا لك، واعلم[3] أني ما رأيتها إلا ساعة أدخلت علي، وقد تركها عندي بين جواري حتى استراحت وذهب عنها وعثاء السفر، فخذها فهي مباركة عليك. فدعوت له ما أمكنني من الدعاء، وشكره عني من حضر من جلسائه، ثم أمر بها فهيئت وحملت إلي فردت علي حياتي بعد أن أشرفت على الهلاك، فلا أحد/ عندي أحظى منها ولا أعز [133/أ]

---

(1) أحمد بن الخصيب بن الضحاك، أبو إسحاق، كاتب عباسي استوزره المنتصر، كان مشهورا بجهله وطيشه، توفي ما بعد 248هـ. انظر بعض أخباره في مروج الذهب 5/ 48.

(2) أ: قال.

(3) أ، ب، د: ولتعلم.

من ولدها. وللمنتصر أخبار حسان وأشعار رقيقة وملح ومقدمات ومكاتبات ومراسلات قبل الخلافة وبعدها رحمه الله[1]./ [174/ب][198/ج]

حُكي بينما خالد بن عبد الله القسري[2] جالس على سريره إذ رأى أعرابيا[3] يريده. وهو يشق الصفوف، وهو في غاية من سوء الحال فرحمه وقال: أفرجوا له. فلما وصل إليه أنشأ يقول:

[الكامل]

أأقول ما عندي إليك فتسمع ... أم لا؟ فقل لي أي شيء أصنع؟/ [150/هـ]

قال: فرفع خالد رأسه فقال:

[الكامل]

قل ما تشاء فإنني لك سامع ... أولا ففي نظري لحالك مقنع

فقال الأعرابي:

أصلحك الله قل ما بيدي ... فما أطيق العيال إذ كثروا
ألح دهري رمى بكلكله ... فأرسلوني إليك وانتظروا[4]

فقال له خالد: أبشر فسأعجل إليهم سراحك ثم أمر له بمال جزيل فلما قبضه بكى. فقال له خالد: هل استقللته؟ فقال: لا ولكن أبكي على ما تأكل الأرض من كرمك، فقال له خالد: إن أتاك خصمك والدهر الذي رمى بكلكله بعد هذا فائتنا فإنا ننصفك منه. فقال: قد سار معي من فضلك ما أدحض به حجته إلى آخر عمري.

---

(1) الحكاية وردت في مروج الذهب 5/ 56 مع اختلاف بين الروايتين.

(2) أ: العسري.

(3) ب: أعرابي.

(4) سبقت الإشارة إلى هذين البيتين.

حُكي أن محمد بن علي[1] الأديب وفد على عبد الله بن طاهر[2] يسترفده فوجده مسافرا ببعض الثغور للجهاد، فأقام ينتظره مدة ثم وصل فنزل بظاهر البلد ثم دخل منفردا ليلا متنكرا، فبينما هو يسير في سكك المدينة إذ سمع محمد بن علي ينشد وقد اشتاق إلى وطنه يقول:

[الطويل]

أفي كل يوم غربة ونزوح	أما للنوى من أهبة فنروح
يذكرني الأحباب نوح حمامة	فناحت وذوالشجوالحنين ينوح
على أنها ناحت ولم تذر أدمعا	ونحت ودمعي يا خلي سفوح
وهذا وفرخاها[3] بحيث تراهما	ومن دوني أفراخي مهامه فيح[4]
[182/د] عسى جود عبد الله أن يعقب النوى	فيمسي بأرض الهند وهو طريح[5]/

قال: فلما سمعه حلف عبد الله ألا يدخل داره حتى يبلغ أمنيته، ثم أرسل إليه بمال كثير حتى استعفى وقال: حسبي، حسبي. ثم أرسله من وقته إلى بلده[6] على خيل[7] البريد[8].

حُكي عن الهيثم بن عدي[9] أنه قال: تنازع ثلاثة نفر في أجود الناس في زمانهم

(1) هذه الحكاية مروية في وفيات الأعيان عن محمد بن داود بن الجراح. انظر ج 3/ 86.

(2) سبق ذكره.

(3) أ: فرخها.

(4) مهامه: الأرض البعيدة. الفيح: سطوع الحر. اللسان: مهه، فيح.

(5) الأبيات وردت في الوفيات 3/ 86 منسوبة لمحلم الشيباني وفي الفوات 3/ 163 منسوبة لأبي كبير الهذلي مع اختلاف في الروايات.

(6) ب: بلاده.

(7) أ: خيول.

(8) الحكاية وردت في المرجعين السابقين بتصرف، ولم يرد فيهما محمد بن علي الأديب ففي الوفيات موضوع الحكاية هو ابن محلم الشيباني وفي فوات الوفيات موضوعها هو ابن كبير الهذلي.

(9) الهيثم بن عدي بن عبد الرحمان الطائي، أبو عبد الرحمن مؤرخ عالم بالأدب والنسب (114-207هـ)، انظر ترجمته في تاريخ بغداد 14/ 50. معجم الأدباء 19/ 304. الوفيات 6/ 106.

فقال أحدهم: أجود الناس في عصرنا هذا عرابة الأوسي[1] وقال آخر: أجود الناس في عصرنا هذا، قيس بن سعد بن علقمة[2] وقال/ الآخر أجود الناس في [199/ج] عصرنا هذا عبد الله بن جعفر[3] فقيل: ليأت كل واحد منكم إلى صاحبه فيسأله حتى ننظر ما يعطيه ونحن على العيان، فذهب صاحب عبد الله بن جعفر رضي الله عنه فوجده قد تجهز لبعض أسفاره فقال له: يا ابن عم رسول الله ﷺ، أنا ابن سبيل ومنقطع يريد رفدك يستعين به، وكان قد وضع رجله في ركابه فأخرج رجله من ركاب الراحلة فقال: خذها بما عليها، فإذا عليها مطارف خز والف دينار، وذهب صاحب قيس بن سعد إليه فصادفه نائما فقرع الباب فخرجت إليه جارية فقالت له: ما حاجتك فإنه نائم: فقال: ابن سبيل ومنقطع أتيت إليه يعينني على طريقي، فقالت الجارية: ما حاجتك علينا أهو ن من إيقاضه ثم أخرجت له صرة فيها ثلاثة مائة دينار/ وقالت: خذها وامض راشدا، فلما استيقظ قيس/ من نومه [175/ب][134/أ] وأعلمته الجارية بذلك أعتقها سرورا بما فعلت. وذهب صاحب عرابة الأوسي إليه وقد خرج من منزله يريد المسجد وهو يمشي[4] بين عبدين وقد عمي فقال له: يا عرابة! أنا ابن سبيل ومنقطع يريد[5] رفدك. فقال: وا سوءتاه! والله ما تركت الحقوق في بيت عرابة درهما واحدا ولكن يا أخي!/ خذ هذين العبدين، فقال [151/هـ] الرجل: والله ما كنت بالذي أقص جناحيك[6]، فقال: والله لا بد من ذلك، وإن

---

(1) عرابة بن أوس بن قيظي الأوسي الحارثي من الأجواد، أدرك حياة النبي ﷺ صغيرا (ت نحو60هـ)، راجع الإصابة 2/ 373. وخزانة البغدادي ج 1.

(2) قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، صحابي من الدهاة الأجواد. (ت نحو60هـ)، راجع ابن اباس: 26. الإصابة 8/ 395. النجوم الزاهرة 1/ 83.

(3) سبق ذكره.

(4) د: ماشي.

(5) ب: نريد.

(6) ب: اقض حاجتك، وهذه العبارة زيادة في: ج، هـ.

لم تأخذهما فهما حران فنزع يده[1] من العبدين ورجع إلى بيته والأبو اب تضايقه، وقد صك بعض الجدران وجهه فلما اجتمعوا حكموا لعرابة الأوسي بكثرة الجود على غيره رحمهم الله[2]

حُكي أن عبد الله بن عامر[3] اشترى من خالد بن عقبة داره، فلما أن كان الليل بكى آل خالد، فقال: ما لهم يبكون؟ فقال له بعضهم: إنهم يبكون لخروجهم من دارهم التي اشتريتها، فقال لغلامه: اعلمهم انهم يستمرون بدارهم، والدار والمال لهم جميعا.

حُكي أن مروان بن أبي حفصة[4] كان لا يأكل اللحم بخلا منه، وكان إذا اشتهاه أرسل غلامه فاشترى رأسا. فقيل له: نراك لا تأكل إلا الرؤوس صيفا وشتاء، فلم تختار ذلك؟ فقال: نعم، الرأس أعرفه بشعره وآمن عليه من خيانة الغلام، إذا أخذ منه عينا أو أذنا أوخدا وقفت عليه، وآكل منه ألوانا، آكل عينيه لونا، وأذنيه لونا، ولسانه لونا وغلصمته[5] لونا، ودماغه لونا، وأكفى مئونة طبخه، فقد اجتمع لي فيه مرافق كثيرة[6].

حُكي أن بعض البخلاء كان لا يأكل إلا إلى نصف الليل، فقيل له في ذلك. [200/ج] فقال: يبرد الماء، ويقمع الذباب، وينام الصبيان/ ونأمن فجأة الداخل وصرخة السائل[7].

(1) ساقطة من: ب، ج، د، هـ.
(2) الحكاية وردت في غرر الخصائص للوطواط: 247. ثمرات الأوراق: 1/ 102. والمستطرف 1/ 248.
(3) سبق ذكره.
(4) سبق ذكره.
(5) الغلصمة: رأس الحلقوم بشواربه، وهو الموضع الناتئ من الحلق. اللسان: غلصم.
(6) الحكاية وردت في الأغاني 10/ 96-97.
(7) الحكاية وردت في غرر الخصائص: 299.

حُكي أن بعض البخلاء قال لغلامه: هات لنا الطعام وأغلق الباب خوف الواردين علينا. فقال الغلام: يا مولاي! هذا ليس بحزم بل اغلق الباب أولا وآت بالطعام ثانيا، فقال له: أنت حر لوجه الله تعالى لأخذك بالحزم[1].

حُكي عن عدي بن حاتم[2] رضي الله عنه، أنه عمل مائدة فقال لولده، وكان صغيرا: قم على الباب وإئذن لمن تعرف، وامنع من لا تعرف. فقال: والله لا يكون أول شيء وليته من أمور الدنيا، منع[3] أحد من الطعام. فقال له: أنت أكرم مني. وبهذه الحكاية والتي قبلها يستدل[4] على من طلعت الحكمة من أفق فيه، في قوله: «العبد من طينة مولاه والولد سر أبيه»[5].

(1) الحكاية وردت في جمع الجواهر: 254-255. وغرر الخصائص: 300.

(2) سبقت ترجمته.

(3) أ: أمنع.

(4) ساقطة من: د.

(5) الحكاية وردت في غرر الخصائص: 300.

الباب الثامن

في الحلم وما في معناه من مكارم الأخلاق وما اتفق في ذلك من الأخبار الحسنة الاتفاق

حكى بعضهم أن من جملة محاسن أخلاق النبي ﷺ ما جمعه بعض العلماء والفقهاء من الأخبار. قالوا: كان رسول الله ﷺ أحلم الناس، وأشجع الناس، وأعدل الناس وأعف الناس، لم تمس يده ﷺ يد امرأة لا يملك رقها أوعصمة نكاحها، أوتكون ذات محرم. وكان ﷺ أسخى الناس، لا يبيت عنده دينار ولا درهم، وإن فضل ولم يجد من يعطيه وجاء الليل، لم يأو إلى منزله حتى يدفعه إلى من يحتاج إليه، لا يأخذ مما أتاه الله تعالى إلا قوت عامه فقط، من أيسر ما يجد/ [176/ب] من التمر والشعير، ويضع سائر ذلك في سبيل الله تعالى. وكان ﷺ لا يسأل شيئا إلا أعطاه، ثم يعود إلى قوت عامه فيوثر منه، حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام، إن لم يأته شيء. وكان ﷺ يخصف[1] النعل، ويرقع الثوب، ويخدم في مهنة أهله، ويقطع اللحم معهن، وكان أشد الناس حياء، لا يثبت بصره في وجه أحد، يجيب دعوة الحر والعبد، ويَقْبَل الهدية، ولو أنها جرعة ماء أوفخذ أرنب، ويكافي عليها ويأكلها، ولا يأكل/ الصدقة. ولا يستكبر في إجابة الأَمة والمسكين، يغضب لربه، [135/أ] ولا يغضب لنفسه، وينفذ الحق وإن عاد ذلك بالضرر/ عليه/ وعلى أصحابه. [201/ج][152/هـ] عرض عليه الانتصار بالمشركين وهوفي قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيده في غزو

---

(1) سبق شرحه.

من معه. فقال: «إنا لا نستنصر بمشرك»[1] ووجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيل بين اليهود فلم يجن عليهم بل وداه بمائة ناقة، وإن أصحابه لمحتاجون إلى بعير واحد يتقوون به، وكان ﷺ يعصب الحجر على بطنه من الجوع، ومرة يأكل ما حضر لا يرد ما وجد ولا يتورع[2] عن مطعم حلال. إن وَجَدَ تمرًا دون خبز أكل، [وإن وجد شواء أكله][3]، وإن وجد خبزا بُرًّا كان أوشعيرا أكله، وإن وجد حلواء أوعسلا أكله، وإن وجد لبنا دون خبز اكتفى به، وإن وجد رطبا أوبطيخا أكله، لا يأكل متكئا ولا على خوان[4]، منديله أَخْمُص[5] قدميه، لم يشبع من خبز شعير ثلاثة أيام متوالية حتى لحق/ بالله تعالى، إيثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا، [184/د] يجيب [إلى][6] الوليمة، ويعود المرضى، ويشهد الجنائز ويمشي وحده بين أعاديه من غير حارس، أشد الناس تواضعا وأسكتهم[7] من غير كبر، وأبلغهم من غير تطويل، وأحسنهم بشرا، لا يهوله شيء من أمور[8] الدنيا، ويلبس ما وجد، فمرة شملة ومرة بردة[9] حبرة [10] يمانية[11]، ومرة جبة صوف، وما وجد من المباح لبس، وخاتمه فضة يلبسه في خنصره الأيمن والأيسر، يردف خلفه عبده أوغيره،

---

(1) الحديث أخرجه مسلم بلفظ: فلن أستعين بمشرك، انظر صحيح مسلم باب كراهة الاستعانة في الغزو بكافر، ج3/ 1449، و أورده ابن حجر في الفتح 4/ 442 في باب استنجار المشركين عند الضرورة.

(2) يتورع: يتحرج، وهو من الورع. وهو الكف عن المحارم. اللسان: ورع.

(3) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(4) الخِوان: ما يؤكل عليه أوما يوضع عليه الطعام عند الأكل. اللسان: خون.

(5) الأخمص: باطن القدم وما رق من أسفلها وتجافى عن الأرض. اللسان: خمص.

(6) زيادة من: ب، د

(7) ب، ج، د هـ: اسكنهم.

(8) ساقطة من: ج.

(9) ب، د: أمر.

(10) الحبرة: ضرب من البرود اليمانية. اللسان: حبر.

(11) ب، د: يمانيا.

يركب ما أمكنه، مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلا ومرة حمارا ومرة يمشي راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة، يعود المرضى في أقصى المدينة، يحب الطيب ويكره الرائحة الرديئة. ويجالس الفقراء ويواكل المساكين ويكرم أهل الفضل، ويحب أهل الشرف لا يجفو أحدا، يقبل معذرة المعتذر إليه، يمزح ولا يمزح إلا حقا، يضحك من غير قهقهة، يرى اللعب مباح فلا ينكره، ويسابق أهله، وترتفع الأصوات عليه فيصبر، وكان له لقاح يتقوت هووأهله من ألبانها وكان له عبيد وإماء لا يترفع عليهم في مأكل ولا في ملبس، لا يمضي عليه وقت في غير عمل لله تعالى أو في ما لا بد منه من صلاح نفسه، يخرج إلى سائر أصحابه لا يحتقر مسكينا ولا يهاب ملكا لملكه، يدعوهذا وهذا إلى الله تعالى دعاء واحدا. قد جمع الله له السيرة الفاضلة والسياسة التامة، وهو أمي لا يكتب ولا يقرأ شيئا في بلاد أهل الجهل والصحاري، لا أب له ولا أم، فعلمه الله تعالى جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز في الآخرة، والغبطة والخلاص في الدنيا ولزوم الواجب/ وترك الفضول ﷺ. [202/ج]

حُكي أنه رُوِيَ عن معاذ بن جبل[1] رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «حف الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ومن ذلك حسن المعاشرة، وكرم الصنيعة، ولين الجانب وبذل المعروف، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، وعيادة المريض المسلم بَرًّا كان أوفاجرا، وتشييع جنازة المسلم، وحسن الجوار لمن جاورته مسلما كان أوكافرا، وتوقير/ ذي الشيبة المسلم، وإجابة الطعام والدعاء عليه [١٦٦/ب] والعفو والإصلاح بين الناس، والجود والكرم والسماحة والابتداء بالسلام وكظم الغيظ، والعفوعن الناس، وأذهب الإسلام اللهو والباطل والغناء والمعازيف

(١) معاذ بن جبل بن عمروبن أوس بن عابد بن عدي، الأنصاري الإمام المقدم في علم الحلال والحرام توفي حوالي ١٧هـ. أمّرَه النبي ﷺ على اليمن. وشهد بدرا وهو ابن إحدى وعشرين سنة. انظر ترجمته في الإصابة 3/ 427.

كلها، والكذب والغيبة والبخل والشح والجفاء والمكر والخديعة والنميمة وسوء ذات البين وقطيعة الأرحام وسوء الخلق والتكبر والفخر والاحتيال والاستطالة والمدح والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغي والعدوان والظلم»

[153/هـ] أوكما قال ﷺ[1]./

ومما حُكي في حقوق الجار، ما روي عنه ﷺ أنه قال: «أتدرون ما حق الجار؟ إن استعان بك أعنه، وإن استقرضك فاقرضه، وإن افتقر عدت عليه، وإن مرض

[185/د][136/أ] عدته، وإن/ مات اتبعت جنازته، وإن أصابه خير هنيته، وإن أصابته مصيبة/ عزيته، ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب[2] عنه الريح إلا بإذنه، وإذا اشتريت فاكهة فأعد له، فإن لم تفعل فادخلها [سرا][3]، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذيه بنار قدرك، إلا أن تغرف له منها، أتدرون ما حق الجار؟ والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحم الله»[4] هكذا رواه عمرو بن شعيب[5] عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ.

حُكي أن عبد الله بن سلام القرشي[6] كان عاملا لمعاوية رضي الله عنه على العراق. وكانت تحته أرينب بنت إسحاق[7] ولم يكن في عصرها أظرف ولا أجمل

(1) لم أقف على هذا الحديث فيما تيسر لي من المصادر والمراجع المختصة.

(2) أ: فيحجب.

(3) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(4) الحديث ورد في إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين للزبيدي 6/ 308. وكشف الخفاء ومزيل الألباس، ما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس لإسماعيل بن محمد العجلوني 1/ 381.

(5) هو عمرو بن شعيب بن محمد القرشي، أبوإبراهيم، من رجال الحديث بمكة (ت نحو118هـ)، راجع ترجمته في تهذيب التهذيب 8/ 48. ميزان الاعتدال 3/ 263.

(6) هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، أبو يوسف، صحابي أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة. (ت نحو43هـ)، راجع الإصابة 2/ 320. والاستيعاب 2/ 382.

(7) أرينب بنت إسحاق من ربات الجمال والحسن والكمال، تزوجها ابن عمها عبد الله بن سلام ووقع حبها في قلب بن معاوية فكان ما كان بينهم. راجع الإمامة والسياسة 1/ 168. أعلام النساء 1/ 34.

ولا أكمل منها، وكان السمار يتحدثون بحديثها، والمحافل تقطع بذكرها، فطرق ذلك[1] سمع[2] يزيد العنيد بن معاوية، فأحبها على السماع وشغف بها حتى لزم الفراش وعالجته الأطباء وهو لا يزداد إلا ذبولا ونحولا فأهم ذلك أباه وأقلقه ولا يعرف علته، فدخل عليه خادم لأبيه واسمه رفيق وهو الذي رباه، فما زال يتلطف به حتى أبدا له ما عنده، فذهب الخادم وأخبره بخبره فقال معاوية: أرجو إن شاء الله تعالى أن يبلغ/ ما يريد، ثم كتب إلى عبد الله بن سلام أن استخلف في عملك [203/ج] من تختاره واحضر على البريد. وكان أبو هريرة وأبو الدرداء[3] يومئذ عنده رضي الله عنهما، فقال لهما: إن الله تعالى، وله الحمد، حباني بأتم الشرف وأفضل الذكر ووسع علي في رزقي وجعلني راعي خلقه وأمينه في بلاده، والحاكم على عباده ليبلوني أأشكر أم أكفر؟ وأول ما يجب علي النظر فيما يتعلق بي، وعندي ابنة بلغت مبلغ النساء، وأحب نكاحها ما دام لي سلطان فما أدري ما يكون بعدي فما ترون؟ قالوا: أمير المومنين أبصر وأعرف. قال: فما تقولون في عبد الله بن سلام القرشي؟ قالوا[4]: كفء كريم ونسب صميم[5] وحسب عظيم. قال: إذا حضر فاذكرا ذلك له من جهتكما، ولتعلمان أن أمرها بيدها، فلما قدم عبد الله بن سلام أخبراه بذلك فاستطار فرحا وقال لهما: اذهبا واخطباها لي وابذلا لها عني كل ما تختاره وتطلبه. فأخبرا معاوية بذلك. قال لهما: اذهبا إليها فقد اعلمتكما أن أمرها بيدها، فلما دخلا عليها حدثاها. فقالت: نعم ما أشرتما إليه، وإنه الكفء الكريم [الذي لا يرغب

(1) د: بذلك.

(2) أ: بسمع.

(3) هو عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي، أبو الدرداء، صحابي من الحكماء الفرسان القضاة توفي حوالي 32هـ. راجع الاستيعاب 3/ 1226. والأعلام: 5/ 98.

(4) ب: قال. د: قالوا.

(5) أ، هـ: صحيح.

عنه][1]، نسب كريم، وقريب حميم، لكن ما الحيلة فيما ركبه الله تعالى في النساء من الغيرة وعنده أصبح نساء عصرها[2] وأفضلهن وأكملهن ولست أصلح أن أكون خادمة لها، وما دام أبي في سلطانه فهو يرعاني وما آمن ما يكون بعد ذلك، ولولا ذلك لأجبتكما، فذهبا إلى عبد الله وأخبراه بمقالتها فقال: اشهدا عني أن/ أرينب [178/ب] بنت إسحاق طالق ثلاثا، فرجعا إليها وأخبراها فغضبت وقالت: بئس والله ما صنع وليس في هذا موافاة ولا مراعاة لقديم هجرة وسابق صحبة، ومثل هذا لا يؤمن، وسأنظر وأستخير الله تعالى، فلما أخبر عبد الله بذلك قال: إنا لله وإنا إليه راجعون ولا مرد لأمر الله، ولما انقضت عدة أرينب/ وجه معاوية أبا الدرداء إلى [186/د] العراق ليخطبها لابنه يزيد فلما وصل قال: لا أبدأ بشيء قبل الصلاة في الجامع وزيارة الحسن بن علي رضي الله عنه/ فلما دخل الجامع رآى الحسن رضي الله عنه [154/هـ] فقام إليه وسلم عليه وقال: ما الذي أقدمك؟ فأخبره الخبر فقال له: إذا خطبتها ليزيد فاخطبها لي أيضا وابذل لها من المهر ما بذله يزيد، فلما دخل عليها أكرمته ورحبت به وقالت: ما جاء بك يا عم؟ فقال: بعد الحمد لله والصلاة على رسول الله ﷺ: إن الله خلق الأمور بقدرته وكونها بعزته وجعل لكل شيء قدرا، ولكل قدر سببا ولا محيص عما قدره الله تعالى، وقد كان من قدر الله ما علمت/ وهو السابق [204/ج] في علمه وإرادته، ولعل ذلك يضرك ويجعل الله فيه خيرا كثيرا. وقد خطبك أمير هذه الأمة وابن ملكها يزيد بن معاوية ولي عهده والخليفة من بعده، وقد اجتمعت الآن بالحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فخطبك أيضا لنفسه فاختاري من شئت. فقالت: يا عماه! وهذا الأمر إن دهمني وأنت غائب عني لأشخصت الرسل إليك لأتبع رأيك فأمرني/ برأيك وبأمرك فقد فوضت أمري إليك واعتمدت بعد [137/أ] الله تعالى عليك فأشر بأرضاهما إليك، والله تعالى شهيد عليك، فقال لها: يا ابنة

---

(1) ما بين معقوفين ساقط من: د.

(2) أ: عرضها.

أخي، إنما علي إعلامك وعليك الاختيار، أما يزيد فإنه أصلح للدنيا لأنه أمير هذه الأمة، وأما الحسن فإنه أصلح للآخرة، وأحْلف بالله لقد رأيت رسول الله ﷺ واضعا شفتيه على شفتي[الحسن][1] فاجتهدي أن تضعي شفتيك حيث وضع شفتيه ﷺ فقالت: قد اخترتُ الحسن ورضيته فزوجني منه فزوجها الحسن رضي الله عنه ورجع أبوالدرداء وأعلم بذلك معاوية وقال: من يرسل ذَا بَلَهٍ وعمى[2] يركب غير ما يهوى. وأما عبد الله بن سلام فكان معاوية قد جفاه وصرفه[3] عن عمله وقطع[4] عنه صلته فاختل حاله جدا، وكان له عند أرينب وديعة جوهر مودعة عندها، فسار إلى العراق فاجتمع بالحسن رضي الله عنه وشكا له ضيق الحال، وأن له عند أرينب وديعة وهو يخشى أن تجحدها لقبح فعله معها، وقد تشفع بالحسن لأن يأخذها له، فقال له الحسن رضي الله عنه: إن يكن عندها شيء فكن آمنا فإنها لا تنكره، ثم نهض وقال: اتبعني، فلما دخل عليها أخبرها بمقالة عبد الله بن سلام، فقالت: صدق. وها هي بخاتمه مطروحة بالمكان الذي وضعها فيه فأوصلها إليه، فقال الحسن رضي الله عنه: بل هوينظرها وتسلميها له، فقالت: أفعل. فخرج إليه وأدخله فاستخرج وديعته كما هي والحسن رضي الله عنه واقف بالباب. ففتح عبد الله بن سلام الوديعة وحفن منها حفنة ورماها في حجر أرينب فنبذتها وقالت: لا حاجة لي بها. فتعاتبا وتشاكيا/ وتباكيا فدخل عليهما الحسن [179/ب] فاستحييا ومسحا أعينهما وقال: عليكما وعلى رسلكما كما كنتما، ثم قال/ : اللهم [187/د] إنك تعلم أني لم أتزوجها رغبة في مالها ولا في جمالها ولكني قصدت حمايتها من ذلك الفاجر واستحلالها لبعلها وأشهدك اللهم أنها طالق ثلاثا ثم خرج وتركها.

---

(1) زيادة من: ب، ج، د، هـ.
(2) أ: أعمى.
(3) أ: رصده.
(4) هـ: فقطع.

فقالت لعبد الله بن سلام: إن الحسن ساق إلي مهرا ثقيلا فاردده إليه ففعل فقال
[205/ج] الحسن رضي الله عنه: والله لا أخذت منه شيئا وما أرجوه من ثواب/ الله تعالى خير وأبقى. فقال عبد الله: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالاته﴾[1]، فلما انقضت عدتها دخل
[155/هـ] بها عبد الله بن سلام وما زالت عنده حتى فرق الموت بينهما./[2]

قلت: ونقل هذه الحكاية ابن قتيبة في كتاب «الإمامة والسياسة» وهذه الحكاية غريبة وما وقع فيها من فعل السيد الحسن رضي الله عنه فحسن، غير أني أظن أن السيد معاوية رضي الله عنه لا يرتكب مثل ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

حُكي أن محمد بن مغيث[3] خرج على المتوكل فعاث في البلاد وخربها وقطع الطريق وسفك الدماء ونهب الأموال وهتك الحريم وقتل الأطفال وحرق الضياع وكسر الجيوش، فلم يزل المتوكل يعمل عليه الحيلة حتى ظفر به وأحضر إليه، فلما وقف بين يديه أمر بإحضار السيف[4] والنطع ثم قال: ما دعاك إلى المشاقة؟ قال: الشقوة، وأنت ظل الله الممدود في أرضه بينه وبين خلقه، وأنا بين إحدى اثنتين. إما العفو أو القتل، وإن أسبقهما إلى قلبي أولاهما بك[5] وهو[6] العفو وأنا عبدك المخطئ المسيء[7] المذنب ثم أنشأ يقول:

---

(1) الأنعام: 124.

(2) الحكاية وردت في الإمامة والسياسة 1/ 166 وما بعدها.

(3) أظنه أراد محمد بن البعيث بن حلبس الربعي، شاعر خارجي، خرج بأذربيجان على المتوكل، ذكره المسعودي في تاريخه 5/ 40. والحصري في جمع الجواهر: 301. وغرر الخصائص للوطواط: 376 وفيه أنه محمد بن المغيث.

(4) ب، د: السياف.

(5) د: بذلك.

(6) أ: هو.

(7) ساقطة من: ب.

[الطويل]

أبى الناس إلا أنك اليوم قاتلي ... إمام الهدى، والعفوبالحر أجمل
تقاصر ذنبي عند عفوك قلة ... فجد لي بعفومنك فالعفوأفضل
لأنك خير السابقين إلى العلا ... ولا شك خير الفعلتين ستفعل[1]

فقال المتوكل: نعم والله أفعل خيرهما، وقد عفوت عنك ورددتك إلى أهلك بعد أن أصلك وأحسن إليك. قال: ذاك هوالظن بك، ﴿والله أعلم حيث يجعل رسالاته﴾[2].

حُكي أن تميم بن جميل/ تغلب على شاطئ الفرات فما زال المعتصم يحتال عليه [138/أ] حتى ظفر به فأحضره في القيود، فلما رآه خلقا جميلا وسيما تاما كاملا قال: إن كان جمع هذه الخلق حسن الخلق والمنطق، فلقد كمل، فأراد استنطاقه وقد أحضر السيف والنطع وقدم للقتل، فقال له المعتصم: إن كان لك عذر فآت به أوحجة فألحق بها فقال: حيث أذن أمير المومنين فإني أقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين﴾[3] يا أمير المومنين! أجبر الله بك صدع الدين ولمّ بك شعث الأمة، وأخمد بك شهاب الباطل، وأوضح بك منهاج الحق، إن الذنوب تخرص الألسن الفصيحة، وتعمي الأفئدة الصحيحة، وقد عظمت الجريرة[4] وكبر الجرم، وانقطعت الحجة وساء الظن، ولم يبق إلا عفوك أوانتقامك، وأرجوأن يكون أقربهما إلى قلبي

---

(1) الأبيات وردت في الطبري 11/ 35 برواية والعفو بالحر يجبل. ومروج الذهب 5/ 41 برواية بيت زائد وهو الثاني في الترتيب وهو:

وهل أنا إلا جبلة من خطيئة ... وعفوك من نور النبوة يجمل

والكامل لابن الأثير أحداث سنة 234هـ. ولم يرد فيه البيت الثاني. وفي غرر الخصائص: 377.

(2) الأنعام: 125. والحكاية وردت في المراجع السابقة مع اختلاف قليل بين الروايات.

(3) السجدة: 7.

(4) الجريرة: الذنب والجناية يجنيها الرجل. انظر اللسان: جرر.

[188/د][206/ج] وأسرعهما/ إلى ظني وأولاهما بأمانتك وإمامتك/ وأشبههما بأخلاق العفو، فإنه بك أليق وهو إليك أقرب، ثم ارتجل يقول:

[الطويل]

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا ... يلاحظني من حيثما أتلفت
وغالب ظني أنك اليوم قاتلي ... وأي امرئ مما قضى الله يفلت؟
[180/ب] ومن ذا الذي يدلي بعذر[1] وحجة[2] ... وسيف المنايا بين عينيه مُصْلت[3]/
وما جزعي من أن أموت وإنني ... لأعلم أن الموت شيء مؤقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم ... وأكبادهم[4] من حسرة[5] تتفتت
كأني أراهم حين أُنعى إليهم ... وقد لطموا تلك الخدود وصوتوا
فإن عشت عاشوا سالمين بغبطة ... أذود الردى عنهم وإن مت مُوِّتوا
وكم قائل لا يبعد الله داره ... وآخر بي في جانب الحي يشمت[6]

قال: فرفع المعتصم رأسه والدمع يقطر من عينيه وقال: كاد يسبق السيف [156/هـ] العدل، اذهب/ فقد وهبتك لله تعالى ولصبيتك، وعفوت عن زلتك، وأحسن إليه وأمر بإطلاقه وعقد له لواء على شاطئ الفرات[7].

حُكي عن بعض بني أمية وقد كان والي الكوفة مدة طويلة. قال: كان بالكوفة رجل من وجوه أهلها وأرباب النعم بها لا يستريح ساعة من ليل أو نهار ولا تسكن

(1) أ: هـ: بعذري.
(2) هـ: حجتي.
(3) مصلت: مسلول ومشهور. اللسان: صلت.
(4) أ: أكبدهم.
(5) هـ: حصرة. أ، د: حسرتي.
(6) الأبيات وردت كلها في العقد الفريد 2/ 33.
(7) الحكاية وردت في العقد الفريد، نفس الجزء والصفحة.

حركته إلا وهو في طلب حوائج إخوانه وإدخال السرور عليهم والقيام في غيبتهم على دراريهم، وكان، رحمه الله، عفيفا في دينه وأمانته، لين الكلمة للإخوان. فقيل له يوما أخبرنا ماالذي هون عليك النصب وقواك على التعب في حوائج إخوانك وأصدقائك، وما هو الباعث على ذلك؟ فقال: والله، سمعت تغريد الأطيار على الأشجار وتجاوب العود على المزمار، وسمعت فنون الأغاني وأصوات القيان بالألحان، فما طربت لصوت حسن كطربي من لسان يثني على رجل قد أحسن، ومن شكر حر لمنعم. فقيل: لله درك قد حشيت كرما.

حُكي أن محمد بن الجهم[1] عرض داره ليبيعها، فلما اجتمع الناس لشرائها دفع فيها شخص خمسين ألف درهم، فقال محمد بن الجهم: اشترها وطب نفسا وقر عينا. قال: بماذا؟ قال بجوار سعيد بن العاص[2] قال المشتري: وما سيرته؟ قال محمد: سيرته في جيرانه، إن سألت أعطاك، وإن سكت عنه ابتدأك[3] وإن أسأت إليه أحسن إليك، وإن أحسن إليك لا يمن عليك فبلغ قوله سعيد بن العاص فبعث إليه مائة ألف درهم وقال له: أمسك عليك دارك، رحمه الله.

حكى الأصمعي قال: كنت أحب/ رجلا لكرمه فأتيته بعد مدة، فإذا به قد أغلق بابه ولزم بيته فأخذت/ رقعة فكتبت فيها أقول: [207/ج] [139/أ]

[الوافر]

إذا كان الكريم له حجاب   فما فضل الكريم على اللئيم[4]

---

(1) هو محمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي ولد في عهد النبي ﷺ. ذكره ابن سعد في طبقاته 5/ 146 وكذا في الإصابة 3/ 483.

(2) سعيد بن العاص بن أمية الأموي أبو عثمان، صحابي من الأمراء الولاة (59-3هـ)، راجع تهذيب ابن عساكر 6.131 والإصابة 4 2/ 7.

(3) هـ: ابداك.

(4) البيت ورد في العقد في معرض حكاية رجل مع أبي دلف. انظر ج 1/ 69. وثمرات الأوراق: 268.

وأرسلتها إليه ووقفت أنتظر الجواب، فعادت الرقعة إلي وعلى ظهرها مكتوب:

[الوافر]

[189/د] إذا كان الكريم قليل المال/ تستر بالحجاب عن الغريم[1]

قال: ومع الرقعة صرة فيها خمس مائة دينار، فأخذتها ودخلت على المأمون فقال: من أين جئت؟ فقلت من عند أكرم الناس إلا أمير المومنين، ووضعت الصرة والرقعة بين يديه. قال: فتأمل الصرة وقال: هذه الصرة بختم أمير المومنين فأين الرجل الذي دفعها إليك؟ فقلت: الرجل أولاني خيرا. فقال: لا بد منه. فقلت: غير مروع. فقال: غير مروع، فعرفته بمكانه، فبعث إليه فحضر[2] [بين يديه][3] فقال له: ألست الذي وقفت[4] لنا بالأمس وشكيت لنا رقة حالك وكثرة عيالك؟ قال: نعم. وأمرت لك بخمس مائة دينار؟ قال: نعم. قال: فأين هي؟ قال: هي التي بين يديك. قال: ولم دفعتها ببيت من الشعر مع احتياجك إليها؟ قال: استحييت أن أرد قاصدي إلا كما ردني أمير المومنين بالأمس. فقال: لله درك ما أكرم خلقك، وأوفر مروءتك، ثم أمر له بألف دينار فأخذها وانصرف[5].

[181/ب] حُكي أن رجلا/ دخل على سلم بن قتيبة الباهلي[6] فسأله حاجة فوضع قبيعة[7] سيفة على أصبع سلم فأدماها وسلم صابر ولم يرعه ذلك، ولم يقطع عن الرجل

---

(1) البيت ورد أيضا في العقد مع اختلاف رواية الشطر الثاني حيث جاءت كالتالي:
إذا كان الكريم قليل مال ولم يعذر تعلل بالحجاب
وفي ثمرات الأوراق: 268.

(2) أ: فحضرة.

(3) ما بين معقوفين ساقط من: د، هـ.

(4) د: وقف.

(5) الحكاية وردت في ثمرات الأوراق: 268 وما بعدها.

(6) سبق ذكره.

(7) القبيعة: هي التي على رأس قائم السيف. انظر اللسان: قبع.

حديثه، فلما قضى حاجة الرجل وخرج من عنده جعل يمسح الدم بمنديله، فقيل له: لم لا أمرته برفع سيفه؟ فقال: خفت أن يخجل الرجل فينسى شيئا من حاجته.

حكى أبو موسى الفضل عن أبيه قال: سمعت زينب[1] بنت سليمان[2] بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنها تقول: كنت عند الخيزران جارية المهدي وهي أم الرشيد وموسى الهادي قالت: وكانت عادتها معي إذا كنت عندها[3] أن تجلس في عتبة الباب اتجاه الأبواب وأجلس أنا في المجلس الذي يجلس فيه المهدي. قالت: فبينما نحن كذلك إذ دخلت جارية من جواري الخيزران من الحجاب فقالت: إن بالباب امرأة ذات حسن وجمال وخلقة حسنة، وعليها أثر الرئاسة، وهي في غاية من سوء الحال، تستأذن عليك، [4] فسألتها عن اسمها فامتنعت من ذلك. قالت زينب: فأشارت الخيزران إلي وقالت: ما ترين[5]؟ فقلت ائذني لها،/ فلعل يحصل لنا [157/هـ] فائدة أوثواب قالت: فدخلت امرأة أجمل ما يكون من النساء، فوقفت إلى جانب الباب وسلمت، وقالت: أنا مارية بنت مروان بن محمد الأموي[6]. قالت زينب: وكنت متكئة فجلست وقلت: أنت مارية؟ قاتلك الله ولا حياك/ ولا رعاك ولا [208/ج] سلم عليك، والحمد لله الذي أزال النعمة عنك، وهتك سترك، وأهانك بين الناس، أتذكرين يا عدوة الله حين أتاك نساء بني العباس يسألنك أن تكلمي أباك في دفن إبراهيم بن محمد فوثبت عليهن وأسمعتهن أسوء الكلام وأغلظ القول، وخرجن

---

(1) زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أميرة عباسية من ذوات الرأي والفصاحة ماتت حوالي 204هـ. انظر مروج الذهب 4/ 170-172.

(2) ج: سالم.

(3) ج: معها.

(4) أ: عليها.

(5) ب: تريد.

(6) لعلها مزينة بنت مروان بن محمد الأموي من فواضل نساء عصرها. انظر مروج الذهب 4/ 170 وفيه أنها مزنة امرأة مروان بن محمد. وأعلام النساء 5/ 50.

من عندك على الحالة التي علمت بها؟ قالت زينب: فلما سمعت كلامي ضحكت، فوالله ما أنسى حسن ثغرها وعلو صوتها بالقهقهة وقولها: أي بنية عمي! أي شيء أعجبك من صنع الله تعالى بي حتى أردت أن تتأسي بي، والله لقد فعلت بنساء أهلك ما قد ذكرت، ولكن حقا على الله إذا سلمني إليك ذليلة جائعة عريانة شعثة خاضعة، فكان هذا شكرك لله تعالى على ما/ أولاك في، ثم قالت: سلام عليكم [190/د] وولت ذاهبة. قالت زينب: فالتفت إلى الخيزران، فإذا هي تبكي، ونادت عليها الخيزران إن أنت دخلت بإذني فلا تخرجي إلا بإذني، وصاحت على حجابها ردوها فرجعت وهي تقول: والله ما ساقني إلا الضرورة والجهد وسوء الحال الذي أنا عليه. فقالت الخيزران لجواريها: عليكم بالحمام سرعة، فذهبوا[1] بها إلى الحمام ودخلت لخدمتها فلم تبرح من الحمام حتى أرسلت إليها الخلع/ المذهبة والطيب، [140/أ] ثم رجعت إلى الخيزران فقامت إليها وأجلستها مكانها، وقدمت إليها الموائد. قالت زينب: فجعلت تأكل وتلقمها، ثم قالت لها: هل من ورائك من أحد؟ فقالت ما لي أحد. قالت زينب: ثم هيأت لها أحسن المقاصير وأوسعها، وحولت إليها جميع ما تحتاج إليه من الفرش والكسوة والحرير، ومن الحلي والرقيق، وقالت: إن هذه المرأة قد مسها من الكسر ما لا يزيد عليه ولا ينعشها إلا المال، فحملت إليها خمس بدر[2] من المال، ودخل المهدي في آخر الأمر فقال: فيم أنتن؟ فأخبرته زينب وأعلمته بما جرى[3]، وما قالت لها، وما فعلت الخيزران، فغضب ثم رضي بفعل الخيزران وأمر خادما له أن يبلغها السلام، وقال له: قل لها إني ما سررت بشيء منذ دهري كسروري اليوم بمقامك عندي، فلا تدعي في نفسك حاجة إلا ذكرتها لي، ولولا أني أحشمك[4] لسرت إليك مسلما ولحقك قاضيا، فأخبرها الخادم فجاءت

---

(1) هكذا في جميع النسخ، ولعله أراد: فذهبن إذ هو الصواب.

(2) بدر: جمع بدرة وهي كيس من المال يتخذ من جلد السخلة التي كفت عن الرضاعة. اللسان: بدر.

(3) ب، ج، د، هـ: بجميع ما جرى.

(4) أ، ج، هـ: أجسمك.

وسلمت على المهدي وقالت: ما علي [من][1] أمير المومنين تحشم/ وحشمة فإنني [182/ب] من بعض خدمك صرت يا أمير المومنين، فقال: والله بل ابنة عمي وأعز علي من ولدي. ولم تزل مقيمة عند المهدي مكرمة وهويعودها ويصلها إلى أن ماتت عنده، رحم الله المهدي[2].

حُكي أن المنصور لما حج، بلغه أن محمد بن هشام بن عبد الملك حج في تلك السنة متنكرا مختفيا منه، فقال لحاجبه/ الربيع: إذا كان يوم الجمعة وصليت [209/ج] بالناس، وحصل الناس في الحرام أغلق الأبواب كلها، ووكل بكل باب جماعة من الثقات، وافتح بابا واحدا وقف عليه ولا يخرج أحد حتى تعرفه، فإن محمد بن هشام يكون في المسجد الحرام بلا شك، فاقبض عليه وائتني به إذا ظفرت به. قال الراوي: فلما كان يوم الجمعة وخرج الناس من الصلاة فعل الربيع ما أمره به المنصور، وكان محمد هناك وعرف أنه المطلوب والمأخوذ والمقتول فتحير وارتاب واضطرب، فبينما هو كذلك إذ أقبل محمد بن زيد بن علي[3] بن أبي طالب، رضي الله عنه، فرآه متحيرا مرتابا وكان لا يعرفه، فعرفه بما رأى منه، فتقدم إليه وقال له: يا هذا! مالك؟ فقال: أنا محمد بن هشام فمن أنت؟ قال: أنا محمد بن زيد بن علي بن أبي طالب، فزاد خوفه وطار/ عقله وتحقق الموت أنه لا شك فيه، فقال له: لا [158/هـ] تجزع ولا تخف وأنا أجتهد في خلاصك لله ولرسوله ﷺ، وتمكني في أن أفعل فيك ما أريد من شتمك وامتهانك حتى أتوصل إلى خلاصك، فقال له: افعل ما شئت، فطرح/ رداءه على وجهه وغطى رأسه وجذبه إلى أن قرب من الربيع حاجب [191/د] المنصور وهوعلى الباب، فلما وقعت عين الربيع عليهما لطمه محمد بن زيد في رأسه لطمات وجاء به إلى الربيع وقال: يا أبا الفضل! إن هذا الخبيث جمال من الكوفة أكراني جماله ودفعت له الكراء وهرب مني وأكرى جماله لبعض أهل خراسان ولي

(1) زيادة من: ج، د.

(2) الحكاية وردت في مروج الذهب 5/ 170-172 وأعلام النساء 5/ 50-52.

(3) محمد بن زيد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ذكره أبو الفرج في مقاتل الطالبيين: 387.

عليه شهود وأريد منك أن ترسل معي من يوصلنا إلى القاضي ويمسك جماله عن الذهاب مع الخراساني، فوكل به الربيع اثنين وقال لهما: لا تفارقاه حتى توصلاه إلى القاضي، ومحمد قابض على الرداء وقد ستر به وجهه، فخرجوا جميعا من المسجد، فلما بعدوا من الربيع قال محمد بن زيد لمحمد بن هشام اذهب لحال سبيلك، فقبل رأسه وقال: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالاته﴾[1] ثم أهدى إليه جوهرا ثمينا كان معه لا قيمة له، فامتنع محمد بن زيد بن علي من قبوله وقال: إنا أهل بيت لا نقبل على اصطناع المعروف شيئا، اذهب واحترز على نفسك فإن هذا الرجل يحث في طلبك، يعني المنصور، فاحترز منه.

حُكي أن المأمون قال يوما للقاضي يحيى بن أكثم[2]: قم بنا نخرج إلى الرقة. قال يحيى: فخرجنا، فلما صرنا بالصحراء قام[3] إليه رجل وفي يده قصبة[4] [عليها قصة][5] مكتوبة يشكو فيها مظلمة، وهو يصيح، قال: فنفرت دابة المأمون فسقط إلى الأرض/ فآلى ليقتلنه، وحلف بالله. قال يحيى: فقلت [له][6]: إن المضطر يركب الصعب من الأمور والضرورة تلجئه/ الى أشدها وقال الشاعر: [141/أ] [210/ج]

[الطويل]

إذا لم يكن إلا على الشر مركب   فلا تعتب المضطر عند ركوبها

فاعف عنه يا أمير المومنين. قال: حلفت لأفعلن. قال: فقلت له: لإن تلقى الله تعالى حانثا خير من أن تلقاه قاتلا. فقال المأمون: «المرء بأصغريه»[7] فعفا عنه،

(1) الأنعام: 125.

(2) سبق ذكره.

(3) ج: قال.

(4) أ: قصة.

(5) ما بين معقوفين ساقط من: د.

(6) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(7) المرء بأصغريه: من أمثال العرب، ويعني بقلبه ولسانه، أي أن المرء يعلو الأمور بجنانه ولسانه. اللسان: صغر.

قال: وأخذ قصته وقال: لا أكتب عليها إلا وأنا قائم. قال: فوقع له فرد مظلمته، ثم ركب رحمه الله.

حُكي أن يحيى بن خالد[1]، لما أحس بالتغير من الرشيد/ أحب جمع المال، وقد [183/ب] كثر أولاده وهو يحب أن يجدد لهم الضياع والعقار والأموال وقد كثرت عليهم الحسدة، فقال له الصديق: أشير عليك أن تنظر ما في أيدي البرامكة من عقار وضياع وأموال، فتجعل ذلك لأولاد الرشيد، فإن فعلت ذلك ازددت عنده منزلة وأحبك، فقال يحيى: والله لا أفعل ذلك، ولإن تزول النعمة عني أحب إلي من أن أزيلها عن غيري، فكان ما كان من أمرهم والسلام.

حُكي أنه مشى رجل في ركاب يحيى بن خالد بن برمك يطلب منه حاجة فقال له: يا هذا! إن حاجتك قد قضيت فارجع، فوالله ما وقع غبار موكبي[2] على لحية رجل إلا وجب علي حقه لا أقدر أن أكافيه عليه ولو أعطيته ملء الأرض ذهبا.

حُكي عن عتبة بن أبي شيبة[3] أنه قال: زينني أبي وأرسلني إلى عمي عتبة أخطب ابنته، فلما أتيته أقعدني في حجره وقال: مرحبا بأقرب قريب خطب، وأحب[4] حبيب ورد فطلب، لا أستطيع له ردا ولا أجد من إجابته بدا، يا بني! قد زوجتها بك[5] وأنت أعز علي/ منها وقلبي أعلق بها[6] منك، فأكرمها يَعْذُب [192/د] ذكرك على لساني ولا تهنها فيصغر مقدارك عندي، وقد قربتك على قرابتك فلا تبعد قلبي من صلتك[7].

---

(1) يحيى بن خالد البرمكي، سبق ذكره.

(2) هـ: مركب.

(3) هو عتبة بن أبي سفيان وهو صخر بن حرب بن أمية (ت 44هـ). راجع النجوم الزاهرة 1/ 122.

(4) د: رحب.

(5) ب، د: منك.

(6) ساقطة من: منك.

(7) الحكاية وردت في لباب الآداب: 344.

حُكي أنه قيل للأحنف بن قيس[1]: ممن تعلمت الحلم؟ فقال: من قيس بن عاصم المنقري[2]، رأيته يوما قاعدا بفناء داره يحدث قومه إذ أوتي برجل مكتوف وآخر قتيل، فقيل له: هذا أخوك قتل ابنك قال: فوالله ما قطع كلامه حتى فرغ، ثم التفت إلى أخيه وقال: عصيت ربك ورميت نفسك بسهمك وقتلت ابن أخيك، ثم قال لأخ المقتول: يا بني! قم فادفن أخاك واطلق عمك وسق إلى أمك مائة ناقة [159/هـ] دية ابنها/ فإنها عندكم غريبة ثم أنشأ يقول:

[البسيط]

[211/ج] أقول للنفس تأساء وتعزية ... إحدى يداي أصابتني ولم أرد/
كلاهما خلف من فقد صاحبه ... هذا أخي أدعوه وذا ولدي[3]

ويقال أيضا إنه جلس على مائدة في داره يأكل منها ومعه ولد له صغير فجاءت الجارية بسفود عليه شواء حار فسقط السفود من يدها على الولد الصغير فلم يخطئه، فمات لوقته. قال: فدهشت الجارية فقال لها: أنت حرة لوجه الله تعالى[4].

حُكي أنه كانت لعبد الله بن الزبير[5] أرض مجاورة لأرض معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وكان فيهما عبيد لهما لأجل عمارتها، فدخل عبيد معاوية إلى أرض عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، وعاثوا فيها فكتب إليه يقول: أما بعد: يا معاوية! فإن عبيدك عاثوا في أرضي فمرهم بالكف عنها وإلا كان لي ولك شأن، فلما وقف

(1) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المري، أبو بحر، سيد تميم وأحد الشجعان الفاتحين. (ت نحو72هـ)، راجع تهذيب ابن عساكر 7/ 10. الوفيات 2/ 499 وتاريخ الخميس: 309.

(2) قيس بن عاصم بن سنان المنقري، أبو علي، أحد الأمراء الموصوفين بالحلم (ت نحو20هـ)،، راجع الإصابة 3/ 253، إمتاع الأسماع: 1/ 434، خزانة البغدادي 3/ 428.

(3) البيتان وردا في عيون الأخبار 1/ 286. وتحفة الأريب ونزهة اللبيب: 16.

(4) الحكاية وردت في عيون الأخبار 1/ 286 والإصابة 3/ 253. وتحفة الأريب ونزهة اللبيب: 16، والقول ورد في المستطرف 1/ 117، وغرر الخصائص:282.

(5) عبد الله بن الزبير بن العوام، القرشي الأسدي، أبو بكر، فارس قريش في زمانه (1-73هـ)، راجع حلية الأولياء: 1/ 329. فوات الوفيات 2/ 171. تاريخ الخميس 2/ 301.

معاوية على كتاب ابن الزبير دفعه إلى يزيد وقال له: ما تقول وما ترى؟ قال: أرى أن تبعث إليه جيشا أوله عنده وآخره عندك، يأتونك برأسه. فقال له: عندي خير من ذلك، ثم كتب إليه: وقفت على كتاب ابن حواري رسول الله ﷺ وساءني ما ساءه والدنيا وما فيها هينة[1] عندي في جنب رضاه وقد كتبت على نفسي مسطورا أشهدت[2] الله تعالى وجماعة من المسلمين أن الارض والعبيد التي فيها ملك ابن حواري رسول الله ﷺ دوني، فيضم الأرض إلى أرضه والعبيد إلى عبيده والسلام. فلما قرأها[3] عبد الله بن الزبير/ رضي الله عنه، كتب إليه: وقفت على كتاب أمير [142/أ] المومنين لا أعدمني الله بقاءه ولا أعدمه هذا الرأي الذي أحله من قريش هذا المحل والسلام، فلما وقف معاوية على الكتاب دفعه إلى يزيد، فلما قرأه تهلل وجهه فرحا. فقال له معاوية: إذا ابتليت بهذا الداء فداويه[4] بهذا الدواء، وإني لا أرى في الحلم إلا خيرا[5].

حُكي أنه خرج على سليمان بن عبد الملك بن مروان[6]/ رجل فظفر به وعفا عنه، [184/ب] ثم خرج مرة أخرى فظفر به وعفا عنه، ثم خرج مرة ثالثة فظفر به وعفا عنه، ثم خرج عنه مرة رابعة فظفر به وأمر بضرب عنقه، فقال له: الله، الله في دمي، فقال له سليمان: قد عفوت عنك ثم عفوت عنك ثم عفوت عنك/ ثم أمرت بضرب عنقك، فقال [193/د] له: أليس الله تعالى قد أظفرك بي ثم أظفرك، ثم أظفرك. قال: فقال: نعم. فقال: هذا بذاك، فخلى سبيله.

---

(1) ب: هينة.

(2) أ: أشهد.

(3) د: قرأ.

(4) ب: فداووه.

(5) الحكاية وردت في ثمرات الأوراق: 307-308.

(6) سبق ذكره.

حُكي في كتاب الثواب[1]، عن نافع أن ابن عمر رضي الله عنه كان مريضا فاشتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة فلم توجد حتى وجدت له بعد كذا وكذا، يعني يوما، فاشتريت بدرهم ونصف، فشويت وحملت إليه على رغيف، فقام سائل بالباب فقال/ للغلام: لفها برغيفها وادفعها إليه. فقال له الغلام: أصلحك الله، اشتهيتها بعد كذا وكذا يوما فلم نجدها فلما وجدناها واشتريناها أمرت بدفعها إليه، يعني السائل، نحن نعطيه عنها شيئا، فقال: ادفعها إليه فقال الغلام للسائل: هل لك أن تأخذ درهما وتدع هذه السمكة؟ فأخذ منه درهما وردها، فعاد الغلام إليه وقال: دفعت له درهما ورددتها، فقال: ادفعها إليه ولا تأخذ [منه][2] شيئا، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له»[3]. [212/ج]

حكي صاحب زهر [الآداب][4] عن[5] بهرام جور[6] أنه خرج يوما يتصيد فعن له حمار وحش فأتبعه حتى صرعه وقد انقطع عن أصحابه فنزل[7] عن فرسه يريد ذبحه، وإذا براع قد أقبل فقال له: أمسك علي[8] فرسي وتشاغل بذبح حمار الوحش، وحانت منه التفاتة فرأى الراعي يقلع جواهر عذار[9] فرسه، فحول

---

(1) كتاب الثواب في الحديث لأبي محمد بن عبد الله بن محمد بن جعفر المتوفى سنة 369هـ. انظر كشف الظنون 2/ 1407.

(2) زيادة من: ج، د، هـ.

(3) لم أقف عليه.

(4) أ: الأدب.

(5) أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم المعروف بالحصري القيرواني توفي سنة 413هـ. انظر الوفيات 1/ 54. ومقدمة زهر الآداب 1/ 4.

(6) هو بهرام جور بن يزد جرد، ملك من ملوك بني ساسان، ذوشأن في أخبار العرب لأنه قضى حداثته بالحيرة. انظر الطبري 2/ 74-80، والبدء والتاريخ.

(7) هـ: ونزل.

(8) أ: عن.

(9) العذار: ما سال من اللجام على خد الفرس، وعذار اللجام ما وقع منه على خدي الدابة. اللسان: عذر.

بهرام جور وجهه عنه، وقال: تأمل العيب عيب، وعقوبة من لا يستطيع الدفاع عن نفسه سفه، والعفومن أفعال الملوك، وسرعة العقوبة من أفعال العامة، فلما رجع إلى العسكر قال له الوزير: إني أرى جواهر عذار فرسك مقلعة فتبسم وقال: أخذها/ من لا يردها ورآه من لا ينام عليه، فمن وجد منكم صاحبنا فلا يكلمه[1]. [160/هـ]

حُكي أن الصاحب بن عباد[2] جلس يوما في مجلس أنس فناوله الساقي كأسا فلما أراد أن يشربها قال له بعض خدمه: يا سيدي! إن هذه الكأس التي في يدك مسمومة فقال له: وما الدليل على صحة ذلك؟ قال: التجربة في الساقي. فقال الصاحب: ويحك! لا أستحل ذلك، قال: التجربة في دجاجة، قال: إن التمثيل بالحيوان لا يجوز ثم أمر بصب ما في الكأس، وقال للساقي: لا تدخل داري بعدها.

حُكي أن زياد الأعجم[3] وفد على [المهلب][4] فأكرمه وأنزله على ابنه حبيب[5]، فجلسا يوما في بستان فغنت حمامة على فنن فطرب لها زياد. فقال له حبيب: إنها فاقدة إلف كان معها، فقال زياد ذلك أشد لشوقها ثم أنشدها يقول:

[الوافر]

تغني أنت في ذممي[6] وعهدي ... وذمة والدي ألا تضاري
فإنك [كلما][7] غنيت صوتا ... ذكرت أحبتي وذكرت داري

(1) الحكاية وردت في زهر الآداب 1/ 572 السكردان: 387.

(2) سبق ذكره.

(3) سبق ذكره.

(4) سبق ذكره.

(5) هو حبيب بن المهلب بن أبي صفرة أحد شجعان العرب(ت نحو102هـ)، راجع تهذيب 5/ 95 والنجوم الزاهرة 1/ 213. وذكر في العقد الفريد: 1/ 152.

(6) أ، ب: ذمامي.

(7) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

فإما يقتلوك[1] أخذت [2] ثأرا فإنك يا حمامة في جواري[3]

فضحك حبيب ثم قال: يا غلام! هلم القوس، فرماها فوقعت ميتة فنهض زياد مغضبا وقال/: أحقرت يا أبا بسطام ذمتي وقتلت جاري؟ وشكاه إلى [194/د] المهلب/ فغضب على ابنه وقال له: أما علمت أن جار أبي لبابة جاري، وذمته ذمتي [213/ج] والله لألزمنك له إلا دية الحر، وأخذ له من ماله ألف دينار، فقال فيه زياد من أبيات فيها القصة:

[الطويل]

[143/أ] فلله عينا من رآى كقضية قضى لي بها شيخ العراق المهلب/
[185/ب] قضى ألف دينار لجار أجرته من الطير إذ يبكي شجاه ويندب[4]/

حُكي أن مروان بن محمد الجعدي[5] لما قتل ببصير[6]، من أعمال صعيد مصر، طلب عبد الحميد بن يحيى[7] كاتبه، وكان صديقا لابن المقفع[8] ففاجأه الطلب وهما ببيت بالأشمونين[9] فقال الذين دخلوا عليهما: أيكما عبد الحميد؟ فقال كل

(1) أ: تقتلك.

(2) أ: أحد.

(3) الأبيات وردت في غرر الخصائص: 24 برواية بيت زائد، جاء هو الثاني في الترتيب وهو:
وعشك أصلحيه ولا تخافي على زغب مصغرة صغار

(4) البيتان وردا في غرر الخصائص: 24. والحكاية أيضا وردت في المرجع السابق.

(5) مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموي، أبو عبد الملك ويعرف بالجعدي وبالحمار. (72-132هـ)، راجع تاريخ المسعودي 4/ 76 وما بعدها. والكامل لابن الأثير: 424-429. وغرر الخصائص: 31-32. والنجوم الزاهرة 1/ 196.

(6) بوصير: اسم لاربع قرى بمصر، وهذه تسمى بوصير قوريدس وبها قتل مروان بن محمد. انظر مراصد الاطلاع 1/ 230.

(7) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري بالولاء المعروف بالكاتب، من أئمة الكتاب (ت 132هـ)، راجع الوفيات 3/ 228.

(8) هو عبدالله بن المقفع، من أئمة الكتاب (106-142هـ)، راجع أمراء البيان ولسان الميزان 3/ 366.

(9) هي أشمون والمصريون يقولون: الأشموني، وهي مدينة قديمة بأدنى الصعيد غربي النيل راجع مراصد الاطلاع 1/ 84.

منهما: أنا، خوفا على الآخر أن يناله مكروه وخشي عبد الحميد أن يسرعوا لابن المقفع بمكروه فقال لهم: تثبتوا فإن في عبد الحميد علامات يعرف بها فارسلوا إلى مرسلكم من يستوضحها منه فأيا وجدتموه عبد الحميد فخذوه، ففعلوا فوصف لهم عبد الحميد بعلامات لم يشتمل عليها ذاك[1]، فأخذ وحمل إلى السفاح فولى عقوبته عبد الجبار[2] فلله در عبد الحميد[3]، ما أصدق صداقته، وهذا ومثله أعز من الكبريت الأحمر، رحمه الله.

حكى صاحب المستجاد[4] قال: لما أحرق جامع مصر ظن المسلمون أن النصارى[5] أحرقوه فأحرق المسلمون لهم خانا فقبض السلطان على جماعة ممن أحرق الخان وكتب رقاعا فيها القطع والجلد والقتل ونثرها[6] عليهم فمن وقعت في يده رقعة عمل به بما فيها، فوقعت في يد رجل رقعة فيها القتل فبكى وقال: لولا أمّ لي ما بكيت ولا بالقتل باليت، وكان إلى جانبه شاب فقال له: إن في رقعتي الجلد ولا أم لي فخذ هذه وادفع إلي تلك فأبى عليه، فأقسم الشاب أن لا بد، ففعل، فجلد ذاك وقتل هذا رحمه الله[7]، وفي هذا المعنى يقول مسلم بن الوليد[8] الشاعر المشهور:

---

(1) ب: ذلك.

(2) عبد الجبار بن عبد الرحمن صاحب شرطة السفاح، وولاه المنصور على خراسان سنة 140هـ ثم تغير عنه فعذبه وقتله سنة 142هـ. راجع الكامل لابن الأثير 5/ 505، والأعلام 3/ 274-275.

(3) أ: المجيد.

(4) المستجاد من فعلات الأجواد للشيخ الإمام محسن بن أبي القاسم علي بن محمد التنوخي فقيه أديب وشاعر، توفي سنة 384هـ.، انظر ترجمته في تاريخ بغداد 13/ 155. ومعجم الأدباء 18/ 92 والوفيات 4/ 159. المنتظم 7/ 178 وكشف الظنون 2/ 1671.

(5) هـ: النصري.

(6) د: ونشرها.

(7) الحكاية وردت بالرواية نفسها في غرر الخصائص: 27-28. والمستطرف 1/ 267.

(8) مسلم بن الوليد الأنصاري بالولاء: أبوالوليد، المعروف بصريع الغواني، شاعر غزل، راجع معجم الشعراء: 372 وتاريخ بغداد 18/ 96. والنجوم الزاهرة2/ 86

يجود بالنفس إن ضن الجود بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود[1]

وقال أبو نواس يمدح الأمين بن الرشيد بحسن الوفاء:

علقت بحبل من حبال محمد أمنت به من طارق الحدثان
تغطيت من دهري بفضل جناحه فعيني ترى دهري وليس يراني
فلو تسأل الأيام عني لما درت وأين مكاني ماعرفت مكاني[2]

[214/ج] حُكي أن السموأل بن عاديا[3] اليهودي صاحب القصر المسمى/ بالأبلق[4] الفرد، نزل عليه امرؤ القيس وقد قصد الشام فأودع السموأل أدراعه وكراعه[5]، [261/هـ] فمات امرؤ القيس بمدينة أنقرة[6] فقصد السموأل/ بعض ملوك غسان وهو [195/د] الحارث بن أبي شمر[7] الغساني وطلب منه ما كان أودعه امرؤ/ القيس عنده، فأبى أن يسلمه إليه، وكان الملك قد ظفر بابن السموأل عند نزوله بالقصر فقال له: إن لم تسلمه ذبحت ولدك. فقال السموأل: أمهلني الليلة ثم جمع أهله واستشارهم فكل أشار عليه بتسليم ما طلب منه، فلما أصبح قال: ليس لدفعها من سبيل فافعل ما بدا لك قال[8]: فذبح الملك ولده ورحل عنه[9]، ثم إن السموأل وافى الموسم بها

(1) البيت ورد في غرر الخصائص: 28، ولم يرد في الديوان.

(2) الأبيات غير واردة في الديوان. ووردت في زهر الآداب 2/ 1088. وغرر الخصائص: 28.

(3) هو السموأل بن عريض بن عاديا، صاحب الحصن المشهور بالأبلق الفرد. انظر ترجمته في الأغاني 22/ 117. وشرح الشواهد: 180. والتبريزي 1/ 55. وغرر الخصائص: 29.

(4) الأبلق: سمي بذلك لأن في بنائه بياض وحمرة، وهو حصن مشرف على تيماء بين الحجاز والشام، وهو خراب. انظر مراصد الاطلاع 1/ 18.

(5) الكراع: السلاح، وقيل يجمع الخيل والسلاح. اللسان: كرع.

(6) أنقرة: بالفتح ثم السكون وكسر القاف: اسم لمدينة من الروم انظر مراصد الاطلاع 1/ 126.

(7) هو الحارث بن أبي شمر الغساني، من أمراء غسان، أدرك الإسلام ومات عام فتح مكة راجع تاريخ الخميس 2/ 39.

(8) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(9) أ، ب: عنهم.

كان عنده من الأدراع والأكراع فدفعها لورثة امرئ القيس وفيه يقول الأعشى يخاطب ولده شريح من أبيات:

[البسيط]

كن كالسموأل إذ حاط الهمام به	في جحفل لجب كالليل جرار
بالأبلق الفرد من تيماء منزله	حصن حصين وجار غير غدار
فقال: ثكل وغدر أنت بينهما	فاختر وما فيهما حظ لمختار[1]
فشك غير طويل ثم قال له	اقتل أسيرك إني مانع جاري[2]/ [186/ب]

حكى بعضهم أن الكندي[3] حدث في كتابه أخبار الأمراء بمصر قال: لما ولي المطلب بن عبد الله[4] إمارة مصر من قبل المأمون، خوف من إبراهيم الطائي[5] فطلبه فهرب منه، وكان هبيرة بن هشام[6] صاحب/ شرطته يعرف المكان الذي [144/أ] اختفى فيه، وكانت ودائعه عنده، فسعي بهبيرة إلى المطلب فأحضره وقال: ادفع إلى ما أودعه عندك إبراهيم، وإن لم تدفع إلى ذلك أخذت الذي فيه عيناك، فأوجعه ضربا وهويزيد في الإنكار، فلما طال على المطلب جحوده وخاف عليه من التلف تركه فلما سكن عن إبراهيم الطلب أرسل إليه هبيرة ما له مع التجار وفيه يقول

---

(1) الثكل: الموت والهلاك، والثُّكْل والثَّكَل بالتحريك. فقدان الحبيب. اللسان: ثكل.

(2) الأبيات وردت في الديوان: 179، وهي متفرقة في قصيدة مطلعها: شريح لا تتركي بعد ما علقت حبالك اليوم بعد القد أظفاري.

(3) محمد بن يوسف بن يعقوب من بني كندة، مؤرخ من أعلم الناس بتاريخ مصر (283-355هـ)، راجع بغية الملتمس: 131 وجذوة المقتبس: 90. ومقدمة ولاة مصر.

(4) المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي، والي مصر للمأمون العباسي سنة 198 هـ توفي حوالي 200هـ.انظر ولاة مصر: 178 والنجوم الزاهرة 2/ 157.

(5) هو إبراهيم بن نافع الطائي. انظر ولاة مصر: 178.

(6) هو هبيرة بن هاشم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية، من النبلاء في صدر العصر العباسي (ت: 200هـ)،، راجع ولاة مصر: 175، 178. والنجوم الزاهرة 2/ 154.

سعيد بن حفير[1]:

[الطويل]

لعمري لقد أوفى وزاد وفاؤه هبيرة في الطائي وفاء السموأل
وفاه المنايا إذ اتته بنفسه وقد برقت[2] في عارض متهلل[3]

حكى الشعبي[4] قال: ركب زيد بن ثابت[5] فدنا منه عبد الله بن عباس رضي الله فأخذ بركابه فقال: لا تفعل. [فقال:][6] هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا، ثم قبل زيد بن ثابت يد بن عباس وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا محمد ﷺ[7].

[215/ج] حُكي أنه كان للمأمون/ خادم[8] يسرق طيبا منه، فقال له يوما: إذا سرقت شيئا فاتني به أشتريه منك. فقال: أتشتري مني هذه؟ وأشار إلى التي بين يديه، فقال له: بكم؟ فقال: هي بدينارين فقال: على ألا تسرقها قال: نعم. فأعطاه ذلك، ولم يعد الخادم بعد ذلك يسرق شيئا لما رأى من حلمه عليه.

---

(1) في ولاة مصر للكندي: 178 هو سعيد بن عفير، وأظنه أراد سعيد بن كثير بن عفير بن مسلم المصري فقيه نساب شاعر، تولي قضاء مصر، وتوفي حوالي 226هـ. انظر النجوم الزاهرة 2/ 227. وشذرات الذهب 2/ 58. وفي غرر الخصائص: 30، هو سعيد بن عنين. ولم أجد فيها وصل إليه بحثي من اسمه سعيد بن عنين.

(2) أ، ب: بارقت.

(3) العارض: السحاب المعترض في الأفق. اللسان: عرض. والبيتان وردا في ولاة مصر: 178. وغرر الخصائص: 30 مع اختلاف قليل بين الروايات.

(4) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، أبو عمير، راوية من التابعين (19-103هـ)، راجع تهذيب ابن عساكر 7/ 138. وحلية الأولياء 4/ 310 تاريخ بغداد 12/ 227. والوفيات 3/ 12. وتهذيب التهذيب 5/ 65.

(5) سبق ذكره.

(6) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(7) الحكاية وردت في صفة الصفوة 1/ 294 والإصابة 1/ 561.

(8) أ: خادما.

حُكي عن المنصور أنه قال: حججت سنة إحدى وأربعين ومائة، وأنا خليفة، لنذر لزمني. قال: فانفردت عن الناس وإذا برجل أعمى أعرفه كان يتردد لمروان بن محمد[1] قال: فسلمت عليه وأخذت بيده، فقال: من أنت؟ فقلت: رفيقك إلى الشام، وأنت تريد مروان بن محمد؟ فرد علي السلام وأنشد يقول[2]:/ [196/د]

[الكامل]

أمست نساء بني أمية منهم ... وبناتهم بمضيعة أيتام

خلت المنابر والأسرة منهم ... فعليهم حتى الممات سلام[3]

قال: فقلت له والغضب مسبول علي: كم أعطاك مروان؟ قال: أغناني حتى لا أسأل بعده أحدا، ملكني الجواري والغلمان والمال، قال: فقلت: وأين ذلك؟ قال: بالبصرة، قال المنصور: فلولا حق الصحبة منعني منه لهممت به، ثم قلت له: أتعرفني؟ قال: ما أثبتك معرفة ولا أنكرك من سوء. قال: فقلت: أنا المنصور، فسقط في يده ووقعت عليه الرعدة ثم قال: أقلني فقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، قال: فأقلته وانصرفت. وسيأتي ذكره بأبسط من هذا[4].

حُكي أن عقبة الأسدي[5] قدم على معاوية بن أبي سفيان فدفع إليه رقعة فإذا فيها[6] هذه الأبيات:

---

(1) سبق ذكره

(2) ساقطة من: ج.

(3) البيتان للسائب بن فروخ الضرير في رثائه لبني أمية عند انقضاء دولتهم. وردا في مروج الذهب 4/ 129-130، ومعجم الأدباء 10/ 180، ونكت الهميان: 155 برواية مختلفة.

(4) الحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 129-130.

(5) هوعقبة بن هبيرة، الأسدي شاعر جاهلي اسلامي (ت نحو: 5هـ)، راجع خزانة الأدب للبغدادي 1/ 343 سمط اللآلي: 149.

(6) هـ: فيه.

[الوافر]

[162/هـ] معاوي إننا[1] بشر فاسجح[2] فلسنا بالجبال ولا الحديد/
أكلتم أرضنا وظلمتمونا فهل من قائم أومن حصيد
أتطمع في الخلود إذا هلكنا فليس لنا ولا لك من خلود
[187/ب] فإنا[3] أمة هلكت ضياعا يزيد أميرها وأبو يزيد[4]/

فقال له: ما حملك على ذلك؟ فقال: [نصحتك][5] إذ غشوك. فقال: أظنك صادقا وقضى حاجته[6].

حُكي أنه دخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فأسمعه ما يكره فقال له عمر: لا عليك. أردت أن يستفزني الشيطان فأنال منك ما تقتصه مني غدا، انصرف حيث شئت فولى الرجل وهويقول:

[البسيط]

لن يبلغ المجد أقوام وإن كرموا حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام
ويشتموا فترى الألوان كاسفة لا ذل عجز ولكن ذل أحلام[7]

[216/ج] قال محمد بن عبد العزيز[8] خرجت مع الهادي فاستنشدني فأنشدته/ أبيات ابن [145/أ] صرمة الأنصاري[9] وهي:/

(1) أ، ب: فإنني.
(2) أسجح: من الإسجاح وهو حسن العفو. اللسان: سجح.
(3) أ: فإني.
(4) الأبيات وردت في العقد الفريد 1/ 50 مع اختلاف بسيط بين الروايتين.
(5) زيادة من: ب، د.
(6) الحكاية وردت في العقد الفريد 1/ 50.
(7) البيتان وردا في العقد 2/ 139.
(8) محمد بن يزيد بن عمرة بن عبد العزيز، راجع العقد 1/ 191.
(9) ذكره صاحب العقد بهذا الإسم.

أوصيكم بالله أول وهلة ... وأحسابكم، والبر والله أول
وإن قومكم سادوا فلا تحسدونهم ... وإن كنتم أهل السيادة فاعدلوا
وإن أنتم أعوزتم فتعففوا ... وإن كان فضل المال فيكم فافضلوا[1]

قال: فأمر لي بعشرين ألف درهم[2]

حُكي أن بعض الفضلاء[3] كان ملك كتاب الجمهرة لابن دريد وكان ضنينا به، قال: فقعد به الزمان ولزمته مئونة عياله فباعه، فاشتراه وكيل الشريف الرضي ثم جاء به إليه فأخذه الشريف وتصفحه فرأى عليه بخط بائعه:

[الطويل]

أنست به عشرين عاما وبعته ... فطال بكائي بعده وحنيني
وما كان ظني أنني سأبيعه ... ولو خلدتني في السجون ديوني/ [197/د]
ولكن أطفالا صغارا تركتهم ... عليهن حزن تستهل عيوني
فقلت، [ولم أملك سوابق][4] عبرة ... مقالة مكوي الفؤاد حزين[5]:
وقد تخرج الحاجات، يا أم مالك! ... كرائم من رب بهن ضنين[6]

فبكى الشريف وقال لوكيله: رده عليه وما معه من الثمن صدقة عليه[7].

---

(1) الأبيات وردت في العقد 1/ 191.

(2) الحكاية وردت في المرجع السابق نفس الجزء والصفحة مع قليل من الاختلاف في الرواية.

(3) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن علي سلك الفالي الأديب، روى عنه الخطيب صاحب تاريخ بغداد وتوفي سنة 448 هـ انظر تاريخ بغداد 12/ 334، والوفيات 3/ 316.

(4) د: وقد فاضت لعيني.

(5) هذا البيت ساقط كله من: ج، هـ.

(6) الأبيات من الطويل وردت في الوفيات 3/ 316.

(7) الحكاية وردت في المرجع السابق بتصرف قليل.

حكى الفضل بن الربيع[1] قال: خرج المهدي يوما متنزها هووعمرو[2] مولاه، وكان عمرو هذا شاعرا، فانقطعا عن العسكر قال: فجاع المهدي جوعا شديدا فقال لعمرو: انظر لنا شيئا نأكله فنظر عمرو فإذا[3] بالقرب منه مبقلة. فقال لصاحبها: هل عندك من قِرًى؟ فقال: عندي خبز شعير وزبيب وهذه المبقلة الكراث، فنزل المهدي وكان محتاجا[4] للأكل فأكل أكلا ذريعا ثم قال لعمرو: كل وقل لنا شيئا تصف ما نحن فيه فقال عمرو:

[الخفيف]

إن من يطعم الأمير زبيبا مع خبز الشعير والكراث
لحقيق بصفعة أوباثنتين لسوء الصنيعة أو بثلاث[5]

فقال له المهدي: بئس والله ما قلت: وأحسن من ذلك أن نقول:

لحقيق ببدرة أو باثنتين لحسن الصنيع أو بثلاث

قال: ثم لحق بعسكره وأمر لصاحب المبقلة بثلاث بدر رحمه الله[6].

حُكي أن السراج الوراق[7] أرسل غلامه ليشتري له زيتا طيبا ليأكله فجاءه بزيت حار، فأنكر على الغلام وقال له: لعلك قلت له: زيتا للسراج فقال: نعم[8].

---

(1) سبق ذكره.

(2) هوعمر بن بزيغ الأزدي توفي حوالي 170هـ. من خاصة المهدي العباسي واستكتبه الهادي بعده. انظر الجهشياري 144-145. ولسان الميزان 4/ 286، وفيه أنه مجهول الحال.

(3) أ: إذا.

(4) أ: محتاج.

(5) البيتان وردا في مروج الذهب 4/ 167 والكامل لابن الأثير 6/ 83 وفيه: عمر بن ربيع. والشهب اللامعة: 244.

(6) الحكاية وردت في المراجع السابقة.

(7) عمر بن حسن، أبوحفص سراج الدين الوراق شاعر مصر في عصره (615-695هـ). راجع فوات الوفيات 3/ 140-146، والنجوم الزاهرة 8/ 83.

(8) الحكاية وردت في ثمرات الأوراق: 45 و55 والغيث المسجم 2/ 435 وحلبة الكميت: 394.

حكى الصابي[1] في الأعيان والأخبار أن رجلا من الأعيان قعد به الزمان وأضر به الفقر/ وسوء/ الحال. وألجأه ذلك إلى أن زور كتابا من الوزير أبي الحسن علي بن [188/ب][217/ج] الفرات[2] وزير المقتد العباسي إلى أبي[3] زيتون المارديني[4] عامله بمصر يتضمن المبالغة في الوصية به وزيادة الإكرام وعمل مصالحه وصلته، فلما دخل مصر واجتمع بأبي زيتون ودفع إليه الكتاب، ارتاب من الكتاب لتغير لفظ الخطاب عما جرت بع العادة وكون الدعاء أكثر مما يقتضيه محله، فراعاه أبوزيتون مراعاة/ [163/هـ] قريبة ووصله صله قليلة وأجلسه عنده على وعد وعده به، ثم كتب إلى أبي الحسن علي بن الفرات يذكر الكتاب [الذي ورد عليه وأنفذه إليه بعينه، فلما وقف عليه الوزير عرف الرجل المزور عليه الكتاب][5] وعرف ما كان عليه من النعمة وما صار[6] إليه من البؤس، فعرضه على كتابه وعرفهم الصورة وقال لهم: ما الرأي في أمر هذا الرجل؟ فقال بعضهم بتأديبه، وقال بعضهم بقطع إبهامه وقال آخر: يكشف لأبي زيتون أمره ويؤمر بطرده وحرمانه. فقال ابن الفرات: ما أبعدكم من الخير! رجل توسل بنا وتحمل المشقة إلى مصر وأمل الخير بكتابنا والانتساب إلينا ترون/ تكذيبه وتخييب ظنه، والله لا كان هذا أبدا، ثم وقع على الكتاب المزور، هذا [146/أ] كتابي بلا شك ولا تنكر للرجل، فليس كل من خدمنا تعرفه، وهذا رجل خدمني أيام كتبي/ فأحسن تفقده ورفده، واصرفه فيما يعود عليه نفعه، ثم رد الكتاب [198/د]

---

(1) هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابي، أبوالحسين، مؤرخ وكاتب من أهل بغداد (395-448هـ)، راجع تاريخ بغداد 14/ 76. الوفيات 6/ 161 المنتظم 8/ 176.

(2) سبق ذكره انظر الوزراء للصابي: 11 وبعدها.

(3) أ، ب، ج، د: ابن زيتون. وأظن أن الصواب هو: أبي زنبور

(4) هو أبو زنبور المادراني وهو الحسين بن أحمد بن رستم، أبوعلي. قلده المكتفي العباسي خراج مصر، وأخره المقتدر بعد فاة المكتفي حتى عد من كبار آل طولون. وتوفي في دمشق سنة 314هـ انظر النجوم الزاهرة 3/ 141. والأعلام 2/ 231.

(5) ما بين معقوفين ساقط من: د.

(6) أ: سار

إلى أبي زيتون فوصله وزاد في إكرامه وجعله في عمل يتقوت منه إلى أن صلح حاله ومضت على ذلك مدة طويلة. قال: فبينما الوزير جالس إذ دخل عليه رجل ذوهيئة مقبولة وبزة[1] جميلة فأقبل يدعوله ويثني عليه ويبكي ويقبل الأرض بين يديه. فقال له الوزير: من أنت بارك الله فيك؟ قال: صاحب الكتاب المزور إلى أبي زيتون الذي صححه كرم الوزير بفضله وعاد عليه بجوده وحلمه، فتبسم الوزير وقال له: كم وصل إليك منه؟ قال: من ماله ومن قسط قسطه على عماله نحوعشرين ألف دينار. فقال الوزير: الحمد لله على صلاح حالك. قال: ثم اختبره فوجده كاتبا ماهرا فاستخدمه[2].

حكى حسان بن سليمان[3] قال: كان عامر بن الفضل[4] إذا وعد بالخير وفى، وإذا وعد بالشر أخلف، وهو القائل في هذا المعنى:

[الطويل]

ولا يرهب[5] ابن العم، ماعشت[6] صولتي ويأمن مني سطوتي وتهددي
فإني وإن أوعدته أو وعدته لمخلف ابعادي ومنجز موعدي[7]

وقال آخر[8]:

(1) البزة: اللبسة من الثياب. اللسان: بزز.

(2) الحكاية وردت في تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء للصابي: 129.

(3) لعله جبار بن سلمى.

(4) هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري، أحد فتاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية توفي حولي 11هـ. انظر ترجمته والإصابة3/ 474 وخزانة الأدب للبغدادي3/ 80.

(5) هـ: يذهب.

(6) هـ: شئت.

(7) البيتان وردا في العقد 1/ 205. وعيون الأخبار 3/ 144، ثمرات الأوراق: 141.

(8) في العقد الفريد هو ابن أبي حازم، وهو عبد العزيز بن سلمة بن دينار المدني فقيه محدث (107-184هـ)، . راجع تهذيب التهذيب 333/ 6.

[الطويل]

إذا قلت في شيء: «نعم» فأتمه فإن «نعم» دين على حر واجب/ [218/ج]
وإلا، فقل: لا، فاسترح[1] وأرح بها لئلا يقول الناس أنك كاذب[2]

حُكي أن القاضي الفاضل[3] خرج إلى القرافة يزور، فجلس يستريح فرأى مكتوبا على حائط هذا الشعر وهو:

[مجزوء الخفيف]

اسمع ثم عي وعي واحذري مثل مصرعي
ليس زاد سوى التقى فخذي منه أو دعي

وكان البيت الأول سقطت[4] منه لفظة وعي الأخيرة وهناك فتى شاب فقال له القاضي الفاضل: قم يا فتى، واكتب بهذه الفحمة وعي. قال: لا أفعل. قال له القاضي: ينكسر البيت. فقال الفتى: لا جبره الله، وما علم الفتى من هو. فقام القاضي وكتب بالفحمة «وعي»، ثم قال للشاب: من تكون؟ قال: ابن فلان الفلاني. فقال له: أبوك يعيش؟ فقال: مات منذ شهرين وخلفني وثلاث بنات. قال: فما ترك لكم؟ قال: لم يترك شيئا، ونحن كما علم الله. قال: فأين تسكنون: قال: بمكان كذا ثم ركب الفاضل، فقال رجل للفتى: أتدري من كنت/ تخاطب؟ [189/ب] قال: لا. قال: هو القاضي الفاضل. فذهب الفتى لأمه وأعلمها بذلك فارتعدت فرائصها وقالت له: يا بني! هذا رجل بينه وبين والدك شيء، ذهبت أرواحنا،

---

(1) ب، ج، د، هـ: واسترح.

(2) البيتان وردا في العقد الفريد 1/ 205 لابن أبي حازم. وفي ثمرات الأوراق: 141 هما لبشر بن أبي حازم. وفي حماسة البحتري: 222 هما لهرم بن غنام السلولي. والشهب اللامعة: 247. والمستطرف 1/ 285.

(3) هو عبد الرحيم بن علي بن السعيد المعروف بالقاضي الفاضل، وزير من أئمة الكتاب (529-596هـ). راجع الوفيات 3/ 158. النجوم الزاهرة 6/ 156. الروضتين 2/ 241.

(4) أ، ب، ج، هـ: سقط.

قال: فبينما هم كذلك وإذا بجماعة يطرقون الباب، فقالت له أمه: قد جاءتنا، والله، المصيبة، ففتح الباب فإذا بأربعين إردبا[1] من القمح ففرغوها في الدار وأخذوا الفتى فأعطاه خمسمائة دينار وقال له: إذا زوجت أخواتك فاءذني، فلاحظهن حتى تزوجن وأحسن إليهن، فسئل الفاضل عن ذلك فقال: والد/ هذا الفتى [199/د] كان مشاركا لنا في بعض البلاد فنكبنا وضيق علينا [ومنعنا أن يصل أحد إلينا][2] وختم على الأبواب[3] وما كنا نجد من يسقينا الماء وطال فعله بنا فقال لي أبي: يا بني! قد رأيت ما فعله هذا بنا، فمتى أقدرك الله عليه أوعلى أحد من [ذريته][4] فأحسن إليهم أضعاف إساءتهم إلينا، وهذه وصية/ تلقيتها من والدي رحمة الله. [164/هـ]

حكى أبو حمزة الصدفي[5] قال: كنت مع محمد بن الفرج[6] فنظر إلى جارية جميلة تعرض على رجل ليشتريها فقال: بِكَمْ؟ فقيل له: بألف دينار، فرفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إنك تعلم أني لا أملكها ولا يدي تنالها، وإني لأعلم من كرمك علي لو سألتك إياها لم تردها عني، ولم تمنعني منها، تفضلا منك علي، وإحسانا منك إلي، وإني أسألك أنفس عندي منها، حورية لا تمرض ولا تهرم ولا تموت،/ [147/أ] ومهرها أن لا تراني نائما بليل ولا طاعما بنهار ولا ضاحكا إلى أحد من خلقك، وإني أجد في المهر من وقتي هذا، فانجز لي إذا لقيتك/ ما سألتك ياكريم. قال: [219/ج] فما رأيناه نائما بليل ولا آكلا بنهار ولا ضاحكا إلى أحد من الناس حتى لحق بربه

(1) الإردب: مكيال ضخم لأهل مصر، قيل يضم أربعة وعشرين صاعا. اللسان: ردب.

(2) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(3) د: البواب.

(4) أ: ذرياته.

(5) هو محمد بن إبراهيم الصدفي، أبو حمزة أستاذ البغداديين في التصوف(ت:270هـ)، راجع تاريخ بغداد 1/ 390. النجوم الزاهرة:3/ 46.

(6) لعله أراد به محمد بن فرج الرخجي الذي ذكره المسعودي في تاريخه. انظر الجزء 5/ 20.

سبحانه وتعالى.

حُكي عن يعقوب بن أخي معروف[1] قال: جاء أسود بن سالم إلى عمي معروف وكان مؤاخيا له فقال: إن بشر بن الحارث[2] يحب مؤاخاتك ويريدها، وهو يستحيي أن يشافهك بذلك، وقد أرسلني إليك يسألك أن تعقد بينك وبينه أخوة تحتسبها وتعتد بها.

إلا أنه شرط فيها شروطا: يجب أن لا يشهر بذلك، ولا يكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقاة، فإنه يكره كثرة الالتقاء، فقال معروف: أما أنا، فإذا أحببت أحدا لا أحب مفارقته لا ليلا ولا نهارا وأزوره في كل وقت، وأوثره على نفسي في كل حال، ثم ذكر من فضل الأخوة والحب في الله تعالى أحاديث، ثم قال فيها: وقد آخى رسول الله ﷺ عليا فشاركه في العلم، وقاسمه في المال وأنكحه أفضل بناته وأحبهن إليه، وخصه بذلك لمؤاخاته، وإني أشهدك قد عقدت له الأخوة بيني وبينه وصرت أخاه في الله لرسالتك، على ألا يزورني إن كره[3] ذلك، ولكني[4] أزوره متى أحببت وآمره ألا يخفي علي شيئا من شأنه، [وان يطلعني على جميع أحواله][5] لأشاركه في إتقانها. قال الراوي: فأخبر أسود بن سالم [بشرا][6] بذلك فرضي به وسر بذلك رحمهم الله.

(1) هو معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ أحد الأعلام الزهاد المتصوفين، توفي حوالي 200هـ. انظر تاريخ بغداد 13/ 199 والوفيات 5/ 231.

(2) هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمان، أبو نصر وكان يلقب بالحافي، توفي حوالي 227هـ. انظر ترجمته في تاريخ بغداد 7/ 67 والوفيات 1/ 274.

(3) أ: أكره.

(4) أ: ولا.

(5) ما بين معقوفين ساقط من: هـ.

(6) ساقطة من: ج.

حُكي في بعض الروايات أنه ﷺ، دخل بعض بيوته فدخل عليه أصحابه، رضي الله عنهم، حتى غص المجلس وامتلأ، فجاء جرير بن عبد الله البجلي[1] رضي الله عنه، فلم يجد مكانا فقعد على الباب فلف رسول الله ﷺ، رداءه فألقاه إليه وقال: اجلس على هذا، فأخذه جرير رضي الله عنه ووضعه على خده وجعل يقبله ويبكي، ثم لفه فرماه إلى رسول الله ﷺ فقال: ما كنت لأجلس على ثوبك، أكرمك الله كما أكرمتني، فنظر النبي ﷺ يمينا وشمالا وقال: «إذا أتاكم كريم قوم [200/د] فأكرموه»[2]/ .

حُكي أن بعض ذوي الثروة من التجار أوصى ولده عند موته أن يحتفظ على صحبة الكرام ولا يصحب اللئام ولا يسوءه من كريم سوء فعاله، فإنه يرجع إلى أصله، فلما توفي والده دل على رجل شريف النسب كريم الحسب فصحبه وكان معه مال فبذره وضيعه، ثم تربت يداه وافتقر فذهب لصاحبه يسأله قوت يومه، فلما طرق بابه وقيل له: إنه هو سأل عن حالته فقيل له: في أسوء حال فأنكر نفسه [190/ب][220/ج] منه، فشق ذلك عليه وانكسر/ لها، فلزم/ بيته، فبينما هو جالس في بيته إذ طرق عليه بابه فخرج، فإذا ثلاثة نفر. فقال: ما الخبر؟ فقالوا: نحن تجار من مدائن سبإ معنا جوهر وذر نفيس، ولنا عادة نبيعه من صاحب هذه الدار، يعنون أباه، ونمهل عليه بالثمن فقال: أروني الجوهر، فأخرجوا له جوهرا نفيسا فاشتراه منهم وحابوه[3] في ثمنه، وذهبوا، فلما كان في اليوم الثاني جاءته امرأة فقالت له: أنا من عند بيت الخليفة، ولنا عادة أن نشتري من صاحب هذه الدار جوهرا أودرا لبنت الخليفة

---

(1) جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك، أبو عمر وقيل أبو عبد الله، البجلي الصحابي المشهور توفي سنة 51 هـ وقيل 54هـ. انظر الإصابة 1/ 232.

(2) الحديث أخرجه ابن ماجة في سننه: 3712 والطبراني في المعجم الكبير 2/ 370.

(3) حابوه: يقال حابيته في البيع، من المحاباة، والحباء: ما يعطيه الرجل لصاحبه ويكرمه به. انظر اللسان: حبا.

فأخرج لها الجوهر فاشترته منه وأربحته مالاً كثيرا أفضته له فصلحت أحواله واشترى له ثيابا وعبيدا ومركوبا، وذهب إلى صاحبه. فلما قيل له: إنه بالباب سأل عنه وعن حاله فأخبر أنه في أحسن حال، فخرج إليه ورحب[1] به فعاتبه[2] وقال: أتيتك وأنا سيء الحال فنكرت نفسك مني والآن تخرج إلي. فقال له: حيث ظننت ذلك ولم تحملني على المحمل[3] الحسن فأنا أقول:/ [165/هـ]

[البسيط]

أما الثلاث الذي جاءوك من سبإ	لم يعرفوا سبأ لكنهم[4] رُسلي/ [148/أ]
والمشترية منك الدر والدتي	والمال والجوهر المبعوث من قبلي
وما منعت لقائي منك منقصة	لكن كفيتك مني موقف الخجل
أردت أوليك معروفا بلا نصب	لن تحملن فيه ثقل المن من رجل

قال الراوي: فسر بذلك واعتذر إليه من ظنه به ذلك، وتأكدت صحبتها ودامت واستمرت مودتها رحمها الله.

حُكي أن أبا العتاهية امتنع من نظم الشعر قال: فحبسني لذلك المهدي في حبس الجرائم، فلما دخلت ذهلت ورأيت منظرا أدهشني فطلبت موضعا آوي إليه، فإذا أنا بكهل، أحسن ما رأيت، حسن البزة والوجه سيم الخير فيه، فقصدته وجلست من غير سلام لما أنا فيه من الجزع والحيرة، فجلست كذلك مليا، وإذا الرجل ينشد ويقول:

[الطويل]

تعودت مس الضر حتى ألفته	وأسلمني حسن العزاء إلى الصبر

(1) أ: فرحب.
(2) ب، ج، د، هـ: فعتبه.
(3) ج: المحال.
(4) د: لأنهم.

وصيرني يأسي من الناس واثقا   بحسن صنيع الله من حيث لا أدري[1]

قال: فاستحسنت الشعر وتبركت به وآب إلي عقلي، فقلت له: تفضل علي أعزك الله بإعادة/ هذا الشعر. فقال: يا إسماعيل، ويحك! ما أسوأ أدبك وأقل [201/د] عقلك ومروءتك، دخلت ولم تسلم علي سلام المسلم على المسلم، ولا سألتني مسألة الوارد على المقيم، حتى سمعت مني بيتين من الشعر الذي لم يجعل الله تعالى فيك خيرا ولا أدبا/ ولا معاشا غيره، طفقت تستنشدني مبتدئا كأن بيننا [221/ج] أنسا وسالف مودة توجب بسط القبض، ولم تذكر ما كان منك ولا اعتذرت عما بدا من إساءة أدبك. فقلت: اعذرني متفضلا، فدون ما أنا فيه مدهش. فقال: وفيم أنت؟ تركت الشعر الذي هو جاهك عندهم وسعيك إليهم ولا بد أن تقوله فتطلق، وأنا أدعى الساعة فأطلب بعيسى بن زيد[2] بن رسول الله ﷺ، فإن دللت عليه لقيت الله تعالى بدمه وخنت الرجل في صحبته، وكان رسول الله ﷺ خصمي فيه، وإلا، قتلت، فأنا أولى بالحيرة منك، وها أنت ترى صبري واحتسابي. فقلت: الله! وخجلت منه. فقال لي: لا أجمع عليك بين التوبيخ والمنع، اسمع البيتين، ثم أعادهما مرارا حتى حفظتهما، ثم إن المهدي دعاني. قال: فأخذته معي لأنه طلبه. قال: فأدخلنا عليه، فلما وقفنا بين يديه/ قال للرجل: أين عيسى بن زيد؟ قال: وما [191/ب] يدريني أين عيسى بن زيد؟ طلبته فهرب منك في البلاد [وحبستني][3] فمن أين أقف على خبره؟ فقال له: أين كان آخر عهدك به وعند من لقيته؟ قال: ما لقيته منذ توارى ولا عرفت له خبرا. قال: والله لئن[4] لم تدلني عليه لأضربن عنقك

(1) البيتان وردا في الوفيات 1/ 224.

(2) هو عيسى بن زيد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ثائر من كبار الطالبيين (ت 168هـ)، راجع مقاتل الطالبيين: 405. ويظهر بعض النقص داخل المتن، ولعل الصواب ما ذكرناه.

(3) زيادة من ب، ج، د، هـ.

(4) د: إن.

الساعة. قال اصنع ما بدا لك. قال: اضربوا عنقه. فضربت عنقه وأنا أرى، ثم دعاني وقال: أتقول الشعر وإلا ألحقتك[1] به. قال: قلت: بل أقوله. قال: أطلقوه. فأطلقت[2].

حُكي أن مروان بن أبي الجنوب[3] سفه على علي بن الجهم[4] بحضرة المتوكل وهجاه بأشعار كثيرة وعلي ساكت لم يجبه، ثم قام علي من المجلس وهو ينشد ويقول:

[الوافر]

بلاء ليس يشبهه بلاء ... عداوة غير ذي حسب ودين

يبيحك منه عرضا لم يصنه ... ويرتع في عرض مصون[5]

حكي أنه دخل أعرابي على معن بن زائدة[6]، فقال له:

[الوافر]

أتذكر إذ لحافك جلد شاة ... وإذ نعلاك من جلد البعير[7]

فقال معن: اذكر ذلك ولا أنساه. فقال الأعرابي:/ [149/أ]

[الوافر]

فسبحان الذي أعطاك ملكا ... وعلمك الجلوس على السرير[8]

---

(1) د: ألحقك.

(2) الحكاية وردت بالرواية نفسها في الوفيات 1/ 224-225.

(3) هو مروان بن يحيى أبي الجنوب، بن مروان الأكبر، أبو السمط من شعراء عصره (-240هـ)، انظر تاريخ بغداد 13/ 153 الوفيات 5/ 193.

(4) سبق ذكره.

(5) البيتان وردا في الديوان.

(6) سبق ذكره.

(7) البيت ورد في قصص العرب 3/ 243.

(8) البيت ورد في المرجع السابق.

فقال معن: سبحان الله، ذلك من فضل الله. فقال الأعرابي:

[الوافر]

فلا والله ما إن عشت دهرا على معن أسلم بالأمير[1]

[166/هـ][222/ج] فقال له: أنت بالخيار/ . فقال الأعرابي:/

[الوافر]

[202/د] ولا أعلو بلادا أنت فيها ولو حزت الشام مع الثغور[2]/

فقال: إن قمت فلك الإكرام، وإن رحلت فعليك السلام فقال الأعرابي:

[الوافر]

فجد لي يا ابن ناقصة بمال فإني قد عزمت على المسير[3]

فقال معن: اعطه يا غلام ألف دينار. فقال الأعرابي:

[الوافر]

قليل ما مننت به وإني لأطمع منك بالشيء الكثير[4]

فقال معن: اعطه يا غلام ألف أخرى، فقال الأعرابي:

[الوافر]

قتلت[5]، قد ملكت الأرض طرا بلا أدب ولا حسب خطير[6]

(1) البيت ورد في المرجع السابق
(2) البيت ورد في المرجع السابق
(3) البيت ورد في المرجع السابق.
(4) البيت ورد في المرجع السابق.
(5) ب، ج، د، هـ: قبلت.
(6) البيت ورد في المرجع السابق.

فقال معن: يا غلام! اعطه ألفا أخرى، فقال الأعرابي: لله درك والله إني وضعت هذه الأبيات أختبر بها[1] حلمك، فإذا حلمك لو قسم على أهل الدنيا لكفاهم. فقال معن: يا غلام! كم أعطيته؟ قال: ثلاثة آلاف. فقال: اعطه مثلها، وزده[2] ألفا ليلا يقال: إنا لا نفرق بين المدح والهجو[3].

(1) أ: اختبر حلمك بها.

(2) أ: زيادة.

(3) الحكاية وردت في المرجع نفسه.

الباب التاسع

في الذكاء والفطنة وصدق الفراسة

حُكي أنه أتي[1] لعبد الملك بن مروان بشخص يقال له[2] مصقلة بن هبيرة الشيباني[3] وكان ممن أخذ/ مع الخوارج، فأمر بقتله وقال [له][4]: ألست القائل: [192/ب]

[الطويل]

ومنا سويد والبطين وقعنب ومنا أمير المومنين شبيب[5]؟

فقال [له][6]: أنا قلت: أمير بفتح الراء يعني أراد الندا للمضاف فاستحسن ذلك منه وأطلقه ومن هذه القصيدة قبل هذا البيت:

ألا أبلغ أمير المومنين رسالة وذو النصح إن لم يدع منك قريب
فإنك إلا ترضي بكر بن وائل يكن لك يوم في العراق عصيب[7]
فإن يك منكم كان مروان وابنه وعمر ومنكم هاشم وحبيب
فمنا سويد والبطين وقعنب ومنا أمير المومنين شبيب[8]

---

(1) أ: أوتي.

(2) ساقطة من: هـ.

(3) في مروج الذهب، هو مصقلة بن عتبان الشيباني، وفي الوفيات هو عتبان الحروري ابن أصيلة ويقال وصيلة، وهي أمه. وهو من بني شيبان. انظر مروج الذهب 4/ 27. الوفيات 2/ 456.

(4) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(5) البيت ورد في المزرباني: 266 والوفيات 2/ 456 وغرر الخصائص: 114. والمستطرف 1/ 106.

(6) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(7) يعني بني شيبان لأنهم من نسل بكر بن وائل، وهو جد جاهلي.

(8) الشاعر يريد مروان بن الحكم وابنه عبد الملك وعمرو بن سعيد الأشدق وحبيب بن المهلب. أما هاشم المذكور في البيت فلا أدري من هو. انظر مروج الذهب 4/ 27 والأبيات الأربعة وردت كلها في مروج الذهب والوفيات 2/ 456. والمزرباني وغرر الخصائص: 114.

حُكي أن الحجاج قال لعبد الرحمان بن[1] أبي بكر رضي الله عنه: كم مقدار مالك؟ قال: ألف ألف درهم، ثم إن عبد الرحمان شعر بزلة لسانه وخاف غائلة الحجاج فتداركها سريعا فقال ولقد أصبحت لا أملك إلا خاتمي[2].

حُكي أن المأمون أتي برجل ادعى النبوءة فقال: ما اسمك؟ قال: أنا أحمد النبي، [223/ج] فقال: لقد/ ادعيت زورا ثم أمر بضربه، فلما رأى الرجل الأعوان قد أحاطت به قال: أنا أحمد النبي فهل تذمه أنت؟ فضحك المأمون وتركه.

قلت: ويقرب من ذلك ما حكي أن المأمون[3] أتي برجل ادعى النبوءة فقال [203/د] له: ما دليلك على نبوءتك؟ قال: أعلم ما في نفسك. فقال له المأمون: قد/ قربت[4] الأمر، فما في نفسي؟ قال في نفسك أني أكذب[5] أوقال كذاب[6] قال: فضحك منه المأمون وتركه [7]

[150/أ] حُكي أن المأمون كان يقرأ على الكسائي[8] وهو/ صغير وكان من عادة الكسائي إذا قرأ عليه أن يطرق رأسه فإذا غلط المأمون رفع رأسه فيرجع إلى الصواب فقرأ قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ الآية[9].

---

(1) عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق. شهد بدرا مع المشركين ثم أسلم وحسن إسلامه، انظر ترجمته في الوفيات 3/ 69-76.

(2) الحكاية وردت في غرر الخصائص: 114.

(3) أ: بعد المأمون: «أيضا».

(4) أ، ج، هـ: قاربت.

(5) د: كذب.

(6) أ، ج، هـ: أوقال كذاب.

(7) الحكاية وردت في العقد الفريد 7/ 162 وشرح المقامات 2/ 92 وغرر الخصائص: 115.

(8) أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز المعروف بالكسائي أحد القراء السبعة (189هـ)، . انظر ترجمته، تاريخ بغداد 11/ 403. الوفيات 3/ 295. أنباه الرواة 2/ 256.

(9) الصف: 2.

فرفع رأسه الكسائي فأعاد المأمون القراءة فوجدها صحيحة فمضى على قراءته وانصرف الكسائي فدخل المأمون على الرشيد فقال له: إن كنت وعدت الكسائي بشيء فأنجزه وعده، فإنه يستنجزه منك فقال: إنه كان التمس مني شيئا للقراء وعدته، فهل قال لك شيئا؟ قال: لا. قال: فمن أطلعك على ذلك؟ فأخبره القصة، فسر الرشيد بما رأى من فطنته.

حُكي أن الرشيد استشار يحيى بن خالد البرمكي في العهد لمحمد الأمين وعلم ميل الرشيد إلى أم الأمين، أم جعفر وإيثاره لها فلم تسعه الإشارة عليه بشيء، فقال له: أحضرهما وانظر في أمرهما فحضرا وهما إذ ذاك صغيران كأنهما قمرا سماء، ثم أغرى أحدهما على الآخر وأمرهما أن يتصارعا فوثب الأمين وجلس المأمون فقال له الرشيد: يا عبد الله خفت من ابن الهاشمية فقال: لم أخف ولكن قبض يدي عنه الذي قبض لساني فقال الرشيد: وما هو؟ قال: قول الشاعر/ وهو: [167/هـ]

[الكامل]

خافوا الضغائن بينكم وتواصلوا	عند الأباعد والحضور الشهد
فصلاح ذات البين طول بقائكم	ودماركم بتقاطع وتفرد
والرفق والإحسان يجمع بينكم	بتعاطف وتراحم وتودد
حتى تلين قلوبكم وجلودكم	لمسود منكم وغير مسود
إن السهام إذا جمعن فرماها	بالكسر ذوحنق وبطش أيد/ [83/هـ]
عزت فلم تكسر وإن هي بددت	فالوهن والتكسير للمتبدد[1]

قال: فرق له الرشيد واغرورقت عيناه بالدموع ثم أقبل على الأمين فقال: يا محمد! إن صير الله إليك أمر هذه الأمة ما أنت/ صانع فيها؟ فقال: أكون مهديها [193/ ب] فقال: إن فعلت فأنت أهله، ثم التفت للمأمون وقال له: إن صير الله إليك أمر

(1) الأبيات وردت في أنباء نجباء الأبناء: 113. وقصص العرب 1/ 383.

[224/ج] هذه الأمة ما أنت/ صانع فيها؟ [قال][1]: فابتدرت دموعه وقال[2]: ليعفني [أمير المومنين][3] فقال: لا بد فقال: إن قدر الله ذلك، جعلت فداءك، لاتخذت الهم شعارا والحزن دثارا وسيرة أمير المومنين مشعرا لا تستحل حرماته، وكتابا لا تبدل كلماته، فأشار إليهما بالانصراف فانصرفا[4] وأنشأ يقول:

[الطويل]

أهم بأمر الحزم لو أستطعه كما حيل بين العير والنزوان[5]

حكى إبراهيم بن المهدي[6] قال: كنت عند الرشيد فإذا برسول قد أتاه ومعه [204/د] أطباق خيزران عليها/ مناديل الحرير مع غلمان تحملها، فدفعوا إليه كتابا فجعل يقرأه ويقول: بره الله، وصله الله، وفعل به، وصنع، فقلت: يا أمير المومنين! من هذا الذي أطنبت في شكره حتى نشكره على جميل شكرك له؟ فقال: عبد الله بن صالح الهاشمي[7]، ثم وضعت الأطباق فإذا هي أطباق بعضها فوق بعض، في بعضها فستق، والباقي بندق، إلى غير ذلك من أنواع الفواكه الرطبة، فقلت: ما في هذا ما يستحق الشكر والدعاء، اللهم إلا أن يكون في الكتاب شيء قد خفي علينا، فدفع إلي الكتاب فإذا فيه: دخلت يا أمير المومنين بستانا في داري قد عمرته بنعمتك وأينعت فواكهه بسعادتك فأخذت من كل شيء شيئا وصيرته في أطباق

(1) زيادة من: ج.

(2) د: فقال.

(3) ما بين معقوفين ساقط من: ب.

(4) ب، د: فانصرفوا.

(5) البيت ورد في المرجعين السابقين. والحكاية وردت فيهما أيضا.

(6) أبو إسحاق، إبراهيم بن المهدي بن المنصور، أبي جعفر بن محمد أخو الرشيد، كان مغنيا، وكانت له اليد في الضرب بالملاهي وحسن المنادمة (162-224هـ)، انظر ترجمته في الوفيات 1/ 39، وبعض أخباره في مروج الذهب 4/ 328-329، وتاريخ بغداد 6/ 142. والأغاني 10/ 121-184.

(7) ذكره المسعودي في تاريخه 4/ 89، 228.

قضبان ووجهتها إلى حضرة أمير المومنين ليصل إلي من بركة دعائه مثل ما تواصل إلي من بره، فقلت: وليس في الكتاب ما يستحق هذا الثناء أيضا فقال: أما ترى كيف جيء بالقضبان بدلا عن ذكر الخيزران إعظاما لنا بسبب أمنا[1].

حُكي عن هدبة بن خالد[2] قال: حضرت مائدة المأمون/ فلما رفعت جعلت ألتقط ما في الأرض فنظر إلي وقال: أما شبعت يا شيخ؟ فقلت: بلى، ولكن حدثني [حماد][3] ابن سلمة عن ثابت[4] أن أنسا رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أكل ما تحت مائدته أمن من الفقر»[5] فنظر المأمون إلى خادم له واقف بين يديه، فأشار إليه. [قال][6]: فما شعرت إذ جاءني ومعه منديل فيه ألف دينار فناولني إياه[7]، فقلت يا أمير المومنين وهذا[8] من ذلك. [151/أ]

حُكي أن بعض أصحاب[9] الملك المعظم عيسى بن العادل[10] وكان من أهل الفضل مرض وأضر به المرض وضيق الحال فكتب إلى المعظم يقول:

---

(1) الحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 228-229. والشهب اللامعة: 250.

(2) هو هدبة بن خالد القيسي البصري، محدث بصري توفي سنة 228 هـ انظر ترجمته في مروج الذهب 5/ 45. وشذرات الذهب 2/ 86-87.

(3) هو حماد بن سلمة بن دينار البصري أبو سلمة مفتي البصرة وأحد رجال الحديث (- 167هـ). انظر ترجمته في تهذيب التهذيب 3/ 11.

(4) هو ثابت بن قيس بن شماس، كان خطيب رسول الله ﷺ. انظر صفة الصفوة: 1/ 626.

(5) الحديث أورده ابن كثير بالسند نفسه في البداية والنهاية10/ 304 وكذا في تاريخ دمشق33/ 318.

(6) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(7) ب، ج، د، هـ: إياها.

(8) أ: وهذه.

(9) هو ابن عنين الشاعر المشهور، أبو المحاسن محمد بن نصر الأنصاري الملقب بشرف الدين (ت: 630هـ)، .راجع الوفيات 5/ 14. ومقدمة ديوانه.

(10) هو الملك المعظم الدين، عيسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب صاحب دمشق (576-624هـ)، انظر ترجمته في الوفيات 3/ 494. النجوم الزاهرة 6/ 267 البداية والنهاية 13/ 121. والشذرات 5/ 115.

[الكامل]

انظر إلي بعين مولى لم يزل   يول الندى وتلاف قبل تلافي

[225/ج] أنا كالذي، أحتاج ما تحتاجه   فاغنم ثوأبي والدعاء الوافي/ [1]

فحضر بنفسه ومعه ثلاثمائة دينار وقال له: أنت الذي، وهذه الصلة، وأنا العائد رحمه[2] الله[3].

حُكي عن بعض السوال أنه وقف بباب نحوي فقرعه فقال له: من بالباب فقال: سائل فقال: ينصرف. فقال: اسمي أحمد فقال النحوي لغلامه اعط سبويه كسرة[4]. وأنشد بعضهم وقد شكا الزمان وصرفه عن منصبه، يقول:

[المتقارب]

شكا بن المؤيد من عز له   وذم الزمان وأبدى السفه

فقلت له:

[المتقارب]

[194/ب] لا تذم الزمان   فتظلم أيامك المنصفه/

ولا تعجبن إذا ما صرفت   فلا عدل فيك ولا معرفة

قيل: كان اثنان يتنازعان القضاء أحدهما أحمد والآخر عمر وكان أحمد فيه معرفة بالقضاء ويعطى المال عليه وكان عمر فقيها فقيرا عادلا فعزل وتولى أحمد

[205/د] فقيل فيهما:/

[الوافر]

أيا عمر استعد لغير هذا   فأحمد بالولاية مطمئن

(1) البيتان وردا في الوفيات 3/ 496.

(2) ب، ج، د، هـ: فرحمه.

(3) الحكاية وردت في الوفيات: 3/ 495-496.

(4) الحكاية وردت في المخلاة: 238.

فإن يك فيك معرفة وعدل   فأحمد فيه معرفة ووزن

قلت: ولبلدينا/ الشهاب السلمي في المعنى: [168/هـ]

[السريع]

قلت: لنحوي يقول: اصرفوا   عنا جموعا، وهو[1] يعنينا
إلى متى بالصرف تهدى[2] إلى   قلوبنا كسرا وتنوينا[3]

[وقال][4] آخر فيه:

[مجزوء البسيط]

يا ذا الذي حل في[5] فؤادي   وليس فيه سواه ثان
لأي شيء كسرت قلبي   وما التقى فيه ساكنان

ولبعضهم وقد أراد أن يهجو فقال على طريق المجون:

[الخفيف]

ورفيع أراد أن يعرف النحوي   بزى العيار لا المستفتي
قال لي أنت تعرف النحو مثلي   قلت سلني عنه أجب في الوقت

قال ما المبتدأ وما الخبر المجرور: أوجز، فقلت ذقنك في إستى وقال الشيخ زين الدين عمر بن الوردي[6] وقد احتشم رحمه الله:

---

(1) أ: وهذا.

(2) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(3) البيتان وردا في نظم العقيان: 81.

(4) أ: تهوي.

(5) ساقطة من: ب.

(6) هو عمر بن مظفر بن عمر بن محمد، زين الدين ابن الوردي الإمام الفقيه الأديب الشاعر توفي سنة 749هـ. انظر ترجمته في طبقات السبكي 6/ 243 فوات الوفيات 3/ 157. تاريخ مصر لابن إياس 1/ 198. النجوم الزاهرة 10/ 240.

[مجزوء الرجز]

وشـــادن يســـألنـــــي ما البتـدأ وما الخبـر
مثلهمـا لـــي مسرعـــا قلـت لـه أنـت القمـر[1]

وقال آخر فيه:

[الكامل]

[226/ج] ومهفهـف كالبـدر قلـت له انتسـب فأجـاب مـا قتـل المحـب حـرام/

يقول: أنا تميمي لأن بني تميم لا يعملون ما وأهل الحجاز يعملونها عمل ليس فيقولون: ما قتل المحب حراما، ومنه قوله تعالى: ﴿ما هذا بشرا﴾[2] وأنشد بعضهم في «ما»:

[الطويل]

تجنب صديقا مثل «ما» واحذر الذي يكـون كعمـرو بيـن عـرب وأعجـم
[152/ أ] فإن صديق السـوء يردي، وشـاهدي كما شـرقت صـدر القناة مـن الدم/

قوله: تجنب صديقا مثل ما، أي يحتاج إلى صلة وعائد ومحل من الإعراب كما تحتاج «ما»، وقوله: الذي يكون كعمرو،أي يأخذ ما لا يستحقه كما يأخذ عمروالواو، وقوله: وشاهدي كما شرقت صدر القناة من الدم أي [أن][3] صديق السوء يعدي ويردي[4] صديقه[5] ويكتسب من أفعاله كما أن صدر[6] وهومذكر أكسبته مصاحبته للقناة بالإضافة التأنيث قال ابن مالك في ألفيته:

(1) الأبيات وردت في المخلاة للعاملي: 269 برواية: وأغيد يسألني.
(2) يوسف:31.
(3) زيادة من: ب، ج، د، هـ.
(4) ساقطة من: ب.
(5) ج: صاحب.
(6) ب: مدور.

وربما اكسب ثان أولا تانيثا إن كان لحذف موهلا[1]

أي ربما يكتسب المضاف التأنيث في المضاف إليه إن كان المضاف مؤهلا للحذف أي صالحا له بأن استغنى عنه بعد الحذف فتقول: كما شرقت القناة من الدم ومنه قوله تعالى ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾[2].

حُكي من لطائف التصحيف أن بعض الأذكياء قيل له صحف نصحت فختنتني، فقال: تصحيف/ حسن. وقيل لآخر استنصح ثقة، فقال: أتبين [195/ب] تصحيفه/ وقيل لآخر: نصحت فضعت، فقال: تصحيف صعب، وقيل لآخر ما [206/د] تصحيف بلنسية فقال: أربعة أشهر يعني ثلث سنة.

حُكي أن الصاحب يحيى بن[3] إسحاق كان طبيبا حاذقا يعاني الطب في حال الوزارة، ومما نقل من حذقه أن بدويا جاء إلى داره وهوعلى حمار يصيح ويقول: أدركوني واعلموا الوزير بخبري، فلما دخل عليه قال: ما بالك؟ قال ورم في إحليلي[4] منعني النوم منذ أيام وأنا بالموت، فقال: أكشف، فإذا هو وارم، فقال الوزير لبعض الحاضرين: أحضر إلي حجرا أملس فأحضره وقال له: ضع إحليلك، فلما تمكن إحليل الرجل من الحجر جمع الوزير يده وضرب الإحليل ضربة غشي على الرجل منها، ثم اندفع الصديد يجري، فلما انقطع جريان الصديد فتح الرجل عينه ثم بال في إثر ذلك، ثم قال له الوزير: اذهب فقد برأت علتك. قال البدوي: وما كانت علتي؟ فقال له الوزير: أنت رجل عابث واقعت بهيمة في دبرها فصادف[5]

(1) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك 2/ 49.

(2) الأعراف: 56.

(3) يحيى بن إسحاق كان طبيبا نبيلا عالما حاذقا بيده (نحو325هـ)، انظر طبقات الأطباء 100 وبغية الملتمس: 483.

(4) الإحليل: مخرج البول من الإنسان. اللسان: حلل.

(5) ج: فصادفت.

إحليلك شعيرة من علفها فتغلغلت في عين الإحليل فورم لها، وقد[1] خرجت في الصديد. فقال: قد كان ذلك[2].

حُكي أن سديد الملك أبوالحسن علي بن مقلد[3] كان يتردد إلى حلب قبل تملكة قلعة شيزر[4] وكان صاحب حلب يومئذ تاج الملوك محمد بن صالح/ بن [227/ج] مرداس[5] فجرى أمر فخاف سديد الملك على نفسه منه فخرج من حلب إلى طرابلس الشام، وصاحبها يومئذ جلال الدين بن عمار[6] فتقدم صاحب حلب إلى كاتبه أبي نصر محمد بن الحسين[7] أن يكتب إلى سديد الملك كتابا يتشوقه[8] فيه ويستعطفه ويستدعيه إلى حلب ففهم الكاتب أنه يقصد به شرا إذا جاء إليه وكان الكاتب صديقا لسديد الملك فكتب/ الكتاب كما أمره مخدومه إلى أن بلغ [169/هـ] إلى آخره وفي آخره إن شاء الله تعالى وشدد النون وفتحها، فلما وصل الكتاب إلى سديد الملك عرضه على ابن عمار صاحب طرابلس ومن بمجلسه من خواصه فاستحسنوا عبارة الكاتب واستعظموا ما فيه من الرغبة فيه وإيثاره لقربه، فقال لهم سديد الملك لكني أرى ما لا ترون في الكتاب، ثم أجابه بما اقتضاه الحال وكتب في جملة فصول الكتاب أنا الخادم المقرب بالانعام وكسر الهمزة من أنا وشدد النون

---

(1) ساقطة من: ب، د.

(2) الحكاية وردت في طبقات الأطباء: 100. وثمرات الأوراق 1/ 57.

(3) أبو الحسن علي بن مقلد بن نصر منقد الكناني الملقب سديد الملك صاحب قلعة شيزر (479هـ)، انظر ترجمته في الوفيات 3/ 409. النجوم الزاهرة 5/ 124..

(4) قلعة توجد بالشام قرب المعرة، في وسطها نهر الأردن. انظر معجم البلدان: شيزر.

(5) هو محمد بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي، أحد الأمراء المرداسيين توفي سنة 467هـ. انظر ترجمته في المنتظم 8/ 300. وشذرات الذهب 3/ 329.

(6) في الوفيات هو: جلال الملك بن عمار، انظر 3/ 410.

(7) هو محمد بن الحسين بن النحاس الحلبي الوزير، فاضل أديب وشاعر، مشهور بالذكاء وسرعة الإدراك. انظر ترجمته في المحمدون من الشعراء وأشعارهم للقفطي: 292.

(8) ج: يشوقه.

فلما وصل الكتاب إلى صاحب حلب وقف عليه الكاتب فسر بما فيه ثم قال لأحد لأصدقائه: قد علمت أنه لا يخفى عليه وقد أجاب بما طاب به قلبي وكان الكاتب قد قصد قوله تعالى: ﴿إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾ الآية[1]، والمجيب قصد قوله تعالى: ﴿إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها﴾[2].

قلت: ولسديد الملك هذا شعر حسن ومنه، وقد غضب على مملوكه، يقول:

[البسيط]

أسطو عليه وقلبي لو تمكن من ... كفي غلهما غيظا إلى عنقي/ [153/أ]
وأستعير إذا عاقبته حنقا ... وأين ذل الهوى من عزة الحنق[3]

وكان جوادا ممدوحا مقصودا من البلاد، مدحه جماعة من الشعراء كابن الخياط[4] والخفاجي[5] وغيرهما[6].

[حكى][7] أبو الفرج في الأغاني أن عروة بن الورد[8] كان في بعض أسفاره، فدنا من منازل هذيل ليلا وأوقد نارا ثم خاف[9] على نفسه أن يقصد فدفن النار

(1) القصص: 20.

(2) المائدة: 26.

(3) البيتان وردا في الوفيات 3/ 409-410.

(4) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن علي بن سنان، بن يحيى بن صدقة التغلبي المعروف بابن الخياط شاعر من الكتاب (450-517هـ)، ترجمته في التهذيب 2/ 67. الوفيات 1/ 145، شذرات الذهب 4/ 54.

(5) عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان، أبو محمد الشاعر الأديب، أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري (423-466هـ)، انظر ترجمته في فوات الوفيات 2/ 230. النجوم الزاهرة 5/ 96.

(6) الحكاية وردت في وفيات الأعيان 3/ 409-410.

(7) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(8) هو عروة بن الورد بن زيد العبسي من شعراء الجاهلية وأجوادها. انظر ترجمته في الأغاني 3/ 73 والشعر والشعراء: 260.

(9) أ: أخاف.

على قدر ثلاثة أذرع، ثم صعد شجرة فاختفى[1]، فجاء جماعة من الحي على النار فلم يجدوا أحدا. قال: فوقف رجل منهم، على فرس له على موضع النار وقال: أقسم بالله لقد رأيت على هذا البعد في هذا الموضع نارا، فنزل رجل منهم واحتفر موضع/ إشارته ونزل قدر ذراع فلم يجد شيئا، فأقبل الحي على الرجل يلومونه [196/ب][207/د] ويقولون له: كذبت عينك، ثم انصرفوا. قال عروة: فتبعت الرجل ودخلت إلى بيت من بيوت الحي واختبأت في كسره وخرج الرجل ليقضي مآربه فجاء رجل فخلا بزوجته وأنا أنظر، ثم قدمت له لبنا فشرب منه ثم شربت بعده/ وانصرف، [228/ج] ووصل الرجل بعد ذلك فقدمت له اللبن، فلما ذهب ليكرع منه قال: أقسم بالله لقد شممت في هذا اللبن ريح رجل، فقالت له المرأة: وأي رجل يدخل بيتك؟ وجعلت تلومه وتعذله إلى أن استقر وسكن وآوى إلى فراشه. قال عروة: فقمت إلى الفرس فضرب برجله وتنحنح فثار الرجل وخرج فاختفيت منه، فلم يجد أحدا، فقال للفرس: ما كنت لتكذبني، فما بالك؟ فأقبلت امرأته عليه لوما وعذلا فعاد الرجل إلى فراشه وسكن. قال عروة: فركبت الفرس وسرت به ركضا فلحقني الرجل على فرس له أنثى وسمعته يقول في أثناء الركض: ألحقني، فإنك من نسله، فلما انقطع عن البيوت وقفت وقلت له: أيها الرجل: إنك لوعرفتني لم تقدم علي، أنا عروة بن الورد، وقد رأيت منك الليلة عجبا فاخبرني عنه وأنا أرد عليك فرسك. قال: وماذاك؟ قال: جئت مع قومك حتى ركزت رمحك في موضع نار أوقدتها ثم أنثنيت إلى منزلك، ثم شممت ريح رجل في إنائك وصدقت في ذلك وقد رأيت الرجل وبينه بين زوجتك ما لا تحب فَثَنَتْكَ عن ذلك. وانتبهت من ضرب رجل فرسك وتنحنحه فقلت له: ما كنت لتكذبني فصدقت وثنتك امرأتك، ثم إني رأيتك في هذه الخصال أكمل الناس لكنك ترجع، [قال:][2]

---

(1) هـ: واختفى.

(2) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

فضحك وقال: أما ما رأيت من حزامتي فمن قبل أعمامي، وأما الثانية فمن قبل أخوالي، وهم بطن من خزاعة والعرق دساس، ولولا ذلك لم يَقْوَ علي أحد من العرب. قال عروة: فقلت له خذ فرسك راشدا، فقال: ما كنت لآخذه منك فعندي من نسله جماعة خير منه فخذه بارك الله لك فيه[1].

حكى الشريشي[2] في شرح المقامات أنه كان رجل بالبصرة يعطي دواء لظلمة البصر فينتفع به الناس، فمات الرجل فأضر ذلك بمن كان يستعمله فذكر ذلك للخليل بن أحمد[3] فقال: أله نسخة؟ فقالوا: لم نجدها فقال: هل وجدتم له آنية كان يعمله فيها؟ قالوا له: نعم. قال: فائتوني بها، فجعل يشم الآنية ويخرجه نوعا نوعا حتى أخرج منه خمسة عشر نوعا وأعطاه للناس فانتفعوا به مثل تلك المنفعة، ثم وجدت النسخة في أسباب[4] الرجل فإذا فيها ستة عشر نوعا لم يسقط منها إلا نوعا واحدا[5].

حُكي أن الصاحب جمال الدين ابن مطروح[6] كتب إلى بعض الرؤساء رقعة على يد صديق له ليشفع فيها عنده فرد الجواب على الصاحب: هذا أمر علي فيه مشقة، فكتب ابن مطروح جوابا: لولا المشقة... فلما وقف على ما كتبه الصاحب

---

(1) الحكاية وردت في الأغاني 3/ 81-83.

(2) أحمد بن عبد المؤمن بن موسى، أبوالعباس القيسي الشريشي، من العلماء بالأدب والأخبار له كتب وشروح. أشهرها «شرح مقامات الحريري (توفي سنة 619هـ)، انظر ترجمته في نفح الطيب 2/ 115 وبغية الوعاة: 143.

(3) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي المشهور ببحور الشعر (100-170هـ)، انظر ترجمته في الوفيات 2/ 244. وأنباه الرواة 1/ 341. شرح مقامات الحريري للشريشي 2/ 182.

(4) أسباب الرجل: منازله. اللسان: سبب.

(5) الحكاية وردت في شرح مقامات الحريري للشريشي 2/ 182. والكردان: 393.

(6) أبو الحسن يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن الحسين بن علي بن حمزة بن إبراهيم بن الحسين بن مطروح الملقب جمال الدين شاعر أديب مصري (592- 649هـ)، انظر ترجمته في الوفيات 6/ 258. النجوم الزاهرة: 7/ 27.

[229/ج] امتثل ما رسم به وشفعه فيما طلبه/ وفهم من قوله: «لولا المشقة» قول أبي الطيب:

[البسيط]

[1/أ][208/د] لولا المشقة ساد الناس كلهم   الجود يفقر والإقدام قتال[1]/

حكى صاحب «موقظ الوسنان[2] أن رجلا من الشعراء وفد[3] على بعض الملوك ومدحه فأجازه الملك الجائزة السنية ووكل به عبدين يوصلانه إلى بلاده ويحتفظان به، فلما توسطا به بعض الفلوات هما بقتله وأخذ ما معه، فلما أحس بذلك قال لهما: وما الذي لكما في قتلي[4] من الفائدة؟ خذا ما معي من المال ولكما [197/ب] علي العهود والمواثيق أني لا أعلم بذلك الملك[5]، وأرسل/ معكما علامة دالة على السلامة، وقد كان الملك شرط عليهما أن يأتياه بعلامة دالة على سلامته فقال لهما: إذا وصلتما إليه فقولا له: علامة السلامة قول أبي الطيب:

[الكامل]

أبي[6] الشموس الجانحات غواربا   اللابسات من الحرير جلاببا[7]

فلما عادا إلى سيدهما قالا: يقول لك: إن علامة سلامته قول أبي الطيب كذا وكذا إلى آخره. فقال الملك: وما في هذا من العلامة الدالة على سلامته فتأمله فإذا

---

(1) البيت ورد في ديوان المتنبي 3/ 3/ 287، من قصيدة مطلعها:
لا خيل عندك تهديها ولا مال   فليسعد النطق إن لم تسعد الحال
والحكاية وردت في الوفيات 6/ 258.

(2) في إيضاح المكنون: موقظ الوسنان من السنة في دعاء آخر السّنة، لشمس الدين محمد بن محمد البكري. انظر ج 2/ 607.

(3) وفد وفد.

(4) عبارة ب، د: وما الذي في قتلي لكما من الفائدة.

(5) ساقطة من: ج.

(6) أ: فأبي.

(7) البيت هو مطلع القصيدة. انظر الديوان 1/ 122.

في القصيدة:

أظمتني الدنيا فلما جئتها مستسقيا مطرت علي مصائبا
كيف الرجاء من الخطوب تخلصا من بعد ما أنشبن في مخالبا[1]

فعرف القصة وقبض العبدين فأقرا بها فعلا، فأخذ منهما المال ووضع عليه قدره وأرسله إليه إلى بلاده رحمه الله.

حُكي أن أبا العلاء المعري دخل على الشريف الرضي[2] فعثر برجل فقال الرجل: من هذا الكلب؟ فقال له: الكلب من لا يعرف سبعين اسما للكلب، فقربه الشريف الرضي، ويقال إنه الشريف المرتضي[3] قال الراوي: فاختبره فوجده علاَّمة. ثم جرى ذكر المتنبي يوما آخر بحضرة الشريف المذكور فتنقصه الشريف وذكر معايبه في شعره، فقال المعري لولم يكن له من الشعر إلا قوله: «لك يا منازل في القلوب منازل»[4] لكفاه ذلك شرفا وفضلا، قال: فغضب الشريف وأمر بجره من رجله وإخراجه من مجلسه، فلامه من حضر مجلسه فقال: أتدرون ما أراد وأي شيء قصد هذا الأعمى بذكر هذه القصيدة؟ فإن للمتنبي ما هوأحسن منها لم يذكرها. فقالوا: لا ندري. فقال: قوله منها:

[الكامل]

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل[5]/ [230/ج]

(1) البيتان وردا في الديوان 1/ 124. والبيت الأول هو البيت العاشر في القصيدة، بينما البيت الثاني هو السابع فيها.

(2) سبق ذكره.

(3) الشريف المرتضي أبو القاسم علي بن الطاهر ذي المناقب، كان نقيب الطالبين، وكان إماما في علم الكلام والأدب والشعر، وهو أخو الشريف الرضي. (355-436هـ). جمهرة الأنساب: 56. الوفيات 3/ 313.

(4) هذا الشطر من مطلع القصيدة وتتمته: أقفرت أنت وهن منك أواهل. انظر الديوان 3/ 249.

(5) البيت هو 39 من القصيدة. انظر الديوان 3/ 260. وزهر الآداب 1/ 268.

حُكي أن مهلهل[1] كان له عبدان وكان يكلفهما في الخدمة فوق طاقتهما فحقدا عليه، فسافر في بعض أسفاره/ فلما توسطا به بعض الفلوات قبضا عليه وهمَّا بقتله، فلما علم بذلك[2] كتب على قتب ناقته يقول: [170/هـ]

[الكامل]

من مبلغ[3] الحيين أن مهلهلا ... لله دركما ودر أبيكما[4]

فلما رجعا بعد قتله سألهما[5] بنوه [عنه][6] فقالا: مات معنا ببعض الفلوات فرأى أصغر أولاده القتب وقرأ البيت فقال: إن مهلهلا لا يقول مثل هذا الكلام ولكنه مات قتيلا وإنه أراد بقوله:

[الكامل]

من مبلغ الحيين إن مهلهلا ... أضحى قتيلا في التراب مجندلا

لله دركما ودر أبيكما ... لا يبرح العبدان حتى يقتلا[7]/ [209/د]

فمسكا وضربا فاعترفا بمقتله فقتلا به[8]

حكى ابن الجوزي[9] في كتابه «أنس الفريد»[10]، قال: قال ابن عباس رضي الله عنه: عشرة أطيار سماها الله سبحانه وتعالى بأسمائها في القرآن الكريم، البعوضة

(1) هو عدي بن ربيعة أخو كليب الذي هاجت بمقتله حرب بكر وتغلب، وهو خال امرئ القيس. الشعر والشعراء: 1/ 215.

(2) أ: ذلك.

(3) أ: بلغ.

(4) البيت ورد في بلوغ الأرب 1/ 32.

(5) أ، ب، د، هـ: سألوها.

(6) زيادة من: ب، ج، د.

(7) البيتان وردا في بلوغ الأرب 2/ 157.

(8) الحكاية وردت في سمط اللآلي 1/ 28، وبلوغ الأرب 2/ 157.

(9) سبق ذكره

(10) «أنس الفريد وبغية المريد»: هو العنوان الكامل للكتاب. انظر كشف الظنون 2

في سورة البقرة، والغراب في سورة المائدة، والجراد في سورة الأعراف، والنحلة في سورة النحل، والسلوى في سورة طه، والنملة في سورة النمل، والهدهد فيها أيضا، والذباب في سورة الحج، والفراش في سورة القارعة، والأبابيل في سورة الفيل[1].

حُكي أنه أُحضر إلى الرشيد طبيب أعمى فأمر جارية تأخذ/ بيده حتى تحضره [155/أ] إليه، فلما قضى حاجته أمرها أن تخرجه فمشت به خطوات ثم أمرها/ أن تعود به [198/ب] إلى الرشيد، فقال له: ما شأنك؟ فقال[2]: لما دخلت أخذت بيدي هذه الجارية وهي بكر فلما خرجت أخذت بيدي وهي ثيب فضربت الجارية فقالت: إن ولد أمير المومنين[3] افتضني الآن، فعجب الرشيد من الطبيب[4].

حُكي أن إياس[5] رحمه الله نظر إلى ثلاث[6] نسوة فزعن من شيء فقال: هذه حامل وهذه مرضع وهذه بكر. فوجدن كما قال[7]، فقيل له: من أين علمت ذلك؟ فقال: لما جزعن وضعت كل واحدة منهن يدها على أهم المواضع إليها فوضعت المرضعة يدها على ثديها ووضعت الحامل يدها على بطنها ووضعت البكر يدها على فرجها[8].

---

(1) الحكاية وردت في حياة الحيوان الكبرى 2/ 138.

(2) أ: فقال له.

(3) أ: ولد الأمير.

(4) الحكاية وردت في ثمرات الأوراق: 178، وأظن أن الحكاية لابن طولون وأبيه.

(5) أبو واثلة إياس بن معاوية بن قرة بن إياس بن هلال، من أهل الذكاء والفطنة ورأسا لأصحاب الفصاحة والرجاحة، ولاه عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة توفي سنة 122هـ. البيان والتبين 1/ 56. الوفيات 1/ 247. ميزان الإعتدال 1/ 283.

(6) ب: ثلاثة.

(7) ب، د: قيل.

(8) الحكاية أوردها ابن خلكان في الوفيات، في معرض ترجمته لإياس 1/ 248. وكذا في الشريشي 1/ 88 والأذكياء: 64 والكشكول: 333.

قلت: ومن ذلك أنه سمع نباح كلب لم يره فقال: هذا نباح كلب مربوط على بئر فنظروا فوجدوه كما قال. فقيل له: من أين علمت ذلك؟ فقال: سمعت عند نباحة دويا ثم بعده صدى يجيبه فعلمت أنه/ على بئر مربوط. [231/ج]

قلت: ومن ذلك أنه رأى اعتلاف بعير فقال: هذا البعير أعور فإذا هو كما قال. فسئل عن ذلك فقال: رأيت اعتلافه من جهة واحدة. وتوفي سنة اثنين وعشرين ومائة وله أخبار عجيبة في الذكاء رحمه الله.

حكى ابن قتيبة في كتابه «عيون الأخبار» عن المثنى بن زهير[1] أنه قال: لم أر شيئا من رجل وامراة إلا رأيته في الحمام، رأيت حمامة لا تريد إلا ذكرها ولا تلتفت لغيره ورأيت ذكرا لا يريد إلا أنثاه إلا أن يهلك أحدهما، ورأيت الحمامة تتزين للذكر حين يريدها ورأيت حمامة لها زوج وهي تمكن آخر ورأيت حمامة تقمط[2] حمامة ورأيت ذكراً يقمط ذكرا ورأيت ذكراً يقمط من لقي ولا يزاوج، وأنثى تقمط من رآها من الذكران ولا تزاوج، وليس في الحيوان من يستعمل التقبيل عند السفاد سواه، وهو عفيف في السفاد يجر ذنبه على أثره[3].

حكى ابن الجوزي رحمه الله في كتاب الأذكياء قال: أقبلت امرأة من جهة الرصافة ورجل على جسر بغداد فاستقبلها رجل شاب فقال: رحم الله/ علي بن الجهم[4] فقالت: مجيبة له: رحم الله أبا العلاء[5] المعري ثم سارت[6] مشرقة [171/هـ]

(1) المثنى بن زهير.

(2) قَمَطَ يقْمُط ويقمِط: تقال في الطير والماشية وهي أن ينزو الذكر على الأنثى ويسفدها. اللسان: قمط.

(3) الحكاية وردت في عيون الأخبار 2/ 91.

(4) سبق ذكره.

(5) ساقطة من: ب.

(6) أ، هـ: صارت.

وسار[1] مغربا. قال المخبر: فتبعت المرأة ثم قلت[2] لها: إن لم تخبرني ما أراد وما أردت وإلا فضحتك قال: فضحكت ثم قالت: أراد بقوله: علي بن الجهم، قوله:

[الطويل]

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري، ولا أدري[3] / [210/د]

أردت أنا بقولي: رحم الله أبا العلاء المعري قوله:

[الطويل]

فيا دارها بالخيف إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال[4]

حُكي أن بعض الشيوخ كان كثير الميل إلى بعض المريدين فشق على البقية فأراد الشيخ أن يظهر لهم فضيلته فأعطى كل واحد منهم طائرا وقال له: اذبح هذا حيث لا يراك أحد، فذهبوا ثم جاءوا وقد ذبح كل واحد منهم طائره إلا ذلك المريد، فإنه رد طائره حيا فقال له الشيخ: ما بالك لم تذبح كما ذبح أصحابك؟ فقال: لم أجد موضعا لا يراني فيه أحد فإن الله سبحانه وتعالى يراني في كل موضع. فقال الشيخ لبقية المريدين. لهذا أميل إليه، لأنه لا يلتفت إلى غير الله تعالى.

حُكي أن ابن جميع الإسرائيلي[5] كان من الأطباء المشهورين والعلماء المذكورين وصنف "الإرشاد" وغيره في علم الطب وخدم سلطان مصر صلاح الدين[6]

---

(1) أ: وصار.

(2) أ: فقلت.

(3) البيت هو مطلع قصيدة طويلة في مدح المتوكل العباسي، انظر الديوان: 220/ 141. وفي معجم البلدان: 46.

(4) والحكاية وردت في الأذكياء: 223. وثمرات الأوراق: 161 وحياة الحيوان 2/ 331.

(5) هبة الله بن زيد بن حسن بن إفرائيم بن يعقوب بن جميع أبو العشائر الإسرائلي المنعوت بشمس الرياسة، طبيب مصري توفي سنة 594هـ. انظر طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة: 576.

(6) سبق ذكره.

[232/ج] يوسف بن أيوب وحظي في أيامه وكان رفيع المنزلة/ نافذ الأمر[1] فنقل عنه[2] من حذقه[3] أنه كان[4] جالسا في دكانه وقد مرت عليه جنازة، فلما نظر إليها صاح بأهل الميت: إن صاحبكم لم يمت، ولا يحل أن تدفنوه حيا فقال بعضهم/ لبعض: [156/أ] هذا الذي يقوله ما يضرنا ويتعين أن نمتحنه فإن كان حيا فهو المراد، وإن لم يكن حيا فما يغير علينا شيئا، فاستدعوه إليهم وقالوا:/ بين لنا ما قلت، فأمرهم بالعود [199/ب] إلى البيت وأن ينتزعوا أكفانه، فلما فرغوا من ذلك أدخله الحمام وصب عليه الماء الحار وأحمى به بدنه ونصله[5] فظهرت منه أدنى حركة وحس وتحرك حركة خفيفة فقال: أبشروا بعافيته وتمم علاجه إلى أن أفاق وصلح، وكان ذلك مبتدأ اشتهاره في العلم والطب، ثم إنه سئل بعد ذلك: من أين علمت أن ذلك الميت فيه بقية روح وهو في الأكفان محمول؟ قال: نظرت إلى قدميه فوجدتهما قائمتين، وأقدام الموتى منبسطة، فعلمت أنه حي وكان في ذلك علمي صائبا.

---

(1) د: الأمل.

(2) ساقطة من: د.

(3) هـ: خدعه.

(4) ساقطة من:هـ.

(5) النصل: الرأس بجميع ما فيه. ويكون في الإبل والخيل ولا يكون في الإنسان. انظر اللسان: نصل.

الباب العاشر

في الدهاء والمكر والحيل المأثورة عن ذوي السياسة

حكى الفضل بن الربيع[1] قال: دخل شريك[2] القاضي على المهدي[3] فقال له المهدي: لا بد أن تجيبني إلى خصلة من ثلاث خصال. قال: وما هن[4]؟ قال: إما أن تلي القضاء، أوتحدث ولدي أوتأكل عندي أكلة، ففكر قليلا ثم قال: الأكلة أخفهن علي، فأمر المهدي الطباخ أن يصلح له[5] الموائد من خالص البر المعقود بالسكر والطبرزد[6] والشهد وغيره. فلما فرغ من غدائه قال القيم[7] على الطبخ: لا يصلح هذا الشيخ بعد هذه الأكلة. قال الفضل بن الربيع: فحدث والله بعد ذلك شريك أولاده وولي القضاء. وجُعل له معلوم على الديوان، فكان الجهبد[8] يمطله بمعلومه/ فيلح عليه شريك/ فيقول له الجهبذ: أنت بعتني برا أويزا فيقول: [172/هـ][211/د] بل أعز من ذلك، بعتك ديني فلا حول ولا قوة إلا بالله[9].

---

(1) سبق ذكره.

(2) أبو عبد الله شريك بن عبد الله بن أبي شريك وهو الحارث بن أوس، القاضي، تولى القضاء بالكوفة أيام المهدي ثم عزله الهادي. (90-177هـ)، انظر ترجمته في تاريخ بغداد 9/ 279. والوفيات 2/ 264. وميزان الإعتدال 2/ 270.

(3) المهدي العباسي، سبق ذكره.

(4) ب، د: وما هي.

(5) د: لهن.

(6) الطبرزذ: السكر، فارسي معرب. اللسان: طبرزذ.

(7) أ، هـ: للقيم.

(8) في الوفيات 2/ 46 5: الجهبذ.

(9) الحكاية وردت في المرجع نفسه.

حكى المسعودي في تاريخه المعروف بمروج الذهب في ترجمة المتوكل العباسي أنه كان له ولدان بايع لهما بالخلافة وجعلهما ولي عهده، ولقب أحدهما بالمعتز والآخر بالمنتصر، وكان المعتز أصغر سنا من المنتصر، فجعل العهد للمعتز، ثم بعده للمنتصر على خلاف بني العباس في ذلك، من تقدم الأسن، كراهة للمتوكل للمنتصر. وكان يتهم أمه ويرميها بالقبائح، فأصر المنتصر في نفسه ذلك وحقد عليه، واحتال في قتله، فكتب رقعة مضمنها: يا أمير المومنين! إن بغا/ التركي[1] [233/ج] عازم على ركوبه عليك، هوومن معه من الأتراك، وقتلك يوم الجمعة فخذ حذرك منه ورماها فأخذها المتوكل فقرأها وعزم على القبض على بغا التركي، واستشار الفتح بن خاقان[2] فاستمهله الفتح وقال: ربما يكون ذلك كذبا عليه، ولكن خذ حذرك[3] منه فانظر إن حدث منه يوم الجمعة شيء فكن على أهبة واقبض عليه، ثم كتب المنتصر رقعة أخرى مضمنها[4] لبغا التركي: إن الأتراك يريدون الركوب على أمير المومنين يوم الجمعة وإنك المطلوب بذلك والمسؤول عنه، فخذ حذرك منهم، ورماها لبغا التركي فلما قرأها أخذ في التحفظ من ذلك، فلما كان يوم الجمعة تأهب بغا التركي خوفا[5] من أن يركب أحد من الأتراك فيوجه عليه الملام، وتأهب المتوكل خوفا من ركوب بغا التركي عليه لما وقر[6] في نفسه منه، فلما رأى المتوكل اعتداد بغا التركي للحرب لم يشك أنه يريده، فأمر بالهجوم عليه

---

(1) ذكره المسعودي في مروج الذهب 5/ 32. وذكره ابن خلكان في تاريخه 1/ 354. والكتبي في فوات الوفيات: 1/ 141

(2) هو الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج وزير المتوكل، كان شاعرا فصيحا موصوفا بالشجاعة والكرم (ت 274.هـ)، انظر الفهرست لابن النديم 1/ 116. معجم الأدباء 16/ 174. فوات الوفيات 2/ 246.

(3) أ: خذره.

(4) ب، ج: مضمونها.

(5) ساقطة من: ب، د.

(6) د: وجد.

والقبض، فقبض عليه وأراد قتله فترامى عليه المنتصر ولطف أمره فأمر بسجنه وإرجاء قتله، فصارت هذه الشفاعة للمنتصر في عنق بغا التركي ولا زال بينه وبين أبيه حتى أطلقه وأعاده إلى منزلته، فسار بغا التركي صنيعة للمنتصر وعدوا للمتوكل، وكان بغا رأس الأتراك وهم يومئذ عشرة آلاف فارس/ ولم يكن في [157/أ] العسكر أقوى شوكة/ منهم فصار المنتصر يخلو ببغا التركي ويتذاكران إساءة [200/ب] المتوكل لهما وأبدى كل منهما للآخر ما عنده من الحقد عليه واتفقا على قتله وقال المنتصر لبغا: احتل في ذلك، فعمد بغا التركي إلى شجاع من الأتراك اسمه باغر فأحسن إليه ووالى عليه من نعمته ما كاد أن يكون له بذلك عبدا، ثم دعاه يوما وقال له: لي إليك حاجة، فقال باغر: والله لو أمرتني بذبح نفسي لفعلت. فقال له: إن ولدي عاق لي وأريد أن أطلبه وأعرفه بذنوبه وأنت واقف بسلاحك فإذا رأيتني مسحت وجهي فاضرب عنقه فقال: نعم. فطلب بغا ولده وجعل يعرفه بذنوبه ثم قال له: اذهب، ثم قال لباغر: ولدي وعطفتني عليه الرحمة، ولكن حاجة أكبر من هذه فقال: وما هي؟ قال: أخي وصيف أساء إلي وأريد قتله وأنا أقرعه بذنوبه فإذا مسحت وجهي فاضرب عنقه، وطلبه وقرعه بذنوبه/ ثم قال [212/د] له: اذهب وقال لباغر: أخي وعطفتني عليه الرحمة، ولكن يا باغر حاجة أكبر من هذه أيضا، قال له: وما هي؟ قال: إن المنتصر كان سببا لما أوقع بي المتوكل وأريد قتله فسكت باغر ثم قال له: يا سيدي أنا أولى بأخذ ثأرك، ولكن إن أردت ذلك فابدأ بالأب قبل الابن فقال: افعل ذلك. فقال له بغا: إني أتحمل سلاحي عند دخولي عليه/ فادخل أنت ومعك سلاحك/ ثم اقصده واقتله إن قدرت [173/هـ][234/ج] وإلا اعطف علي فاقتلني فإذا قيل لك في ذلك فقل: بلغني أنه يريد أن يغتال أمير المومنين بدلالة ما معه من السلاح، فتطلب لك المنزلة بعدي[1] إن لم تظفر بقتله فقال: افعل إن شاء الله تعالى، ثم إن شخصا من ندماء المتوكل قدم عليه وأخبره

---

(1) عبارة ب، د، ج، هـ: فتطلب بذلك المنزله لك بعدي

أن رجلا من البصرة عنده سيف من الهند لا قيمة له، فكتب المتوكل لعامل البصرة يطلبه، فأعاد الجواب أنه اشتراه رجل من اليمن فكتب لعامل اليمن يطلبه فبعث به إليه. فلما رآه سر به ثم قال[1]: للفتح بن خاقان: أريد رجلا شجاعا يحمل هذا السيف على رأسي ولا يفارقني فلم يتم كلامه حتى طلع باغر التركي فقال الفتح: هذا الفتى موصوف بالشجاعة والنجدة فدعاه المتوكل ودفع إليه السيف وقال: لا يفارقني بعد اليوم. فكان يحمل على رأسه السيف ويقيم حاجبا على بابه، ثم إن المتوكل جمع ندماءه يوما وجلس للشرب وحوله ندماؤه وخدمه وباغر الذي حمل السيف بالباب حارس فتذاكر القوم ببني[2] أمية وما كان عندهم من الكبر وضيق الحجاب، فبكى المتوكل ثم قال: من يكون للموت مصيره كيف يليق به الكبر[3]؟ ثم حثى التراب على رأسه فتطير بذلك من حوله فلما عمل فيه الشراب جاءته جارية بسفط معها وقالت: مولاتي تقبل الأرض بين يديك وقد أرسلت إليك هذه الثياب، فتناولها ولبس منها ثوبا فثقلت عليه أثوابه وقام لينزعها عنه فانشق الثوب فازداد تطير الحاضرين. ثم جرى ذكر جارية من محاظيه تسمى محبوبة[4] فقال: إني غاضبتها لكني رأيتها الليلة في المنام قد صالحتني فقالت له جارية: يا أمير المومنين! إني مررت بمقصورتها فسمعت فيها هينمة فقام يعدو إلى المقصورة فسمعها تنشد وتقول:

[المنسرح]

أدور في القصر لا أرى أحدا ... أشكو إليه ولا يكلمني
كأنني قد أتيت معصية ... ليس لها توبة تخلصني

(1) ج: فقال.
(2) أ، ج، د، هـ: بيني.
(3) ساقطة من:هـ.
(4) محبوبة شاعرة مطبوعة ومغنية، وهي مولدة من مولدات البصرة، أهديت للمتوكل العباسي لما أفضت الخلافة إليه. انظر ترجمتها في أعلام النساء 5/ 25.

فمن شفيع لنا إلى ملك قد زارني في الكرى وصالحني[1]؟

فجعل المتوكل يصفق بيديه طربا لموافقة رؤياها رؤياه ثم دعاها وأتى بها المجلس. فبينما هم كذلك/ إذ دخل باغر ومعه من الأتراك عشرة بأيديهم السيوف [201/ب] مصلتة ففزع من في المجلس وتفرقوا فقصد باغر المتوكل فضربه ضربة بالسيف على عاتقة مال منها شقه/ ، ثم مات فجاء بغا التركي وأحضر المنتصر وبايعوه ليلا وتم [213/د] له الأمر، وكان من عادة الخلفاء أن يصنعوا وليمة بعد انتظام أمرهم، فصنع/ [235/ج] المنتصر وليمة عظيمة واستدعى لها الناس، وكان ملك الهند أهدى للمتوكل بساطا./ قال بعضهم: فرأيته مفروشا [وهو][2] دارات، في كل دارة منها[3] صورة [158/أ] ملك على كرسيه. قال: فرأيت دائرة[4] منه مكتوب حولها: هذه صورة ملك فلان قاتل أبيه و[لم][5] يلبث بعده إلا ستة أشهر، وفي أخرى هذه صورة فلان قاتل أخيه ولم يلبث بعده إلا ثلاثة أشهر. قال: فتطيرت من ذلك وقلت لبغا التركي: ما رأيتم إلا هذا البساط؟ قال: فطلبوا الخازن وزجروه عن ذلك، فقال: إن المنتصر سألني عنه فأعلمته أنه كان تحت أبيه ليلة الواقعة، وقد نالته الدماء فقال لي: إنما سرقته. فأحضرته، وأمرني بفرشه. قال: ثم إن المنتصر وهب لبغا التركي جواري أبيه/ [174/هـ] ومن جملتهن محبوبة صاحبة القصة فطلبها بغا التركي في بعض المجالس وأمرها أن تغني فامتنعت فأمر بصفعها. قال: فاندفعت تغني وهي تبكي وتقول:

[مجزوء الخفيف]

أي عيش يلذ لي لا أرى فيه جعفرا

---

(1) الأبيات أوردها المسعودي في تاريخه 5/ 43، وابن خلكان في الوفيات 1/ 356 مع اختلاف الروايات.

(2) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(3) أ، ج، هـ: منه.

(4) ساقطة من: د.

(5) زيادة من: ج.

ملك قد رأيته في دماء معفرا
كل من كان ذا بلى وسقام قد برا
غير محبوبة التي لو ترى الموت يشترى
[لشرته بما حوته يداها لتقبرا][1]

قال فأمر بضربها، ثم أقام المنتصر ستة أشهر لم ينفذ له أمر وغلب على أمره بغا التركي وأخوه وصيف التركي وقد قيل في ذلك:

[مجزوء الرجز]

خليفة في قفص بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له كما تقول الببغا

قال: ثم سم في مشراط[2] فمات المنتصر بعد ستة أشهر من ولايته، هذا كلام المسعودي[3] رحمه الله.

حُكي أن المنصور بنى بيتا وجعل أساسه ملحا وحبس فيه عمه عبد الله بن علي[4] وأجرى الماء في أساس البيت فوقع عليه فمات فقال المنصور لابن عياش[5] يوما وكان يباسطه هل تعرف ثلاثة أول أسمائهم حرف عين قتلوا ثلاثة أول أسمائهم كذلك؟ فقال: لا أعرف إلا ما تقول العامة، قالوا[6]: إن عليا قتل عثمان

(1) الأبيات وردت في مروج الذهب 5/ 44 والوفيات 1/ 356.

(2) المشراط: الآلة التي يشرط بها. اللسان: شرط.

(3) الحكاية في مروج الذهب 5/ 32 وما بعدها من خلافة المتوكل.

(4) عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي أمير عم أبي جعفر المنصور (103-147هـ)، انظر تاريخ بغداد 10/ 8. النجوم الزاهرة 2/ 7.

(5) هو عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة الهمداني الكوفي، راوية الأخبار والأدب. كان ينادم المنصور ويضحكه، انظر لسان الميزان 3/ 322 شذرات الذهب 1/ 243. وذكره ابن خلكان في تاريخه 6/ 274، والمسعودي 4/ 110.

(6) ساقطة من: ب.

رضي الله عنه، وكذبوا والله، وعبد الملك بن مروان قتل عبد الله بن الزبير، رضي الله عنه، وسقط البيت على عبد الله [عم][1] أمير المومنين، فضحك منه وقال: إذا سقط البيت على عمي فما ذنبي أنا؟ قال[2]: ما لك[3] ذنب[4].

حُكي في الأمثال السائرة، أنه يقال لمن رجع خائبا: «رجع/ بخفي حنين»[5] [236/ج] وسببه أن حنينا هذا كان من الحيرة وهو إسكافي فساومه أعرابي خفا ولم يشتر منه شيئا فغاضه وخرج إلى الطريق التي لا بد للأعرابي المرور عليها، فعلق فردة الخف على شجرة في طريقه وتقدم قليلا فرمى الأخرى واختفى، فجاء الأعرابي فرأى أحد الخفين على الشجرة فقال: ما أشبهها بخف حنين، لوكان معها الأخرى لتكلفت أخذها، وتقدم قليلا فرأى الثانية مطروحة فنزل وعقل بعيره وأخذها ورجع ليأخذ الأولى فخرج حنين من الكمين/ فأخذ البعير وذهب. فرجع [214/د] الأعرابي إلى حيه بخفي حنين فصار مثلا للخائب[6].

قلت وما أحسن قول بلدينا وقريبنا الشيخ شهاب الدين [السلمي]/ [7] من [202/ب] أبيات أولها:

[الوافر]

بكيتك يا غزال الأجدعين ... وقد ربحت عليك الأجر عيني

---

(1) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(2) أ، ج، هـ: فقال.

(3) ساقطة من:هـ.

(4) الحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 160، وثمرات الأوراق: 71.

(5) مثال يقال لمن رجع خائبا. ورد في مجمع الأمثال 1/ 296 وثمرات الأوراق: 119.

(6) الحكاية وردت في «الأمثال السائرة» للصاحب بن عباد. مجمع الأمثال 1/ 296 وثمرات الأوراق: 119.

(7) سبق ذكره.

تبعتك حافي الأقدام سعيا ... أأرجع لابسا خفي حنين

وهي طويلة تتضمن مدحا في النبي ﷺ ومخلصها:

ترى هل للزمان علي عطف ... فيجمع بين أحبابي وبيني

وأنظر بالحجاز النوق تسري ... بنا رملا إلى جد الحسين

حُكي عن مسيلمة الكذاب[1] وسجاح[2] وتعرف بزرقاء اليمامة قال صاحب «اقتباس الأنوار»[3]، كان مسيلمة بن حبيب الحنيفي يسمى في الجاهلية بالرحمان، فلما بعث رسول الله، صلى الله/ عليه وسلم، أرسل يدعوه إلى الإسلام [159/أ] قال: كلانا نبي فإن آمن بي آمنت به، ثم توفي رسول الله ﷺ ثم قامت سجاح بنت الحارث بن سويد بن يربوع تدعي النبوءة في فرسان تغلب[4] وكانت تقول: إن مما يوحى إلي: يا أيها/ المؤمنون المتقون لنا نصف الأرض ونصفها لقريش ولكنهم [175/هـ] قوم لا يعدلون. فاتفق بنوتميم على نصرتها وفيهم[5] رؤساء الناس وساداتهم، وفيهم الأحنف بن قيس[6] وحارثة بن زيد[7] وعطارد بن حاجب[8] ونظراؤهم

---

(1) مسيلمة الكذاب، أبو ثمامة بن ثمامة بن كبير بن حبيب بن الحارث بن عبد الحارث بن عدي بن حنيفة متنبي بني حنيفة أيام الردة (ت 12هـ)، انظر الروض الأنف 2/ 340. وغرر الخصائص: 208.

(2) سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان، متنبئة عربية، تنبأت بعد وفاة الرسول ﷺ بالجزيرة في بني تغلب. انظر ترجمتها في غرر الخصائص: 208 وأعلام النساء 2/ 177.

(3) اقتباس الأنوار والتماس الأزهار من أنساب الصحابة ورواة الآثار، لأبي محمد بن عبد الله بن علي اللخمي الشهير بالرشاطي المتوفى سنة 466هـ. انظر ترجمته في وفيات الأعيان 3/ 106. كشف الظنون 1/ عمود 134. معجم المؤلفين 6/ 90.

(4) أ، ب: ثعلب.

(5) ج: وفيه.

(6) سبق ذكره.

(7) هو حارثة بن يزيد بن أبي زهير الأنصاري، انظر الإصابة 1/ 297.

(8) عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي، خطيب، وفد على النبي فكان خطيبه واستعمله على صدقات بني تميم (ت -20هـ)، انظر الإصابة 2/ 483- 484.

وفي ذلك يقول عطارد بن حاجب:

[البسيط]

أضحت[1] نبيتنا أنثى رضينا[2] بها | وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا[3]

وكان مؤذنها شبيب[4] بن ربعي وقالت لبني تميم مرة: اسمعوا وعوا واسترعوا ما أُنزل علي، فإنه شفاء لما في الصدور، أي صدوركم، ثم قالت: أيها! الناس أعدوا الركاب واستعدوا للنهاب ثم اعدوا عَدْوَ الذياب فليس من دونكم حجاب، ثم قالت: اقصدوا اليمامة فقيل لها: إن شوكة أهل اليمامة شديدة، وقد استجد أمر مسيلمة فقالت إنه أنزل علي: يا معشر تميم: اقصدوا اليمامة ودفوا إليها دفيف الحمامة * فاضربوا فيها كل هامة * واضرموا فيها/ نارا متهامة * فلن يلحقكم [ج/237] بعد ذلك ملامة * قال: فتوجهت تميم معها إلى اليمامة فلما سمع مسيلمة الخبر ضاق ذرعه، وتحصن باليمامة، ثم أحاطت جيوشها به، فأرسل إلى وجوه قومه واستشارهم في أمرها، وقال: يا معشر ثقيف! ما تقولون في هذه سجاح التغلبية؟ فقالوا: الرأي أن تسلم إليها الأمر وتنجو بنفسك، وإن لم تفعل فهوالبوار. فقال: سأنظر في أمري، ثم أرسل إليها كتابا يقول فيه: أما بعد، فإنه أنزل عليك وحي وأنزل علي وحي فهلم نتدارس ما أنزل علينا، فمن غلب منا صاحبه اتبع الآخر، ونكون لحمة واحدة، ونأكل العرب بقومي وقومك. فلما وصلت الرسالة إلى سجاح أجابته لذلك، فضرب لها قبة من أدم وأمر بالعود المنزلي فأحرق وقال/ : [د/215] استكثروا من الطيب فإن المرأة إذا شمت رائحة الطيب تذكرت الباءة. قال: فأتته

---

(1) أ: أصبحت.

(2) ج: نظيف.

(3) البيت أورده الطبري في تاريخه 3/ 240. وفيه: أمست نبيتنا أنثى نطيف بها...وغرر الخصائص: 208 وفيه أنه من شعر قيس بن عاصم المنقري.

(4) هو شبث بن ربعي التميمي اليربوعي أبو عبد القدوس الكوفي، يقال إنه كان مؤذن سجاح ثم أسلم بعد ذلك. وذكره ابن حبان في الثقات وقال:..يخطئ. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب 4/ 303.

إلى القبة وسألته عما أنزل عليه. فقال: أنزل علي: ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى[1]؟ أخرج[2] منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى[3]، وأمات وأحيى وأن إلى الله المنتهى. فقالت: ثم ماذا؟ فقال[4]: ألم ترى أن الله قد[5] خلقنا أفواجا وجعل النساء لنا أزواجا نولج فيهن إيلاجا ونخرج منهن إذا شئنا إخراجا، قال: فضحكت فأنشأ يقول:

[الهزج]

[203/ب] ألا قومي إلى المخدع فقد هيىء لك المضجع/
فإن شئت فرشناك وإن شئت على أربع
وإن شئت بثلثيه وإن شئت به أجمع[6]

قال: فقالت بل به أجمع فإنه للشمل أجمع، فقال: كذا أمرت، وواقعها، فلما أقام عنها قالت: إن مثلي لا ينكح هكذا فيكون ثلمة[7] في قومي ولكني مسلمة إليك النبوة، فإذا سلمتها إليك فاخطبني من قومي ثم من أوليائي، فقال لها: نعم وخرجا فاجتمعا الحيان، حنيفة وتميم. فقالت سجاح: إني قرأت ما أنزل عليه من الوحي فوجدته حقا فاتبعته، وخطبها منهم فأجابوه فتزوجها فسألوه المهر فقال: قد رفعت عنكم صلاة العصر. قيل: إن بني تميم إلى الآن لا يصلون العصر ويقولون هو حق لنا ومهر كريمة منا لا نرده. قال أبو بجيلة العُكْلي في ذلك:

(1) عبارة ب، ج، د: ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى.

(2) د: وأخرج.

(3) الصفاق: الجلد الأسفل الذي دون الجلد الذي يسلخ. اللسان: صفق.

(4) د: وأخرج.

(5) ساقطة من: د.

(6) الأبيات وردت في الطبري 3/ 239 وغرر الخصائص: 208.

(7) الثلمة: الموضع الذي قد انثلم، ويقال: ثلمت الحائط أثلمه والثلمة الخلل في الحائط وغيره. اللسان: ثلم.

[الرجز]

إن سجاحا لاقت الكذابا نبية فحلت النقابا/ [176/هـ]
قد جعلت جعبتها قرابا أوقب فيها أيره إيقابا[1]/ [160/أ]

حُكي أن الهرمزان[2] أحضر بين يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسيرا فدعاه إلى الإسلام فأبى، فأمر بقتله فقال له: قبل أن تقتلني اسقني/ شربة ماء، [238/ج] فأمر عمر رضي الله عنه بقدح من الماء فلما صار في يده القدح قال: أنا آمن حتى أشربه قال: نعم، لك الأمان حتى تشربه. فألقاه من يده فأراقه ثم قال: الوفاء الوفاء يا أمير المومنين! فقال عمر: دعوه حتى ننظر في أمره، فلما رفع السيف قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، فقال له عمر: لقد أسلمت خير إسلام، فما أخرك عن ذلك؟ قال خشيت أن يقال عني: أسلم[3] جزعا من السيف. فقال عمر رضي الله عنه: إن لفارس لخلقا استحقت به ما كانت[4] فيه من الملك. ثم إن عمر رضي الله عنه كان بعد ذلك يشاوره في إخراج الجيوش إلى أرض فارس ويعمل برأيه[5].

---

(1) القراب: الغمد ويكون للسيف أو السكين. اللسان: قرب. أوقب: من الإيقاب: وهو إدخال الشيء في الوقب، والوقب: كل نقر في الجسد كالعين وغيرها. اللسان: وقب. والبيان. والحكاية في تاريخ الطبري 3/ 236 وما بعدها وغرر الخصائص: 208-209.

(2) الهرمزان قائد جيوش استسلم إلى عمر بن الخطاب سنة 16هـ واغتاله عبيد الله بن عمر بعد مقتل أبيه. لأنه اتهمه بذلك. ذكره ابن سعد في الطبقات 3/ 293 والمسعودي في مروج الذهب في معرض حديثه عن خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والعقد 1/ 112.

(3) أ: هـ: أسلمت.

(4) أ: ما كنت د: ما كان.

(5) الحكاية وردت في العقد 1/ 112-113 مع اختلاف الرواية.

حُكي أنه خرج محمد بن عبد الله بن الحسن[1] [بن الحسن][2] بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه على المنصور، وكان بويع له في كثير من الأمصار، وكان يدعى بالنفس[3] الزكية لزهده ونسكه، ولما ظهر دعا المنصور إسحاق بن مسلم العقيلي[4]، وكان شيخا ذا رأي وتجربة. فقال له: أشر علي في خارجي خرج علي: فقال له: صف لي الرجل، فقال: رجل من ولد فاطمة بنت رسول الله ﷺ ذو زهد وعلم وورع. قال: ومن معه؟ قال: ولَدُ علي[5] وجعفر[6] وولد عقيل[7] وولد عمر بن الخطاب وولد/ الزبير بن العوام وولد الأنصار وسائر قريش. فقال له: صف لي البلد، فقال: بلد ليس فيها ضرع ولا زرع ولا تجارة واسعة، ففكر الشيخ ساعة ثم قال له: اشحن البصرة بالرجال فقال المنصور في نفسه: قد خرف هذا، أسأله عن خارجي خرج بالمدينة فيقول اشحن البصرة بالرجال فقال له: انصرف يا شيخ، فلم يكن إلا يسيرا وقد ورد الخبر بأن إبراهيم بن عبد الله[8] أخاه قد ظهر بالبصرة. فقال المنصور عليَّ بالعقيلي، فلما دخل عليه أدناه وقال له: إني كنت شاورتك في أمر خارجي خرج علي بالمدينة فقلت لي: اشحن البصرة بالرجال، فهل عندك من البصرة علم؟ فقال: لا والله ولكن ذكرت لي خروج رجل إذا خرج مثله لم يتخلف [216/د]

(1) محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويكنى أبا عبد الله، كان عالما بكتاب الله، وفقيها في الدين (93- 145هـ)، انظر ترجمته في مقاتل الطالبيين 232 مروج الذهب 4/ 145. والبداية والنهاية 10/ 82-87.

(2) ساقطة من: ب، د.

(3) أ: النفس.

(4) إسحاق بن مسلم العقيلي، قائد: كان على أرمينية أيام مروان بن محمد ثم انضم إلى بني العباس فكان من خاصة المنصور، انظر فتوح البلدان للبلاذري: 211.

(5) علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(6) سبق ذكره.

(7) عقيل بن أبي طالب ويكنى أبا يزيد، كان عالما بنسب قريش (ت: 60هـ)، .انظر طبقات بن سعد 1/ 121 وذكره ابن خلكان في تاريخه: 2/ 505. 6/ 38، 156.

(8) سبق ذكره.

عنه أحد[1]، ذكرت[2] البلد[3] الذي[4] هوفيه فإذا هوضيق لا يحتمل الجيوش فعلمت أنه سيطلب غير بلده، ففكرت في مصر فوجدتها مضبوطة والشام/ [204/ب] والكوفة كذلك وفكرت في البصرة فخفت عليها لخلوها، فأشرت بشحنها. فقال له المنصور: أحسنت وقد خرج بها أخوه فما الرأي في صاحب المدينة؟ قال: تريد قتله إذا قال أنا ابن رسول الله ﷺ، قال الآخر: أنا ابن رسول الله ﷺ. فجهز إليه المنصور بن عمه موسى بن عيسى[5] في أربعة آلآف فارس وألفي راجل فحاصروه بالمدينة حتى قتل وهو ابن خمس وأربعين سنة ولما اتصل خبر قتله بأخيه إبراهيم صعد على منبر البصرة فنعاه وقال:/ [ج/239]

[البسيط]

أبا المبارك يا خير الفوارس من	يفجع بمثلك في الدنيا فقد فجعا
الله يعلم أني لو خشيتهم	وأوجس القلب من تلقائهم جزعا
لم يقتلوني ولم اسلم أخي لهم	حتى نموت جميعا أونعيش معا[6]

حُكي أن سبب عبادة الأصنام أنه كان لآدم عليه السلام من أولاده بنون خمسة: نسر/ [177/هـ] وود وسواع ويغوث ويعوق، وكانوا عبادا، فنشط قوم يأخذون مأخذهم في العبادة، فقال لهم إبليس: لو صورتم صورهم في مصلاكم كان أنشط لكم وأشوق إلى العبادة، ففعلوا ذلك، ثم جاء أولادهم من بعدهم، فقال لهم إبليس:

(1) هـ: أحدكم.
(2) أ: ذكي.
(3) زيادة من: ج، هـ. ب، د: البلاد.
(4) أ: التي.
(5) سبق ذكره.
(6) الأبيات وردت في مروج الذهب 4/ 147، وفي الكامل للمبرد 3/ 259 مع اختلاف بين الروايات.
الحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 145، والبداية والنهاية 10/ 82، 87.

[161/أ] هذه آلهة آبائكم، فعبدوها إلى أن أغرقهم الله تعالى بالطوفان، ثم بعد الطوفان/ أخرجها اللعين للعرب، نسرا لحمير، وودا لكلب، وسواعا لهذيل، ويغوث لبني غطيف حي من مراد ويعوق لهمذان، ثم أحدثوا للأصنام أسماءا أخرى إلى أن جاء الحق[1].

حُكي عن جحظة[2] قال: حصلت لي ضائقة أنفقت فيها كل ما أملك حتى صرت كما قيل في المثل: «أفلس من طنبور بلا وتر»[3] ففكرت كيف أعمل وكنت جارا للصاحب بن عباد[4]، فأردت أن أحتال عليه لعلي[5] آخذ منه شيئا لأنفقه وأنال[6] رفده كتبت[7] إليه:

[المجتث]

ماذا ترى في لحوم مشوية وبوارد

[217/د] وقهوة ذات لون تحكي خدود الخرائد[8]/

وشادن يتغنى عن آل يحيى بن خالد[9]

إن المضيع لهذا ابن المروءة بارد

(1) الحكاية وردت في البداية والنهاية 1/ 105.

(2) لعله هو أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك، جحظة البرمكي النديم، لقبه بهذا اللقب ابن المعتز. انظر معجم الأدباء 2/ 241.

(3) المثل لم أقف عليه.

(4) الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس بن عباد، كان نادرة الدهر وأعجوبة العصر في فضائله مكارمه وكرمه ولد سنة 326 هـ بالطالقان، وتوفي بالري سنة 385هـ، انظر معجم الأدباء 6/ 168. الوفيات 1/ 228.

(5) أ: لعل.

(6) ب: وأنا.

(7) د: فكتب.

(8) الخرائد: مفردها الخريدة والخرود من النساء البكر التي لم تمس قط... انظر اللسان مادة: خرد.

(9) الأبيات أوردها ياقوت في معجم الأدباء 2/ 258 مع اختلاف الرواية.

قال جحظة: فما شعرت به إلا وقد أقبل إلى داري في جماعة من غلمانه فقلت له: لم جئت ومن دعاك؟ فقال: أنت. قال: فقلت: إنما قلت لك: ماذا ترى هناك في بيتك؟ وما قلت: إنه في بيتي، والله إن بيتي لأفرغ[1] من فؤاد أم موسى. قال: لقد جئت ولا أرجع ولكن أدخل إليك وأحضر من داري ما أريد، فدخل بيتي فلم يجد فيه إلا الحصير، فاستدعى من بيته فرشا وماعونا وآلة وكل ما يحتاج إليه. وجلس يومه عندي وليلته يشرب على غنائي، وكنت كما عرفت به محسنا للغناء والضرب إحسانا لم يتقدمني فيه أحد، فلما كان من الغد سلم إلي غلمانه كيسا فيه ألف دينار ورزمة ثياب، فقام فشيعته فلما بلغ آخر حصن الدار قال: مكانك يا أبا الحسن احفظ بابك وكل ما في دارك لك[2].

حكى أبو الحسن علي بن أحمد في/ كتاب «لب اللباب ونزهة الألباب» قال: إن [240/ج] قاضي أنطاكية خرج في غلس لبعض صناعه فلقيه لص فقال له: تجرد من أثوابك وإلا أوقعت بك مكروها فقال: أنا القاضي، وللعلم حرمة فأكرمني لذلك. فقال اللص: الحمد لله الذي مكنني منك، فإني إذا أخذت ثيابك رجع إليك ثياب ومال والحمد لله الذي لم يمكني من فقير ضعيف الحال، لا يجد شيئا إذا أخذت ثيابه، فقال القاضي: أراك ذا بيان/ فقال اللص: نعم. وفوق كل ذي علم عليم، فقال [205/ب] القاضي: قال رسول الله ﷺ: «ومن ابتدع فعليه لعنة الله»، وهذه اللصوصية بدعة وأنا أجلك أن تدخل تحت هذه اللعنة، فقال اللص: يا مولاي![3] هذا حديث مرسل لم يروه مالك ولا نافع ولا ابن عمر رضي الله عنهم، وبتقدير صحته وتسليمه فلي أيام لم آكل شيئا أنا وعيالي، وقد أشرفنا على الهلاك وقد روى الإمام

---

(1) ب: أفرع.

(2) الحكاية أوردها ياقوت في معجم الأدباء في معرض ترجمته لجحظة البرمكي، مع اختلاف قليل بين الروايتين.

(3) أ: مولاي.

مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال: «لو كانت الدنيا دما غبيطا لكان قوت المؤمن فيها حلالا.» ولا خلاف عند كافة العلماء أن للإنسان أن يحيي نفسه إذا خشي الهلاك، وأنا أخشى الهلاك على نفسي وعيالي، وفيما معك إحيائي وإحياء عيالي، فسلمه لي وانصرف سالما، فقال القاضي: دعني حتى أدخل ضيعتي وآخذ منهم ما أستتر به وأدفع إليك [جميع][1] ما معي. فقال [هـ/178] اللص: هيهات! أنت كالطائر في القفص فإذا خرج/[عن الهوى][2] خرج عن اليد[3] وإذا تركتك لا تدفع لي شيئا. فقال القاضي: إني أحلف لك أني أفعل ذلك. فقال اللص: حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهم عن النبي ﷺ أنه قال: «يمين المكره لا يلزم» فادفع ما معك وامض سالما. فتجرد له القاضي من ثيابه وترك في وسطه السراويل فقال اللص: انزع السراويل فلا بد منها فقال القاضي: يا هذا! هذا وقت الصلاة يعني صلاة الصبح ولا بد من ستر العورة في الصلاة، [د/218] وقد قال الله تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات﴾[4] وقال رسول الله ﷺ/: «لا صلاة لعريان» فقال اللص إذا صليت عريانا صلاتك صحيحة، فإنه حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهم أن العراة يصلون ولا إعادة عليهم، وقد اختلف [أ/162] العلماء في كيفية صلاتهم فقال الشافعي يصلون قياما/ وليقف إمامهم وسطهم، وقال مالك يصلون قياما متباعدون، وقال أبوحنيفة: يصلون قعودا. وأما النظر إلى العورة وقول النبي ﷺ: «ملعون من نظر إلى عورة أخيه»[5] فهوحديث مرسل ونقدر صحته فهومحمول لمن نظر بتلذذ، وأما أنت فحالك حال اضطرار وكشف

---

(1) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(2) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(3) أ: السيد.

(4) البقرة: 236.

(5) أشار صاحب موسوعة أطراف الحديث إلى أن هذا الحديث أخرجه الربيع بن حبيب في مسنده 2/ 56.

العروة يجوز عند الحاجة والضرورة كحالتك هذه وكختان وطب/ وحلق عانة [241/ج] وغسل ونحوذلك. فنزع له القاضي السراويل وذهب عريانا ففحص عنه فقيل إنه من أجل الفقهاء فقعد به الزمان والعيال وألجأه إلى ذلك.

حُكي أن عبد الملك ابن مروان استخلف على الكوفة أخاه[1] بشر بن مروان[2] وكان بشر ظريفا يحب الشعر والسمر والسماع والشراب[3] وكان أرسل معه روح بن زنباع[4] لا يقطع أمره دونه لصدقه وعفافه، فقال [عبد الملك][5] لبشر: لا تقطع أمرا دون روح فإنه ناصح لنا، فاحتشم بشر منه وقال لندمائه: أخاف إذا[6] انبسطنا أن يكتب روح إلى أخي بذلك، وإني لأحب الأنس والاجتماع. فقال بعض الندماء من أهل العراق: أنا أكفيك ذلك حتى ينصرف عنك إليه، غير شاك ولا لائم، فسر بشر بذلك، ووعده جائزة وحسن المكافأة إن فعل ذلك، وكان روح شديد الغيرة وله جارية إذا خرج إلى المسجد أوغيره ختم الباب حتى يعود إليه، فأخذ النديم دواة وأتى إلى منزل روح بن زنباع مختفيا فخرج روح وتوصل النديم إلى دخول الدهليز في حال خروج روح وكمن ولم يزل يحتال طول ليلته حتى توصل إلى بيت/ روح فكتب على حائط في أقرب المواضع من مرقده وكان [206/ب] قد ترك زوجة وبنات له بدمشق فقال النديم وقد كتب:

[البسيط]

يا روح من لبنيات وأرملة   إذا نعاك لأهل المشرق الناعي

(1) ساقطة من: د

(2) بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي ولاه أخوه إمرة البصرة والكوفة، وتوفي بالبصرة حوالي 75 هـ انظر خزانة البغدادي 4/ 117.

(3) هـ: والشراب.

(4) روح بن زنباع ابن سلامة الجذامي، أبو زرعة ويقال: أبو زنباع الدمشقي، تابعي جليل وتوفي سنة 84هـ وكان عند عبد الملك بن مروان كالوزير لا يكاد يفارقه. انظر البداية والنهاية 9/ 54.

(5) ساقطة من: هـ.

(6) ب، د: إن.

إن ابن مروان قد حانت منيته فاحتل لنفسك يا روح بن زنباع
ولا تغرك أبكار منعمة واسمع،هديت،مقال الناصح الواعي[1]

قال: ورجع إلى مكانه من الدهليز وبات به فلما أصبح خرج إلى الصلاة فتبعه غلمانه والنديم متنكر مختلط بهم فلما عاد روح وفتح باب حجرته رأى الكتابة فقرأها وراعه ذلك وأنكره وقال: ما يدخل علي في حجرتي إنسي سواي، ثم نهض إلى بشر ثم قال: يا أخي أوصني بما أحببت من حاجة عند أمير المومنين قال: أوتريد الشخوص إليه يا عم؟ قال: نعم. قال: ولم؟ فهل أنكرت شيئا أورأيت قبيحا لا يمكنك المقام عليه عندي؟ قال: لا.والله، جازاك الله خيرا عن نفسك ولكن/ أمر [179/هـ] حدث ولا بد من الانصراف إلى أمير المومنين فأقسم عليه أن يخبره فقال:/ إن أمير [219/د] المومنين قد مات أوهوميت بعد أيام قلائل قال: ومن أين علمت ذلك؟ فأخبره بخبر الكتابة وقال: ليس يدخل حجرتي غيري وغير جاريتي وما كتب لي ذلك إلا الجن والملائكة فقال له بشر: أقم فإني أرجوأن لا يكون لذلك حقيقةفلم ينته فسار إلى الشام فأقبل بشر بعده على الشرب والطرب فلما قدم روح على عبد الملك قال: ما أقدمك إلا حاجة حدثت/ على بشر أولأمر أنكرته منه، فأثنى عليه [242/ج] وحمد سيرته وقال: بل[2] لأمر لا يمكنني ذكره حتى نخلو. فقال عبد الملك لمن حضر: اذهبوا. وخلا بروح فأخبره بقصته وأنشده الأبيات فضحك عبد الملك [من ذلك][3] ضحكا كثيرا وقال: يا روح ثقلت على بشر وأصحابه حتى احتالوا عليك بما رأيت فلا تجزع[4].

(1) والأبيات وردت في عيون الأخبار 1/ 171. ومروج الذهب 3/ 313. وجمع الجوامع في الملح والنوادر: 26-27.

(2) ب: وقال لا.

(3) ما بين معقوفين ساقط من: ب، د.

(4) الحكاية وردت في عيون الأخبار 1/ 171. ومروج الذهب 3/ 313-314.

حُكي أنه مما روي من حيلة الثعلب ما حكي[1] عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه قال: كنا في سفر[2] بأرض اليمن فوضعنا سفرتنا لنتعشى، وحضرت صلاة المغرب فقلنا: نصلي ثم نأكل، فتركنا السفرة كما هي وقمنا/ إلى الصلاة، وكان في [163/أ] السفرة دجاجتان، فجاء ثعلب فأخذ إحدى الدجاجتين، فلما قضينا الصلاة أسفنا عليها فقلنا حرمنا طعامنا، فبينما نحن كذلك إذ جاء الثعلب وفي فمه شيء كأنه الدجاجة، فقلنا: لعله ردها إلينا، فلما قمنا لننظر الذي ألقاه من فيه اتجاهنا جاء إلى الدجاجة الأخرى فأخذها من السفرة وأصبنا الذي قمنا إليه لنأخذه فإذا هو ليف قد هيأه مثل الدجاجة. فهذا من بعض حيله.

(1) من بين معقوفين ساقط من: ب، د.

(2) ب، د: سفرنا.

الباب الحادي عشر

في المرائي[1] وتعبيرها وغريب تأويلها وتفسيرها

حكى القاضي محي الدين بن عبد الظاهر[2] أن الشيخ [البوصيري][3] رأى في منامه قبل وصول الملك الأشرف إلى حصار عكة[4] في شوال سنة ثمان وثمانين[5] وكأن قائلا يقول:

[الرمل]

قد أخذ[6] المسلمون عكا ‏ ‏ ‏ وأشبعوا الكافرين صكا

وساق سلطاننا إليهم ‏ ‏ ‏ خيلا تدك الجبال دكا

وأقسم الترك حين ساروا ‏ ‏ ‏ لا تركوا للفرنج ملكا

فأخبر بذلك جماعة شهدوا بصحته فسار الملك الأشرف في أثناء ذلك إلى عكا ففتحت على يديه. وفي ذلك يقول محي الدين بن عبد الظاهر عندما نزل الملك الأشرف ساحل البحر/ من بلاد بني الأصفر هذا الشعر وهو: [207/ب]

[الرمل]

يا بني الأصفر قد حلت بكم ‏ ‏ ‏ نقمة الله التي لا تنفصل

(1) أ: الرؤية.

(2) عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر الجذاعي المصري محي الدين (620-692هـ). انظر ترجته في فوات الوفيات 2/ 179. البداية والنهاية 13/ 334. النجوم الزاهرة 8/ 38. سبق ذكره.

(3) أ: البصري.

(4) عكا: مدينة حصينة كبيرة الجامع، على ساحل بحر الشام بالأردن. انظر معجم البلدان 6/ 205.

(5) أراد 688هـ

(6) أ: أخذوا.

نـزل الأشـرف فـي سـاحلكم فأبشـروا منه بصفـع متصـل

حكى ابن خلكان وغيره من أرباب التاريخ عن دلف بن أبي دلف قال: رأيت في منامي آتيا أتاني وقال لي أجب الأمير، فقمت معه فأدخلني دارا/ موحشة وعرة [243/ج] المساليك مخربة السقف والأبواب، فأصعدني درجا فيها فأدخلني غرفة متشعبة الحيطان والبنيان/ في أطرافها أثر النيران والرماد وإذا/ بأبي دلف وهوعريان [180/هـ][220/د] واضع رأسه بين ركبتيه فقال كالمستفهم: دلف؟ فقلت: دلف. فأنشد:

[الخفيف]

بلغـن أهلنـا ولا تخـف عنهـم مـا لقينـا فـي البـرزخ الخفـاق
قـد سئلنا عـن كل مـا قـد فعلنـا فارحمـوا وحشـتي وما قـد ألاقي[1]

ثم قال: أفهمت؟ قلت: فهمت، فأنشأ يقول:

[الوافر]

فلـو أنـا [إذا][2] متنـا تركنـا لـكان المـوت راحـة لـكل حي
ولكنـا إذا متنـا بعثنـا ويسـأل ربنـا عـن كل شـي[3]

ثم قال أفهمت؟ قلت: فهمت[4] قال بعضهم: إنما فعل ذلك دلف ويقول عنه هذه الرؤيا كراهة في أبيه لأن أباه كان يكرهه أيضا، وأنكر نسبه. كذا رأيته في بعض الكتب عند ذكر هذه[5] الحكاية[6].

---

(1) البيتان وردا في الوفيات 4/ 78.
(2) زيادة من: ب، ج، د، هـ.
(3) البيتان وردا في الوفيات 4/ 78، مع اختلاف الرواية.
(4) في أ، ب، ج، هـ: قلت قال.
(5) زيادة من: ب، ج، د، هـ.
(6) الحكاية وردت في الوفيات 4/ 78 والسكردان: 446-447.

حكى المرزباني[1] عن ابن[2] دريد أنه قال: بينما أنا نائم إذ رأيت رجلا طويلا مصفر اللون كوسجا[3] قد دخل علي ومسك بعضادتي الباب وقال: انشدني أحسن ما قلت في الخمر. فقلت: ما ترك أبونواس لأحد شيئا فقال: أنا أشعر منه، فقلت: ومن أنت؟ فقال: أنا ابن[4] دحية شاعر الشام فقلت: أنشدني، فقال:

[الطويل]

وحمراء قبل المزج صفراء بعده	بدت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق لونا فسلطوا	عليها مزاجا فاكتست لون عاشق[5] / [164/أ]

قال: فقلت له: أسأت، فقال: ولم؟ فقلت: إنك قلت: «حمراء قبل المزج صفراء بعده»، فقدمت الحمرة، ثم قلت: «بدت بين ثوبي نرجس وشقائق» فقدمت الصفرة، فهلا أخرتها كما فعلت في أول البيت؟ فقال: وما هذا التحرير والاستقصاء في مثل هذا الوقت يا بغيض. ثم دفع الباب وانصرف. قال: فانتبهت وأنا متعجب مما رأيت[6].

---

(1) أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى بن سعيد بن عبيد الله الكاتب المرزباني الخراساني الأصل البغدادي المولد، (ولد سنة 297هـ. وقيل توفي سنة 384هـ)، الوفيات 4/ 323. النجوم الزاهرة 4/ 4/ 168. الشذرات 3/ 111.

(2) أ: ابي.
سبق ذكره.

(3) الكوسج: الذي ليس على عارضيه شعر. اللسان: كوسج.

(4) في الوفيات: أبو ناجية من أهل الشام، وهو الصواب، لأن ابن دحية متأخر عن المرزباني وابن دريد.

(5) البيتان وردا في ديوان ابن دريد: 52 وفي الوفيات 4/ 327 وفي المختار من قطب السرور: 389 هما لابن المعتز، وكذا في حلبة الكميت للنواجي: 264. وفي السكردان: 471.

(6) الحكاية وردت في الوفيات 4/ 327. وحلبة الكميت: 264-265 وفيه أن أبا ناجية هو إبليس لعنه الله.

حكى المدائني[1] والعتبي[2] أن زبيدة[3] رأت في الليلة التي حملت فيها بمحمد الأمين كأن ثلاث نسوة دخلن عليها فقعد [اثنتان][4] عن يمينها وواحدة عن يسارها فدنت إحداهن فوضعت يدها على بطن زبيدة أم جعفر ثم قالت: ملك عظيم البذل ثقيل الخيل نكد[5] الأمر أشر الوزر. قال: ثم فعلت الثانية كما فعلت الأولى فقالت: ناقص الجد مغلول الحد [مذوق[6] الود][7] تجور/[8] أحكامه وتنقضي أيامه. وقالت الثالثة: ملك متلاف، كثير الخلاف، قليل الانصاف. قالت زبيدة أم جعفر: فا ستيقظت وأنا فزعة فلما كانت الليلة التي وضعته فيها دخلن علي وأنا نائمة في الصورة التي دخلن علي فيها أولا، فقعدن عند رأسي/ وتطلعن في وجهي، ثم قالت إحداهن: شجرة ناضرة وريحانة زاهرة ، وقالت الثانية عين غدقة سريع فناؤها وعجل ذهابها، وقالت الثالثة: ضعيف بطشه، مزال عرشه، فاستيقظت من نومي فزعة. فلما كان ليلة فصاله دخلن علي، ومحمد أمامي في مهده،/ فوقفن عند رأسي وأقبلن على ولدي محمد، فقالت إحداهن: ملك جبار متلاف مهدار سريع العثار قريب الدمار، وقالت الثانية ناطق مخصوم، محارب مهزوم، وراغب محروم، وشقي مهموم/ وقالت الثالثة: احفروا قبره وشقوا لحده وقربوا أكفانه وأعدوا جهازه فإن موته خير من حياته. قالت: فاستيقظت وأنا

[244/ج] [208/ب] [221/د] [181/هـ]

(1) سبق ذكره.

(2) سبق ذكره.

(3) أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور (ت 216هـ)، وهي أم الأمين محمد بن هارون الرشيد، كان لها معروف كبير وفعل خير. انظر الوفيات 2/ 314. النجوم الزاهرة 2/ 213. وفي تاريخ الطبري ذكر لبعض أخبارها.

(4) أ، ب، د: اثنان.

(5) د: مكيد.

(6) مذوق الود: إذا لم يخلصه. اللسان: مذق

(7) ما بين معقوفين زيادة من: ب، ج، د، هـ

(8) ب، د، هـ: تجود.

فزعة، ثم أخبرت بذلك المعبرين وكل يبشرني بطول عمره وسعادة طالعه وقلبي يأبى ذلك حتى كان أمر الله قدرا مقدورا.

حكى المؤلف فقال: توفي بعض القضاة، سامحه الله تعالى فأخبرني بعض العدول بأنه رأى في منامه على قبره مكتوبا بفحمة:

[الكامل]

أودعت في درك الجحيم مخلدا تبكي به بدل الدموع نجيعا
ولقد أراح الله منك بلاده وعباده والمسلمين جميعا

قلت: ومن غريب ما اتفق، أن هذا القاضي كان كثير الأذى إلي وكنت بالقاهرة وفارقته وليس به مرض فخطر لي تصنيف أبيات فيه إذا مات، فشرعت فيها وأولها هذا:

[الكامل]

عاش أقوام من الناس كثير ومضى جزء من الشر كبير
بمصاب الظالم الطاغي الذي ما له من سطوة الله نصير

ففي صبيحة ذلك اليوم[1] ورد الخبر بوفاته غفر الله لنا وله، وأخبر[2] من حضر جنازته أنهم عجزوا عن حمله في تابوت لثقل جثته، فجعلوه على لوح زيات وشدوه[3] بالحبال والعيدان، فاتفق أنه صادف[4] في تلك الحالة قراءة القراء في قوله سبحانه: ﴿خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾[5]، قلت: وهذا اتفاق عجيب غريب.

(1) ساقطة من: ب، ج، د، هـ.
(2) أ: وأظهر.
(3) ب، ج، د، هـ: عقلوه.
(4) أ: صدف.
(5) الدخان: 47، 48، 49.

[245/ج] حكى علي بن يقطين قال: كنا عند المهدي وهونائم بقصره/ فنام ونمنا قال: فانتبهنا لبكائه وبادرنا إليه مسرعين، فقال: أما رأيتم ما رأيت؟ قلنا: ما رأينا شيئا. فقال: وقف علي رجل لوكان في ألف رجل ما خفيت علي صورته وهو يقول:

[الطويل]

[165/أ] كأني بهذا القصر قد باد أهله   وأوحش منه ربعه ومنازله/
فلم يبق إلا ذكره وحديثه   ينادي بليل، معولات ثواكله[1]

قال: فما أتى على المهدي بعد ذلك عشرة أيام حتى مات رحمه الله[2].

حكى لي بعض أهل الخير من أصحابنا قال: رأيت في منامي كأني في رملة كثيرة وكأن قائلا يقول لي: هذه رملة عالج[3]، فقلت: رمل عالج يتغزل به الشعراء كثيرا إذا أرادوا مديحا في النبي ﷺ. فقال لي قائل: وهذه مدينة النبي ﷺ. فمددت بصري فرأيت المدينة المنورة فقصدتها ودخلت إليها وقصدت الحرم الشريف، فإذا جماعة على بابه، فقلت لهم: أهذا حرم رسول الله ﷺ؟ فقالوا: نعم، وهذا رسول الله
[222/د] ﷺ أمامك، فقصدته، فبينما أنا أمشي في الحرم إذ/ سمعت خلفي مشيا فالتفت
[209/ب] فوجدتك فسلمت عليك وسررت بك، ثم قلت لي: اذهب لتسلم على رسول/ الله ﷺ فمشينا قليلا فاعترضتنا حفيرة مستطيلة بعيدة القعر مظلمة، حالت بيننا وبينه، فوقفنا نتفكر كيف نجوزها، ثم وثبت وثبة فإذا أنا بالجانب الآخر، ثم قلت لك: افعل كما فعلت، فقلت لي: أنا ثقيل البدن وعلي ثياب تثقلني فقلت: انزع ثيابك، ففعلت ووثبت فلم تقدر [أن تصل][4] إلى الجانب الآخر، ووقعت في الحفيرة فجزعت عليك جزعا شديدا فقلت وأنت في جوف الحفيرة: طب نفسا

(1) البيتان وردا في شرح المقامات 2/ 51.
(2) الحكاية وردت في المرجع نفسه.
(3) عالج: موضع بالبادية به رمل. اللسان: علج.
(4) ما بين معقوفين ساقط من: د.

فقد وقفت على قرار فخذ بيدي، فأخذت بيدك وجذبتك فطلعت من الحفيرة ولبست ثيابك وحمدت الله تعالى على سلامتك، ثم مشينا فرأينا عن بعد دائرة محوطة[1] ببناء قصير قدر مقعدة الرجل، وفيه جماعة مستديرون بين يدي رجل فقلت لي[2]: هذاك[3] رسول الله ﷺ، وهؤلاء أصحابه، رضي الله عنهم حوله، فلما قربنا قام رسول ﷺ، وقام أصحابه، رضي الله عنهم لقيامه ثم قصدنا وخرج من الدائرة فهرولنا حتى لقيناه، فأقبل عليك رسول الله ﷺ واعتنقتما طويلا ثم رجع رسول الله ﷺ القهقرى[4] حتى جلس على سور الدائرة، وأرسل رجليه الشريفتين، وجلست بجانبه وأخذ يساررك، وأنت/ تحرك رأسك كالمتعجب، [246/ج] زمانا طويلا، فتقدمت إليه وقلت: يا رسول الله! اضمن لي الجنة. فقال رسول الله ﷺ: أفعل إن شاء الله./ ثم قصدت تقبيل قدمه الشريف فامتنع من ذلك، فوقفت [182/هـ] قليلا ثم هجمت على قدمه الشريف فأمسكته وقبلته ثم استيقظت.

وكان وقع لي أني طعنت بالطاعون وأنا صغير، في سنة اثنين وأربعين وثمانمائة، فدخل والدي تغمده الله بالرحمة فأعلمته والدتي بذلك فتشوش لذلك، وكان ذلك بعد وفاة أخي القاضي محي الدين رحمه الله، فقال: لا إله إلا الله، لي كذا وكذا سنة أدعوالله بدعوات من جملتها أقول: «﴿ربي لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين﴾[5] وقد توفي ولدي ذاك وقت احتياجي إليه، وكنت أرجو هذا، فتبين لي أن الله تعالى لم يستجب لي من دعائي شيئا، ثم نام مغموما فلما كان من الليل قام وهو مستبشر فنادى والدتي وقال لها: انظري ابنك. فقالت له: ذهبت عنه الحمى،

(1) أ: محوضة.

(2) ساقطة من: ج.

(3) أ: هذا.

(4) رجع الرجل القهقرى: إذا رجع إلى الخلف والقهقرى: الرجوع إلى الخلف. انظر اللسان: قهقر.

(5) الأنبياء: 89.

فقال لها: وما بقي عليه شيء فإني رأيت رسول الله ﷺ هذه الساعة وولدي هذا بيده وأمامه الإمام علي، رضي الله عنه، وهو ينشد بين يدي رسول الله ﷺ: لك يا ربيع الأول التفضيل إلى أن وصل فيها إلى قوله:

[الكامل]

[166/أ] لا زال يرقى والأمين يزجه — في بحر نور ما له تسجيل/
سمع النداء وليس إلا ربه — والحجب ترفع دونه وتزول

[223/د] ثم دعاني رسول الله ﷺ وناولني ولدي[1] هذا، فأنا[2] أتبرك كثيرا بذلك وهذا/ أنقله[3] بنفسي لا بواسطة، فقلت في ذلك:

[الكامل]

سلوان مثلي مثلكم لا يحسن — وسلو غيركم يسير هين
أم كيف يخطر لي السلو وحبكم — عندي مقيم ساكن مستوطن؟
جبلت[4] عليه جوانحي وجوارحي — فتراه فيها ساكن مستمكن
[210/ب] كل المحاسن من محاسنكم فما — في سائر الأكوان منكم أحسن/
فمتى أشاهد ذلك المعنى الذي — بجمال بهجته تلذ الأعين
كرر علي حديثه أبدا فلي — أذن لغير حديثه لا تأذن
جاء البشير مبشرا برضاه — وبأنهم عطفوا علي وأحسنوا
وشملت بالنظر الشريف فبان لي — اني بذاك من العدومحصن
[247/ج] فلو استطعت بذلت روحي خلعة — لمبشري لوكان ذلك يمكن/
لا تعجبوا ما كان أول فضله — إذ لم يزل يحنو علي ويحسن

---

(1) أ: ولك.

(2) ج: وأنا.

(3) هـ: نقلته.

(4) د: حبلت.

لما طعنت وقد بدا الطاعون في صفري ولم ينجو به من يطعن
أعطيتني لأبي فهب مكبرا فرحا يقول لأهله: لا تحزنوا
فلقد عطانيه رسول الله من يده الشريفة فاطمأنوا وآمنوا
ولكم له فضل علي ومنة بجميعها أنا عارف متيقن
فأنزل بساحته ولذ بجنابه واقصده فهولكل خير معدن
والزم محارمه الشريفة سائلا صدقاتها فلكم يمن ويحسن
واطع أوامره وجانب ما نهى عنه فذلك واجب متعين
أثنى عليه الله في آياته ماذا عسى تثني عليه الألسن
كم ألف العلماء والحكماء والخطباء والأدباء فيه ودونوا
وبه استغاث الأنبياء جميعهم عند الشدائد في الدعاء وأعلنوا
ذو منطق جمع الفصاحة مخرس الفصحاء، سحبان[1] لديه ألكن[2]
يا سيد الرسل الكرام ومن له الجاه العريض[3] فمتجره[4] يأمن
جرمي له جرم فكن لي شافعا في الحشر فهومن الشوامخ ارزن[5]
ولكم أتوب وكم أعود كأنني كالغول في أثوابها تتلون
والله ما لي حيلة إلا الرجا جميل[6] عفوك ثم إني مؤمن
وبمن يلوذ ويستجير مسيئنا/ إن كان لا يرجوك إلا محسن؟ [183/هـ]
فعليك من رب السماء تحية وكذا سلام قاطن لا يظعن
وعلى الصحابة و القرابة من هدوا طرق الهدى للمهتدين وبينوا
ما لاح نجم أوتألق بارق وعلي كل العالمين يؤمنوا

---

(1) سحبان بن زفر بن إياس الوائلي، من المخضرمين الذين أسلموا في زمن النبي ﷺ ولم يجتمعوا به، ويضرب به المثل في البيان، انظر ترجمته في سرح العيون: 146، وخزانة الأدب 4/ 347.

(2) ألكن: من لَكَن الرجل لكنة، عي وثقل لسانه. اللسان: لكن.

(3) ج: العظيم.

(4) أ، ج، هـ: تجده.

(5) د: أزون.

(6) أ: وجمال.

حكى المؤلف قال: رأيت في كتاب «مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام» عليه الصلاة/ والسلام[1] أن المعتمد على الله تعالى[2] بينما هونائم إذ انتبه فزعا [167/أ] وقال: احضروا من الحبس رجلا يقال له منصور الجمال. فذهبوا فطافوا على من في الحبوس والمطابق، حتى أحضروا ذلك الرجل. فلما أحضر قال له المعتمد: كم لك في الحبس؟ قال: ثلاث سنين، قال: فاصدقني عن خبرك/ قال: أنا رجل جمال من [211/ب] أهل الموصل كان لي جمل أعمل عليه وأعود بكرائه على عائلتي فضاق بي الكسب في الموصل، فقلت أخرج أتسبب في غيرها، فخرجت/ من الموصل وإذا جماعة من [248/ج] الجند قد ظفروا بقوم يقطعون الطريق فأخذوهم وكانوا عشرة فكتب صاحب البريد إليك بعددهم، فأعطى واحد منهم صاحب البريد وجماعته مالا على أن يطلقه فأطلقه وأخذني مكانه وأخذ جملي فسألتهم بالله عز وجل أن يأخذوا الجمل ويطلقوني فأبوا وحبسوني معهم فمات بعضهم وأطلق بعضهم وبقيت وحدي لا أجد ما أعطيهم ليطلقوني فقال المعتمد على الله: احضروا لي خمسمائة/ دينار فدفعها [224/د] إليه وأعطاه في كل شهر ثلاثين دينارا وقال: اجعلوا أمر جمالنا إليه. قال الراوي: ثم أقبل علينا وقال: رأيت رسول الله ﷺ في النوم الساعة وقال لي: يا أحمد وجه الساعة إلى الحبس وأخرج منصور الجمال من الحبس فإنه مظلوم وأحسن إليه أوكما قال ﷺ وشرف وكرم.

---

(1) ذكره حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون 2/ العمود: 1706. وهو لسليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميري الكلاعي الأندلسي (555-634هـ)، انظر تذكرة الحفاظ: 1417. فوات الوفيات 2/ 80.

(2) المعتمد على الله بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد (229-279هـ)، . انظر ترجمته في الكامل لابن الأثير 7/ 77. تاريخ بغداد 4/ 60.

حُكي أنه كان بين الحسن البصري[1] ومحمد بن سيرين[2] هجرة، وكان بعض أهل ابن سيرين يعمل الحياكة، فكان [إذا ذكر][3] ابن سيرين عند[4] الحسن يقول: دعونا من ذكر الحاكة[5]. فرأى الحسن في منامه كأنه عريان قائم[6] على مزبلة وهو يضرب بالعود فأصبح مغموما مهموما برؤياه. فقال لبعض أصحابه: امض إلى ابن سيرين وقص عليه رؤياي، ولا تذكرني له، فمضى وقص عليه الرؤيا فقال: قل لمن رأى هذه الرؤيا لا تسأل عنها الحاكة. قال: فأخبر الحسن بذلك فأعظم أمره وقال لأصحابه: قوموا بنا إليه، فلما رآه ابن سيرين قام إليه وتصافحا وسلم كل واحد منهما على صاحبه، وجعلا يتعاتبان ثم قال له الحسن: دعنا من هذا، فقد شغلت قلبي هذه الرؤيا فقال له: لا تشغل قلبك فإن العُرْي خروجك من الدنيا ليس عليك منها علقة، والمزبلة هي الدنيا قد انكشف لك حالها فأنت تراها كما هي عليه، وضربك بالعود فإنه الحكمة التي تتكلم بها وتنفع الناس بها. فقال له: فمن أين لك أني رأيت الرؤيا؟ فقال: لما قصها علي فكرت فلم أر أحدا يصلح أن يكون رآها غيرك.

---

(1) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب وتوفي سنة 110هـ. انظر طبقات ابن سعد 7/ 156 الوفايات 2/ 69 تذكرة الحفاظ: 71

(2) هو أبو بكر محمد بن سيرين البصري، كان أبوه عبدا لأنس بن مالك رضي الله عنه(33-110هـ)، انظر ترجمته في طبقات ابن سعد 7/ 193 وتاريخ بغداد 5/ 331 والوفايات 4/ 181.

(3) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(4) ساقطة من: ب

(5) أ، ج: الحياكة

(6) ج، ه قائما

الباب الثاني عشر

في الأجوبة المستملحة والمراجعات المستطرفة الصادرة من بعض الأذكياء

حكى أبو العيناء[1] قال: كان [لي][2] أخصام ظلمة فشكوتهم إلى القاضي أحمد بن أبي دواد[3] فقلت: قد تظاهروا علي وصاروا يدا واحدة، فقال: ﴿يد/الله فوق [249/ج] أيديهم﴾[4] فقلت: إن لهم[5] مكرا، فقال: ﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾[6] فقلت: هم كثيرون، فقال: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾[7].

حُكي [عن ابن][8] الجوزي أنه وقع نزاع بين أهل السنة وأهل الشيعة ببغداد في المفاضلة بين أبي بكر وعلي رضي/ الله عنهما، ورضي الكل بما يجيب به الشيخ [184/هـ] ابن الجوزي فأقاموا شخصا فسأله عن ذلك، وهوعلى الكرسي في مجلس وعظه فقال: أفضلهما من كانت ابنته تحته، ثم نزل في الحال ليلا يعاودوه في ذلك، فقال

---

(1) أبو عبد الله محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان المعروف بأبي العيناء، ولد سنة 191 هـ وقيل في سنة 283 هـ انظر ترجمته في تاريخ بغداد 3/ 170. الوفيات 4/ 343. ميزان الاعتدال 4/ 13. لسان الميزان: 5/ 344.

(2) زيادة من: ج.

(3) أ، ب، د: داوود.

(4) الفتح: 10.

(5) عبارة د: تقال إن لي مكرا.

(6) فاطر: 43.

(7) البقرة: 249. والحكاية وردت في ربيع الأبرار للزمخشري.

(8) ج: علي بن الجوزي. ما بين معقوفين زائد من ب، د، هـ.

[168/أ] أهل السنة: هوأبوبكر لأن/ عائشة رضي الله عنها كانت تحت النبي ﷺ وقالت الشيعة: هو علي لأن فاطمة، رضي الله عنها، كانت تحته، وهذا من ألطف الأجوبة [212/ب] ولوحصل بعد الفكر التام لكان في غاية/ الحسن فضلا عن البديهة[1]. قلت: ومن [225/د] طرائف ابن الجوزي أنه أنشد يوما في مجلس وعظه يقول:/

[البسيط]

أصبحت ألطف من مر النسيم على | زهر الرياض يكاد الوهم يؤلمني
من كل معنى لطيف أجتلي قدحا | وكل ناطقة في الكون تطربني[2]

فقال إنسان له[3]، وقصد العبث به: [فإن][4] كان الناطق حمارا؟ فقال الشيخ: أقول: اسكت[5] يا حمار، وقال له إنسان يوما: نموالدنيا وحب الرياسة لم يخرجا من قلبي. فقال: المكاتب قن ما بقي عليه درهم. وسأله إنسان فقال: كيف ينسب قتل الحسين رضي الله عنه إلى يزيد وهوقتل في كربلاء[6] ويزيد بدمشق؟ فأجاب يقول:

[البسيط]

سهم أصاب وراميه بذي سلم[7] | من العراق لقد بعدت[8] مرماك[9]

(1) حكاية نزاع أهل السنة وأهل الشيعة وردت في الوفيات 3/ 141 والكردان: 430-431. والمستطرف 1/ 45.

(2) البيتان وردا في ثمرات الأوراق: 49. والكردان: 431.

(3) ساقطة من: ب، د.

(4) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(5) ج: أمكت.

(6) سبقت الإشارة إليه.

(7) ذو سلم:واد ينحدر على الذنائب، وسوق الذنائب قرية من أرض اليمن. انظر معجم البلدان 4/ 198.

(8) أ: وقد.

(9) البيت ورد في الكردان: 434.

وحسبت الكراريس التي كتبها في عمره فكان كل يوم سبعة كراريس، وهذا من العجائب، لا يكاد يقبله العقل، وجمعت برايات الأقلام التي براها لكتابة الحديث الشريف فحصل منها شيء كثير وأوصى بأن يسخن بها ماء غسله ففعل ذلك[1].

حُكي أن محمد بن داوود[2] الظاهري تفاخر هو وأحمد بن سريج[3] عند الوزير علي بن عيسى[4] في مسألة الإيلاء، فقال أحمد لمحمد: أنت بقولك «من كثرت لحظاته دامت حسراته» أعلم من أن تتكلم في الفقه. فقال: أنا إن قلت ذلك فإني أقول:

[الطويل]

أنـزه فـي روض المحاسـن مقلتـي وأمنـع نفـسي أن تنـال محرمـا

وأحمـل مـن ثقـل الهـوى مـا لوأنه يصـب على الصخر الأصـم تهدما/ [250/ج]

رأيت الهوى دعـوى من الناس كلهم فلسـت أرى حبا صحيحا مسـلما[5]

فقال أحمد: وبم تفتخر علي؟ ولو شئت لقلت:

[الكامل]

ومسـاهر بالغنـج مـن لحظاتـه قـد بـت أمنعـه لذيـذ سـناته[6]

---

(1) القول عن بن الجوزي ورد في ثمرات الأوراق: 49 والسكردان: 431.

(2) هو أبو بكر محمد بن داوود بن علي بن خلف الأصبهاني المعروف بالظاهري (255-297هـ)، .انظر تاريخ بغداد 5/ 256. الوفيات 4/ 159. الشذرات2/ 226.

(3) أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج، الفقيه الشافعي (249-306هـ)، . انظر ترجمته في تاريخ بغداد 4/ 287. الوفيات 1/ 66. تذكرة الحفاظ: 811 والشذرات 2/ 247.

(4) علي بن عيسى بن داود بن الجراح، أبوالحسن وزير المقتدر والقاهر بالله (244-334هـ)، . انظر ترجمته في تاريخ بغداد 12/ 14. ذكره الكتبي في فوات الوفيات 1/ 284.

(5) الأبيات وردت في الوفيات 4/ 260. وزهر الآداب 2/ 728.

(6) الغنج: سبق شرحه.

ضنا بحسن حديثه وعتابه ... وأنزه اللحظات في وجناته
حتى إذا ما الصبح لاح عموده ... ولى بخاتم ربه وبراته[1]

فقال محمد أشهد أيها الوزير عليه فقد اعترف بالخلوة حتى يقيم البينة بأنه[2] ولى بخاتم ربه وبراءته فقال أحمد: يلزمني في هذا ما يلزمك في قولك[3].

[الطويل]

أنزه في روض المحاسن مقلتي ... وأمنع نفسي أن تنال محرما

فضحك الوزير سرورا بمهما وقال: لقد حزتما[4] علما وفضلا وأدبا[5].

حُكي أن بعض الشعراء مر على الشريف الرضي وكان يعرفه فقال: أين قولك:

[الطويل]

[185/هـ] إذا لم تبلغني إليك ركائبي ... فلا وردت ماء ولا رعت العشبا/

ثم نظر إلى نعليه وهما خلقان[6] وقال: أهكذا كانت ركائبك؟ فقال: إنها صارت هذه ركائبي لما صرت إلى زمان أنت القائل فيه هذا الشعر وهو:

[الخفيف]

[213/ب] وخذ النوم من جفوني فإني ... قد خلعت الكرى على العشاق/

لأنك خلعت ما لا تملك على من لا يقبل فأفحمه.

---

(1) الأبيات وردت أيضا في الوفيات 4/ 260. وزهر الآداب 2/ 728-729.

(2) ساقطة من: ب.

(3) أ: قوله.

(4) ب، ج، د، هـ: حويتما.

(5) الحكاية أوردها ابن خلكان في الوفيات 4/ 260. ووردت في زهر الآداب 2/ 728. مع شيء من التصرف.

(6) نعل خلق: أي بال. اللسان: خلق.

حُكي أنه وقف رجل للواثق فقال له: يا أمير المومنين، صل رحمك وأرحم أقاربك وأكرم رجلا من أهلك. فقال: من أنت؟ فإني لا أعرفك قبل اليوم/ قال: [226/د] أنا من أولاد آدم جدك. قال: يا غلام أعطه درهما. فقال ما أصنع به؟ فقال له أرأيت/ لو قسمت بيت المال على إخوتك من أولاد جدي آدم لكان يخصك منه حبة [169/أ] فقال الرجل: لله درك ما أذكاك! قال: فأمر له بعطاء جزيل فأخذه وانصرف داعيا له شاكرا.

حُكي أن جريرا[1] مر وهو راكب، بنسوة يغسلن على بعض المياه [فضرطت][2] البغلة به فضحك النسوة، فقال جرير: أوما علمتن أن كل أنثى تحملني تفعل ذلك؟ فقالت له واحدة منهن: فكيف حال أمك حين حملتك تسعة أشهر فأفحمته[3].

حُكي أن المتوكل قال يوما لجلسائه: أتدرون أول ما عتب الناس على عثمان رضي الله عنه؟ قالوا: بماذا؟ قال: لأنه لما توفي رسول الله، ﷺ قام أبو بكر رضي الله عنه على المنبر دون مقام رسول الله ﷺ بدرجة، فلما توفي أبوبكر [رضي الله عنه][4] وولي عمر رضي الله عنه، قام دون مقامه بدرجة، فلما/ ولي عثمان رضي الله [251/ج] عنه رقى إلى أعلا المنبر مكان رسول الله ﷺ، فأنكر الناس عليه ذلك، وكان المراد أن يكون دون درجة عمر رضي الله عنه. فقال له عبادة[5]: ما أحد أعظم منة عليك يا أمير المومنين من عثمان رضي الله عنه. فقال: وكيف ذلك؟ قال: لكونه صعد إلى

---

(1) أبو حزرة جرير بن عطية الخطفى (28-110هـ)، ترجمته طبقات ابن سلام: 315 الأغاني 8/ 3. الوفيات 1/ 321 والموشح: 118.

(2) ضرط: الضراط صوت الفيخ معروف. اللسان: ضرط.

(3) الحكاية وردت في العقد 4/ 120 منسوبة للفرزدق.

(4) ما بين معقوفين ساقط من: ج، هـ.

(5) عبادة المخنث كان صاحب نوادر ومجون، وكان ببغداد، وكان ينادم المتوكل وتوفي في حدود الخمسين ومائتين. انظر الوفيات 2/ 153.

أعلا المنبر، فإنه لو كان على[1] من ولي أن ينزل درجة دون الأولى كنت تخطبنا اليوم يا أمير المومنين من[2] تحت الأرض السابعة[3] السفلى فضحك منه[4].

حُكي أنه ذكر للمنصور تدبير هشام في الحرب فاستحضر رجلا من أصحابه، فقال له: اذكر لي تدبير هشام في الحرب فجعل الرجل يقول: فعل رحمه الله كذا وفعل رحمه الله كذا فغاض المنصور ذلك، فقال: قم فعليك سخطة الله، تطأ بساطي وتترحم على عدوي، فقام الرجل وهويقول: لعدوك في عنقي قلادة لا ينزعها إلا غاسلي، فأمر برده فقال: كيف قلت؟ فقال: إنه كفاني أمر الطلب وصان وجهي من السؤال، أفلا يجب أن أذكره بخير؟ فقال المنصور: بلى، لله در أم نهضت عنك، إنك نهيض حرة وغراس كريم، ثم أمر له بجائزة، فقال له: آخذها لا لحاجة وإنما أتشرف بجائزتك وأفتخر بصلتك، فقال له المنصور: لولم يكن لقومك غيرك لكفيتهم مجدا، ثم قال لجلسائه بعد خروجه: عند مثل هذا تحسن الصنيعة ويودع المعروف وأين في عسكرنا مثله[5].

حُكي أن معن بن زائدة[6] دخل على المنصور فقال له: يا معن! تعطي مروان بن أبي حفصة[7] مائة ألف درهم على قوله فيك:

[الكامل]

معن بن زائدة لدي زيدت به شرفا إلى شرف بنو همذان[8]

(1) ساقطة من: ج.

(2) ساقطة من: ب.

(3) ج: السفلى السابعة.

(4) الحكاية وردت في الأذكياء: 139 وثمرات الأوراق: 178.

(5) الحكاية في مروج الذهب 4/ 133-134 والشهب اللامعة: 23 مع اختلاف قليل من الروايات.

(6) سبق ذكره.

(7) سبق ذكره.

(8) البيت ورد في مروج الذهب 4/ 134، والعقد الفريد 2/ 40 برواية: بنوشيبان. وكذا في الأغاني 10/ 96 والمستطرف 1/ 57.

فقال: بل إنما أعطيته على قوله فيك:

[الكامل]

ما زلت يوم الهاشمية معلنا   بالسيف دون خليفة الرحمان/ [186/هـ]
فحميت حوزته وكنت وفاءه   من وقع كل مهند وسنان[1]

فقال له: أحسنت يا معن! وسر بها قال[2].

حكى أبو عبد الله الكاتب[3]/ قال: قال المأمون: ما أعياني إلا جواب/ ثلاثة: [214/ب][227/د] صرت[4] إلى أم ذي الرياستين[5] أعزيها عن ابنها فقلت: لا تأسي عليه ولا تحزني لفقده فإن الله عز وجل قد أخلف عليك مثلي ولدا يقوم مقامه فبكت، وقالت: كيف لا أحزن على ولد أكسبني مثلك ولدا؟ وأتيت برجل تنبّأ فقلت: من أنت؟ فقال: موسى بن عمران. فقلت ويحك! كانت لموسى آيات: انقلاب العصا حية، ويده البيضاء إلى غير ذلك، فإن أتيتني بواحدة مما أتى به موسى كنتُ أول مؤمن بك، وإلا قتلتك، فقال: صدقت إلا أنه لم يأت بالآيات/ المذكورة إلا لفرعون [252/ج] لما قال: أنا ربكم الأعلى، فإن أنت قلت بمقالته أتيتك بهذه الآيات. والثالث أن أهل الكوفة اجتمعوا يشكون عاملا لهم، وكنت أرضى سيرته، فقال رجل منهم: إنه شر عامل في الأرض/ أول سنة وَلِيَنا بِعْنا ثيابنا وعقارنا، وفي السنة الثانية [170/أ] بِعْنا ضياعنا وذخائرنا، وفي السنة الثالثة خرجنا من بلادنا واستغثنا بك فارحم

(1) البيتان وردا في مروج الذهب 4/ 134 وفي العقد الفريد 2/ 40. والأغاني 10/ 96. والمستطرف 1/ 57. لكشكول: 308.

(2) الحكاية في مروج الذهب 4/ 134 العقد الفريد 2/ 40 والأغاني 10/ 96 والمستطرف: 1/ 57 والكشكول: 308.

(3) أظن أنه أبو عباد الكاتب الذي ذكره المسعودي في مروج الذهب مع ذكر الحكاية نفسها. انظر مروج الذهب 4/ 313.

(4) لعل الصواب: سرت.

(5) يعني الفضل بن سهل، أخا الحسن بن سهل، سمي بذي الرياستين لأنه تقلد الوزارة والسيف. انظر مروج الذهب 4/ 5، الوفيات 4/ 41 النجوم الزاهرة 2/ 172.

شكوانا، وتطَوَّل علينا بصرفه عنا، فقلت: كذبت، لا أم لك، بل هو رجل قد حمدت مذهبه وارتضيت دينه واخترته معونة مني لكم. فقال: صدقت أنت وكذبت أنا، ولكن هذا العامل الذي ذكرت أمانته وعفته وعدله قد خصصتنا به هذه السنين دون البلاد التي قد ألزمك الله بالنظر في أمورها فتفضل به على غيرنا من الأخيار ليشملهم بعدله وإنصافه ما شملنا، فقلت له: قم في غير حفظ الله فقد عزلته عنكم[1].

حُكي عن القاضي يحيى بن أكثم[2] أنه قال: كان المأمون يجلس في كل مرة الثلاثاء[3] للمناظرة، فبينما نحن جلوس عنده إذ دخل عليه حاجبه علي بن عبد الملك بن صالح فقال: رجل واقف بالباب، عليه ثياب غلاظ[4] مشمرة، يطلب الدخول للمناظرة، فعلمت أنه بعض الصوفية. [قال:][5] فأردت أن أشير ألا يؤذن له وأقول الأمر إليك، فقلت: الأمر إليك، وسبقني لساني وكان قد أشار إلي في ذلك فقال: إيذن له، فدخل رجل عليه ثياب قد شمرها ونعليه في يده، فوقف على طرف البساط ثم قال: السلام عليكم ورحمة الله، فقال المأمون[6]: وعليكم السلام، فقال له: أتأذن لي في الدنو منك؟ قال: آدن، فدنا، ثم قال: أتأذن لي في الجلوس؟ فقال له: اجلس، ثم قال: أتأذن لي في كلامك؟ قال[7]: تكلم بما تعلم أن لله فيه رضى، فقال له: أخبرني عن هذا المجلس الذي جلسته أبإجماع[8] من

(1) الحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 313.

(2) سبق ذكره.

(3) أ: الثلثاء.

(4) ب: غلط.

(5) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(6) ب: الأمين.

(7) أ: فقال.

(8) ج: بإجماع.

المسلمين عليك ورضاهم بك أم بالغلبة والقوة عليهم بسلطانك؟ فقال: لم أجلسه بإجماع منهم ولا بغلبة، بل هذا الأمر كان لسلطان قبلي بايعه الناس وأعطوه بذلك صفقة إيمانهم طائعين أو كارهين ثم مضى [الذي عهد له معي][1] على الحالة التي مضى عليها، ثم اشتهر في شرق البلاد وغربها أني الخليفة بعده، ثم نظرت فرأيت أني متى تركت أمور المسلمين اضطرب أمر الإسلام ونقصت ثغوره ووقع التنازع وتعطلت أحكام الله وانقطع الحج عن بيت الله الحرام والجهاد في سبيل الله، ولم ينتصف مظلوم من ظالم، ولم يكن لهم سلطان يسوسهم ويجمعهم، فقمت بهذا الأمر حياطة/ للمسلمين ومجاهدة لعدوهم وضبطا لسبلهم إلى أن يجتمع/ [228/د][253/ج] المسلمون على رجل تتفق كلمتهم على الرضى/ به، وكنت كرجل من المسلمين [187/هـ] وأنت أيها الرجل رسولي إلى جماعة المسلمين فمتى أجمعوا على رجل من المسلمين وبه رضوا خرجت إليه من هذا الأمر، فقال الرجل: السلام عيكم ورحمة الله، ثم قام فأمر المأمون علي بن عبد الملك بن/ صالح أن يرسل وراءه من يتبعه حتى يعلم [215/ب] أين يقصد ففعل ثم عاد فقال: وجهت من اتبع الرجل فمضى إلى مسجد خرب فيه خمسة عشر رجلا على مثل زيه وهيئته قال: فقالوا له: لقيت الرجل؟ فقال: نعم. قالوا: فماذا قال لك؟ قال: ما قال إلا خيرا، ذكر أنه لم يكن بين المسلمين إلا ليؤمن سبلهم ويقيم الحج والجهاد في سبيل الله ويأخذ من المظلوم للظالم وألا تتعطل الأحكام فإذا رضي المسلمون برجل وأجمعوا عليه، سلم الأمر إليه وخرج منه، وكان كرجل من المسلمين، قال: فقالوا: والله ما نرى بهذا الكلام بأسا وتفرقوا، فقال المأمون: الحمد لله، أمر كفيناه، وبأيسر الخطب رددناه[2].

حُكي أيضا أن المأمون قال يوما للقاضي يحيى بن أكثم: يا أبا محمد من القائل يهجوك بقوله:

---

(1) ما بين معقوفين ساقط من: د.

(2) الحكاية وردت في مروج الذهب: 314 -316.

[المنسرح]

[١٧١/أ] قاض يري الحَدَّ في الزنا ولا   يرى على من يلوط من بأس[1]/

فقال له: ابن أبي نعيم[2] الذي يقول:

[المنسرح]

أميرنا يرتشي وحاكمنا   يلوط والرأس شر ما راس
ما إن أرى الجور ينقضي أبدا   وثم وال من آل عباس[3]

قال: فأطرق المأمون خجلا ثم قال: ينفى ابن أبي نعيم إلى السند، ويقال إن القاضي يحيى صنع هذه الأبيات على لسانه بديهة حتى وقع ما وقع والله أعلم[4].

حُكي في درة الغواص: أن حامد بن العباس[5] سأل علي بن عيسى[6] في ديوان الوزارة: ما دواء الخمار؟ وكان قد علق به فأعرض عنه وقال[7]: ما لي أنا وهذه المسألة، فخجل حامد منه والتفت إلى قاض القضاة أبي عمر[8] فسأله عن ذلك فتنحنح لإصلاح صوته ثم قال: قال الله تعالى: ﴿ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[9].

(1) البيت ورد في مروج الذهب 4/ 317. والوفيات 6/ 153

(2) شاعر معاصر للمأمون، هجا يحيى بن أكثم، ذكره المسعودي في تاريخه 4/ 318 وابن خلكان في الوفيات 6/ 153 وفيه: أحمد بن أبي نعيم.

(3) البيتان وردا في مروج الذهب والوفيات برواية مختلفة.

(4) الحكاية وردت في مروج الذهب والوفيات برواية مختلفة.

(5) حامد بن العباس، أبو محمد، استوزره المقتدر بالله سنة 306 هـ كان موسرا ظاهر المروءة كثير العطاء (توفي سنة 311هـ). انظر ترجمته في المنتظم 6/ 180.

(6) علي بن عيسى بن داود بن الجراح، أبو الحسن، وزير المقتدر بالله والقاهر بالله كان صدوقا فاضلا عفيفا في ولايته (244-334هـ). انظر ترجمته في تاريخ بغداد 14/ 12 والمنتظم 6/ 351، وفيه أنه توفي سنة 335هـ.

(7) ساقطة من: د.

(8) ب، ج، د: أبي عمرو.

(9) الحشر: 7.

وقال ﷺ: «استعينوا على كل صنعة بصالح أهلها»[1]، والأعشى هو المشهور في هذه الصنعة في الجاهلية وهو القائل:

[المتقارب]

وكأس شربت على لذة ... وأخرى تداويت منها بها[2]

ثم تلاه[3] أبو نواس في الإسلام فقال:

[البسيط]

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء ... وداوني بالتي كانت هي الداء[4]

قال فأسفر[5] وجه حامد حينئذ وقال لعلي بن عيسى: ما كان ضرك يا بارد أن تجيب بمثل ما أجاب به مولانا قاضي القضاة، وقد استظهر في جواب المسألة بقول الله أولا وبقول النبي ثانيا وأوضح المسألة وخرج من العهدة. قال: فكان خجل ابن عيسى أكثر من خجل حامد[6].

حُكي عن مصارع/ العشاق[7] قال في ذرة الغواص: اجتمع قوم على شراب [229/د] فغنى مغنيهم شعر حسان بن ثابت الصحابي رضي الله عنه:

[الكامل]

إن التي ناولتني فرددتها ... قتلت قتلت فهاتها لم تقتل/ [188/هـ]

(1) الحديث ورد في كشف الخفاء 2/ 122.

(2) البيت هو السابع عشر من قصيدته التي مطلعها:

ألم تنه نفسك عما بها ... بلى عادها بعض أطرابها

انظر الديوان: 171 وفصول التماثيل: 25. والمختار من قطب السرور: 403.

(3) أ، ب: أتاه.

(4) البيت هو مطلع القصيدة، انظر الديوان: 6.

(5) أ، ب، هـ: فاسفر. وأسفر الوجه: أشرق. اللسان: سفر.

(6) الحكاية وردت في درة الغواص: 74.

(7) لعله أراد: حكي في مصارع العشاق نقلا عن درة الغواص.

كلتاهما حلب العصير فحاطني بزجاجة أرخاهما[1] للمفصل[2]

فقال بعضهم[3]: امرأتي طالق إن لم أسأل الليلة عبيد الله بن الحسن القاضي[4] في علة هذا/ الشعر. قال أولا: إن التي ناولتني فوحد، ثم قال: كلتاهما، فثنى. فأشفقوا على صاحبهم من ذلك، وتركوا ما كانوا عليه وذهبوا[5] إلى القاضي عبيد الله بن الحسن فوجدوه قائما يصلي، فلما فرغ من صلاته قالوا له: يا مولانا! جئناك[6] لأمر دعتنا إليه الضرورة، فصرحوا له بالخبر، وقصوا عليه القصة، وسألوه الجواب. فقال مع زهده وورعه: إن التي ناولتني فرددتها: عني بها الخمرة الممزوجة بالماء، ثم قال: كلتاهما حلب العصير يريد الخمرة المتحلبة من العنب والماء المتحلب من السحاب المكنى عنه بالمعصرات، قال الحريري[7] في الدرة: وقد بقي في الشعر ما يحتاج إلى التفسير أما قوله: إن التي ناولتني فرددتها قتلت قتلت فإنه خاطب الساقي الذي ناوله كأسها ممزوجة يقال: قتلت الخمر إذا مزجتها، فكأنه أراد أن يعلمه أنه فطن لما فعله، ثم ما اقتنع بذلك حتى دعا عليه بالقتل في مقابلة المزج، ثم عقب الدعاء عليه، بأن استعطى منه ما لم تقتل، يعني الصرف التي لم تمزج. وقوله أرخاهما للمفصل: يعني به اللسان وسمي مفصلا بالكسر لأنه يفصل بن الحق

[216/ب]

---

(1) أ: أرضاها.

(2) البيتان من قصيدة حسان بن ثابت اللامية المشهورة والتي مطلعها:

أسألت رسم الدار أم لم تسأل بين الجوابي فالبضيع فحومل

انظر الديوان 1/ 74.

(3) أ: أحدهم.

(4) هو عبيد الله بن الحسن بن الحصين العنبري، من تميم. قاض من الفقهاء والعلماء (105-165هـ)، .انظر تهذيب التهذيب 7/ 7.

(5) ب، ج، هـ: ومضوا.

(6) أ، ب: جئنا.

(7) أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري صاحب المقامات، أحد أئمة عصره. انظر ترجمته في الوفيات 4/ 63. معجم 16/ 267. النجوم الزاهرة 5/ 225. شذرات الذهب 4/ 500. خزانة الأدب 3/ 117.

والباطل[1].

حكى الحريري في «توشيح البيان» قال: كان أحمد[2] بن المعذل يحب أخاه عبد الصمد حبا شديدا على تباين طريقتهما لأن أحمد كان صواما قواما وذاك كان سكيرا مسرفا، وكان يسكنان دارا واحدة، فأحمد في غرفة أعلاها/ وعبد الصمد [172/أ] في بيت في أسفلها، فدعا عبد الصمد ليلة جماعة من ندمائه فأخذ في اللهو والعزف والرقص والقصف حتى منعوا أحمد من النوم وأشغلوه عن ورده وقطعوا عليه تهجده فاطلع عليهم وقال لهم يتلو عليهم/ قوله تعالى: ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات [255/ج] أن يخسف الله بهم الأرض﴾[3] فرفع رأسه عبد الصمد وتلا قوله تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾[4].

حكى الصاحب فخر الدين ابن مكانس[5] عن صاحبه سراج الدين القوصي[6] أنه حصل له طلوع [في جسده][7] ففتح من سبع مواضع، فتردد إليه الجراح وجعل فيه سبع فتائل، فدخل عليه يوما الصاحب فخر الدين فقال له: كيف حالك وكيف أصبح السراج؟ فقال له: وكيف حال سراج فيه سبع فتائل[8].

حُكي أنه اجتمع محدث ونصراني في سفينة فصب النصراني خمرا في زجاجة

---

(1) درة الغواص: 74/ 73 وثمرات الأوراق: 7-8.

(2) أحمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم، ذكره الكتبي في معرض ترجمته لأخيه عبد الصمد. انظر فوات الوفيات 2/ 330.

(3) النحل: 45.

(4) الأنفال: 33. والحكاية وردت في ثمرات الأوراق: 400.

(5) عبد الرحمان بن عبد الرزاق بن إبراهيم أبو الفرج فخر الدين المعروف بابن مكانس (745-794هـ)، وزير وشاعر مصري حنفي المذهب، أصله من القبط. انظر الدرر الكامنة 2/ 438.

(6) لم أقف عليه.

(7) ما بين معقوفين زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(8) الحكاية وردت في ثمرات الأوراق: 55 وحلبة الكميت: 394.

كانت معه وشربها، ثم ملأها[1] وناول المحدث فأخذها منه، فلما أراد أن يشربها قال له النصراني: إن هذه خمر. فقال: من أين علمت ذلك؟ قال: اشتراها غلامي من يهودي خمار وحلف أنها من خمر عتيق، فشربها المحدث وقال للنصراني: أنت [د/230] أحمق، نحن/ أصحاب الحديث نروي عن الصحابة والتابعين أفنصدق[2] نصرانيا عن غلامه عن يهودي، والله ما شربتها إلا لضعف الإسناد[3].

حُكي أنه نظر طفيلي إلى قوم ظنهم يذهبون إلى وليمة فتبعهم فإذا هم شعراء وقد قصدوا الملك بمدائح، فلما أنشد كل واحد شعره وأخذوا[4] جائزتهم ومضوا إلى سبيلهم وبقي الطفيلي وهو جالس ساكت، فقيل له: أنشد شعرك، فقال: لست بشاعر قيل: فمن أنت؟ قال: من الغاوين، وقد قال الله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾[5] فضحك الملك منه ووصله بجائزة الشعراء وانصرف إلى حال سبيله مكرما[6].

[هـ/189] حكى الهيثم بن عدي[7] قال: مشيت مع الإمام أبي حنيفة/ رحمه الله في نفر من أصحابه إلى عيادة مريض من أهل الكوفة، وكان المريض بخيلا وتواصينا إلى أن [ب/217] نعرض له[8] بالغداء، فلما دخلنا وقضينا العيادة قرأ أحدنا قوله/ تعالى: ﴿آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾[9] قال: فتمطى المريض وقال[10] يتلو قوله تعالى: ﴿ليس

(1) د: ملأ.

(2) ب: أفتصدق.

(3) الحكاية وردت في ثمرات الأوراق: 55.

(4) ب، ج، د: جائزته.

(5) الشعراء: 224.

(6) الحكاية وردت في شرح المقامات 1/ 187، وثمرات الأوراق: 56.

(7) سبق ذكره.

(8) أ: تعرضوا.

(9) الكهف: 62.

(10) د: وجعل.

على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج﴾[1] فغمز الإمام أصحابه وقال لهم: قوموا، فما لكم هنا براح.

حُكي أنه لما رجع الشيخ شهاب الدين السهروردي[2] من الشام إلى بغداد وجلس مع أصحابه وأخذ يقلل أحوال الناس ويهضم جانب الرجال وأنه ما بقي من يلقاه، وقد خلت الدنيا وأنشد:/ [256/ج]

[البسيط]

ما في الصحاب أخو وجد نطارحه   حديث نجد ولا خل نجاريه

قال: فصاح رجل من طرف المجلس عليه قباء وكلومة[3] وقال له: يا شيخ: كم تنتقص القوم، والله إن فيهم من لم يرض يجاريك، وقصاراك أن تفهم ما تقول[4]، هلا قلت:

[البسيط]

ما في الصحاب وقد سارت حمولهم   إلا محب له في الركب محبوب
كأنما يوسف في كل راحلة   والحي في كل بيت منه يعقوب

قال: فصاح الشيخ السهروردي ونزل عن الكرسي وطلب، الرجل فلم يجده.

حُكي أن هشام بن عبد الملك بن مروان قدم مكة المشرفة حاجا، فلما دخل الحرم الشريف قال: ايتوني برجل من الصحابة فقيل له: قد تفانوا فلم يبق منهم

---

(1) التوبة: 91.

(2) أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك، الملقب شهاب الدين السهروردي (587-549هـ). انظر وفيات الأعيان 6/ 268 لسان الميزان 3/ 156 النجوم الزاهرة 6/ 114.

(3) ولم أقف على هذه الصيغة في المعاجم التي رجعت إليها.

(4) أ: تقول.

أحد، قال: فمن التابعين فأتي له بطاوس اليماني[1] فلما دخل عليه خلع نعليه عند حاشية بساطه ولم يسلم عليه بسلام الخلافة، ولم يكنه وجلس بجانبه وقال له: كيف أنت يا هشام؟ فقال له: يا طاوس! ما حملك على ما صنعت؟ قال: وما/ [173/أ] صنعت؟ قال: خلعت نعلك عند حاشية بساطي، ولم تسلم علي بسلام الخلافة، وجلست بإزائي بغير إذني، وقلت: كيف أنت يا هشام. فقال طاوس: أما خلع نعلي عند حاشية بساطك، فأنا أخلع نعلي بين يدي رب العالمين رب العزة كل يوم خمس مرات فلا يعاتبني ولا يغضب علي، وأما كوني لم أسلم عليك بسلام الخلافة، فليس كل الناس راضين ببيعتك فأكون كاذبا، وأما كوني لم أكنك، فإن الله تعالى سمى أنبياءه عليهم الصلاة والسلام بأسمائهم فقال:/ عز وجل: يا داوود يا يحيى [231/د] يا عيسى، وكنى[2] أعداءه فقال عز وجل: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾[3] وأما جلوسي بإزائك فإني كنت أفعل ذلك مع من هو أجل منك من أصحاب رسول الله ﷺ، ثم قال له: يا هشام! سمعت أمير المومنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: إن في جهنم حيات كالقلال[4] وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته قال[5]: ثم قام عنه وانصرف[6].

حُكي أن النضر بن شميل[7] مرض فدخل عليه قوم يعودونه، فقال له رجل

---

(1) أبو عبد الرحمان طاوس بن كيسان الخولاني الهمداني اليماني، أحد الأعلام التابعين، كان فقيها جليل القدر نبيه الذكر (33-106هـ)، انظر حلية الأولياء 4/ 3. الوفيات 2/ 509. تهذيب التهذيب 5/ 8.

(2) هـ: وكذا.

(3) المسد: 1.

(4) أراد بالقلال: الأعمدة. انظر اللسان: قلل.

(5) ساقطة من: ب.

(6) الحكاية وردت في الوفيات 2/ 510 وثمرات الأوراق: 96-97 والكشكول 4/ 607.

(7) أبوالحسن النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد، التميمي المازني النحوي البصري (103 - 192هـ)، . أنظر الوفيات 39 5/ 7.

منهم، يكنى أبا صالح: مسح الله ما بك، فقال له النضر: لا تقل مسح الله بالسين ولكن مصح الله بالصاد أي أذهب وفرق أما سمعت قول الأعشى/ : [190/هـ]

[الرمل]

وإذا[1] ما الخمر فيها قد أزبدت   أفل الإزباد فيها وامتصح[2]

فقال له الرجل: إن السين قد تبدل من الصاد كما يقال الصراط والسراط وصقر/ وسقر فقال النضر: فأنت إذا أبو سالح[3]. [257/ج]

قلت ومثله أن بعض الأدباء جوز بحضرة الوزير/ ابن الفرات[4] أن تقام [218/ب] السين مقام الصاد في كل موضع فقال له الوزير حينئذ ﴿جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم﴾[5] أتجوز هنا السين فخجل الرجل وانقطع. والذي ذكره أرباب اللغة أن الصاد تبدل من السين في كل كلمة فيها سين وجاء بعدها أحد الحروف الأربعة: الطاء والخاء والغين والقاف كالصراط وسخر لكم ومصغبة وصقيل وقس على هذا.

حُكي أن رجلا من اليهود قال للإمام علي رضي الله عنه: ما لكم لم تلبثوا بعد نبيكم إلا قليلا حتى اختلفتم وقتل بعضكم بعضا؟ فقال له علي رضي الله عنه: نحن مجتهدون مصيبون، القاتل والمقتول منا في الجنة إلا أنتم يا معشر بني إسرائيل لم تنشف أقدامكم من بلل البحر حتى قلتم: ﴿يا موسى اجعل لنا إلاها﴾[6].

---

(1) الواو زيادة من:هـ.

(2) انظر ديوان الأعشى: 43 ودرة الغواص: 14 وشرح المقامات 1/ 254 والوفيات 5/ 402. وثمرات الأوراق: 131 والكشكول 4/ 537.

(3) الحكاية وردت في المراجع السابقة.

(4) سبق ذكره.

(5) الرعد: 23.

(6) الأعراف: 138.

حُكي [عن][1] الأصمعي أنه قال: كان في بني تميم رجل اسمه حنظلة وكان معروفا بسرعة الجواب المسكت حتى كان لا يكاد أحد يبهره فيه، فتزوج امرأة اسمها علقمة، فجاءت بولد ثم ولد ولم يعش لها إلا الولد الأخير، واسمه مرة، وكان أسرع جوابا من أبيه، مع بشاعة منظره، فتشاجر مع أبيه في جمع من قومه، فقال له أبوه: إنك لمرة! فقال له: أعجبتك حلاوتك يا حنظلة! فقال له[2]: أنت خبيث كاسمك، فقال: أخبث مني من سماني به. فقال له[3]: إنك للئيم، فقال: ما ورثت ذلك إلا من كلالة. فقال: ما أنت عندي من الناس فقال: أشبهت من ولدني. فقال: قد يخرج الخبيث من الطيب فقال: هيهات يجنى من الشوك العنب. فقال: ما أشبهت إلا أمك. فقال: ما هي بأشر[4] من زوجها. فقال: عقمت أم ولدتك، قال: نعم حيث تغنجت[5] لمثلك، فقال: ما أراك تفلح أبدا ولا تنصلح، فقال: كيف يفلح أوينصلح من أنت أبوه؟ فقال: لقد حرمت علي تأديبك، وليس هذا بأول كفرك للنعم، فقال: من يشابه أباه فما ظلم. فقال: والله لأدعون عليك، فقال: تدعوإذن عارفا بك، فقال: ما يعرف مني إلا خيرا، فقال: مادح نفسه يقرئك السلام. فقال: يا مشؤوم الغرة مات إخوتك وبقيت، فقال: [232/د] أعجبتني كثرة أعمامي/ يا مبارك الناصية، فقال: إنه ليغضبني كلامك. فقال: من تكلم أجيب. فقال: ما زلت ماقتا لك، فقال: ذق ثمرة غرسك. فقال: ليس لك عندي إلا السكوت فقال: ما تقدر على ذلك. فقال: ومن يمنعني منه؟ قال: سوء [174/أ] خلقك. فقال له: أسوأ خلقا منا/ لا عاش، فقال: نعيت نفسك يا أبت. فقال له: [258/ج] أبوك الشيطان، فقال: هو كما/ تقول. فقال له: ما جرأك على الكلام غيري. فقال:

(1) زيادة من: ب، ج، د، هـ.
(2) ساقط من: ج.
(3) ساقطة من: د، هـ.
(4) هـ: بأنني.
(5) تغنجت فهي مغناج وغنجة والغنج: ملاحة العينين، وقد سبق شرحه.

لنفسك إذن لُـم، فقال له: أراحني الله منك، فقال: ذلك إليك. فقال له: وكيف لي به؟ قال: تخنق نفسك حتى تموت، فقال له: لإن قمت إليك لأوجعتك ضربا: فقال أوأنت أشد مني بطشا؟ فقال: أوإن ضربتك تضربني؟ فقال: وأنت في شك من ذلك ثم تفرقا[1].

حُكي أنه احتاج المنصور بن[2] أبي عامر[3] أن يأخذ أرضا محبسة، يستبدلها ويعوض عنها خيرا منها، فا ستحضر الفقهاء وسألهم في ذلك فأفتوا بأنه لا يجوز، فغضب السلطان وأرسل إليهم رجلا من الوزراء هو مشهور بالحدة والعجلة، فقال لهم: يقول لكم مولانا السلطان: يا مشيخة/ السوء! يا مستحلي أموال الناس! يا [191/هـ] آكلي[4] أموال اليتامى ظلما[5]! يا شهداء الزور! يا آخذي[6] الربا! وملقني الخصوم وملبسي الأمور وملتبسي الروايات لاتباع الشهوات، تبًّا لكم ولآرائكم وهوأعزه الله واقف على فسوقكم قديما وخيانتكم لأموالكم وأمانتكم الفاسدة فيغضى عن ذلك ويصبر عليه، ثم أحتاج إلى دقة نظركم في حاجة مرة واحدة/ في دهره [219/ب] فلم تسعفوا إرادته، ما كان هذا ظنه بكم والله ليعارضنكم وليكشفن ستوركم ولبناصحن الإسلام فيكم قال الراوي: وأفحش عليهم بهذا ونحوه، فقال رجل من جماعة الوزير: يتوبون إلى الله تعالى ويسألونكم الإقالة لهم، قال: فرد عليهم زعيم القوم محمد بن إبراهيم وكان جلدا صابرا صارما، وقال للمتكلم: عمن تنوب يا شيخ السوء؟ ثم أقبل على الوزير وقال له: بئس المبلغ أنت، وكل ما نسبته

---

(1) الحكاية وردت في أسرار البلاغة: 331.

(2) ساقطة من:هـ.

(3) محمد بن عبد الله بن عامر بن محمد أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري القحطاني أبو عامر (326-372هـ)، . نفح الطيب 1/ 403. والكامل لابن الأثير 9/ 179.

(4) د: آكل.

(5) ساقطة من: ج.

(6) أ: يا آخذين.

إلينا فهو صفتكم معاشر الخدمة فإنكم تأكلون أموال الناس بالباطل وتستحلون ظلمكم بالإخافة، وتضيقون معائشهم بالرشا والمضايقة وتبغون في الأرض بغير الحق، وأما نحن فليست هذه صفاتنا ولا يقول لنا ذلك إلا مُتَّهم في الديانة، فنحن أعلام الهدى وسرج الظلمة بنا يتحصن الإسلام ويفرق بين الحلال والحرام، وتنفذ الأحكام، وتقام الفرائض وتثبت الحقوق، وتحقن الدماء، وتستحل الفروج، فهلا إذ عنت علينا السلطان بشيء لا ذنب لنا فيه، وقال بالغيظ ما قاله، فأتيت لإبلاغنا رسالته بأهون من إفحاشك وعرضت لنا بإنكاره ففهمناه منك وأجبناك عنه بما يصلح للجواب، فكنت تزين السلطان ولا تفشي سره مستجيبا [259/ج] مما استقبلتنا به، فنحن نعلم أن السلطان لا يتمادى على هذا الرأي وإنه سيراجع/ بصيرته في إيثارنا وتقريرنا فقد كنا على هذه الحالة التي وصفتنا بها، والعياذ بالله تعالى، [233/د] لبطل عليه كل عقد، وحل من أول خلافته/ إلى هذا الوقت، فإنه لم يثبت له كتاب من حرب ولا سلم ولا شراء ولا بيع ولا صدقة ولا حبس ولا هبة ولا عتق ولا تبعة ولا غير ذلك إلا بشهادتنا، هذا ما عندنا والسلام، قال: ثم قاموا منصرفين، فلم يبلغوا باب القصر إلا والرسل[1] تناديهم أن أجيبوا السلطان فدخلوا فتلقاهم الوزراء بالإعظام ورفعوا منازلهم واعتذروا إليهم مما كان من صاحبهم وقالوا لهم: السلطان يعتذر إليكم ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ونزغته التي حملته على جفائكم ويعلمكم أنه نَادِمٌ على ما كان منه، وهو ناظر في تعظيمكم وقضاء حقوقكم، وقد أمر لكل منكم بصلة وكسوة علامة لرضاه عنكم[2] قال: فدعوا له وقبضوا ما أمر لهم به وانصرفوا مسرورين بذلك.

حُكي أن بعض القضاة شهد عنده معلمه شهادة فردها ولم يقبلها فقال له المعلم: لم رددت شهادتي؟ فقال له القاضي: رأيت منك ثلاثة أمور توجب رد الشهادة،

(1) أ: الرجال.

(2) ساقطة من: ب، ج، د، هـ.

فقال له المعلم: وما هي؟ قال الأول[1] رأيتك تبول ولا تستجمر، وذلك محرم يوجب عذاب القبر، كما ورد به الخبر. الثاني: رأيتك تستمع/ إلى قينة وهي تغني [175/أ] فقلتَ لها: أحسنت. والثالث: أعطيتني درهما وقلت لي اعطه لفلان فرده لكونه زائفا فقلت: فاعطه لفلان غيره فأخذه فسكت على ذلك وتماديت/ عليه، فقال له [192/هـ] المعلم: هل رأيتني صليت في الثياب التي كنت[2] لابسها حال عدم الاستجمار؟ فقال: لا. فقال: تلك الثياب خلعتها وصليت في غيرها، والقينة التي قلتُ لها أحسنت في حال إنشادها أوبعد فراغها من الغناء؟ قال: بل عند الفراغ. قال: أعني أحسنتِ إذ سكتِ. وأما الدرهم هل تعلم أني كنت أعلم أنه زائف؟ قال: لا. قال: النقد أمر اجهادي أباه الأول ورضيه الثاني ولا أعلم المصيب منهما من المخطىء، فاستحسن/ القاضي ذلك من المعلم وقبله. [220/ب]

حُكي أن عدي بن أرطاة[3] دخل على إياس بن معاوية المزني[4] في مجلس قضائه وكان إياس يعرف بالذكاء وحسن الفراسة وبه يضرب المثل في ذلك فقال: يا إياس! أين أنت؟ قال: بينك وبين الحائط قال: فاسمع مني، قال: للاستماع جلست. قال: إني تزوجت امرأة قال: بالرفاء والبنين قال: وشرطت لأهلها لا أخرجها من عندهم. قال: فأوف لهم بالشرط قال: فأنا أريد الخروج/ فقال: في [260/ج] حفظ الله قال: فاقض بيننا، قال: قد فعلت، قال: فيم تحكم؟ قال: ألا[5] تخرج من بيتها، قال: بشهادة من؟ قال: شهادة ابن أخت خالتك يعنيه.

---

(1) ب: الأولى.

(2) ساقطة من: ب.

(3) عدي بن أرطاة الفزازي، أبو واثلة (- 102هـ)، من أهل دمش كان من العقلاء الشجعان ولاه عمر بن عبد العزيز على البصرة سنة 99 فاستمر إلى أن قتل بواسط. انظر اليعقوبي 3/ 38.

(4) أبو واثلة إياس بن معاوية بن قرة بن إياس (46-122هـ)، القاضي اللسن البليغ، والألمعي المصيب، رأس الفصاحة والرجاحة. انظر ترجمته في الوفيات 1/ 247. وميزان الإعتدال 3/ 124 وأخباره منثورة في كتب الأدب العامة.

(5) أ: ألا.

حُكي أن إياس المذكور دخل دمشق وهو صغير فتحاكم مع شيخ عند قاضيها، فأطال إياس لسانه على الشيخ، فقال له القاضي: [هذا شيخ وأنت غلام فاحفظ لسانك، فقال له إياس: الحق أكبر منه، فقال له القاضي][1] اسكت، فقال: من ينطق بحجتي إذا سكت؟ فقال له القاضي: ما أراك تقول حقا، فقال إياس: لا إله إلا الله أحق أم باطل؟ فأفحمه.

[234/د] حُكي أن عبد الملك بن مروان دخل البصرة فدخل عليه[2] القاضي/ إياس، قبل أن يكون قاضيا، وخلفه جماعة من القراء مشايخ، فأنكر ذلك [عبد الملك][3] وقال لهم: أما فيكم شيخ يقدمكم غير هذا الغلام؟ ثم التفت إلى إياس وقال له: كم سنك؟ قال سني أطال الله بقاءك سن أسامة [بن زيد[4] رضي الله عنه حين ولاه رسول الله ﷺ على الجيش وفيه أبوبكر وعمر. فقال له عبد الملك: تقدم بارك الله فيك، وكان سنه إذ ذاك تسع عشرة سنة[5].

حُكي أن الحجاج نزل في بعض أسفاره ما بين مكة والمدينة فدعا بغذائه فرأى أعرابيا فدعاه إلى الغذاء معه، فقال: دعاني من هو خير منك فأجبته، فقال: ومن هو؟ قال: الله تعالى، دعاني إلى الصيام فصمت، قال: في هذا الحر الشديد؟ قال: نعم، صمت ليوم هو أشد منه حرا. قال: فافطر وصم غدا، قال: إن ضمنت لي البقاء إلى غد فعلت، قال: ليس ذلك إلي، قال: فكيف أبيع عاجلا بآجل لا تقدر

(1) ما بين معقوفين ساقط من:هـ.
(2) ساقطة من: ج.
(3) زيادة من ب، د، ه عبارة ج: فأكبر عبد الملك ذلك.
(4) أسامة بن زيد بن حارثة أبومحمد، صحابي جليل نشأ على الإسلام لأن أباه كان من أول الناس اسلاما. توفي حوالي 54هـ. انظر طبقات ابن سعد والإصابة.
(5) الحكاية وردت في شرح المقامات 1/ 87.

عليه[1].

حُكي أن حاطب بن أبي بلتعة[2] رضي الله عنه شهد الله له بالإيمان، وكان حاطب عاقلا حازما لبيبا لا يخدع. قال حاطب رضي الله عنه: لما بعثني رسول الله ﷺ إلى المقوقس[3] جئته بكتاب رسول الله ﷺ فأنزلني في[4] منزله وأقمت عنده ليالي ثم بعث إلي وقد جمع بطارقته وقال: إني سأكلمك بكلام أحب أن تفهمه مني فقلت: هلم. فقال: أخبرني عن صاحبك، أليس هو نبيا؟ قلت: هو رسول الله ﷺ؟ قال: فما باله حيث كان هكذا لم يَدْعُ على قومه لما[5] أخرجوه من بلدته إلى غيرها؟ فقلت له: فعيسى بن مريم،/ على نبينا وعليه الصلاة والسلام أتشهد[6] أنه روح الله قال: [193/هـ] بلى. قلت فما باله حين أخذه قومه وأرادوا صلبه لم يدع عليهم بأن يهلكهم الله تعالى حيث رفعه الله تعالى إليه إلى سماء الدنيا. فقال لي[7]: أحسنت أنت حكيم من عند حكيم[8].

حُكي أن خالدا بن/ الوليد رضي الله عنه لما وصل الحيرة بعثوا إليه رجلا اسمه [261/ج] عبد المسيح، وكان شيخا كبيرا، فقال له خالد رضي الله عنه: من أن أين جئت؟

(1) الحكاية وردت في عيون الأخبار 2/ 366. والعقد الفريد 4/ 28، والإمتاع والمؤانسة 3/ 80.

(2) حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير بن سلمة اللخمي، قيل هو الذي نزلت فيه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم...﴾ الآية، وذلك بسبب اختياره لأهل مكة بتجهيز رسول الله ﷺ إليهم. وقد شهد بدرا وكان من الصحابة. انظر الإصابة 1/ 300.

(3) المقوقس هو ملك مصر في زمن الرسول ﷺ وهو صاحب الهدايا إليه ﷺ، ذكره المسعودي في تاريخه 25/ 29 وذكره ابن حجر في الإصابة 1/ 300.

(4) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(5) ج: حين.

(6) أ: أشهد.

(7) ساقطة من: ج.

(8) ورد شيء من الخبر في طبقات بن سعد 1/ 134 أو في شذرات الذهب 1/ 37.

[176/أ] قال: من وراءي قال: وأين تريد؟ قال: أمامي. قال/ : ما سألتك عن هذا، قال: ما أجبت إلا عما سألت عنه، قال: أنت رسول؟ قال: نعم. قال: إلى من؟ قال: إليك.

[221/ب] قال: من أرسلك/ ؟ قال: قومي الذين نزلت بدارهم. قال يا شيخ: ابن كم أنت؟ قال: ابن رجل وامرأة، قال: كم لك من السنين قال: الستون كلها لله تعالى. قال: كم أتى عليك من السنين؟ قال: لو أتى علي شيئا لقتلني قال: كم تعد من السنين؟ قال: أعد ما شئت من واحد إلى عشرة آلاف وأكثر من ذلك. قال: كم سنك؟ قال: اثنان وثلاثون ما بين ضرس وناب. قال: كم عمرك؟ قال: ما اطلعت على اللوح المحفوظ، قال: إنما سألتك عما مضى من عمرك قال: مائة وعشرون عاما. وقد تقدم بعض ذلك وهذا أكمل فأوردته ها هنا لأجل ذلك والله تعالى أعلم[1].

حُكي أن عمر رضي الله عنه كان يعس ليلة بالمدينة فسمع صوت رجل يتغنى فتسور عليه فوجد عنده امرأة وعنده خمر فقال له: يا عدو الله! أظننت أن الله يسترك وأنت على معصية؟ فقال: وأنت فلا تعجل إن أنا عصيته في واحدة فقد عصيته في ثلاث، قال الله تعالى: ﴿ولا تجسسوا﴾[2] وقد تجسست وقال تعالى: ﴿وليس البر بأن تاتوا البيوت من ظهورها﴾[3] وقد تسورت علي داري. وقال تعالى: ﴿لا تدخلوا بيوتا غيربيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾[4] وقد دخلت بغير إذن ولا سلام. فقال

[235/د] عمر رضي الله عنه:/ هل عندك من خير إن عفوت عنك. قال: نعم، لا أعود لمثلها أبدا، فعفا عنه وخرج وتركه.[5]

---

(1) الحكاية وردت في البيان والتبيين 2/ 147 وتاريخ الطبري 3/ 362 والأغاني 16/ 195.

(2) الحجرات: 12.

(3) البقرة: 188.

(4) النور: 27.

(5) الحكاية وردت في المستطرف 2/ 93 وقصص العرب 3/ 18.

حُكي أن أبا بكر الهذلي[1] حضر يوما[2] مجلس السفاح، والسفاح مقبل عليه يحدثه بحديث أنوشروان[3] في بعض حروبه فهبت ريح عظيمة فأذرت ترابا وقطعا من حجارة فجزع من في المجلس لوقوعها وارتاع، والهذلي شاخص نحو السفاح يصغي لحديثه لم يتغير ولم يجزع كما تغيرت وجوه غيره، فقال له السفاح: لله درك يا أبا بكر! لم يرعك ما راعنا[4] ولا أحسست بما ورد علينا؟ فقال له: ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾[5] وإنما للمرء قلب واحد، فلما غمر[6] السرور قلبي بفائدتك لم يكن فيه لحديث حادثة[7] مجال، وإن الله عز وجل إذا أراد إفراد عبد بكرامة وأحب أن يبقي له بها ذكرا جعل تلك الكرامة على لسان نبيه ﷺ أو على لسان خليفته، وهذه كرامة خصصت بها فمالَ إليها قلبي، ووعاها ذهني واشتغل بها فكري فلو انقلبت الخضراء على الغبراء ما أحسست بشيء. فقال له السفاح: لله درك وأجازه بجائزة سنية[8].

حُكي أن بنداد بن/ خرشيد[9] طلبه الملك شيرويه[10] ليسايره فبينما هما يتسايران [262/ج]

---

(1) أبو بكر الهذلي: محدث بصري صاحب أخبار ونوادر صار من خاصة السفاح اسمه غير ثابت: عبد بن أبي سليمان، عبد الله بن سلمى، سلمي بن عبد الله. انظر مروج الذهب 7/ 386 فقد أشار إليه المحقق في الفهرسة.

(2) ج: في مجلس.

(3) سبق ذكره.

(4) أ، ب، د: ما راعت.

(5) الأحزاب: 4.

(6) ب ، د: عمر.

(7) أ، ب: لخادمة.

(8) الحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 110 مع اختلاف بين الروايتين.

(9) ذكره المسعودي في تاريخه باسم بندار بن خرشيد، وهو الصواب، انظر الجزء 4/ 111. وفي الفهرسة الجزء: 6 أشار المحقق إليه بأنه كان قائدا لجيش شيرويه.

(10) واسمه قباد ومعروف بشيرويه وهو القاتل لأبيه، والفُرس تسميه الغشوم، وقد دام ملكه سنة وستة أشهر. انظر مروج الذهب 1/ 322.

على بحر وقد تقلقل بينهما الحديث إذ غفل بنداد فزلت به دابته فوقع في البحر فابتدره الحاشية وغلمان الملك وأخرجوه عن الوحل فاغتم الملك لذلك ونزل عن دابته في موضع ودعا بثياب من خواص كسوته فألبسه إياها وطلب الطعام [194/هـ] فأكل/ معه وقال له الملك: لهوت بحديثي عن النظر في موضع دابتك فقال: أيها الملك! إن الله تعالى إذا أنعم على عبد نعمة قابلها بمحنة وعارضها ببلية وعلى قدر النعم تكون المحن، وإن الله تعالى أنعم علي بنعمتين عظيمتين إحداهما: إقبال الملك علي من بين هذا السواد الأعظم. والثانية: هذه الفائدة التي استفدتها من حديث الملك التي لو أني رحلت في طلبها إلى حيث تطلع الشمس أو تغرب لكنت رابحا. فلما اجتمع[1] علي بنعمتان جليلتان في وقت واحد، قابلتهما هذه المحنة ولولا أساورة[2] الملك ويمن جده لغرقت وذهبت عن أديم الأرض، ولوكان ذلك لكان أبقى لي الملك ذكرا ما أبقى الضياء والظلام، فسر الملك بذلك، وقال له: ما ظنك بهذا القدر الذي أنت فيه؟ ثم إنه حشا فاهه درا وجوهرا ثمينا واتخذه وليا حتى غلب على أكثر أمره[3].

[222/ب] حكى جماعة/ من أهل الأخبار أن معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه قال: [177/أ] بينما هو يحدث يزيد بن سمرة[4]/ الوهاذي وهو يسايره[5] فأخذ منه الحديث وهو مقبل على معاوية[6] إذ صك[7] جبين يزيد حجر فأدماه فجعلت الدماء تسيل

(1) ب: اجتمعا.

(2) أساورة، جمع إسوار: وهو قائد الفُرس، وقيل هو جيد الرمي بالسهام. اللسان: سور.

(3) الحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 111-112.

(4) هو يزيد بن شجرة الرهاوي وقد صحف الناسخ فسماه يزيد بن سمرة الوهادي، وهو تابعي، وقال بعض العلماء: له صحبة ولم تثبت صحبته للرسول ﷺ. انظر ذلك في الإصابة 3/ 658.

(5) د: يسامره.

(6) د: ابن أبي سفيان رضي الله عنه.

(7) هـ: إذا.

على وجهه وثوبه وهو غير متغير عما كان عليه من الاستماع فقال له معاوية: لله أنت يا بن سمرة! أما ترى ما نزل بك؟ فقال: وما نزل بي؟ فقال: هذا الحجر قد صك وجهك وهذه الدماء تسيل على لحيتك وثوبك، فقال: علي عتق ما أملك إن لم يكن حديثك ألهاني حتى غمر فكري وغطى علي قلبي، فما شعرت بشيء مما حدث بي حتى نبهتني، فقال له معاوية: لقد/ ظلمك من جعلك في ألف من العطاء [236/د] وأخرجك من عطاء المهاجرين والأنصار والجماهير ممن حضر معنا بصفين، ثم أمر له بخمسمائة ألف درهم وزاد في عطائه ألوفا واتخذه من خواصه[1].

قلت ومن أحسن ما قيل في هذا المعنى قول علي بن العباس الرومي[2] وهو:

[الكامل]

إن الزمان وما ترين بمفرقي ... صرف الغواية فانصرفت كريما

وصحوت إلا من لقاء محدث ... حسن الحديث يزيد بي تعليما

[263/ج] [وقال آخر/ :

[مجزوء الكامل]

وسئمت كل مآربي ... فكأن أطيبها غثيث

إلا الحديث فإنه ... مثل اسمه أبدا حديث

حُكي أن الهيثم بن عدي[3] قال: حضرت مجلس المهدي فأتاه الحاجب فقال له: ابن أبي حفصة[4] بالباب. فقال: لا تأذن له فإنه[5] منافق كذاب. فكلمه فيه الحسن

---

(1) مروج الذهب 4/ 112-113 مع اختلاف في الرواية.

(2) أبو الحسن علي بن العباس بن جريج، المعروف بابن الرومي، الشاعر المشهور (221-283هـ). انظر ترجمته في تاريخ البغداد 12/ 23 ومروج الذهب 4/ 283 والوفيات 3/ 358.

(3) سبق ذكره.

(4) هو مروان بن أبي حفصة الشاعر المشهور.

(5) أ، ب: وإنه.

ابن عطية فأدخله، فقال له: يا منافق، ألست القائل في معن بن زائدة؟

[الكامل]

جبل[1] تلوذ به[2] نزاره كلها صعب الذرى وممنع الأكام[3]

قال: بل أنا الذي أقول فيك:

يا ابن الذي ورث النبي محمدا دون الأقارب من ذوي الأرحام[4]

قال: فرضي عنه وأجازه.

حُكي أن زبيدة أم جعفر[5] استفتت أبا يوسف[6] القاضي فتيا في شيء وقع لها فأفتاها بما يوجبه العلم من موافقة مرادها فسرت بذلك وأرسلت إليه حُقَّ فضة فيه حقان من الذهب، في كل حُقّ لون من الطيب وجام من ذهب[7] فيه دراهم وجام من فضة فيه دنانير وغلمان، وتخت[8] من الثياب النفيسة وبغل وحمار فاره. فقال له بعض من حضره: قال رسول الله ﷺ: «من أهديت له هدية فجلساؤه شركاؤه فيها»[9] فقال أبو يوسف: ذاك وهدايا الناس يومئذ التمر واللبن لا في هذا الوقت/ وهدايا الناس، العين والورق ونحوذلك، ذلك فضل الله يؤتيه من [195/هـ]

(1) أ: حين.

(2) ساقطة من: ج.

(3) انظر ديوان مروان ابن أبي حفصة.

(4) انظر ديوان مروان بن أبي حفصة وفي العقد 1/ 311.

(5) سبقت الإشارة إليها.

(6) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري، أبو يوسف كان تلميذا لأبي حنيفة (113-182هـ). انظر ترجمته في تاريخ بغداد 14/ 242، ومفتاح السعادة 2/ 100، والنجوم الزاهرة 2/ 107.

(7) أ، ب: الذهب.

(8) التخوت مفردها تخت، وهو وعاء تصان فيه الثياب. اللسان: تخت.

(9) الحديث ورد في الأسرار المرفوعة: 334.

يشاء[1].

حُكي عن أبي العيناء[2] أنه قال: دخلت على بعض الوزراء فذكر عنده بعض الولاة فأكثر الناس من الثناء عليهم قال: فبالغت وقلت فيهم ما فيهم، وقيل: إنه أطال في مدح البرامكة وجودهم، فقال الوزير لأبي العيناء: قد أمعنت في وصفهم وما كانوا عليه من البذل والإفضال، وقد أكثرت من مدحهم ووصفك إياهم، وإنما هذا تصنيف الوراقين وتأليف المؤرخين، فقال أبوالعيناء: فلم لا يكذب الوراقون عليك أيها الوزير بالجود والبذل، فتعجب الناس من إقدامه عليه، ودخل أيضا أبوالعيناء على المتوكل في دار جديدة بناها فقال له المتوكل: يا أبا العيناء، ما تقول في دارنا؟ فقال: إن الناس بنوا الدور في الدنيا وأنت قد/ بنيت في [223/ب] دارك الدنيا. ولقد عقدت هذا الحل فقلت:

[الطويل]

بنى الناس في الدنيا، لعمرك، دورهم وأنت الذي عمرت في دارك الدنيا[3]

فأعجبه ذلك ثم قال: يا أبا العيناء! نادمنا: فقال يا أمير المومنين أنا محجوب يشير/ إلى أنه[4] أعمى، قال: وكل محجوب تتحرف إشارته ويخطىء قصده ولا [264/ج] ينظر من ينظر إليه، وكل من في مجلسك/ يخدمك/ وأنا أحتاج إلى من يخدمني [237/د][1/168] ولست آمن أن تنظر إلي بعين غضبان أوبعين راض، وأنا لا أميز فأهلك وأختار[5] العافية من التعرض للبلاء. فقال له: يا أبا العيناء! بلغنا أنك هجاء. فقال: يا أمير

(1) الحكاية وردت في الوفيات 6/ 386.
(2) سبق ذكره.
(3) البيت ورد في الأمالي 2/ 159.
(4) عبارة ب: إلى أنه يشير أعمى.
(5) د: فاختبر.

المومنين! قد مدح الله تعالى وذم. فقال تعالى: ﴿نعم العبد إنه أواب﴾[1] وقال تعالى: ﴿هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم﴾[2] و[3] قال الشاعر[4]:

[الطويل]

إذا أنا بالمعروف لم أك مادحا   كريما ولم أشتم لئيما مذمما
ففيم عرفت الخير والشر باسمه   وشق لي الله المسامع والفما[5]

قال فأعجبه ذلك ووصله بصلة فأخذها وانصرف[6].

حُكي أن المأمون أشرف يوما من قصره فرأى رجلا قائما وبيده فحمة وهو يكتب بها على حائط قصره فقال المأمون لبعض خدمه[7]: اذهب إلى ذلك الرجل فانظر ماذا يكتب واءتني به، قال: فذهب الخادم إليه مسرعا وقبض على يده ومعه ما كتبه فقرأه فإذا هو قد كتب هذين البيتين:

[البسيط]

يا قصر جمع فيك الشؤم واللؤم   متى يعشش في أركانك البوم
متى يعشش فيك البوم من فرحي   أكون أول من ينعاك مرعوم

قال: ثم إن الخادم قال له: أجب أمير المومنين. فقال له: لا تذهب بي إليه فقال له: لابد، ثم ذهب به فلما مثل بين يديه أعلمه بما كتب فقال له المأمون: ويلك!

(1) ص: 29.
(2) القلم: 11، 12.
(3) الواو ساقطة من: د.
(4) هو الرياشي، أبو الفضل العباس بن الفرج النحوي اللغوي البصري، كان عالما، راوية من الثقاة عارفا بأيام العرب (177-257هـ)، . انظر ترجمته في الوفيات 3/ 27.
(5) البيتان وردا في عيون الأخبار 3/ 179 والعقد الفريد 1/ 235 برواية: ولم أشكر، والوفيات 1/ 351. 4/ 346 وزهر الآداب 1/ 279.
(6) الحكاية وردت في الوفيات 4/ 343-346.
(7) أ: خدامه.

ما حملك على هذا؟ قال: إنه لا يخفى عليك يا أمير المومنين ما حواه قصرك هذا من خزائن الأموال والحلي والحلل والطعام والشراب والفرش والأواني والأمتعة والجواري والخدم وغير ذلك مما يقصر عنه وصفي، ويعجز عنه فهمي، وقد مررت عليه الآن وأنا في غاية من الجوع والفاقة فوقفت متفكرا وقلت في نفسي، هذا القصر عامر وأنا جائع ولا فائدة لي فيه، فلوكان خرابا لم أعدم منه رخامة أو مسمارًا أو خشبة أبيعها وأتقوت منها[1] أو ما علم أمير المومنين ما قال الشاعر؟:/ [196/هـ]

[الطويل]

إذا لم يكن للمرء في دولة امرىء نصيب ولا حظ تمنى زوالها
وما ذاك من بغض لها غير أنه يرجى سواها فهو يهوى انتقالها

فقال المأمون: يا غلام اعطه ألف دينار ثم قال: هي لك في كل سنة ما دام قصرنا/ هذا عامرا بأهله فقال له: [قال الشاعر][2] أيضا: [265/ج]

[الطويل]

إذا كنت في أمر فكن فيه محسنا فعما قليل أنت ماض وتاركه
فكم دحت[3] الأيام أرباب دولة وقد ملكوا أضعاف ما أنت مالك/ [224/ب]

فقال المأمون: اعطه ألف دينار أخرى. فقال: وقال الشاعر أيضا:

[الكامل]

إن الولاية لا تدوم لواحد إن كنت تنكره فأين الأول
فاغرس من الفعل الجميل عرائسا فإذا عزلت فإنها لا تعزل

---

(1) أ: بها.

(2) ما بين معقوفين ساقط من: ب، د.

(3) ب، د: دعت.

[238/د] فقال [المأمون][1] اعطه ألف دينار أخرى. فقال: وقال الشاعر أيضا:/

[الكامل]

وإذا وليت ولاية كن عادلا   واعلم بأنك بعدها معزول
وإذا رأيت جنازة محمولة   فاعلم بأنك بعدها محمول

فقال المأمون اعطه ألف دينار أخرى فأخذ بيده وقال له: لم يبق لك قدرة على حمل ما حملته ثم انصرف إلى حال سبيله.

حُكي أنه كان لأبي الأسود الدؤلي[2] جار يؤذيه ويرميه بالحجارة فشكا أبوالأسود ذلك إلى قومه فكلموه في ذلك ولاموه، فقال لهم: لم أرمه وإنما الله يرميه لبخله وقطيعته للرحم. فقال أبوالأسود: لا أكلم من يكذب على الله فقيل له: وكيف يكذب على الله؟ قال: لأن الله تعالى لورماني ما أخطأني وأما هذا فلا يصيبني ثم باع داره فقيل له: أبعت دارك؟ فقال: ما بعت داري وإنما بعت/ [179/أ] جاري، فأرسلت مثلا[3].

حُكي أن كسرى أنوشروان مر بشيخ وهويغرس في شجر من جوز فوقف عليه فقال: يا شيخ! أتطمع أن تأكل من هذا الشجر الذي[4] توليت غرسه وسقيه وتعهده مع ما ترى[5] من كبر سنك؟ فقال: أيها الأمير! لا، ولكن الدنيا دفعت إلينا عامرة فأحب أن أردها وهي عامرة، فأعجبه كلامه وأعطاه أربعة آلاف درهم فقال: أيها الملك ما أسرع ما أدرك ثمر هذا الشجر[6] فأعطاه مثلها. فقال: أيها

(1) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(2) ظالم بن عمروبن سفيان بن جندل الدؤلي، كان من سادات التابعين وأعيانهم صحب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو أول من وضع النحو(ت حوالي 69هـ). انظر ترجمته في الفهرست، معجم الأدباء 12/ 34. وخزانة الأدب 1/ 136.

(3) ورد شيء من هذه الحكاية في الوفيات 2/ 535.

(4) أ: هذه الشجرة التي.

(5) ب، د: ما نرى.

(6) ب، د: هذه الشجرة.

الملك لكل شجرة في السنة حمل، وهذا الشجر قد أثمر في يوم مرتين فأعطاه مثلها وانصرف عنه.

حُكي من أخبار المتطفلين قيل: إنه ليم بعضهم على التطفل[1] فقال: ما بنيت المنازل إلا لتدخل، ولا قدمت الأطعمة إلا لتؤكل، وإني لأجمع في التطفل بين خلال حسنة، أظل مجالسا، وأقعد مؤانسا وأنبسط وإن كان رب الدار عابسا، ولا أكلف مغرما، ولا أنفق درهما. وقال بيان وهو كبيرهم: التمكن من المائدة خير من أربعة ألوان زائدة، وكان من دعائه، وهو يقول/ ذلك دائما: اللهم ارزقني صحة [266/ج] الأجسام وكثرة الأكل والطعام، ودوام الشهوة ومصادقة الدعوة. ويقال من حسنات أخبارهم ومستحسنات آثارهم أن جماعة منهم قصدوا بعض الرؤساء وقت غذائه فمنعهم البواب، فكتب إليه بعضهم يقول:

[الخفيف]

قد أتيناك زائرين خفافا ... وعلمنا بأن عندك فضله/ [197/هـ]

ولدينا من الحديث هناة ... معجبات نعدها لك جمله

إن تجدنا كما تريد وإلا ... فاحتملنا، فإنما هي أكلة[2]

قال الراوي فلما قرأها أذن لهم في الدخول فدخلوا.

وقال الشاعر يصف طفيليا وأجاد:

[السريع]

لو طبخ قدرة بمطمورة ... وسد منها بابها بالصخور

شممتها ثم توهمتها ... يا عالم الغيب بما في القدور[3]/ [239/د]

---

(1) أ: التطفيل.

(2) الأبيات وردت في غرر الخصائص: 302.

(3) البيتان وردا أيضا في غرر الخصائص: 303.

وقال آخر:

[المجتث]

[225/ب] ضبع قوم أتانا وللسماط مبادر/
فقلت كاسر قليلا بالله يا ضبع، كاسر

حُكي أنه قيل لبشار بن برد: إن فلانا يزعم أنه لا يبالي أن أتاه واحد أوألف فقال: صدق لأنه يفر من الواحد كما يفر من ألف[1].

وقيل لبعض الأعراب: اخرج إلى الغزو، فقال: إني[2] والله لأكره الموت على فراشي[3] فكيف أسعى إليه ركضا[4].

وقيل خرج مروان[5] بن محمد لمحاربة الضحاك الحروري[6] فلما التقى الجمعان خرج فارس من أصحاب الضحاك فدعا للمبارزة فقال مروان: من يخرج إليه وله ألف درهم. فقال أبو دلامة[7] أنا، وخرج طمعا في الجائزة فرأى رجلا طويل القامة عظيم الهامة وعليه درع مانعة فلما رآى الفارس أبا دلامة جرى إليه وهويقول:

[الرجز]

وخارج أخرجه حب الطمع فر من الموت وفي الموت وقع

(1) عبارة أ: من الألف كما يفر من الواحد.

(2) أ: أنا.

(3) ج، هـ: فرشي.

(4) الحكاية وردت في غرر الخصائص: 356 وجمع الجوامع: 80.

(5) سبق ذكره.

(6) الضحاك بن قيس الشيباني من علماء الخوارج ويكنى أبا سعيد (ت 129هـ)، وهو الذي ملك العراق وبايعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز. انظر البيان والتبيين 1/343. والطبري 9/ 76. والكامل لابن الأثير 5/ 330.

(7) سبق ذكره.

كمـن كـان يهوى أهله فلا[1] رجـع

قال: فخاف أبو دلامة فولى هاربا فقال مروان: من هذا الفار لا أنجاه الله فقالوا: أبو دلامة فر، فقال أبو دلامة: فر لا أنجاه الله، خير من قتل.

حُكي أن عمر بن هبيرة[2] قال لأعرابي جزع من الحرب: قاتل وخذ العطاء، فقال الأعرابي: قدم لي عطائي، فقال عمر: حتى تقاتل فقال الأعرابي: أرى منيتي معجلة وعطيتي مؤجلة والله لا أفعل[3].

وقيل لأعرابي وهو في صف القتال: تقدم لقتال العدو، فقال: أنا والله لا أعرفهم وهم لا يعرفوني فمتى صرنا أعداء؟[4].

وقيل لآخر: إذا رأيت سوادا بالليل فاقبل عليه ولا تفر منه فإنه يخافك فلا تخافه، فقال: أخاف/ أن يكون ذلك السواد سمع المقالة قبلي[5]. [267/ج]

وقيل: إنه انهزم بعضهم/ فوبخه أميره وشتمه فقال: لإن يشتمني الأمير وأنا حي أحب إلي من أن يترحم علي وأنا ميت[6]. [180/أ]

حُكي في كتاب لب[7] اللباب[8] أن الحجاج بن يوسف الثقفي، بينما هو جالس في قبته وحوله وجوه العراق والشام إذ أتي بغلام من الخوارج له ذؤابة طويلة

---

(1) أ: فيا.

(2) عمر بن هبيرة بن سعد بن عدي والفزازي، أبو المثنى، أمير من الدهاة الشجعان (- 110هـ)، . انظر الكامل لابن الأثير 5/ 98. وقد ذكره المسعودي في تاريخه 4/ 37.

(3) الحكاية وردت في عيون الأخبار 1/ 166 والعقد الفريد 1/ 192، وبهجة المجالس 1/ 100.

(4) القول ورد في غرر الخصائص: 359.

(5) القول ورد في المخلاة: 276.

(6) القول ورد في عيون الأخبار 1/ 163، والعقد 1/ 104 وفيهما أنه ينسب إلى أسلم بن زرعة. وكذلك في المستطرف 1/ 229.

(7) ساقطة من: ب.

(8) أ: الألباب. والصواب ما أثبتناه، وعنوانه الكامل: "لب الألباب في تحرير الأنساب" للسيوطي.

فدخل ولم يسلم وجعل ينظر في القبة يمينا وشمالا ويقرأ قوله تعالى: ﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين﴾[1] وكان متكئا فاستوى جالسا وقال له: يا غلام! أحفظت القرآن؟ فقال له: أخفت على القرآن الضياع حتى أحفظه؟ فقال له: أفجمعت القرآن؟ فقال[2]: أكان متفرقا حتى أجمعه؟ فقال: أفأحكمت القرآن؟ فقال: أوليس الله تعالى أنزله محكما؟ فقال له الحجاج؟ أفاستظهرت القرآن؟ فقال له: معاذ الله أن أجعل القرآن وراء ظهري فقال له: ويلك، فماذا أقول؟ قال: قل أوعيت القرآن في صدرك؟ فقال له الحجاج: اقرأ لي شيئا من القرآن، فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم، إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يخرجون، فقال الحجاج: ويلك بل يدخلون، فقال الغلام/ : كانوا يدخلون وأما[3] الآن فيخرجون، فقال له الحجاج: ويلك ولم؟ فقال: لسوء فعلك بهم، فقال له: ويلك، من أبوك؟ فقال: الذي زرعني، فقال له: من أمك؟ فقال: التي ولدتني، قال: فأين ولدت؟ قال في بعض الفلوات. قال/ : وأين نشأت؟ قال في بعض البراري. فقال الحجاج: فما تقول في أمير المومنين؟ فقال: رحم الله أبا الحسن، فقال الحجاج: إنما أعني عبد الملك. فقال: والله ما أنكر حقه ولكنه أخطأ خطيئة ملأت السماوات والأرض قال: وما هي؟ قال باستعماله إياك على الناس تستبيح أموالهم وتستحل دماءهم/ فالتفت الحجاج إلى أصحابه وقال: ما تشيرون في أمر هذا؟ قالوا يسفك دمه فقد خلع الطاعة وفارق الجماعة. فقال الغلام: جلساء أخيك خير من جلسائك. قال: أخي محمد بن يوسف؟[4] قال: بل فرعون، إذ قال لجلسائه مستشيرا لهم. في أمر موسى على نبينا وعليه الصلاة

[198/هـ]

[240/د]

[226/ب]

(1) الشعراء:130، 129، 128.

(2) ج، هـ: فقال له.

(3) الواو ساقطة من: ب.

(4) محمد بن يوسف أخو الحجاج بن يوسف الثقفي، كان واليا على اليمن في خلافة الوليد بن عبد الملك وتوفي بها سنة 91هـ. انظر الوفيات 2/ 54.

والسلام: ﴿ماذا تامرون؟ قالوا أرجه وأخاه﴾[1]. فقال له الحجاج: يا غلام! قيد لسانك فإني أخاف عليك بادرة الأمراء وقد أمرت لك بأربعة آلآف درهم. فقال له لا حاجة لي فيها، بيض الله وجهك وأعلا كعبك. فقال الحجاج: خلوا سبيله فتركهم الغلام ومضى. فقال الحجاج: أتدرون ما أراد بقوله من الدعاء؟ قالوا: لا، قال: أراد البرص/ والصلب[2]. [268/ج]

---

(1) الأعراف: 110.

(2) انظر «لب اللباب في تحرير الأنساب» للسيوطي، والبيان والتبين 2/ 148 بتصرف.

الباب الثالث عشر

في مسائل من الظرف والمعاياة[1]

حُكي أن الملك الظاهر[2] عزم على الصيد فقال له: بعض جماعته: يا[3] مولانا، القمر في العقرب والسفر فيه مذموم والمصلحة تقتضي الصبر حتى يحل القمر في القوس فعزم على الصبر، فبينما هومفكر إذ دخل عليه مملوك له حسن الوجه وقد توشح بقوس، فقال بعض الحاضرين: يا مولانا اركب في هذه الساعة، فهذا القمر قد حل في القوس حقيقة، فقام لوقته وركب استبشارا بذلك، فلم ير أطيب من تلك السفرة.

حُكي أن أزهر السمان[4] دخل على المنصور[5] فرحب به وقربه وقال: ما حاجتك؟ قال داري متهدمة وعلي أربعة آلاف درهم، وأريد أن أزوج ابني محمد، [قال][6] فأمر له[7] باثني عشر ألف درهم وقال قد قضينا حاجتك فلا تأتينا بعد طالبا، فأخذها وارتحل فلما كان بعد سنة أتاه فقال له: ما حاجتك؟ قال: جئتك

---

(1) أ: المعيات. والمعاياة: أن تأتي بكلام لا يهتدى له. اللسان: عيا.

(2) أبو الفتح وأبو منصور غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الملقب بالملك الظاهر صاحب حلب توفي عام 695هـ. انظر ترجمته في الوفيات 4/ 6. النجوم الزاهرة 6/ 216. والشذرات 5/ 55.

(3) يا: ساقطة من: ج.

(4) أزهر بن سعد السمان، أبو بكر الباهلي البصري، من الثقاة (111-203هـ). انظر ترجمته في الوفيات. تهذيب التهذيب 1/ 202.

(5) جعفر المنصور: الخليفة العباسي.

(6) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(7) أ: إليه.

مسلما قال: ما جئت إلا طالبا، وقد أمرنا لك باثني عشر ألف درهم ولا تأتينا بعدها طالبا ولا مسلما، فأخذها وانصرف ثم جاءه بعد سنة فقال له: ما حاجتك؟ قال: جئتك عائدا. قال: ما جئت إلا طالبا فأمر له باثني عشر ألف درهم وقال له: لا تأتينا طالبا ولا مسلما ولا عائدا،/ فأخذها وانصرف ثم جاءه بعد سنة فقال [181/أ] له: ما حاجتك؟ قال: كنت أسمع منك دعاء تدعو به جئت لأكتبه، فضحك وقال الذي تطلبه غير مستجاب، فإني دعوت به أن لا أراك فرأيتك وقد أمرت لك باثني عشر ألف درهم وآت إذا شئت فقد أعييتنا حيلة[1].

حكى المؤلف قال: سألني بعض الأصحاب لغزا في خاتم فقلت بديهة[2] ما يقول شيخ الظرفاء. ونديم الخلفاء. الغاية في التهذيب. والنهاية في التدريب./ [241/د] [المهذب اللطيف][3]. والكامل الظريف. في اسم رباعي[4] وهومفرد. نعت لخير الخلق أحمد. إن صحفته فرجل من العجم. أوأعرابي في غاية الكرم. تصحيف قلبه للإبل[5] عطن. ومناخ بغير ثمن. شطره الأول حرفان أوحرف. أواسم لا يمنع من الصرف. لا يوجد في الوجود. وهو في الخان/ موجود. والثاني نعت للبدر إذا [199/هـ] كمل. أومرادف لكمل. أوطير واجب بلا خفا. فانبه يا أبا الوفا. لتجعل طراز المحافل. فضلك الكامل. قلت:/ سألني الجواب عنه فقلت: سألت يا كامل [269/ج] الخصال!. والمحاسن والخلال. عن شيء عكسه لا يعرف. وإن لبس شرف. ملازما للطاعة. لا يخرج عن يدك إلا لإمارة أو/ شفاعة. إن حذفت منه الأول [227/ب] رادف أكمل. والثاني فقط رادف طبع وضبط. وإن حذف ما قبل الآخر. كان

---

(1) الحكاية في العقد الفريد 1/ 175 والوفيات 1/ 194.

(2) د: بديهة.

(3) ما بين معقوفين ساقط من: ب.

(4) أ: رباع.

(5) أ: الأبيض.

مسكنا للمسافر. أوثوب كتان. وقد ظهر وبان. وصلى الله وسلم على أبي القاسم الفاتح وهو الخاتم.

حُكي أنه صلى أعرابي وراء إمام، وكان اسمه مجرما، فقرأ الإمام قوله تعالى: ﴿ألم نهلك الأولين﴾ فتأخر إلى الآخر. فقرأ قوله تعالى: ﴿ثم نتبعهم الآخرين﴾ فتقدم إلى الوسط فقرأ قوله تعالى: ﴿كذلك نفعل بالمجرمين﴾[1] فتولى هاربا وهو يقول: ليس المراد غيري.

حُكي أنه صلى أعرابي خلف إمام الصبح فقرأ من سورة البقرة وكان مستعجلا، ففاته مطلوبه، فلما كان من الغد صلى أيضا خلفه فقرأ سورة الفيل فقطع الصلاة وولى هاربا وهويقول: ما أظنك تفرغ منها إلى الليل.

حُكي أن المأمون كان كثير الشغف بجارية جميلة له، اسمها منصف فمر بها يوما فرأى في يدها قلما فقال:

[الطويل]

أراني منحت الحب من ليس يعرف ... فما أنصفتني في المحبة منصف
وزادت لدينا حظوة يوم أعرضت ... وفي أصبعيها أسمر اللون أهيف
أصم سميع ساكن متحرك ... ينال سمينات العلى وهو أعجف
عجبت له يوما ودهرك معجب ... يقوم تحريف العباد محرف

حكى المؤلف رحمه الله [قال][2]: سألني بعض الأصحاب أن أعمل لغزا في الماء فقلت:

[الطويل]

وما اسم ثنائي إذا ما مددته ... وبالقصر قل حرف وما ثم مانع

(1) المرسلات: 18، 17، 16.

(2) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

نظير أب إن تعكسه وإنه[1] ... يرادف قولي اقصد وذلك شائع
وليس له رجل وليس له يد[2] ... ولكن له في العالمين كوارع
يميت ويحي وهولاشك ميت ... وفيه مضرات وفيه منافع
ويكتم للأشرار لا شك ستارة ... وأخرى تراه عنده السر[3] ذائع
[242/د] ولا له في الأرض ملء وفي السما ... له ثلثها ليس في ذا منازع/
[270/ج] وتنظره في الغرب حينا وربما ... يشرق حينا وهوفي الغرب وادع/
وليس له رجلان لكن رأيته ... على الأرض يجري فوقها ويسارع
ويحمل قنطارا والفان فوقه ... ويمنعه من حمل الإبرة مانع
وليس له لون فينعت لامرئ ... ولكن له طعم مضر ونافع
ويطغى كجبار عنيد وتارة ... تراه ذليلا في الورى وهوخاضع
وإن جاء محتاجا ليسكن موضعا ... فلا بد فيه من غريم ينازع
[180/أ] ويجمعه عشر وعشر وواحد ... وعشر لضبط ال حاسبين وأربع/
وبالقصر قد قال النحاة بأنه ... لعشر معان لفظه هوجامع
[228/ب][200/هـ] وقد قال أهل الطب عنه بأنه ... كما حققوه لعناصر رابع/
وينسج أحيانا وليس بحائك ... وكم في بلاد لله منه مقاطع
أبنه لنا لا زلت للبس كاشفا ... فإنك فرد للفضائل جامع

قال المؤلف رحمه الله: ثم سئلت الجواب عنه فقلت:

[الطويل]

أجبتك عما قد سألت ملخصا ... لعمري وهذا القول كاف وجامع
وما قلت ما يخفى وما هومشكل ... وهذا جواب عن سؤالك رابع
لعمرك ذا جهد المقل فإن تجد ... لما قد ترى عيبا فعلمك واسع

(1) أ، ج، د: وأمه.
(2) أ: ب.
(3) عبارة أ: السر عنده.

فلا نصب في حفض عيش بغيت لي   وقدرك مرفوع وسعدك طالع

حكي بعض المحدثين أن أحلا[1] الحديث وأحسنه موقعا أن يجتنب منه[2] الأحاديث الطوال ذوات المعاني المغلقة، وأن أحسنه النكت[3] القصيرة الحلوة المعاني المفهومة التي ترتاح إليها النفوس، وأن القسم الأول أشبه بمجالس القصاص، والثاني أشبه بمجالس الخواص، وقد أجاد ابن المعتز[4] حيث قال:

[الخفيف]

بين أقدامهم حديث قصير   هو سحر ما سواه[5] كلام

وكأن السقاة بين الندامى   ألفات بين السطور قيام[6]

حُكي أن من الظرف أن تقول لصاحبك خذ عددا فردا وزد عليه مثله وخذ لثلاثة من الحاضرين مثل ما أخذت لنفسك واجمع ذلك جميعه ثم اقترع منه إن شئت مرة أو مرتين أو ثلاثا أو أكثر فما فضل بعد ذلك تذكره له أنت، وطريق معرفته أن تجمع ما أظهرت القرعة وتسقطه عشرات فإن لم يبق شيء فالجواب خمسة وإن بقي شيء زد عليه خمسا واجمعه وهو الجواب./ [271/ج]

---

(1) ب، د: أصل.

(2) ساقطة من: ب.

(3) أ، ب: النكاة.

(4) عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور، أبو العباس، الشاعر المطبوع، كان أديبا بليغا مقتدرا على الشعر، أخذ الأدب عن أبي العباس المبرد (147-296هـ). انظر الأغاني 10/ 374 والوفيات 3/ 76.

(5) د: سواهم.

(6) البيتان من قصيدة مطلعها:

أخذت من شبابي الأيام   وتولى الصبا عليه السلام

انظر ديوان ابن المعتز: 233.

الباب الرابع عشر

في بديع الاستعطاف ومليح الاستعذار والاستلطاف

حُكي أن/ يحيى بن خالد بن برمك[1] كتب للرشيد وهو بالسجن بعد قتل ولده [243/د] جعفر[2]: إلى أمير المومنين [وخلف المهديين][3] وخليفة رب العالمين. ممن أسلفته ذنوبه، وأوبقته عيوبه، وخذله شقيقه، ورفضه صديقه[4] فعالج[5] البؤس بعد الدعة، وصار إلى الضيق بعد السعة. فساعته شهر، وليلته دهر. وكتب إليه يقول:

[مجزوء الكامل]

قل للخليفة ذي الصنا	ئع والعطايا الفاشية
وابن الخلائف من قر	يش والملوك الهادية
إن البرامكة الذين	رموا لديك بداهيه
صفر الوجوه عليهم	خلع المذلة باديه
بعد الإمارة والوزا	رة والأمور الساميه
منازل كانوا بها	فوق المنازل عاليه/ [201/هـ]
أضحوا وجل مناهم	منك الرضا والعافيه/ [229/ب]
يا سائلا عن حالتي	يكفيك مني ما بيه
يكفيك ما أبصرت من	حالي وذل أمانيه

(1) أ: مرمك.

(2) سبق ذكره.

(3) ما بين معقوفين ساقط من: د.

(4) أ: في رفضه رفيقه.

(5) ج، هـ: فعلج.

وبكاء فاطمة الكئيـ بة والدموع الجاريه
ومقالها بتوجع يا حسرتي وشقا ئيه
من لي وقد عبث الزما ن على جميع رجاليه
يا لهف نفسي ما لها ما للزمان وماليه
يا عطفة الملك الرضي عودي علينا ثانية[1]

قال: فلما وقف الرشيد على رقعته أجابه عنها بآية من القرآن وهي قوله تعالى: ﴿ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾[2]، ثم كتب تحت ذلك:

[مجزوء الكامل]

[183/أ] يا آل برمك إنكم كنتم ملوكا عاتيه/
[272/ج] فعصيتم وطغيتم وكفرتم نعمائيه/
هذي عقوبة من عصا رب السما وعصانيه

قال: فلما وصل الجواب إلى يحيى أخذته الحمى وبقي في السجن عليلا فتفقده يوما السجان فوجده نائما على التراب وتحت رأسه حجر فقال له: يا يحيى! هل توصي بشيء، قال: فاستحضر دواتا وقرطاسا وكتب للرشيد يقول:

[الوافر]

ستعلم في المعاد إذا التقينا غدا عند الحساب من الظلوم
تنام ولم تنم عنك المنايا تنبه للمنية يا نؤوم
تروم الخلد في دار البلايا وكم رام غيرك ما تروم
إلى ديان يوم الدين تمضي وعند الله تجتمع الخصوم[3]

---

(1) القصيدة وردت في العقد الفريد 5/ 397-328.
(2) النحل: 112.
(3) الأبيات لأبي العتاهية وردت في الديوان وشرح النهج 1/ 741 والمستطرف 1/ 189.

ثم قال للسجان: إذا أنا مت فادفعها للرشيد، فمات من آخر ذلك اليوم وستأتي قصة البرامكة بأبسط من هذا[1].

حُكي أن أبا العتاهية الشاعر كان ترك الغزل ولزم النسك، فأمره الرشيد بالغزل فأبى فسئل [عن سبب امتناعه فقال: كنت شابا وأنا اليوم شيخ ضعيف وإن الحسنات يذهبن السيئات قال: فأمر][2] الرشيد بسجنه فسجن فكتب إليه من السجن يقول:

[الطويل]

أنا اليوم لي[3] والحمد لله أشهر ... يروح علي الهم منها ويدبر

تذكرأمين الله حقي وحرمتي ... وما كنت توليني لعلك تذكر

ليالي تدني منك بالقرب مجلسي ... ووجهك من ماء البشاشة يقطر/ [244/د]

فمن لي بالعين التي كنت مرة ... إلي بها في سالف الدهر تنظر[4]

قال: فوقع الرشيد على رقعته يقول: لا بأس عليك قال: فأنشد/ : [230/ب][202/هـ]

[الوافر]

كأن الجود ركب فيك روح ... له جسد وأنت عليه رأس

أمين الله إن الحبس بأس ... وقد وقعت ليس عليك بأس[5]

قال: فأمر بإخراجه وتعجيل صلته[6].

---

(1) قصة البرامكة مع الخليفة العباسي هارون الرشيد لا يخلومنها كتاب من كتب التاريخ القديمة كالوفيات، ومروج الذهب والأغاني والعقد الفريد والكامل والبداية والنهاية وإلى غيرها من الكتب الجامعة بين التاريخ والأدب.

(2) ما بين معقوفين ساقط من: د.

(3) ساقطة من: د.

(4) الأبيات في «ديوان أبي العتاهية» وزهر الآداب 1/ 329-330. مع اختلاف قليل بين الروايتين.

(5) البيتان في «ديوان أبي العتاهية» وزهر الآداب 1/ 320 برواية: كان الخلق ركب فيه روح.

(6) الحكاية وردت في زهر الآداب 1/ 328-330.

حُكي أن مصعب بن الزبير[1] رضي الله عنه أمر بقتل رجل فقال له: أصلح الله الأمير ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة إلى هذه الصورة الحسنة فأتعلق بها وأقول: يا رب! قتلني هذا ظلما. قال: فرق له مصعب رضي الله عنه وعفا عنه، وأمر له بجائزة. فقال: «أيها الأمير! إني جعلت نصفها لابن قيس الرقيات[2] فقال له: ولم؟ قال: لأنه قال فيك:

[الخفيف]

إنما مصعب شهاب من الله ... تجلت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك رحمة ليس فيه ... جبروت ولا به كبرياء/ [273/ج]

يتقي[3] الله في الأمور وقد ... أفلح من كان همه الإتقاء[4]

قال: فزاده مالا آخر وأطلقه مكرما[5].

حُكي أن رجلا قال لبعض الملوك وقد استحضره ليعاقبه على جناية[6] جناها: أنا ممن لا يحاجك عن نفسه ولا يغالطك في جرمه، ولا يلتمس رضاك إلا من جهة عفوك، ولا يستعطفك[7] إلا بالاعتراف بالزلة فاستحسن ذلك منه [وعفا عنه][8]

(1) سبق ذكره.

(2) عبيد الله بن قيس الرقيات بن شريح بن مالك بن ربيعة: ولقب عبيد الله بابن قيس الرقيات لأنه شبب بثلاث نسوة سمين جميعا رقية، وهو شاعر قريش في العصر الأموي وهو من أنصار مصعب بن الزبير (ت-نحو85هـ). انظر ترجمته في الشعر والشعراء: 212 والأغاني 5/ 64 وخزانة البغدادي 3/ 265-269.

(3) د: اتقى.

(4) الأبيات من قصيدة مطلعها:

أقفرت بعد عبد شمس كداء ... فكدى فالركن فبطحاء

وهي قصيدة طويلة مدح فيها مصعب وافتخر بقريش انظر، الديوان: 87، والعقد الفريد 2/ 47، والأغاني 5/ 70.

(5) الحكاية وردت في العقد الفريد 2/ 46-47.

(6) أ، هـ: على زلة.

(7) ج: يستعطف.

(8) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

حُكي أنه قدم على معن بن زائدة أسرى فعرضهم على السيف فقام إليه رجل منهم وقال له: أيها الأمير! نحن أسراك ونحن والله جياع من أثر الطريق، فإن رأيت أن تطعمنا ففي كل كبد حراء أجر[1]، فأمر معن بن زائدة بإطعامهم، فجعلوا يأكلون وهوينظر إليهم فلما فرغوا قام إليه رجل منهم فقال أيهاالأمير! كنَّا أسراك وقد سُرِرْنا بأن صرنا ضيوفك فانظر ماذا يصنع مثلك بأضيافه؟ قال: فخلى سبيلهم وعفا عنهم وأحسن إليهم[2].

حُكي أن الحجاج أتى بامرأة فقال لها: ألم تكوني بالأمس تحرضي الناس علي في وقعة ابن الزبير وتسبين/ أمواتي؟ فقالت له: والله قد كان ذلك، فالتفت إلى [184/أ] أمرائه وقال: ما ترون فيها؟ قالوا: تعجل لها القتل، قال: فضحكت، فقال لها: ما أضحكك؟ فقالت له: وزراء فرعون خير من وزرائك لأنه استشارهم في قتل موسى فقالوا: ﴿أرجه وأخاه﴾[3] يعني أخره من وقت إلى وقت، وهؤلاء يسلطونك على تعجيل قتلي فضحك الحجاج وأمر بإطلاقها بعد أن عفا عنها، وخجل أولئك منها[4].

حُكي أنه سرق شاب سرقة فأتي به إلى المأمون فأمر بقطع يده، فقدم لتقطع يده فأنشأ يقول:

[الطويل]

يدي يا أمير المؤمنين أعيذها ... بعفوك أن تلقى بشيء يشينها
فلا خير في الدنيا ولا في نعيمها ... إذا ما شمال فارقتها يمينها[5]/ [245/د]

(1) لعله أراد به حِراء بالكسر وهو جبل بمكة. اللسان: حري.
(2) الحكاية وردت في العقد الفريد 1/ 113 و2/ 44.
(3) الأعراف: 110.
(4) الحكاية وردت في العقد الفريد 2/ 48، مع اختلاف الرواية.
(5) البيتان وردا في العقد الفريد 2/ 40.

وكان للشاب أم حاضرة معه فبكت وقالت: يا أمير المومنين! ولدي وثمرة فؤادي ناشدتك الله إلا ما رحمت و[رأفت][1] وعفوت وسكنت [روعتي][2] وجدت بالعفوعلى الذي استحق العقوبة، فقال لها: هذا حد من حدود الله، فقالت له: اجعل عفوك عنه ذنبا من الذنوب تستغفر الله [منه][3]، واستغفر الله تجد الله غفورا رحيما، قال: فرق لها المأمون وعفا عن ولدها[4].

[231/ب] حكى/ المؤلف قال: نزلت ثغر دمياط المحروس في سنة ثمانين[5] وثمانمائة [203/هـ] فزرت بها الشيخ الإمام/ العالم العلامة ولي الله الشيخ فاتح أبا العطاء التكروري [274/ج] ثم المراكشي رحمه الله فعن لي بضريحه أبيات/ فكتبتها في ورقة ولففتها وأدخلتها في صندوقه الكريم فأقمنا بالثغر المشار إليه نحوالسنتين ونحن في حمايته، والأبيات التي نظمتها هي هذه:

[البسيط]

أبا العطاء ولي الله يا سيدي	لا تخلني يا ولي الله من مدد
نزلت مصرك محسوبا عليك فكن	من حادثات الليالي آخذا بيد
وكيف يخشى نزيل حل في بلد	شيخ عظيم عريض الجاه في البلد

حُكي أنه خرج على الرشيد خارجي فجهز إليه جيشا فظفر به وأحضره الرشيد بين يديه فقال له: ما تريد أن أصنع بك؟ قال: الذي تريد أن يصنع الله بك، فأطرق الرشيد ساعة وقال: خلوا سبيله، فلما خرج من عنده قال له من حضر: أنفقت أموالك وأتعبت رجالك وبكلمة واحدة أطلقته، ولا تأمن أن يتجرأ عليك أهل

(1) أ: ورأيت. د: درفت.

(2) أ: روعي.

(3) أ، ج، هـ: منها.

(4) هذه الحكاية وردت في العقد الفريد 2/ 40-41 وفيه أنها وقعت لعبد الملك بن مروان مع أعرابي سرق.

(5) هـ: ثمان.

الشر والفساد، فقال الرشيد: ردوه فلما رجع علم أنهم تكلموا فيه عنده، فقال للرشيد: لا تطع في أسيرك أحدا فإن الله تعالى لوأطاع فيك الناس ما استخلفك ساعة واحدة فقال: خلوا سبيله ولا يراجعني فيه أحد[1].

حُكي بينما هشام بن عبد الملك بن مروان يتصيد إذ نظر إلى ظبي تتبعه الكلاب فتبعه فأحالته الكلاب إلى غلام أعرابي يرعى غنما، فقال له هشام: يا غلام! دونك هذا الظبي فاتيني به، قال: فرفع الغلام رأسه وقال: يا جاهل! بقدرالأخيار نظرت إلي بعين الاستصغار وكلمتني باحتقار، فكلامك كلام جبار. فقال له هشام: ويحك أما تعرفني؟[2] قال: قد عرفني بك سوء أدبك، إذ بدأت بكلامك قبل سلامك. قال: ويحك[3] أنا هشام بن عبد الملك، فقال الغلام: لا قرب الله دارك، ولا حيا مزارك، ما أكثر كلامك وأقل إكرامك، فما استتم كلامه حتى حفت به الجيوش من كل جانب وسلموا عليه بالخلافة، فلما تحقق ذلك سقط في يده وقال: المعذرة إلى الله ثم إليك يا أمير المؤمنين قال: أوما أعلمتك أني هشام بن عبد الملك؟ فقال: ما كل من حدثك عن نفسه صادق ولا كل أحد أنت به واثق، فقال: لأقتلنك شر قتلة، فقال له: ألست بملك جبار والقوة على الضعيف ضعف، ولئن قتلتني بؤت[4] بإثمي ولن تفتخر بدمي، إنما مثلي/ ومثلك كمثل العصفور مع البازي [د/246] قال: وما أمرهما؟ قال:/ [أ/185]

[الكامل]

نبئت أن البز علق مرة عصفور بر ساقه المقدور
فتكلم العصفور في إطنابه والباز منهمك عليه يطير

(1) الحكاية وردت في تحفة الأريب ونزهة اللبيب: 82.
(2) ج: أو ما عرفتني.
(3) ب، د: ويلك.
(4) د: بوئت.

[275/ج] ما فِيَّ ما يغني لمثلك شبعة ولئن أكلت[1] فإنني لحقير/
فتبسم الباز المذل بنفسه عجبا، وأفلت ذلك العصفور[2]

[232/ب] قال: فتبسم هشام بن عبد الملك وقال له: اذهب بسلام./

(1) أ، ب: أكلتني.

(2) الأبيات لخالد بن جيلويه في قصته مع طاهر بن الحسين كما جاء في الوفيات. انظر الجزء 2/ 519.

الباب الخامس عشر

في المباسطة والمداعبة وما في معنى ذلك مما يقع بين الأصدقاء في المحاورة والمخاطبة/ [204/هـ]

حكى ابن بسام في الذخيرة قال: تأخر الوزير أبو مروان عبد الملك ابن شهيد[1] عن المنصور بن أبي عامر[2] في بعض غزواته فلما عاد المنصور من غزوته وقد افتتح[3] وسبى وغنم[4] وكتب إليه ابن شهيد يطلب منه السبي يقول:

[الخفيف]

أنا شيخ والشيخ يهوى الصبايا ... وبنفسي أقيك كل الرزايا
ورسول الإله له أسهم في الفي ... ء ولمن لم[5] يحثَّ فيه المطايا[6]

فبعث إليه ابن أبي عامر المذكور بأربع من الجواري الأبكار وكتب:

[الخفيف]

[قد بعثنا بها كشمس النهار ... في ثلاث من المها أبكار][7]

---

(1) هو عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك ابن شهيد القرطبي، أبو مروان الوزير، من أعلام الأندلس ومؤرخيها وندماء ملوكها (323-393هـ). انظر كتاب الصلة لابن بشكوال: 349. والمغرب في حلى المغرب 1/ 198.

(2) سبق ذكره.

(3) أ: استفتح.

(4) أ: وكتب.

(5) أ: لا يحث.

(6) البيتان وردا في الذخيرة لابن بسام القسم 4/ المجلد 1/ 29. ونفح الطيب 1/ 400.

(7) ما بين معقوفين ساقط من: ب.

فاتئد واجتهد فإنك شيخ قد جلا الليل عن بياض النهار
صانك الله من كلالك فيها فمن العار كلة المسمار[1]

فافتضهن الشيخ من ليلته وكتب في صبيحته يقول:

[الخفيف]

قد فضضنا ختام تلك السراري واصطبغنا من النجيع الجاري
وصبونا في ظل أطيب عيش ونعمنا بالدر أو بالدراري
وقضى الشيخ ما قضى بحسام ذي مضاء عضب الظبا بتار[2]
فاصطنعه فليس يجزيك كفؤا واتخذه فحلا على الكفار[3]

وقال ابن بسام في الذخيرة أيضا وأنشد هذه الأبيات في سمراء:

[المنسرح]

قد قضيب وبذر ديجور وثغر در ولحظ يعفور
نازل صبري وأي مصطبر يفي[4] لتلك اللواحظ الجور
كأنما[5] نوره وسمرته مستك مشوب بذوب[6] كافور[7]

وأنشد أبو علي في الأمالي لابن المعتز:

[الطويل]

سقتني بليل شبيه بشعرها شبيهة خديها بعين[8] رقيب

(1) الأبيات وردت في الذخيرة نفس القسم والجزء.
(2) عضب الظبا: أي حاد الجانب أو الطرف. اللسان: عضب، ظبا.
(3) الأبيات وردت في الذخيرة. المجلد 1/ 30 والنفح 1/ 401. والحكاية وردت في الذخيرة ق:4 م 1/ 29.
(4) ب: يلي.
(5) أ: كأنها.
(6) ساقطة من: ب. أ: بذوب.
(7) الأبيات وردت في الذخيرة ق 1 م 1/ 508. ق 1 م 2/ 771.
(8) أ: يغير.

فأمسيت في ليلين للشعر والدجا وشمسين من خمر وخد حبيب[1]

[ج/276] وقال أبو الطيب وقد أخذ المعنى[2]/ :

[الكامل]

نَشَرَتْ ثَلاثَ ذَوائِبٍ من شعرها في ليلة فأرت ليالي أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها فأرتني القمرين في وقت معا[3]

قلت: وأراد بالقمرين الشمس والقمر فجعل وجهها شمسا قابل قمرا وقال الثعالبي في/ اليتيمة[4]: [د/247]

قد حجبت وجهها عن النظر بمعصم حل عقد مصطبر
كأنه والعيون ترمقه عمود صبغ في دراءة القمر[5]/ [أ/186]

[ب/233] وأنشد ابن بسام في الذخيرة مجونا لعلي بن حصن[6]/ :

[مجزوء الرمل]

قمت نشوانا وقامت في تهاد وتثني
وفضت عنها قميصا ثم لما ضاجعتني
قلبت بطنا لبطن قلت بل ظهرا لبطن
فانثنت في خجل قا ثلة عند التثني

---

(1) البيتان لم يردا في الطبعة المعتمدة من الديوان.

(2) هو أبو الطيب المتنبي الشاعر العباسي المشهور.

(3) البيتان وردا في الديوان 2/ 260.

(4) عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، من أئمة اللغة والأدب (350-429هـ) أشهر كتبه: «يتيمة الدهر». انظر ترجمته في الوفيات 3/ 178 وشذرات الذهب 3/ 246.

(5) لم يردا في الطبعة المعتمدة من اليتيمة.

(6) أبو الحسن علي بن حصن المشبيلي، من مشاهير شعراء المعتضد. انظر الذخيرة لابن بسام القسم الثاني المجلد الأول: 158.

[205/هـ] أنا حانوت بوجهين فلط إن شئت وازن[1]/

حكى البيهقي في "الكمائم" قال: كان عبد الله بن عمر أنزه الناس نفسا وأبعدهم عن المزاح و[الرفث][2] فأتاه ابن عتيق[3] يوما وكان ذا فكاهة ومزاح وفي يده رقعة مكتوب فيها:

[الكامل]

ذهب الإله بما تعيش به وقمرت لبك أيما قمر[4]
أنفقت مالك كله سفها في كل زانية وفي الخمر[5]

وكانت زوجة ابن عتيق عاتكة بنت عبد الرحمان المخزومية قد هجته بها فلما قرأهما عبد الله بن عمر رضي الله عنه استرحم وقال: أرى أن تعفووتصفح فقال: والله يا أبا عبد الرحمان إن لقيته لأنيكنه نيكا شديدا يذهب غيظي، فغضب ابن عمر وأرعد وأبرق وقال له: أخزاك الله، فقال: هووالله ما أخبرتك به، فافترقا فلما كان بعد أيام لقيه ابن عمر فأعرض عنه فصاح به: يا أبا عبد الرحمان، إني لقيت صاحب البيتين فنكته وبر يميني[6] فصعق ابن عمر رضي الله عنه فلما رأى ابن عتيق ما نزل به، دنا منه وقال له: في أذنه، إنها زوجتي فسر وقام يضحك[7] وقبله، بين عينيه وقال له: لقد أحسنت زدها من الأدب[8].

(1) الأبيات من قصيدة في المجون أوردها ابن بسام في الذخيرة القسم الثاني المجلد الأول: 162.

(2) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(3) في العقد الفريد هوابن أبي عتيق واسمه عبد الله بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. انظر الجزء 2/ 301.

(4) أقمرت وقمرت قمرا: أي لاعبت فغلبت. اللسان: قمر.

(5) البيتان وردا في العقد الفريد 2/ 301. والشريشي 2/ 250-251.

(6) هـ: وبر عيني.

(7) أ: فضحك.

(8) الحكاية وردت في العقد الفريد 2/ 301-302 مع اختلاف قليل بين الروايتين. أما كمائم البيهقي فلم أعثر عليه.

حكى الحريري في درة الغواص قال: حدثني أحد شيوخي أن ليلى الأخيلية[1] كانت تتكلم بلغة بهراء، وهم قوم من العرب يكسرون حرف المضارعة فيقولون: أنت تِعلم، ونحن نِرمي، وما أشبه ذلك، فاستأذنت يوما على عبد الملك بن مروان وبحضرته الشعبي[2] فقال له: أتأذن لي/ في ممازحتها فقال له: افعل، فلما دخلت [277/ج] واستقر بها المجلس قال لها الشعبي: يا ليلى ما بال قومك لا يَكْتَنُون؟ فقالت: ويحك! أما نِكتني؟ فقال لها: لا، ولو فعلت لاغتسلت، قال: فخجلت من ذلك فضحك عبد الملك[3].

حكى المؤلف قال: خرجنا في نزهة بثغر دمياط المحروسة بخدمة سيدنا قاضي القضاة صلاح الدين بن كميل الكمالي وقاضي القضاة بالثغر المشار إليه في مكان يسمى المناصب[4] في سنة إحدى وثمانين وثمانمائة فاتفق وغضب صديق لي علي[5] فقلت:

[الطويل]

ويوم لهونا بالمناصب فاغتدى	صديقي[6] يجافي تارة ويغاضب
فقلت: عجيب قال: لا غرو إنه	تغير أخلاق الرجال المناصب

حكى أيضا قال: كان ببلدنا شخص يسمى شمس الدين بن حجاج الواعظ،

---

(1) هي ليلى بنت عبد الله بن الرحال، من النساء المتقدمات في الشعر، من شعراء الإسلام. انظر الأغاني 11/ 204 والنجوم الزاهرة 1/ 193.

(2) سبق ذكره.

(3) الحكاية وردت في درة الغواص: 115. وشرح المقامات 2/ 181.

(4) المناصب: موضع في شعر الأعلم الهذلي حيث قال:

لما رأيت القوم بالعليا دون مدى المناصب

انظر مراصد الاطلاع 4/ 313.

(5) د: أبي علي.

(6) أ، ج، هـ: صديق.

[د/248] وكانت له زوجة تسمى/ مراد فماتت فخطب امرأة [تسمى][1] لطفا بنت الذويب[2] زوج المرحوم جمال الدين عبد الله بن الفقيه منصور لما توفي عنها المشار إليه، فلم توافقه على ذلك، فاتفق أن كنا بمولد سيدنا شرف الدين بن أبي الحجاج الأنصاري أعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاته وبركات والده فأجرى بعض [ب/234] الجماعة ذكر ذلك ونحن نمشي في الطريق فقلت بديها:/

[المجتث]

الواعظ أضحى كئيبا ونـاره فـي فـؤاده
ولـم يـدارك بلطـف مـن بعـد فقـد مـراده

حُكي عن شخص كان يسمى القاضي بدر الدين بن الفقيه حسن الأنصاري وكان له قوة لسان وجرءة، وله مال، فاتفق أنه استأجر حوضا بناحية بلدة سندور[3] يسمى ذلك الحوض برغوث، فانكسر فيه وضيع عليه ما كان معه من [أ/187][هـ/206] المال فقلت:/

[البسيط]

يـا رب سـلطت برغوتا على حسـن حتى أضـاع الـذي قـد كان موجودا
إن تهلكنـه ببرغـوث فـلا عجـب فبالبعوضـة قـد أهلكـت نمـرودا

حُكي أنه كان بالقدس الشريف كنيسا فاتفق أن بعض القضاة قضى بهدمه فسعى أهل الذمة في إعادته، وثم من أفتى بعوده، فحكم بذلك قاضيان أحدهما الميموني، والثاني يعرف بابن جيلان وأعيد، فتكلم الناس في ذلك وللشعراء المصريين فيه شعر، قال المؤلف: وكنا نتردد لمجلس المقر الفخري الملك المنصور[4]

---

(1) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(2) أ: لطايش

(3) ضيعة بمصر. انظر معجم البلدان. مادة: سندور.

(4) سبق ذكره.

بن السلطان السعيد الشهيد أبي سعيد جقمق فذكر لنا أنه ورد عليه كتاب من القاهرة متضمنا لشيء من ذلك، وبرزت إشارته الشريفة أن / أقول في ذلك شيئا [278/ج] فقلت:

[المنسرح]

قضى بهدم الكنيس قاض بالحق واثنان بانيان
فهؤلاء الثلاث منهم في الحشر قاض وقاضيان

قال: فأعجب بهما وكتب بذلك إلى بعض فضلاء القاهرة ثم حضرت[1] مجلسه بعد ذلك فذكر أنه ورد عليه الجواب بأنهما وقعا الموقع وأثبتا في[2] التاريخ.

حكى المؤلف قال: كان[3] لي[4] رزيقة ببلد بالقرب منا تسمى صلحا، وكانت شركة بيني وبين بنت أختي فتوفيت فطمع زوجها أن يأخذ حصتها فنازعته في ذلك فحسن له القاضي بدر الدين ابن كميل أن ينزل عنها للقاضي بدر الدين أبي الفتح في أيام مخدومه السيفي جاني بك الدوادار الكبير[5] ففعل ذلك فحال بيني وبينها بواسطة مخدومه المذكور فلما توفي السيفي جاني بك المشار إليه سعيت في ردها بعون الله تعالى، فردت فقلت في ذلك:

[الرمل]

يا أبا الفتح تدرع للردى سهم مظلومك أمسى صائبك
إنها دعوة مظلوم سرت نفذت فيك وهدت جانبك

حُكي أن أبا العيناء كتب إلى صديق له يقال له، الحارث بن بدر التميمي، وقد

(1) أ: حضرتا.
(2) ب، د: وانبتا.
(3) ساقطة من: ج.
(4) ساقطة من: ب، د.
(5) لعله أراد سيباي الدوادار ورد ذكره في الكواكب السائرة 1/ 41.

تولى ناحية، أما بعد: فإني لا أعظك بموعظة الله تعالى لأنك غني عنها ولا أرغبك في الأخرة لمعرفتي بزهدك فيها،/ ولكني أقول لك كما قال الشاعر: [249/د]

[الطويل]

أحار بن بدر قد وليت ولاية　　　فكن جرذا فيها تخون وتسرق[1]
وكاثر تميما بالغنى إن للغنى　　　لسانا به الخرس الأدلاء تنطق[2]

واعلم أن الخيانة فرصة. والأمانة غصة. والجمع كيس. والمنع حزم. وليست كل يوم ولاية./ ليس لها نهاية. فاذكر أيام العطلة وادخر لها. ولا تحقرن صغيرا. ما تأخذه فإذا اجتمع القليل صار كثيرا، والولاية رقدة فانتبه قبل أن تنتهي. وأخو السلطان أعمى[3]. وعما قليل يبصر. والحزم أخذ العاجل وترك الأجل. والسلام عليك ورحمة الله تعالى. [235/ب]

حُكي أن محمد بن يزيد[4] حدث أن ريطة بنت السفاح[5] وجهت إلى عبد الله بن مالك الخزاعي في شراء رقيق فعتقته عن كفارات لزمتها وأمرت عتبة جاريتها أن تحضر معه ذلك، قال: فبينا هما يستعرضان الرقيق إذ جاء أبو العتاهية ونكس رأسه/ واستكان وأقبل على عتبة فقال[6]: جعلني الله فداءك، مملوك ضعيف، شيخ كبير لا يقوى على/ خدمة فإن رأيت أعزك الله أن تأمري بشرائه وعتقه فعلت[7] مأجورة، فأقبلت عتبة على عبد الله فقالت: يا أبا العباس! إني لأرى على هذا [279/ج] [207/هـ]

(1) الجرذ: الذكر من الفأر. انظر اللسان مادة: جرذ.

(2) البيتان وردا في العقد 2/ 374 والأغاني 23/ 491 وفيها أنها لأبي الأسود الدؤلي. وفي الوفيات هما لأنس بن أنس.

(3) ج، هـ: إن عمي.

(4) هو محمد بن يزيد المبرد المشهور صاحب الكامل.

(5) ريطة بنت أبي العباس السفاح من ربات النفوذ والسلطان والإدارة. انظر ترجمتها في أعلام النساء 1/ 479.

(6) ب، ج، هـ: وقال.

(7) ب، د: واعتقيه.

المملوك هيئة جميلة ووصفا ظاهرا ولسانا فصيحا ولفظا[1] بليغا فاشتره وأعتقه. فقال: نعم. فقال أبو العتاهية: أتأذنين لي، أصلحك الله أن أقبل يديك ورجليك شكرا لك على جميل فعلك؟ فقالت: ذلك إليك فدنا منها وقبل يديها ورجليها وجعل يتمسك/ بهن ويقبلهن فضحك عبد الله ضحكا شديدا. فقالت له عتبة: [188/أ] مم تضحك؟ فقال: أتدرين من هذا؟ قالت: لا، قال هذا أبو العتاهية، وإنما احتال عليك فسترت وجهها خجلا وقالت له: سوءة لك يا أبا العباس! أمثلك يعبث هذا العبث؟ وإنما اغتررت بكلامك، وقامت من مجلسها مستشيطة غضبا[2].

ولأبي العتاهية أخبار حسان في الأخوة والوفاء بالعهد من أحسنها قوله:

[الرجز]

إن أخاك الصدق من كان معك ... ومن يضر نفسه لينفعكْ

ومن إذا ريب الزمان صدعك ... شتت شمل نفسه ليجمعكْ[3]

قلت: وهذا في عصرنا مستحيل والمستحيل لا يؤمل.

حكى البديع الهمذاني[4] قال: كان رجل يعرف بابن الحصيري فجلس عند الصاحب بن عباد[5] فنعس بين يديه فخرجت منه ريح غليظة فانتبه لها فخجل وقام مسرعا ولم يعد، فكتب إليه الصاحب يقول:

[البسيط]

يا ابن الحصيري[6] لا تذهب على خجل ... من حادث كان مثل الناي والعود

---

(1) هـ: ولسانا.

(2) الحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 177.

(3) البيتان في ديوان أبي العتاهية: 315. ومروج الذهب 4/ 178 وزهر الآداب 1/ 521، وشرح نهج البلاغة 4/ 336.

(4) سبق ذكره.

(5) سبق ذكره.

(6) أ، ب، د: الخطير.

[250/د] فإنها الريح لا تستطيع حبسها ما أنت تدعى سليمان بن داوود[1]/

حكى أبوالحسن علي بن [أبي][2] الحسن علي قال: كان بعضهم[3] قد قرأ العلم وسمع الحديث، وكان من أهل الأدب والعلم، واحد زمانه، قطع البلاد حتى قدم الشام على نور الدين الشهيد[4] فبالغ في إكرامه وخلع عليه خلعة سنية فخرج بها، فبينما هوفي شوارع البلد إذ رأى حلقة عظيمة وفيها رجل قد عَلَّمَ تِيسًا استخراج الخبايا، فوقف الشيخ يتأمل ما يصنع، فقال صاحب التيس للتيس: قد حضر في حلقتنا هذه رجل جليل القدر شائع الذكر أعلم الناس وأكرمهم فأرنا إياه، فشق ذلك التيس، الحلقة وخرج ووضع يده عليه فلم يتمالك أن خلع عليه تلك [280/ج] الخلعة ووهبها لصاحب التيس، فلما حضر ثانيا عند/ نور الدين عاتبه وقال: أتخلع [236/ب] خلعتي على تيس؟ فقال له: خذ/ العذر فإنه واضح في هذه المدينة ما يزيد على مائة ألف آدمي ما فيهم من عرف قدري غير هذا التيس فجازيته على ذلك، فضحك حتى استلقى [على ظهره][5] وعوضه عنها.

قال بعضهم: رأيت أبا الحسن هذا في النوم وقد مات وهو ينشد:

[المنسرح]

يا رب ها قد أتيت معترفا بما جنته يدي من الزلل
ملئان كفي بكل مأثمة صفر يد من محاسن العمل
فكيف أخشى النار مسعرة وأنت ربي في القيامة لي

(1) البيتان للصاحب بن عباد وردا في الوفيات 1/ 415.

(2) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(3) عبارة هـ: قال بعضهم كان.

(4) أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر. الملقب الملك العادل نور الدين الشهيد (511-569هـ). انظر الوفيات 5/ 184 النجوم الزاهرة 6/ 71 الشذرات 4/ 228.

(5) ما بين معقوفين ساقط من: ج، د، هـ.

حُكي أن أبا القاسم محمد بن الخشاب كان يؤدب المستضيء بالله[1] بن المستنجد بالله وكان يأخذ عليه في الأدب ويضيق عليه، فلما أفضت الخلافة إليه خاف منه واختفى/ فتردد إليه جميع من كان بينه وبينه مودة قبل الخلافة فأعطاهم العطاء [208/هـ] الجزيل، ثم تذكر مؤدبه فقال لصاحبه العدل بن يحيى: كل من كان بيننا وبينه مودة ذكرنا بنفسه ووصلناه إلا ابن الخشاب فإني لم أعرف له خبرا، فاعتذر عنه العدل بما اقتضاه الحال، ثم عرف ابن الخشاب بذلك فكتب إلى الخليفة:

[الكامل]

ورد الورى سلسال جودك فارتوو ووقفت دون الورد وقفة صائم
ظمئان أطلب خفة من زحمة والورد لا يزداد غير تزاحم[2]

فعرض على المستضيء ذلك فأرسل إليه بمائتي دينار وقال لو زادنا لزدناه.

وسئل عن القضاء يوما أيمد أم يقصر؟ فقال: القضاء يمد ويقصر وهو من ظريف الأجوبة.

حُكي أنه كان للبهاء/ السنجاري[3] صاحب وبينهما مودة كثيرة واجتماع غزير [189/أ] ثم[4] جرى بينهما في بعض الأيام عتاب فانقطع الصاحب عنه فسير إليه يعاتبه لانقطاعه، فكتب إليه بيتي الحريري في الخامسة عشر[5] من مقامته:

لا تزر من تحب في كل شهر غير يوم[6] ولا تزده عليه

(1) الحسن بن المستنجد بالله، يوسف بن المقتفي العباسي أبو محمد المستضيء بالله (536-575هـ). انظر ترجمته في تاريخ ابن خلدون 3/ 528 356.

(2) البيتان وردا في الوفيات 5/ 343 لابن الجواليقي.

(3) أبو السعادات أسعد بن يحيى بن موسى بن منصور السلمي السنجاري، الفقيه الشافعي الشاعر المعنوت بالبهاء (533-622هـ). انظر ترجمته في الوفيات 1/ 214.

(4) ساقطة من ب، د.

(5) أ، ج، هـ: عشرة.

(6) ب، د: مرة.

فاجتلاء الهلال في الشهر يوما ثم لا تنظر العيون إليه[1]

وكتب إليه البهاء من نظمه يقول:

[الوافر]

إذا حققت من خل ودادا فزره ولا تخف منه ملالا

[281/ج][251/د] وكن كالشمس تطلع كل يوم ولا تك في زيارته هلالا[2]/

وقال البهاء من معنى آخر:

[السريع]

لله أيامي على رامة وطيب أوقاتي على حاجر

تكاد للسرعة في مرها أولها يعثر بالآخر[3]

وقال الشاعر:

[مجزوء الرجز]

أسهرتني ليالي أقصرها أطولها

كأنها دائرة آخرها أولها

وقال آخر:

[الطويل]

ألا هل شج مثلي كئيب أراسلهْ يسائلني عن محنتي وأسائلهْ

يدور غرام بيننا كلما انقضت أواخره عادت علينا أوائله

(1) البيتان وردا في مقامات الحريري: 156 والوفيات 1 /21 /4.

(2) البيتان وردا في الوفيات 1/ 216.

(3) البيتان وردا أيضا في الوفيات 1/ 216. والحكاية إلى حد هذين البيتين وردت في الوفيات نفس الجزء والصفحة.

حكى المبرد وثعلب[1] قالا[2]: دخل كلثوم[3] العتابي[4] على المأمون، وفي المجلس إسحاق الموصلي[5] فأمره بالجلوس وجعل يسأله فيعرب[6] في جوابه فاستظرفه المأمون وأخذ يداعبه وأمر له بجارية وألف دينار، ثم أمر إسحاق بالعبث به فجعل يعارضه في جميع ما يتكلم/ به ويرد عليه فتعجب العتابي منه [237/ب] وهو لا يعلم أنه إسحاق الموصلي فقال له العتابي: من أنت وما اسمك؟ فقال: أنا من الناس واسمي كل بصل فقال له: أما النبتة فمعروفة وأما الاسم فمنكر. وما معنى كل بصل؟ فقال له إسحاق: ما أقل إنصافك، فما معنى كلثوم؟ والبصل أطيب من الثوم، فقال له العتابي: قاتلك الله! ما أملحك؟ ما رأيت كالرجل حلاوة أفتأذن لي يا أمير المؤمنين في صلته بها وصلتني به فقد والله غلبني؟ فقال له المأمون: بل ذلك موفر عليك وأمر لإسحاق بمثله[7].

حُكي أنه فاخر كاتب نديما فقال الكاتب: أنا معونة وأنت مئونة، وأنا للجِدِّ وأنت للهزل، وأنا للشدة وأنت للذة، وأنا للحرب وأنت للسلم فقال النديم: أنا للنعمة وأنت للخدمة وأنا للحظوة وأنت للمهنة تقوم وأجلس وتحتشم، وأنا مؤنس، وأنا أخدم وأنت معين، وأنت تابع وأنا قرين، وإنما سميت نديما للندم على

---

(1) أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار النحوي الشيباني بالولاء كان معروفا بثعلب (200-291هـ). صاحب الفصيح المشهور ب «فصيح ثعلب». انظر ترجمته في معجم الأدباء 5/ 102. والوفيات 1/ 102 وتذكرة الحفاظ 214.

(2) ب، د: قال.

(3) أ: كلثم.

(4) سبق ذكره.

(5) سبق ذكره.

(6) هـ: فيعرف.

(7) الحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 308. وفوات الوفيات 3/ 220.

[209/هـ] مفارقتي/ قال فأفحم الكاتب[1].

حُكي عن القاضي فخر الدين ابن لقمان والقاضي تاج الدين ابن الأثير أنهما كانا صحبة السلطان في بعض أسفاره وكان لفخر الدين مملوك يسمى الطنبا فاتفق أنه طلب مملوكه المذكور وناداه ياالطنبا، فقال له: نعم ولم يأته وكانت ليلة مطيرة مظلمة فأخرج ابن لقمان رأسه من الخيمة وقال: تقول نعم ولم أرك. فقال له تاج [282/ج] الدين يباسطه بقوله/ :

[البسيط]

فـي ليلـة مـن جمـادى ذات أنديـة لا يبصر الكلب فـي ظلمائها الطنب

حُكي أنه كان رجل من أهل الأدب بمصر وكان[2] شيخا وظهر عليه جرب وكان صديقا لأبي الحسين الجزار الشاعر[3] فوصف له الكبريت فادهن به فكتب إليه يداعبه:

[الخفيف]

أيهـا السـيد اللبيـب الأديـب مـن محـب خلـد عـن التنكيـت
[190/أ][252/د] أنـت الشـيخ وقـد قربـت مـن النـار فكيـف ادهنـت بالكبريـت[4]/

(1) الحكاية وردت في مروج الذهب 4/ 310.

(2) ب، د: وكان له.

(3) أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم المعروف بالجزار المصري، كان أبوه وأقاربه جزارين بالفسطاط له شعر سهل، وقد تجول كثيرا في البلاد المصرية حتى اشتهر، وتوفي سنة 679هـ. انظر النجوم الزاهرة 7/ 345 والشذرات 5 346.

(4) البيتان وردا في الوفيات 1/ 198.

الباب السادس عشر

في العشق والمحبة وأخبار بعض المولهين وأشعارهم المستعذبة

حكى ابن قتيبة في كتاب[1] طبقات الشعراء أن كثير[2] دخل على عبد الملك بن مروان فقال له[3]: يا كثير بحق علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، هل رأيت أعشق منك؟ قال: نعم، بينما أنا[4] أسير في بعض الفلوات إذا برجل قد نصب حباله فقلت: ما أجلسك ها هنا؟ قال[5]: أهلكني وأهلي الجوع فنصبت حبالتي هذه لأصيب شيئا يكفينا ويعصمنا من الجوع يومنا هذا. فقلت: إن أقمت معك هل تريد ذلك؟ فإن أصبت شيئا تجعل لي فيه جزء؟ قال: نعم. فبينما نحن كذلك إذ وقعت ظبية في الحبالة فخرجنا نبتدرها فبادرني إليها وأطلقها. فقلت له: ما حملك على هذا؟ قال: داخلتني لها رقة لشبهها بليلى ثم أنشد:

[الطويل]

أيا شبه ليلى لا تراعي فإنني ... لك اليوم من وحشية لصديق

أقول وقد أطلقتها من وثاقها، ... فأنت لليلى ما حييت طليق[6]/ [238/ب]

(1) ساقطة من:هـ.

(2) أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة الخزاعي، أحد العشاق العرب المشهورين. انظر ترجمته في الأغاني 3/ 4. الوفيات 4/ 106 مروج الذهب 3/ 401. وشذرات الذهب 1/ 131.

(3) ساقطة من: ب.

(4) زيادة من: ج، هـ.

(5) أ: فقال.

(6) البيتان وردا في طبقات الشعراء: 1/ 517 والأول منهما في مصارع العشاق 2/ 50. ووردا في السكردان: 387. والحكاية وردت في المراجع السابقة وأيضا في الشعر والشعراء: 416 والوفيات 4/ 107 وتزيين الأسواق 1/ 75 وحياة الحيوان 2/ 104.

حُكي عن أبي عبد الرحمان بن العلاء[1] أنه كان من أهل الظرف والأدب فكلفت به جارية من أحسن النساء، وكان يظهر لها ما ليس في قلبه من حبها، وكانت الجارية تحبه وعلى غاية من العشق له والميل إليه، فلم يزالا كذلك حتى ماتت الجارية كلفا به، فرأى ليلة في منامه الجارية، وجعل يبكي ويتلافاها فأنشدته تقول:

[الوافر]

أتبكي بعد قتلك لي عليا فهلا كان ذا إذ كنت حيا

[283/ج] أتسكب دمع عينيك لي وفيا ومن قبل الممات تسيء ليا/

أقل من البكاء علي واعلم بأني ما أراك صنعت شيا[2]

قال: فسقط في يده وزاد ما به من الغم والأسف عليها وصاح صيحة فارق الدنيا[3].

حكى عبد الحق[4] في كتاب «العاقبة» قال: مما ابتلى الله به[5] الهادي من المحبة وعاقبه به، أن كان مغرما بجارية له تسمى غادر[6] وكانت من أحسن النساء[7] [210/هـ] وجها/ وأطيبهن غناء، اشتراها بعشرة آلاف درهم، فبينما هويشرب مع ندمائه إذ فكر ساعة وتغير لونه وقطع الشراب، فقيل له: ما بالك؟ قال: وقع لي في فكري أني

(1) هو العلاء بن عبد الرحمن التغلبي من أهل الأدب والظرف. انظر مصارع العشاق 1/ 253.

(2) الأبيات وردت في مصارع العشاق 1/ 254، والسكردان: 445.

(3) الحكاية وردت في المرجعين السابقين.

(4) لعله أراد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسي المعروف بابن الخراط (ت 581هـ). انظر ترجمته في فوات الوفيات 2/ 256. ومعجم المؤلفين 5/ 92.

(5) عبارة أ، هـ: الله الهادي به.

(6) من أحسن النساء وجها وغناء فكانت محظية عند المهدي ثم صارت إلى هارون الرشيد. انظر أعلام النساء 4/ 1.

(7) أ: الناس.

أموت وأن أخي هارون يلي الخلافة بعدي ويتزوج غادرا فأتوني برأسه، ثم رجع عن ذلك وأمر[1] بإحضاره، وأخبره بما خطر بباله فجعل الرشيد يترفق به، فلم يقتنع منه بذلك، وقال: لا أرضى حتى تحلف لي بكل ما أحلفك به[2] أني إذا مت لا تتزوج بها، فحلف له أيمانا غليظة عظيمة، ثم قام ودخل وحلفها أيضا على مثل ذلك، فلم يلبث إلا يسيرا حتى مات وولي الخلافة الرشيد، وطلب الجارية، فقالت له: كيف تصنع بالأيمان التي حلفناها؟ فقال: قد كفرت عني وعنك ووقعت من قلبه موقعا عظيما/ وافتتن بها أعظم من أخيه حتى كانت تنام في حجره فلا يتحرك [253/د] ولا يتقلب حتى تنتبه، فبينما هي نائمة ليلة إذ انتبهت فزعة مذعورة فقال: ما لك؟ قالت: رأيت أخاك الهادي في النوم وأنشد ني:

[مجزوء الكامل]

أخلفت عهدي بعد ما ... جاورت سكان المقابر
ونسيتني إذ خنت في ... أيمانك الزور الفواجر
ونكحت، غادرة، أخي ... صدق الذي سماك غادر
لا يهنك الإلف الجديد ... ولا انثنت عنك الدوائر
ولحقت بي عند الصباح ... وصرت حيث غدوت صائر[3]/ [191/أ]

ثم ولى علي وكأن الأبيات منقوشة في صدري ما نسيت منها كلمة. فقال لها: هذه أحلام الشيطان. فقالت: كلا والله، ثم اضطربت بين يديه وماتت في ساعتها والله أعلم[4].

---

(1) أ: أمره.

(2) أ: عليه.

(3) الأبيات وردت في السكردان: 446.

(4) الحكاية وردت في المرجع السابق.

حُكي أنه كان تحت الوليد بن عبد الملك بن مروان سلمى بنت سعيد بن عمرو ابن عثمان بن عفان[1] رضي الله عنه، ثم هوى امرأة أخرى فطلق سلمى فتزوجت بابن عمه بشر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، قال: ثم ندم الوليد على فراقها وكلف بحبها فبعث إليها أشعب الطماع[2] وكان نساء المدينة لا يحتجبن منه وأعطاه [284/ج] على ذلك عشرين ألف درهم وقال له: قل لها عني هذه الأبيات:/

[الوافر]

[239/ب] أسلمى ما إليك لنا سبيل ولا حتى القيامة من تلاق/
عسى ولعل دهرا أن يؤاتي بموت من خليلك أوفراق[3]

قال[4]: فلما بلغها[5] الرسالة قالت له: هل أنت مبلغه عني كما بلغتني عنه؟ قال: نعم إن أعطيتني بساطك هذا، قالت: هولك. قال لها: هات الرسالة. فقالت [له: قل][6] له عني هذا الشعر، ثم أنشدت [تقول:][7]

[الطويل]

أتبكي على سلمى وأنت تركتها فقد ذهبت سلمى فما أنت صانع[8]

وافتتن بها وله فيها شعر كثير من جملته قوله:

---

(1) هي سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمروبن عثمان بن عفان هكذا في أعلام النساء 2/ 245. وفيه أنها كانت تحت الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان.

(2) أشعب الطامع، يقال أن اسمه شعيب وكنيته أبوالعلاء، له نوادر مأثورة وأخبار مستظرفة. وكان من أهل المدينة (ت - 154هـ). انظر ترجمته في تاريخ بغداد 7/ 37.

(3) البيتان وردا في العقد 5/ 198 وقد قيلا في سعدى، وكذا في الأغاني 7/ 27 والوفيات 2/ 474.

(4) ساقطة من: ج.

(5) د: بلغت.

(6) ما بين معقوفين ساقط من: ب.

(7) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(8) البيت ورد في العقد 5/ 199 برواية: أتبكي على سعدى... وفي الأغاني 7/ 27 برواية: أتبكي على لبنى.

[الرمل]

شاع شعري بسليمى وظهر ورواه كل بدو وحضر
وتهادته الغواني بينها وتغنين به حتى انتشر
لو رأينا لسليمى أثرا لسجدنا ألف عام للأثر/ [٢١١/هـ]
واتخذناه إماما مرتضى ولأضحى حجنا والمعتمر
إنما بنت سعيد قمر هل جهلنا إن سجدنا للقمر[1]

قلت: وهكذا رأيت في مجموع يعرف بروضة الأزهار[2].

حُكي عن محمد بن داوود الظاهري[3] وكان من اتصف بالحب والعفاف، وله في ذلك حكايات مشهورة منها: أنه كان له محبوب/ يسمى محمد بن جامع [254/د] الصيدلاني فدخل محمد بن جامع هذا على بعض الخلفاء فسأله عن محمد بن داوود: هل رأيت فيه قط ما تكره؟ فقال: لا. إلا أني بت عنده ليلة فكان يكشف عن وجهي ويقول: اللهم إنك تعلم أني أحبه وأني أراقبك فيه قال: فما بلغ من رعايتك له؟ فقال: دخلت يوما الحمام فلما خرجت نظرت في المرآة فاستحسنت صورتي فوق ما عهدت فغطيت وجهي وآليت على نفسي ألا ينظر أحد إلي وإلى وجهي قبله، وذهبت إليه فلما رآني مغطى الوجه خاف أن يكون لحقني آفة فقال لي: ما الخبر؟ فأخبرته فغشي عليه.

قال ابن سكرة[4]: كان محمد بن جامع هذا ينفق على محمد بن داوود، وما عرفت فيما مضى من الزمان أن معشوقا ينفق على عاشقه إلا هو، ومن شعره في

(1) الأبيات وردت في العقد 5/ 199. وأعلام النساء 2/ 246.

(2) الحكاية وردت في العقد 5/ 198 والأغاني 7/ 27 وفيه الوليد بن اليزيد ولم أقف على المجموع الذي ذكره المؤلف.

(3) سبق ذكره.

(4) لعله محمد بن عبد الله بن سكرة، أبو الحسن الهاشمي من ولد علي بن المهدي المعروف بابن رائطة شاعر مليح الشعر مطبوع القول (ت - 385هـ). انظر تاريخ بغداد 5/ 465. الوفيات 4/ 410.

شرح حاله قوله:

[الطويل]

لـكل امـرئ ضيـف يسـر بقربـه   ومالي سوى الأحزان والهم من ضيف

[الطويل]

يقـول خليلـي: كيف صبـرك بعدنا؟   فقلـت: وهل صبر فتسـأل عن كيف

حكى ابن السراج[1] في كتابه «مصارع العشاق» عن إبراهيم بن محمد النحوي المعروف بنفطويه[2] قال: دخلت على محمد بن داوود[3] في مرضه الذي/ مات فيه [285/ج] فقلت له: كيف تجدك؟ فقال لي: حب من تعلم، هو الذي أوردني [ما ترى][4] وأما اللذة المحظورة[5] فمنعني منها ما حدثني به[6] أبي عن مجاهد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله له وأدخله الجنة بمنه[7] وكرمه» ثم أنشد:

[البسيط]

[192/أ] انظر إلى السحر يجري في لواحظه   وانظر إلى دعج[8] في[9] طرفه الساجي/

(1) أبو محمد، جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن جعفر السراج المعروف بالقاري البغداد (417-500هـ) كان حافظ عصره وعلامة زمانه، انظر معجم الأدباء 5/ 153 والوفيات 1/ 357، ومصارع العشاق 1/ 5.

(2) إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي العتكي، أبو عبد الله، إمام في النحو، وفقيه رأس في مذهب داوود (277-323هـ). انظر ترجمته في تاريخ بغداد 6/ 159. الوفيات 1/ 47-49 لسان الميزان 1/ 109.

(3) هو محمد بن داود الأصبهاني.

(4) ما بين معقوفين زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(5) ب: المحصورة.

(6) ساقطة من: ب، د.

(7) الحديث ورد في فيض القدير 6/ 179 وكشف الخفا 2/ 263.

(8) الدعج: شدة سواد العين. اللسان: دعج.

(9) ج: من.

وانظر إلى شعرات فوق عارضه كأنهن نمال دب في عاج[1]

حكى أبوالفرج ابن الجوزي قال: ذكر شيخنا الحسن بن علي بن عبد الله أن رجلا عشق نصرانية حتى غلبت عليه وعلى عقله. قال: فحمل إلى المارستان وكان له صديق يترسل بينهما،/ فلما زاد به الأمر ونزل به الموت قال لصديقه: قد قرب [240/ب] الأجل ولم ألق فلانة في الدنيا وأخشى أن أموت على الإسلام فلا ألقاها في الآخرة فتنصر، قابله الله بفعله، قال فمضى صديقه إلى النصرانية فوجدها عليلة فقالت: أنا ما لقيت صاحبي في الدنيا وأريد أن ألقاه في الآخرة وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ثم ماتت رحمها الله تعالى وهذه من أعجب الحكايات وأعظم النكايات[2].

حكى التيمي[3] في كتابه "امتزاج الأرواح" عن زيد النحوي عن رجل من أصحاب الحديث أنه قال: دخلت ديرا في بعض المنازل. ذكر لي أن فيه راهبا حسن المعرفة بأحوال الناس/، فرحت إليه فوجدته في حجرة وعليه زي المسلمين، [212/هـ] فسألته عن سبب ذلك وسبب إسلامه، فحدثني أنه كان في الديرعنده نصرانية من بني ثعلب كثيرة الأموال وأنها هوت غلاما مسلما، وكانت تبذل له الأموال والرغائب، والغلام يأبى عليها. قال: فلما أعيتها الحيلة أعطت مصورا ماهرا مائة دينار على أن يصور لها/ صورة الغلام بهيئته[4]، ففعل، قال[5]: فما زالت كل يوم [255/د] تأتي إلى الصورة فتقبل ما تحب منها، ثم تجلس بإزائها تبكي، فإذا[6] أمست قبلتها

---

(1) البيتان وردا في مصارع العشاق 1/ 14. وهما من إنشاد محمد بن داود الأصبهاني. وكذا في تزين الأسواق 2/ 5.

(2) الحكاية وردت في ثمرات الأوراق: 442.

(3) هو محمد بن أحمد بن سعيد أبو عبد الله المقدسي (ت - 370هـ). انظر هدية العارفين 2/ 49.

(4) أ: كهيئته.

(5) ساقطة من: ب، د.

(6) أ، ج، هـ: فلما.

وانصرفت، فأقامت على ذلك مدة. قال: فتوفي الغلام فعملت له مأتما صارت به مثلا، ثم رجعت إلى الصورة فلم تزل تقبلها وتبكي إلى أن ماتت، فلما أصبحنا وجدناها ميتة ويدها ممدودة إلى الحائط وقد كتبت عليه تقول:

[البسيط]

يا موت دونك روحي بعد سيدها خذها إليك فقد أودت[1] بما فيها

[286/ج] أسلمت وجهي إلى الرحمان مسلمة ومت موت حبيب كان يعصيها/

لعلها في جنان الخلد يجمعها يوم الحساب ويوم البعث باريها

مات الحبيب فماتت بعده أسفا بحبه لم تزل تسقي محبيها[2]

قال: فشاع ذلك حتى بلغ الخبر المسلمين، فاحتملوها ودفنوها إلى جانبه. قال: فبت مهموما مغموما بما آل أمر الجارية إليه، فرأيتها في المنام فقلت لها: ما فعل الله بك؟ فقالت لي منشدة:

[البسيط]

أصبحت في راحة مما أكابده وبت جارة فرد واحد أحد

محى الإله ذنوبي كلها وغدا قلبي خليا من الأحزان والنكد

لما قدمت على الرحمان مسلمة وقلت: إنك لم تولد ولم تلد

أباحني رحمة منه وأسكنني مع من هويت جنانا آخر الأبد[3]

فعلمت أن الذي صارت إليه أفضل مما أنا فيه فأسلمت وكانت رحمها الله هي السبب في إسلامي.

---

(1) ب: أودعت.

(2) الأبيات وردت في ثمرات الأوراق: 442.

(3) انظر الأبيات في ج 6 من العقد: 76.

حكى الإمام محمد بن داوود[1] في كتابه «الزهرة» أن فتى يقال له أمرؤ القيس، هوى فتاة فلما علمت بحبه هجرته فزال عقله وأشرف على التلف، ورحمه الناس، فلما بلغها ذلك أتت إليه وأخذت بعضادتي الباب وقالت: كيف حالك؟ قال: فأنشد يقول:

[الطويل]

ولما رأتني في السياق تعطفت ... علي وعندي من تعطفها شغل
أتت وحياض الموت بيني وبينها ... وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل[2]/ [241/ب]

حكى الجاحظ قال: لقيني محمد بن إسحاق الموصلي[3] وهو يريد حذيفة السلم[4] فعرض علي الخروج/ معه والانحدار في حراقته. قال: فركبت معه في [193/أ] الحراقة وكانت دجلة في غاية المد والزيادة قال: فدعا بالغذاء وأكلنا ثم أمر بالنبيذ فناشدته الله ألا يفعل فأبى ومد الستارة بيننا وبين جواريه فغنت جارية عوادة ما رأيت أحسن من صوتها ولا أعرف منها بصناعة الغناء وحسن طرائقه تقول:

[الخفيف]

كل يوم قطيعة وعتاب ... ينقضي دهرنا ونحن غضاب/ [213/هـ]
ليت شعري أنا خصصت بهذا ... دون ذا الخلق أم كذا الأحباب[5]

ثم سكتت وأتت أخرى فغنت تقول/ : [256/د]

[مجزوء الكامل]

وا رحمة للعاشقين ... ما إن أرى لهم معينا

(1) سبق ذكره.

(2) الحكاية وردت في الكشكول 2: 257.

(3) في الوفيات ومروج الذهب: فلقيت محمد بن ابراهيم.

(4) في الوفيات: يريد مدينة السلام وأظن أنه الصواب.

(5) البيتان وردا في الوفيات 3/ 471.

[287/ج] كم يعذلون[1] ويهجرون ويبعدون فيصبرونا/
وتراهم مما[2] يهدون البرية خائفينا[3]

فقالت لها الأخرى: فماذا يصنعون فقالت: يصنعون هكذا وضربت بيدها الستارة فهتكتها وبرزت علينا كالقمر، ثم ألقت بنفسها في الماء، قال: وكان على رأس محمد غلام رومي في غاية الحسن والجمال وبيده مذبة يذب بها الذباب عن[4] رأس محمد، فلما رأى ما صنعت الجارية ألقى ما بيده وأتى إلى الموضع الذي ألقت فيه نفسها فنظر إليها وأنشأ يقول:

[مجزوء الكامل]

أنت التي عرفتني طرف الهوى لوتعلمينا
لاخير بعدك في البقا والموت ستر العاشقينا[5]

ثم ألقى بنفسه في أثرها فأدار الملاح الحراقة فإذا هما متعانقان، ثم غابا فلم يريا بعدها رحمهما الله تعالى[6].

حكى ابن السراج قال: اشتريت زوج بط فذبحت الذكر وتركت الأنثى تحت مكبة فجعلت تضطرب بنفسها حتى كادت تقتل نفسها فقلت ارفعوا عنها [المكبة فرفعوها عنها فلم تزل تضطرب وتتمرغ في دم الذكر حتى ماتت][7].

---

(1) أ: يقولون.

(2) ب، د: بها.

(3) الأبيات وردت في مروج الذهب 5/ 18 وفي مصارع العشاق 1/ 113 ورد البيتان الأولان فقط. والوفيات 3/ 471.

(4) ج، هـ: علي.

(5) البيتان وردا في مروج الذهب 5/ 18، وورد البيت الأول في مصارع العشاق 1/ 114.

(6) الحكاية وردت في مروج الذهب 5/ 17-18 ومصارع العشاق 1/ 113 مع اختلاف بين الروايات. والموشي: 94 وزهر الاكم 1/ 295.

(7) الحكاية وردت في مصارع العشاق 2/ 291.

حكى الشيخ البلخي في «لوامع أنوار القلوب»[1] قال: بينما سحنون[2] رحمه الله يتكلم في المحبة إذ جاءه طائر صغير فقرب منه ثم قرب منه فلم يزل يدنو منه حتى علا على يده ثم ضرب بمنقاره[3] إلى أن سال منه الدم ومات.

حكى أبو القاسم الشروطي[4] عن أبي الفرج الصوفي أنه كان عندهم رجل يعرف بالصوفي وكان راعيا قال: فبينما هو يرعى[5] إذ سمع في الصحراء غلاما يغني ويقول:

[مجزوء البسيط]

أرى هواك الذي بقلبي ... صيرني سميعا مطيعا
أخذت قلبي ونوم عيني ... سلبتني النوم والهجوعا
فاردد فؤادي وخذ رقادي ... فقال: لا بل هما جميعا/ [242/ب]
فراح مني بحاجتيه[6] ... وبت تحت الهوى صريعا[7]

قال: فاعتراه طرب شديد فذهب إلى منزله فأقام عليلا ثلاثة أيام وهو يصيح: فؤادي! فؤادي! إلى أن مات رحمه الله[8].

(1) لعله أراد: لوامع أنوار القلوب في جمع أسرار المحبوب، للقاضي عزيزي بن عبد الملك المعروف بشيدلة، الفقيه الشافعي المتوفي سنة 494هـ. انظر كشف الظنون 2/ 1068.

(2) أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب بن حسان التنوخي الملقب سحنون أصله من الشام من مدينة حمص (160-240هـ). انظر ترجمته في الوفيات 3/ 180 الشذرات 2/ 94.

(3) ب: بساقيه.

(4) في مصارع العشاق هو: المحسن بن حمزة الشرطي.

(5) أ: يرى.

(6) د: بحاجبيه.

(7) الأبيات وردت في مصارع العشاق 2/ 24.

(8) الحكاية وردت في مصارع العشاق 2/ 24 مع اختلاف الرواية.

حُكي عن مصعب بن الزبير[1] رحمه الله أن مالك الغساني[2] تزوج بنت عمه النعمان بن بشير[3] فكلف كل منهما بصاحبه، وكان مالك شجاعا فاشترطت عليه أن لا يقاتل شفقة عليه وصيانة له فغزا حيا[4] من أحياء لخم وباشر القتال فأصابته [288/ج] جراحة شديدة/ فقال وهو مثخن بها[5]:

[الطويل]

ألا ليت شعري في غزال تركته إذا ما أتاه مصرعي كيف يصنع؟

[257/د] فلوأنني كنت المؤخر بعده لما برحت روحي عليه تقطع[6]/

قال: فمكث ليلة ويوما فمات، فلما وصل الخبر إلى زوجته بكت عليه سنة كاملة [214/هـ] ثم/ اعتقل لسانها وامتنعت من الكلام وكثر خطابها. فقال بعض من يلي أمرها: زوجوها لعل لسانها ينطلق فزوجوها بعض أبناء الملوك، فساق إليها ألف بعير، [194/أ] فلما كانت في الليلة التي زفت إليه فيها قامت على باب/ القبة وأنشأت تقول:

[الطويل]

يقول أناس زوجوها لعلها تقر وترضى بعده بخليل

فأخفيت في النفس التي ليس بعدها رجاء إلا والصدق أفضل قيل

فمن أين لي من يخجل البدر حسنه؟ جواد بما[7] في البيت غير بخيل[8]

(1) سبق ذكره.

(2) في المرجع السابق هو: مالك بن عمرو الغساني.

(3) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري، أبوعبد الله، أمير خطيب شاعر من أجلاء الصحابة (2-65هـ). انظر ترجمته في جمهرة الأنساب: 245. أسد الغابة 5/ 22.

(4) أ، ب: أحياء.

(5) مثخن بها: أي واهن. اللسان: ثخن.

(6) البيتان وردا في مصارع العشاق 1/ 49.

(7) أ: بنا.

(8) الأبيات وردت في مصارع العشاق 1/ 50.

قال: فلما فرغت من إنشادها شهقت فماتت[1].

حكى أبو مسهر[2] قال: كان وضاح اليمن[3] يرد الموسم مبرقعا يستر وجهه خوفا من العين وحذرا من النساء لفرط جماله، وكان هو وأم البنين[4] بنت عبد العزيز بن مروان فأحبها وأحبته وكان لا يصبر عنها، فلما تزوجت ابن عمها الوليد بن عبد الملك ذهب عقله، فلما طال عليه البلاء خرج إلى الشام فجعل يطوف بقصر الوليد كل يوم ولا يجد حيلة فرأى يوما جارية صغيرة فلم يزل يأنس[5] بها، فقال لها يوما: هل تعرفين أم البنين؟ فقالت: إنك تسأل عن مولاتي، فأنا مولاتها فقال لها: إنها بنت عمي ويسرها موضعي لو أخبرتيها فقالت: نعم. فمضت الجارية وأخبرتها فقالت لها: ويحك! أهو حي؟ فقالت: نعم، قالت لها: قولي له كن مكانك حتى يأتيك رسولي. ثم إنها أدخلته عليها في صندوق فمكث عندها حينا إذا أمنت أخرجته فقعد معها، وإذا دخل رقيب أدخلته الصندوق فأهدي للوليد جوهرة فقال لبعض خدمه: امض به إلى أم البنين، قال: فدخل الخادم من غير أن يستأذن فرأى وضاح اليمن ولم تشعر أنه رآه فأدى الخادم الرسالة وقال لها: هبي لي من هذا الجوهر حجرا. فقالت له: لا أم لك! وما تصنع أنت بهذا؟ فخرج من عندها وهوعليها حنق، فجاء إلى الوليد وأخبره بما رأى ووصف له الصندوق الذي فيه وضاح اليمن فقال له: كذبت لا أم لك، ثم نهض مسرعا فدخل عليها

---

(1) الحكاية وردت في المرجع نفسه.

(2) عبد الأعلى بن مسهر، أبو مسهر الدمشقي الغساني (140-218هـ). انظر ترجمته في تاريخ بغداد 11/ 72.

(3) هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال الحميري الخولاني المعروف بوضاح اليمن (ت 90هـ). انظر ترجمته في الأغاني 198/ 6. وفوات الوفيات 272/ 2. النجوم الزاهرة 226/ 1.

(4) أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان من ربات الفصاحة والبلاغة، انظر ترجمتها في مروج الذهب 3/ 367. فوات الوفيات 2/ 273. 4/ 255. أعلام النساء 1/ 150.

(5) أ: يونس.

[289/ج] وهي في ذلك البيت/ وفيه عدة صناديق، فجاء حتى جلس على ذلك الصندوق [243/ب] الذي وصف له الخادم فقال لها: هبي لي صندوقا من هذه الصناديق/ فقالت: هي لك. فقال: أريد هذا الصندوق الذي تحتي فقط، فقالت: إن لي فيه شيئا من أمور النساء، قال: ما أريد غيره، قالت: هولك. قال: فأمر به فحمل ودعا بغلامين فحملاه وأمر بحفر بئر حتى بلغ الماء ثم وضع على فمه ذلك الصندوق وقال: قد بلغنا عنك شيء فإن كان حقا فقد دفناك ودفنا خبرك ودرسنا أثرك، وإن كان كذبا فما علينا من صندوق خشب ثم أمر به فألقي في الحفرة[1] ثم أمر بالخادم الذي غمز [258/د] عليها فألقي فوقه فرد عليها/ التراب، قال أبو مسهر: فكانت أم البنين لا تزال تتردد إلى ذلك الموضع وتبكي إلى أن وجدت يوما وهي في الموضع على وجهها ميتة، قال: وذكر المعافي بن زكرياء[2] أن الخليفة الفاعل ذلك هويزيد بن عبد الملك بن مروان والله أعلم[3].

حكى ابن المعافي قال: وصف للمأمون جارية بكل ما توصف[به امرأة][4] من [215/هـ] الجمال والكمال فبعث في شرائها، فأتي بها[5] وقت خروجه/ إلى بلاد الروم، فلما هم أن يلبس درعه خرجت إليه، فلما نظر إليها أعجب بها فقالت: ما هذا؟ قال: أريد الخروج إلى بلاد الروم، فقالت: قتلتني يا سيدي! ثم ذرفت عيناها على خديها كاللؤلؤ، ثم أنشأ[6] يقول:

---

(1) ب: الحفيرة.

(2) هو القاضي أبوالفرج المعافى بن زكريا، كان فقيها أديبا شاعرا (303-390هـ). انظر ترجمته في تاريخ بغداد 13/ 230. الوفيات 5/ 221. البداية والنهاية 110-328.

(3) الحكاية وردت في مصارع العشاق 2/ 192.

(4) ما بين معقوفين زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(5) هـ: به.

(6) أ: أنشد.

[الطويل]

فيا حسنها والدمع يغسل كحلها وإذ هي تذري الدمع منها الأنامل
صبيحة قالت في العتاب: قتلتني وقتلي، بما قالت، هناك تحاول[1]

قال: ثم قال لخادمه مسرور: احتفظ بها وأكرم منزلها واصلح كل ما تحتاج إليه من المقاصير والخدم والجواري إلى وقت رجوعي، ثم خرج مسافرا، فاعتلت الجارية علة شديدة حتى أشرفت على الموت، فورد نعي المأمون عليها، فلما بلغ الجارية أنه قد مات تنفست الصعداء وكان مما قالته وهي تجود بنفسها هذا:

[البسيط]

إن الزمان سقانا من مرارته بعد الحلاوة كأسات فروانا/ [195/أ]
بدا لنا تارة منه، فأضحكنا ثم انثنى مرة أخرى، فأبكانا
إنا إلى الله فيما لا يزال لنا من القضاء، ومن تلوين دنيانا
دنيا نراها ترينا من تصرفها ما لا يدوم مصافاة وأحزانا
ونحن فيها كأنا لا نزايلها وإن أحياءنا يبكون موتانا[2]

ثم شهقت شهقة خرجت روحها منها[3].

حُكي أن محمد بن حميد [الطوسي][4] كان جالسا مع ندمائه وقد أخذ الشراب من رؤوسهم إذ غنت/ جارية من وراء ستارة تقول: [290/ج]

[السريع]

يا قمر الحسن متى[5] تطلع أشقى وغيري بك يستمتع

(1) البيتان وردا في مصارع العشاق 2/ 157.
(2) الأبيات وردت في مصارع العشاق 2/ 158.
(3) الحكاية وردت في المرجع نفسه، والجليس والأنيس 1/ 425.
(4) محمد بن حميد الطاهري الطوسي (214هـ) من قواد جيش المأمون العباسي. انظر ترجمته في تاريخ ابن الأثير 6/ 412.
(5) ج: كم.

إن كان ربي [قد][1] قضى كل ذا منك على رأسي فما أصنع

وعلى رأس محمد غلام كأحسن ما يكون وبيده قدح فوضعه من يده وقال: تصنعين هكذا، ثم رمى بنفسه إلى الدجلة ورمت الجارية بنفسها عليه فماتا جميعا[2]./ [244/ب]

حكى أبو بشر بن مسعود الأنصاري[3] قال: كنت في بعض أحياء بني عذرة فبينما أنا أمشي وإذا بشيء يختلج تحت ثوب فأقبلت فكشفت عنه فإذا برجل ليس يرى منه إلا رأسه وعيناه، فقلت: ما بك؟ فقال منشدا:

[الطويل]

كأن قطاة علقت بجناحها على كبدي من شدة الخفقان

جعلت لعراف اليمامة حكمة وعراف نجد إن هما شفيان[4]

قال: ثم تنفس حتى ملأ الثوب الذي هو فيه، فنظرت إليه فإذا هو ميت، فسألت عنه فقيل: هذا عروة بن حزام[5] وستأتي هذه الحكاية بأبسط من هذا[6].

حكى المؤلف قال: تمرضت ابنتي أمة القادر، ونحن بثغر دمياط فتوجه أخوها ولدي جلال الدين محمد إلى المنصورة[7] وهي مريضة قال: فكتبت إليه بخطها،

(1) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(2) الحكاية وردت مع البيتين في زهر الأكم 1: 297.

(3) في مصارع العشاق: حدثني مسعود بن بشر المازني عن النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري. انظر ج 1/ 30.

(4) البيت الأخير منهما وردا في الشعر والشعراء: 520. والأغاني 24/ 163 مع اختلاف الرواية. ومصارع العشاق: 1/ 30.

(5) عروة بن حزام، أحد العشاق الذين قتلهم العشق، عاش يتيما في حجر عمه، وصاحبته عفراء بنت عمه. انظر ترجمته في الشعر والشعراء: 519 والأغاني 20/ 152. فوات الوفيات 2/ 33. وخزانة البغدادي 1/ 534.

(6) الحكاية وردت في الأغاني برواية مختلفة 24/ 163.

(7) المنصورة: مدينة بقرب القيروان من نواحي إفريقية، استحدثها المنصور بن القائم بن المهدي الخارج بالمغرب سنة 337هـ. انظر معجم البلدان مادة: المنصورة.

وسنها يومئذ تسع سنين إلا شهرا تقول:

[الطويل]

أخي وشقيقي وابن أمي إنني ... وهى جسدي شوقا و زاد غرامي/ [259/د]

وإن شفائي في يديك فداوني ... بِبَعْثِ كتاب أوبرد سلامي

فإني لتحييني بوجهك نظرة ... وتنشر من بعد الممات عظامي

عرفت الهوى طبعا بغير معلم ... فعلمي يا مولاي فيه عصامي/ [216/هـ]

وهذا وسني الآن تسع وإنني ... رضعت لبان الحب قبل فطامي

فما هو مثلي، ما جميل بثينة[1] ... وما عامر[2] ما عروة بن حزام

بحقك عدني عن قريب ولا تغب ... بحقك[3] من لم يكتمل بمنام

نراعي نجوم الليل سوقا وإنها ... حليفة[4] وجد دائم وسقام

وقد كتبت كفي كتابي[5] بكلفة ... وخلفي المنايا تارة وأمامي

فدارك وبادر[6] ثم بادر لعلني ... أراك، رعاك الله، قبل حمامي

وكتبت أيضا أمة القادر المشار إليها لأخيها تشتاقه بقولها:

[السريع]

للسيد الأستاذ بحر الندى ... غوث المدى من أمة القادر/ [291/ج]

ومن جرحنا بعده وهوفي ... القلب وفي السمع وفي الناظر

كذلك النجل الصلاح الذي ... لم يخل منه ساعة خاطري

فهل ترى يسمح لي بنظرة ... في ذلك الوجه الزاهي الزاهر/ [196/أ]

---

(1) أبو عمرو جميل بن عبد الله بن معمر بن صباح. أحد عشاق العرب وصاحب بثينة، عشقها وهو غلام. انظر ترجمته في الوفيات 1/ 366.

(2) هو عامر بن غالب المزني ذكره السراج في مصارع العشاق 2/ 26.

(3) أ، ج، هـ: بخلقك.

(4) د: خليفة.

(5) أ، ب: كتابا.

(6) عبارة ج، هـ: دارك فبادر.

واكحـل العينيـن بالمـرود الـذي لـه مـن وجهـه الأجـر
فيالـه مـن مـرود باخـس عيـن عـدو للعـدا قاهـر

حُكي في "منازل الأحباب"(1) قال: ومن أظرف ما سمعته من أخبار أخيار المتأخرين في تحليهم بالعفاف واتصافهم منه بأحسن الأوصاف، ما حُكي عن بعض قضاة المغاربة وهو محمد بن قاسم النحوي(2) أنه هوى فتى من أولاد الجند [245/ب] فكتم هواه وأخفى/ ضناه، وله فيه شعر رقيق منه قوله:

[الكامل]

هـذا خيالـك فـي الجنـوب يلـوح لـو كان فـي الجسـم المعـذب روح
غادرتنـي عـرض الـردى وتركتنـي لا عضـو لـي إلا وفيـه جـروح
يـا سـالما ممـا أكابـد فـي الهـوى بـك يشـتفي مـن قلبـي التبريـح
للـه مـا فعلـت لحاظـك فـي دمي؟ لـو بلغـت جسـمي الـردى فتريـح
لـو عاينـت عينـاك قذفـي مـن فمـي كبـدي ودمعـي مـع دمـي مسـفوح
لرأيـت مقتـولا، ولـم تـر قاتـلا ولقلـت: إنـي مـن فمـي مذبـوح
[260/د] يـا مـن تعمـد قتلتـي بلحاظـه! أبـاح قتلـي، يـا ظلـوم! مبيـح/ ؟
كبدي على صدري جرت وإلى متى أعدوأعـذب في الهـوى وأروح(3)؟

حكى العلامة مغلطائي(4) بسنده عن أبي محمد علي بن الحسن المذحجي(5) الأديب(6) قال: كنت أختلف في النحو لمحمد بن الخطاب النحوي في جماعة وكان

(1) "منازل الأحباب ومنازه الألباب" لناصر الدين حسن بن شاور ابن النقيب (توفي سنة 687هـ)، وأيضا لشهاب الدين محمود بن سلمان الحلبي (المتوفي سنة 725هـ). انظر كشف الظنون 2 عمود 1827.

(2) ذكره ابن أبي حجلة في ديوان الصبابة مع الحكاية

(3) الأبيات ورد منها البيتان الأولان مع الحكاية في ديوان الصبابة 2/ 91.

(4) هو مغلطاي بن قليج بن عبد الله الكنجري (689-761هـ) الحافظ المكثر صاحب التصانيف الكثيرة. انظر لسان الميزان 6/ 72.

(5) د، ب: المرجحي.

(6) هو محمد بن الحسن المنحجي أبو عبد الله يعرف بابن الكتاني، ذكره الحميدي في تاريخ الأندلس (ت نحو 420هـ). انظر معجم الأدباء 18/ 184.

معنا أبو الحسن أسلم بن سعيد الأسلمي[1] قاضي الأندلس، وكان شابا جميلا من أجمل ما[2] رأته العيون. قال: وكان أحمد بن كليب[3] من أهل الأدب والشعر، فاشتد كلفه بأسلم، وفارق صبره وأنشد فيه الشعر إلى أن فشت فيه الأشعار، وجرت على الألسنة، وأنشدت في المحافل، فمر أسلم يوما في موكبه ببعض الشوارع من مدينة قرطبة قال: وزامر[4] يغني بغزل أحمد بن كليب هذا/ في أسلم [217/هـ] المذكور وهو:

[مجزوء المتقارب]

أيسلمني في هوا ... أسلم هذا الرشا/ [292/ج]
غزال له مقلة ... يصيد بها من يشا
وشى بيننا حاسد ... سيسأل عما وشى
ولو شاء أن يرتشي ... على الوصل مني ارتشى[5]

قال: ومغني آخر يجاوبه، فلما بلغ هذا المبلغ انقطع أسلم عن جميع مجالس الطلبة، ولزم بيته والجلوس على بابه، فكان أحمد بن كليب يجعل مروره طول نهاره على باب أسلم فامتنع أسلم من الجلوس على بابه، فكان إذا صلى المغرب واختلط الظلام جلس على بابه مختفيا فحيل بينه وبين أحمد، فعيل صبره. قال: فتحيل بعض الليالي ولبس جبة صوف من جباب البادية وتحرى جلوس أسلم عند اختلاط الظلام، فتقدم إليه وقبل يده وقال: يا مولاي مُرْ من يأخذ هذا،

(1) هو أسلم بن أحمد بن سعيد كان من أحسن أهل زمانه، وكان شاعرا أديبا وهو صاحب الكتاب المشهور ب «أغاني زرياب». انظر معجم الأدباء 4/ 115. والنجوم الزاهرة 4/ 281.

(2) د: من.

(3) هو أديب شاعر مشهور الشعر ولا سيما شعره في أسلم الأندلسي. انظر معجم الأدباء 4/ 109. أنباه الرواة 1/ 131.

(4) ب: ورأى من.

(5) الأبيات وردت في معجم الأدباء 4/ 110، وفي أنباه الرواة 1/ 131. ومصارع العشاق 1/ 297. وتزيين الأسواق: 339.

وكان جاءه بشيء من الهدايا، فقال له أسلم: ومن أين أنت؟ قال له: أجيرك في ضيعتك الفلانية، وكان أحمد يعرف أسماء ضياعه، والعامل عليها، فأمر أسلم أن يقبض ذلك منه على عادتهم في قبول هدايا العمال، ثم جعل يسأله عن الضيعة فلما أجابه عرف كلامه وجوابه وقال له: يا أخي، بلغت بنفسك إلى هنا، أما كفاك انقطاعي عن مجلس الطلبة وعن الخروج[1] بالجملة وعن الجلوس على باب داري نهارا حتى قطعت عني جميع مالي فيه راحة؟ وقد صرت والله كأني في السجن، والله لا فارقت بعد الليلة قعر منزلي، ولا جلست بعدها على باب داري ليلا ولا نهارا، ثم قام وانصرف فدخل[2] داره، وانصرف أحمد كئيبا فلما يئس أحمد من/ [246/ب] رؤيته ثقلت عليه العلة[3]. قال أبو عبد الله/ محمد بن الخطاب: فعدته فوجدته في [197/أ] أسوء حال، فقلت له: ألا تتداوى؟ فقال: دوائي معروف، ولا حيلة للأطباء فيه، فقلت: وما دواؤك؟ قال[4]: نظرة إلى أسلم، فإن سعيت أن يزورني عظم الله تعالى لك في ذلك المثوبة، قال: فرحمته وذهبت إلى أسلم فاستأذنته فأذن لي وتلقاني، وقال: ألك حاجة؟ قلت: نعم، قال: وما هي؟ قلت لقد علمت ما جمعك مع أحمد بن كليب من ذمام الطلب. قال: نعم ولكن قد علمت أنه برح بي وأشهرني وآذاني. فقلت له: كل ذلك مغتفر في مثل هذه الحال/ التي هو فيها الآن، أفتعوده؟ [261/د] قال: لا أقدر على ذلك ولا تكلفني به، فقلت: لا بد، وليس عليك في ذلك شيء، وإنما هي عيادة مريض، فلم أزل به حتى أجاب، فقلت له: الآن، فقال: أفعل غدا، إن شاء الله تعالى، بلا خلاف، قال: فانصرفت إلى أحمد بن كليب فأخبرته بوعده بعد امتناعه. قال: فسر بذلك سرورا عظيما، فلما كان من الغد بكرت إلى أسلم فقلت له: الوعد، فقال: والله تحملني على خطة صعبة، وما أدري كيف أطيق

(1) أ: خروجي.
(2) أ، ب: ودخل.
(3) هـ: الغلة.
(4) أ، ب، د: فقال.

[293/ج] ذلك؟ فقلت: لابد أن تفي بوعدك، قال: فأخذ رداءه وذهب/ معي راجلا فلما أتينا منزل أحمد وكان ساكنا في درب طويل وتوسطنا الزقاق وقف أسلم واحمر خجلا وقال: والله يا سيدي الساعة أموت، وما أقدر أنقل قدمي وما أستطيع أن أعرض هذا على نفسي، فقلت: لا تفعل بعد أن بلغت المنزل، فقال: لا سبيل إلى [218/هـ] ذلك ورجع هاربا فأتبعته وأخذت بردائه فقطع الرداء وبقيت قطعة في يدي/ منه عاقتني عن إمساكي له ومضى، ودخلت إلى أحمد بن كليب وكان غلامه قد وصل إليه وبشره بقدوم أسلم فلما رآني وحدي تغير لونه واختلط، وجعل يتكلم بكلام لا يعقل منه غير الاسترجاع، ثم رجع إليه عقله وقال لي: يا أبا عبد الله! اسمع مني واحفظ عني ثم أنشأ يقول:

[مجزوء البسيط]

أسلم يا راحة العليل ... رفقا على الهائم النحيل
وصلك أشهى إلى فؤادي ... من رحمة الخالق الجليل[1]

فقلت له: اتق الله ما هذه الفتنة العظيمة؟ فخرجت عنه. قال: فلما توسطت الدهليز فارق الدنيا.

قال بعضهم: ولقد رأيت أسلم هذا في يوم شديد المطر لا يكاد أحد يمشي[2] في طريق، وهو جالس على قبر أحمد بن كليب زائر[3] قال: وأهدى أحمد بن كليب هذا إلى أسلم المذكور فصيح ثعلب وكتب عليه يقول:

[المجتث]

هذا كتاب الفصيح ... بكل لفظ مليح

---

(1) البيتان ورد الأول منهما في مصارع العشاق، ووردا معا في معجم الأدباء 4/ 195.

(2) عبارة أ، ب، د: لا يكاد يمشي أحد فيه.

(3) حكاية أسلم مع أحمد بن كليب مفصلة في مصارع العشاق 1/ 297-300 ومعجم الأدباء 4/ 108.

وهبته لك طوعا كما وهبتك روحي[1]

حكى الأصمعي قال: خرجت أريد بعض أحياء العرب، فأدركني الليل، قال: فأويت إلى جبانة[2] فتوسدت قبرا، فسمعت بالليل من جانب القبر قائلا يقول:

[الخفيف]

أنعم الله بالحبائب عينا وبمسراك يا سعاد إلينا

[247/ب] بادري للذي قتلت غراما فعسى أن يراك أو أن ترينا[3]/

قال: فأرقت، فلما أصبحت دخلت الحي فإذا بجنازة قد أقبل بها أناس فسألت عنها، فقيل لي: هذه سعاد، كانت تحب ابن عم لها فلم تزل باكية عليه وها هي قدلحقت به، قال: فتبعتهم حتى دفنت إلى جانب القبر الذي بت عنده قال: فأخبرتهم بما سمعت فتعجبوا من هذه الغريبة العجيبة النادرة[4].

[262/د] حُكي أنه غاب شخص عن محبوبه مدة، ثم جاء فوجده قد مات، فوقف عند/ قبره وكانت ليلة البدر والتفت إلى البدر يخاطبه ويقول:

[المتقارب]

[294/ج] شقيقك يا بدر في لحده أتطلع يا بدر من بعده/ ؟

فهلا كسفت وكان الكسوف لباس الحداد على فقده

قال فكسف البدر في الحال[5].

[198/أ] حُكي أن معاوية جلس بمكان بدمشق ففتح الجوانب الأربعة يدخل منها/

(1) البيتان وردا في معجم الأدباء 4/ 116.

(2) الجبانة: بالتشديد: الصحراء وتسمى بها المقابر لأنها تكون في الصحراء تسمية الشيء بموضعه. انظر اللسان: جبن.

(3) البيتان وردا في "الظرف والظرفاء" للوشاء: 111.

(4) الحكاية وردت في المرجع السابق مع اختلاف الروايتين.

(5) الحكاية وردت في "زهر الأكم" 2: 23، و"نفح الطيب" 7: 25.

النسيم، فبينما هو جالس في يوم قيظ وقد لفح الهجير إذ نظر إلى رجل يمشي نحوه وهو يتلظى من حر التراب ويحجل[1] في مشيه، راجلا حافيا، فتأمله ثم التفت إلى جلسائه وقال: هل خلق الله تعالى أشقى ممن يحتاج إلى الحركة في مثل هذا الوقت؟ فقال بعضهم: لعله يقصد أمير المومنين، فقال: والله لئن كان قاصدي سائلا لأعطينه، أو مستجيرا لأجيرنه أو مظلوما[2] لأنصرنه، يا غلام! قف بالباب، فإن طلبني هذا الأعرابي فلا تمنعه الدخول، فخرج الغلام فوافى الأعرابي، فقال له: ما تريد؟ فقال: أمير المومنين، فقال له: ادخل، فدخل وسلم على معاوية، فقال له: من أين الرجل؟ فقال: من تميم. قال: ما جاء بك في هذا الوقت؟ قال: جئتك شاكيا وبك مستجيرا، فقال له، [3] ممن؟ قال: من مروان بن الحكم عاملك، ثم[4] أنشأ يقول:

[الطويل]

معاوي ياذا الجود والحلم والفضل[5] … ويا ذا الندى والرشد والعلم والنبل/ [219/هـ]
أتيتك لما ضاق في الأرض مذهبي … فيا غوث لا تقطع رجائي من العدل
وجد لي بإنصاف من الجائر الذي … بلاني بشيء كان أيسره قتلي
سباني سعدى وانبرى[6] بخصومتي … وجار ولم يعدل وغاصبني أهلي[7]

قال: فلما سمع معاوية رحمه الله إنشاده والنار تتوقد من فمه قال له: مهلا يا أخا العرب، اذكر قصتك وأفصح عن أمرك، قال: كانت لي زوجة وهي ابنة

(1) حجل يحجل حجلا: رفع رجلا ومشى متريثا على الأخرى. اللسان: حجل.
(2) هـ: مطلوبا.
(3) ساقطة من: ب، د.
(4) سبق ذكره.
(5) عبارة أ: ياذا الفضل والجود والحلم.
(6) أ: وانبدى.
(7) الأبيات وردت في مصارع العشاق 2/ 13 ونهاية الأرب 2/ 160.

عمي وكنت لها محبا وبها كلفا وأنا قرير العين طيب العيش، وكان لي قطعة من الإبل أستعين بها على قيام حالي وكفاف أودي فأصابتني سنة شديدة أذهبت الخف والظلف وبقيت لا أملك شيئا، فلما قل ما بيدي وذهب مالي بقيت مهانا ثقيلا على وجه الأرض، أبعدني من كان يشتهي قربي وازْوَرَّ عني من كان يرغب في زيارتي، فلما علم أبوها ما بي من سوء الحال وشر المثال أخذها مني وطردني وأغلظ علي فأتيت عاملك مروان مستصرخا راجيا لنصرته فأحضر أباها وسأله عن حالي فقال: لا أعرفه قبل اليوم. فقلت: أصلح الله الأمير أحضر ابنته واسألها عن حالي فبعث إليها وأحضرها بمجلسه فلما وقفت بين يديه وقعت منه موقع [248/ب] الإعجاب، وصار لي خصما وعلي/ متكبرا وانتهرني وأظهر لي الغضب وبعث بي إلى السجن، وبقيت كأنما خررت من السماء من مكان سحيق، ثم قال: لأبيها: هل [263/د] لك أن تزوجني بها على ألف دينار وعشرة/ آلاف درهم، وأنا ضامن لك [295/ج] خلاصها/ من هذا الأعرابي؟ فرغب أبوها في البذل وأجاب سؤاله لذلك، فلما كان من الغد بعث إلي من السجن وأوقفني بين يديه ونظر إلي كالأسد المغضب، وقال: يا أعرابي! طلق سعاد، فقلت: لا، فسلط علي جماعة من غلمانه يعذبوني بأنواع العذاب فلم أجد بُدًّا من ذلك، ففعلت فأعاذني إلى السجن إلى أن انقضت عدتها، ثم تزوج بها ودخل عليها وقد أتيتك راجيا، وبك مستجيرا، وإليك ملتجئا، ثم أنشأ يقول:

[المجتث]

في القلب مني نار للنار فيها استعار
والجسم مني سقيم فيه الطبيب يَحَارُ
وفي فؤادي جمر يذكى وفيه شرار
والعين تهطل دمعا فدمعها[1] مِدْرار

(1) د: فدمعه.

وليس إلا بربي ثم الأمير[1] انتصار[2]

قال ثم[3] اضطرب واصطكت لَـهَاهُ وخر مغشيا عليه، فلما رأى حاله وسمع كلامه وإنشاده قال: تعدى وظلم ابن الحكم [في حدود الله، واجترأ على حرم المسلمين، ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب إلى مروان بن الحكم][4] يقول: قد بلغني عنك أنك اعتديت على رعيتك وانتهكت حرمة من حرم المسلمين وينبغي لمن كان واليا أن يغض بصره عن شهواته ويزجر نفسه عن لذاته، ثم كتب تحت ذلك الكلام هذا النظام وهو:

[البسيط]

فعلت، ويلك! أمرا لست تدركه / فاستغفر الله من فعل امرئ زانِ/ [199/أ]
وقد أتانا الفتى المسكين منتحبا / يشكو إلينا بسقم ثم أحزانِ
أعطي الإلاه يمينا لا أكفرها / نعم وأبرأ من ديني وإيماني
إن أنت خالفتني فيما كتبتُ به / لأجعلك لحما بين عقبان
طلق سعاد وجهزها معجلة / مع الكميت[5] ومع نصر بن ذبيان[6]/ [220/هـ]

قال: ثم طوى الكتاب وطبعه بخاتمه واستدعى الكميت ونصر بن ذبيان وكان يرسلهما في المهمات من حوائجه فأخذاه وسارا حتى أتيا المدينة المنورة فدخلا على مروان وسلما عليه ودفعا له الكتاب وأعلماه بصورة الأمر فجعل مروان يقرأ ويبكي ولم تسعه المخالفة فطلقها بمحضر من الكميت ونصر بن ذبيان وجهزها معهما إليه وكتب إليه صحبتهما يقول:/ [296/ج]

---

(1) أ، د: بالأمير

(2) الأبيات وردت في مصارع العشاق 2/ 13 ونهاية الأرب 2/ 160، مع اختلاف الروايات.

(3) ساقطة من: ب، ه وفي ج، د: واضطرب.

(4) ما بين معقوفين ساقط كله من: د.

(5) أظنه الكميت بن معروف بن الكميت بن ثعلبة بن نوفل الأسدي المعروف بالكميت الأوسط.

(6) الأبيات وردت في المرجعين السابقين مع اختلاف الرواية.

لا تعجلن، أمير المومنين فقد أوفي بنذرك في حسن وإحسان
وما أتيت حراما حين أعجبني فكيف أدعى بلفظ الخائن الزاني
فسوف تأتيك شمس ليس يعدلها عند الخليفة من إنس ولا جان[1]

ودفع الكتاب والجارية إلى الرسولين فسارا حتى دخلا على معاوية فدفعا إليه كتابه فقرأه وقال: أحسن مروان في الطاعة ثم أحضر الجارية، فلما رآها رأى منظرا [249/ب] عجيبا من/ الحسن والجمال والقد والاعتدال، فلما خاطبها وجدها عذبة الألفاظ [264/د] رشيقة الكلام فقال: علي بالأعرابي/ فأتوا به وهوعلى غاية من سوء الحال. فقال له: هل لك في سلوة عنها وأعوضك ثلاث جوار أبكار مع كل واحدة ألف دينار، وأقسم لك في بيت المال ما يكفيك ويغنيك عن صحبتها؟ فلما سمع الأعرابي مقالة معاوية شهق شهقة ظن معاوية أنه فارق الدنيا فقال له معاوية: ما بالك؟ فقال: شر بال وأسوأ حال، استجرت بعدلك من جور ابن الحكم فبمن أستجير من جورك؟ ثم أنشأ يقول:

[البسيط]

لا تجعلني، رعاك الله من ملك، كالمستجير من الرمضاء بالنار[2]
اردد سعاد إلى حيران مكتئب يمسي ويصبح في هم وتذكار[3]

ثم قال: لو أعطيتني ما حوته خلافتك ما اعتضت[4] بها[5] بدلا، ثم أنشأ يقول:

أبى القلب إلا حب سلمى وبغضت إلي نساء ما لهن ذنوب[6]

(1) الأبيات وردت في مصارع العشاق 2/ 13 ونهاية الأرب 2/ 160.
(2) الرمضاء: شدة الحر. اللسان: رمض.
(3) البيتان وردا في المرجعين السابقين.
(4) أ: اعتضدت.
(5) أ: منها.
(6) البيت لم يرد في الحكاية.

فقال: أنت مُقِرٌّ يا أعرابي بأنك طلقتها ومروان مُقِرٌّ بأنه طلقها، ونحن نخيرها فإن اختارت سواك زوجناها منه وإن اختارتك أعدناها إليك فقال: افعل. فقال معاوية: ما تقولين، أيما أحب إليك، أمير المومنين في عزه وسلطانه وشرفه أم مروان في عسفه وجوره أم هذا الأعرابي مع جوعه وفقره وسوء حاله؟ فقالت منشدة:

[البسيط]

هـذا وإن كان ذا بـؤس وإقتـار[1] | أعـز عنـدي مـن أهلـي ومـن جاري
وصاحـب التـاج أومـروان صاحبـه | وكل ذي درهـم عنـدي ودينـار[2]

ثم قالت: ما أنا بخاذلته لحادثة الزمان ولا لغدر الأيام، وإن[3] لي معه صحبة لا تنسى ومحبة لا تبلى، وأنا أحق من صبر عنده في الضراء كما نعمت معه في السراء، قال: فتعجب معاوية من قولها ومودتها وأمر لها بعشرة آلاف درهم وردها إلى الأعرابي بعقد جديد صحيح[4].

حكى حماد قال: كنت عند جعفر ابن سليمان بالبصرة إذ أتي بشاب حسن الوجه معه جارية كأنها قضيب بان/ ، فقال صاحب الشرطة: أصلح الله الأمير وجدت [297/ج] هذا وهذه/ مجتمعين في خلوة وليست له بمحرم. فقال جعفر للفتى:/ ما تقول؟ [221/هـ] [200/أ] فقال: صادق والله، لقد طال غرامي بهذه الجارية منذ سنين ما مكنت منها إلا هذا الوقت، ثم أنشأ يقول:

[الطويل]

تمنيـت مـن ربـي أفـوز بقربهـا | فلمـا تهيـأ المنـى نالنـي العسـر

---

(1) أ، ب: وافتقار.

(2) البيتان وردا في مصارع العشاق 2/ 16، برواية:

هــذا وإن أصبح في أطمار | وكان في نقص من اليـــار
أعز عندي من أبي وجاري | وصاحب الدرهم والدينار

(3) ج: إن لي.

(4) الحكاية وردت في مصارع العشاق 2/ 13 ونهاية الأرب 2/ 160.

ووالله ثم الله ما كان ريبة وما كان إلا الضحك واللفظ والبشر
فدونكم جلدي ولا تجلدونها فكم من حرام كان من دونها ستر

قال حماد: فجعلت الجارية تبكي فقال لها جعفر: وأنت لِـمَ تبكين؟ فقالت له: والله شفقة[1] لما حل بنا وكيف احتلت على نفسي حتى خرجت ونالتنا هذه المصيبة، [265/د] فقال لها جعفر: أنت حرة/ أم مملوكة؟ فقالت: مملوكة. فأمر بها[2] فأدخلت الدار وأحضر مولاها فاشتراها[3] منه وزوجها للفتى ووهب له[4] مالا، يقال: إنه مائة [250/ب] دينار، وكساهما/ ثم صرفهما مكرمين فقالت الجارية:

[الطويل]

لقد جدت يابن الأكرمين بنعمة جمعت بها بين المحبين في يسر
فلا زلت للإحسان كهفا وملجئا وقد جل ما قد كان فيك عن الشكر

قال فضحك منها وأمر لهما بجائزة ثانية وانصرفا رحمهم الله.

حُكي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، مر طائفا بالمدينة في خلافته وإذا بجارية تبكي وتقول:

[الكامل]

وهويته من قبل قطع تمائمي متناسبا مثل القضيب الناعم
وكأن نور البدر يشبه وجهه يمسي ويصبح في ذؤابة هاشم

قال: ففتح أبوبكر الصديق رضي الله عنه الباب فخرجت إليه فقال: أنت حرة أم أمة؟ قالت: أمة. قال من هويت؟ فبكت وقالت: سألتك بالله إلا ما انصرفت عني. فقال: لا بد، فقالت:

---

(1) د: شفقت.
(2) أ: فأمرها.
(3) أ: واشتراها.
(4) د: لها.

[الكامل]

وأنا التي فتك الغرام بقلبها   فبكت لحب محمد بن القاسم

فرجع أبو بكر رضي الله عنه إلى المسجد وبعث إلى مولاها فاشتراها منه وبعث بها إلى محمد بن القاسم بن جعفر أخي علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

حكى محمد بن يزيد المبرد قال: أهدى أبو العتاهية في يوم نيروز للمهدي صينية فيها ثوب ممسك، فيه سطران مكتوبان بالعنبر وهما قوله:

[البسيط]

نفسي بشيء من الدنيا معلقة   الله والقائم المهدي يكفيها

إني لأيأس منها ثم يطمعني   فيها احتقارك للدنيا وما فيها/[1] [298/ج]

قال: وكان أبو العتاهية يحب جارية من جواري الخيزران تسمى «عتبة» قال: فهم المهدي بدفعها إليه فبكت عتبة وقالت: ما جزاء حقي وخدمتي أن تدفعني إلى[2] باذل ماء وجهه مكتسب[3] بالشعر. قال: فبعث إليه: أما عتبة فلا سبيل إليها، وأمر له بملء الصينية مالا، فقال أبو العتاهية للخازن: المال الذهب، وقال الخازن: المال الدراهم، فقالت عتبة: لو كان عاشقا ما ميز بين الذهب والورق، وله فيها شعر كثير منه قوله:

[البسيط]

بالله يا حلوة العينين زوريني   قبل الممات وإلا فاستزيريني/ [222/هـ]

هذان حالان فاختاري أحبهما   إليك وإلا فناعي لموت ينعيني

إن مت شوقا فأنت الدهر مالكة   روحي وإن شئت أن أحياه فاحييني

---

(1) البيتان ورد الثاني منهما في الديوان: 490. ووردا معا في الكامل للمبرد 2/ 302. ومروج الذهب 4/ 174.

(2) أ: إلا.

(3) أ: متسكب.

يا عتب ما أنت إلا فتنة[1] خلقت من غير طين وخَلْقُ الإنس[2] من طين
[266/د] إني لأعجب من حب يقربني ممن يباعدني عنه ويقصيني/
الحمد لله قد كنا نظنكم من أرحم الناس طرا بالمساكين[3]
أما الكثير فلا أرجوه منك ولو أطمعتني في قليل كان يكفيني[4]

[201/أ][251/ب] قلت: أذكرني ذلك أني سئلت أن أعمل أبياتا في مولدة اسمها زهرة بنت/ جوهرة فقلت:

[البسيط]

يا زهرة الزُّهْرِ لا يا زهرة الزهر يا بنت جوهرة لا يا ابنت الشجر[5]
بِوَجْهِك القمر الزاهي أُشَبِّهُهُ في حسن طلعته، لا أنت كالقمر
خضراء كالجنة الخضرا لها أرج فمن يمر به صلى على الخضر
والله ما أنت إلا جنة خلقت من الجواهر والعقيان والدرر[6]
لا بد من زهرة للمرئ يقطفها أولى وإلا فقد ولى بلا عمر

هذا الذي يحضرني الآن وإلا فهي أكثر من ذلك قلت: ومن قول أبي العتاهية:

[الرجز]

إن أخاك الصدق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك شتت شمل نفسه ليجمعك[7]

أقول: لعمري هذا مستحيل في عصرنا وجوده.

(1) أ: قينة.
(2) أ، ب، د: الإنسان.
(3) طرا: جيعا. اللسان: طرر.
(4) الأبيات لم ترد في الديوان، وقد ورد الخبر في مروج الذهب 4/ 170. والكامل للمبرد 2/ 302.
(5) الزهر: ثلاث ليال من أول الشهر. اللسان: زهر.
(6) العقيان: ذهب ينبت نباتا وليس مما يستذاب ويحصل من الحجارة. اللسان: عقا.
(7) البيتان سبق ذكرهما.

حُكي أن ابن خلكان كان يهوى بعض أولاد الملوك وله فيه الأشعار الرائقة يقال إنه أول يوم رآه بسط له الطرحة[1] وقال: ما عندي أعز من هذه، طأ[2] عليها، ولما فشا أمرهما وعلم به أهله منعوه الركوب معه فكتب إليه يقول:/ [299/ج]

[الكامل]

يا سادتي إني قنعت وحقكم	في حبكم منكم بأيسر مطلب
إن لم تجودوا بالوصال تعطفا	ورأيتم هجري وطول تجنبي
لا تمنعوا عيني القريحة أن ترى	يوم الخميس جمالكم في الموكب
لوكنت تعلم يا حبيبي ما الذي	ألقاه من كمد إذا لم تركب
لرحمتني ورثيت لي من حالة	لولاك لم يك حملها من مذهب
قسما بوجهك وهو بدر طالع	وبليل طرتك التي كالغيهب[3]
وبقامة لك كالقضيب ركبت من	أخطارها في الحب أصعب مركب
لولم أكن في رتبة أرعى	لها العهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت ستري في هواك ولذلي	خلع العذار ولج فيك مؤنبي
[لكن خشيت][4] بأن يقول عواذلي	قد جن هذا الشيخ في هذا الصبي[5]

[قال الشيخ جمال][6] الدين عبد الظاهر[7]: الذي كان يهواه ابن خلكان، الملك المسعود/ ابن الملك الزاهر، وكان تيمه حبه، وكنت أنام عنده بالمدرسة العادلية [223/هـ] فتحدثنا في بعض الليالي إلى أن ذهب الناس فقال لي: نم أنت ها هنا، وألقى علي

(1) الطرحة: ثوب أخضر يلبسه المشايخ.

(2) ساقطة من: د.

(3) طرة كل شيء: حرفه، وطرة الجارية: ما يقطع لها في مقدم ناصيتها. والغيهب: شدة سواد الليل. انظر اللسان: طرر، غهب.

(4) ما بين معقوفين زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(5) القصيدة وردت في فوات الوفيات 1/ 101. والشذرات 5/ 372.

(6) ما بين معقوفين زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(7) لعله أراد جمال الدين عبد القاهر التبريزي كما ورد في فوات الوفيات 1/ 102.

فروة فرسي وقام يدور حول المدرسة العادلية إلى أن أصبح وهو يكرر هذين البيتين وهما:

[مجزوء الخفيف]

أنــا والله هــالــك آيــس مــن ســلامتــي

[252/ب] أو أرى القيامــة التــي قد أقــامـت قيامتــي[1]/

وقيل: إنه سأل رجلا من خواص أصحابه عن سيرته عند أهل دمشق، قال: [267/د] فاستعفاه من ذلك، فألَحَّ/ عليه، فقال: أما العلم والفضل فهم مجتمعون فيه، وأما النسب فيدعون فيه الادعاء ويقولون: إن مولانا يأكل الحشيش. فقال: وغير ذلك؟ فقال: وحب الغلمان، فقال: أماالحشيش فالراح ألذ منه، وأما محبة الغلمان فإلى غد أجيبك فرحمه الله تعالى وسامحنا وإياه[2].

حُكي أنه كان بإفريقية رجل شاعر وكان يهوى غلاما جميلا من غلمانها، فاشتد كلفه به وهو يتجنى[3] ويعرض عنه. قال: فبينما هو ذات ليلة وقد انفرد بنفسه يشرب الراح إذ ذكر محبوبه فجرى بخاطره ما يفعله به من التجني، فحمله سكره[4] فقام من فوره فأخذ قبس نار وجعله عند باب الغلام ليحرق داره، فلما أخذت النار ودارت بالباب بادر الناس إلى إطفائها واعتقلوه، فلما أصبح نهضوا [202/أ][300/ج] به إلى الوالي فأعلموه بفعله، فقال له: لأي شيء فعلت ذلك؟ فقال/ :

[مجزوء البسيط]

لما تمادى على بعادي وأضرم النار في فؤادي

(1) البيتان وردا في الفوات 1/ 102. وتزيين الأسواق: 337.

(2) الحكاية وردت في المرجعين السابقين.

(3) يتجنى عليه: أظن أنه أراد يتخبأ بمعنى يتستر عليه وقد يكون تصحيف من الناسخ. أما التجني فهو: التجرم.

(4) هـ: شكره.

ولم أجد من هواه بدا ولا معينا على السهاد
حملت نفسي على وقوفي ببابه وقفة الجواد
فطار من بعض نار قلبي أقل في الوصف من زناد
فأحرق الباب دون علمي ولم يكن ذاك[1] من مرادي[2]

فاستظرف الوالي واقعته واستملح شعره ورق لحاله وتحمل عنه ما أفسده من باب الغلام وخلى سبيله[3].

حُكي أن القاضي محي[4] الدين بن الخياط الدمشقي كان يهوى غلاما من أولاد الجند، فشرب وخرج في بعض الليالي فسقط في الطريق فمر الغلام عليه وهومطروح فوقع عليه من الشمعة، التي كانت بيده وهو يمسح وجهه، شيء فأفاق فرآه فأنشد:

يا محرقا بالنار وجه محبه مهلا، فإن مدامعي تطفيه
أحرق بها جسدي وكل جوارحي واحذر على قلبي لأنك فيه

حكى أبو الفرج قال: كان عبد الرحمان بن عبد الله بن عمار[5] ينزل مكة وكان من عباد أهلها فسمي القس لعبادته، فمر ذات يوم بدار سلامة المغنية المعروفة بسلامة[6] القس وإنما سميت به لأنه مر بها وهي تغني فوقف يسمع غناءها فرآه مولاها فدعاه إلى أن يدخل إليها ليسمع[7] منها فأبى، فقال له: أقعدك في مكان

(1) هـ: ذلك.

(2) الأبيات وردت في ثمرات الأوراق: 36.

(3) الحكاية وردت في المرجع نفسه.

(4) ب: محيد.

(5) هو عبد الرحمان بن أبي عمار من بني جشم بن معاوية، كان من أعبد أهل مكة، سمع يوما غناء سلامة القس فافتتن بها، انظر قصته معها في الأغاني 8/ 337.

(6) سلامة القس من مولدات المدينة ومن قيانها، كانت تحسن الغناء وتقول الشعر. انظر الأغاني 8/ 336. أعلام النساء 2/ 626.

(7) ج: ليستمع.

تسمع منه ولا تراها [ولا تراك][1]؟ قال: أما هذا فنعم، فأدخله داره وأجلسه حيث

[224/هـ] يسمع غناءها ثم أمرها فخرجت إليه، فلما رآها تعلقت/ بقلبه فهام بها واستهام وشاع[2] خبره وجعل يتردد إلى منزل مولاها مدة طويلة، ثم إن مولاها خرج يوما إلى بعض حوائجه وخلفه عندها، فقالت له: والله إني أحبك فقال لها: والله وأنا

[268/د] كذلك، فقالت: وما يمنعك وإن/ المكان لخال؟ قال: يمنعني منك[3] قول الله عز

[253/ب] وجل: ﴿الأخلاء/يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾[4] فأكره أن تتحول محبتي لك عداوة يوم القيامة، ثم خرج وهو يبكي فما عاد إليها بعد ذلك أبدا، وفي معناه أنشد أبو علي في الأمالي:

[الخفيف]

إن من يركب الفواحش سرا ... حين يخلو بسره غير خال
كيف يخلو وعنده كاتباه ... شاهداه وربه ذو الجلال[5]

[301/ج] حُكي أن الوليد بن يزيد نظر إلى جارية نصرانية فجن بها/ وجعل يراسلها وتأبى عليه حتى بلغه أن عيدا للنصارى قد قرب وأنها ستخرج فيه، فتنكر الوليد وحضر فيه وغير زيه وتقشف، فلما رأته سألت عنه، فقالوا لها: رجل مصاب، فجعلت تضحك منه وتكثر العبث به، فقيل لها: أتدرين من هذا الرجل؟ هذا الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، فكلفت به بعد ذلك، فقيل لها: الآن؟ فقالت: الآن آن الحب، وكانت عليه أحرص منه عليها، وقال في ذلك الوليد المذكور:

---

(1) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(2) د: واشاع.

(3) أ: يمنعني منك.

(4) الزخرف: 67.

(5) البيتان وردا في الأمالي 2/ 268 وهما من شعر النابغة الشيباني وهو عبد الله بن مخارق بن سليم، شاعر بدوي من شعراء العصر الأموي(125هـ)، انظر الأغاني 7/ 106. الحكاية وردت دون هذين البيتين، في الأغاني 8/ 336 وما بعدها.

أضحى فؤادك يا وليد عميدا صبا كئيبا للحسان صيودا
من حب واضحة العوارض طفلة برزت لنا نحوالكنيسة غيدا[1]
ما زلت أرمقها بعيني عاشق حتى بصرت بها تقبل عودا
فسألت ربي أن أكون مكانه وأكون في لهب الجحيم وقودا[2]/ [203/أ]

أقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله وإني بريء من كل دين يخالف دين الإسلام.

حُكي عن هشام بن محمد[3] قال: سمعت رجلا من بني عذرة[4] يحدث قال: لما علق جميل ببثينة وجعل يشبب بها، استعدى[5] عليه[6] أمير تيماء فخرج جميل هاربا حتى انتهى إلى رجل من بني عذرة، وكان سيدا فاستجار به، وكان للرجل سبع بنات فلما رأى جميلا وما احتوى عليه من محاسن الخَلْقِ [والخُلُق][7] رغب فيه، وأراد أن يزوجه إحدى بناته ليسلوعن بثينة، فقال لبناته: ألبسن [أحسن][8] ثيابكن وتحلين بأحسن حليكن وتعرضن له فلعل عينه أن تقع على إحداكن فتعجبه فأزوجه بها، فكن إذا أقبل جميل رفعن جانب الخباء، وتراءين له فيصرف بصره ووجهه عنهن، ففعل ذلك مرارا وهو يصرف وجهه عنهن، وعرف جميل ما أراده الشيخ منه، فأنشد يقول:

---

(1) الطفلة: الجارية الرخصة الناعمة، غيدا: أي متمايلة. انظر اللسان: طفل، غيد.

(2) الأبيات وردت مع الحكاية في مصارع العشاق 2/ 168.

(3) هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر المعتد بالله آخر ملوك بني أمية (364-428هـ)، انظر جمهرة الأنساب: 93. جذوة المقتبس: 26.

(4) بنو عذرة: بطن من قضاعة، من القحطانية وهم بنو عذرة بن سعد بن هذيم، وهم المعروفون بشدة العشق. انظر معجم القبائل 2/ 768.

(5) ج: استدعى.

(6) أ: عليها.

(7) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(8) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

[الطويل]

حلفت لكي تعلمي أني صادق ... وللصدق خير في الأمور وأنجح
لتكليم يوم واحد من بثينة ... ورؤيتها عندي ألذ وأملح
مع الدهر لا أَخْلُو بِكُنَّ وإنما ... أعالج قلبا طامحا حين يطمح[1]

قال: فقال الرجل لبناته: أرخين الخباء، فوالله لا يفلح الرجل أبدا[2].

[269/د] حكى الشريف أبو الفضل أحمد/ بن محمد بن الحسن[3] قال: قرأ علي أبو بكر [225/هـ] بن الأنباري[4] أبياتا/ وأنا أسمع، للمؤمل[5]، وهي من غريب الشعر وأظرفه، ومن السهل الممتنع:

[الطويل]

أتقتلني هند وقتلي محرم ... أما منكم يا أيها الناس مسلم؟
[254/ب][302/ج] لقد زعموا لي أنها نذرت دمي ... وما لي، بحمد الله، لحم ولا دم/
برى حبها لحمي ولم يبق لي دم ... وإن زعمت أني صحيح مسلم
ستقتل جِلدا باليا فوق أعظم ... وليس يبالي القتلَ جَلَدٌ وأعظم
آآذنة لي منك في ذكر حاجة ... ألا طال ما قد كنت عنها أجمجم[6]
فقالت: أذنا، قلت والدمع هامل ... وفي مهجتي نار من الشوق تضرم:

(1) الأبيات وردت في الديوان: 43 ومصارع العشاق 2/ 199.

(2) الحكاية وردت في مصارع العشاق مع اختلاف قليل بين الروايتين.

(3) لعله أراد الشريف أبا الفضل محمد بن الحسن بن الفضل بن المأمون، وهو ما ورد في مصارع العشاق.

(4) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري من أعلم أهل زمانه باللغة والأدب (271-328هـ).انظر ترجمته في تاريخ بغداد 3/ 181 والوفيات 4/ 341.

(5) هو المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربي من محارب بن خصفة بن قيس بن غيلان بن مضر، شاعر كوفي من شعراء الدولتين: الأموية والعباسية. انظر تاريخ بغداد 13/ 177. الأغاني 19/ 147. خزانة الأدب 3/ 523.

(6) أجمجم من الجمجمة وهي الكلام الذي لا يبين من غير أن يقيد بعي، وجمجم في صدره شيئا: أخفه ولم يبده. اللسان: جمجم.

غدرتم ولم نغدر وقلتم: غدرتم تظنون أنا منكم[1] نتعلم
قطعنا، زعمتم، والقطيعة منكم زعمنا فأنتم تزعمون ونزعم
فإن شئتم كان اجتماع وقلتم وقلنا فإن القول للقول سلم
وحقكم إنا رضينا بحكمكم على كل حال فاتقوا الله واحكموا[2]
فوالله ما أجرمت جرما علمته فإن سركم جرمي فإني مجرم
وعاقبتموني في السلام عليكم ولم يك[3] لي ذنب سوى ذلك يعلم
فإن تمنعوا مني السلام عليكم فإني عليكم من بعيد أسلم[4]

حكى عياش بن عبيد[5] قال: كان بالمدينة جارية ظريفة حاذقة[6] بصناعة الغناء فهوت فتى من قريش. قال: فكانت لا تفارقه ولا يفارقها، فملها الفتى وتزايدت في محبته، فتهولت وجعل مولاها لا يعبأ بها، ولا يرق لشكواها. قال: فتفاقم الأمر بها حتى هامت على وجهها، ومزقت ثيابها، وضربت من لقيها، فعالجها عند ذلك مولاها، فلم ينفع فيها العلاج، قال: فكانت تدور بالليل في السكك بعد الطرف والأدب، قال: فلقيها مولاها في الطريق مع أصحابه، قال: فجعلت تبكي وتنشد:

[الكامل]

الحب أول ما يكون مجانة تأتي به وتسوقه الأقدار[7]
حتى إذا اقتحم الفتى لجج الهوى جاءت أمور لا تطاق كبار[8]/ [204/أ]

---

(1) أ: معكم.

(2) أ: وأرحم.

(3) أ: يكن.

(4) القصيدة ورد ثلاثة أبيات منها فقط في الأغاني والخزانة. ووردت كاملة في مصارع العشاق 1/ 52.

(5) في مصارع العشاق: أخبرنا عبد الرحمن بن عبد الله السرخسي قال: حدثني عباس بن عبيد قال:...

(6) ساقطة من: ب.

(7) المجانة: هي أن لا يبالي بما يصنع أو يقال. اللسان: مجن.

(8) البيتان وردا في مصارع العشاق 1/ 53.

قال: فما بقي في المدينة أحد إلا رحمها، فقال لها مولاها: يا فلانة! امض معنا إلى البيت، فأبت وقالت: شغل الحلي أهله أن يعارا[1] واستمرت كذلك حتى ماتت رحمها الله تعالى.

حكى أبو الفرج الأصبهاني [في الأغاني بسنده قال: أخبرني ابن دينار[2] قال: لما بويع لإبراهيم بن المهدي بالخلافة طلبني][3] وكان يعرفني فأدخلت عليه قال: [270/د] أنشدني شيئا من شعرك/ فأنشدته[4]:

[الرمل]

عش فَحُبِّيك سريعا قاتلي ... والضَّنى إن لم تصلني واصلي

[303/ج] ظفر الشوق بقلب[5] دنف ... فيك والسقم بجسم ناحل[6]/

فهما[7] بين اكتئاب وضَنًى ... تركاني كالقضيب الذابل[8]

قال: فاستملح ذلك مني ووصلني[9].

[226/هـ] حُكي أن العتبي[10] حدث عن أبيه قال: كان رجل من العرب/ يحب ابنة عم له، وكانت جميلة، وكان من عشقه لها أنه يجلس في دهليزه ساعة مع ندمائه [255/ب] وأصحابه، ثم يدخل عليها ينظر إليها ساعة/ بعد ساعة، لا يستطيع فراقها، وكان

---

(1) هذا مثل أرادت به الجارية أن ما بها شغلها عن كل شيء. الحكاية وردت في المرجع السابق.

(2) لعله عيسى بن دينار العالم الأندلسي سكن قرطبة وتوفي بها (ت 212هـ). انظر بغية الملتمس: 389.

(3) ما بين معقوفين زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(4) في ب، ج: أقول.

(5) أ: بقلبي.

(6) الدنف: الذي لا يلازمه المرض. اللسان: دنف.

(7) أ: فكما.

(8) الأبيات وردت في الأغاني 20/ 273 ومصارع العشاق 1/ 62 والفوات 2/ 297. أما الوفيات فقد ورد فيه البيت الثاني فقط.

(9) الحكاية وردت في الأغاني: 297 ومصارع العشاق 1/ 62.

(10) سبق ذكره.

لها ابن عم آخر فاكترى له دارا بجوارها ولا زال يراسلها حتى أجابت إلى ما أراد، فاحتالت ونزلت إليه، فدخل زوجها على عادته فبينما هوكذلك إذ نزلت من عند ابن عمها الآخر فسألها أين كانت؟ فتعللت بضروب من العلل فما زال حتى اعترفت له قال: فضرب عنقها وهرب وهويقول فيها:

[الكامل]

يا طلعة طلع الحِمَامُ عليها ... فجنى لها ثَمَرَ الردى بيديها[1]

رويت من دمها الحسام وطالما ... روى الهوى شفتي من شفتيها

حكمت سيفي في مجال خناقها ... ومدامعي تجري على خديها

إني بخلت على العيون بحسنها ... وأنفت من نظر العيون إليها

فلأقتلن بها حشاشة مهجتي ... حزنا وأبكي ما حييت عليها[2]

ولأجعلن الحزن ثوبي بعدها ... أبدا وأندب كل عضو فيها[3]

حُكي عن حماد الراوية أنه قال: حدثني بعض[4] خدم سليمان بن عبد الملك بن مروان قال: خرج سليمان يريد بيت المقدس وكان أغير الناس، فنزل منزلا من البلقاء بدير لبعض الرهبان، وحف عسكره بذلك الدير، وكانت ليلة البدر[5]، وكان فيمن خرج معه رجل[6] من العرب يقال له: سنان، وكان مغنيا محسنا، وكان يعرف غيرة سليمان، فلم يكن يسمع منه صوت في عسكره. قال: فزاره في تلك الليلة فتية من أصحابه فعشاهم، قال: ثم سقاهم فأخذ منهم الشراب، فقالوا له:

---

(1) الحِمام بالكسر: قضاء الموت وقدره. اللسان: حمم.

(2) الحشاشة: بقية الروح في المريض. اللسان: حشش.

(3) الأبيات وردت في ديوان ديك الجن: 90-92. وذكر السراج في مصارع العشاق 1/ 69. أنها لرجل من العرب. وأشار أبو الفرج في الأغاني 14/ 57 إلى أنها تروى لغير ديك الجن، ونسبها له ابن خلكان في تاريخه 3/ 186. انظر الحكاية في مصارع العشاق 1/ 69.

(4) هـ: بعضهم

(5) ساقطة من: ب.

(6) أ: رجل.

يا سنان! ما أكرمتنا بشيء إن لم تسمعنا صوتك فغناهم يقول:

[البسيط]

محجوبة سمعت صوتي فأرقها | في آخر الليل لما أتى السحر
تثني على فخذها مثنى معصفرة | والحلي منها على لباتها حصر[1]
لم يحجب الصوت إغلاق ولا حرس | فدمعها بطروق الصوت منحدر
في ليلة النصف لا يدري مضاجعها | أوجهها عنده أبهى أم القمر؟
[271/د] لو خليت لمشت نحوي على قدم | يكاد، من رقة، بالمشي ينفطر[2]/

قال: فلما سمع سليمان الصوت قام فزعا يتفهم ما سمع، وكانت معه جاريته [304/ج] عوان/ مضاجعته، ولم يكن لها نظير في زمانها في الجمال والحذق والغناء وكان يحبها، فلما فهم الصوت ارتعدت فرائصه غيرة، ثم أقبل على جاريته فقال لها: أراقدة أنت أم مستيقظة؟ فوجدها يقظانة، وهي بصفة الأبيات التي سمعها، وهي موضوعة [205/أ] عليها معصفرة، وحليها في لباتها، فقالت له: قاتل الله الشاعر حيث يقول:/

[الطويل]

ألا رب صوت جاءني من مشوه | قبيح المحيا واضع الأب والجد
قصير نجاد السيف جعد بنانه | إلى أمه يدعى، معا، وإلى عبد[3]

[256/ب] قال: فسكن من غضبه قليلا ثم قال لها: فقد راعك صوته إذن؟ فقالت/: نعم والله يا أمير المؤمنين! فقال: يا عوان! ويحك! كأنه وصفك كمن رآك، والله [227/هـ] لأقطعنه إربا إربا[4] كائنا من كان/، ثم بعث في طلبه فأمر بخصيه، فخصي فلأجل

---

(1) ب: حضر.

(2) الأبيات وردت في العقد 7/ 73-74 مع اختلاف في الرواية.

(3) البيتان وردا في العقد 7/ 74. رواية الشطر الأول من البيت الثاني كالتالي: «يروعك منه صوته ولعله»

(4) الإرب: العضو الموفر الكامل الذي لم ينقص منه شيء. اللسان: أرب.

ذلك سمي ذلك الدير: دير الخصيان[1].

حُكي عن ابن عائشة[2] عن كُثَيِّر عزة[3] أنه قال: وقفت على جماعة وهم لا يعرفونني[4] يتكلمون فيَّ وفي جميل صاحب بثينة أيضا، أينا أصدق في عشقه؟ ففضلوا جميلا[5] في عشقه علي، فقلت لهم: ظلمتم كثيرا، كيف يكون جميلا أصدق عشقا منه؟ وقد جاء لجميل عن بثينة بعض ما تكره[6]، فقال:

[الطويل]

رمى الله في عيني بثينة بالقذى[7] وفي الغر من أنيابها بالقوادح[8]

وكُثير أتاه عن عزة ما يكره فقال لها وفيها:

[الطويل]

هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من أعراضنا ما استحلت[9]

حكى بعضهم قال: وجدت مجموعا سماه جامعه: «زهر الربيع»[10] قال فيه: أنشدت عبد الله بن المعتز:

---

(1) دير الخصيان بين دمشق وبيت المقدس وسبب تسميته بهذا الاسم هو كذلك في معجم البلدان 4/ 132، وحكاية سليمان مع عبده، وردت في العقد 7/ 73-74 مع اختلاف واضح بين الروايتين.

(2) محمد ابن عائشة، أبو جعفر توفي نحو100هـ. انظر الأغاني 2/ 195. الوافي بالوفيات: 3/ 181.

(3) سبق ذكره.

(4) أ، ج، هـ: يعرفوني.

(5) أ: جميعا.

(6) ب، ج، د، هـ: يكره

(7) أ: بالقرى.

(8) البيت ورد في الديوان: 53. ومصارع العشاق 1/ 101.

(9) البيت ورد في الديوان: 100 والمرجع نفسه.

(10) لعله زهر الربيع في الأخبار والتاريخ لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب. انظر كشف الظنون 2/ 909.

[الطويل]

مساكين أهل العشق حتى قبورهم عليها تراب الذل بين المقابر

فقال لي: قبح هذا الشعر وقائله، لا والله ما أذل الله ترابهم أبدا، بل أجله الله تعالى وشرفه وحسنه ونضره. ثم قال لي ابن المعتز: ولي في هذا المعنى أملح من هذا البارد وأنشدني لنفسه يقول:

[الطويل]

مررت بقبر مشرف وسط روضة عليه من الأنوار مثل الشقائق

فقلت: لمن هذا؟ فقال لي الثرى: ترحم عليه، إنه قبر عاشق[1]

حكى الأصمعي قال: حدثني بعضهم قال: أقبلت من مكة أريد اليمامة فنزلت بحي من بني عامر فأكرموني، فبينما أنا عندهم، إذ أنا بفتى حسن الهيئة جاءني فسلم علي وقال: أين يريد الراكب؟ قلت: اليمامة. قال: ومن أين أقبلت؟ قلت: من مكة. قال: ثم جاذبني أحسن الحديث، ثم قال: أتأذن لي في صحبتك إلى اليمامة؟ فقلت: أحب مصحوب، فجاء بناقة كأنها قلعة بيضاء، وعليها أداة حسنة/ ، فأناخها قريبا مني وتوسد ذراعها، فلما هممت بالرحيل أيقظته [305/ج] فكأنه/ لم يكن نائما، فقام فأصلح رحله، فركبت وركب، فقصر يومي بصحبته [272/د] وسهل علي السفر بمنادمته، ومع ذلك لا ينشد لي إلا بيتا معجبا في الهوى، فلما قربنا من اليمامة مال عن الطريق إلى أبيات[2] قريبة منها، فقلت: لعلك تحاول حاجة في هذه الأبيات، فقال: أجل. قلت[3]: انطلق راشدا، فقال لي: فهل تؤدي حق الصحبة؟ فقلت: نعم. فقال: مل معي، فملت معه، فلما رآه أهل الأبيات ابتدروه فإذا فتيان عليهم بِزّة[4] حسنة ووقار فأناخوا بنا وعلقوا بأقتيتنا وأظهروا

(1) البيتان لم يردا في الديوان ووردا مع الحكاية في مصارع العشاق 1/ 130.

(2) يريد: البيوت.

(3) أ، ج: فقلت.

(4) البزة: بالكسر: الهيئة والشارة واللبسة. اللسان: بزز.

السرور ورأيتهم كأشد شيء له تعظيما، ثم قال[1]: قوموا إن شئتم فقام وقمت لقيامه حتى صرنا إلى قبر حديث التطيين فألقى نفسه وجعل يبكي ويقول:

[الطويل]

لئن منعوني في حياتي زيارة ... أحامي بها نفسا ترشقها الحب/ [257/ب]

فلن يمنعوني أن أجاور قبرها ... فيجمع جسمينا التجاور والقرب[2]

قال: ثم إنه أَنَّ أَنَّاتٍ فمات، فأقمت مع الفتيان حتى جهزناه ودفناه إلى جانب ذلك القبر. قال: فسألتهم عنه، فقالوا: هذا ابن سيد هذا الحي، وهذه ابنة عمه، وكان بها مغرما، فماتت منذ/ ثلاثة أيام، وقد جاء زائرا لها وقد رأيت ما آل إليه [228/هـ] أمره. قال: فركبت وودعتهم وكأني قد فقدت صديقا حميما رحمه الله[3].

حكى الأصمعي أيضا قال: كنت مع أبي نواس بمكة فإذا غلام أمرد/ يستلم [206/أ] الحجر الأسود فقال لي أبو نواس، والله لا أبرح حتى أقبله عند الحجر، فقلت له: ويلك! اتق الله عز وجل، فإنك في البلد الحرام وعند بيته، فقال: والله ما عن ذلك بد، ثم دنا من الحجر وجاء الغلام يستلمه فبادر إليه فوضع خده على خد الغلام وقبله وأنا أرى، فقلت له: ويلك! لقد ارتكبت أمرا عظيما في حرم الله تعالى، فقال: دع عنك هذا، فإن ربي غفور رحيم، ثم أنشأ يقول:

[السريع]

وعاشقين خداهما التقيا ... عند استلام الحجر الأسود

فاشتفيا من غير أن يأثما ... كأنما كانا على موعد[4]

قلت من المستطرف قول الشاعر:

(1) ج: قالوا.

(2) البيتان وردا في مصارع العشاق 1/ 129.

(3) الحكاية وردت في مصارع العشاق 1/ 128.

(4) البيتان وردا في مصارع العشاق 1/ 85 برواية: وعاشقان.

[الوافر]

جعلت محلة البلوى فؤادي وسلطت السهاد على رقادي
وبت منعما وسهرت ليلي أما استحي رقادك من سهادي
[ج/306] فهبني لا أبوح بما ألاقي أليس الدمع من عيني بادي[1]/

حكى أبو الحسن[2] علي بن المؤدب[3] قال: انحدرت من بالس[4] أريد العراق فدخلت الموصل فأقمت بها أياما فبينما أنا في بعض أزقتها، وإذا صياح وجلبة[5] فسألت عنها، فقيل: ها هنا دار المجانين، وهذه أصوات بعضهم فدخلت إليها [د/273] وإذا شاب مشدود متشحط في الدم،/ فسلمت عليه فرد وقال: من أين جئت؟ فقلت من بالس. قال: وأين تريد؟ قلت: العراق فقال: أتعرف بني فلان؟ وأشار إلى أهل بيت فيها، قلت: نعم. قال: فدعا عليهم وقال: فعل الله بهم وصنع بالذين أدهشوني وتيموني[6] وأحلوني هذا المحل [قال][7]: فقلت[8]: وما فعلوا معك؟ فأنشد:

[السريع]

زموا المطايا واستقلوا ضحى ولم يبالوا قلب من تيموا[9]
ما ضرهم، والله يرعاهم، لو ودعوا بالطرف أوسلموا
ما زلت أذري الدمع في إثرهم حتى جرى من بعد دمعي دم

(1) الأبيات وردت في مصارع العشاق 1/ 90 مع اختلاف الرواية.
(2) ب، ج، د: الحسين.
(3) في مصارع العشاق 1/ 163 أبو الحسن العيشي المؤدب.
(4) بالس: بلدة بالشام بين حلب والرقة. انظر معجم البلدان: بالس.
(5) الجَلَبَةُ والجَلَبُ: الأصوات، وقيل هو اختلاط الصوت. اللسان: مادة جلب.
(6) ب: يتموني.
(7) زيادة من: ب، ج، د، هـ.
(8) أ: قلت.
(9) زموا المطايا: يقال زممت البعير أي علقت عليه الزمام. اللسان: زمم.

ما أنصفوني يوم بانوا ضحى ... وما رعوا عهدي ولم يرحموا[1]

حكى أبو الجحاف[2] قال: إني لفي الطواف، وقد مضى أكثر الليل وخف الطواف وإذا بامرأة قد أقبلت كأنها قضيب غرس في كثيب، وهي تقول:

[الطويل]

رأيت الهوى حُلْوًا إذا اجتمع الوصل ... ومُرًّا على الهجران لا بل هو القتل/ [258/ب]

ومن لم يذق للهجر طعما، فإنه ... إذا ذاق طعم الوصل لم يدر ما الوصل[3]

حكى ابن الأصقع[4] قال: قال لي بعضهم: رأيت ببغداد في وقت الحج فتى ومعه تفاح مغلف بالمسك والزعفران فجاء إلى سور فوقف تحته فأشرفت عليه منه جوار كأنهن المهارى أو كأنهن المها[5] والأقمار، قال: فأقبل يرميهن بذلك التفاح فقلت له: ألست كنت معنا عازما على الحج؟ فقال/: [229/هـ]

[الطويل]

ولما رأيت الحج قد آن وقته ... وأبصرت بُزْل العيس بالركب تسعف[6]

دخلت مع العشاق في طلب الهوى ... وعرفت من حيث المحبين عرفوا

وقد زعموا أن الجمار فريضة ... وتارك مفروض الجمار يعنف[7]

فهيأت تفاحا ثلاثا وأربعا ... فزعفر لي بعض وبعض مغلف

وقمت حيال القصر ثم رميته ... وظلت به أيدي الملاح تلقف

---

(1) الأبيات وردت في مصارع العشاق 1/ 163. الحكاية وردت في المرجع نفسه.

(2) أبو الجحاف ذكره السراج في مصارع العشاق.

(3) البيتان وردا في مصارع العشاق 1/ 164. الحكاية أيضا في المرجع نفسه.

(4) ابن الأصقع: لم أقف عليه.

(5) المها: جمع لمهاة وهي البلور يبرق لشدة بياضه. اللسان: مها.

(6) البزل: الواحد بازل، البعير الذي طلع نابه. العيس: الجمال الكريمة التي يخالطها بياض. انظر اللسان بزل: عيس.

(7) أ: يعنفه.

[207/أ] وإني لأرجو أن تقبل حَجّتي وما ضمني للحج سعي وموقف[1]/

حكى بعضهم قال: خرجت في طلب العلم فوردت على[2] بلدة أعجبني حسنها وظرف أهلها فأردت المقام بها بقية عمري، فأقمت فيها أياما فحدثني بعض/ أهلها قال: ورد علينا فتى من بغداد حسن الوجه ظريف الشكل فأقام [307/ج] عندنا حينا من الدهر وكان أديبا حسن المعاشرة وكان قد هوى فتى من أولاد الفقهاء، يسمى أبا نصر، وله معه أمور وقصص، وله فيه[3] أشعار كثيرة يحفظها أهل البلدة. قال: فخرجا يوما إلى بستان للنزهة فأقاما يومها قال: فخرجت في غد ذلك اليوم فاجتزت بالبستان فدخلته، فبينما أنا أطوف فيه إذ رأيت منظرة[4] فدخلتها فوجدت مكتوبا/ على بعض حيطانها هذه الأبيات وهي: [274/د]

[المديد]

لم يَخِبْ سعيي ولا سفري حيث نِلْت الحظ من وطري
في قضيب البان في ميل وشبيه الشمس والقمر
لست أنسى يومنا[5] أبدا بفناء البستان والنهر
في رياض وسط دَسْكَرَة وبساط حُفَّ بالشجر[6]
وأبو نصر يعانقني طافحا سكرا إلى السحر
غير أن الدهر فرقنا وكذا من عادة الدهر[7]

قال: وتحته المحب الغريب يبسط العذر لاطراحه المراقبة وهفواتي في المعاتبة

---

(1) الأبيات وردت في مصارع العشاق 1/ 217. والحكاية وردت في المرجع نفسه.

(2) ب، د: في.

(3) ب: فيها.

(4) المنظرة: موضع الربيئة، وهي موضع في رأس جبل فيه رقيب ينظر العدو. انظر اللسان: نظر.

(5) أ: يوما.

(6) دسكرة: الدسكرة بناء كالقصر حوله بيوت يكون فيه الشراب والملاهي. اللسان: دسكر.

(7) الأبيات وردت في مصارع العشاق 2/ 96.

لحالة عشقه الغالبة[1].

حكى محمد بن سلام قال: قلت لصديق لي: أنت تحسن إنشاد الغزل فأنشدني أبياتا تذيب القلب أكتب بها إلى صديق لي يعشق جارية قال: فأنشأ يقول:

[الوافر]

وقائلة، ودمع العين يجري ... على الخدين كالماء السكوب

خدودك والدموع تجول فيها ... وقلبك ليس بالقلب الكئيب/ [259/ب]

نظير قميص يوسف حين جاءوا ... عليه، خديعة، بدم كذوب

دموع العاشقين إذا توالت ... بظهر الغيب ألسنة القلوب[2]

قال: فخشيت أن أكتب ذلك إلى صديقي فيوافق ذلك منه لما[3] أعرف من وُجده فينفطر قلبه عشقا فتركته[4]

وقال آخر:

[الكامل]

ظهر الهوى مني وكنت أسره ... والحب يكتمه المحب فيظهر

زعمت دموعي أنها لا تنقضي ... حتى تبوح بما أسر وأضمر[5]

حُكي أن عبد الله بن الربيع[6] عشق جارية نصرانية رآها في دير في بعض أعياد النصارى، فكان لا يفارق مواسم النصارى شغفا بها لكي يراها، فخرج في بعض

(1) الحكاية وردت في مصارع العشاق 2/ 94، مع اختلاف قليل بين الروايتين.

(2) الأبيات وردت في مصارع العشاق 2/ 200 برواية البيت الثاني: قميصك والدمع تجول فيه...

(3) د: ما أعرف.

(4) أ، ب، د: فتركت. والحكاية وردت في مصارع العشاق 2/ 200.

(5) البيتان وردا في مصارع العشاق 2/ 203 وفيه أنهما من إنشاد عبد الله بن لقيط.

(6) عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع، كان شاعرا مطبوعا ومغنيا محسنا حسن الرواية. انظر الأغاني 19/ 234.

[230/هـ] أعيادهم إلى بستان/ بجانب الدير وكان [لا][1] يراسلها قبل ذلك [ولا][2] بعده [308/ج] ولا يقدر/ على مواصلتها فرآها فظهرت له وجلست معه مع نسوة كانت تأنس بهن فأكلوا وشربوا، فأقام معها أسبوعا ثم تفرقوا يوم الخميس فقال في ذلك:

[الخفيف]

رب صهباء من شراب المجوس   قهوة بابلية خندريس[3]

جليت لي ما بين ناي وعود   قبل ضرب الشماس بالناقوس

مع غزال مكحل ذي دلال   ساجي الطرف في ثياب عروس

قد خلونا به بغير رقيب   يوم سبت إلى صباح الخميس

بين ورد وبين آس جني   وسط بستان دير ماء جرجيس[4]

يتثنى في حسن جيد غزال   في صليب مفضض ءابنوس[5]

[275/د] كم لثمت الصليب في الجيد منه   كهلال مكلل بالشموس[6]/

حكى الصولي[7] قال: أنشدني عبد الله بن المعتز لنفسه يقول:

[المنسرح]

يا زائري في معصفر فلقد   جاهرت في القتل بالمحبينا

[208/أ] لا تلبسن صبغة تدل على   قتلك عشاقك المساكينا[8]/

(1) زيادة من: ب، د، هـ.

(2) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(3) الخندريس: الخمر القديمة. اللسان: خندرس.

(4) جرجيس: لعله يريد به اسم نبي، لأن هذه الصيغة لم ترد في المعاجم إلا بهذا المعنى.

(5) الأبنوس: شجر صلب ثقيل.

(6) الأبيات وردت في الأغاني 19/ 251 والديارات: 147 ومعجم البلدان 2/ 532. ومصارع العشاق 2/ 205. والحكاية وردت في المراجع نفسها.

(7) سبق ذكره.

(8) البيتان وردا في مصارع العشاق 2/ 207 مع اختلاف بسيط بين الروايتين والحكاية وردت في المرجع نفسه.

حكى أبو العباس [أحمد][1] النيسابوري أن هذه الأبيات قالها الرشيد في جاريته زينب وكان يحبها وتغنيه بها وهي:

[البسيط]

إن التي علقت نفسي بها فتكت وعذبتني فما أبقت ولا تركت
مازحتها[2] فبكت واستعبرت جزعا مني فلما رأتني باكيا ضحكت
فعدت أضحك مسرورا بضحكتها حتى إذا ما رأتني ضاحكا فبكت
تبغي خلافي كما حثت براكبها يوما، قلوص فلما حثها بركت[3]

قال ابن السراج[4] ووجدت لهذه الأبيات أولا وآخرا، أما الأول فهو:

أليس من عجب بل زادني عجبا مملوكة ملكت من بعد ما ملكت/ [260/ب]

والآخر هو:

كأنها درة قد كنت أذخرها يوما لعسر فلما رمتها هلكت[5]

حكى القاضي أبو عمرو الأزدي[6] قال: ذاكرت محمدا بن داود[7] بشيء من شعره، فأنشدته قوله:

---

(1) زيادة من: ب، ج، د، هـ. ولم أجد فيما وصل إليه بحثي، من اسمه أحمد النيسابوري وكنيته أبو العباس، غير أبي عبد الله أحمد بن حرب الزاهدي النيسابوري (ت 234هـ). انظر شذرات الذهب 2/ 80 ومعجم المؤلفين 1/ 188.

(2) أ: مزحتها.

(3) الأبيات وردت في مصارع العشاق 2/ 208 برواية البيت الأخيرة:
تبغي حلافي كما خبت براكبها يوما قلوص، فلما حثها بركت

(4) سبق ذكره.

(5) الحكاية والقول وردا في مصارع العشاق 2/ 208.

(6) أظنه عمر بن أبي عمر محمد بن يوسف القاضي الأزدي (ت 342هـ) المنتظم 6/ 305. ولم أجد فيما وقفت عليه من كتب التراجم في نسبه الأزدي وكنيته أبو عمرو.

(7) سبق ذكره.

[البسيط]

أشكو غليل فؤاد أنت متلفه ... شكوى عليل إلى إلف يعلله
سقمي تزيد مع الأيام كثرته ... وأنت في عظم ما ألقي تقلله
[309/ج] الله حرم قتلي في الهوى سفها ... وأنت يا قاتلي! ظلما تحلله[1]/

فقال لي محمد بن داود: كيف السبيل إلى استرجاع هذا؟ فقلت: هيهات! سارت به الركبان[2].

حكى إسماعيل بن جامع[3] قال: حصل لي ضيق حال حتى صرت لا أملك إلا ثلاثة دراهم، فخرجت وهي في كمي وإذا بجارية حسنة الوجه على رقبتها جرة تسقي بها وهي تنشد وتقول:

[الطويل]

شكونا إلى أحبابنا طول ليلنا ... فقالوا لنا: ما أقصر الليل عندنا
[231/هـ] وذاك لأن النوم يغشى عيونهم ... سراعا ولا يغشى لنا النوم أعينا/
إذا ما دنا الليل المضر بأهله ... جزعنا وهم يستبشرون إذا دنا
فلوأنهم كانوا يلاقون مثل ما ... نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا[4]

قال: فوقعت مغشيا علي لحسن صوتها الشجي وحسن ترنمها به، وقلت لها: ما أدري يا رحمة، أويا جارية! أوجهك أحسن أم صوتك؟ فبالله إلا[5] ما أعدتيه علي قال:

---

(1) الأبيات وردت، بالرواية نفسها في مصارع العشاق 2/ 228.

(2) الحكاية وردت في المرجع نفسه.

(3) إسماعيل بن جامع أبوالقاسم ويعرف بابن أبي وداعة (ت 192هـ).انظر ترجمته في الأغاني 6/ 305 والبداية والنهاية 10/ 207.

(4) الأبيات وردت في الأغاني 6/ 326 ومصارع العشاق 2/ 234.

(5) أ: إذا.

فوضعت الجرة واندفعت تغني بأحسن صوت، فقلت: لقد أحسنت وتفضلت فلو أعدتيه مرة أخرى فقالت[1]: يا سيدي علي ضريبة في كل يوم ثلاثة دراهم ولا أقدر على التلهي[2] معك، فقلت: خذي هذه الثلاثة/ دراهم وأعيديه فأعادته وذهبت منصرفة وقد أخذت بمجامع قلبي[3]. [276/د]

حكى أبو القاسم علي بن المحسن[4] التنوخي[5] في سنة اثنين وأربعين وأربعمائة. قال: أنشدنا الحسين بن علي بن عبد الجبار[6] لنفسه يقول:

[البسيط]

رنت إلي بعين الريم والتفتت ... بجيدها وانثنت، من قدها ألفا

فخلت بدر الدجى يبدو على غصن ... هزته ريح الصبا فانهز وانعطفا

وأبصرت مقلتي ترنو مسارقة ... إلى سواها، فعضت كفها أسفا

ثم انثنت كالرشا المذعور نافرة ... وورد وجنتها بالغيظ قد قطفا[7]

تقول: يا نعم! قومي تنظري عجبا ... هذا الذي يدعي التهيام والشغفا

يريد منا الوفا والعذر شيمته ... هيهات أن يأتي للغدور وفا[8]

حكى علي بن يحيى[9] قال: كنت واقفا بين يدي المعتضد فأقبل بدر وكان غلاما

---

(1) هـ: فقال.

(2) هـ: التهلي.

(3) الحكاية وردت في الأغاني مع شيء من الاختلاف في الرواية. انظر ج 6/ 326. ومصارع العشاق 234، وجمع الجواهر: 102.

(4) ج: الحسين. أ: الحسن.

(5) علي بن المحسن بن علي بن محمد، أبو القاسم التنوخي (355-447هـ). انظر فوات الوفيات 3/ 60.

(6) في مصارع العشاق 2/ 160 هو أبو الحسن بن محمد بن عبد الجبار.

(7) الرشا: من أولاد الظباء الذي قد تحرك وتمشى. اللسان: رشا.

(8) الأبيات وردت في مصارع العشاق 2/ 160-161. والحكاية وردت في المرجع نفسه.

(9) هو علي بن يحيى بن أبي منصور، نديم المتوكل العباسي (201-275هـ). انظر الوفيات 3/ 373. ومعجم الأدباء 15/ 144.

جميلا فلما رآه تبسم وقال فيه:

[البسيط]

[209/أ][261/ب] فـي وجهـه شـافع يمحـو إسـاءته   من القلوب وجيه حيث ما شفعا[1]/

قال: ثم التفت إلي وقال: لمن هذا الشعر؟ فقلت للحكم المازني[2] البصري قال: أنشدنيه، فقلت:

[البسيط]

[310/ج] لهفـي على مـن أطـار النـوم فامتنعا   وزاد قلبـي علـى أوجاعـه وجعـا/
كأنما الشـمس مـن[3] أعطافه لمعت   حسـنا، أوالبـدر مـن أزراره طلعا[4]
مسـتقبل بالذي يهـوى، وإن عظمت   منـه الإسـاءة، معـذور بمـا صنعـا
فـي وجهـه شـافع يمحـو إسـاءته   مـن القلوب وجيه حيث ما شـفعا[5]

حكي عن يعقوب بن عباد[6] الزبيري[7] أنه أنشد لإبراهيم بن المهدي وقد دخل على جارية فهام بها عشقا فسألها العطف عليه والرفق به، فقال يغنيها بهذه الأبيات وهي:

يـا غـــزالا إليـــــه   شـافـــع مـــن مقلتيـــه
والـــذي أكـــرمـــت   خديـــه فقبلـت يديـــه

(1) البيت ورد في مروج الذهب 5/ 180. الوفيات 6/ 199 والأغاني 14/ 163.
(2) هوالحكم بن محمد بن قنبر المازني البصري كان شاعرا ظريفا من شعراء الدولة الهاشمية كان يهاجي مسلم بن الوليد. انظر الأغاني 14/ 160.
(3) ج: في.
(4) ب: لمعا.
(5) الأبيات ذكرها المسعودي في مروج الذهب 5/ 180 كما وردت في الأغاني 14/ 163. ومصارع العشاق 2/ 183-184 والوفيات 6/ 199. والحكاية في المراجع نفسها.
(6) ذكره ابن السراج في مصارع العشاق 2/ 176.
(7) ب، ج، د، هـ: الزبيدي.

بأبي، وجهك ما أكثر حسادي عليه
أنا ضيف وجزاء الضيف إحسان إليه[1]

قال المعافى ويضارع هذه الأبيات ما أنشده إبراهيم بن عرفة[2] وهو قوله:

[المنسرح]

يا دائم الهجر والصدود ما فوق بلواي من مزيد
أصبحت عبدا، ولست ترعى وصية الله في العبيد[3]

حكى بعضهم[4] قال: بينما عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يطوف بالبيت إذ رأى امرأة تطوف وتنشد/ : [232/هـ]

[البسيط]

لا يقبل الله من معشوقة عملا يوما، وصاحبها غضبان مهجور
وكيف يأجرها في قتل عاشقها لكن عاشقها في ذاك مأجور[5]

فقال لها عبد الله: يا أمة الله! أيقال مثل هذا الكلام في مثل هذا الموقف؟ فقالت: يا فتى!/ ظريف أنت، ألست راوية الشعر؟ قال: فقلت لها: بلى. قالت: أفلم تسمع الشاعر يقول: [277/د]

أنس حرائر ما رمين بريبة كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام زوانيا ويصدهن عن الخنا الإسلام[6]

(1) الأبيات وردت في مصارع العشاق 2/ 66، 176.
(2) سبق ذكره.
(3) ذكره ابن السراج في مصارع العشاق 2/ 177.
(4) هو أبو عكرمة الضبي عن سليمان بن أبي الشيخ كما في مصارع العشاق.
(5) البيتان وردا في مصارع العشاق 2/ 177.
(6) البيتان وردا في المرجع السابق برواية: بيض غرائر.

ومما يستظرف قول الشاعر:

[الوافر]

وقائلة وقد[1] نظرت دموعي ... تفيض كأن فائضها غمام:

أراك شربت كأس الحب صرفا، ... فقد رُوِيَتْ بها منك العظام[2]

أفاق[3] العاشقون ولست تصحو، ... ونام الساهرون وما تنام

وصح[4] من الهوى مرضاه جمعا، ... فمالك ليس يبرحك السقام

[311/ج] فقلت لها ودمع العين هام ... له من فوق خدي انسجام:/

أقلي اللوم عن ظمآن صاد، ... يحوم، وقد أضر به الأوام[5]

[262/ب] أصم عن العواذل ليس يجدي ... وحقك فيه يا سعدى الملام[6]/

حكى أبو رمانة حاجب[7] عبد الملك بن مروان قال: كان عبد الملك يجلس في كل أسبوع يومين جلوسا عاما. قال: فبينما هوجالس في يوم من اليومين في مستشرف له وقد أدخلت عليه القصص، إذ وقع في يده قصة غير مترجمة، فيها يقول: إن رأى أمير المومنين أن يأمر جاريته فلانة أن تنشدني ثلاثة أصوات ويفعل بي بعد ذلك ما يشاء قال: فاستشاط غضبا ثم قال لحاجبه: علي بصاحب هذه القصة قال: فنادى مَنْ صاحب هذه القصة؟ فقال غلام كما تعذر بهيئة الفتيان، وأحسنهم ظرفا: أنا. فقال له عبد الملك: يا غلام! هذه قصتك؟ قال نعم. فقال له: [210/أ] وما الذي غرك مني؟ والله لأمثلن بك ولأردعَنَّ/ بك نظراءك من أهل الجسارة[8]،

(1) هـ: لقد.

(2) هـ: الفطام.

(3) أ، ب: أفاقوا.

(4) أ: وضح.

(5) صاد: اسم فاعل من الصدى وهو العطش. والأوام: العطش. اللسان: صيد، أوم.

(6) الأبيات من شعر ابن السراج، أوردها في مصارع العشاق 2/ 179.

(7) في مصارع العشاق: أبو ريحانة أحد حجاب عبد الملك بن مروان. انظر ج 2/ 101.

(8) الجسارة: من جسر يجسر، أي مضى ونفذ، والجسور: المقدام الشجاع. اللسان: جسر. وفي مصارع العشاق وردت الحكاية برواية: أهل الخسارة.

ثم قال: علي بالجارية فجيئ بها كأنها فلقة قمر وبيدها عود فوضع لها كرسي فجلست، فقال عبد الملك للغلام: مرها بما تريد، فقد أذنت لك في ذلك. فقال لها: غنيني بشعر قيس بن ذريح[1] وهو:

[الطويل]

لقد كنت حَسْب النفس لو دام وِدُّنا ... ولكنما الدنيا متاع غرور
وكنا جميعا قبل أن يظهر النوى ... بأنعم حالي بسطة متاع وسرور
فما برح الواشون حتى بدت ... لنا بطون الهوى مقلوبة لظهور[2]

قال: فغنته فخرج الغلام من جميع ما كان عليه من الثياب. قال: ثم قال له عبد الملك: مرها بما تريد، تغنيك الصوت الثاني، فقال لها: غنيني بشعر جميل وهو:

[الطويل]

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بواد القرى[3] إني إذا لسعيد/ [378/د][233/هـ]
إذا قلت: ما بي يا بثينة قاتل ... من الحب، قالت: ثابت وجديد
يموت الهوى مني إذا ما لقيتها ... ويحيى إذا فارقتها[4] ويعود[5]

قال: فغنت فسقط الغلام مغشيا عليه ساعة ثم أفاق فقال[6] له عبد الملك: مرها فلتغنيك بالصوت[7] الثالث فقال لها: غنيني بشعر قسي بن الملوح وهو:

---

(1) هو قيس بن ذريح بن سنة بن جذافة بن طريف، صاحب لبني بنت الحباب (ت 68هـ)، انظر ترجمته في الأغاني 8/ 112 وفوات الوفيات 3/ 204 والنجوم الزاهرة 1/ 182.

(2) الأبيات وردت في الديوان مختلفة الترتيب انظر ص:97 وفي الأغاني 8/ 123 .ومصارع العشاق 2/ 101-102.

(3) ب، ج، هـ: الغضا.

(4) أ: فرقتها.

(5) الأبيات وردت في الديوان: 65 ومصارع العشاق 2/ 102. والثالث في الأغاني 8/ 110 والثاني منها ورد في الوفيات 1/ 368.

(6) أ: ثم قال له.

(7) أ: بالصوت.

[الطويل]

وفـي الجيزة الغادين يـا هند لو تري، غـزال غضيـض المقلتيـن ربيـب[1]
فـلا تحسـبي أن الغريـب الـذي نأى ولكـن مـن تنأيـن عنـه غريـب[2]

قال: فغنته فألقى الغلام بنفسه من المستشرف فلم يصل إلى الأرض حتى تقطع. فقال عبد الملك: ويحه! لقد عجل على نفسه وقد كنت فاعلا به خيرا، ثم سأل عن الغلام فقالوا: غريب فأمر بتجهيزه كأحسن ما يكون ودفنه رحمه الله[3].

[312/ج] حكى/ أحمد بن عمرو بن عمر[4] الزهري عن أبيه قال: خرجت أطلب ضالة لي فأواني المبيت إلى خيمة عند أعرابي، فقلت له: هل من قرى؟ فقال: أنزل، فأتى بفراش ووسادة وأقبل يحدثني، ثم أتى بقرى فأكلت، ثم نمت، فبينما أنا بين النائم واليقظان، إذا بفتاة قد أقبلت لم أر مثلها جمالا وحسنا، فجعلت تحدث الأعرابي ويحدثها ليس غير ذلك، حتى طلع الفجر ثم انصرفت. فقلت: لا أبرح/ من [263/ب] موضعي هذا حتى أعرف خبر الجارية والأعرابي. قال: فمضيت في طلب ضالتي يومي، ثم أتيته عند المبيت فأتاني بقِرىً، فبينما أنا أيضا بين النائم واليقظان، وقد أبطأت الجارية عن وقتها، وقد قلق الأعرابي فهويذهب ويجيء وهويقول:

[البسيط]

مـا بـال ميـة لا تأتـي كعادتهـا أصدهـا ملـل أم عاقهـا شـغل
لكـن قلبـي عنهـا ليـس يشـغله حتـى الممـات، ومالي غيرهـا، أمل
لوتعلميـن الـذي بـي مـن فراقكـم لمـا اعتـذرت ولا طابت لـك العلل

(1) الربيب من الغنم: التي يربيها الناس لألبانها وتعلق ولا تسام. اللسان: ربب. ورواية البيت من الديوان: وفي الجيرة الغادين من بطن وجرة

(2) البيتان من الديوان: 61 ومصارع العشاق 2/ 102.

(3) الحكاية وردت في مصارع العشاق 2/ 102.

(4) في مصارع العشاق: أحمد بن عمر الزهري.

نفسي فداؤك قد أحللت بي سقما … تكاد من حره الأعضاء تشتعل
لو أن ما بي وما ألقى على جبل … لهار[1] وانهد من أركانه الجبل[2]

قال: فأتاني فأنبهني ثم قال: إن خليلتي التي رأيت بالأمس قد أبطأت علي الليلة وبيني وبينها غيضة[3] فيها أسد، وليست ءامن عليها منه، فلاحظ المكان حتى أذهب وأعلم علمها، ثم مضى وأبطأ قليلا، ثم جاء بها يحملها وإذا بالأسد قد أصابها فبكى بكاء شديدا ثم أقبل علي وقال: هذه ابنة عمي كانت[4] من أحب الناس إلي فمنعني أبوها أن أتزوج بها وزوجها من رجل آخر من أهل هذه الأبيات فخرجت من مالي كله ورضيت بالمقام هنا على ما ترى، وكانت إذا وجدت خلوة أوغفلة أتتني فحدثتني كما رأيت ليس/ شيء غيره، وقد آليت على نفسي أن لا [211/أ] أعيش بعدها/ وأسألك بالحرمة التي جرت بيني وبينك إذا مت فالففني أنا وإياها [279/د] في هذا الثوب وادفنا في مكاننا هذا، واكتب على قبرنا هذين[5] البيتين:

[البسيط]

كنا على ظهرها والدهر مسعدنا … والعيش يجمعنا والدار والوطن/ [234/هـ]
فشتت الدهر بالتفريق ألفتنا … فاليوم يجمعنا في بطنها الكفن[6]

قال: ثم اتكأ على سيفه فخرج من ظهره فسقط ميتا فلففتها في الثوب وحفرت لهما ودفنتهما في قبر واحد وكتبت عليه الشعر كما أمرني رحمه الله[7].

(1) أ: لهال. د: لصار.

(2) الأبيات وردت في مصارع العشاق 2/ 105وتزيين الأسواق: 211 مع اختلاف قليل بين الروايتين.

(3) ساقطة من: ب. والغيضة: الأجة وهوالشجر الملتف، نقول غيض الأسد أي ألف الغيضة. اللسان: غيض.

(4) هـ: وكانت.

(5) أ: هذه.

(6) البيتان وردا في الموشي: 99 ومصارع العشاق 2/ 106. وتزيين الأسواق: 212.

(7) الحكاية وردت في المرجعة السابقة، والمستطرف 2/ 207 وقصص العرب 4/ 159.

[313/ج] حكى القاضي أبو الطيب قال: سمعب القاسم بن متوية يقول/ : رشق الجهان العلوي غلاما له بسهم وكان يحبه فقتله فقال فيه:

[الوافر]

فإن تك قد قُتِلْتَ بسهم رام وكانت قوسه سببا لحتفك
فكم يومٍ أدمت القتل فيه بقوسَيْ حاجبيك وسهم طرفك[1]

حُكي أن من علامات الحب، أن المحب إذا نظر إلى محبوبه حصل منه أمور منها: الإغضاء عند نظر محبوبه إليه، ورمقه بطرفه نحوالسماء، وإطراقه نحوالارض من مهابته، وحياؤه منه، وعظمته في صدره، واضطرابه إذا رآه أو سمع اسمه، واستدعاء معالم اسمه، واستلذاذ الكلام في أخباره، ومحبة محبوبه وأقاربه وغلمانه وجيرانه ومن ساكنه، وكثرة غيرته، ومحبة القتل والموت ليبلغ رضاه، والإنصات لحديثه إذا حدث، واستغراب كل ما يأتي به ولو أنه محال، وتصديقه وإن كذب، وموافقته وإن ظلم، والشهادة له وإن جار، واتباعه كيف سلك، والإسراع بالسير [264/ب] نحو المكان الذي هو فيه، والتعمد للقعود[2] بقربه والدنومنه، واطراح/ الأشغال الشاغلة عنه، والزهد فيها والرغبة عنها، والاستهانة[3] بكل خطب جليل داع إلى مفارقته، والتباطئ في المشي عن القيام عنه، وجوده له بكل ما يقدر عليه مما كان يمتنع به قبل ذلك، وفرحه بذلك حتى كأنه هوالموهوب له، وسؤاله له[4] وتضرعه بين يديه، وبذل نفسه دونه لأجله، والتضايق في المكان الواسع والمحاربة على الشيء يأخذه منه أحد، وكثرة الغم الخفي، والميل والتعمد للمس اليد عند المحادثة، ولمس ما أمكن من ظاهر أعطائه، وشرب ما يبقى في الإناء، وتقبيل

(1) البيتان وردا مع الحكاية في "أحسن ما سمعت" للثعالبي: 76.
(2) أ: المفقود.
(3) هـ: الإستبانة.
(4) ساقطة من: ب، د.

نعله في غيبته، وتقبيل جدار داره وكثرة التثاؤب والتمطي والكسل إذا رأى محبوبه، ونكته في الأرض بإبهام رجله، وهذا كثيرا ما يقع للنساء، وتعض شفتها السفلى، وإظهار محاسنها لمن تهواه، وتوهم بذلك أنها تريد بعض أهلها ونظرها إلى أعطافها، ووضعها الحديث في غير موضعه من باب إياك عني واسمعي ياجارة! ومنها الإنقياد للمحبوب في جميع ما يختاره من خير وشر، وتعلمه ما يحب محبوبه لينفق ذلك عنده ويحظى به لديه، ومن هذا القبيل/ ما لا يحد ولا يوصف. [280/د]

حُكي أن الصاحب بدر الدين وزير اليمن كان له أخ شاب بديع الجمال أحسن أهل زمانه، فضمه إلى شيخ من أهل العلم والورع والخير يعلمه، وأسكنه بالقرب منه في مكان يأتي إليه يعلمه، فتعلق الشيخ به فعشقه وزاد به كلفه وصبابته، وكان أخو/ الوزير ينام بجانب الوزير بدر الدين المذكور، فقال الشيخ يوما للشاب: [314/ج] أريد أن أخلومعك ليلة من الليالي نتراضع كأس المدام، وأشكوإليك ما عندي فيك من الغرام، فقال الشاب: ما حيلتي لا أقدر على ذلك، فإني أنام بجانب أخي؟ فقال الشيخ: داري بجوار دارك فإذا قام الوزير نصبت لك سلما تصعد عليه وتنام عندي حتى إذا كان السحر ذهبت وإن ارتاب في غيبتك تعللت عليه ببعض العلل/ فقال: نعم، فذهب الشيخ فأعد مقاما مشتملا على التحف [235/هـ] والظرف فلما أقبل الليل وأخذ الوزير مضجعه/ نام أخوه بالقرب منه فلما استغرق [212/أ] في النوم قام الشاب فوجد السلم منصوبا فصعد ونزل وأخذا في المنادمة ودارت بينهما كؤوس الراح وكانت ليلة البدر، اتفاقا، فأخذ الشيخ العود وكان له معرفة به، فبينما هما على تلك الحال إذ[1] انتبه الوزير فلم يجد أخاه فأخذ يلتمس الدار فلم يجده إذ سمع هينمة [فنحى نحوها][2] فتسور الجدار فرأى الشيخ والشاب على ما هما عليه واتفق أنه كان ينشد على عوده:

(1) ساقطة من: ب، ج، د، هـ.

(2) ما بين معقوفين ساقط من: ب، د.

[الوافر]

سقاني خمرة من ريق فيه ... وحيا بالعذار ما يليه[1]
وبات معانقي خدا لخد ... غزال في الأنام بلا شبيه
وبات البدر مطلعا علينا ... سلوه هل ينم[2] على أخيه[3]

قال: فكان من ظرف الصاحب أن قال: والله لا أنم عليكما وتركهما ومضى.

حكى سهل بن سعد الساعدي[4] قال بينما أنا في الشام إذ لقيني رجل من أصحابي فقال لي: هل لك في عيادة جميل صاحب بثينة فإنه مريض؟ فقلت: نعم. فدخلنا عليه فوجدناه ملقى على فراشه يعالج سكرات الموت والمصحف عند رأسه وديوانه عند رجليه/ فسلمنا عليه فقال لي: يا بن سعد! ما تقول في رجل لم يزن قط، ولم يشرب خمرا قط ولم يسفك دما حراما خرج من الدنيا يشهد أن لا إلاه إلا الله وأن محمدا رسول الله وهو على ذلك منذ خمسين سنة؟ فقلت: من هذا؟ أظنه قد نجا، وفهمت أنه يعني نفسه، فقلت له أمر عجيب، ما أظنك سلمت وأنت تشبب لبثينة منذ عشرين سنة، فقال: إني في ءاخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة لا نالتني شفاعة رسول الله ﷺ إن كنت وضعت يدي عليها أومددتها إليها لريبة، إنما كان مني إذا اشتد علي حبها أن أضع يدها على قلبي فيستريح قال: ثم أغمي عليه فقلنا فارق الدنيا، ثم أفاق بعد ساعة وقال منشدا: [265/ب]

[الكامل]

قومي بثينة واندبي لجميل ... وابكي عليه دون كل خليل/ [315/ج][281/د]
فلقد قضيت وما قضيت لبانتي ... خوف الجحيم وما شفيت غليل

(1) العذار: استواء شعر الغلام. اللسان: عذب.

(2) النم: تزيين الكلام بالكذب والفعل نم ينم. اللسان: نمم.

(3) الأبيات وردت مع الحكاية في "ثمرات الأوراق" 2/ 217 مع اختلاف واضح في الرواية.

(4) سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن تكلمة بن حارثة الأنصاري الساعدي من مشاهير الصحابة، يقال إن النبي ﷺ غيَّر اسمه (ت 91هـ). انظر الإصابة 2/ 88.

ولطال ما جررت في أم القرى[1] بردين بين مزارع ونخيل
متضرعا متشفعا بحبيبه ونبيه المختار خير رسول[2]

قال: ثم تلجلج لسانه فلم ندر ما يقول ثم أغمي عليه ففارق الدنيا رحمه الله[3].

حكى صالح بن مخلد قال: كنت في أيام المنتصر فحضرت يوما عنده وعنده جماعة من ندمائه فقال لهم المنتصر: أي شيء أعظم عند النفس فقدا وهي له أشد تفجعا؟ فقال كبيرهم والمقدم عليهم: فقد المحبوب إذا غلب الهوى، وفطام النفس عن الصبا، فقال المنتصر: ولم؟ فقال: لأن العاشق مسكين، كل شيء عدوه. هبوب الريح يقلقه. ولمعان البرق يؤرقه. والعذل يولهه. والبعد ينحله. والقرب يهيجه والتذكر[4] يسقمه. والليل يضاعف بلاءه. والرقاد يهرب منه/. ورسوم الدار [236/هـ] تحزنه. والوقوف على[5] الأطلال يبكيه. ولقد تداوت العشاق بالقرب والبعد فلم ينجع فيهم دواؤه. ولا هداهم عزاؤه. ولا هناهم عداؤه. ولقد أحسن القائل في ذلك:

[الطويل]

وقد زعموا أن المحب إذا دنا يمل وأن النأي يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا، على أن قرب الدار خير من البعد
على أن قرب الدار ليس بنافع إذا كان من تهواه ليس بذي ود

(1) أم القرى: من أسماء مكة، وسميت بذلك لأنها أقدم القرى التي في جزيرة العرب. معجم البلدان: أم القرى.

(2) الأبيات وردت في الديوان: 183 برواية مختلفة. والموشي: 71، وفي مصارع العشاق 1/ 311 ورد منها بيتان برواية مختلفة، ووردت في تزيين الأسواق 1/ 46.

(3) الحكاية وردت في المراجع السابقة.

(4) أ: التذعر.

(5) د: عن.

حُكي أن مالك بن الصباح أخبر بسنده إلى النعمان بن بشير[1] قال: بعثني عثمان ابن عفان، رضي الله عنه،/ في بعض مهماته، فمررت على حي من أحياء العرب [1/213] وإذا بيت شعر منحاز عن البيوت، فملت إليه، فإذا بشاب نائم في البيت ووجهه كالقمر في غاية الجمال مع ما فيه من الضعف وتغير الحال، وإذا عجوز جالسة في جانب البيت، فلما رآني الفتى جعل يترنم بصوت ضعيف ما طرق سمعي أحسن منه ولا أشجى، وهو يقول:

[الطويل]

كأن قطاة علقت بجناحها ... على كبدي من شدة الخفقان

[266/ب] جعلت لعراف اليمامة حكمه ... وعراف نجد إن هما شفياني/

فقالا: نعم تشفى من الداء كله ... وقاما مع العواد يبتدران[2]

وقالا جميعا لي: متى كنت هكذا؟ ... ليستخبراني، قلت: منذ زمان

[316/ج] فما تركا من رقية يعلمانها ... ولا شربة إلا بها سقياني/

وما بي من عفرا مقيم بحاله ... وقد يئسا مني وما نفعان

فقالا: شفاك الله والله ما لنا ... بما حملت منك الضلوع يدان

[282/د] فلهفي على عفراء لهفا كأنه ... على النحر والأحشاء حد سنان/

فعفراء أحظى الناس عندي مودة ... وعفراء عني المعرض المتوان

ألا قبح الله الوشاة وقولهم ... فلانة أضحت خلة لفلان[3]

قال: ثم شهق شهقة خفيفة فإذا هو قد مات، فقلت للعجوز: ما أظن هذا الفتى إلا مات، فقالت: وانا أظن ذلك، فقامت فنظرت في وجهه وبكت بكاء شديدا

(1) سبق ذكره.

(2) العواد: جمع عائد وهو الذي يعود المريض في مرضه. اللسان: عود.

(3) القصيدة وردت متفرقة في الأغاني 24/ 130. سبقت الإشارة إلى البيتين الأولين منها.

وقالت: لا حول ولا قوة إلا بالله [العلي العظيم][1]، فاضت نفسه، فقلت لها: من[2] أنت ومن هذا الفتى؟ فقالت[3]: هذا عروة بن حزام[4] وأنا أمه، والله ما سمعته ولا سمعت منه كلاما [منذ سنة][5] إلا في صدر هذا اليوم فإني سمعته يقول:

[البسيط]

مـن كان مـن أمهاتـي باكيـا أبـدا فليبـك إنـي أرانـي اليـوم مقبوضا[6]

قال: فأقمت عنده حتى شهدت غسله وكفنه والصلاة عليه ودفنه، ثم مَرَّ رَكْبٌ بقبره فعرفوه فلما انتهوا إلى منزل عفراء، صاح صائح منهم وقال:

[الطويل]

أربـة هـذا القصـر قـد مـات عاشـق بكـم كمـدا ذولوعـة وغـرام

قال: فلما سمعته عفراء فهمت مراده فأشرفت عليهم وقالت:

ألا أيهـا الركـب المجـدون ويحكم بهـذا عنيتـم عـروة بـن حـزام[7]/ [237/هـ]

قال: فأجابها رجل من القوم فقال:

[الطويل]

نعـم تركنـاه بـأرض بعيـدة مقيمـا بهـا فـي سبسـب وآكام

قال: فقالت عفراء منشدة في الحال:

---

(1) ما بين معقوفين ساقط من: ب، ج، د، هـ.
(2) ساقطة من: ب، ج، هـ.
(3) هـ: فقال.
(4) سبق ذكره.
(5) ما بين معقوفين زيادة من: هـ.
(6) البيت ورد في الأغاني 24/ 135 ومصارع العشاق 1/ 317.
(7) ورد هذا البيت في الأغاني 24/ 131 وفي مصارع العشاق 1/ 320.

فإن كان حقا ما تقولون فاعلموا ... بأن قد نعيتم بدر كل ظلام
فلا لقي الفتيان بعده لذة ... ولا رجعوا من غيبة بسلام
ولا حملت انثى ولا طاب عيشها ... ولا فرحت من بعده بغلام
وأنتم فلا بلغتم ما أردتم ... ونغصتم لذات كل طعام
لقد رعتم قلبي فحانت منيتي ... وشردتم عن مقلتي منامي[1]

ثم سألتهم أين دفنوه فأخبروها، فركبت وسارت إلى قبره فلما قاربته قالت: انزلوني فأنزلوها فجاءت إلى قبره فسلمت عليه وأكبت على القبر مما راعهم إلا أن [267/ب][214/أ] طالت فحركوها/ فإذا هي ميتة/ فدفنوها إلى جانبه رحمها الله[2].

[317/ج] حُكي/ أن الحجاج بن سابق النجدي قال: خرجت إلى أرض بني عامر للقاء المجنون وإذا أبوه شيخ كبير وإذا له إخوة رجال فسألت أباه عنه فقال: كان والله أعز إخوته علي ولكنه عشق امرأة من قومه فلما فشى ذلك بينهما [ووصل الخبر][3] [283/د] إلى أبيها، أبى/ [أبوها][4] أن يزوجها منه وزوجها من غيره، فاشتد جنونه فهام وخرج إلى البرية فارا ولم يأنس بأحد فأخبرت أن فتى من فتيان العرب يأنس به، فأتيته وقلت له: حدثني عنه قال: لما رآني نفر مني، وكاد يرميني بحجارة معه، فقربت منه مستأنسا به، فسكت، ثم قال لي: أترَوي[5] شيئا لقيس بن ذريح[6] فقلت له: نعم. فقال: أنشدنيه، فقلت:

---

(1) البيتان 2 و3 وردا في الأغاني مع الأبيات المنسوبة إلى عفراء في معرض خبر عروة بن حزام. انظر الجزء 24/ 131.

(2) حكاية عروة بن حزام مع عفراء، وردت في الأغاني 24/ 143 ومصارع العشاق 1/ 317، والموشي: 87. وتزيين الأسواق 1/ 84.

(3) ما بين معقوفين ساقط من: ب، ج، د، هـ.

(4) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(5) د: أتروني.

(6) سبق ذكره.

[الطويل]

وإني لمفن دمع عيني بالبكا حذار لما قد كان أو هو كائن
وقالوا غدا أو بعد ذالك بليلة فراق حبيب لم يبن وهو بائن[1]

قال: فبكى والله حتى سالت دموعه، ثم قال: أنا والله أشعر منه، فقلت له: وما قلت من شعرك؟ فقال:

[الطويل]

أبى القلب إلا حبا عامرية لها كنية عمروو ليس لها عمرو
تكاد يدي تندى إذا ما لمستها وينبت في أطرافها الورق الخضر
عجبت لسعي الدهر وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
فيا حبها زدني جوى كل ليلة وياسلوتي سحقا فموعدك الحشر[2]

قال: ثم مر ذاهبا فلما كان من الغد أتيته وفعلت فعلي بالأمس، فأنس بي ثم قلت له والله أحسن قيس بن ذريح حيث يقول: فقال: وماذا قال؟ فقلت: قال:

[الطويل]

وإني امرؤ إن تحسنوا أنا شاكر لذاك وإلا تحسنوا أنا صافحْ
وإن يك قوم قد أشاروا بهجرنا فإن الذي بيني وبينك صالحْ[3]

قال: ثم سنحت ظباء فذهب في أثرها، ثم عدت اليوم الثالث فلم أره، ثم رأيته بعد ذلك ميتا في بعض الأودية، رحمه الله تعالى.

---

(1) البيتان وردا في الديوان: 262 برواية: بان أو هو بائن، و"الأغاني" 9/ 216، و"الفرج بعد الشدة" للتنوخي 4/ 388.

(2) ورد الأول والثاني منها في الأغاني 2/ 1.

(3) البيتان لم يردا في الديوان.

[238/هـ] حُكي أن شابين كانا ملازمين لبعض مجالس الوعظ/ وكانا لا يفترقان، فجاء بعض[1] المجالس[2] واحد منهما ولم يحضر الثاني، وعليه آثار المذلة والانكسار، ثم حضر أحدهما وبيده رقعة فرماها في المجلس وهو مستحي، فأخذها صاحب المجلس[3] فإذا فيها:

[الطويل]

عفا الله عن عبد أعان بدعوة ... لخلين[4] كانا دائمين على الود

إلى أن وشى واشي الهوى بنميمة ... إلى ذاك من هذا فحالا عن العهد

قال: فدعا صاحب المجلس لهما وأمن الحاضرون على دعائه. قال: فرأيتهما بعد [318/ج] ذلك/ وهما مصطحبان إلى أن اكتملا رحمهما الله.

حكى الخالدي في الديارات[5] بإسناد عن أبي بكر الصنوبري[6] قال كان بمدينة الرُّهَا[7] وراق يقال له: سعد، وكان يجلس في دكانه كل أديب، وكان حسن الفهم [268/ب] والأدب، وله شعر رقيق، فما كنا نفارقه ولا نفارق/ دكانه ولا جماعة من الشعراء من أهل الشام ومصر، وكان يحضر معنا شاب نصراني اسمه عيسى من أولاد تجار الرهاء، وكان من أحسن الناس وجها وشكلا ومنطقا يكتب من أشعارنا، وكنا [284/د] نحبه جميعا لظرفه وحسن لطفه فتعشقه سعد الوراق وعمل فيه الأشعار،/ فمن ذلك، وقد جلس معنا يكتب يوما من الأيام فقال له سعد:

(1) هـ: فجاءه.

(2) أ: فحضر واحد منها.

(3) ساقطة من: ج.

(4) أ: لخلين.

(5) الديارات لخالد والأصبهاني ذكره كشف الظنون 1/ 762.

(6) محمد بن أحمد بن محمد بن مراد أبوبكر الضبي الصنوبري الحنبلي. انظر البداية والنهاية 11/ 19.

(7) الرها، وهي مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام. انظر معجم البلدان: الرهاء.

[البسيط]

اجعل فؤادي دواة والمداد دمي وهاك فابر عظامي موضع القلم
وصير اللوم وجهي ان ذاك يا معذبي فيه برئ لي من السقم[1]

قال: ثم إن عيسى المذكور رغب في الترهب وهو في غاية الحسن والجمال فتبعه سعد الوراق/ ولزم معه الدير فنهاه الرهبان عن ذلك، وأخرجوه من الدير فكان [1/215] لا يزال حول الدير عريانا. قال الراوي فرأيته يوما بجانب الدير فرأى جماعة فوق الدير فقال: منذ الغداة وأنا أناشد هذه الحمامة تقول أبياتا عملتها لعيسى ثم أنشأ يقول:

[الوافر]

بدينك يا حمامة دير زكي وبالإنجيل عندك والصليب
قفي وتحملي مني سلاما إلى قمر على غصن رطيب
حماه جماعة الرهبان عينك فقلبي ما يقر[2] من الوجيب[3]
وقالوا: ما نرى إلمام سعد فلا والله ما أنا بالمريب
وقولي: سعدك المسكين يشكو لهيب جوى أحر من اللهيب
[فصله بنظرة لك من بعيد إذا ما كنت تمنع من قريب[4]][5]
وإن انا مت فاكتب فوق قبري محب مات من هجر الحبيب[6]

قال: فلم يزل حول الدير إلى أن وجد تحته[7] ميتا فاتهم به المسلمون النصارى

(1) البيتان وردا في معجم الأدباء 4/ 117 وتزيين الأسواق 2/ 16.
(2) أ: يفر.
(3) الوجيب: الخفقان والإضطراب. اللسان: وجب.
(4) أ: رقيب.
(5) ما بين معقوفتين ساقط من: ج.
(6) الأبيات وردت في معجم الأدباء 4/ 120-121.
(7) أ، ج، هـ: تحت الدير.

بأنهم قتلوه فافتدوه بمائة ألف دينار وزنوها لصاحب[1] البلد.

حكى الرقاشي[2] عن بعضهم قال: كان لي صديق وكان يهوى ابنة عمه وكانت أيضا محبة له كان عمه يحجبها عنه ثم مرض عمه فكان يعوده ويشتفي بالنظر إليها فقال:

[البسيط]

لا مات عمي ولا عوفي من وجع — وعاش ما عاش بين اليأس والطمع
[239/هـ] أبكي من الخوف أن يبرأ فيحجبها — ولست أبكي على عمي من الجزع[3]/

قال: ثم بعد ذلك زوجها أبوها فجاءني الفتى فودعني وقال: هذا وداع لا تلاقي بعده أبدا، فناشدته فإذا الجزع قد حال دون فهمه. فقلت: وأين تذهب؟ [319/ج] فقال أذهب ما وجدت/ أرضا، فذهب وكان ءاخر العهد به، وماتت الجارية بعده حزنا عليه رحمها الله تعالى[4].

حكى ذو النون المصري[5] قال: بينما أنا على ساحل البحر أسمع صوتا من جارية جميلة الصورة ناحلة ذابلة، عليها خمار من شعر فدنوت منها لأسمع ما تقول، فرأيتها كثيرة الهموم، متواصلة الأحزان والغموم، فلما عصفت الرياح [269/ب][285/د] واضطربت/ الأمواج وظهرت الحيتان صرخت بأعلى صوتها ثم سقطت/ إلى الأرض، فلما أفاقت قالت: يا سيدي! إليك يتقرب المتقربون في الفلوات، ولعظمتك سبحت الحيتان في البحار الزاخرات، ولجلالك قدست الأمواج

(1) الحكاية وردت في معجم الأدباء 4/ 116، والديارات الشابشتي: 244.

(2) لعله أراد الرياشي كما ورد في مصارع العشاق. وهو أبو الفضل بن الفرج الرياشي راوية ثقة عارفا بأيام العرب قتل سنة 265هـ. انظر ترجمته في الوفيات 3/ 27.

(3) البيتان وردا في مصارع العشاق 2/ 77.

(4) الحكاية وردت في مصارع العشاق 2/ 76-77.

(5) أبو الفضل ثوبان بن إبراهيم المصري المعروف بذي النون كان أوحد زمانه علما وورعا وحالا وأدبا، توفي حوالي 245هـ. انظر ترجمته في تاريخ بغداد 8/ 393 والوفيات 1/ 315.

المتلاطمات، أنت الذي سجد لك سواد الليل وبياض النهار، والفلك الدائر[1] والبحر الزاخر[2]، والنجم الزاهر وكل شيء عندك بمقدار، أنت[3] العلي الغفار قال[4]: ثم أنشدت تقول:

[الكامل]

يا مؤنس الأبرار في خلواتهم يا خير من حطت به النزال
من ذاق حبك لا يزال متيما قرح الفؤاد وحشوه بلبال[5]

قال: ثم شهقت شهقة فإذا هي ميتة فبقيت متعجبا وإذا بنسوة أقبلن فاحتملنها وغبن عني بها رحمها الله تعالى[6].

حكى أحمد بن محمد الغنوي قال: دخلت الكوفة فجاء ظرفاؤها وقالوا لي: هنا فتيان قد تحابا وقد اعتل أحدهما ونحن ذاهبون نعوده مع حبيبه هذا، فدخلنا على المريض ومحبه الصحيح بجانبي، فلما جلسنا حول المريض قال المريض: ءاه فقال الصحيح: آه! فقال العليل: آه من فخذي! فقال الصحيح: آه من فخذي! فقال العليل آه من قلبي فقال الصحيح آه! من قلبي!، فمات العليل فشدوا لثامه، ومات الصحيح فشددت لثامه وما برحنا حتى دفناهما رحمهما الله[7].

(1) ب، ج، د، هـ: الدوار.
(2) ب، ج، د، هـ: الرخاء.
(3) ج، هـ: إنك.
(4) ساقطة من: د.
(5) البيتان وردا في مصارع العشاق 1/ 274.
(6) الحكاية وردت في المرجع السابق.
(7) الحكاية وردت في ديوان الصبابة 2/ 77 بهامش تزيين الأسواق.

الباب السابع عشر

في أخبار الحسان من الجواري والقيان

حُكي أن جارية من جواري المأمون كانت تدعى عريبا[1]، بفتح العين المهملة، وكسر الراء وبالباء الموحدة. وكانت/ بارعة في الحسن كاملة الظرف حاذقة في [216/أ] الغناء وقول الشعر معدومة المثل، اشتراها المعتصم بمائة ألف درهم وأعتقها، وكانت من جواري المأمون وكان[2] شديد الكلف بها أنشد المأمون في بعض الأيام مداعبا لها:

[الوافر]

أنا المأمون والملك الهمام	على أني بحبك مستهام/ [320/ج]
أترضي أن أموت عليك وجدا	ويبقى الناس ليس لهم إمام[3]

فقالت له: يا أمير المومنين! والدك الرشيد كان أعشق منك حيث قال:

[البسيط]

ملك الثلاث الآنسات عناني	وحللن من قلبي بكل مكان
مالي تطاوعني البرية كلها	وأطيعهن وهن في عصياني/ [240/هـ]
ما ذاك إلا أن سلطان الهوى،	وبه قوين، أعز من سلطاني[4]

---

(1) عريب المأمونية، شاعرة مغنية أديبة عالمة بصنعة الغناء والضرب على العود، اعجب بها المأمون فقربها حتى نسبت إليه. انظر الأغاني 21/ 61 ونزهة الجليس 1/ 300. أعلام النساء 3/ 261.

(2) ساقطة من: د.

(3) البيتان وردا في فوات الوفيات 2/ 239 والسكردان: 401 وديوان الصبابة.

(4) الأبيات وردت في ديوان العباس بن الأحنف: 279 وفي تاريخ بغداد 1 12/ 4 والأغاني 16/ 269. وفوات الوفيات 4/ 226. والسكردان: 401 وجذوة المقتبس: 21. والكشكول: 382.

لأنه قدم جواريه في شعره على نفسه، وأنت قدمت نفسك على من زعمت أنك تهواه، فقال لها: صدقت إلا أني منفرد بحبك، وحب والدي مفرق بين ثلاث فقالت: [1] أعرفهن، أما الواحدة فهي فلانة وهي التي كانت المقصودة بحبه، وأما الباقيتان فإنها كانتا محبوبتان لها فأحبها لأجلها وقربها بسببها كما قال:/ [270/ب]

[الطويل]

[286/د] أحب بني العوام من أجل حبها ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا/

حكى أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني أن دنانير[2] جارية يحيى بن خالد البرمكي كانت مولدة من أحسن النساء وجها وأظرفهن وأكملهن أدبا وأكثرهن رواية للشعر وضروب الغناء فلما جرى للبرامكة ما جرى من إيقاع الرشيد بهم حين نكبتهم أحضرها الرشيد وأمرها أن تغني فقالت: آليت على نفسي ألا أغني بعد سيدي فغضب الرشيد وأمر بصفعها ثم أعطيت العود فاندفعت تغني وهي تبكي أحر بكاء:

[المنسرح]

يا دار سلمى بنازح السند بين الثنايا ومسقط اللبد
لما رأيت الديار قد درست أيقنت أن النعيم لم يعد[3]

فرق لها الرشيد وأمر بإطلاقها فانصرفت وهي تبكي، وكان مولاها يتصدق عنها في كل يوم من شهر رمضان بألف درهم، لأنها كانت لا تصومه لأنها كان[4]

(1) ساقطة من: د.

(2) مغنية كبيرة من مغنيات العصر العباسي اشتراها يحيى البرمكي من أحد أهل المدينة. اعجب بها الرشيد وأمرها بالغناء بعد نكبة البرامكة فأبت وبقيت على حالها حتى توفيت. انظر الأغاني 18/ 70 أعلام النساء 1/ 417.

(3) البيتان وردا في الأغاني 18/ 74 والكردان: 402 وأعلام النساء 1/ 418.

(4) لعل الصواب: كانت.

بها العلة الكلبية، فكانت لا تصبر عن الطعام ساعة واحدة، ووجد على حائط بخطها ما صورته «النيك أربعة: الأول شهوة والثاني لذة، والثالث شفاء، والرابع داء، وحر إلى أيرين[1] أحوج من أير إلى حرين، وكتبته دنانير جارية البرامكة[2].

حُكي أن نسيم[3] الهاشمية[4] كانت من أحسن النساء وجها وأدبا وغناء من مولدات البصرة، اشتراها علي بن هشام وحظيت عنده فاتفق أنها غضبت عليه فتمادت عليه في غضبها فترضاها فلم ترض فكتب إليها يقول: الإدلال[5] يدعو إلى الملال[6]. ورب هجر يدعو إلى صبر. وإنما سمي القلب قلبا/ لتقلبه، وقد [321/ج] صدق عندي العباس بن الأحنف حيث يقول:

[الخفيف]

ما أراني إلا سأهجر من ليس يراني أقوى على الهجران
ملني واثقا بحسن وفائي ما أضر الوفاء بالإنسان[7]

فلما قرأت الرقعة خرجت إليه من وقتها ورضيت[8].

حُكي أن الوزير عامر كتب إلى هند المغربية[9] يستدعيها إلى مجلس أنس بعد قطيعة جرت بينهما يقول:

---

(1) الحر: بتخفيف الراء: هو الفرج، والأير: ذكر الرجل. انظر اللسان حرر، أير.

(2) الحكاية وردت في الأغاني 18/ 74 والسكردان: 402-403.

(3) لعل الصواب: متيم.

(4) متيم الهاشمية من مولدات البصرة وبها نشأت وتأدبت وغنت وأخذت عن إسحاق الموصلي، كانت من أحسن النساء وجها، انظر ترجمتها في الأغاني 7/ 312 وأعلام النساء 5/ 21.

(5) الإدلال: الانبساط. اللسان: دلل.

(6) د: هذا.

(7) البيتان وردا في الديوان: 207 الأغاني 7/ 318 الديارات: 28.

(8) الحكاية وردت في الأغاني 7/ 317.

(9) أديبة شاعرة جارية أبي محمد عبد الله بن مسلمة الشاطبي. انظر نفح الطيب 4/ 293، وأعلام النساء 5/ 252.

[الكامل]

يـا هنـد! هـل لـك فـي زيـارة فتيـة | نبذوا المحارم غير شـرب السلسـل
سـمعوا البلابـل إذ شـدت فتذكـروا | نغمـات عودك فـي الثقيـل الأول[1]

فلما وقفت على ذلك أتته بسرعة.

حكى المسعودي في شرح المقامات بسنده عن أيوب الوزان[2] قال: قال الفضل[3]: دخلت على الرشيد وبين يديه طبق ورد وعنده جارية مليحة أديبة [217/أ][241/هـ] شاعرة قد/ أهديت له فقال: يا فضل، قل في هذا شيئا يشبهه قال: فقلت/ :

[البسيط]

كأنـه خـد معشـوق يقبلـه | فـم المحب وقـد أبدى بـه خجلا[4]

[271/هـ] فقالت الجارية في الحال:/

[البسيط]

[287/د] كأنـه لـون خـدي حيـن تغمزنـي | يد الرشـيد لأمر يوجب الغسـلا[5]/

قال: فقال الرشيد: قم يا فضل، فإن هذه الفاجرة قد هيجت لي شيئا، قال: فقمت وأرخيت[6] الستور دوني[7].

حُكي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: لما أتينا بسبايا طيء لرسول

(1) البيتان وردا في نفح الطيب 4/ 293. وأعلام النساء: 5.
(2) ذكر أصحاب التراجم ولم يخصوه بنبذة عن حياته.
(3) الفضل بن يحيى البرمكي، سبق ذكره.
(4) البيت ورد في ثمرات الأوراق 2/ 225.
(5) البيت ورد في السكردان: 470. وثمرات الأوراق 2/ 225.
(6) د: وارتخت.
(7) الحكاية وردت في المرجعين السابقين.

الله ﷺ وكان في النساء جارية هيفاء سمراء كحلاء خميصة[1] الخصر[2] مليحة الكشح[3] مصقولة المتن، فلما رأيتها أعجبت بها، فلما تكلمت أنستني بحسن مقالها لما[4] رأيت من جمالها، فكان من كلامها أن قالت: يا محمد! مات الوالد، وغاب الوافد، فإن رأيت أن تخلي سبيلي ولا تشمت بي أحياء العرب فعلت، فإني ابنة سيد قومه، إن أبي كان يحمي الدمار، ويفك العاني[5]، ويشبع الجائع، ويكسوالعاري، ويفشي السلام، ولا يرد طالب حاجة أبدا، فقال رسول الله ﷺ: من أبوها؟ فقالوا: حاتم طيء. فقال ﷺ: لوكان أبوها حيا لترحمت عليه، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق[6].

حُكي أن حبابة كانت[7] من مولدات المدينة وكانت حلوة الخلقة جميلة الوجه ظريفة حسنة الغناء طيبة الصوت ضاربة بالعود وكانت تسمى العالية، فاشتراها يزيد بن عبد الملك بن مروان من سهل/ ابن حنيف[8] بأربعة آلاف دينار في خلافة [322/ج] أخيه سليمان بن عبد الملك فسماها حبابة وردها خوفا من أخيه وضجر عليه أخوه بسببها وتطلبه فهرب، فأرق ليلة وقال لأصحابه قوموا بنا نركب ونسمر في هذا

---

(1) أ: خصيصة.

(2) يقال امرأة خميصة البطن: أي ضامرة البطن. اللسان: خمص.

(3) الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف، وهومن لدن السرة إلى المتن. اللسان: كشح.

(4) ب، د: ما.

(5) العاني: هنا الأسير، وقيل هوالخاضع أوالعبد. اللسان: عنا.

(6) الحكاية وردت في السيرة 2/ 579 مع اختلاف الرواية.

(7) مغنية من أحسن الناس وجها وأكملهم عقلا، وأفضلهم أدبا، اشتراها يزيد بن عبد الملك فغلبت على عقله، ولم يُنتفع به في الخلافة بعد شرائها. انظر ترجمتها في الأغاني 15/ 122. أعلام النساء 1/ 282.

(8) هو سهل بن حنيف بن واهب بن الحكيم بن ثعلبة بن الحرث الأنصاري الأوسي ويكنى أبا سعد وأبا عبد الله. شهد بدرا والخندق (ت-38هـ). انظر ترجمته في الإصابة 2/ 87. والملاحظ أن سهلا هذا ليس من معاصري يزيد بن عبد الملك، والدليل أن أبا الفرج الأصفهاني لم يذكر سهيلا وإنما ذكر أن حبابة كانت لرجل يدعى ابن مينا، انظر الأغاني15: 122

القمر، فبينما هم يتحدثون في أمر سليمان إذا بخيل قد أقبلت، فقال: اللهم أعطنا خيرها فلما قربوا منه وأثبتوه معرفة[1] ترجلوا عن خيولهم وقبلوا الأرض بين يديه وأعلموه بموت أخيه وصيرورة[2] الخلافة إليه، فسار من حينه ودخل دمشق واستمر له الأمر، فقالت له زوجته يوما: هل بقي في نفسك من الدنيا شيء؟ قال: نعم. كنت اشتريت جارية من سهل بن حنيف فرددتها خوفا من أخي فأرسلت واشترت[3] حبابة وزينتها وأجلستها وراء ستر له، ثم قالت له: هل بقي في نفسك من الدنيا شيء؟ قال: أوما أعلمتك أنها حبابة؟ فرفعت الستر وقالت: ها أنت وحبابة، فخلا بها ولم ينتفع به في الخلافة [بعد ذلك فإنه][4] قال يوما: بلغني أن الناس يقولون: إن الدهر لا يصفو لأحد يوما واحدا وإني أريد أن أكذبهم في ذلك، فاختلى بحبابة وأمر أن يحجب عن سمعه وبصره كل ما يكره، فبينما هو كذلك إذ تناولت حبابة حبة رمان فغصت بها فماتت لوقتها فتكدر عيشه، وتنغص بسطه وذهب سروره، وأقامت أياما لا يدفنها، حتى نتنت ثم أمر بدفنها ثم أمر بنبشها من قبرها فلامه الناس في ذلك فقال: ما رأيتها أحسن من الآن وقال فيها:

[الطويل]

فإن تَسْـلُ عنك النفس أو تدع الهوى ... فباليـأس صبـري عنـك لا بالتجلـد

[288/د][272/ب] وكل خليـل زارنـي فهـو قائـل، ... أَجْلـك هـذا هالـك اليوم أوغـد[5]/

قال: ثم ضم جويرية كانت تخدمها، فكانت تخدمه وتؤنسه، فبينما هو يوما يدور في القصر، إذ قال لها: أتذكرين إذ كنا في هذا الموضع وحبابة تنشد وتقول/ : [242/هـ]

(1) عبارة: واثبتوا معرفته.

(2) أ: وصيره.

(3) ب، د، هـ: فاشترت.

(4) ما بين معقوفين ساقط من: د.

(5) البيتان في ديوان كثير: 435. الأغاني 15/ 140، وأعلام النساء 1/ 234.

كفى حزنا بالهائم الصب أن يرى　　　منازل من يهوى معطلة قفرى[1]

قال: ثم بكى ومات بعدها بخمسة عشر يوما بقين من شعبان سنة خمس ومائة، وله تسع وعشرون سنة، وكان سبب تأكد حبها عنده أنه أقبل يوما على البيت الذي هي فيه فقام من وراء الستر فسمعها تنشد/ : [218/أ]

[الخفيف]

كان لي يا يزيد حبك دينا　　　كاد يقضي علي حتى التقينا
يعلم الله أنكم إن نأيتم　　　أو قربتم أحب شيء إلينا/ [323/ج]

قال: فرفع الستر فوجدها مقبلة بوجهها إلى الجدار فعلم أنها لم تعلم به، فألقى في نفسه محبتها، وكان ذلك سبب حظوتها عنده. وقيل إنها لما حظيت عنده قالت له: إن لي أختا اسمها سلامة قرأت أنا وإياها الغناء على معبد[2] فأرسل فاشتراها وكانت سلامة أدرى بصناعة الغناء من حبابة، فلما سمعها قال: هذا اليوم أول خلافتي، ثم اشتغل بهما عن النظر في أمور الناس، فدخل عليه أخوه مسلمة فقال له: إنك قريب عهد بعمر بن عبد العزيز، وقد اشتغلت بهذه الإماء عن أحوال الناس فقال: بما صار عمر أرجى لربه مني، ثم أقبل على العبادة، فلما كان يوم الجمعة عمدت حبابة وسلامة فتزينتا بأحسن الزينة، ومستا أطيب الطيب، ثم وقفتا له في الطريق عند خروجه للجمعة، فلما وقع نظره[3] عليهما رأى منظرا عجيبا[4]، ومرأى عظيما يسلب الألباب، ثم تقدمت إليه سلامة فقالت تنشده:

(1) البيت ورد في الأغاني 15/ 142. وأعلام النساء 1/ 235.

(2) هو معبد بن وهب، أبو عباد المدني نابغة الغناء العربي في العصر الأموي (ت-126هـ). انظر ترجمته في الأغاني 1/ 36.

(3) د: منظره.

(4) د: عجبا.

[الطويل]

وما العيش إلا أن تلذ وتشتهي ... وإن لام فيه ذو الشنان وفندا[1]

إذا لم تكن تهوى ولم تدر ما الهوى ... فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا[2]

[فقالت][3] حبابة تنشده أيضا:

فقالت ألا يا ليت أسماء أنصفت ... وهل قول ليت جامع ما تبددا

وإني لأهواها على القرب والنوى ... كما يشتهي الصادي الشراب المبردا[4]

فقالت سلامة تنشده أيضا:

كريم قريش حين ينسب والذي ... أقرت له بالملك كهلا وأمردا

تردى بمجد من أبيه وجده ... وقد أورثا بيتين مجدا مشيدا[5]

فقالت حبابة تنشده أيضا:

فلو كان بذل الجود والمال مخلدا ... من الناس إنسانا كنت المخلدا

[289/د] فأقسم لا أنفك ما عشت شاكرا ... لنعماك ما ناح الحمام وغردا[6]/

[273/ب] قال: فطرب يزيد وقال لحاجبه: مر مسلمة أخي يصلي/ بالناس. قاله في الأغاني[7].

حُكي أن الرشيد سأل جعفر البرمكي عن جواريه فقال: كنت الليلة الماضية

---

(1) الشنان: لغة في الشنآن. اللسان: شنن.

(2) البيتان للأحوص. انظر شعر الأحوص: 8 - 99 والأغاني 15/ 129 وزهر الآداب 1/ 350.

(3) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(4) البيتان وردا في المصدر نفسه. والأغاني 15/ 130 وورد الثاني في زهر الآداب 1/ 351. والأغاني 1/ 33.

(5) انظر المصدر نفسه. والأغاني 15/ 131. وقد اختلفت رواية الأبيات بين النسخ والمصادر والمراجع لهذا أبقيت رواية النسخة «أ» بعد ضبط الوزن.

(6) البيتان وردا في ديوان الأحوص، 98 والأغاني 15/ 131.

(7) الحكاية وردت في الأغاني 15/ 119-142.

مضطجعا وعندي جاريتان تكبساني فتناومت[1] عنهما، وإحداهما مكية والأخرى مدنية، فعمدت المدنية بيدها إلى[2] ذلك الشيء فعبثت به فانتصب[3] قائما فوثبت المكية عليه، فقالت المدنية/ : أنا أحق به لأنني حدثت عن نافع عن ابن[4] عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ [أنه][5] قال: من أحيى أرضا ميتة/ فهي له[6]. فقالت المكية: وأنا حدثت عن معمر عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس الصيد لمن أثاره، إنما الصيد لمن اقتنصه»[7]. قال فضحك الرشيد وقال له: هل من سلوة عنهما يا جعفر؟ فقال له: هما ومولاهما لأمير المومنين وحملهما إليه.

[243/هـ]
[324/ج]

حكى المدائني قال: خرج زياد في فوارس فلقوا رجلا ومعه جارية في غاية الحسن والجمال، فقالوا له: خل عنها وكان معه قوس فرمى أحدهم بسهم فهابوا الإقدام عليه، فعاد ليرمي فانقطع الوتر فهجموا عليه فهرب واشتغلوا بها عنه، فمد بعضهم يده إلى أذنها وكان بها درة فقالت: وما قدر هذه؟ لورأيتم التي في قلنسوته[8] لاحتقرتم هذه، فنادوه: ألق ما في القلنسوة وكان بها وتر قد نسيه من الدهش فركبه ورمى عليهم فتركوا الجارية وولوا هاربين[9].

حكى بعض العرب قال: خرجت في بعض الليالي السود فإذا بجارية من

(1) تُلبسانه: أي تغطيانه. اللسان: كبس.
(2) ب، د: على.
(3) أ: فانصب.
(4) ا: أبي.
(5) زيادة من: ب، ج، د، هـ.
(6) الحديث ورد في الموطأ: 614.
(7) الحديث ورد في لطائف اللطف: 100.
(8) القلنسوة: نوع من ملابس الرأس.
(9) الحكاية وردت في ثمرات الأوراق: 184.

[219/ب] بنات/ العرب يضيء وجهها في الظلام كأنه فلقة قمر، قال: فراودتها عن نفسها فامتنعت وقالت: أما لك زاجر من عقل إن لم يكن لك ناه من دين؟ قال: فأخجلتني بكلامها فقلت لها: إنما كنت مازحا. فقالت، عجلة غير خجلة ولا متوقفة، هذا الشعر:

[الطويل]

فإياك إياك المزاح فإنه ... يطمع فيك البر والفاجر النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه ... ويورث، بعد العز، صاحبه ذلا[1]

قال: فكأنما ألقمتني حجرا فتركتها عجلا وانصرفت عنها خجلا[2].

حُكي أن الرشيد كانت له جارية اسمها مارية[3] وكانت أيضا تحبه فغضب عليها وتجنبها فأمر جعفر بن يحيى العباس بن الأحنف أن يقول في ذلك شعرا فقاله[4] ودفعه إلى إبراهيم الموصلي ليغنيه للرشيد وهو[5]:

[الكامل]

راجع أحبتك الذين هجرتهم ... إن المتيم قلما يتجنب
إن التقاطع إن تطاول منكما ... دب السُّلُوُّ لَهُ وعز المطلب[6]

(1) البيتان وردا في الموشي: 21 وغرر الخصائص: 182 وتحفة الأريب: 83. والمستطرف 2/ 231.

(2) الحكاية وردت في المراجع نفسها.

(3) هي ماردة كما في الوفيات والأغاني وأعلام النساء، وهي من فواضل نساء عصرها ذات حسن وجمال. كان هارون الرشيد يحبها حبا شديدا، فأمر جعفر البرمكي العباس بن الأحنف أن يعمل في ذلك شعرا. انظر الوفيات 1/ 43. 3/ 21. أعلام النساء 5/ 4.

(4) ج، هـ: فقال.

(5) أ: وهو هذا.

(6) د: المطالب. والبيتان وردا في ديوان العباس بن الأحنف 1/ 43. 3/ 21. والنجوم الزاهرة 2/ 126، وأعلام النساء 5/ 4.

قال الراوي[1]: فلما سمع الرشيد ذلك بادر إليها وصالحها وحظيت عنده واستولدها المعتصم. ثم حصل بعد الرغبة بينهما تقاطع زمانا طويلا فكتبت إليها عنان[2] وهي جارية من مولدات المدينة المشهورة بأبيات تنصحها فيها وهي/ : [290/د]

[الرجز]

الحب أرزاق ولكنه ... للحب أسباب تقويه/ [325/ج]

فساعدي مولاك في كل ما ... يطلبه منك ويرضيه/ [274/ب]

كوني له عونا على ما اشتهى ... وساعديه واستميليه

وإنما يدعى الهوى بالهوى ... وليس يدعى التيه بالتيه

فلما قرأت مارية أبيات عنان وتدبرتها، علمت أنها ناصحة لها فقامت وأصلحت شأنها وتزينت بأحسن زينة ثم خرجت إلى الرشيد فأكبت على قدميه فقبلتهما، ثم قال لها: ما الذي حملك على ذلك؟ فذكرت له القصة فأمر لها ولعنان بجائزة سنية فأرسلت مارية إلى عنان بالجائزتين[3].

حُكي أن إبراهيم بن إسحاق الموصلي قال: كنت عند المأمون/ فطربنا وشربنا [244/هـ] ومر لنا يوم طيب، فلما أمسينا قال لي المأمون: يا إبراهيم! مضى هذا اليوم وقد عزمت على الإصطباح غدا، وإني أريد الدخول على الحرم فلا تذهب حتى آتيك، فدخل وبقيت وحدي فضاق صدري واشتقت إلى جارية كنت قصدت الدخول عليها تلك الليلة فلم أصبر عنها فقصدت التوجه إلى بيتي فمنعني الخدام فقلت إن أمير المومنين دخل إلى الحرم ولاجلوس لي هنا بعده وسأعود إليه سحرا إن شاء الله تعالى، وخرجت فلما كنت في بعض الطريق لحقني البول فعدلت إلى درب

---

(1) ساقطة من:هـ.

(2) لعلها عنان الشاعرة المولدة المشهورة جارية النفطي وقد اشتراها الرشيد وكانت تقول الشعر وتجالس فحول الشعراء للمساجلة. انظر الأغاني 23/ 92 وأعلام النساء 3/ 369.

(3) ورد شيء من هذه الحكاية في الوفيات 3/ 21. وأعلام النساء 5/ 4.

عن الطريق فرأيت زنبيلا تدلى[1] بحبالة من حرير مفروشا بالحرير والديباج، فلا أدري لأي معنى عمل ذلك، فحملني السكر على أن دخلت فيه، فلما أحس بثقلي[2] رفعت فإذا أنا في[3] الهوى ثم صعد بي إلى السطح[4] وإذا بوصائف وخدام فقالوا لي: أهلا بالضيف، وتقدموا بين يدي، فنزلت إلى قصر من القصور الملوكية وفيه من الخدم والوصائف والفروش والآلات ما لا يوجد إلا في دار الخلافة وفي صدره مرتبتان من مراتب الخلافة، فلما جلست على واحدة بقيت مفكرا فيما صرت إليه، فلما كان بعد ساعة أبصرت شموعا محمولة على أيدي الخدام، وبينهن جارية عليها من الحلي والحلل ما لا يكون إلا على بنات الخلفاء، وحولها وصائف حسان يرفعن أذيالها بوجه كاستدارة القمر ما ظننت أن في الدنيا له نظير، يتلألأ جمالا وحسنا فقمت قائما إجلالا لها لما رأيتها فأقسمت على أن أجلس، فجلست وجلست هي على تلك المرتبة الثانية وأنستني بالكلام والسؤال ما أصابني من [220/أ] الدهش والجزع/ لدخولها ثم أحضرت مائدة من موائد الملوك فأكلنا ثم غسلنا أيدينا بعد أن أحضر من الطعام ما لم أر مثله إلا عند الخليفة، ثم قدمت سفرة[5] [326/ج] فيها أنواع/ الرياحين والفواكه الرطبة واليابسة في أواني الذهب والفضة وقدمت من الشراب أطيبه وأرقه في أواني البلور، ثم اندفعت المغاني والملاهي يعملن ما استخفني وزادني طربا، ثم خرجنا إلى الحديث وتفاوضنا أخبار الناس قديما وحديثا وتناشدنا الأشعار، فقالت: والله يا سيدي إنك لظريف وما رأيت أكثر منك ظرفا ولا ألطف أدبا. فقلت لها: إنما اكتسبت ذلك من ابن عم لي هو أظرف

---

(1) ساقطة من: د.

(2) ج، د، هـ: انقل.

(3) ب: علي.

(4) أ، ب، د: سطح.

(5) السفرة: طعام يتخذ للمسافر وأكثر ما يحمل في جلد مستدير فنقل اسم الطعام إليه. انظر اللسان: سفر.

مني وأعرف مني بالأخبار ومرت لنا ليلة ما مرت لي في عمري ولا رأيت/ أطيب [291/د] منها، فلما كان في السحر قامت ودخلت من حيث أتت، وأخذني الخدم فصعدت بي إلى السطح وأهبطت إلى الزقاق فذهبت إلى داري فلبثت قليلا ثم أتيت المأمون فوجدته متغيرا علي فقال: يا إبراهيم أمرتك ألا تخرج من/ ها هنا فما الذي أوجب [275/ب] مسيرك؟ فقلت: لما تركتني بقيت وحدي واشتقت لبعض حرمي فلم أتمالك أن نهضت إليها فسري عنه وذهب غضبه، ثم أعدنا مجالس الأنس فشربنا يومنا ذلك حتى دخل الليل ثم دخل المأمون إلى الحرم وقال لي: لا تبرح من مكانك حتى آتيك غدا، فلما دخل لم يهن لي عيش ولم يأخذني قرار شوقا لما كنت فيه بالأمس فقمت لأخرج فمنعني الخدام، وقالوا: قد أغلظ علينا بالأمس بسبب خروجك فلاطفتهم وأرضيتهم بمال وخرجت وأتيت الموضعوإذا بالزنبيل معلق[1] على هيئته بالأمس فدخلت فيه فلما أحسوا بي رفعوني فلما رأوني[2] قالوا: ضيفنا البارحة؟ قلت: نعم. قالوا: تمهل حتى/ نشاور عليك فإن سيدتنا من عادتها أن لا [245/هـ] يدخل عليها[3] من تقدم له دخول[4] فذهبوا بالخبر إليها، ثم أتى الإذن بالدخول فجئت إلى المجلس بعينه والمرتبة بعينها، ثم جاءت على مثل حالها الأول فجلسنا وسألتني عن حالي كيف كان بعدها ثم أظهرت من الفرح والأنس بحضوري ما أخجلتني به ثم أوتي بالطعام والشراب على الحالة المتقدمة، وأخذنا في الانبساط والمذاكرة أكثر مما كان بالأمس، فلما أعجبها حديثي وملاطفتي قالت: والله إنك لظريف حسن الحديث طيب النادرة، فقلت لها: كيف لو رأيت ابن عمي. فقالت: والله ما بعدك غاية، فقلت: والله ما أنا إلا قطرة من بحره ولوسمحت أن آتي به

---

(1) أ: معنى.

(2) ما بين معقوفين ساقط من:هـ.

(3) ب، د: علينا.

(4) ساقطة من: د.

لتحققت صدق مقالتي فقالت: والله ما جرت قط بهذا عادة أبدا وما دخل أحد هذا المكان وعاد إليه أبدا غيرك لما رأيت من حسن أدبك وطيب حديثك، وحسن شيمتك، فقلت: يا سيدتي! لو رأيت ابن عمي لانتقصتني ولقل عندك قدري

[327/ج] قالت: فإذاً فأتنا/ به في الليلة القابلة. فقلت: إن شاء الله، وأخذت فيما أستميلها به إلى وقت السحر، فقامت ودخلت وأخذني الخدم وصعدت إلى السطح وأهبطت إلى الزقاق فذهبت إلى منزلي فقضيت بعض شأني ثم ذهبت إلى المأمون فوجدته حرجا متغيظا فسلمت عليه بسلام الخلافة فقال: لا سلمك الله، فقلت: لا تعجل علي إن لي حكاية لطيفة، فقال لي: قل. فأعلمته الخبر ثم قلت له: وقد أخذت لك منها موعدا فسر بذلك ولم يزل طول نهاره يكرر حديثها ويتشوق إلى لقائها حتى الليل، فلما أقبل الليل قال: هذا وقتها، قلت: نعم، فقال: قم بنا فقمنا جميعا بعد أن شرطت عليه أن لا أخاطبه بالإمارة وأن يطرح عني كل شيء وأن لا أعامله إلا معاملة الأكفاء بعضها ببعض فقال: نعم، ثم سرنا حتى وافينا الموضع وإذا

[292/د] بزنبيلين معلقين فدخلنا فيهما ورفعنا وسرنا/ في السطح وأهبطنا إلى الدار ومضينا إلى المجلس بعينه وإذا فيه ثلاث مراتب فجلسنا وبقيت الوسطى خالية ثم أقبلت الجواري وهي تتهادى بينهن على العادة والهيئة المعتادة ثم قدم الطعام والشراب على العادة، والمأمون ينظر إلي كالمتعجب مما رأى ثم انبسطنا في الحديث وتناشدنا

[221/أ] الأشعار/ وقد بهرها المأمون بباهر أدبه ومحاسن شيمه فقالت لي: يا سيدي! إن ابن عمك هذا فوق ما وصفت وأكثر مما باكرت أدبا، ولقد قصرت في وصفه ومرت لنا أحسن ليلة ثم إن المأمون لحسن ما رأى استرسل في الشراب فطرب ثم

[276/ب] اندفعت جارية تغني بصوت هو من صناعتي فلم تروه على وجهه/ والمأمون يعرفه متقنا وعرف ما نقصته من صنعته فعند ذلك أخذته نخوة الملك في غلبة السكر فقال: يا إبراهيم! غن هذا الصوت كما ينبغي، فقد أفسدته هذه الجارية. فقلت: سمعا وطاعة يا أمير المومنين، وقمت قائما بين يديه فأمرني بالجلوس فتركت المرتبة

وأعدت الصوت التي غنت به الجارية كما ينبغي، فعند ذلك عرفتني وتحققت أنه المأمون فطارت جزعا وخوفا فلاطفها عندما همت بالذهاب وقال لها: ابنة من أنت؟ فقالت: بنت الحسن بن سهل فخطبها من أبيها وعقد عليها وعمل لها عرسا عظيما قد أشرنا إليه وإلى كيفيته فيما سلف من كتابنا هذا[1]/ . [246/هـ]

حكى الزبيري[2] في الموفقيات عن سليمان بن عباس[3] قال: أخبرني أبي قال مررت في أرض بني عقيل فرأيت جارية بيضاء تتدافع في مشيتها[4]/ تدافع الفرس [328/ج] المختال، تنظر من عينين نجلاوتين بأهداب كقوادم النسر، لم أر أكمل منها فقمت أكلمها، فقالت لي عجوز بفناء منزلها: مالك ولهذا الغزال النجدي الذي لا حظ لك فيه؟ ثم أنشدتني تقول:

[الطويل]

وما لك منها غير أنك نائك بعينيك عينيها وأيرك خائب

فقالت لها الفتاة: دعيه يا أماه يكون[5] كما قال ذو الرمة[6]:

[الطويل]

ولو لم يكن إلا تعلل ساعة قليلا فإني نافع لي قليلها[7]

حُكي في الأغاني عن إسحاق بن إبراهيم النديم قال: وجه إلي الرشيد ذات ليلة وقد مضى شطر الليل، فبينما أنا عنده إذ استأذن الفضل بن الربيع فأذن له فدخل

---

(1) حكاية الزنبيل وردت في شرح المقامات 2/ 167 وفي حلبة الكميت 1/ 102-106. وفي طرة النسخة المعتمدة العبارة التالية: حكاية الزنبيل أبطلها ابن خلدون وزينها من وجوه يقبلها العقل.

(2) هو الزبير بن بكار. سبق ذكره.

(3) أظنه سليمان بن عياش، ذكره الوشاء في كتابه «الموشي»: 153.

(4) أ: مشيها.

(5) ج، هـ: يكن.

(6) هـ: الشاعر ذو الرمة.

(7) البيت في ديوان ذي الرمة: 77. والوفيات 4/ 17.

فقال: ما جاء بك يا فضل في هذا الوقت؟ فقال: خير جرى، أمر لم يجر كتمانه عنك، وذلك أني نمت وبإزائي ثلاثة من جواري مكية ومدنية وعراقية، فمدت المدنية يدها إلى ذلك الشيء[1] فحازته المكية، فقالت المدنية ما هذا التعدي؟ أما تعلمين أن مالكا حدثنا عن الزهري عن جابر بن عبد الله[2] عن [سعيد] بن زيد[3] أن رسول الله ﷺ قال: «من أحيى أرضا مواتا فهي له»[4] فقالت لها المكية: حدثنا سفيان[5] عن أبي الزناد[6] عن الأعرج[7] عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ/ قال: [293/د] «الصيد لمن صاده لا لمن أثاره»[8] قال فدفعتهما العراقية عنه وقالت: هذا لي وفي يدي حتى تنقضي مخاصمتكما وتصطلحا. قال: فضحك الرشيد وأمر بحملهن إليه، وحظيت عنده، وذهبن به كل مذهب وفيهن يقول:

ملك الثلاث الآنسات عناني ... وحللن من قلبي بكل[9] مكان
مالي تطاوعني البرية كلها ... وأطيعهن وهن في عصيان
ما ذاك إلا أن سلطان الهوى، ... وبه قوين، أعز من سلطاني[10]

قلت: وعارض الأبيات سليمان بن الحكم[11] المرواني صاحب قرطبة، الملقب

(1) ساقطة من: ب، ج، د.

(2) سبق ذكره.

(3) سعيد بن زيد بن عمرو القرشي، أبو الأعور، من خيار الصحابة (22 ق. هـ -51هـ). انظر طبقات ابن سعد وصفة الصفوة 1/ 141.

(4) سبق ذكره.

(5) لعله سفيان الثوري وقد سبق ذكره.

(6) عبد الله بن ذكوان القرشي، من كبار المحدثين (65-131هـ).انظر تذكرة الحفاظ 1/ 134

(7) عبد الرحمن بن هرمز، أبو داود يعرف بالأعرج، من أهل المدينة، أدرك أبا هريرة فأخذ عنه الحديث (ت-117هـ).

(8) الحديث سبق ذكره برواية: ليس الصيد لمن أثاره...

(9) أ: كل.

(10) أشار الأصفهاني في الأغاني إلى هذه الحكاية، فهي لم ترد كما في النزهة وإنما اكتفى فقط بذكر المعنى دون التفصيل، ولم يذكر الأبيات. انظر الأغاني 5/ 311، أما الأبيات فقد سبقت الإشارة إليها.

(11) هـ: رضي الله عنه.

بالمستعين بالله وأجاد:

[الكامل]

عجبا يهاب الليث حد سناني ... وأهاب لحظ فواتر الأجفان

وأقارع الأبطال لا متهيبا[1] ... منها[2] سوى الإعراض والهجران/ [277/ب]

وتملكت نفسي ثلاث كالدمى ... زهر الوجوه نواعم الأبدان

ككواكب الجوزاء لحن لناظري ... من فوق أعمدة على كثبان

هذا الهلال وتلك بنت المشتري ... حسنا وهذي أخت غصن البان/ [329/ج]

حاكمت فيهن السلو إلى الرضا ... فقضى بسلطان على سلطان/ [222/أ]

فأبحن من قلبي الحمى وتركنني ... في عز ملكي كالأسير العاني

ما ضر أني عبدهن صبابة ... وبنو الزمان، وهن من عبداني/ [247/هـ]

لا تعذلوا ملكا تذلل للهوى ... ذل الهوى عز وملك ثان

فإن لم أطع فيهن سلطان الهوى ... كلفا بهن، فلست من مروان[3]

قلت: هو سليمان بن الحكم بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان بن الحكم بن هشام بن عبد الملك بن مروان بويع له بقرطبة سنة أربعمائة وقتل بها سنة خمس وأربعمائة وتقدم لهذه الحكاية نحوها.

حُكي في الأغاني عن علي بن الجهم[4] قال: لما أفضت الخلافة إلى المتوكل أهدى إليه الناس هدايا على قدر أقدارهم، وأهدى إليه ابن طاهر[5] جارية تسمى محبوبة

(1) ب، د: متهيئا.

(2) ساقطة من:هـ.

(3) القصيدة وردت في الذخيرة ق 1/ 47. والوافي بالوفيات 2/ 63، ما عدا البيت الخامس فإنه ساقط منها، مع شيء من الاختلاف بين الروايتين.

(4) سبق ذكره.

(5) هو عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق الخزاعي، أبو العباس (182-230هـ) من أشهر الولاة في العصر العباسي. انظر ترجمته في وفيات الأعيان 3/ 83. والأغاني 12/ 82 والولاة والقضاة: 180. وفي كتب التاريخ كالطبري وابن الأثير والمسعودي وغيرهم.

تنشد الشعر وتلحنه وتغنيه، وكانت[1] تحسنه كما يحسنه علماء العصر في هذا الفن قال: فحسن موقعها من المتوكل وحظيت عنده حتى لم يكن أحد عنده بمنزلتها. قال: فدخلت عليه يوما للمنادمة، فلما استقر بنا المجلس قام فدخل إلى بعض مقاصيره ثم خرج وهو يضحك، فقال لي: يا علي إني دخلت فوجدت محبوبة قد كتبت على خدها بالمسك جعفرا فما رأيت أحسن منه فقل في ذلك شعرا قال: فبينما نحن كذلك إذ ظهرت محبوبة فأعلمها الحال فتفكرت قليلا وأطرقت إلى الأرض ثم أخذت العود وترنمت حتى صاغت مما قالته لحنا، ثم اندفعت تغني/ قولها فيه: [294/د]

[الطويل]

وكاتبة في الخد بالمسك جعفرا	بنفسي محط[2] المسك من حيث أثرا
لئن اودعت سطرا من المسك خدها	لقد أودعت قلبي من الوجد أسطرا[3]
فيا[4] من المملوك يظل مليكه	مطيعا له فيما أسر وأظهرا
ويا من لعيني من رأى مثل جعفرا	سقى الله صوب المزن آثار جعفر[5]

قال بن الجهم: وأنا في ذلك كله بمفحم لا أستطيع أن أنظم. قال: فقال لي المتوكل: ويلك يا علي! أين ما أمرتك به؟ فقلت له: يا سيدي! أقلني فوالله لقد أفحمت وعزب عني ذهني. قال فلم يزل يعيرني بذلك[6].حكي أن عريب المأمونية كانت عند سيدها الذي أخذها وكان سيدها هذبها وخرجها فاختفى عند سيدها حاتم بن عدي فكانت تنظر إليه وينظر إليها، وربما اختلس منها قبلة، فلما/ ظهر من اختفائه هربت إليه عريب ليلا وأقامت عنده زمانا لا يعلم سيدها [330/ج]

(1) ساقطة من:هـ.

(2) أ، ب، د: خط.

(3) أ: السطرا.

(4) أ: ويامن.

(5) الأبيات وردت في مروج الذهب 5/ 42 والأغاني 21/ 71.

(6) الحكاية وردت في الأغاني 21/ 71 ومروج الذهب 3/ 42-43.

أين ذهبت. فقال عيسى بن زينب الشاعر[1]/ في ذلك من أبيات: [278/ب]

[مجزوء الرمل]

قاتـل اللـه عـريـبـا فعلـت فـعـلا عـجـيـبـا
ركبت والـلـيـل داج مركبـا صعبـا مهيبـا
وتـدلـت لمحـب فتلـقـاهـا مجيبـا
جـذلا قـد نـال فـي الدنـ ـيا مـن لـدنيـا نـصيبـا[2]

قال أحمد بن المدبر[3] ثم ملكها المأمون بعد ذلك وحظيت عنده وحازت منه/ [248/هـ] أمرا عظيما. قال: فخرجتُ مع المأمون وأنا صبي إلى أرض الروم، لطلب ما يطلبه الأحداث من الرزق، فلما خرجنا من الرقة، رأينا عماريات[4] عظيمة يحف بها جماعة من الخدم وكنا رفقة أترابا، فقلت لبعض الخدم: لمن هذه العماريات؟ فقال: فيها عريب محظية الخليفة فقلت لرفقتي بعد أن تذاكرنا ابيات ابن زينب فيها[5] [من يراهنني وأنا أدخل في هذه العماريات وأنشد أبيات عيسى بن زينب]؟[6] [فراهنني بعضهم فعدلت إلى الجمال[7] حتى صرت في وسطها وانشدت الأبيات][8] وأنا رافع صوتي بها، فبينما أنا كذلك إذ أخرجت امرأة كالقمر رأسها من عمارية فأذهلت عقلي لما رأيت من جمالها. فقالت: يا فتى! نسيت أجود الأبيات

(1) هوعيسى بن عبد الله بن إسماعيل المعروف بعيسى بن زينب المراكبي (ت -نحو200هـ) انظر ترجمة في: المحبر: 260 والأعلام 5/ 105

(2) الأبيات وردت في الأغاني 21/ 62.

(3) لعله أحمد بن محمد بن المدبر، ذكره ابن عبد ربه في العقد وصنفه ممن نبلوا في الكتابة. انظر ج 4/ 252.

(4) العماريات: ج عمارية وهي الهودج. اللسان: عمر.

(5) ساقطة من: د.

(6) ما بين معقوفين ساقط من: د.

(7) ب، د: الإجمال

(8) ما بين معقوفين ساقط من:هـ

وأظرفها وأحسنها قلت: وما هي؟ فقالت:

[مجزوء الرمل]

[223/أ] وعريب رطبة الشفـ ـرين قد نيكت ضروبا[1]/

فمالك نسيت ذلك؟ اذهب فخذ ما راهنت عليه أصحابك وألقت السجاف[2] وهي تضحك فعلمت أنها عريب، ثم ذهبت مسرعا خوفا أن يلحقني مكروه من بعض الخدم[3].

حُكي في الأغاني قال: زارت عريب هذه، محمد بن حامد[4] وكان يهواها ويحبها وهي أيضا تحبه، فجعل يعدد عليها ذنوبها التي جنتها عليه من طول المطل وإخلاف الوعد، وشدة الحجاب، وتمادي الهجر ويقول لها: فعلت بي وفعلت بي كذا وكذا فأقبلت عليه وقالت: يا هذا! قم لما جئنا له واجعل سراويلي مخنقتي [295/د] وألصق ركبتي بوريدي واجمع بين خلخالي وقرطي/ واعمل عملك، وإذا كان من الغد وأحببت العتاب فاكتبه لي [في طومار][5] وأنا أجيبك عنه ودع عنك ما شغلت به نفسك طول ليلتك، فقد قال الشاعر[6]:

[الوافر]

[331/ج] دعي عد الذنوب إذا التقينا تعالي لا أعد ولا تعدي[7]/

قال المؤلف رحمه الله: عقدت هذا المعنى فقلت:

---

(1) البيت ورد في الأغاني 21/ 64.
(2) السجاف: السجف والسجف: هو الستر. اللسان: سجف.
(3) الحكاية وردت في الأغاني 21/ 73-74.
(4) محمد بن حامد الخاقاني المعروف بالخشن، أحد قواد خراسان، الأغاني 21/ 73.
(5) الطومار: الصحيفة. اللسان: طمر.
(6) لعله هو المؤمل بن جميل بن أبي حفصة، سبق ذكره.
(7) البيت ورد في الأغاني 21/ 83. والحكاية وردت في المرجع نفسه.

[الطويل]

أتت بعد منع وامتناع فعندما ... شكوت إليها هجرها وغرامي
فقالت: واجمع وريدي بركبتي ... وقرطي بخلخالي وخل ملامي
فقمت[1] جمعت المشفرين بأذنها ... وطفت بها سبعا ونلت[2] مرامي
فقالت: لقد هيجت[3] في وزدت في[4] ... هيامي وأضحى في يديك زمامي
فكانت كما قالت، وكنت إذا أتت ... أقول لها: حسبي ارجعي بسلامي

حُكي عن علي بن الجهم قال: قلت يوما لجارية لي تجعل مجلسنا الليلة في ضوء القمر/ فقالت لي: ما أولعك بالجمع بين الضرائر! فقلت لها: أي الشراب أحب إليك؟ فقالت: ما ناسب روحي في الخفة ونكهتي في الطيب وريقي في اللذة ووجهي في الحسن واللون وخلقي في السلاسة. [279/ب]

حُكي في قادمة الجناح[5] قال: حاصر العلوي مدينة بالشام فأشرف على تملكها وكانت فيها امرأة جميلة مشهورة بالحسن فقالت لأهل المدينة: أنا أكفيكموه ثم لبست برقعها وتزينت وخرجت وطلبت الوصول إليه، فلما وقعت بين يديه قالت له: ألست القائل/ : [249/هـ]

[الخفيف]

نحن قوم تذيبنا الأعين النجل ... على أننا نذيب الحديدا
نقتل الأسد ثم تقتلنا البيض ... المصونات أوجها وقدودا

---

(1) هـ: فقلت.

(2) هـ: وقلت.

(3) أ، ب، ج، هـ: حجبت.

(4) أ: وزد.

(5) قادمة الجناح في النكاح لأبي الفضل أحمد بن يوسف المقري المتوفي سنة 651هـ انظر كشف الظنون 2/ 1305.

وترانـا لـدى الكريهـة أحـرا   را وفـي السـلم للحسـان عبيـدا[1]

فقال لها: نعم، فألقت البرقع عن وجهها وقالت: أحسنا ترى أم قبيحا؟ فقال: سنا باهرا وطرفا ساحرا، قالت له: فإن كنت عبدا للحسان كما ذكرت فاسمع وأطع وارتحل عنا، قال: فنادى من وقته بالرحيل. فقال له قواده: إن البلد بأيدينا وقد أشرفنا على الفتح فقال: لا سبيل إلى الإقامة عليه ساعة واحدة ثم خطب المرأة بعد ذلك فتزوجها رحمها الله.

حكى الأصمعي قال: كنت في بعض مياه العرب فسمعت الناس ويقولون: جاءت! جاءت! وهم يعدون فذهبت معهم لأنظر فإذا جارية قد وردت الماء، لم أر قط مثلها، حسنوجه وكمال قد فلما رأت شوق الناس إليها وإلحاحهم النظر نحوها أرسلت برقعها كأنه[2] غمامة غطت شمسا، فقلت لها: يا أمة الله! لو متعتينا[3] [ج/232][د/296] بالنظر إلى هذا الوجه الحسن فأنشدت:/

[الرجز]

وكنـت إذا أرسـلت طرفـك رائـدا   لقلبـك يومـا أتعبتـك[4] المناظـر

رأيـت الـذي لا كلـه أنـت قـادر   عليـه، ولا عـن بعـض أنـت صابـر

حكى إسحاق الموصلي[5] عن أبيه قال: قال لي زلزال المغني[6] واسمه منصور: [أ/224] عندي جارية علمتها الغناء/ وكان يذكر لي من محاسن غنائها وكنت أشتهي أن

(1) الأبيات وردت في الوفيات منسوبة لعبد الله بن طاهر، ولم ترد في سياق الحكاية. انظر ج 3/ 85، وزهر الأكم 2/ 295.

(2) ب، هـ: كأنها.

(3) أ: متعتني.

(4) د: تعبتك.

(5) أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن ماهان المعروف بابن النديم الموصلي. سبق ذكره.

(6) زلزال المغني ذكره صاحب العقد من مغني الرشيد. انظر ج 7/ 34.

أراها وأسمع منها، وكنت أستحيي أن أسأله في ذلك. فلما توفي بلغني أن الجارية عرضها ورثته للبيع، فذهبت إليهم فأخرجوها فرأيت حسنا بديعا باهرا وظرفا وافرا فقلت لها: غني صوتا. فقالت: لا أغني بعد سيدي إلا مراثية فيه فقلت لها: نعم فجيء بعود، فوضع في حجرها، فاندفعت تغني وتقول وعيناها تذرفان:

[الطويل]

أقفر من أوتاره العود فما له بعدك تغريد
من للملاهي وآلاتها وعامر للذات مفقود
والخمر تبكي في أباريقها تود لو أنك موجود[1]

قال: فطربت طربا شديدا ثم شهقت شهقة ظننت ان نفسها قد خرجت فركبت من ساعتي ودخلت على الرشيد فأخبرته بخبر الجارية وما رأينا من حسنها وجمالها/ وحسن صوتها ودخول غنائها في قلبه فأمر بإحضارها. فلما [280/ب] دخلت عليه قال لها: غني الصوت الذي غنيت به إبراهيم قال: فغنت وجعلت تبكي وتزيد بالبكاء، ويمنعها إجلال الرشيد فتكفكفه فرحمها وأعجب بها وقال لها: أتحبين أن أشتريك؟ فقالت: يا سيدي! أما إذا استخيرتني فقد وجب نصحك علي، والله لا يشتريني أحد بعد سيدي فينتفع بي. قال: فقال لي: يا إبراهيم! أتعرف جارية بالعراق جمعت ما جمعت هذه الجارية من الحسن والجمال والظرف والوفاء؟ لووجدت مثلها لاشتريتها بشطر مالي. قال: فقلت له: والله يا أمير المومنين لا يوجد مثل هذه على وجه الأرض، فأمر بشرائها فاشتريت ثم أعتقها وأجرى عليها رزقا[2]/ . [250/هـ]

---

(1) الأبيات وردت في "مصارع العشاق" 1/ 35، و"التذكرة الحمدونية" 3/ 31. مع اختلاف واضح بين الروايات.

(2) الحكاية وردت في المرجعين السابقين.

الباب الثامن عشر

فيما يستظرف من خبر النساء ويستملح

حُكي أن علية[1] بنت المهدي[2] كانت من أجمل النساء وأظرفهن، تقول الشعر الجيد وتصوغ الألحان الحسنة، وكانت تشرب وتغني إذا كان لها ضرورة عن الصلاة، فإذا طهرت أقبلت على الصلاة وقراءة[3] القرآن. وكانت/ تقول: ما حرم [333/ج] الله شيئا إلا وجعل فيما حلل عوضا عنه، فبأي شيء يحتج على الله؟ وكانت تهوى غلاما خادما من خدم المأمون اسمه طل، فحلف الرشيد أن لا تكلمه ولا تلفظ باسمه، فامتثلت أمره في ذلك مدة، فاطلع الرشيد عليها يوما/ وهي تقرأ القرآن[4] [297/د] في آخر سورة البقرة، فلما بلغت إلى قوله تعالى: ﴿فإن لم يصبها وابل فطل﴾[5] قالت: فالذي نهى عنه أمير المومنين، فدخل وقبل رأسها وشكر لها حسن وفائها وقال لها: قد وهبتك طلا ولا أمنعك من شيء تريدينه [والله أعلم][6].

حكى أبو الفرج الأصبهاني قال: كانت عنان[7] من مولدات اليمامة وبها نشأت

---

(1) أ: عالية.

(2) علية بنت المهدي العباسية أخت هارون الرشيد، كانت من أحسن النساء وجها وأظرفهن وأعقلهن. لها ديوان شعر. انظر ترجمتها في الأغاني 10/ 199. وما بعدها، الوافي بالوفيات 3/ 123. أعلام النساء 3/ 334.

(3) ب، ج: تلاوة.

(4) أ: وتقول.

(5) البقرة: 264.

(6) ما بين معقوفين ساقط من: د. والحكاية وردت في الأغاني 10/ 200، وشيء منها في فوات الوفيات 3/ 124. والسكردان: 403-404.

(7) سبق ذكره.

وتأدبت وكانت حسنة الشعر رائقة البديهة تُجاري فحول الشعراء وتعارضهم ويعارضونها وتنصف منهم، فدخل عليها يوما أنوشروان[1] الشاعر متجادلا ساعة ثم قال لها: قد قلت أبياتا، فقالت له: هات! فقال:

[مجزوء الرمل]

إن لي أيرا خبيثا لونه يحكي الكميتا
لو رأى في الجو صيدا لنزا حتى يموتا
أو رآه فوق سقف لاستحال العنكبوتا
أو رآه فوق بحر خلته في البحر حوتا[2]

فقالت تجيبه بديهة:

[مجزوء الرمل]

زوجوا هذا بألف وألحقوا بالألف قوتا
إنني أخشى على ذا إن تمادى أن يموتا
بادروا ما حل بالمسكين خوفا أن يفوتا
[225/أ] قبل أن ينعكس الدا فلا يأتي بيوتا[3]/

فأفحمته وقام عنها خجلا[4].

حُكي أن الملك شاه السلجوقي[5] أحضر مغنية فأعجب بها واستطاب عنادها، [281/ب] فَهَمَّ بها فقالت له: يا سلطان! إني أخاف على هذا الوجه/ الجميل من النار، وأن الحلال يسير وبين الحلال والحرام كلمة، فقال: صدقت، وتزوج بها وأقامت في

(1) أظن الصواب هو «أبو نواس» كما في الأغاني 92/ 23.
(2) الأبيات وردت في الأغاني 92/ 23 والسكردان: 404.
(3) والأبيات وردت مع الحكاية في الأغاني 92/ 23، والسكردان: 404.
(4) أ: خاجلا.
(5) ب، ج، د: السلجوني. وسبق ذكره.

عصمته حتى مات[1].

حُكي أنه كان صخر أخو الخنساء[2] سيد قومه، فأغار على بني أسد فأصابته طعنة فطال مرضه من أجلها، وكانت له امرأة ذات حسن وجمال وقدّ واعتدال، تسمى سليمى ولها كفل ثقيل، وساق جميل جليل فمر بها رجل من الحي فقال لها: أيباع هذا الكفل؟ فقالت: عما قليل، فسمعها صخر من داخل البيت وهو ضعيف،/ ثم سمع امرأة تسأل أمه: كيف أصبح صخر؟ [فقالت: نحن بخير ما [334/ج] دمنا نرى وجهه،][3] ثم سمع أمرأة تسأل زوجته عنه، فقالت: لا حي فيرجى، ولا ميت فيسلى، فكان ذلك في ساعة واحدة، فهم بقتل امرأته فلما دخلت البيت قال لها: ناوليني السيف أنظر هل تقله يدي. قال فناولته السيف فإذا هو لا يستطيع أن يقله فقال:

[الطويل]

أرى أم صخر لا تمل عيادتي ... وعافت سليمى منزلي ومكاني/ [251/هـ]
وما كان ظني أن أكون جنازة ... عليها، ومن يغتر بالحدثان؟
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان
لعمري لقد نبهت من كان نائما ... وأسمعت من كانت له أذنان
وأي امرئ ساوى بأم حليلة ... فلا عاش إلا في شقا وهوان[4]

ويقال إن الطعنة خرقت درعه ووصلت إلى جوفه فمات[5].

---

(1) الحكاية وردت في الوفيات 5/ 286، والسكردان: 404.

(2) تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، من بني سليم، أشهر شواعر العرب وأشعرهن على الإطلاق، أدركت الإسلام فأسلمت، أكثر شعرها في رثاء أخويها (صخر ومعاوية)، انظر خزانة الأدب 1/ 208. وأعلام النساء: 1/ 360.

(3) ما بين معقوفين ساقط من: ب.

(4) الأبيات وردت في الأغاني 15/ 75-76 والوفيات 2/ 54.

(5) الحكاية وردت في الأغاني 15/ 75-76 والوفيات 2/ 84.

[298/د] حُكي أن سودة بنت عمارة[1] دخلت على/ معاوية فسلمت عليه فقال لها: كيف أنت يا ابنة عمارة؟ قالت بخير. فقال لها: أنسيت قولك لأخيك يوم صفين:

[الكامل]

شمر كفعل أخيك يا ابن عمارة ... يوم الطعان وملتقى الأقران
وانصر عليا والحسين ورهطه ... واقصد لهند وابنها بهوان[2]

فقالت له: ما مثلي من رغب عن الحق واعتذر بباطل، قد كان ذلك مني، فقال لها: ما حملك على ذلك؟ فقالت: حب علي رضي الله عنه، واتباع الحق. فقال لها: ما أرى عليك من أثر علي شيئا؟ قالت: والله كانت آثاره جميلة، وعدله شامل، فبالله إلا ما صرفت تذكار ما نسي، فقال: هيهات! ليس مثل فضل أخيك ينسى ولا فضل علي، فقالت: والله ما كان خفي المقام ولا ذميم المكان، كان[3]، والله، كما قالت الخنساء في أخيها صخر:

[البسيط]

وإن صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه عَلَم في رأسه نار[4]

ثم قالت له: دعني من هذا. قال: قد تركت[5]، فما حاجتك[6]؟ قالت: إنك أصبحت للناس سيدا، ولأمرهم مقلدا، والله سائلك عما افترض عليك من حقنا،

---

(1) سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمدانية، شاعرة من شواعر العرب ذات فصاحة وبيان وفدت على معاوية بن أبي سفيان. انظر بلاغات النساء: 47 وأعلام النساء 2/ 270.

(2) البيتان وردا في العقد الفريد 1/ 344. وفي بلاغات النساء: 47. وأعلام النساء 2/ 270.

(3) ساقطة من:هـ.

(4) البيت من قصيدة مطلعها:

قذىً بعينك أم بالعين عُوّارُ ... أم أقفرت إذ خلت من أهلها الدار؟

وقد وردت في الديوان والأغاني 15/ 78-79.

(5) د: ما تركت.

(6) هـ: حاجاتك.

وقد أرسلت إلينا من يَسْطُو بِعِزِّكَ ويقذف بسلطانك فيحصدنا حصد السنبل، ويدرسنا دراس البقر. قال: من هو؟ قالت: أرطاة بن عدي[1] قدم إلى أرضنا فقتل رجالي وأخذ مالي ولولا الطاعة لك لكان فينا الطاقة له والمنعة منه، فإن عزلته شكرناك، وإن لم تعزله عرفناك. قال: أَوَ تُهدديني بقولك؟ لقد هممت أن أردك إليه على/ كور قتب فينفذ[2] فيك حكمه فولت وهي تقول: [335/ج][282/ب]

[البسيط]

صلى الإلاه على روح تضمنها ... قبر فأصبح فيه الحق مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به بدلا ... فصار بالحق والإيمان مقرونا[3]

والله لقد أتيت عليا رضي الله عنه وهو قائم يصلي، فلما أحس بي سلم والتفت إلي برأفة ورحمة ورفق وقال: ألك حاجة؟ فشكوت إليه رجلا قلد الصدقات فرفع يديه إلى السماء وقال: اللهم أنت الشاهد علي/ وعليهم، إني لم آمرهم بظلم خلقك [226/أ] ولا بترك حقك، ثم أخذ قطعة من جلد وكتب فيها بسم الله الرحمان الرحيم يا أيها الناس! ﴿قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾[4] ﴿بقية الله خير لكم إن كنتم مومنين، وما أنا عليكم بحفيظ﴾[5] إذا وصل إليك كتابي هذا فاحفظ ما في يديك من عملك حتى يرد عليك من يقبضه منك والسلام. وصرفه وولى علينا غيره. فقال معاوية: اكتبوا بالعدل والإنصاف لها. فقالت: ألي خاصة/ أم لقومي عامة؟ فقال: بل لك خاصة. [252/هـ]

---

(1) في بلاغات النساء، وأعلام النساء، هو: بسر بن أرطاة العامري القرشي. أبو عبد الرحمان قائد من الجبارين، كان من رجال معاوية بن أبي سفيان. انظر ترجمته في الإصابة 1/ 147، وميزان الإعتدال 1/ 309.

(2) أ: ينفد.

(3) البيتان وردا في العقد الفريد 1/ 344 وأعلام النساء 2/ 271.

(4) الأعراف: 84.

(5) هود: 85-86.

فقالت: إن هذا للؤم عظيم إن كان عدلا شاملا، وإلا فأنا كسائر الناس. فقال معاوية رحمه الله: اكتبوا لها ولقومها[1].

حكى عبد الله الخزاعي[2] قال[3]: دخلت بكارة الخزاعية[4] على معاوية رحمه الله، وكانت قد كبر سنها وعمي بصرها وضعفت قوتها. وهي بين جاريتين لها، فسلمت، فرد عليها السلام/ وقال لها: كيف أنت يا خالة؟[5] قالت: بخير يا أمير [299/د] المومنين. فقال لها: غير الدهر. فقالت: هوهكذا ذوغير. من عاش كبر ومن مات قبر. فقال عمرو بن العاص: هي والله القائلة يوم صفين:

[الكامل]

يا زيد! دونك فاحتفر من دارنا	سيفا حساما في التراب دفينا
قد كنت أذخره ليوم ملمة	واليوم أبرزه الزمان مصونا[6]

فقال مروان بن الحكم: وهي القائلة أيضا ذلك اليوم:

[الكامل]

أترى ابن هند للخلافة مالكا	هيهات! ذاك وإن رآه بعيد
منتك نفسك بالخلافة باطلا	أغرك عمرو والشقي سعيد[7]

قال سعيد وهي القائلة أيضا:

(1) الحكاية وردت في بلاغات النساء: 47، وأعلام النساء 2/ 270.

(2) لعله عبيد الله بن عبد الله الخزاعي من الأدباء الشعراء (223-300هـ)، انظر تاريخ بغداد 340/10.

(3) ب: قالت.

(4) بكارة الهلالية، من نساء العرب الموصوفات بالشجاعة والإقدام والفصاحة والشعر والنثر والخطابة وكانت من أنصار علي بن أبي طالب، بلاغات النساء: 53. أعلام النساء 1/ 137.

(5) «يا» ساقطة من: ج.

(6) البيتان وردا في العقد الفريد 1/ 346. وبلاغات النساء 53. أعلام النساء 1/ 138.

(7) البيتان وردا في المراجع السابقة.

[الكامل]

قد كنت أرجو أن أموت ولا أرى ... فوق المنابر من أمية خاطبا
فالله أخر[1] مدتي[2] فتطاولت ... حتى رأيت من الزمان عجائبا[3]

فقالت: يا معاوية! أنا والله القائلة ذلك جميعه، وما خفي عليك أكثر منه قال/: [336/ج] فضحك منها وقال لها: ما يمنعنا ذلك من أداء حقك وقضاء حوائجك، فقالت له: أما في هذا المجلس فلا[4] وانصرفت.

حكى ابن سليم[5] قال: دخلت عكرشة بنت رواحة[6] على معاوية وهي متكئة على عصا تهنيه بالخلافة: فقال معاوية رضي الله عنه: لا إله إلا الله، صرت عندك أمير المومنين، قالت: نعم إذ لا علي. فقال لها: ألست المقلدة بالسيف يوم صفين، وأنت بين الصفوف تقولين كلاما حفظته منك؟ قالت: ما هو؟ قال: قولك: ﴿أيها الناس/عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾[7] الجنة لا يرحل ساكنها [283/ب] ولا يزول قاطنها، فاشتروها بدار لا يدوم نعيمها ولا تنقضي همومها، وكونوا مستبصرين في دينكم مستظهرين بالصبر على طلب حقوقكم. ألا إن معاوية قدم عليكم بقوم غلف القلوب لا يفقهون الإيمان، ولا يدرون الحكمة، دعاهم بالدنيا فأجابوه، واستدعاهم للباطل فلبوه، الله! الله! عباد الله! إياكم والفشل، فإنه ينقص عز الإسلام ويطفئ نور الحق. هذه بدر الصغرى والعقبة الكبرى».

(1) د: أحر.

(2) د: حرتي.

(3) البيتان وردا في المراجع نفسها.

(4) الحكاية وردت في العقد الفريد 1/ 346 وبلاغات النساء: 53-54. وأعلام النساء 1/ 173-139 مع بعض الاختلاف في الرواية.

(5) لم أقف عليه.

(6) هي عكرشة بنت الأطرش، كما جاء في العقد الفريد وأعلام النساء وهي من ربات الفصاحة والبلاغة والبيان. انظر العقد الفريد 1/ 351. وبلاغات النساء: 103 وأعلام النساء 3/ 325.

(7) المائدة: 105.

وكأني أراك على عصاك هذه متكئة وأنت تحرضين الناس على القتال ﴿وكان أمر الله قدرا مقدورا﴾[1]. فما حملك على ذلك؟ فقالت: يا أيها الناس! ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾[2] وإن العاقل إذا كره قولا لا يحب إعادته، قال: فأمر بقضاء حوائجها فقضيت[3].

حُكي أن أم البراء بنت صفوان[4] استأذنت على معاوية فأذن لها فدخلت وسلمت عليه فقال لها[5]: كيف أنت يا ابنة مروان؟ فقالت له: كسلت بعد نشاط وضعفت بعد قوة. فقال لها: كأني أنظر إليك بالأمس وأنت تقولين هذا الشعر/ : [300/د]

[الكامل]

[227/أ][253/هـ] يا زيد دونك صارما ذا رونق ... غضب صقيل ليس بالخوار[6]/

اسرج جوادك مسرعا ومشمرا ... للحرب غير معود غدار

أجب الإمام ودب تحت لوائه ... والقى العدو بصارم بتار

يا ليتني أصبحت غير معودة ... فأذب عنه عساكر الفجار[7]

فقالت له: قد كان ذلك، ولكن ﴿عفا الله عما سلف، ومن عاد فينتقم الله منه﴾[8] فقال لها: هيهات! لو عاد لعدت. ولكن اخترم من بينكم. قالت له: أجل، إني على بينة من ربي وهدى من أمري، فقال له بعض جلسائه: وهي القائلة أيضا ترثي عليا

---

(1) الأحزاب: 38.

(2) المائدة: 101.

(3) الحكاية في العقد الفريد 1/ 351-352، وبلاغات النساء: 103. وأعلام النساء 3/ 325-326.

(4) أم البراء بنت صفوان بن هلال شاعرة ذات لسان فصيح ومنطق مبين. انظر أعلام النساء 1/ 122-123. وفيه أن معاوية خاطبها ب: يا بنت صفوان.

(5) ساقطة من:هـ.

(6) في بلاغات النساء وأعلام النساء: يا عمرو.

(7) الأبيات وردت في بلاغات النساء: 110، وأعلام النساء 1/ 123.

(8) المائدة: 97.

بعد موته بقولها:

[الكامل]

يا للرجال لعظم هول مصيبة فدحت فليس مصابها بالحائل[1]

الشمس كاسفة لفقد إمامنا خير الخليقة والإمام العادل/ [337/ج]

صهر النبي لقد هددت فؤادنا[2] والحق أصبح خاضعا للباطل[3]

فقال لها معاوية! قاتلك الله ما أبقيت لولا شعرك، اذكري حاجتك. فقالت له: أما الآن فلا، ثم خرجت من عنده وهي مغضبة منه ومن جلسائه، فبعث إليها بجائزة فقبلتها بعد ذلك[4].

حُكي أن أسماء بنت[5] يزيد وفدت على رسول الله ﷺ فقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله إن الله بعثك إلى الرجال والنساء فآمنا بك وبالذي أرسلت [به][6] وإنا معشر النساء محصورات، قواعد بيوتكم، ومواضع شهواتكم وحاملات أولادكم، وأنتم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمعة وبالجماعات[7] وعيادة المرضى وتبليغ[8] الجنائز والحج والجهاد في سبيل الله، وإنكم إذا خرجتم حجاجا أو غزاة أو مسافرين حفظنا أموالكم وربينا أولادكم، أنشارككم في الأجر يا رسول الله؟ فالتفت رسول الله ﷺ إلى أصحابه وقال: هل سمعتم مقالة امرأة أحسن من مقالة

(1) فدحت: عظمت وثقلت. اللسان: فدح.

(2) ب، ج، هـ: قواءنا.

(3) الأبيات وردت في المرجعين السابقين ما عدا البيت الثالث فإنه ساقط منها.

(4) الحكاية وردت في المرجعين السابقين مع اختلاف قليل في الرواية.

(5) أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع بن امرئ القيس الأنصارية خطيبة النساء، شهدت اليرموك وقتلت يومئذ تسعة من الروم بعمود. انظر الإصابة 7/ 523 وأعلام النساء 1/ 66-68.

(6) زيادة اقتضاها السياق.

(7) هـ: بالجماعة.

(8) هـ: تبلغ.

[284/ب] هذه ومسألتها؟ ثم قال رسول الله ﷺ/ : انصرفي أيتها المرأة واعلمي من خلفك من النساء أن حسن فعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته تعدل ذلك إن شاء الله تعالى، فانصرفت وهي تهلل وتكبر استبشارا[1].

حكى سهل التميمي[2] قال: دخلت مية الحجونية[3] على معاوية رحمه الله تعالى وكانت سوداء، فقال: كيف أنت يا بنت حام؟ فقالت: ما أنا بابنة حام ولكني امرأة من كنانة. فقال لها: لم أحببت عليا وأبغضتيني؟ ولم واليته وعاديتيني؟ فقالت: اعفني من ذلك. فقال: لا بد أن تقولي، فقالت: أحببته على عدله في الرعية، وقسمته بالسوية، وأبغضتك على قتالك من هو خير منك، وأولى بالخلافة منك، وطلبك ما ليس لك بحق، فقال لها: هل رأيت عليا؟ فقالت نعم: قال: [301/د] كيف رأيتيه؟ قالت: ما فتنه الملك الذي/ فتنك، ولا شغلته النعمة التي شغلتك، لقد كان كلامه يجلي القلوب عن العمى، كما يجلي الزيت الصدا، قال: ألك حاجة؟ قالت: نعم، بمائة ناقة حمراء فيها فحولها ورعاتها، فقال: ما تصنعين بها؟ قالت: أكتسب بها المكارم وأصلح بها بين القبائل. قال: فإذا دفعتها لك أكون عندك في منزلة علي؟ فقالت[4]: لا والله. فقال معاوية رحمه الله تعالى:

[الطويل]

إذا لم أجد بالفضل مني عليكم فمن الذي بعدي يؤمل للحلم

---

(1) الحكاية وردت في بلاغات النساء: 110. أعلام النساء 1/ 66-67.

(2) أظنه سهل بن منجاب التميمي كان من عمال النبي ﷺ على صدقات بني تميم، انظر الإصابة: 2/ 90 وفي بلاغات النساء. سهيل بن أبي سفيان التميمي وفي العقد هو سهل بن أبي سهل التيميمي. انظر ج 1/ 352.

(3) الدارمية الحجونية كانت امرأة سوداء من أنصار علي بن أبي طالب. انظر العقد 1/ 352 وبلاغات النساء: 105.

(4) هـ: قالت.

خذيها هنيئا واشكري فضل واحد[1] جزاك على حرب العداوة بالسلم[2]/ [254/هـ][338/ج]

حُكي أن بعض الوعاظ كان يزهد في الدنيا فحضرت زوجته يوما مجلسه فسمعت ذلك فوقعت الموعظة منها موقعا عظيما[3]، ثم ذهبت إلى بيتها فتصدقت بجميع ما فيه، فجاء الواعظ فلم ير شيئا، فسألها عن السبب، فحكت له القصة فاغتاظ وقال: إنما أزهد الناس ليزهدوا فآخذ ما يزهدون فيه[4] قلت: وما يقرب من ذلك أن جماعة اجتمعوا على شراب فشربوا وأبقوا بقية في زجاجة، وكان فيهم واعظ، فأدركه مجلس الوعظ فأقام القوم وذهب إلى وعظه، فبينما هو في أثناء ما هو فيه/ إذ رأى الزجاجة فشربها ثم حضر المجلس فلما كان في آخره رأى منهم جماعة [228/أ] يتنظرونه فعرض لهم بذلك وأنشد يقول:

[الخفيف]

كان للقوم في الزجاجة باق أنا وحدي شربت ذلك الباقي[5]

قال وكانوا تفقدوا الزجاجة فما رأوها فعرفوا الحال من قوله[6].

حكى صاحب[7] "روضة القلوب ونزهة المحب والمحبوب" أن بعض أبناء

---

(1) أ، ج، هـ: ماجد.

(2) البيتان وردا في العقد الفريد 1/ 353 وبلاغات النساء: 106. والحكاية وردت في المرجعين السابقين.

(3) ساقطة من: ب، ج، د، هـ.

(4) أ، ج، هـ: به.

(5) البيت ورد في حلبة الكميت، وفيه أنه للكيلاني، وهوعبد القادر بن موسى الجيلاني أوالكيلاني مؤسس الطريقة القادرية (471-561هـ)، انظر فوات الوفيات 2/ 373. والنجوم الزاهرة 5/ 371 والشذرات 4/ 198.

(6) القول ورد في المراجع السابقة.

(7) هو عبد الرحمان بن نصر بن عبد الله العدوي الشيزري قاضي طبرية، توفي سنة 774هـ. انظر كشف الظنون 1987. وهدية العارفين 1/ 528.

التجار رأى امرأة في مجلس الواسطي[1] الواعظ فعلق بها. قال: وكانت أديبة شاعرة كاتبة قد بلغت من الجمال أقصى المنال، فجعل يتردد إلى المجلس، فإذا انصرفت منه سلم عليها. قال: فترد عليه السلام: فأقاما مدة يتردد كل منهما لصاحبه في القول ثم أهدى إليها في بعض الأيام شيئا فقبلته وأهدت إليه مثله، فسألها الاجتماع بها ووعدها بمال فوعدته بذلك وطال مطلها له، فأرسل يستنجزها الوعد وذكر المطل وما قيل في ذمه، فكتبت إليه رقعة فيها: سيدي! جعلت فداك، السين بالسين هواء والهاء بالهاء وفاء والواو بالواو هناء والكاف بالكاف سواء، والنون بالنون جزاء، [285/ب] وذق طعم/ السكر في الكلام، واشتري السادس بالثاني إن شئت والسلام قال ثم أنشدت تقول:

[البسيط]

يا من يروم[2] وصالا ثم يطلبه بكاذب الوعد[3] تعليلا وتمويها
إن كنت تطلب كافات الشتاء فما تنال سادسها إلا بثانيها

انتهى كلام صاحب روضة القلوب قلت: قولها، السين بالسين هواء أي السلام بالسلام مجاملة، لا طائل تحتها، والهاء بالهاء وفاء أي الهدية التي أهديتها [339/ج] لي[4] أهديتك مثلها فحصل الوفاء، والواو بالوار [هناء][5] أي الوعد الذي/ [302/د] وعدتنيه من المال وعدتك في مقابلته بالوصال، فهومجاز له،/ والكاف بالكاف سواء أي الكَيْسُ[6] بالكِيسِ مساوله. وقولها: فذق طعم السكر أي هذا الكلام

(1) هو محمد بن الحسن بن عبد الله الحسيني الواسطي، أبوعبد الله شمس الدين المتوفى سنة 776هـ. انظر ترجمته في الدرر الكامنة 3/ 320. وشذرات الذهب: 6/ 244.

(2) ا: يريد.

(3) ب: العهد.

(4) ساقطة من: ج.

(5) أ: وهنا.

(6) الكيس: الجماع. اللسان: كيس.

الذي قلته أو الوصال الذي تريده، واشتري السادس بالثاني أي السادس من بيت الحريري في كافات الشتاء وهو: الكَيْسُ، بالثاني وهو: الكِيسُ وقال الأول:

[البسيط]

جاء الشتاء وعندي من ذخائره   سبع إذا القطر عن حاجاتنا حبسا[1]

والبيت المذكور هو بعد ذلك:

كن وكيس وكانون وكأس طلا   مع الكباب وكس ناعم وكسا[2]

ثم رأيته في بعض المجاميع تفسير قولها السين بالسين إلى آخره فوجدته مطابقا لما قلته هنا غير أنه قال في قولها: فذق طعم السكر أي هذين البيتين وهما قولها الأول: من يروم وصالا الخ. وهما/ لابن سكرة الشاعر وقد أجاد بعضهم حيث قال: [255/هـ]

[الوافر]

وكافات الشتاء تعد سبعا   وما لي حيلة بلقاء سبع

إذا ظفرت بكاف الكيس كفى   ظفرت بمفرد يأتي بجمع

قلت وفي المستطرف[3] أن امرأة التفت بكساء ومرت فقيل لها: ما هذا المال؟ فقالت: السادس في السابع يعني كيسا في كساء[4].

---

(1) البيت ورد في مقامات الحريري والوفيات 4/ 412.

(2) البيت ورد في مقامات الحريري والوفيات 4/ 413. وتزيين الأسواق 2/ 110. وهما معا من شعر ابن سكرة وهو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد الهاشمي البغدادي (ت - 385هـ)، انظر ترجمته في الوفيات 4/ 410 والشذرات الذهب 3/ 117.

(3) المستطرف في كل فن مستظرف. لشهاب الدين محمد بن أحمد الابشيهي المتوفى سنة 850هـ.

(4) هذا القول غير وارد في الطبعة المعتمدة من المستطرف.

حكى يونس[1] قال: صحبت الحسن البصري[2] ثلاثين سنة ما سمعته قط خاض في شيء مما يخوض فيه الناس من أمر الدنيا. إنما كان أكثر ذكره الموت، حتى أتته امرأة يوما، ناهيك بامرأة شبابا وجمالا وكمالا وشحما ولحما، يدفع بعضها بعضا، فقالت له: يا شيخ! أيحق للرجل أن يتزوج على امرأة[3] وهي شابة جميلة[4] ولود؟ قال: نعم [أحل الله تعالى له أربعا. قال: فكشفت عن وجه لم ير قبله حسنا وقالت: أوعلى مثلي؟ قال: نعم][5]. قالت: سبحان الله. بعيشك يا أبا سعيد! لا تُفْتِ الرجال بهذا، ثم قامت منصرفة. فاتبعها الحسن البصري بصره ثم قال[6]: ما ضر امرئ، كانت هذه عنده، ما فاته من الدنيا، وقال: أنشد أبو الفرج[7] في كتاب النساء للأسود يقول/ : [229/أ]

[الخفيف]

ويك إن الملام يغري الملوما	ليس جرمي كما زعمت عظيما
إن أكن عاشقا فلم آت إلا	ما أتته الرجال قبلي قديما
إنما يكثر التعجب ممن	كان من فتنة النساء سليما

---

(1) يونس بن عبيد بن دينار العبدي، جالس كثير من العلماء وروى عنهم أحاديث كثيرة، وكان من الثقاة (ت-139هـ)، انظر تهذيب التهذيب 11/ 442.

(2) أبوسعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري من سادات التابعين وكبرائهم. انظر الوفيات 2/ 69.

(3) أ: آمرة.

(4) أ: شميلة

(5) ما بين معقوفين زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(6) أ: فقال.

(7) محمد بن محمد بن سهل الشلحي العكبري، أبوالفرج، من الكتاب. من آثاره: كتاب «النساء الشواعر...» انظر معجم المؤلفين 11/ 222.

حكى الزبيري في الموفقيات[1] عن عمه الهيتم ابن عدي[2] عن السري بن إسماعيل[3] عن الشعبي[4] قال: قال لي شريح[5]: عليك يا شعبي ببنات بني تميم قال: وأخبرني/ أنه تزوج/ امرأة منهم قال: فأقسمت على أهلها بعد تمام العقد، أن [340/ج][286/ب] لا تنام إلا عندي فقالوا: نريد أن نهيئها ونصنعها فقلت: حسبي ما رأيت، وقد كنت رأيتها قبل نكاحها فهيئوها ثم زفوها إلي من ليلتهم، فأقبلت إلى مع نساء من قومها فلما وقفت بباب الحجرة سلمت ثم دخلت البيت، فقمت إليها فقلت: أيتها المرأة/ ! إن من السنة إذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم فيصلي وتصلي خلفه [303/د] ويسألان الله تعالى خير ليلتهما ويتعوذان من شرها، ثم تقدمت إلى الصلاة فإذا هي خلفي فصليت ثم التفت فإذا هي على فراشها فأخذت بناصيتها ودعوت الله تعالى وباركت ثم مددت يدي إليها فقالت: تمهل على رسلك، ثم قالت: الحمد لله أحمده وأستعينه وأتوكل عليه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، أما بعد: فإني امرأة غريبة وأنت رجل لا أعرف أخلاقك فاخبرني بما تحب فأتبعه، وبما تكره فأجتنبه، أقول قولي هذا واستغفر الله. قال: فقلت: الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم أما بعد: فقد قدمت خير مقدم على أهل دار زوجك خير رجالهم إن شاء الله سيدة[6] نسائهم، أحب كذا وكذا قالت: فاخبرني عن أختانك، أي أهلها، أتحب أن يزوروك؟ فقلت: أكره أن يملوني. فبت بخير ليلة [وأصبحت][7] فأقمت عندها ثلاثا ثم خرجت إلى مجلس القضاء فلبثت حولا

(1) سبق ذكره

(2) سبق ذكره

(3) ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد 7/ 118.

(4) أبوعمرو، عامر بن شراحيل. سبق ذكره.

(5) سبق ذكره.

(6) أ: خير.

(7) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

[256/هـ] لا أرى فيه يوما إلا وهو أحب إلي مما قبله، فلما كان رأس السنة انصرفت/ من مجلس القضاء إلى منزلي فإذا فيه عجوز تأمر وتنهى فقالت: كيف أنت يا أبا أمية؟ فقلت: ومن أنت؟ فقالت: ختنتك. فقلت حياك الله بالسلام إني بخير عافاك الله. قالت: كيف رأيت صاحبتك؟ قلت: خير امرأة، قالت: إن المرأة ليسوء خلقها من حالتين، إذا حظيت عند زوجها، وإذا ولدت غلاما، فإن رابك شيء من أهلك[1] فالسوط، فإن الرجال ما حازت إلى بيوتها أشر من المرأة المدللة: قلت: أشهد أنها ابنتك قد كفيتني[2] الرياضة وأحسنت الأدب قال: فكانت تأتي في كل سنة توصي بهذه الوصية ثم تنصرف فذلك حيث أقول:

[المتقارب]

إذا زينب زارها أهلها حشدت وأكرمت زوارها
وإن هي زارتهم زرتها وإن لم يكن أربي دارها[3]

قال: فأقامت عندي عشرين سنة ما غضبت عليها قط يوما وليلة إلا يوما كنت لها ظالما، وكان ذلك أني كنت إمام قومي فصليت ركعتي الفجر وأبصرت في الدار [341/ج] عقربا فأعجلني المؤذن عن قتلها فكفأت عليها إناء وأمرتها ألا ترفعه/ حتى أرجع فجئت فوجدتها قد رفعته فضربتها العقرب فلو رأيتني يا شعبي وأنا أستخرج الدم من أصبعها وأقرأ عليه فاتحة الكتاب والمعوذتين. قال: وكان لي جار من كندة لا يزال يضرب امرأته فذلك حيث أقول:

[الطويل]

رأيت رجالا يضربون نساءهم فشلت يميني حين أضرب زينبا

---

(1) ب، ج، هـ: من أهلك شيء.

(2) أ: كفتني.

(3) البيتان وردا في الأغاني 17/ 214.

أأضربها من غير جرم أتت به   إلي، فما عذري إذا كنت مذنبا![1]

وماتت رحمة الله تعالى عليها فوالله لقد بغضت إلي الحياة يا شعبي وأفسدت علي النساء ولقد وددت أني تبعتها[2].

حكى مالك[3] عن يحيى بن سعيد[4] قال: كان لسعيد/ بن المسيب[5] جليس [287/ب] يقال له: عبد الله بن/ وداعة[6] فابطأ عنه أياما [فسأل سعيد عنه][7] فقيل له: إن [304/د][230/أ] سعيد بن المسيب يسأل عنك فأتاه فسلم عليه، ثم جلس][8] فقال له سعيد: أين كانت غيبتك يا أبا محمد؟ قال: إن أهلي كانت مريضة ثم إنها ماتت ودفنتها. فقال له: يا عبد الله! أفلا أعلمتنا بمرضها فنعودها أوبموتها فنشهد جنازتها. ثم عزاه فيها ودعا له، ثم قال له: يا عبد الله! تزوج ولا تلقى الله [تعالى][9] وأنت عازبا قال: فقلت: يرحمك الله، ومن يزوجني؟ فوالله لا أملك غير أربعة دراهم. فقال: سبحان الله، أو ليس في أربعة دراهم ما يستعين به الرجل المسلم يا عبد الله؟ أنا أزوجك. قال: فسكت استحياء منه، وإعظاما له. فقال: مالك سخطت ما عرضت

---

(1) البيتان وردا في العقد الفريد 6/ 140. الأغاني 17/ 223.

(2) الحكاية وردت في العقد الفريد 7/ 100 والأغاني 17/ 220. والمستطرف 2/ 375 مع اختلاف الروايات.

(3) لعله مالك الإمام.

(4) يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو بن سهل بن ثعلبة، أبو سعيد الأنصاري من أهل الحديث توفي حوالي 143هـ. أنظر تاريخ بغداد 14/ 101، تهذيب التهذيب 11/ 221. وذكره ابن خلكان في تاريخه 2/ 377.

(5) أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي أحد الفقهاء السبعة بالمدينة (13-94هـ)، طبقات بن سعد 5/ 119 وحلية الأولياء 2/ 161. الوفيات 2/ 375.

(6) ذكره الحافظ الأصبهاني في حلية الأولياء، باسم ابن أبي وداعة. انظر ج 2/ 167. وفي نفس الحكاية ذكره ابن خلكان في الوفيات باسم أبي وداعة. انظر ج 2/ 376.

(7) ما بين معقوفين ساقط من: د.

(8) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(9) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

عليك؟ قال: فقلت: يرحمك الله، وأين المذهب عنك؟ فوالله إني لأعلم أنك إذا شئت زوجتنيها بأربعة آلاف درهم. فقال: نعم، يا عبد الله، فادع هؤلاء النفر من الأنصار فقمت فدعوت له حلقة من بعض حلق الأنصار فأشهدهم على النكاح بأربعة دراهم قال: فلما صلينا العشاء الأخيرة وسرت إلى منزلي، وإذا برجل يقرع الباب، فقلت: من هذا؟ قال سعيد فوالله لقد خطر ببالي كل سعيد عرفته بالمدينة غير سعيد بن المسيب، وذلك أنه ما رءي قط إلا بين داره والمسجد أوإلى جنازة. فقلت: من سعيد؟ فقال: سعيد بن المسيب. قال: فارتعدت فرائصي وقلت: لعل [257/هـ] الشيخ ندم فجاء يستقيلني. قال: فقمت/ إليه أجر رجلي وفتحت الباب، فإذا بشابة ملففة ودواب عليها متاع وخادمة بيضاء. فسلم علي وقال: يا عبد الله! هذه زوجتك فقلت استحياء منه: كنت أحب أن يتأخر ذلك أياما حتى نفعل ما يجب في حقها. قال: أولست أخبرتني أن عندك أربعة دراهم؟ فقلت: هوكما ذكرت. فقال: إنها عليك إذا غير ميمونة وما كان الله ليسألني عن عزوبتك الليلة وعندي [342/ج] لك أهل، هذه زوجتك وهذا متاعكم وهذه خادمة/ تخدمكم ومعها ألف دينار نفقة لكم فخذها يا عبد الله بأمانة الله، فوالله إنك لتجدها صوامة قوامة عارفة بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ. فاتق الله فيها ولا يمنعك مكانها مني، إن رأيت منها ما تكره، أن تحسن أدبها، وسَلَّمَها إلي ومضى. قال: والله ما رأيت امرأة قط أقرأ لكتاب الله تعالى، ولا أعرف لسنة رسول الله ﷺ، ولا أخوف لله عز وجل منها. لقد كانت المسألة المعظلة يعي الفقهاء فيها فأسألها عنها فأجد عندها منها علما. قال: فأقمت معها ما شاء الله ثم رزقني الله تعالى منها حملا. وكان سعيد كثيرا ما يسألني عنها فيقول: ما فعلت الإنسانة؟ فأقول: بخير فيقول: يا عبد الله! إن خف عليك أن تزورنا بها فافعل، قال: فلما حضرت ولادتها خرجت لأنظر فيما يحتاج الرجل لأهله ورجعت إلى الدار فإذا بها شخص ما رأيته قط فرجعت موليا فنادتني من ورائي يا عبد الله! [ادخل. فقلت: ومن أنت؟ قالت أنا أم هذه الفتاة

يا عبد الله!][1] كيف رأيت أهلك؟ فقلت جزاكم الله من بيت خيرا/ فقد ربيتم [د/305] فأحسنتم وأدبتم فأحكمتم. فقالت: يا عبد الله! لا يمنعك مكانها منا إذ ترى منها ما تكره فأحسن أدبها ولا تملكها من أمرها فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، ولا تكثر التبسم في وجهها فتستخف بك يا عبد الله بارك/ الله لكما في المولود، وجعله [ب/288] مباركا خائفا من الله، ووقاه فتنة الشيطان، وجعله شبيها بجده سعيد، فوالله إني لزوجته أربعين سنة ما رأيته عصا الله قط وهذه نفقة بعثني بها إليكم فأخذتها [منها][2] فإذا هي خمسة دنانير ثم خرجت فلم أر لها وجها ثمان عشرة سنة حتى قضى الله عز وجل بالموت [رحمهم الله][3].

حكى أبو الفرج في "كتاب النساء"[4] قال: كان عند السفاح أم سلمة بنت[5] يعقوب بن عبد الله المخزومي، وكان قد/ أحبها حبا شديدا ووقعت من قلبه [أ/231] موقعا عظيما، فحلف لها ألا يتخذ عليها سرية، ولا يتزوج عليها، ووفى لها بذلك قال: فدخل عليه يوما خالد بن صفوان[6] فقال له: فكرت الليلة في أمرك وسعة ملكك وإنك ملكت نفسك لأمرأة واقتصرت عليها فإن مرضت مرضت ومنعت نفسك التلذذ بالسراري ومستظرفات الجواري ومعرفة اختلاف حالهن وأجناس التمتع بما تشتهي منهن، فمنهن الطويلة الغيداء[7]، والقصيرة البيضاء والبربرية

---

(1) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(2) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(3) ما بين معقوفين زيادة من: د، ه وفي ب، ج: رحمها. وورد أول الحكاية في حلية الأولياء 2/ 167 والوفيات 2/ 376.

(4) هو كتاب "أخبار النساء" لأبي الفرج ابن الجوزي، وهو مطبوع.

(5) أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، تزوجها عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك فهلك عنها، ثم تزوجها هشام فهلك عنها، ثم تزوجها السفاح بعدما أرسلت إليه جاريتها تخطبه لنفسها. انظر "مروج الذهب" 4/ 105.

(6) خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو ابن الأهتم التميمي من فصحاء العرب المشهورين، كان يجالس عمر عبد العزيز وهشام بن عبد الملك (ت-133هـ)، انظر أمالي المرتضى 4/ 172 ونكت الهميان: 148 والأعلام للزركلي 2/ 297.

(7) الغيداء: المرأة الغيداء: البينة الغيد وهي الليونة والنعومة. اللسان: غيد.

العجراء والذهبية السمراء، والمولدات المدنيات اللآتي يفتن بمجاورتهن ويخلبن
[343/ج] بحلاوتهن ولورأيت السمراء واللعساء[1] من مولدات/ البصرة والكوفة ذوات
الألسن العذبة والقدود المهفهفة والأوساط المختصرة والثدي النواهد المحققة
وحسن زيهن، وظرف شكلهن، لرأيت فتنا ومنظرا حسنا وأين أنت من بنات
الأحرار والنظر إلى ما عندهن من الحياء والتعطر والدلال والتخفر[2] قال: وأخذ
خالد يزيد في الوصف ويكثر الإطناب بحلاوة لفظه وجودة الكلام منه، فلما فرغ
[258/هـ] قال السفاح: ويلك يا خالد!/ ما سلك مسامعي قط أحسن مما سمعته منك فأعده
علي فأعاده عليه وزاد فيه ونمقه، ثم انصرف خالد وبقي السفاح مفكرا مغموما
فدخلت عليه أم سلمة؟ وكانت تبره كثيرا وتتوخى مسرته[3] ووافقته[4] في جميع ما
أراد. فقالت له: مالي أراك مغموما جعلت فداءك؟ فهل حدث أمر تكرهه أوأتاك
خبر ارتعت له؟ فقال: لم يكن شيء من ذلك، قالت: فما قضيتك؟ فجعل يكتم
عنها فلم تزل به حتى أخبرها بمقالة خالد. قالت: فما قلت لابن الفاعلة؟ فقال:
سبحان الله أينصحني وتسبيه؟ فخرجت من عنده وأرسلت إلى خالد عبيدا لها
وأمرتهم بضربه والتنكيل[5] به. قال خالد: وكنت انصرفت إلى المنزل مسرورا بما
رأيت من إصغاء السفاح إلى كلامي وإعجابه بما ألقيت[6] عليه، وأنا لا أشك في
الصلة فلم ألبث أن جاء أولئك العبيد، فلما رأيتهم أقبلوا نحوي أيقنت بالجائزة،
فوقفوا علي وسألوا عني فعرفتهم بأمري، وبنفسي، فأهوى إلي أحدهم بعمود
[306/د] كان في يده فبادرت الدار وأغلقت الباب، ومكثت أياما لا أخرج من منزلي،/

(1) اللعساء: التي في لونها أدنى سواد فيه شربة حمرة ليست بالناصعة. اللسان: لعس.
(2) التخفر: شدة الحياء. اللسان: خفر.
(3) أ: فسرته.
(4) أ: ووافقته.
(5) أ: والتنكل.
(6) أ: التقيت.

وطلبني السفاح طلبا شديدا فلم أشعر ذات يوم إلا وقد هجموا علي وقالوا: أجب أمير المومنين فأيقنت بالموت، فركبت إليه فلم أصل حتى استقبلني عدة رسل، فدخلت عليه فوجدته جالسا فأومأ إلي بالجلوس، فرجع إلي عقلي وسكن روعي وفي المجلس باب عليه ستور قد أرخيت وخلفه حركة فعلمت أن أم سلمة خلفه فقال: يا خالد! لم أرك منذ ثلاث، قال: فقلت: كنت عليلا، قال: إنك كنت وصفت لي آخر دخولك علي من أمر النساء والجواري ما لم يسلك بسمعي كلام قط أحسن منه فأعده علي، قال: فقلت: نعم، أعلمتك يا أمير المومنين أن العرب إنما اشتقت اسم الضرة من الضر وأن أحدا لم يكن عنده/ امرأتان إلا كان في ضرر [289/ب] وتنغيص عيش، قال: ويحك! لم يكن هذا الذي حدثتني به من قبل. قلت: نعم، وأخبرتك أن الثلاثة من النساء كشيء وضع في القدر فأنت تغلي عليه أبدا وأن الأربع شر مجموع لصاحبه يهرمنه ويسقمنه ويضعضعنه وأن الأبكار من الإماء رجال لا خصي لهن. فقال/ السفاح: برئت من قرابتي من رسول الله ﷺ إن كنت [344/ج] سمعت منك شيئا قط من هذا، قال خالد: ويلي! وعرفتك أن بني مخزوم ريحانة قريش وأن عندك ريحانة الرياحين وأنت تطمع بعينيك إلى الإماء والسراري قال: فقال السفاح: ويحك! أفتكذبني؟ قال: فقلت: أفتقتلني؟ قال خالد: فسمعت من وراء الستر ضحكا وقائلا يقول: صدقت يا عماه! بهن حدثته ولكنه بدل وغير ونطق على لسانك بما في نفسه وما لم تنطف به، قال خالد: فقمت عنهما وتركتهما ثم ما شعرت إلا برسل أم سلمة ومعهم المال وتخوت[1] الثياب فقالوا: تقول لك أم سلمة: إذا حدثت الخليفة فحدثه بمثل ذلك[2].

قال ابن الكردبوس[3]: هي أم سلمة/ بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله بن [232/أ]

---

(1) التخوت: ج تخت، سبق شرحه.

(2) الحكاية في مروج الذهب 4/ 106-107.

(3) لم أعثر عليه فيما رجعت إليه من المعاجم والمصادر. ولعله مصحف.

الوليد بن المغيرة المخزومي[1] [قال: وكانت قبل عند عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك بن مروان][2] قال: فبينما هي جالسة على قبره يوما إذ مر بها السفاح وكان جسيما وسيما، فسألت عنه فنسب إليها، فأرسلت إليه مولاة لها تعرض له بخطتها وأرسلت إليه معها بمال وكان لأم سلمة مال عظيم وجوهر كثير فاعتذر السفاح لمولاتها بفقره فدفعت[3] إليه المال [الذي وجهت به إليه][4] وتوجه إلى أخيها فخطبها لنفسه فزوجه إياها، فابتنى بها من ليلته، ولما دخل عليها وجدها على منصة فصعد إليها، فإذا كل عضومنها كلل بالجوهر فحاول مواقعتها على [259/هـ] ذلك الحال فلم تكن منه/ نهضة، فأزالت الجوهر وغيرت لباسها ودنا منها فلم يقدر على شيء فأنسته وقالت له: لا يضرك هذا فإن بكل قادم دهشة وهذا شأن الرجال، ولم يزل طول ليلته يعالجها حتى واقعها وحظيت عنده وغلبت عليه لما صار إليه أمر الخلافة، قال: فلما مات السفاح لم توف له بعد موته وأرسلت إلى [307/د] عمه إسماعيل فلما تزوجها بعث إليه المنصور يحلف له بالطلاق من/ أم موسى، إن لم يطلقها ليضربن عنقه فطلقها وأخذ منها المنصور جميع ما صار إليها من أخيه السفاح من حلي وغيره وقال لها: لووفيت له لوفينا لك، قال الراوي: ولم أجد أحسن خلقا من السفاح إذا خلا بأهله، قال بعض مواليه: بينما أنا بين يديه ذات ليلة وأنا صغير وهوعلى سرير مع أم سلمة إذ مرت به جاريتان صغيرتان لم أر مثلهما قط حسنا وجمالا قد اختمرن على رؤوسهن كما تختمر الحرائر فاستدعى بهما وقال لهما: إماء أم حرائر؟ فقالتا: بل إماء، فقال: ومالكن وللخمار؟ قالتا إن ذلك شأننا في بلادنا، وكانت أم سلمة قد أوصتهما بذلك قصدا حتى لا ينظر إلى

---

(1) هـ: أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن عبد الملك بن مروان.

(2) ما بين معقوفين ساقط من: هـ.

(3) أ، ب: فرفعت.

(4) ما بين معقوفين زيادة من: ب، ج، د، هـ.

محاسنهما. فقال لهما: انزعا خماريكما فأبتا فزعا من أم سلمة فأمر بعض الخصيان فنزعهما فإذا هن من أجمل/ النساء شعرا وسهولة خد وتمام قد، وقد نهدت الثديين [345/ج] في صدورهما كأنهما حقان. قال: فنظر إليهما مليا ثم خاف/ وأشفق عليهما من أم [290/ب] سلمة. فقال لغلام من خدمه اذهب بهذه إلى فلان وبهذه إلى فلان، وقل لهما: يتخذانهما لأنفسهما ويستوصيانهما خيرا، فإني سائلهما بعد ذلك عنهما وعن حالهما، واعلمهما أنهما مني ومن أقرب ما لدي، وذلك كله لأجل رضى أم سلمة رحمهم الله[1].

حكى ابن الجوزي في الأذكياء قال: كان عبد الله بن رواحة[2] رضي الله عنه مضطجعا إلى جانب امرأته فخرج إلى [بعض][3] الحجر[4] فواقع[5] جارية له فانتبهت فَأَلْفَتْهُ راجعا فقالت له: لو وجدتك حيث كنت لجبدت بها[6] بطنك وكان بيدها سكين. فقال لها: ولم ذلك؟ فقالت: لأنك كنت مع جاريتك، فأنكر ذلك، فقالت: بلى وقد رأيتك بعيني فلح في الإنكار. فقالت له: إن رسول الله ﷺ نهى الجنب عن قراءة القرآن فاقرأ إذًا منه ما أعلم به صدقك، فقال رضي الله عنه:

[الطويل]

وفينا رسول الله يتلو كتابه	كما انشق مشهور من الصبح ساطع
أتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا	به موقنات، أن ما قال واقع

(1) الحكاية وردت في شرح المقامات 2/ 227.

(2) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس الأنصاري الخزرجي، أبو محمد، صحابي يعد من الأمراء والشعراء الراجزين (ت8هـ)، انظر تهذيب التهذيب 5/ 212 وحلية الأولياء 1/ 118. وخزانة الأدب للبغدادي 1/ 362.

(3) زيادة من: ب، د.

(4) ج: الحفرة.

(5) ب: فوقع.

(6) هـ: به.

يبيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع[1]

قال: فلما سمعت قوله قالت: آمنت بالله، وكذبت بصري، قال عبد الله: فعدوت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته الخبر فضحك حتى بدت نواجده صلى الله[2] عليه وسلم.

قال صاحب طارد الهموم[3]: إنه اتفق مثل ذلك لبعضهم فأمرته زوجته أن يقرأ شيئا من القرآن لتستدل به على صدقه فقال:

[الوافر]

[233/أ] شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا/
وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا
[260/هـ] وتحمله الملائكة شداد ملائكة اللإله مسومينا/

قال: فصدقته وظنته قرآنا[4].

[308/د] حكى أبو الفرج في الأغاني عن الحسين بن الضحاك[5] قال: كانت/ لي نوبة في دار الواثق بالله، فبينما أنا نائم ذات ليلة إذ جاءني خصي فقال: إن أمير المومنين يدعوك، فسألته عن الخبر فقال: إنه كان نائما إلى جنب محظية له، فقام وهويظنها نائمة، فألم بجارية أخرى، ثم عاد إلى فراشه فغضبت عليه وتركته حتى نام ثم قامت ودخلت حجرتها فدعا بك فمضيت مع الرسول وهيأت أبياتا في طريقي [346/ج] ودخلت/ عليه فأخبرني القصة وأمرني أن أنظم في ذلك شعرا. قال: فأطرقت كأني أفكر ورفعت رأسي وأنشدته أقول:

(1) الأبيات وردت في الديوان: 96

(2) الحكاية في الأذكياء: 26 -27، مع اختلاف الرواية، وجمع الجواهر: 31.

(3) ذكره إسماعيل باشا في إيضاح المكنون ولم ينسبه لأحد.

(4) الحكاية لم أقف عليها

(5) أبو علي بن الضحاك بن ياسر الشاعر البصري المعروف بالخليع (162-250هـ)، انظر ترجمته في تاريخ بغداد 8/ 64. الأغاني 7/ 146. معجم الأدباء 9/ 5. الوفيات 2/ 162 شذرات الذهب 2/ 123.

[الرمل]

غضبت إذ زرت أخرى زورة　　فلها العتبى لدينا والرضى
يا فدتك النفس كانت هفوة　　فاغفريها واصفحي عما مضى
ولقد نبهتني من نومتي　　وعلى قلبي كنيران الغضى[1]

فأمرني بإعادتها فأعدتها عليه حتى حفظها ثم قام إلى الجارية فأنشدها إياها وترضاها فكان بعد ذلك إذا رآني تبسم لحسن موقع الأبيات منه ومن الجارية[2]./ [291/ب]

حكى المبرد عن إسحاق بن الفضل الهاشمي[3] قال: كانت لي جارية وكنت شديد الوجد بها، وأهاب ابنة عمي فيها، فبينما أنا ذات ليلة على السرير إذ عرض لي ذكرها فنزلت أريدها إذ ضربتني عقرب فرجعت[4] إلى السرير مسرعا وأنا أتوعك وأتأوه، فانتبهت ابنة عمي وسألتني عن حالتي فعرفتها فقالت: أعلى السرير لذغتك؟ فقلت: لا فقالت: فاصدقني الخبر، فأعلمتها فضحكت وأنشدت:

[المتقارب]

وداري إذ[5] نام سكانها　　تقيم الحدود بها العقرب
إذا رام ذوحاجة غفلة　　فإن عقاربها ترقب[6]

قال: ثم دعت جواريها وقالت[7]: عزمت عليكن إن قتلتن عقربا بقية هذه السنة.

---

(1) الأبيات وردت في أشعار الضحاك: 70 والأغاني 7/ 179-180.

(2) الحكاية وردت في الأغاني 7/ 179. وأشعار الضحاك: 69.

(3) إسحاق هذا هو ابن الفضل بن عبد الرحمان بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب. انظر المرزباني: 310 مقاتل الطالبيين: 254 - 619.

(4) د: فنزلت.

(5) ب: إذا.

(6) البيتان وردا في المخلاة: 227.

(7) هـ: وقال.

حكى عمارة[1] في تاريخ اليمن قال: كانت السيدة بنت أحمد بن جعفر بن أحمد الصليحية بعيدة الصيت والأدب والجمال والكمال، جمعت كل حسن، فكانت تسمى بلقيس الإسلام، وكان المكرم زوجها لما مات عنها تركها بدار العز التي بناها باليمن، فلما استولى سبأ بن أحمد بن المظفر[2] على الملك أراد أن يتزوجها ليكمل له ملكه فامتنعت منه فعزم على قتالها ثم أشير عليه بأن يكاتب في أمرها ابن المستنصر العبيدي[3] صاحب مصر إذ كان[4] أهل اليمن قائمين بدعوته[5] فامتثل ذلك وأرسل إليه[6] [في][7] ذلك فأرسل إليها رسولين من قبله في هذه القضية لقضاء حاجته ومعهما خصي من عند المستنصر برسم الكلام معها، فدخل الخصي عليها وقد حضر وجوه الدولة قائمين لقيامه فقال لها: أمير المومنين يسلم على الحرة الملكة السيدة المرضية الطاهرة الزكية وحيدة الزمن وسيدة ملوك اليمن، ويقول لها: ﴿وما كان لمومن ولا مومنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من/ أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا / مبينا﴾[8] وقد زوجك أمير [309/د][347/ج] المومنين من أمير الأمراء أبي حمير سبأ بن أحمد بن المظفر على ما حضر من المال وهومائة ألف دينار عينا وخمسون ألف تحفا وأصناما وألطافا فقالت: أما كتاب مولانا فإني أقول فيه: ﴿إني ألقي إلي كتاب كريم﴾[9] وأما أمره فلا أقول فيه: ﴿يا

---

(1) أبو محمد الفقيه عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان بن أحمد اليمني (-569هـ)، انظر الوفيات 3/ 431. النجوم الزاهرة 6/ 7 وشذرات الذهب 4/ 234.

(2) سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي صاحب اليمن ذكره ياقوت في معجم البلدان 1/ 264.

(3) سبق ذكره.

(4) أ: على أهل.

(5) هـ: يدعونه.

(6) أ: إليها

(7) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(8) الأحزاب: 36.

(9) النمل: 29.

أيها الملأ / أفتوني في أمري﴾[1]. ﴿فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾[2] ثم [234/أ/261هـ]
تم عقدة النكاح بينهما على كره منها واستأذنها في الدخول في دار العز فأذنت له، فيقال إنها أجلست له تلك الليلة جارية من جواريها وعلم بذلك فكتمه فلم يفشه ثم تواردت عليه أمور وفتن أوجبت اشتغاله عن ذلك ولم يقدر له اجتماع بها والله تعالى أعلم[3].

حكى الحجاري[4] في المسهب قال: جلس المعتمد بن عباد يوما بموضع من منازله المشرفة على إشبيلية وأحب الاجتماع بزوجته الرميكية[5] فأرسل إليها يعرفها بذلك ويخبرها في وصولها إليه أووصوله إليها فكتبت إليه الجواب:

[الخفيف]

غرضي أن يكون منك وصول ... بخطىً تسبق الرماح حثاث
ثم تعلو صدري وتحرث حرثا ... بقمد يخط كالمحراث[6]/ [292/ب]
وإذا ما صعدت للنيك فوقي ... لم تدعني إلا بلوغ الثلاث[7]

قال: فوصل إليها وبلغها ما أرادت، واسم الرميكية أم البنين وكانت موصوفة بالجمال وحسن النادرة ونظم الشعر، وكان أصل تزوجها به أن المعتمد كان كثيرا

(1) النمل: 32.
(2) يوسف: 18.
(3) تاريخ اليمن 150.
(4) عبد الله إبراهيم الكندي الحجاري مؤرخ أندلسي له المسهب في أخبار أهل المغرب (854هـ)، انظر كشف الظنون 2/ 1680 وهدية العارفين 1/ 457.
(5) اعتماد الرميكية: أديبة من أديبات الأندلس كان المعتمد بن عباد كثيرا ما يستأنس بنوادرها، انظر نفح الطيب 1/ 440 وأعلام النساء 1/ 71.
(6) القمد: القوي الشديد. اللسان: قمد.
(7) الأبيات وردت في نزهة الجلساء في أشعار النساء: 97.

ما يتنزه هو ووزيره أبو بكر بن عمار[1] ويخرجان إلى الموضع المعروف بمرج الفضة[2] وهومكان يجتمع فيه الرجال والنساء للفرجة، فبينما المعتمد عشية في ساحل بحيرتها إذ هبت ريح فزردت الماء[3]، فقال لابن عمار: أجز قولي[4]: صنع الريح على الماء زرد. فتلجلج فبادرته امرأة كانت بالقرب منهما فقالت: أي درع لقتال لو جمد[5].

قال: فتعجب ابن عباد من حسن ما أتت به مع[6] عجز ابن عمار وإفحامه، ثم نظر إليها فرأى صورة جميلة فوقعت في قلبه وانصرف إلى قصره بعد أن وكل بها أحد خصيانه وأمره بحملها إليه، فلما وصلت استفهمها عن نسبها فأخبرته أنها من قوم مشتغلين بالإنزاء[7] على الدواب، وأنها خلية عن زوج، فتزوجها وقطعا[8] برهة من عمرهما في سرور متوال، حتى ورطته في ورطته من الخلاعة والبسط والمجاهرة عليه، حتى كتب إليه أهل إشبيلية محضرا بذلك وبتعطيل صلاة الجمعة والجماعات، ورفعوها إلى أمير المسلمين فمسكه وسجنه وسجن الرميكية معه فماتت هنالك قبله، وولدت له ابنته بثينة وكانت تشبه/ أمها في [348/ج] الجمال والنادرة ونظم الشعر، ولما أحيط بأبيها ووقع النهب في قصره كانت من جملة من سبي، ولم يزل ابن عباد وأمها في وله لا يعلمان ما آل أمرها إليه إلى أن

(1) أبو بكر بن عمار ذوالوزارتين، كان شاعرا هجاء، جعله المعتمد بن عباد على غرب الأندلس (422-477هـ)،انظر الذخيرة، القسم 2 مجلد 1. والوفيات 4/ 425.

(2) لم أقف عليه.

(3) زردت الريح الماء: جعلت فيه زرد، وهي حلق تشبه حلق الدرع. ومفردها حلقة أوزردة، وهذا المعنى يؤكده الشطر الثاني.

(4) أ: قول.

(5) ب، د: لوجد. و«أي درع لقتال لو جمد» والشطران من الرمل.

(6) د: من.

(7) الإنزاء: من نزا ينزو أي وثب. اللسان: نزا.

(8) أ: وقطع.

كتبت إليها بالشعر الآتي ذكره، هذا قبل وفاة/ أمها. وكانت لما سبيت أخذها [310/د] أحد التجار في إشبيلية على أنها سرية ووهبها لابنه، فلما أراد الدخول بها امتنعت وأظهرت نسبها، وقالت: لا أحل لك إلا بعقد نكاح إن رضي أبي بذلك وأشارت عليهم بتوجيه كتاب من قِبَلِها لأبيها وانتظار جوابه، فكتبت إليه بخطها ونظمها:

[الكامل]

افهم كلامي واستمع لمقالتي ... فهي السلوك بدت على الأجياد

لا تنكروا أني سبيت وأنني ... بنت لملك من بني عباد

ملك عظيم قد تولى قصره ... وكذا الزمان يؤول للإفساد

لما أراد الله فرقة شملنا ... وقضى لنا بالبين والإبعاد

قام النفاق على أبي في ملكه ... [فدنا الفرا]ق[1] ولم يكن بمراد

فخرجت هاربة[2] وحازني[3] امرؤ ... لم يأت من أفعاله بسداد/ [262/هـ]

إذ باعني بيع الإماء فضمني ... من صانني إلا من الإنكاد[4]/ [235/أ]

وأراد بي لنكاح نجل طاهر ... حسن الخلائق من بني الأمجاد

ومضى إليك يسوم رأيك والرضى ... ولأنت تنظر في سبيل رشاد

فعساك يا أبت تعرفني به ... إن كان ممن يرتجي لوداد

وعسى رميكية الملوك بفعلها ... تدعو لنا باليمن والإسعاد[5]/ [293/ب]

قال: فلما وصل شعرها لأبيها وهو في السجن سر به هو وأمها وسرا بحياتها وما آل أمرها إليه، وأشهد على نفسه بعقد نكاحها من ابن التاجر المذكور وكتب إليها في أثناء كتابه يقول:

---

(1) ما بين معقوفين زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(2) أ: جارية.

(3) أ، ب: وجازني.

(4) هـ: جاء البيت الثامن في مكان السابع.

(5) القصيدة وردت في نفح الطيب: 285-284/ 4.

[السريع]

بنيتي كوني به برة فقد قضى الدهر بإسعاده[1]

حكى ابن بسام في الذخيرة، قال: كانت ولادة بنت محمد بن عبد الرحمان الناصري[2] الملقب أبوها بالمستكفي، واحدة أوانها ونادرة زمانها، حسن منظر وجودة وخير وحلاوة مورد ومصدر وكان مجلسها بقرطبة منتدى لظرفاء العصر، وملعبا لجياد النظم والنثر، يغشو أهل الأدب إلى ضوء غرتها، وتتهالك أولاد الملوك على حلاوة عشرتها، وكانت على علو نسبها وارتفاع أدبها سهلة الحجاب كثيرة الخلاعة، والنزح، قليلة المبالاة متجاهرة/ بلذاتها، قد كتبت بالذهب على الطراز الذي على عاتقها الأيمن: [349/ج]

[الوافر]

أنا والله أصلح للمعالي وأمشي مشيتي وأتيه تيها[3]

وكتبت على الذي على الأيسر بالذهب أيضا:

[الوافر]

[311/د] وأمكن عاشقي من صحن خدي وأمنح قبلتي من يشتهيها[4]/

وهي التي وله بحبها أبوالوليد ابن زيدون[5]، وإياها يخاطب بقوله:

[البسيط]

إني ذكرتك بالزهراء مشتاقا والأفق طلق ووجه الأرض قد راقا

(1) البيت ورد في المرجع نفسه وكذا حكاية المعتمد والرميكية وابنتيها.

(2) من أشهر النساء بالأندلس، كانت واحدة زمانها، حسنة المحاضرة. مشكورة المذاكرة. انظر نفح الطيب 4/ 205. أعلام النساء 5/ 287.

(3) البيت ورد في الذخيرة 1 / 1 / 429 والنفح 4/ 205.

(4) البيت ورد في الذخيرة 1 / 1 / 430 والنفح 4/ 205.

(5) أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب ابن زيدون الأندلسي الشاعر المشهور (-463هـ)، انظر الذخيرة 1 / 1 / 336. الوفيات 1/ 139 وله في النفح أخبار كثيرة.

وللنسيم اعتلال في أصائله كأنه رق لي فاعتل إشفاقا
لا أسكن الله قلبا عند ذكركم ما لم يطر بجناح الشوق خفاقا
لو شاء حملي نسيم الريح نحوكم وافاكم بفتى يكفيه ما لاقى[1]

وقال ابن زيدون يخبر عن أول اجتماعه بها: لقد كنت في أيام الشباب هائما بغادة، أرى الحياة متعلقة بقربها، ولا يزيد في امتناعها إلا اغتباطا بها، فلما ساعد القضاء وآن اللقاء كتبت إلي تقول:

[الطويل]

ترقب[2] إذا جن الظلام زيارتي فإني رأيت الليل أكتم للسر
وبي منك ما لو كان بالشمس لم تلح وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر[3]

قال: فلما وصل الكتاب تهيأت للقاء الأحباب، ولما طوى الليل كافوره، ونشر عبيره، أقبلت بقد كالقضيب، وردف كالكثيب، وقد أطبقت نرجس المقل على ورد الخجل، فملنا إلى روض مدبج، وظل سجسج[4]، قد قامت رايات أشجاره، وامتدت سلاسل أنهاره، ودر الطل منثور، وجيب الراح مزرور، فلما شببنا نارها، وأدركت منا ثأرها، باح كل منا بحبه، وشكا ما بقلبه، وبتنا بليلة نجني أقحوان الثغور، ونقطف رمان الصدور، ولما نشر الصبح لواءه وطوى الليل ظلماءه ودعتها وأنشدتها:/ [294/ب][263/هـ]

[الرمل]

ودع الصبر محب ودعك ذائع من سره ما استودعك

---

(1) الأبيات وردت في الديوان: 257 مع اختلاف في الرواية وفي ترتيب الأبيات، وكذلك وردت في الذخيرة 1 / 1 / 364 - 365 ونفح الطيب 4/ 209. وأعلام النساء 5/ 288.

(2) أ: تقرب.

(3) البيتان وردا في الذخيرة 1 / 1 / 430.

(4) روض مدبج: مزين بالديباج. ظل سجسج: لعله أراد ظل طيب فيه هواء معتدل. اللسان: دبج.

يقرع السن على إن لم يكن زا — د في تلك الخطى إذ شيعك
يا أخا البدر سناء وسنا — حفظ الله زمانا أطلعك
[236/أ] إن يطل بعدك ليلي فلكم — بت أشكو قصر الليل معك[1]/

قلت: توفي رحمه الله سنة أربع وثمانين وأربعمائة[2].

حكى ابن سعيد[3] في كتابه المسمى بالطالع[4] قال: كتبت حفصة بنت الحاج[5] [350/ج] الركوني[6]/ المشهورة بالأدب والجمال إلى بعض من كان بينها وبينه مودة في ذلك الزمان وصحبة شديدة فقالت:

[الوافر]

أزورك أم تزور فإن قلبي — إلى ما تشتهي أبدا يميل
وقد أملت أن تظمى وتضحى — إذا وافى لنا منك القبول
فثغري مورد عذب زلال — وفرع ذوائبي ظل ظليل
[312/د] فعجل بالجواب فيا جميل — كفيتك عن بثينة يا جميل[7]/

قلت: هذه الأبيات تشبه ما أنشدته مسلم بنت القراطسي[8] من أهل بغداد،

(1) الأبيات وردت في الديوان: 12 وأيضا في الذخيرة 431/1/1، والحكاية كلها في الذخيرة 429/1/1-431.

(2) اتفقت المصادر على أن تاريخ وفاة ابن زيدون هو سنة (463هـ)، ولعله خطأ من ريشة الناسخ.

(3) علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد، مؤرخ أندلسي، من الشعراء العالمين بالأدب (610-685هـ)، انظر ترجمته في فوات الوفيات 3/ 103. نفح الطيب 2/ 262.

(4) عنوانه الكامل: «الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد». انظر كشف الظنون.

(5) د: حجاج.

(6) هي حفصة بنت الحاج الركونية شاعرة أديبة من أديبات غرناطة، كانت ذات جمال وحسب وثراء. انظر ترجمتها في نفح الطيب 4/ 171 وأعلام النساء 1/ 267.

(7) الأبيات وردت في نفح الطيب 4/ 178، وأعلام النساء 1/ 271.

(8) في النفح: اسمها سلمى بنت القراطيسي، من أهل بغداد. وكذا في أعلام النساء. انظر نفح الطيب 4/ 178 وأعلام النساء 2/ 251.

وكانت من أهل الجمال والأدب مشهورة بذلك فيما رواه ابن الحسن[1] في تاريخه [وهو][2]:

[الوافر]

عيون مهى الصريم فداء عيني   وأجياد الضباء فداء جيدي[3]
أزين بالعقود وإن نحري   لأزين للعقود من العقود
ولا أشكو من الأرداف ثقلاً   وتشكو قامتي ثقل النهود[4]

قال: فلما بلغت هذه الأبيات المقتفي[5] قال: اسألوا عنها هل يصدق في صفاتها[6] قولها: فقالوا له: لم يكن ثَمَّ أجمل منها، فقال: اسألوا عن عفافها. فقيل: هي أعف النساء[7] قال: فأرسل إليها مالا جزيلا وقال لها: استعيني به على صيانة جمالك ورونق أدبك فقبلته[8].

قلت: وقد عن لي عند ذلك ذكر أبيات كنت نظمتها على لسان بعض الحرائر المتهتكات وهي:

[السريع]

كم لي مع العشاق من خلوة   لأجل شكواهم أليم الغرام
أو ليروا وجهي الجميل الذي   إذا به يخجل بدر التمام

(1) في نفح الطيب: أنشدها ابن أبي الحصين في تاريخه، إلا أن كتب التراجم لم تنسب له هذا التاريخ.
(2) أ: وهي.
(3) المهاة: بقرة الوحش. والصريم: القطعة المنقطعة من الرمل. اللسان، مادتا: مها، وصرم.
(4) الأبيات وردت في نفح الطيب 4/ 178. أعلام النساء 2/ 251. نزهة الجلساء 58-59.
(5) محمد بن أحمد، المقتفي لأمر الله العباسي (489-555هـ)، انظر ترجمته في الكامل لابن الأثير 11 96.
(6) ب، ج، د: صفتها.
(7) أ، ج، هـ: الناس.
(8) الحكاية وردت في نفح الطيب 4/ 178.

أوضم أعطافي وما يشتهوا — حتى من الغنج ولين[1] الكلام
أوقبلة أو موعد كاذب — مسوف لا غير ذا والسلام
وترك تمكيني لهم من حري — مخافة الله ويوم القيام
ويرحم الرحمان ما كان من — خلاعتي، بل للذنوب العظام
حرت حلاوات ليالي الهوى — ولم تزودني غير الآثام

حكى إبراهيم بن أبي عبد الله محمد[2] قال: خرج أبو دهبل[3] يريد الغزو، وكان رجلا جميلا صالحا فلما كان بجيرون[4] جاءته امرأة فأعطته كتابا فقالت [295/ب] له: اقرأ هذا، فقرأه لها، ثم/ ذهبت به[5] فدخلت قصرا، ثم خرجت إليه، فقالت له: لو دخلت القصر فقرأته فيه على امرأة كان لك في ذلك الأجر إن شاء الله [351/ج] تعالى، فدخل معها/ القصر فإذا فيه جوار كثيرة أغلقت عليه باب القصر وإذا [264/هـ] امرأة جميلة/ قد أتته فدعته إلى نفسها فأبى فأمرت به فحبس في بيت من القصر وأطعم وسقي قليلا قليلا حتى ضعف، وكاد أن يموت، ثم دعته إلى نفسها فقال: أما الحرام فلا يكون ذلك أبدا، لكن أتزوجك، قالت: نعم فتزوجها قال: ثم إنها أحسنت إليه وأمرت الجواري بخدمته حتى رجعت نفسه إليه فأقام معها زمانا طويلا، لم تدعه يخرج من القصر حتى يئس منه أهله وولده وزوجوا بناته وأقتسموا ماله وميراثه، وأقامت زوجته تبكي عليه ولم تقاسمهم ماله ولا أخذت [313/د] منه شيئا، وجاءها الخطاب فأبت وأقامت على الحزن والبكاء/ عليه، قال: فقال [237/أ] أبو دهبل لامرأته يوما إنك قد يتمت في أولادي/ وأهلي فاذني لي أن أخرج إليهم

(1) أ: ليس.

(2) لم أقف عليه.

(3) أ: دهيل. وهو وهب بن أسيد أبو دهبل، كان رجلا جميلا شاعرا، قال الشعر في آخر خلافة علي بن أبي طالب. انظر الأغاني 7/ 129.

(4) يقال: هو حصن بدمشق بناه رجل من الجبابرة يقال له جيرون. وقيل إن جيرون بن عاد نزل في موضع دمشق فبناها وبه سمي باب جيرون. انظر. انظر معجم البلدان: جيروت.

(5) ساقطة من: ب، ج، د، هـ.

وأرجع إليك، فأخذت عليه عهدا وميثاقا ألا يقيم عندها إلا سنة من غير زيادة حتى يعود إليها، وأعطته مالا كثيرا فخرج من عندها بذلك المال حتى قدم على أهله وولده فرأى زوجته وما صارت إليه من الحزن ونظر إلى أولاده الذين كانوا اقتسموا ماله فقال لهم: ما بيني وبينكم عمل أنتم ورثتموني وأنا حي فهو حظكم والله لا يشرك زوجتي فيما قدمت به أحد، وقال لزوجته الحزينة: شأنك وهذا المال فهو كله لك فلست أجهل ما كان من وفائك. قال: فأقام معها وقال في زوجته الثانية الجيرونية[1]:

[الخفيف]

صاح حيا الإله حيا ودورا عند[2] أصل القناة من جيزون
فبتلك اغتربت[3] في الشام حتى ظن أهلي مرجمات الظنون
وبكت[4] خشية التفرق والبين بكاء الحزين نحو الحزين
وهي زهراء مثل لؤلؤة الغوا ص ميزت من جوهر مكنون

وقال منها:

فاسألي عن تذكري واكتئابي جل أهلي إذا هم عذلوني[5]

قلت: وقد روي هذا الشعر لعبد الرحمان بن حسان[6] و ليس بصحيح. قال: فلما جاء الأجل الذي أجلته له زوجته في العود إليها أراد الخروج فجاءه خبر موتها فأقام عند الحزينة في أرغد عيش [حتى فرق بينهما الموت][7].

(1) ج: الجيرونة.
(2) أ: عن.
(3) أ، ب: أعربت.
(4) د: وبقت.
(5) الأبيات وردت في الأغاني 7/ 143 مع اختلاف قليل في الرواية.
(6) عبد الرحمان بن حسان بن ثابت الأنصاري، أبو محمد، شاعر ابن شاعر. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب 6/ 162.
(7) الحكاية وردت في الأغاني 7/ 142-143 وخزانة الأدب 7/ 316.

حُكي أن بعضهم ذكر عند عبد الله بن هشام[1] غدر النساء وسرعة تزويجهن بعد موت أزواجهن، فقال ابن هشام: إنه ليبلغني من ذلك العجب. فقال بعض جلسائه: أنا أحدثك عما بلغني من ذلك، سمعت أن رجلا/ من بني يشكر يقال له غسان[2] كانت تحته ابنة عمه يقال لها أم عقبة[3] وكان لها محبا، وهي كذلك، فلما حضره الموت وعرف أنه مفارق الدنيا قال لها: يا أم عقبة اسمعي ما أقول وأجيبي بحق، وقد تاقت نفسي إلى مسألتك عن نفسك بعدما تواريني في التراب. فقالت له: قل فقال: والله لأجعلنه آخر خطاب مني، ثم قال لها: وهويبكي بكاء منعه من الكلام هذا النظام: [352/ ج]

[الخفيف]

أخبريني بما تريدين بعدي والذي تضمرين يا أم عقبة

تحفظيني من بعد موتي لما قد كان مني من حسن خلق وصحبة/ [296/ب]

أم تريدين ذا جمال ومال وأنا في التراب في سحق غربة[4]

قال: فأجابته ببكاء وانتحاب تقول:

[الخفيف]

قد سمعنا الذي تقول وما قد خفته يا خليل من أم عقبه

أنا من أحفظ النساء وأرعا ه[5] لما قد وليت من حسن صحبه/ [314/د]

سوف أبكيك ما حييت بشجو ومراث[6] أقولها وبندبه[7]/ [265/هـ]

(1) أظن أن الصواب هو هشام بن عبد الملك كما في النوادر للقالي: 200.

(2) غسان بن جهضم بن العذافر، انظر ذيل الأمالي والنوادر للقالي: 200.

(3) أم عقبة بنت عمرو بن الأبجر اليشكرية شاعرة من شواعر العرب. انظر النوادر للقالي: 200. وأعلام النساء 3/ 317.

(4) الأبيات وردت في نوادر القالي: 200. أعلام النساء 3/ 317.

(5) د: وأرعاهن.

(6) د: ومرآت.

(7) الأبيات وردت في نوادر القالي: 200. أعلام النساء 3/ 317

قال: فلما قالت ذلك طابت نفسه، وفي النفس ما فيها فقال:

[الخفيف]

أنا والله واثق بك لكن ... ربما خفت منك غدر النساء
بعد موت[1] الأزواج يا[2] خير من عو ... شر فارعي حقي بحسن الوفاء
إنني قد رجوت أن تحفظي العَهْـ ... ـدَ فكوني إن مت عند الرجاء[3]

قال: ثم اعتقل لسانه فلم ينطق حتى مات، فلم تلبث بعده إلا قليلا حتى خطبت من كل جانب، ورغب فيها الأزواج من كل جهة، لاجتماع الخصال الفاضلة فيها من العقل والعفاف والجمال فقالت مجيبة لهم:

[الطويل]

سأحفظ غسانا على بعد داره ... وأرعاه حتى نلتقي يوم الحشر/ [238/أ]
وإني لفي شغل عن الناس كلهم ... فكفوا، فما مثلي لمن مات يغدر
سأبكي عليه ما حييت بعبرة ... تجول على الخدين مني فتكثر[4]

قال: فأيئس الناس منها حينا فلما مرت بها الأيام نست عهده، وقالت من مات فات، فأجابت بعض خطابها فتزوجها. قال: فلما كانت الليلة التي أرادت الدخول فيها جاءها غسان في النوم، وكانت قد أغفت عينها، فقال لها يخاطبها ويقول:

[الطويل]

غدرت ولم ترعي لبعلك حرمة ... ولم تعرفي حقا ولم تحفظي عهدا
ولم تصبري حولا حفاظا لصاحب ... حلفت له يوما ولم تنجزي وعدا/ [353/ج]

---

(1) ج: فوت.

(2) أ: ما.

(3) الأبيات وردت في المرجعين السابقين.

(4) الأبيات وردت في المرجعين السابقين.

غـدرت بـه لمـا ثـوى فـي ضريحـه　　　كذلك يُنْسَى كل من سكن اللحدا[1]

قال: فانتبهت فزعة مستحيية، كأنها بات معها في جانب البيت، فقيل لها مالك؟ فقالت: رأيت غسانا وأنشد كذا، وقمت وكأن هذه الأبيات منقوشة في صدري، ثم خرجت على وجهها فكان آخر العهد بها[2].

حكى الأصمعي قال: مررت أنا وصاحب لي بجارية جالسة عند قبر، لم أر أحسن منها ولا أجمل، وعليها ثياب نظيفة وحلي كثيرة وهي تبكي على القبر أحر بكاء، فلم نزل نتعجب من[3] حسنها وجمالها وزينتها[وحزنها][4]. قال: فقلت لها[5]: يا هذه! [على][6] ما هذا الحزن الشديد؟ فبكت ثم قالت:

[الطويل]

فـإن تسـألاني فيـم حزنـي فإنني　　　رهينـة هـذا القبـر يـا فتيـان

[297/ب] وإنـي لأستحييه والتـرب بيننـا　　　كمـا كنت أستحييه حيـن يراني[7]/

قال: فتعجبنا من ظرفها ولطفها وفصاحة لسانها، ثم تقدمنا قليلا فجلسنا نسمع ما تقول وهي لا ترانا، فسمعناها تقول:

[البسيط]

يا صاحـب القبر يا من كان يؤنسـني　　　وكان يكثـر فـي الدنيـا موافاتـي

[315/د] قـد زرت قبـرك في حلـي وفي حلل　　　كأنني لسـت مـن أهـل المصيبات/

---

(1) الأبيات وردت في المرجعين السـابقين.

(2) الحكاية وردت في المرجعين السـابقين.

(3) ب: نعجب.

(4) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(5) زيادة من: ب.

(6) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(7) البيتان وردا في العقد 3/ 232 وقصص العرب 2/ 168.

ومن رآني رأى حسنا مولهة مشهورة الزي تبكي بين أموات[1]

قال: فلما قدمت على الرشيد قال لي: يا أصمعي! ما أعجب ما رأيت في سفرك؟ فأخبرته خبرها فكتب إلى عامله على ذلك البلد أن يمهرها عشرة آلاف درهم ويجهزها إليه. قال: فحُمِلتُ إلى الرشيد وقد سقمت حزنا وماتت بالمدائن قبل وصولها إليه. قال: فكلما ذكرها الرشيد إلا وذرفت/ عيناه عليها، رحمة الله عليهما[2]. [266/هـ]

حكي أنه لما تزوج الحارث بن عوف[3] الكندي الخنساء بنت منجم[4]، وكانت ذات جمال فائق، فلما زفت إليه مسكتها أمها وقالت لها: أي بنيتي! إن الوصية لوتركت لفضل أدب أوجودة حسب لتركتها عنك، لما أعلم من حسن أدبك وفضل حسبك، وجودة عقلك، أي بنية! لواستغنت امرأة عن زوج لكنت أغنى الناس عنه، ولكنهن خلقن للرجال كما أن الرجال لهن خلقوا. واعلمي أنك خرجت من العش الذي منه درجت، ومن البيت الذي فيه نشأت، إلى رجل لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه فكوني له أمة يكون لك عبدا، واحفظي مني خصالا لتبلغي بها أمرا، ويصير لك بها ذكراه يا بنيتي! عليك بحسن الصحبة/ بالقناعة، والمعاشرة بالسمع والطاعة، وفي القناعة راحة القلب، وفي السمع والطاعة رِضَى الزوج ثم الرب، والتفقد لموضع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح، واعلمي، يا بنيتي![5] بأن الكحل هوالحسن الموجود، والماء هوأطيب الطيب المفقود، والرعاية لعياله، والحفظ لماله، فلعياله/ حسن التدبير، [354/ج] [239/أ]

---

(1) الأبيات وردت في المرجعين السابقين مع اختلاف قليل بين الروايات.

(2) الحكاية وردت في العقد إلى حدود الأبيات الشعرية الأخيرة. ولم يرد فيه خبر الرشيد.

(3) الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري: من فرسان الجاهلية، أدرك الإسلام فأسلم. انظر هامش الإصابة 1/ 303.

(4) سبق ذكرها.

(5) ب، ج، د، هـ: بنية.

ولحفظ ماله حسن التقدير، والتفقد لوقت طعامه، والهدوء وقت منامه، فإن حر الجوع ملهب، وتنغص النوم مكرب، ولا تفشي له سرا، ولا تعصي له أمرا، فإنك إن أفشيت سره، لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أحرجت[1] صدره، ولا تظهري الفرح إذا كان ترحا، والاكتئاب[2] إذا كان فرحا، وكلما زدتيه إعظاما، زادك إكراما وأوثري هواك[3] على هواه في وقت يجب ذلك في بعض الأنات وهواه على هواك في أكثر الأوقات، فلما زفت إليه حظيت عنده وولدت منه أربعة ملوك[4].

حُكي أنه لما تزوج معاوية رضي الله عنه بميسون بنت مجدل[5] ونقلها من البدو إلى الشام، فكانت تكثر الحنين إلى أناسها ومسقط رأسها فاستمع لها ذات يوم وهي لا تعلم به فسمعها تنشد وتقول:

[الوافر]

لبيت تخفق الأرياح فيه ... أحب إلي من قصر منيف

ولبس عباءة، وتقر عيني ... احب إلي من لبس الشفوف

وأكل كسرة من كسر بيتي ... أحب إلي من أكل الرغيف

[316/د] وأصوات الرياح بكل فج ... أحب إلي من نقر الدفوف/

[298/ب] [وكلب ينبح الطراق دوني ... أحب إلي من قط ألوف[6]/

وبكر يتبع الأضعان صعب ... أحب إلي من بغل زفوف[7]

---

(1) أ: خرجت.

(2) ج: الترح.

(3) أ: هواه.

(4) الحكاية وردت في العقد الفريد 6/ 83. وتزيين الأسواق 2/ 523-524.

(5) هي ميسون بنت حميد بن مجدل الكلبية، شاعرة من شواعر العرب، تزوجها معاوية بن أبي سفيان ونقلها من البدو إلى الحضر كما في الخبر. انظر أعلام النساء 5/ 136.

(6) الطراق: المتكهنون. اللسان: طرق.

(7) الزفوف والزفيف: سرعة المشي مع تقارب الخطو. اللسان: زفف.

وأسمر من بني عمي نحيف أحب إلي من علج عقيف[1]

قال: فلما سمع معاوية الأبيات قال: ما رضيت ابنة مجدل حتى جعلتني علجا عقيفا ففارقها ولم ينظر لها في وجه، والله تعالى أعلم[2].

حُكي أن الحارث[3] بن بشر الكندي[4] أراد أن يتزوج ابنة[5] عوف بن محكم[6] الشيباني[7]، وكانت ذات جمال وكمال، فوجه إليها امرأة يقال لها عصام[8]، ذات عقل وبيان لتنظر إليها وتمتحن ما بلغه عنها، فدخلت على أمها أمامة وأعلمتها بسبب قدومها فأرسلت أمامة إلى ابنتها وقالت: أي بنية! هذه خالتك أتت لتنظر إلى بعض شأنك فلا تستري عنها[9] شيئا أرادت النظر إليه من وجه وخلق، وناطقيها فيما استنطقتك عنه. فدخلت عليها عصام/ فنظرت إلى ما لم تر عينها [355/ج] قط أتم بهجة منه، فإذا هي من أكمل الناس عقلا وكمالا وجمالا، وأفصحهن لسانا فخرجت وهي تقول: ترك الخداع من كشف القناع/ فأرسلتها مثلا، ثم أتت [267/هـ] الحارث بن بشر فقال لها: ما وراءك يا عصام، فاخبريني؟ فقالت له: أخبرك حقا وصدقا، رأيت جبهة كالمرآة المصقولة، زينها شعر كأذناب الخيول المظفورة، إن ظفرته حكى السلاسل، وإن مشطته حكى عناقيد كرم جلاها الوابل، وحاجبين

---

(1) علج عقيف: أي منحني من شدة الكبر. اللسان: عقف. والأبيات وردت في غرر الخصائص: 32. وفي أعلام النساء 5/ 137

(2) الحكاية وردت في غرر الخصائص: 32 وأعلام النساء 5/ 136-137.

(3) ج، د: الحرث.

(4) في أعلام النساء هو الحارث بن عمرو ملك كندة. انظر ج 3/ 283أ

(5) أ: بنت.

(6) الصواب هو: عوف بن محلم.

(7) عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان من أشراف العرب في الجاهلية. انظر ترجمته في جمهرة ابن حزم: 322، ومجمع الأمثال 2/ 375.

(8) من ربات الرأي والعقل والفصاحة والبلاغة والفضل والأدب. انظر أعلام النساء 3/ 283.

(9) ج، د، هـ: تستري.

كأنهما نونان خُطًّا بقلم، أو سُوِّدَا بفحم، قد تقوسا على مثل عين الظبية التي لم يرعها قانص، ولم يذعرها قسورة[1]، بينهما أنف كحد السيف المصقول، لم يخنس[2] ولم يشن به قصر، ولم يمعن به طول، حفت به وجنتان كالأرجوان، وبياض محض كالجمان، شق فيه فم كالخاتم، لذيذ المبسم، فيه ثنايا غر، وأسنان تعد كاللؤلؤ والدر، يتقلب فيه لسان ذوفصاحة وبيان، يقلبه عقل وافر، وجواب حاضر يلتقي دونه شفتان حمراوان كالزبد والزند يجلبان ريقا كالشهد، تحت ذلك نحر كالفضة الغال، ركب في صدر تمثال، يتصل به عضدان ممتلئان لحما وشحما، وذراعان عجيبان ليس فيهما عظم يجس، ولا عرق يحس، ركب فيهما كفَّانِ بديعان رقيق قصبهما، لين عصبهما، وبرز في صدرها ثديان كأنهما حقان أورمانتان، تحت ذلك بطن كطي القباطي المدبجة، بأعكان[3] كالقراطيس المدرجة، يحيط بتلك العكن سرة كمدهن العاج خلف ذلك ظهر كالجدول الشجاج، وتحته كفل يقعدها إذا نهضت، وينهضها إذا قعدت، يحمله فخذان كأنهما ركنان ويحمل ذلك كله قدمان كأنهما لسانان فتبارك الله من عجيب صغرهما كيف يطيقان حمل ما فوقهما فأرسل

[1/240] إلى أبيها/ فتزوجها[4].

[317/د] حُكي أن عبد الرحمان[5] بن الحارث[6] كان فقيه المدينة ورئيسها حتى قالت/ عائشة رضي الله عنها: وددت لوكان لي ستة عشر ذكرا[7] من رسول الله ﷺ كلهم

(1) القسورة: جمع الرماة ولا واحد له من لفظه، وقيل هي الأسد... اللسان: قسر.

(2) الخنس في الأنف: تأخره إلى الرأس وارتفاعه عن الشفة وليس بطويل ولا مشرف. اللسان: خنس.

(3) العُكَن، والأعكان: الأطْواءُ في البطن من السِّمَن. اللسان: عكن.

(4) الحكاية وردت في العقد الفريد 7/ 103 والمستطرف 2/ 219، والمرأة العربية: 89.

(5) عبد الرحمان بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أبو محمد، من أشراف قريش من التابعين (1 - 43هـ)، انظر ترجمته في الإصابة وتهذيب التهذيب 6/ 156.

(6) ج: الحرث.

(7) هـ: رجلا ذكرا.

مثل عبد الرحمان بن الحارث[1]، جاءه الحسن بن علي رضي الله عنه يخطب إليه ابنته فلما دخل عليه قال: يا ابن رسول الله ﷺ! لو أرسلت إلي أتيتك. قال: لحاجة لنا، جئتك خاطبا في ابنتك فسكت عبد الرحمان ساعة ثم قال: والله ما على وجه الأرض أحد يمشي عليها أعز منك ولكن أنت تعلم أن ابنتي بضعة مني، وأنت بضعة من رسول الله ﷺ/ وأخاف ان أزوجكها فتطلقها فيتغير خاطري عليك، [356/ج] وما أحب أن ألقى الله تعالى ببغض أحد منكم، فإن اشترطت لي/ عليك ألا تطلقها [299/ب] فافعل، فقام الحسن رضي الله عنه من عنده وقال: ما أراد عبد الرحمان إلا أن يجعل ابنته طوقا في عنقي، وأرسل الحسن رضي الله عنه إلى امرأتين من نسائه لكل واحدة بعشرة آلآف درهم، وقال: قل لهما إنهما مطلقتان وأمرهما أن يعتدا وأعطاهما المال متاعا لهما: ففعل الرسول ثم جاءه فقال له الحسن رضي الله عنه: ما فعلتا! قال: أما الأولى، فكبت رأسها وسكتت، وأما الثانية فبكت وانتحبت وقالت: متاع قليل من حبيب مفارق فرق لذلك الحسن، رضي الله عنه وقال: لوكنت مراجعا امرأة بعد طلاقها راجعتها.

حُكي أن أحمد بن الشيخ[2] صاحب أمد، كان داخلا في بيعة المعتضد فلما توفي واستولى ولده محمد لم يدخل للمعتضد في طاعة فأدى ذلك منه إلى مسير المعتضد إليه في جيوش كثيرة، وذلك كان في شهر ربيع الأول سنة ست وثمانين ومائتين ونزل عليها وحاصرها ثم أرسل المعتضد إلى محمد بن أحمد صاحب أمد، شعلة بن شهاب اليشكري[3] لينظر ما عنده، وما السبب الذي حمله على ذلك، وليأخذ

---

(1) الحرث.

(2) أحمد بن عيسى بن الشيخ الشيباني، الأمير صاحب آمد وديار بكر، وليهما للمعتز العباسي، (ت - 285هـ)، انظر ترجمته في النجوم الزاهرة 3/ 116 شذرات الذهب 2/ 192. وذكره المسعودي في مروج الذهب 5/ 145.

(3) ذكره المسعودي في مروج الذهب 5/ 145.

بالحجة قال: فلما صرت إليه سمعت بي عمته أم الشريف[1] فأرسلت إلي، فلما دخلت عليها قالت لي: يابن شهاب كيف خلفت أمير المومنين؟ فقلت: خلفته ملكا جزلا أمارا بالمعروف فعالا للخير متعززا على الباطل متذللا للحق، لا تأخذه في الله لومة لائم. فقالت لي: هو، والله، أهل لذلك ومستحقه ومستوجبه، وكيف لا يكون كذلك وهو ظل الله الممدود على بلاده وخليفته المؤتمن على خليقته، أمن [268/هـ] به بلاده/ وأعز به[2] دينه، وأحيى به سنته، وثبت به شريعته، ثم قالت لي: كيف[3] رأيت صاحبنا؟ تعني بن أخيها[4] محمد[5] بن أحمد. قال: قلت: غلاما حدثا معجبا برأيه قد استحوذ عليه السفهاء فاستمد بآرائهم وأنصت لأقوالهم، يحرفون له الكلم ويوردونه الندم، فقالت لي: فهل لك أن ترجع إليه بكتابي فلعلنا نحل ما عقد السفهاء معه؟ قلت: أجل، فكتبت إليه كتابا جيدا لطيفا أوجزت فيه الموعظة [318/د] وأخلصت فيه النصيحة وكتبت في آخره هذه الأبيات/ :

[البسيط]

أقبل نصيحة أم قلبها وجع ... عليك خوفا وإشفاقا وقل سددا
واستعمل الفكر في قولي فإنك إن ... فكرت ألفيت في قولي لك الرشدا
ولا تثق برجال في قلوبهم ... ضغائن تبعث الشحناء والحسدا
[357/ج] مثل النعاج خمول في بيوتهم ... حتى إذا أمنوا ألفيتهم أسدا/
وداو داءك والأدواء ممكنة ... فها طبيبك قد ألقى إليك يدا
واعط الخليفة ما يرضيه منك ولا ... تمنعه مالا ولا أهلا ولا ولدا

---

(1) شاعرة من شواعر العصر العباسي، ذات عقل ورأي وفصاحة وبلاغة، عاصرت المعتضد العباسي. انظر أعلام النساء 2/ 293.

(2) ساقطة من: ب.

(3) ج، د: فكيف.

(4) ج، هـ: أجتها.

(5) ساقطة من: ب، د.

واردد أخا يشكر ردا يكون له ... رده من السوء لا تشمت به أحدا[1]

قال ابن شهاب: فسرت إلى ابن أختها فدفعت إليه الكتاب فقرأه ورمى به إلي، ثم قال: يا أخا يشكر/ ما بآراء النساء تتم الدول، ولا بعقولهن تساس الممالك، [241/أ] ارجع إلى صاحبك فرجعت إلى الخليفة بالخبر كله فقال: أين كتاب أم الشريف؟ فدفعته إليه، فلما قرأه أعجبه نثرها وشعرها وعقلها، ثم قال: والله إني لأرجو أن أشفعها في كثير من قومها، ثم إن المعتضد حاصر آمد حتى نزل محمد بن أحمد وأصحابه على الأمان فتوجه الخليفة إلي فقال: يا ابن شهاب! هل عندك علم من أم الشريف؟/ قلت: لا والله يا أمير المومنين قال: فامض مع هذا الخادم فإنك [300/ب] تجدها في جملة نسائها قال: فمضيت فلما بصرت بي أسفرت عن وجهها وأنشأت تقول:

[مجزوء الكامل]

ريب الزمان وصرفه ... وعتوه كشف القناعا
وأذل بعد العز منا ... القعب والبطل الشجاعا
ولكم نصحت فما أطعت ... وكم حرصت بأن أطاعا
وأبى لنا المقدور! ... لا أن نقسم أو نباعا
يا ليت شعري! هل ترى ... يوما لفرقتنا اجتماعا[2]

قال: ثم بكت وضربت بيدها على الأخرى ثم قالت لي: يا ابن شهاب! كأني والله[3] كنت أرى ما أرى فإنا لله وإنا إليه راجعون! قال: فقلت لها: إن الخليفة وجهني إليك فكتبت [إليه][4] بهذه الأبيات:

(1) الأبيات وردت في مروج الذهب 5/ 146. وجمهرة رسائل العرب 4/ 393، وأعلام النساء 2/ 293.

(2) الأبيات وردت في مروج الذهب 5/ 146

(3) عبارة أ: كأني كنت والله.

(4) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

[الكامل]

قل للخليفة والإمام المرتضى ... وابن الخلائف من قريش الأبطح

بك أصلح الله البلاد وأهلها ... بعد الفساد وطالما لم تصلح[1]

وتزحزحت بك قبة العز التي ... لولاك، بعد الله، لم تتزحزح

وأراك ربك ما تحب، فلا ترى ... ما لا يحب[2] فجد بعفوك واصفح

[269/هـ][319/د] يا بهجة الدنيا وبدر ملوكها ... بالله هب ذنب المسيء لمصلح[3]/

قال: فأخذت الكتاب وسرت إليه فلما قرأ الأبيات أعجبته وكان عنده أريحية، فأمر أن يحمل إليها تخوت ثياب وجملة من المال وإلى ابن أخيها محمد بن أحمد مثل ذلك وشفعها في كثير من أهلها وقومها ممن عظم جرمه واستحق العقوبة، [358/ج] وقال/ : أحب أن يُدَوَّن ذلك في بطون الدفاتر[4].

حُكي أن مما يستظرف من أجوبة النساء الأذكياء ما حكاه المدائني[5] أن معاوية بن أبي سفيان دخل على امرأته فاختة[6] وكانت ذات عقل وحزم ومعه خصي له، وكانت مكشوفة الرأس، فلما رأت الخادم استرجعت وبادرت فغطت رأسها فقال لها معاوية: إنه خصي فقالت: أترى المثلة به أحلت له ما حرم الله تعالى؟ فلا تدخل علي بخصي بعدها فاستحسن معاوية رضي الله عنه مقالتها ولم يدخل إليها بخصي بعد ذلك[7].

(1) أ: يصلح.

(2) ج، د، هـ: تحب.

(3) الأبيات وردت في مروج الذهب 5/ 146. وجمهرة رسائل العرب 4/ 394.

(4) الحكاية في مروج الذهب 5/ 145. وجمهرة رسائل العرب 4/ 393-394.

(5) سبق ذكره.

(6) فاختة بنت قرظة بن حبيب بن عبد شمس، من ربات العقل والرأي والنفوذ والسلطان. انظر مروج الذهب 3/ 184-185. فوات الوفيات 2/ 170. أعلام النساء 4/ 17-18.

(7) الحكاية وردت في أعلام النساء 4/ 18.

حُكي أن بنت جعفر أم عيسى[1] كانت من أحسن النساء شكلا وأبدعهما حسنا تفتن العقول فلا يكاد يراها أحد إلا فتن بها فجاءت إلى الشعبي[2] يوما وهو في مجلس القضاء، تَدَّعِي على خصم لها، فقضى بينهما ثم رجعت فمرت بهذيل[3] فسألها ما اتفق لها فقالت: قضى لي على خصمي. فقال[4] هذيل: هو معذور، ثم كتب إليه يقول:

[مجزوء الكامل]

بنت عيسى ابن[5] جراد ظلم الخصم لديها

فتن الشعبي لما رفع الطرف إليها

فتنته بحديث وبياض معصميها[6]

ومشت مشيا رويدا ثم هزت منكبيها/ [301/ب]

فقضى جورا[7] على الخصم ولم يقض عليها

كيف لو أبصر منها نهدها أوساعديها

لسعى حتى تراه ساجدا بين يديها[8]/ [242/أ]

قال: فلما قرأ الشعبي الأبيات قال: قاتله الله والله ما قضيت إلا بالحق[9].

---

(1) أظنها أم عيسى بنت الجراد بن عيسى، راوية من راويات الحديث في أعراب البصرة. انظر أعلام النساء 3/ 380.

(2) سبق ذكره.

(3) هو هذيل بن عبد الله بن سالم بن هلال الأشجعي، شاعر ماجن هجاء من أهل الكوفة (ت -120هـ)، معجم الشعراء للمرزباني 458 وذكره أيضا في الموشح: 83

(4) د: فقال لها.

(5) ج: من.

(6) ب، د: معصمها.

(7) ب، ج، د: جبرا.

(8) الأبيات وردت في المستطرف 1/ 153.

(9) الحكاية وردت في المرجع نفسه.

حكى أهل التاريخ أن بعض الملوك خرج يدور في ملكه فوصل إلى قرية عظيمة فدخلها منفردا وأخذه فيها العطش فوقف قرب باب وطلب ما يشربه فخرجت إليه امرأة جميلة بهاء فلما نظرها افتتن بها فراودها وكانت عارفة به فعلمت أنها لا تقدر على الامتناع، فدخلت وأخرجت له كتابا وقالت له: انظر في هذا إلى أن أصلح من شأني وأعود. فأخذ الكتاب ونظر فإذا فيه الزجر عن الزنا وما أعد الله تعالى لفاعله من العذاب الأليم فنوى التوبة بعدما اقشعر جلده، فصاح بالمرأة ودفع لها الكتاب ومر ذاهبا وكان زوج المرأة غائبا، فلما حضر أخبرته الخبر فتحير وخاف أن يكون وقع غرض الملك فيها، فلم يتجاسر على الاجتماع بها بعد ذلك ومكثت المرأة مدة ثم أعلمت أقاربها بذلك فرفعوه إلى الملك، فقالوا: أعز الله الملك، إن هذا الرجل استأجر منا أرضا للزراعة فزرعها مدة ثم تركها فلا هو يزرعها ولا يدعنا نؤجرها لمن يزرعها وحصل/ الضرر للأرض، ونخاف فسادها [359/ج] بسبب التعطيل لأن الأرض إذا لم تزرع فسدت. فقال الملك للزوج/ : ما يمنعك [320/د] من زرع أرضك؟ فقال: أعز الله الملك، إنه بلغني أن الأسد دخل أرضي وقد هبته ولم أقدر على الدنو منها لعلمي بأن لا طاقة لي بالأسد ففهم الملك القصة وقال: يا هذا! إن أرضك أرض صالحة للزراعة فازرعها بارك الله لك فيها فإن الأسد لن يعود إليها ثم أمر له ولزوجته بصلة وصرفهما إلى حال سبيلهما مكرمين[1].

---

(1) الحكاية وردت في ثمرات الأوراق بتصرف 2/ 228.

الباب التاسع عشر

في المنادمة والغناء وأخبار المغنين[1]

حُكي أن بعض المطربين غنى عند[2] بعض الأمراء فأنشأ يقول:

[الطويل]

إذا أنت أُعطيت السعادة لم تُبْل ... ولو نظرت شزرا إليك القبائل

وإن فرق الأعداء نحوك[3] أسهما ... ثنتها على أعقابها المناصل[4]

فطرب الأمير إلى الغاية وقال لبعض خدمه؟ أحضر له خلعة ولم يفهم المغني ما يقول الأمير فقام، لقلة حظه،/ إلى الخلاء وفي غيبته حضر الخادم بالخلعة فوجد [270/هـ] المغني غائبا وقد حصل فيما حصل في المجلس عربدة، فأمر الأمير بإخراج الجميع فقيل للمغني بعدما خرج: إن الأمير كان قد أمر لك بخلعة، وذكر له القصة، فلما كان في بعض الأيام حضر ذلك المغني عند الأمير فغنى، يقول: إذا أنت أعطيت السعادة لم تبل، بفتح التاء المثنات من فوق وضم الباء الموحدة، فأنكر عليه الحاضرون، فقال: نعم لأنني لما بلت في ذلك الوقت فأتتني السعادة من الأمير، وأوضح القصة فأعجبه ذلك وأمر له بخلعة غير تلك، والله أعلم.

---

(1) أ، ب، هـ: المغنيين.

(2) ساقطة من:هـ.

(3) أ: فوق.

(4) أ، هـ: المناضل. والمناصل: واحدها مُنْصُل وهو السيف. انظر اللسان: نصل.

حكى إسحاق بن إبراهيم الموصلي[1] النديم عن أبيه قال: استأذنت الرشيد أن [302/ب] يهب لي يوما من الجمعة لأجتمع فيه مع جواري وإخواني فأذن لي في يوم السبت/ فقال: هو يوم استثقلته فَالْهَ فيه بما شئت، قال: فأقمت يوم السبت بمنزلي وتقدمت لإصلاح طعامي وشرابي وأمرت بوابي بإغلاق الباب، وأمرته ألا يأذن لأحد من الناس قال: فبينما أنا في مجلسي والحرم قد حففن بي وما دعوت أحدا من إخواني، إذا بشيخ عليه هيبة وجمال وعلى رأسه قلنسوة، وفي يده عكازة مقمعة[2] بفضة، وروائح طيبة تفوح منه فداخلني، لدخوله غم مع ما قلت للبواب وما وصيته، [360/ج] وحصل لي غيظ عظيم، وهممت أن أطرد البواب، ثم سلم علي بأحسن/ سلام فرددته عليه، وأمرته بالجلوس فجلس[3] وأخذ[4] في حديث الناس وأيام العرب [243/أ] وأشعارها، حتى سكن ما بي. فظننت أن البواب وغلماني/ قصدوا سروري بإدخاله، فسرني لأدبه وظرفه فقلت له[5]: هل لك في الطعام؟ فقال: لا حاجة لي به[6]. فقلت له: هل لك في الشراب؟ فقال: كذلك. ثم قال: ذلك إليك. قال: [321/د] فشربت رطلا وسقيته رطلا فقال: يا ابن اسحاق! هل/ لك أن تغني فنسمع منك ما قد فقت به الخاص والعام؟ فغاظني منه ذلك، ثم سهلت الأمر على نفسي وأخذت العود وضربت به وغنيت، فقال: أحسنت يا إبراهيم، فازددت غيظا وقلت: ما رضي بفعلي حتى دعاني باسمي ولم يكنيني ولم يحسن مخاطبتي. ثم قال: هل لك أن تزيد ونكافيك؟ قال فغنيت وتحفظت وقمت بها غنيت أحسن قيام، فطرب وقال: أحسنت يا سيدي. ثم قال لي: أتأذن لعبدك في الغناء؟ فقلت شأنك. واستضعفت عقله كيف سولت له نفسه أن يغني بحضرتي بعد ما سمع مني ما

---

(1) سبق ذكره.

(2) مقمعة: أي مغلقة بالفضة فهي بمثابة القمع للثمرة. اللسان: قمع.

(3) أ: وجلس.

(4) أ: فأخذ.

(5) ساقطة من: ب، ج، د.

(6) ب، د: فيه.

سمع. قال: فأخذ العود وجسه[1] قال: فوالله لقد خلته أن ينطق بلسان عربي ثم اندفع يغني بقوله:

[الطويل]

ولي كبد مقروحة من يبيعني بها كبدا ليست بذات قروح؟
أباها علي الناس أن يشترونها ومن يشتري ذا علة بصحيح؟[2]

قال إبراهيم: لقد ظننت أن الحيطان والأبواب وكل ما في البيت يجيبه ويغني معه فبقيت مبهوتا لا أستطيع الكلام ولا الحركة مما خالط قلبي وكاد يذهب عقلي طربا. ثم قال يا إبراهيم! خذ هذا الغناء وعلمه جواريك. فسألته أن يعيد ما غناه. فقال: لم تحتج إلى شيء من ذلك. ثم غاب عني فلم أره، فارتعت وقمت للسيف فجردته وغدوت نحو الباب، وقلت للجواري: أي شيء سمعتن؟ فقلن: سمعن أحسن غناء. فخرجت متحيرا إلى الباب، فوجدته مغلقا، فسألت البواب عن الشيخ فقال: أي شيخ؟ وما دخل عليك اليوم أحد من الناس. فخرجت فإذا به يهتف من بعض جوانب البيت ويقول: لا بأس عليك يا إبراهيم، أنا إبليس، وقد اخترت منادمتك في هذا اليوم. فركبت على الفور إلى الرشيد، فأخبرته فقال: ويحك! اختبر الصوت الذي أخذته عنه، فأخذت العود فإذا هو راسخ في صدري، فغنيت به فطرب الرشيد وأمر لي بصلة وقال: ليته أمتعنا يوما كما أمتعك بيوم[3].

حُكي أنه لما ورد أبو نصر الفارابي[4] على سيف الدولة ابن حمدان[5] بدمشق وهو

(1) جسه: أي اختبره. اللسان مادة: جسس.

(2) البيتان وردا في الأغاني بنفس الرواية. انظر ج 5/ 212. والمستطرف 2/ 263.

(3) الحكاية في الأغاني 5/ 210-213.

(4) أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابي التركي الحكيم المشهور (260-339هـ)، انظر الوفيات 5/ 153.

(5) سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان (303-356هـ)، انظر ترجمته في يتيمة الدهر 1/ 27. والوفيات 3/ 401 وشذرات الذهب 3/ 20.

[271/هـ] إذ ذاك/ سلطانها وكان أبونصر يلبس زي الأتراك، وكان ذلك دأبه دائما، فوقف
[361/ج] فقال له/ سيف الدولة: اجلس. فقال أبونصر: حيث أنا أوحيث أنت؟ [فقال:
[303/ب] حيث أنت][1] فما زال يتخطى رقاب الناس، حتى انتهى إلى/ مسند سيف الدولة وما زال يزاحمه عنه[2] حتى أخرجه منه، وكان على رأس سيف الدولة مماليك[3] وله معهم لسان خاص يسارهم[4] به. فقال لهم بذلك اللسان: إن هذا الشيخ قد أساء الأدب وإني مسائله عن أشياء إن لم يعرفها فاخرقوا به، فقال له أبونصر: اصبر فإن الأمور بعواقبها، فعجب سيف الدولة منه وعظم عنده محله، ثم أخذ يتكلم مع العلماء الحاضرين في كل فن، فلم يزل كلامه يعلوو كلامهم يسفل حتى صمت الكل وبقي يتكلم وحده، ثم أخذوا يكتبون ما يقوله فصرفهم سيف الدولة ثم خلا به، فقال له: هل لك في الطعام؟ فقال: لا. فقال: هل لك في الشراب؟ فقال:
[322/د] لا. فقال له: هل لك أن تسمع؟ فقال: نعم. فأمر/ سيف الدولة بإحضار القيان وكل ماهر في الصنعة بأنواع الملاهي فحضر الجميع، فقال له سيف الدولة: فهل تحسن هذه الصناعة؟ فقال: نعم. ثم أخرج من وسطه خريطة[5] ففتحها وأخرج منها عودا فركبه وضرب به ضربا عجيبا فضحك كل من في المجلس، ثم فكه وركبه تركيبا آخر فضرب به فغلب على كل من في المجلس البكاء، ثم فكه وركبه تركيبا آخر وضرب به فنام كل من في المجلس حتى البواب قال: فتركهم نياما وخرج منفردا بنفسه لا يلوي على أحد، وكان لا يجالس الناس، وكان، مدة إقامته بدمشق، لا يكون، غالبا، إلا عند مجتمع المياه ومشتبك الرياض، وهناك يؤلف

---

(1) ما بين معقوفين ساقط من:هـ.
(2) ساقطة من: ج.
(3) ج: مماك.
(4) د: يشاورهم.
(5) الخريطة: هنة مثل الكيس تكون من الخرق والأدم. انظر اللسان: خرط.

ويكتب. وكان رحمه الله/ أزهد الناس في الدنيا لا يحفل بأمر مسكن ولا ملبس. [244/أ]
وسأله سيف الدولة في مرتب من بيت المال فقال: يكفيني أربعة دراهم في كل يوم، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة بدمشق وصلى عليه سيف الدولة ومات رحمه الله وقد ناهز الثمانين، ودفن بظاهر دمشق خارج الباب الصغير رحمه الله[1].

حُكي عن مكين العذري[2] قال: سمعت بعض أصحابي يقول: فبينما[3] أنا أسير في العرج إذ سمعت رجلا يتغنى ببيتين من الشعر لم أسمع قط مثلهما وهما:

[الطويل]

وكنت إذا ما زرت سعدى بأرضها ... أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ود جليسها ... إذا ما قضت[4] أحدوثة لو[5] تعيدها[6]

قال: فكدت أسقط عن راحلتي طربا فتأملته فإذا هو راعي غنم فسألته إعادتها فقال: والله لو كان لي شيء أقريك به ما أعدتهما[7]، ولكن أعيدهما لك/وأجعلهما [262/ج] عوضا عن قراك الليلة، فإني ما ترنمت بهما وأنا جائع إلا شبعت، ولا مستوحش إلا أنست ولا كسلان إلا نشطت، فاستعدته إياهما فأعادهما حتى أخذتهما منه فهما زادي حتى وردت المدينة لا غيرهما[8]. فقلت: اذكرني ذلك أبياتا وهي:

---

(1) الحكاية وردت في الوفيات 5/ 155-156

(2) انظر ترجمته في معجم الشعراء: 456 ت.

(3) ب، ج، د، هـ: بينا.

(4) ج، د: انقضت.

(5) أ: لم.

(6) البيتان وردا في ديوان كثير: 200 والأغاني 39/ 9.

(7) د: اعتمدتها.

(8) الحكاية وردت في الأغاني 38-39/ 9.

[الوافر]

يحدثني حبيبي عن أمور فأظهر أنني غمر بليد[1]
فأسأله إعادتها فيحكي مرارا ما يقول وأستعيد
ولست أريد معنى ما حكاه ولكن لفظ محبوبي أريد
يشنف مسمعي ويقر عيني ويحدث لي به عشق جديد

قلت: ومن المستطرف قول الشاعر:

[البسيط]

[272/هـ][304/ب] وضاحك من بكائي حين أبصره لو كان جرب ما جربت أبكاه/
لا يرحم المبتلى مما يكابده إلا فتى مبتلى قد ذاق بلواه
ما أسرع الموت إن تمت عزيمتهم على القطيعة إن لم يرحم الله
[323/د] العشق حلو ومر في مذاقته أمره هجركم والوصل أحلاه/[2]

وقال آخر:

[الكامل]

الحب فيه حلاوة ومرارة والحب فيه شدائد ونعيم
والحب أهونه زناد قادح والحب أصغر ما يكون عظيم
والحب داء قد تضمنه الحشا بين الجوانح فالفؤاد سقي[3]

وأنشد أبو العباس أحمد بن سهل لبعضهم:

[السريع]

يا ذا الذي في الحب يلحى أما والله لوحملت منه كما[4]

---

(1) غمر: لعله أراد عدم المعرفة، يقال ليل غمر: أي مظلم. اللسان: غمر.
(2) الأبيات لمحمد بن أبي أمية، وردت في مصارع العشاق 1/ 115.
(3) الأبيات وردت بدون نسبة في الظرف والظرفاء: 86.
(4) لحا، يلحو: شتم ولام وعذل. اللسان: لحا.

حملت من حب بديع[1] لما لمت على الحب فدعني وما
القى فإني لست أدري بما قتلت[2] إلا أنني إذ رمى[3]
ضبي فؤادي بسهام فما أخطأ[4] سهماه ولكنما
سهماه عيناه التي كلما أراد قتلي بهما سلما

حكى محمد بن يزيد[5] قال: حُدِّثت أن معاوية قال لعمرو بن العاص رحمه الله: امض بنا إلى هذا الذي تشاغل باللهوفننهاه ولننكر عليه فعله، يريد عبد الله بن جعفر وهوابن أخي علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، قال: فدخلا عليه وعنده معلم يعلم جواريه الغناء فأمر عبد الله بن جعفر الجواري أن يتنحين لدخول معاوية رضي الله عنه، وتنحى عن سرير له فرفع عمرو معاوية فأجلسه إلى جنبه/ [ج/363] ثم قال لعبد الله: عد إلى/ ما كنت عليه قال: فأمر بالكراسي فألقيت وأمر الجواري [أ/245] أن يخرجن فجلس المعلم على الكرسي وتغنى يقول:

[الطويل]

ديار التي كنا ونحن نزورها تعفت بأرياح الصبا والجنائب[6]

ومضى في الشعر وردده الجواري عليه بأنغام طيبة فحرك معاوية يديه وتحرك من مجلسه ثم مد رجليه فجعل يضرب وجه السرير فقال له عمرو بن العاص: اتئد

(1) د: بائع.
(2) ج: قلت.
(3) أ: أدر بها.
(4) د: أحظى.
(5) هو المبرد، صاحب الكامل في الأدب.
(6) الجنائب: واحدها الجنوب وهي الريح التي تقابل الشمال. اللسان: جنب. والبيت من شعر قيس بن الخطيم، انظر الديوان: 43. والكامل 2/ 813 برواية:
ديار التي كادت ونحن على منى تحل بنا لولا نجاء الركائب

فإن الذي جئت تلحاه هو الآن أحسن حالا منك، وأقل حركة. فقال له معاوية: اسكت لا أبا لك! فإن كل كريم طروب[1].

حُكي عن أبي محمد الزيدي[2] أنه كان ينادم المأمون فغلب عليه الشراب ليلة فعربد فأمر المأمون بحمله إلى منزله برفق، فلما أفاق استحيى وانقطع عن الحضور إليه أياما، فلما طال ذلك عليه كتب إلى المأمون يقول:

[الطويل]

أنا المذنب الخطاء والعفو واسع ... ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو

سكرت فأبدت مني الراح بعض ما ... كرهت وما أن يستوي السكر والصحو

[305/ب] قال: فلما قرأها المأمون وقع على ظهر رقعته بالعفو عنه وحضه على/ الحضور إليه.

قال الشاعر[3]:

[السريع]

ما أحسن العفو من القادر ... لا سيما عن غير ذي ناصر

[273/هـ][324/د] يا غاية القصد وأقصا المنا ... يا خير مرعى مقلة الناظر/

إن كان لي ذنب ولا ذنب لي ... فما له غيرك من غافر

أعوذ بالود الذي بيننا ... أن نفسد الأول بالآخر[4]

---

(1) الحكاية وردت في الكامل 2/ 813.

(2) لعله أراد اليزيدي يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي، أبا محمد، عالم باللغة والأدب من أهل البصرة (138-202هـ)، انظر ترجمته في تاريخ بغداد 14/ 146 والوفيات 6/ 183 والنجوم الزاهرة 2/ 173.

(3) الحسن بن وهب كما ورد في العقد. انظر ج 2/ 18.

(4) الأبيات وردت في المرجع نفسه برواية ثلاثة أبيات فقط.

حكى عن ابن حمدون[1] قال: دعاني أبو عيسى بن الرشيد[2] للشرب فذهبت إليه فوجدته خاليا في بستان له وكان بين يديه علوية ومخارق ومشدود[3] وكانوا ظرفاء عصرهم فدعا بالطعام فأكلنا وجيء بأنواع من الشراب [فشربنا فلما أخذ منا الشراب][4] اندفع علوية يغني:

[البسيط]

لما سباني بأرداف تجاذبه ... واخضر فوق بياض الدر شاربه
وأشرق الورد في نسرين وجنته ... ونبل مقلته للصب صائبه[5]
كلمته بجفون غير ناطقة ... مكان من رده ما قال حاجبه
اصبر على البين لا تجزع حرب غد ... يأتي فيظفر بالمقصود طالبه[6]

فلما سكت حتى اندفع مشدود يغني من الوزن والقافية بصوت غير ذلك الصوت وهو قوله/ : [364/ج]

[البسيط]

الحب مر أمرته عواقبه ... وصاحب الحب صب القلب ذائبه
أستودع الله من بالطرف ودعني ... يوم الفراق ودمع العين غالبه
ثم انصرفت وداع الموت يهتف به ... ارفق بقلبك قد عزت مطالبه[7]

(1) أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبد الله، من الندماء. انظر معجم الأدباء 1/ 365. والأعلام 1/ 85.

(2) ذكره ابن عبد ربه في العقد 4/ 298، وفيه أن الذي غنى المغنون بين يديه هو أبو عيسى بن المتوكل. انظر ج 7/ 42.

(3) علوية: هو علي بن عبد الله بن سيف، كان مغنيا حاذقا، انظر الأغاني 11/ 334. ومخارق: هو مخارق بن يحيى بن ناووس الجزار مولى الرشيد، انظر الأغاني 18/ 346، والنجوم الزاهرة 2/ 260. ومشدود: في العقد هو المشدود وقد صنفه المؤلف من بين المغنين الحذاق. انظر ج 7/ 42.

(4) ما بين معقوفين ساقط من: ب، هـ.

(5) هـ: هذا البيت جاء بعد البيت الذي يليه.

(6) الأبيات وردت في العقد 7/ 28.

(7) الأبيات وردت في العقد 7/ 42 وفيه أن مشدود المغني هو الذي غنى بها.

فما سكت حتى أجابه مخارق في الوزن والقافية بصوت غير ذلك [الصوت][1]:

[البسيط]

يا من بقلب[2] عصاني غير مزدجر إذا أقول تسلى عز جانبه
والحب شيء إذا لج الفؤاد به يموت قبل أوان الموت صاحبه

قال ابن حمدون فما رأينا مثل ذلك اليوم وهؤلاء الظرفاء كالقماري[3] يتجاوبن على الغصون.

حكى أبو العباس المبرد قال: ارتاح محمد بن عبد الله بن طاهر[4] يوما للمنادمة فقال لكاتبه، أحمد ابن طالوت[5] وكان أخص الناس به: أريد أن أخلو هذا اليوم للشراب[6] ولا بد لنا من ثالث فانظر لنا رجلا يكون حسن المعاشرة لذيذ المؤانسة واحذر أن يكون شرس[7] الأخلاق دنس الأعراف. فأعمل ابن طالوت الفكرة[8] وقال له: أيها الأمير خطر ببالي رجل ليس فيه كبر ولا رعونة وليس علينا في إحضاره مؤونة قد/ خلا من إبرام المجالسين[9] وبرى من ثقل المؤنسين خفيف الوطأة إذا طلبته، يمتثل لأمرك إذا أمرته، قال: ومن هو؟ قال: ماني الموسوس[10] [246/أ]

---

(1) زيادة من: ب، ج، د، هـ.
(2) أ، هـ: لقلب.
(3) كالقماري: أراد طيور شبيهة بالحمام، انظر اللسان: قمر.
(4) أبو العباس محمد بن عبد الله بن طاهر الخزاعي كان شيخا فاضلا وأديبا شاعرا (209-253هـ)، انظر ترجمته في الوفيات 5/ 92. وفوات الوفيات 3/ 304.
(5) في الأغاني: هو الحسن بن محمد بن طالوت، وفي فوات الوفيات: ابن طالوت.
(6) ب، ج، د: للشرب.
(7) أ: شريش والصواب: شرس.
(8) هـ: بفكره.
(9) ج: المجالس.
(10) هو رجل من أهل مصر يكنى أبا الحسن، واسمه محمد بن القاسم معروف بماني الموسوس، شاعر لين الشعر رقيق. انظر الأغاني 23/ 190. فوات الوفيات 4/ 32.

قال: أحسنت والله، قال: فأمر بإحضاره وبعث رسله في طلبه فأحضر وأدخل الحمام وألبس ثيابا نظافا وأدخل عليه فقال: السلام عليك، أيها الأمير! فقال محمد: وعليك السلام، يا ماني. ألم يان لك أن تزورنا على شوق منا إليك/ ومنازعة [306/ب] قلوبنا نحوك؟ فقال ماني: أعز الله الأمير، الشوق مني شديد، والحب لدي عنيد، لكن المزار بعيد والحاجب صعب شديد، والبواب فظ عنيد، ولو سهل لماني الإذن لسهلت/ علينا الزيارة، فقال محمد: قد تلطفت في الإستيذان فقد أطلقت لك [235/د] الإذن في الدخول، ثم قال للبواب: لا تمنع ماني أي وقت ورد من ليل أونهار، ثم أذن له في الجلوس فجلس ودعا بالطعام فأكل وغسل يديه وأخذ مجلسه. فقال له محمد: قد طال تشوقنا لسماع أبنوسة جارية بنت المهدي[1] قال: فأمر بإحضارها فلما حضرت شربوا وطربوا وأمرها محمد بالغناء فكان أول ما غنت به:/ [365/ج]

[الخفيف]

ولست بناس إذ غدوا فترحلوا ... دموعي على الأحباب من شدة الوجد
وقولي لهم بعد الفراغ: تفرقوا ... فلا كان هذا منكم آخر العهد[2]

فقال ماني: أحسنت والله ولكن بحياة الأمير إلا ما زدت عليهما قولي:/ [274/هـ]

[الطويل]

وقمت أناجي الفكر والدمع كامن ... بمقلة موقوف على الضر والجهد
ولم يعدني في هذا الأمير، لعزه[3] ... على ظالم قد زاد في الظلم والصد[4]

قال: فأجابته لذلك واندفعت تغنيه فطرب الأمير محمد طربا شديدا واستحسن

---

(1) في الأغاني: منوسة جارية إحدى بنات المهدي.

(2) البيتان وردا في الأغاني 23/ 194 وفوات الوفيات 4/ 34.

(3) د، هـ: لعدة.

(4) البيتان وردا في المرجعين السابقين.

البيتين وعجب من حسن قريحته وسرعة بديهته ثم قال له: يا ماني[1]! أنت عاشق؟ فاستحيى، وقال: هل بعد المشيب من صبوة ولكنه طرب انبعث وشوق[2] كامن ظهر، ثم أقبل محمد على أبنوسة واقترح [عليها هذا الصوت][3] هو:

[الخفيف]

حجبوها عن الرياح لأني قلت للريح بلغيها السلاما
ثم لم يقنعوا بذلك حتى منعوها يوم الرياح الكلاما[4]

فطرب محمد ودعا بالكأس وشرب فقال ماني: آه! لو زاد قائل هذا الشعر هذين البيتين اللذين سنحا لي الآن لكان ألذ من الصبابة بين الأحشاء، وألطف تغلغلا إلى كبد الصدى من زلال الماء، ولحسن معهما تأليف نظامه وانتهى المعنى إلى غاية تمامه فقال له محمد: وما هما؟ فقال ماني:

[الخفيف]

فتنفست ثم قلت لطيفي: آه إن زرت طيفها إلماما
خصها بالسلام سرا وإلا منعوها لشقوتي أن تناما[5]

فقال محمد: أحسنت يا ماني، ثم أمرها بإلحاقهما والغناء بهما ففعلت، ثم غنت فطرب محمد طربا لم يسبق له مثله، وعجب من رقتهما ومن لطافة ماني وظرفه وحسن أدبه ولطفه ورقة شعره مع حسن البديهة وارتجال القريحة، ثم أمرها محمد بالغناء فغنت تقول:

---

(1) د: أماني.

(2) أ: وعشق.

(3) ما بين معقوفين ساقط من: ج.

(4) البيتان وردا في الأغاني 23/ 194، وفوات الوفيات 4/ 34.

(5) البيتان وردا في المرجعين السابقين.

[الخفيف]

يا خليلي ساعة لا تقيما ومن البعد سلما تسليما
ما مررت بدار زينب إلا هتك الدمع سرنا المكتوما[1]

فاستحسنهما محمد فقال ماني: لولا رهبة التعدي لأضفت إليهما مثلهما لا يردان على سمع ذي لب فيصدر إلا عن استحسان لهما واستظراف لموقعهما. فقال محمد/ : الرغبة في حسن ما تأتي به/ حائلة دون رهبة فهات ما عندك يا ماني فقال [307/ب][326/د] في الحال:

ظبية كالهلال لوتلحظ الصخر بطرف لغادرته هشيما/ [247/أ]
وإذا ما تبسمت خلت إيما ض بروق ولؤلؤ منظوما[2]

فقال محمد: أحسنت والله ولكن حضرني[3] الآن بيتان قلتهما[4] فأجزهما فقال: وما هما؟ فقال محمد:/ [366/ج]

[السريع]

لم تطب اللذات إلا بمن تسحر الألباب ابنوسة
غنت بصوت أطلقت عبرة كانت بسجن الصبر محبوسة[5]

فقال ماني[6] في الحال:

[السريع]

وكيف صبر النفس عن غادة[7] أظلمها إن قلت طاووسة[8]

(1) البيتان لم يردا في الأغاني، ولا في فوات الوفيات.
(2) البيتان وردا في المرجعين السابقين.
(3) أ: حضران.
(4) ساقطة من: ج.
(5) البيتان لم يردا في الأغاني.
(6) د: أماني.
(7) أ، ب، د: عاده.
(8) الغادة: الفتاة الناعمة اللينة. اللسان: غيد.

[275/هـ] وجرت إن سميتها بانة في جنة الفردوس مغروسة/
وغير عدل إن عدلنا بها جوهرة في البحر مغموسة[1]

ثم سكت ماني فقال له محمد! أنصفها فما أنصفتها حد الإنصاف فقال ماني:

[السريع]

جلت عن الوصف فما فكره تقدر أن تنعت أبنوسة[2]

فقال له: أحسنت يا ماني، فقالت له هي: وجب شكرك فساعدك دهرك وطاب عرفك وعطف عليك إلفك وقابلك سرورك وفارقك محذورك، والله تعالى يديم لنا ولك بقاء من به جمع شملنا وتَمَّ سرورنا فقال ماني: أما قولك عطف عليك إلفك. فقال:

[المديد]

ليس لي إلف فيهجرني فارقت نفسي الأباطيل
أنا موصول بنعمة من حبله فالمجد موصول
أنا مغبوط بزورة من طبعه في الخير مجبول

قال الراوي: فأومأ إليه ابن طالوت فقام ماني وهو يقول:

ملك دانت لدولته السادة الغر البهاليل
ظاهري في مواكبه ماله في الناس مبذول
دم من يشفى بصارمه بين هذا الخلق مطلول
يا أبا العباس من أدبا حده بالدهر مفلول

فقال له محمد: يا ماني! وجب شكرك[3] وجزاؤك بشكرك على غير نعمة سبقت منا إليك، ثم أقبل محمد على أحمد بن طالوت فقال[4] له: ليست خساسة رؤية

(1) الأبيات وردت في الأغاني 23/ 195.
(2) البيت لم يرد في الأغاني.
(3) ساقطة من: ج.
(4) ج: فقال.

الفتى ولا حقارة منظره وبزازة[1] ظاهره مذهبة[2] جوهرية الأدب المركبة فيه. وما أخطأ صالح ابن عبد القدوس[3] حيث قال:

[الكامل]

لا يعجبنك من يصون ثيابه خوف الغبار وعرضه مبذول/ [308/ب][327/د]

فلربما افتقر الفتى فرأيته دنس الثياب وعرضه مغسول[4]

فقال ابن طالوت: فما رأيت أخطر ذهنا منه إذ تقول الجارية عطف عليك إلفك، حيث جعله تخلصا ومدحا للأمير ونفيا لما أنكره في أول مجلس بقوله: ليس/ لي إلفا [367/ج] فيهجرني فارقت نفسي الأباطيل. ثم أحسن جائزته وأجرى عليه وعلى من يقوم به رزقا سنين حتى توفي. وكان ماني المذكور قد غلبت عليه السوداء وحصل له الجنون منها رحمه الله[5].

حكى المؤلف رحمه الله عن القاضي عبد الله بن عيسى[6] أنه دعاه بعض أصحابه إلى مجلس أنس فأحضر له طعاما فأكل عنده ثم أحضر له جارية فغنته بهذه الأبيات:

[الكامل]

طابت بطيب لثاتك الأقداح وزهى بحمرة خدك التفاح

(1) د: وابراز.

(2) أ: مذهبية.

(3) هو أبو الفضل صالح بن عبد القدوس أحد الشعراء والحكماء (ت 160هـ)، انظر تاريخ بغداد 9/ 303. معجم الأدباء 12/ 6 والوفيات 2/ 492، وفوات الوفيات 2/ 116.

(4) البيتان وردا في فوات الوفيات 2/ 117.

(5) الحكاية لم ترد في الكامل للمبرد، وقد وردت في مروج الذهب 4/ 172 وفي الأغاني 23/ 191-195، وفوات الوفيات 4/ 32-35.

(6) أبوعبد الله محمد بن عيسى بن بني يحيى بن يحيى، انظر نفح الطيب 3/ 364. وفي جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس للحميدي: هومحمد بن أبي عيسى من بني يحيى بن يحيى ولي قضاء الجماعة بقرطبة وله رحلة. انظر الجذوة: 74.

وإذا الربيع تبسمت أزهاره تمت بعرفك عندنا الأفراح

[1/248] وإذا الخنادس قد دجت ظلماتها فضياء وجهك في الدجى مصباح[1]/

قال: فطرب القاضي طربا شديدا وكتب الأبيات على ظهر كفه ثم خرج فاستدعي إلى الصلاة على جنازة فصلى عليها قال الراوي: فرأيته يكبر على الجنازة والأبيات مكتوبة على ظهر كفه رحمه الله[2].

حُكي عن وصف الكتب قيل[3]: إنها تجل عن الوصف وقد أحسن الشعراء في [276/هـ] أوصافها فقال/ ابن الجهم[4] يصفها وأجاد:

[الطويل]

[سميري][5] إذا جالسته[6] كان مسليا فؤادك مما فيه من ألم الوجد

يفيدك علما أويزيدك حكمة وغير حسود أو مصر على حقد

ويحفظ ما استودعته غير غافل ولا خائن عهدا على قدم العهد

زمان ربيع في الزمان بأسره يبيحك روضا غير ذاوٍ ولا جعد[7]

ينور أحيانا بورد بدائع ألذ وأحلى في النفوس من الشهد[8]

وقال آخر:

[المتقارب]

إذا ما خلا الناس في دورهم بخمر سلاف وخود كعاب[9]

---

(1) الأبيات وردت في النفح 3/ 564. وجذوة المقتبس: 75.

(2) الحكاية وردت في جذوة المقتبس 74. ونفح الطيب 3/ 564.

(3) ساقطة من: ج.

(4) سبق ذكره.

(5) ب، ج: ابن الجهدي.

(6) أ: سفري.

(7) أ: جلسنه. وذاو: ذابل وضعيف. اللسان: ذوي.

(8) الأبيات غير واردة في الديوان.

(9) السلاف والسلافة من كل شيء، خالصه. اللسان مادة: سلف.

وجادت لهم حسنات الزمان بعز الندامى وجود السحاب
خلوت وصحبي كتاب العلوم وبنت عروسي بنت الكتاب
ودرس العلوم شراب العقول هلموا إلي بذاك الشراب

وقال آخر:

[المتقارب]

إذا ما خلوت من المؤنسين جعلت المؤانس لي دفتري
فلم أخل من شاعر محسن ومن عالم صالح منذر
و من حكم بن اثنائها فوائد للناظر المفكر/ [328/د]
وإن ضاق صدري بأسراره فأودعته السر لم يظهر/ [368/ج]
وإن خرج الشعر باسم الحبيب فلم أحتشمه ولم أحصر
وإن عدت من ضجرة بالهجا وسب الخليفة لم أحذر
ونادمت منه كريم المغيب لندمانه طيب المخبر/ [309/ب]
فلست أرى مؤنسا ما حييت نديما عليه إلى المحشر

ولابن حازم[1]:

[الخفيف]

إن صحبنا الملوك تاهوا علينا واستبدوا بالرأي دون الجليس
أوصحبنا التجار عدنا إلى الفقـ ـر وصاروا[2] إلى حساب الفلوس
فصحبنا البيوت[3] نتخذ الحبر ونملي به وجوه[4] الطروس

---

(1) ج: فقال آخر.
(2) أ: وساروا.
(3) ساقطة من: ب.
(4) ج: بطون.

وقال آخر:

[الولفر]

أنست إلى التفرد طول عمري	فمالي في البرية من أنيس
جعلت محادثي وأنيس نفسي	وأنسي دفتري بدل الجليس
قد استغنيت عن فرسي برجلي	إذا سافرت أو بغل كبوس[1]
وبطني سفرتي والجيب خرجي	وهمياني فمي أبدا وكيس[2]
وبيتي حيث يدركني مسائي	وأهلي كل ذي عقل نفيس

قلت لئن كان الناطقون قد وصفوا وجودوا وقالوا فأبلغوا فلقد طولوا وما قصروا، فالكتاب/ نعم الأنيس في ساعة الوحدة، ونعم المعرفة في بلاد الغربة، [277/هـ] ظرف حشي ظرفا ولطيف حاز لطفا، بستان يحمل في كمك وروضة تتقلب في حجرك، هل سمعت بشجرة توتي أكلها كل حين بألوان مختلفة وطعوم متباينة وغرس لا يذوى، وثمر لا يفنى، ومن لك بجليس لا يفيدك الشيء وخلافه، والجنس وضده ينطق عن الموتى ويترحم عن الأحياء، إن غضبت عليه لم يغضب، وإن عربدت عليه لم يعتب، أكتم من الأرض، وأنم من الريح، وألهى من الهوى، وأخدع من المنى، وأمتع من الضحى، وأنطق من/ سحبان وائل وأعيا من باقل[3] [249/أ] إن وعظ أسمع، وإن ألهى أمتع، يفيدك ويستفيدك ويزيدك ويستزيدك، قبر الأسرار وحرز الودائع، قيد العلوم وينبوع الحكم، معدن المكارم مؤنس الأيهام يفيدك علم الأولين، و يخبرك عن كثير من أنباء المتأخرين، هل سمعت من جمع

(1) لعله يريد به البغل القصير.

(2) الهميان: الذي تجعل فيه النفقة. اللسان: همي.

(3) سحبان وائل: هو سحبان بن زفر بن إياس الوائلي من باهلة، خطيب يضرب به المثل في البيان. انظر خزانة الأدب للبغدادي 4/ 347. مجمع الأمثال 1/ 167. وباقل: هوباقل الإيادي، جاهلي يضرب بعيه المثل. انظر مجمع الأمثال 1/ 329. وشرح المقامات 1/ 253.

هذه الأوصاف مع قلة مؤونته وخفة محمله؟ لا يسأل شيئا من دنياك، نعم الدخر والشغل[1] والحرفة، جليس لا يطربك ورفيق لا يملك ولا يطفيك، يطيعك بالليل كطاعته[2] بالنهار، وفي السفر طاعته[3] في الحضر، إن طلبت النظر إليه أطال إمتاعك، ولين طباعك[4] وبسط/ لسانك وجود بيانك، وفخم ألفاظك، وإن [369/ج] درست علم الأنام شيد/ ذكرك ورفع فيهم قدرك، وإن حملته نوه عندهم باسمك، [329/د] يقعد العبيد في مقاعد السادة الصيد، ويجلس المسود المملوك في مجالس الملوك، فأكرم به من صاحب مصادق واعزز به من خليل موافق. وقد قال فيه بعض واصفيه:

[الطويل]

لنا جلساء لا يمل حديثهم ... ألباء مأمونون غيبا ومشهدا

يفيدوننا من علمهم علم من مضى ... ورأيا وتأديبا وعقلا وسؤددا

فلا فتنة تخشى ولا سوء عشرة ... ولا تتقي منهم لسانا ولا يدا

فإن قلت أمواتا فما أنت كاذب ... وإن قلت أحياء فلست مفندا/[5] [310/ب]

(1) ب، د: التغفل.

(2) أ: طاعة.

(3) أ: طاعة.

(4) ج: طبعك.

(5) ما قيل عن الكتاب ورد في "مجاني الأدب" برواية سقط منها البيت الثالث. انظر ج3/ 139 و"جواهر الأدب"، دون الأبيات الشعرية 1/ 344.

الباب العشرون

في الهزل والمجون الجاري في الأحاديث التي هي شجون

حُكي أنه دخل أبو نواس على القاضي يحيى بن أكثم[1]، ومعه غلام أمرد حسن الوجه فقال الغلام: أعز الله القاضي إن هذا عدا علي في[2] الطريق وقبلني كارها ففتن به القاضي فأنشأ يقول:

[الطويل]

إذا كنت للتقبيل في الناس كارها ... فلا تدخل[3] الأسواق إلا منقبا

ولا تظهر الأصداغ من تحت[4] طرة ... وترسل منها فوق خديك عقربا

فتهتك مستورا وتقتل هائما ... وتترك قاضي المسلمين معذبا[5]

حكى أبو الفرج في الأغاني [قال:][6] اجتمع يحيى بن زياد[7] ومطيع بن إياس[8] ونظراؤهما فشربوا أياما فقال يحيى لأصحابه: ويحكم؛ إن لنا أياما لم نصل صلاة فقوموا فلنصل، فقال بعضهم: مروا الجارية تصلي بنا، فامتثلت وأخذت

---

(1) سبق ذكره

(2) ساقطة من: ب.

(3) ج: فلا تمش في.

(4) أ، ب، د، هـ: حيث.

(5) الأبيات وردت مع الحكاية في الوفيات 6/ 153 برواية مختلفة.

(6) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(7) هو يحيى بن زياد بن عبيد الله بن عبد الله الحارثي، كان شاعرا أديبا ماجنا نسب إلى الزندقة (ت - نحو160هـ)،انظر تاريخ بغداد 14/ 106. لسان الميزان 6/ 256.

(8) هو مطيع بن إياس الكناني، كان جميل الصورة حسن الوجه، رمي بالزندقة (ت-166هـ)، انظر تاريخ بغداد 13/ 225. الأغاني 13/ 300. لسان الميزان 6/ 51.

تصلي بهم وكان عليها غلالة رقيقة[1] لا تستر جرم بشرتها، وليس لها سروال، فلما سجدت ظهر هنها، وانكشفت عورتها وكان حديث عهد بالحلاقة فطأطأ مطيع رأسه عليه وقبله وقال:

[المتقارب]

ولما بدا هنها جاثما كرأس حليق ولم يعتمد
خررت عليه وقبلته كما يفعل العابد المجتهد[2]

حكى ابن الأفطس[3] في كتابه المسمى «بالمظفري» قال: دخل المهدي إلى [278/هـ] بعض حجره فرأى جارية/ متجردة فلما رأته غطت فرجها بيدها فقال:نظرت في [370/ج] القصر/ عيني... وارتج عليه، ولم يفتح عليه بشيء فقال:من بالباب من الشعراء؟ فقيل: بشار بن برد[4] فأمر بإدخاله ثم سأله الإجازة فقال:

[مجزوء الرمل]

نظرت في القصر عيني منظرا وافق حيني
سترت لما رأتني دونه بالراحتين
فضلت منه فضول تحت طي[5] العكنتين[6]
[330/د] ليتني كنت عليه ساعة أو ساعتين[7]/

(1) الغلالة: الثوب الذي يلبس تحت الثياب. اللسان: غلل.

(2) البيتان وردا مع الحكاية في الأغاني 3 /32 /5

(3) محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة التجيبي الأندلسي. الملك المظفر صاحب بطليوس (ت -460هـ)، وهومؤرخ من العلماء الأدباء الشعراء ومن المحاربين الشجعان. انظر ترجمته في البيان المغرب 3/ 220. 235-237، والأعلام للزركلي 6/ 228.

(4) سبق ذكره

(5) أ، د، هـ: تتخطى.

(6) العكنة: سبق شرحه.

(7) الأبيات وردت في الديوان 4/ 227 وخاص الخاص للثعالبي: 7. والأغاني 3/ 228.

فضحك المهدي وقال [له:][1] قبحك الله! أكنت ثالثنا؟ فقال: إني أتوب من قولي: ساعة أو ساعتين. قال: فماذا تقول/ ويحك؟ قال: سنة أوسنتين قال: اخرج [250/أ] لا أم لك[2] وأمر له بجائزة[3].

حُكي في الأغاني عن بعضهم[4] قال: أتيت بشار بن برد وبين يديه مائة دينار فقال: خذ من هذه ما شئت، ثم قال: أتدري ما سببها؟ فقلت[5]: لا. فقال: أتاني فتى، فقال لي: أنت بشار فقلت: نعم. فقال: إني آليت على نفسي أن أدفع إليك مائتي دينار، وذلك أني عشقت امرأة فجئت إليها وكلمتها فلم تلتفت إلي فهممت بتركها فذكرت قولك:

[الكامل]

لا يؤيسنك من مخدرة قول تغلظه وإن جرحا[6]
عسر النساء إلى مياسرة والصعب يركب بعدما جمحا[7]

حكى ابن حيان في[8] المقتبس قال: وجه الأمير عبد الرحمان بن الحكم[9]

---

(1) زيادة من: ب، ج، د، هـ.

(2) د: لا إثم.

(3) الحكاية في الأغاني مع اختلاف الرواية. انظر ج 3/ 228.

(4) في الأغاني: «قال حدثني بعض الشعراء قال:». انظر 3/ 205.

(5) ج: قلت.

(6) المخدرة: الجارية التي تلزم الخدر، وهو ستر يمد في ناحية البيت، وهو الهودج فوق البعير. اللسان: خدر.

(7) البيتان في الديوان من قصيدة مطلعها:

قاس الهموم تنل بها نجحا والليل ان وراءه صبحا

انظر الديوان 2/ 97 والأغاني 3/ 205.

(8) أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان، من أهل قرطبة، كان قوي المعرفة متبحرا في الآداب بارعا فيها. انظر ترجمته في الوفيات 2/ 218. جذوة المقتبس: 188. مقدمة المحقق في المقتبس.

(9) عبد الرحمان بن الحكم بن هشام الأموي، رابع ملوك بني أمية في الأندلس، كان عالما بالشريعة والفلسفة، وكانت أيامه أيام هدوء وسكون، انظر تاريخ بن خلدون 28 /7 /8 والنفح 34 /1 /4 والبيان المغرب 2/ 80.

[311/ب] [المرواني/ شاعره يحيى بن الحكم][1] إلى ملك الروم في بعض مهماته، فلما دخل عليه وحدثه أعجب به وبحديثه وخف على قلبه وطلب منه أن يكون نديمه فامتنع من ذلك واعتذر بتحريم الخمر، وكان يوما جالسا معه[2] وإذا بزوجة الملك خرجت وعليها زينتها، وهي كالشمس الطالعة حسنا وجمالا، فجعل لا يمسك طرفه عنها وجعل الملك يحدثه وهو لاه عن حديثه فأنكر عليه ذلك، وأمر الترجمان بسؤاله فقال: عرف الملك أنه بهرني من حسن[3] هذه الملكة وجمالها ولا[4] قطعني عن حديثه إلا أني[5] لم أر مثلها قط، وأخذ في وصفها والعجب من جمالها، وأنها شوقته وأذكرته الحور العين، فلما ذكر ذلك للملك سرت الملكة بذلك، وابتهجت به ولطفت منزلته عند الملك فزادت حظوته عنده، ثم قالت الملكة للترجمان: سله عن السبب الذي دعا المسلمين إلى الختان وتجشم المكروه فيه، وتغير خلق الله تعالى مع خلوه من الفائدة. فقال للترجمان: عرفها أن فيه أكبر فائدة، وذلك أن الغصن إذا أزبر قوي واشتد وغلظ وما دام لا يفعل به ذلك لا يزال رقيقا ضعيفا

[371/ج] فضحكت من قوله وفطنت/ لتعريضه[6].

حكى الثعالبي[7] في اليتيمة قال: كان بهمدان شاعرة مجيدة تعرف بالحنظلية[8] فخطبها أبو علي الكاتب فتمنعت منه فألح عليها في ذلك فكتبت له تقول:

---

(1) يحيى بن الحكم البكري الجياني المعروف بالغزال، شاعر مطبوع من أهل الأندلس، امتاز نظمه بالفكاهة المستملحة، قربه أمراء الأندلس من بني أمية إلى أن توفي سنة 250هـ. انظر ترجمته في بغية الملتمس 485. نفح الطيب 2/ 254.

(2) ساقطة من: ج.

(3) هـ: بحسن.

(4) أ: وأقطعني.

(5) أ: لأني.

(6) الحكاية في المطرب من أشعار المغرب: 138 والنفح 2/ 258.

(7) سبق ذكره.

(8) شاعرة ماجنة ظريفة محسنة كانت تسكن همدان، انظر أعلام النساء 1/ 185

[مجزوء الرجز]

أيرك أير ما له عندي حر هذا فرج
فاصرفه عن باب حري وأدخله من حيث خرج[1]

قال أبو منصور حاكيا عن الصاحب بن عباد[2]: هي والله في هذين البيتين أشعر من كبشة أخت[3] عمرو والخنساء أخت صخر وجنوب الهذلية[4] وليلى الأخيلية[5].

حكى ابن سعيد[6] في المقتطف قال: كان أبوالفرج ابن الجوزي[7] إذا جلس للوعظ رفع الناس إليه رقاعا يسألونه[8] عما يعرض لهم من المسائل/ فيقرأها [279/هـ] ويجيب عنها. وكان مع ردع مواعظه وقمع زواجره ظريف النكتة/ لطيف النادرة، [331/د] فرفعت له ذات يوم امرأة مشهورة بالجهال والخلاعة[9] من العابدات[10] رقعة فيها: ما يقول سيدنا الإمام أمتع الله ببقائه الإسلام[11] ومن ألف في كل فن من

(1) البيتان وردا في اليتيمة 3/ 253.

(2) سبق ذكره.

(3) كبشة بنت معدي كرب الزبيدي: شاعرة صحابية قالت الشعر في أخيها ترثيه وتحرض أخاها عمروعلى الأخذ بثأره. سمط اللآلي 848. أعلام النساء 4/ 234.

(4) جنوب بنت عجلان الهذلية، شاعرة من شواعر العرب في الجاهلية. أعلام النساء 1/ 218.

(5) هي ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب بن معاوية وهو الأخيل بن عبادة، من أشهر النساء. الأغاني 11/ 210. فوات الوفيات 3/ 226. النجوم الزاهرة 1/ 193. والحكاية وردت في اليتيمة 3/ 253.

(6) سبق ذكره.

(7) سبق ذكره.

(8) أ: يسأله.

(9) الخلاعات.

(10) هي شهدة الكاتبة. وهي شهدة بنت أحمد بن الفرج بن عمر الأبري الدنيورية، عالمة فاضلة وكاتبة مجيدة ذات دين وصلاح وبر وإحسان وتدعى فخر النساء. انظر الوفيات 2/ 477. وشذرات الذهب 4/ 248.

(11) أ، هـ: الأنام.

فنون الأديان إلا طب الأبدان، في المرأة التي يعزب عنها ما بين فخذيها، وتجد أكلا بين شفريها. وقد سألت عن ذلك الأطباء ولا علمت لعلتها غاية ولا انتهاء. فلما قرأها قال: أين صاحبة مسألة الطب وأنشد:

[الطويل]

يقولون ليلى بالعراق مريضة   فيا ليتني كنت الطبيب المداويا[1]

حُكي أن أعرابيا وصف فتى جميلا فقال: لو أبصرته العيدان لتحركت أوتارها، ولو رأته مومسة[2] لانحل إزارها. وأنشأ يقول:

[البسيط]

ما ذا يظن بسلمى إن لَمَّ بها   مرجل الشعر صافي اللون مزاح
خز عمامته حلو فكاهته   في كفه من رقى إبليس مفتاح[3]

وقال آخر:

[الطويل]

[251/أ] فما ظن واشينا بأبيض ماجد   وبيضاء خود حين يلتقيان/
دعتني أخاها أم عمر، ولم أكن   أخاها ولم أرضع لها بلبان
[312/ب][372/ج][280/هـ] دعتني أخاها بعد ما كان بيننا   من الأمر إلا ما يفعل الإخوان/[4]

(1) البيت ورد مع الحكاية في المقتطف لابن سعيد 215.

(2) امرأة مومس ومومسة: فاجرة جهارا. اللسان: ميس.

(3) البيتان وردا في العقد الفريد 4/ 62.

(4) الأبيات وردت في البيان والتبيين 3/ 227 والعقد الفريد 8/ 57.

